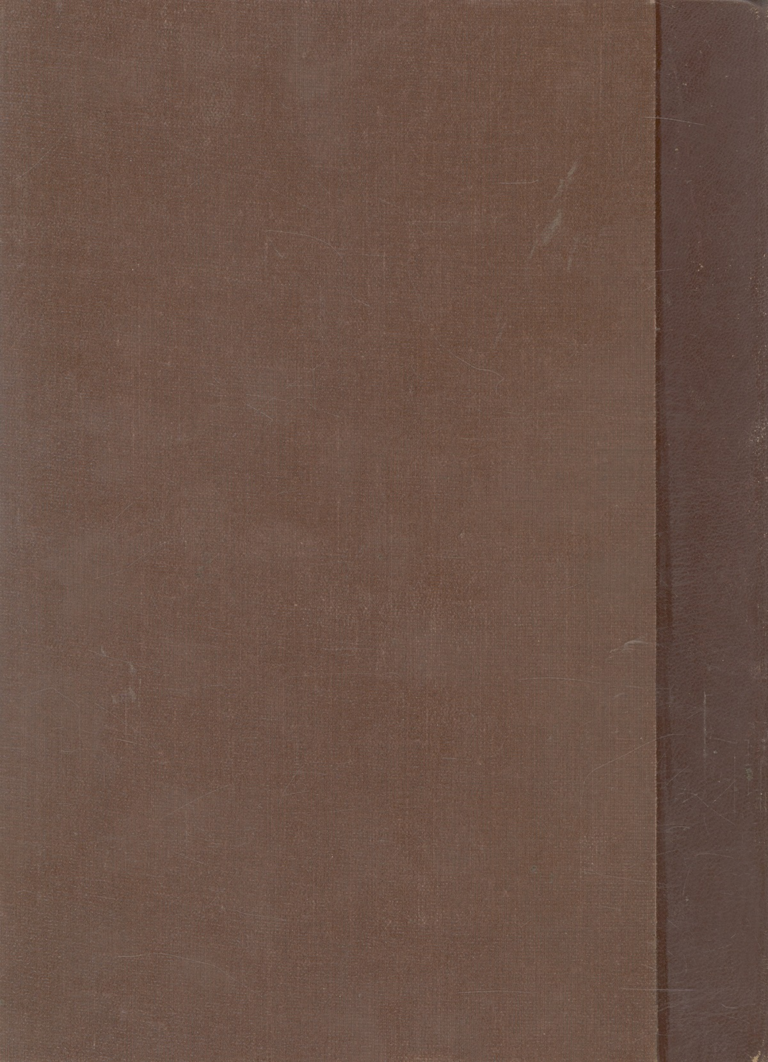


تراثنا



في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء السابع عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر — ٩٠١١٨

القاهرة

فهرس

السِّفر السابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرىّ

صفحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

و به التوفيق والإعانة

ذكرُ غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما يتصل بذلك من الوقائع التى لم تُذكر فى حوادث السنين لتعلقها بالغزوات ١/١٥

كانت غزوات رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم التى حضرها بنفسه سبعا وعشرين غَزاة، كلّها بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهى :

غزوة الأبْواء، وهى غزوة وَدّان، ثم غزوة بُواط، ثم غزوة بدْر الأولى، ثم غزوة ذى العُشَيْرة، ثم غزوة بدْرٍ الكبرى، ثم غزوة بنى قَيْنُقاع، ثم غزوة السَّويق، ثم غزوة قَرْقَرة الكُدْر، وهى غزوة بنى سُلَيْم، ثم غزوة غَطَفان إلى نجد، وهى غزوة ذى أَمَر[1]، ثم غزوة بنى سُلَيم بِبُحْران، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حَمْراء الأسدِ، ثم غزوة بنى النَّضير، ثم غزوة بَدْر الموعِد[2]، ثم غزوة ذاتِ الرِّقاع، ثم غزوة دُومة الجَنْدل، ثم غزوة بنى المصْطَلِق بالمُرَيْسيع، ثم غزوة الخَنْدق، وهى غزوة الأحزاب، ثم غزوة بنى قُرَيْظة، ثم غزوة بنى لِحْيان، ثم غزوة الغابَة، وهى غزوة ذى قَرَد، ثم غزوة الحُدَيْبِيَة، ثم غزوة خَيْبَر، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حُنين، ثم غزوة الطَّائف، ثم غزوة تَبُوك؛ ومنهم من عدّ عُمْرة القضاء مع الغزوات، وكانت بعد خَيْبر وقبل الفتْح.

---

(١) ذو أمر : موضع بناحية النخيل بنجد من ديار غطفان.

(٢) غزوة بدر الموعد : هى بدر الآخرة، وسميت بذلك للواعدة عليها مع أبى سفيان يوم أحد.

قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هـذه الغزوات فى تسع ، وهى : بدر الكُبرى ، وأُحُدُ ، والخَنْدق ، وقُرَيْظة ، والمصْطَلِق ، وخَيْبَر ، والفَتْح ، وحُنَين ، والطّائف ؛ وقيل : إنه قاتل فى بنى النَّضير. والغابَة .

وسَراياه صلى الله عليه وسلم نحو من ستين سرية (١) .

ذكر أوّل لِواء عقده صلى الله عليه وسلم

كان أوّلُ لواء عَقَده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمّه حمزة بن عبد المطلب فى شهر رَمضان على رأس سبعة أشهر من مُهاجَره لواءً أبيض ، حمله أبو مَرْثَد كَنّاز بنُ الحُصَين الغَنوىّ ، حليف حمزة ، وبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين رجلا من المهاجرين يَعْترِضُ لِعير (٢) قريش قد جاءت من الشام تريد مكة ، وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلثمائة رجل ، فبلغوا سِيفَ (٣) البحر من ناحية العِيص (٤) ، فالتقوا ، وصفّوا للقتال ، فمشى مجدىّ بن عمرو الجهنىّ ، وكان موادعا للفريقين جميعا ، إلى هؤلاء مرة ، وإلى هؤلاء مرة ، حتى حجز بينهم .

ذكر سرية عُبَيدةَ بن الحارث بن المطّلب إلى بطْن رابِغ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوّال على رأس ثمـانية أشهر من مُهاجَره ٢/١٥ فى ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وعقد له لواء أبيض ،

---

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسموا كل عسكر حضره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة ، وما لم يحضره ، بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو ، سرية وبعثا . راجع كتاب المغازى من كتاب المواهب اللدنية ، جـ ١ صفحة ٤٦٧ .

(٢) العير هنا : الإبل التى تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها .

(٣) سيف البحر : ساحله . (٤) العيص : موضع بناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون إلى الشام .

حمله مِسْطَح بن أُثاثة بن المطَّلب بن عبد مناف . حكاه محمد بن سعد . .

قال ابن إسحاق: أو ثمانين رجلا من المهاجرين، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثَنِيَّة المَرَة، فلَقِىَ به جمعا عظيما من قريش .

قال الشيخ شرف الدين الدمياطىّ رحمه الله: فلقى أبا سفيانَ بن حرب ، وهو فى مائتين، على ماء يقال له أحْياء، من بطن رابغ على عشرة أميال من الجُحفة، فكان بينهم الرمىُ ولم يسُلّوا السيوف ولم يصطفّوا للقتال، وكان سعد بن أبى وقّاص أوّل من رمَى بسهْم فى سبيل الله ، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم (١) ؛ وكان على القوم عِكرِمةُ بن أبى جهل . وقال أبو محمد بن هشام : كان عليهم مِكْرَز بن حفص ابن الأَخْيَف .

قال ابن إسحاق : وفرّ من المشركين إلى المسلمين المِقدادُ بن عمرو البَهْرانىّ حليفُ بنى زُهْرة ، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر المازِنىّ حليف بنى نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمَيْن ، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصّلا بهم (٢) .

وقدّم ابن إسحاق هذه السّرِيّة على سرِية حمزة .

ذكر سَرِيّة سعد بن أبى وقّاص إلى الخَرّار (٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة على رأس تسعةِ أشهر من مهاجَره فى عشرين رجلا من المهاجرين، وعقد له لواء أبيضَ حمله المِقداد بن عمرو البَهْرانىّ، وساروا يعترضون لعِير قريش، وعهِد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألّا يجاوزَ الخرار .

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنّا نكمُن النهار ونسير الليل ، حتى صبّحناها صبحَ خمس، فنجد العير قد مرّت بالأمس .

(١) حاميتهم : وجههم . (٢) الضمير فى بهم يعود على الكفار . يريد : أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين . (٣) الخرار : موضع بالحجاز .

ذكر غزوة الأَبْواء[١] وهى غزوة وَدّان[٢]

وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوةُ أول غَزاة غزاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وكانت فى صَفَر على رأس آثنى عشر شهرا من مُهاجَره، وحَمَل لواءَه حمزةُ بن عبد المطلب، وكان أبيضَ ، وآستخلف على المدينة سعدَ بن عُبادة ، وخرج فى المهاجرين ليس فيهم أنصارىّ حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش، فلم يلقَ كيدا .

وفى هذه الغزاة وادعَ مَخْشِىَّ بن عمرو الضَّمْرِىّ ، وكان سيِّدَهم فى زمانه ، على ألّا يغزو بنى ضَمْرةَ ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابا .

وكانت غيبتُه صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرةَ ليلةً .

ذكر غزوة بَوَاط

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأوّل على رأس ثلاثةَ عشرَ شهرا من مُهاجَرِه[٣] وحمل لواءَه[٤] سعد بن أبى وقّاص، وكان أبيض، وآستخلف على المدينة سعد بن معاذ[٥]. [وقال ابن هشام: استعمل عليها السائبَ بن عثمان بن مَظْعون.

---

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها و بين الجحفا مما يلى المدينة ثلاثه وعشرون ميلا.

(٢) ودان : قرية جامعة من نواحى الفرع على طريق الحاج .

(٣) زيد فى ا : « لطلب كرز بن جابر الفهرى » .

(٤) كذا فى حـ . وفى ا : « على بن أبى طالب رضى الله عنه » .

(٥) فى ا : « زيد بن حارثة » .

وخرج فى مائتين من أصحابه يعترض لعير قريش، فيها أُميّة بن خلف الجُمحىّ ومائة رجل من قريش وألف وخمسمائة بعير، فبلغ بُواطا ، وهى من جبال جُهَينة من ناحية رَضْوَى، وهى قريب من ذى خُشُب مما يلى طريق الشام، وبين بُواط والمدينة نحوٌ من أربعة بُرُد ، فلم يلْق كيدا ، فرجع صلى الله عليه وسلم [1] .

ذكر غزوة بدر الأولى [2]

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول على رأس ثلاثةَ عشَر شهرا من مُهاجَره، لطلب كُرْز بن جابر الفِهرىّ، وحمل لواءه على بن أبى طالب، وكان أبيضَ، واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة ، وكان كرز قد أغار على سَرْح [3] المدينة فاستاقه ، وكان يرعى بالجَمَّاء ، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سَفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز فلم يلحقه ، فرجع إلى المدينة .

ذكر غزوة ذى العُشَيرة

العُشَيرة، بالشين المعجمة، وقيل بالسين المهملة ، وقيل : العُشَيرا بالألف .

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة ، على رأس ستة عشر شهرا من مَهاجَره ، وحمل لواءه حمزةُ بن عبد المطلب ، وكان أبيضَ ، وآستخلف على المدينة أبا سَلَمَة بن عبد الأسَد المخزومىّ .

(١) اضطرب النص هنا فى نسخة أ .

(٢) هذه الغزوة ساقطة من أ . وقد سماها ابن هشام أيضا بغزوة سفوان : وذكرها بعد غزوة العشيرة . راجع صفحة ٤٧٨ ج ١ من المواهب اللدنية .

(٣) السرح : الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة .

٣ / ١٥ وخرج فى خمسين ومائة ، ويقال فى مائتين من المهاجرين ممن ٱنتَدَب، ولم يَكرِه أحدا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها[1]، وخرج يعترض لعير قريش حين ٱبتدأت إلى الشام ، فبلغ ذا العُشيرة ، وهى لبنى مُدْلج بناحية يَنْبُع ، فوجد العيرَ التى خرج لهـا قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهى العير التى خرج أيضا يُريدُها حين رجعت من الشام ، فكانت فيها وقعةُ بدر الكبرى .

وفى هذه الغزاة وادَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنى مُدْلج وحلفاءَهم من بنى ضَمْرة . وفيها كَنَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أبا تُراب[2]، وقيل فى غيرها .

ذكر سرية عبد الله بن جحش الأسدى إلى نخلة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجَره فى ٱثنى عشر رجلا من المهاجرين . كل ٱثنين يعتقِبان بعيرا .

قال ابن إسحاق : وكتب [له][3] رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ويمضى لما أمره به ، ولا يستكره أحدا من أصحابه .

---

(١) يعتقبونها : يتناوبون ركوبها

(٢) قال السهيلى : فى الروض ج ٣ ص ٨ د : إن أصح الأقوال فى تكنيته بأبى تراب ما رواه البخارى فى جامعه وهو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائما وقد ترب جنبه فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب . وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام

قال : وكان معه أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، وعُتبة ابن غَزْوان بن جابر ، وسعد بن أبى وقّاص ، وعامرُ بن ربيعة ، وواقدُ بن عبد الله التّميمىّ ، وخالدُ بن البُكَيْر أحدُ بنى سعد بن لَيث ، وسُهيْل بن بَيضاء . هؤلاء الذين عدّهم ابن إسحاق ؛ وكان معهم المِقدادُ بنُ عمرو ، حكاه محمد بن سعد .

قال ابن إسحاق : فلما سار عبدُ الله بن جحش يومين فتح الكتابَ فإذا فيه : " إذا نظرتَ فى كتابى هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصَّدْ بها قريشا ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم " . فلما نظر عبد الله فى الكتاب قال : سَمْعٌ وطاعةٌ . ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم : قد نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أستكرِهَ أحدا منكم ، فمن كان يريد الشّهادة ويرغب فيها فلْيَنطلِقْ ، ومن كره ذلك فليرجعْ ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضوْا كلُّهم ، وسلك على الحجازِ حتى إذا كان بمَعْدن فوق الفُرُع يقال له بَحْران ، أضلّ سعدُ بن أبى وقاص وعُتبة بن غَزْوان بعيرَهما ، فتخلّفا فى طلبه ، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيبا وأَدَمًا[(١)] وتجارة من تجارة قريش — قال ابن سعد : وخمرا — وفيها عمرو بن الحضْرمىّ ، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة ، وأخوه نَوْفل ، والحكَم بن كَيْسان مولى هشام بن المُغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم ؛ وكان عُكّاشة حلَق رأسه ليطمئنّ القومُ[(٢)] ؛ فأَمِنوا .

وقال لهم عثمان[(٣)] : لا بأس عليكم منهم . قال : فسرّحوا ركابَهم ، وصنعوا طعاما . قال : فتشاور القوم فيهم ، وذلك آخر يوم من شهر رجب ، فقالوا : والله لئن

(١) الأدم : الجلد . (٢) انظر شرح المواهب ١ : ٤٧٩ .

(٣) فى طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٥ : « وقالوا هم عمار » .

تركتموهم فى هذه الليلة ليدخُلُنّ الحرَم فليمتنعُنّ منكم به ، و إن قتلتموهم لتقتلُنّهم فى الشهر الحرام . فتردّد القوم وهابوا الإقدامَ عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدَروا عليه منهم وأخذِ ما معهم ؛ فخرج واقِد بن عبد الله يقدُم المسلمين ، فرمَى عمرَو بن الحضرمىّ بسهم فقتله ، وآستأسر عثمانَ بن عبد الله ، والحكَم بن كَيْسان ، وأفلتَ نوفلُ[1] بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله وأصحابُه بالعير والأسيرَيْن حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدموا عليه قال : ما أمرتُكم بقتال فى الشهر الحرام . ووقّف العِير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ؛ فأُسقِط[2] فى يَدِ القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنّفهم المسلمون فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدّم ، وأخذوا فيه الأموال[3]، وأسروا الرجال ؛ وأكثرَ الناسُ فى ذلك . فأنزل الله تعالى : ﴿ يسْألونك عنِ الشّهرِ الحَرامِ قِتالٍ فِيهِ، قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وصَدٌّ عن سبِيلِ ٱللهِ وكفرٌ بِهِ والمسجِدِ الحرامِ و إخْراجُ أهلِهِ مِنه أكبرُ عند ٱلله والفِتْنَةُ أكبرُ مِن القتْلِ﴾ أى إن كنتم قتلتُم فى الشهر الحرام فقد صدُّوكم عن سبيل ٱلله وعن المسجدِ الحرام، و إخراجُكم منه وأنتم أهلُه أكبرُ عند ٱلله من قتْل مَن قتلتم منهم . ﴿ والفِتنةُ أكبرُ مِن القتلِ ﴾ ؛ أى قد كانوا يفتِنون المسلمين فى دينهم حتى يردّوهم إلى الكفر بعد إيمانهم ، فذاك أكبرُ عند الله من القتْل

(١) فى سيرة ابن هشام : ج ٢ ص ٢٥٤ : « وأفلت القوم نوفل » .
(٢) أسقط فى يد القوم : « زلوا وأخطئوا وندموا وتحيروا » .
(٣) فى حـ : « وأخذوا الأموال » .

قال: فلما نزلت الآياتُ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرَيْن، وبعثتْ إليه قريش فى فدائهما، فقال: لا . حتى يقدَم صاحبانا، يعنى سعد ابن أبى وقاص، وعُتْبة بن غَزْوان، فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتُلْ صاحبَيْكم . فقدم سعد وعُتْبة، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٤/١٥

فأما الحَكَم بن كَيْسان فأسلمَ وحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتِل يوم بئر مَعُونة شهيدا، وأما عثمان فلحق بمكة، فكان بها حتى مات كافرا .

قال: فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمِعوا فى الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطَى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجُون رحمةَ الله واللهُ غفورٌ رحيم ﴾، قال: وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفىْءَ فجعل أربعة أخماسه لمَنْ أفاءه، وخُمسَه إلى الله ورسوله .

قال ابن هشام: وهى أوّل غنيمة غنِمها المسلمون، وعمرو بن الحضْرمىّ أولُ من قَتَلَ المسلمون، وعثمانَ والحكَمَ أول من أسَرَ المسلمون . وفى هذه السرِيّة سُمى عبدُ الله بن جَحْش أميرَ المؤمنين .

وقال عبد الله بن جحش فى هذه الواقعة، ويقال إنها لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه، والذى صحّحه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش، أبياتا يخاطب بها قريشا:

تَعُدُّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعظَمُ منه لو يَرى الرُّشد راشدُ
صُدودُكمُ عمّا يقول محمّدٌ ... وكُفرٌ به واللهُ راءٍ وشاهدُ

وإخراجُكم مِن مسجد الله أهلَهُ   لئلّا يُرى لله فى البيت ساجدُ
فإنّا وإنْ عيّرتُمونا بقتله   وأرْجَف بالإسلام باغٍ وحاسدُ
سَقَينا منَ ابنِ الحَضْرمىّ رماحَنا   بنخلةَ لمّا أُوقد الحربَ واقدُ
دمًا وابنُ عبدِ الله عثمانُ بيننا   يُنازعه غُلٌّ من القِدّ عاند (١)

ذكر غزوة بدر الكبرى (٢)، ويقال فيها بدر القتال، وما يتّصل بها

كان سبب هذه الغزوة أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمع بإقبال أبى سُفيان بن حرْب من الشام فى العير التى لقريش، وهى التى خرج إليها فى غزوة ذى العُشَيرة، وكان فيها أموالُ قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون أو أربعون، منهم مَخْرَمة بن نَوْفل، وعمرو بن العاص بن وائل، فندبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إليهم، وقال: هذه عِير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنفِلكُموها، فانتدب الناسُ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعض.

وكان أبو سفيانَ حين دنا من الحجاز يتحسّس (٣) الأخبار، ويسأل من لقى من الرّكبان عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تخوّفا على ما معه؛ فأخبره بعض الركبان: أن

---

(١) القد: شرك يقطع من الجلد. وفى شرح المواهب ١: ٤٨١: «عاقد».

(٢) وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة بدر العظمى، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر: قرية بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة؛ وقيل ماء مشهور أسفل وادى الصفراء، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد وقيل بل هو رجل من بنى ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. راجع شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

(٣) التحسس: أن تتسمع الأخبار بنفسك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ٱستنفرَ أصحابَه لقصده، فحذِر عند ذلك، وٱستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفَاريّ؛ فبعثه إلى مكة، وأمره أن يستنفر قريشا إلى أموالهم، ويخبرَهم أن محمدا قد عرَض لها فى أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة .

ذِكر رؤيا عاتِكة بنت عبــد المطلب
وخروج قريش إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عبّاس ، وعُروة بن الزبير رضى الله عنهم .

قالا : ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبــل قدوم ضَمضَم مكة بثلاث رؤيا أفزعتْها، فبعثتْ إلى أخيها العبــاس، فقالت له : والله لقــد رأيت رؤ يا أفظعتْنى وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ أو مصيبة، فاكتم عنى ما أحدّثك به، قال: وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت را كبا أقبــل على بعير حتى وقف بالأبطَح (١) ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا ٱنفروا يا آل غُدُر (٢) ! لمَصارِعكم فى ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثَــل به بعيُره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا ٱنفروا يا آل غُدَر! لمَصارِعكم فى ثلاث ، ثم مثَل به بعيُره على

---

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٢) فى اللسان : غدر معدول عن غادر للبالغة ، ويقال للذكر : غدر ، والأنثى غدار ، وهما مختصان بالنــداء فى الغالب ، وقد ضبطه السهيلى بضم الغين والدال . (راجــع جـ ٢ صفحة ٦١ من الروض الأنف) .

رأس أبى قُبَيس[1] فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها مكةَ[2] فلا دارٌ منها إلا دخلتها منها فِلْقة ؛ قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتميها[3] . ١

ثم خرج العباس فلقى الوليدَ بن عُتبه بن رَبيعة ، وكان صديقا له ؛ فذكَرها له وٱستكتَمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة ؛ ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريش .

قال العباس : فغدوْت لأطوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قُعُود يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغتَ من طوافك فأْت إلينا ، فلما فرغتُ أقبلت حتى جلست معهم ؛ فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطلب ، متى حدَثَتْ فيكم هذه النبيّة ؟ قلتُ : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة ، فقلت : وما رأت ؟ فقال : يابنى عبد المطلب ، أما رضِيتم أن يتنبّأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ! فقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفِروا فى ثلاث ، فستربّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتبْ عليكم كتابا أنكم أكذبُ أهل بيت فى العرب ؛ قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبيرٌ إلا أنى جحدْت ذلك ، وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئا ، قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت لم تبق آمرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت : أقررْتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساءَ وأنتَ تسمع ؛ ثم لم تكن

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة . (٢) فى سيرة ابن هشام : «فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقة» . وفى حـ : «ولا دار» . (٣) وفى رواية : «رأيت» .

عندك غِيرة(١) لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منّى إليه من كبير ، وآيمُ الله لأتعرّضنّ له ، فإن عاد لأ كفينّكُنّه .

قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مُغضَب أرى أنى قد فاتنى منه أمر أُحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرض له ليعود لبعض ما قال ، فأُوقِعَ به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ(٢) ، فقلت فى نفسى : ما له لعنه الله ! أ كلُّ هذا فرَق منى أن أشاتمه ! و إذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوتَ ضمضم بن عمرو وهو يصرُخ ببطن الوادى واقفا على بعيره ، قد جدّع بعيره(٣) وحوّل رحله ، وشقّ قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللّطيمةَ(٤) اللّطيمةَ ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوثَ الغوثَ ! قال العباس : فشغلنى عنه ، وشغله عنّى ماجاء من الأمر .

فتجهّز الناس سِراعا وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير آبن الحضْرَمى ؟ كلّا ! والله ليعلَمنّ غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، و إما باعث رجلا مكانه ، وأوعَبت(٥) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطّلب تخلّف ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، آستأجره بأربعة آلاف درهم كانت لأبى لهب عليه ، فخرج عنه .

وروَى أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانىّ فى كتابه المترجم بالأغانى(٦) بسند يرفعه إلى مُصعَب بن عبد الله قال :

---

(١) فى السيرة ج٢ ص٢٠٦ والطبرى ج٣ — ٤ ص١٢٩٤ : « غير » . (٢) يشتد : يعدو .

(٣) جدّع بعيره : قطع أنفه أو أذنيه . (٤) اللطيمة : الإبل التى تحمل الطيب والبز .

(٥) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو . (٦) راجع الأغانى (ج ٤ ص ١٧٤ طبع دار الكتب المصرية) ، والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا .

قَامَرَ[1] أبو لهب العاصىَ بن هشام فى عشرة من الإبل فقمره ، ثم فى عشرة فقمَره ، [ثم فى عشرة فقمَره][2] ، إلى أن خلعه من ماله فلم يُبق له شيئا ، فقال له : إنى أرى القِداح قد حالفتْك يآبن عبد المطلب ، فهلمّ أُقامرك يا بن عبد المطلب ، فأيُّنا غُلب كان عبدا لصاحبه . قال : افعل ، ففعلَ . فقمَره أبو لهب ، فكرِه أن يسترِقّه فتغضب بنو مخزوم ، فمشى إليهم فقال : افتَدوه منى بعشرة من الإبل. فقالوا : لا والله ولا بِوَبَرَة . فاسترقّه ، فكان يرعى له إبلَه إلى أن خرج المشركون إلى بدر . قال : وقال غيرُ مصعب : فاسترقه واحتبسَه قَيْنا[3] يعمل [الحديد][4]. فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجه أبو لهب عنه لأنه كان عليلا ، على أنه إن عاد أعتقه ، فقبل العاصى .

قال ابن إسحاق : وكان أميّةُ بن خلف قد أجمعَ القُعودَ [وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا][5] فأتاه عُقْبة بن أبى مُعَيط وهو جالس فى المسجد بين قومه بِمِجْمرة[6] ، فوضعها بين يديه ، وقال : يا أبا علىّ ، آستجمِر ، فإنما أنت من النساء . فقال : قَبَحَك الله وقبح ما جئت به . ثم تجهّز وخرج مع الناس .

قال : ولما فرغوا من جِهازهم ، وأجمعوا المسيرَ ، ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا . فكادوا يَنْثَنون ، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سُرَاقة بن مالك المُدْلِجىّ ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء مما تكرهونه فخرجوا سراعا .

هذا ما كان من أمر قريش .

---

(١) قمره : غلبه فى المقامرة . (٢) زيادة عن حـ . (٣) القين : الحداد .
(٤) زيادة عن حـ . (٥) زيادة من سيرة ابن هشام .
(٦) فى السيرة : « بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر » .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦/١٥

ومن معه من المسلمين إلى بدر

قال محمد بن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمانٍ خلوْن من شهر رمضان .

وقال محمد بن سعد : خرج يوم السبت لاثنتى عشرةَ ليلة خلتْ من شهر رمضان ، على رأس تسعةَ عشرَ شهرا من مُهاجَره ، وآستعمل على المدينة عَمرَو ابن أم مَكْتوم ، وآسمه عبد الله ، ليصلّى بالناس ، ثم ردّ أبا لُبابةَ من الرَّوْحاء[1] وآستعمله على المدينة ، وخرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة رجل وخمسةَ عشرَ رجلا ، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون ، وسائرُهم من الأنصار بعد أن رَدّ من أصحابه من آستصغرَهم ، ولم يكن غزا بالأنصار قبلها .

قال محمد بن سعد : وتخلّفَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانيةٌ لعلّة ، ضَرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهامهم وأجُورهم ؛ ثلاثة من المهاجرين : وهم عثمان بن عفان ، خلّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على آمرأته رُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت ، وطلحةُ بن عُبيد الله ، وسَعيد بن زيد ، بعثهما يتحسّسان خبر العِير ، وخمسةٌ من الأنصار ، وهم : أبو لُبابة بن عبد المنذر ، خلّفه على المدينة ، وعاصم بن عدىّ ، خلّفه على أهل العالية ، والحارث بن حاطِب ، رده من الرَّوحاء إلى بنى عمرو بن عَوف لشىء بلغه عنهم ، والحارث بن الصِّمة ، وخَوّات بن جُبَيْر ، كُسرا بالرَّوحاء .

(١) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

وكانت إبِلُ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا يعتقبونها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، ومَرْثد ابن أبى مَرْثَد الغنوىّ يعتقبون بعيرا .

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال : كُنّا يوم بدر كلّ ثلاثة على بعير، وكان أبو لُبابةَ، وعلىّ، زميلىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا كانت عُقْبةُ النبي صلى الله عليه وسلم قالا له : اركب يا رسول الله حتى نمشى عنك، فيقول : " ما أنتما بأقوى على المشى منّى، وما أنا أغْنَى عن الأجْر منكما " .

قال ابن إسحاق : وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبْشَة، وأنسَة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا ؛ وكان أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوْف، يعتقبون بعيرا .

قال ابن سعد : وكانت الخيل فرسيْن : فرس للِمقْداد بن عمرو، وفرس لمرْثد ابن أبى مرْثَد الغنَوىّ . قال ابن إسحاق : وفرس للزُّبيْر بن العوّام .

قال : ودفَع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّواء إلى مُصْعَب بن عُمير بن هاشم ابن عبد مَناف بن عبد الدار، وكان أبيضَ، قال : وكان أمامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوْداوان، إحداهما مع على بن أبى طالب، والأخرى مع الأنصار .

قال ابن سعد : وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوْس مع سعد بن مُعاذ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على السّاقة قيْسَ بن أبى صعْصعة أخا بنى مازن بن النجار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريبا من الصَّفراء[1] بعث بَسْبَسَ بنَ عمرو ، وعدىَّ بنَ أبى الزَّغباء الجُهَنِيَّيْن إلى بدر يتحسَّسان له الأخبار عن أبى سفيان وغيره .

ثم ٱرتحل صلى الله عليه وسلم إلى ذَفِران — وادٍ يَسارَ الصَّفراء — وأتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عِيرَهم ، فٱستشار النـاس وأخبرهم ، فقـام أبو بكر الصـديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقـال وأحسن ، ثم قام المِقـداد بن عمرو فقـال : يا رسـول الله ، امض لمـا أمرك الله ! فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنـو إسرائيل : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكنْ نقول : اذهبْ أنت وربك فقـاتلا إنّا معكما مقاتِلون ، فوالذى بعثك بالحق ، لو سِرتَ بنـا إلى بَرْك الغِماد[2] لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تبلغَه ؛ فقال له رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم خيرا ، ودعا له .

ثم قال : أشيروا علىّ أيها الناس — وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس — فقال له سعد بن مُعاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجلْ ؛ قال : فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فٱمض يا رسـول الله لمـا أردت ، فوالذى بعثك بالحقّ لو ٱستعرضتَ بنا هـذا البحر لخضتَه لخضناه معك ، ما تخلّف منـا رجل واحد ، وما نكره أن تلقىَ بنـا عدوّنا غدا ، إنا لصُبُر فى الحرب ، صُدُق فى اللّقاء ،

(١) الصفراء : واد من ناحيـة المدينة كثير النخل والزرع فى طـريق الحاج ، و بينـه و بين بدر مرحلة . وقيل : قرية فوق ينبع مما يلى المدينة .

(٢) برك الغماد (بكسر الغين المعجمة ، وقال ابن دريد : بالضم ، والكسر أشهر) : موضع فى أقاصى أرض هجر ، وقيل : موضع فى أقصى اليمن . وقال الهمدانى : موضع بالحبشة .

لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينُك ، فسِر بنا على بركة الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : "سيروا وأبشِروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتَين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم" .

٧/١٥ ثم آرتحل صلى الله عليه وسلم من ذَفِران(١) حتى نزل قريبـًا من بدر ، فركب هو وأبو بكر الصـديق حتى وقفا على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابِه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى مَنْ أنتمـا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا أخبرناك . قال : أوَ ذاك بذاك ؟ قال نعم . قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدَق الذى أخبرنى فهم(٢) اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى تركَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه — وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدَقَنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به قريش — ثم قال : من أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ويقال : إن الشيخ سُفيان الضَّمْرِىّ . قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسَى بعث علىَّ بن أبى طالب ، والزُّبير بن العوّام ، وسعد بن أبى وقّاص ، فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر ، فأصابوا راويةً(٣) لقريش فيها أسْـلَم ، غلام بنى الحجـاج ، وعَرِيض أبو يَسار ، غلام بنى العـاص ، فأتَوْا بهما ، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش ، فقالا : هم وراء هـذا الكثيب الذى تَرَى بالعُدْوة القُصْوى ، فقال لهما : كم القوم؟ قالا : كثير ، قال : ما عِدّتهم؟ قالا : لا ندرى .

(١) ذفران (بفتح أوله وكسر ثانيه ثم راء مهملة وآخره نون) : واد قرب وادى الصفراء .

(٢) فى ا : « فإنهم اليوم » .

(٣) الراوية : الإبل التى يستق عليها الماء .

قال : كم ينحرون كل يوم؟ قالا : تسعا، ويوما عشرا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف ، ثم قال لهما : فمَن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام، وحَكيم بن حِزام ، ونوفل بن خُوَيْلد ، والحارث بن عامر بن نَوْفل ، وطُعَيمة بن عدىّ بن نوفل ، والنَّضر بن الحارث ، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُميّة بن خلف ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعمرو بن عبْد وُدّ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: هذه مكة قد ألقَتْ أفلاذ كِبدها.

قال : وبلغ أبا سفيان الخبرُ بمَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ورد ماء بدر، فرجع إلى أصحابه سريعا وصرف وجهَ عِيره عن الطريق، فساحل بها[(١)]، وترك بدرا بيساره، وانطلق . وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفَة[(٢)]، رأى جُهَيم بن الصَّلْت بن مَخْرَمة ابن عبد المطلب رؤيا فقال : إنى فيما يرى النائم[(٣)] ، أو إنى لبين النائم واليقظان، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قُتل عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحكَم بنُ هِشام ، وأمية بنُ خلَف، وفلانٌ وفلان ، فعدد رجالا ممّنْ كان قُتِل يوم بدر من أشرافِ قريش ، ورأيته ضرب فى لَبَّة بعيره، ثم أرسله فى العسكر، فما بقى خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْح[(٤)] من دمه .

قال : فبلغتْ أبا جهل بن هشام فقال : وهذا أيضا نبىٌّ آخر من بنى عبد المطلب ! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

(١) ساحل بها : أى أخذ بها جهة الساحل .

(٢) الجحفة : قرية على ثلاث أو أربع مراحل من مكة .

(٣) فى أ : « وإنى » . (٤) النضح : الرش .

قال : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم ، فقد نجّاها الله فارجعوا ؛ فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرا، وكان بدرٌ موسما من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق فى كل عام ، فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزور ، ونُطعم الطعام ، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان (١)، وتسمعَ بنا العرب و بمسيرنا و جمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضُوا .

فمضت قريش حتى نزلوا العُدْوَةَ (٢) القُصْوى من الوادى، والقُلُب (٣) ببدر فى العدوة الدنيا (٤)، قال : و بعث الله السماء، وكان الوادى دَهْسًا (٥)، فأصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ، ولم يمنعهم من المسير .

وقال ابن سعد : كان المسلمون يومئذ يَميدون من النعاس ونزلوا على كَثِيبٍ أَهْيَلَ (٦)، فمطَرت السماءُ فصار مثلَ الصَّفا (٧) يسعَوْن عليه سعيا . وأنزل الله تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ (٨) النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ .

قال ابن إسحاق : وأصابَ قريشا منها ما لم يَقدروا على أن يَرتحلُوا معه ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبادِرُهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء

(١) القيان : الجوارى .
(٢) العدوة القصوى : أى جانب الوادى القريب من مكة .
(٣) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .
(٤) العدوة الدنيا ، أى بالجانب الأدنى من المدينة .
(٥) الدهس : كل مكان سهل ليس برمل ولا تراب .
(٦) كثيب أهيل : أى رمل سائل
(٧) الصفا : الحجارة الصلدة .
(٨) فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو .

من ماء بدر نزل به ، فأتاه الحُبابُ بن المنـذر بن الجَمُوح فقال : يا رسول الله ، هذا المنزلُ منزلٌ أنزلَكه اللهُ، ليس لنـا أن نتقدّمه، ولا نتأخرّ عنه، أم هو الرأىُ والحربُ والمكيدة؟ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : " بل الرأىُ والحربُ والمكيدةُ " . قال يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتىَ أدنى ماءٍ من القوم فتنزلَه ، ثم نُعَـوِّر(١) ما وراءه من القُلُب ، ثم نبتنى عليـه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القـوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : « لقد أشرتَ بالرأى » ، فنهض بالنـاس وسار حتى [إذا(٢)] أتى أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ؛ ثم أمر بالقلُب فعُوِّرت ، و بنى حوضا على القَليب الذى نزل عليه ، فمُلئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . ٨/١٥

فقال سعد بن معاذ : يا نبىّ الله ، نبْتَنى لك عَريشًا(٣) تكون فيه ، وتكون عندك ركائبك ، ثم نلقَى عدُوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا ، و إن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك ، فلحِقْت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوام ما نحن بأشـدَّ لك حُبًّا منهم ، ولو ظنّوا أن تلقَى حربا ما تخلّفوا عنـك ، يمنعُك الله بهم يُناصِحونك ويجاهدون معك ؛ فأثنى رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عليه خيرا، ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ، فكان فيه .

قال : وارتحلت قريش حين أصبحتْ فأقبلـت ، فلمّـا رآها رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قال : " اللّهُمّ هذه قريشٌ قد أقبلت بخُيَلائهـا(٤) وفخْرها ، تُحادّك(٥) وتكذّب رسولَك ، اللهم فنصْرَك الذى وعدتَنى، اللهم أحِنْهم(٦) الغداة " .

---

(١) نعور القلب : ندفنها . (٢) عن سيرة ابن هشام . (٣) العريش : شبه الخيمة يستظل به . (٤) الخيـلاء : الكبر والإعجاب . (٥) تحادّك : تعاديك . (٦) أحنهم : أى أهلكهم .

قال ابن سعد : كانت قريش تسعمائة وخمسين ، وخيلُهم مائةَ فرس ، وكان لهم ثلاثةُ ألوية ؛ لواء مع أبي عَزيز بن عُمير ، ولواء مع النَّضْر بن الحارث، ولواء مع طلحةَ بن أبي طلحة .

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاقَ بن يَسار وغيره، عن أشياخ من الأنصار، قال: لما اطمأنَّ القوم بعثوا عُمير بن وهب الجُمَحيّ فقالوا : احْزُر[1] لنا أصحابَ محمد ، فجالَ بفرسه حول العَسْكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل يَزيدون قليلا أو يَنقُصُونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ، ألِلْقوم كَمِينٌ أو مَدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم يَرَ شيئا، فرجع إليهم، فقال: ما رأيتُ شيئا ، ولكني رأيتُ يا معشرَ قريش البَلايا[2] تحمل المَنايا ، نواضح[3] يَثرِبَ تحمل الموتَ الناقع[4] ، قوم ليس معهم [مَنَعة][5] ولا ملجأ إلا سيوفُهم، أمَا تَرَوْنهم خُرْصا لا يتكلَّمون، يتلمَّظون تلمُّظ الأفاعي ؛ واللهِ ما أرى أن يُقتَل رجلٌ منهم حتى يَقتُل رجلٌ منكم ، فإذا أصابوا منكم أعْدادَهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فرَوْا رأيَكم .

فلما سمع حَكيم بن حِزام ذلك مشى في الناس ؛ فأتى عُتبةَ بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش وسيِّدها، والمطاعُ فيها، هل لك ألّا تزال تُذكَر منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : تَرجِعُ بالناس وتَحمِلُ أمرَ حليفك عمرو بن الحَضْرَميّ . قال : قد فعلتُ ، عليّ عَقْله[6] ؛ فأتِ ابنَ الحنظليّة ، يعني أبا جهل بن هشام ، قال : فأتيته فقلتُ : يا أبا الحكم ، قد أرسلني إليك عُتبة

(١) الحزر: التقدير بالحدس والظن . (٢) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .
(٣) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء . (٤) الناقع : الثابت البالغ في الإفناء .
(٥) ساقطة من أ . (٦) عقله : دينه .

بكذا وكذا ، فقال : انتفخ واللهِ سَحْرُه[1] حين رأى محمدا وأصحابَه ، كلا والله لا نَرجع حتى يحكمَ الله بيننا وبين محمد ، ثم بعثَ إلى عامر بن الحضرمى فقال : هذا حليفُك يريد أن يَرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأرَك بعينِك ، فقم فأنْشُد خُفْرَتك[2] ، ومَقْتَلَ أخيك . فقام عامر فأكتشف[3] ثم صرخ : وا عَمْراه ! وا عَمْراه ! فحميت الحرْب[4] وحَقِب[5] أمر الناس ، وآستوْسقوا[6] على ما هم عليه من الشر . قال : فخرج الأسودُ بن عبد الأسد المخزومىّ ، وكان رجلا شرسا سيِّئَ الخُلق ، فقال : أُعاهد اللهَ لأشربنّ من حوضهم أو لأهدِمنّه ، أو أموتنّ دونَه ، فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما ٱلتقيا ضربه حمزة فأطنّ[7] قدمَه بنصفِ ساقه ، وهو دونَ الحوض ، فوقع على ظهره ، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يُبِرّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله . ثم خرج بعده عتبةُ بنُ ربيعة ، بين أخيه شَيْبة بن رَبيعة ، وآبنِه الوليد بن عتبة ، حتى إذا بَرَز من الصفّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ثلاثةٌ من الأنصار ، وهم : عَوْف ومُعَوِّذ ٱبنا الحارث ، وعبدُ الله بن رَواحة ، فقالوا : مَن أنتم ؟ فقالوا : رَهْطٌ من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمدُ ، أخرج إلينا أكفاءَنا من قومنا ، فأخرج لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) يقال : « انتفخ سحره » للجبان الذى ملأ الخوف جوفه . والسحر : الرئة .

(٢) انشد خفرتك : أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ، لأنه كان حليفا لهم وجارا .

(٣) اكتشف : تعرى من ثيابه . وفى الطبقات : « فكشف عامر وحثا على استه التراب » .

(٤) كذا فى جـ وفى معظم المراجع . وفى أ : « العرب » .

(٥) حقب : اشتد .

(٦) استوسقوا : اجتمعوا .

(٧) أطن : أطار .

عمّه حمزةَ بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، وعُبيدةَ بن الحارث، فلما دَنَوا منهم قالوا : مَنْ أنتم ؟ فسمَّى كل رجل منهم نفسَه، قالوا : نَعم أكْفاء كِرام؛ فبارز عبيدةُ — وكان أسنَّ القوم — عتبةَ، وبارز حمزه شيبةَ، وبارز عليّ الوليدَ بن عتبة، فأما حمزةُ وعليّ فإنهما لم يُمهلا مُبارزيْهما أَن قتلاهما، وآختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضربتين كلاهما أَثْبَتَ صاحبه(١)، وكَرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فَذَفَّفا(٢) عليه، واحتملا صاحبَهما فحازاه(٣) إلى أصحابه .

٩ / ١٤ قال محمد بن سعد : وفى عُبيدةَ وعُتبةَ نزل قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ ﴾ . قال : ثم زحَف الناس ودنا بعضُهم من بعض .

وكانت وقعةُ بدر يومَ الجمعة صَبيحةَ سَبْعَ عشرةَ من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة .

وعدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصّفوفَ، ورجع إلى العَريش، فدخلَه هو وأبو بكر الصدّيق ليس معه غيرُه فيه، وهو صلى الله عليه وسلم يناشد(٤) ربه ما وعدَه من النصر، ويقولُ فيما يقول : اللهمّ إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ اليومَ لا تُعبد، وأبو بكر يقول : يا نبيّ الله، بعضَ مناشدتك ربّك، فإن الله مُنجزُك ما وعدَك . وخَفَق(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم خَفْقةً ثم آنتبه، فقال : أَبْشِر يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقودُه، على ثناياه النَّقع(٦) .

---

(١) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها . (٢) ذففا عليه : أسرعا قتله .

(٣) حازاه : ساراه بهرق رفق . وفى أ : « جازاه » .

(٤) يناشد ربه : يسأله ويرغب إليه . (٥) خفق : نام نوما يسيرا .

(٦) النقع : الغبار .

قال ابن إسحاق : ورُمِي مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل ، وكان أولَ قتيل قُتل من المسلمين ، ثم رُمِي حارثةُ بن سُراقة ، أحدُ بنى عَدِىّ بن النجّار ، وهو يشربُ فى الحوض بسهم ، فأصاب نَحْرَه ، فقُتِل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يُحرِّضُهم ، وقال : «والذى نفسُ محمد بيده لا يقاتلهم اليومَ رجل فيقتلُ صابرا محتسبا مُقبِلًا غيرَ مُدبر ، إلا أدخله الله الجنة » ، فقال عُمَيْر بن الحُمام أخو بنى سَلِمة ، وفى يده تمراتٌ يأكلُهن : بَخٍ بَخٍ[1] ! أفما بينى وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفَه وقاتل حتى قُتِل .

وقال عَوْفُ بن الحارث — وهو ابنُ عَفراء — يا رسول الله : ما يُضحِكُ الربَّ[2] من عبده ؟ قال : غَمْسُه يدَه فى العدوّ حاسرا . فنزَع دِرْعًا كانت عليه ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتِل .

قال : ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْنة من الحَصْباء فاستقبل بها قريشا ، ثم قال : شاهت[3] الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شُدُّوا ؛ فكانت الهزيمةُ على قريش ، فقتل الله من صناديد قريش مَن قتل ، وأسَر مَن أسر .

قال محمد بن سعد : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما نزلت : ﴿ سَيُهزَم الجمع ويُولّون الدُّبُر ﴾ ، قلت : وأىّ جمع يُهزَم ومَن يَغلِب ؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَثِب فى الدرع وثبا وهو يقول : ﴿ سيُهزم الجمعُ ويُولّون الدبر ﴾ ، فعلمت أن الله تعالى سيَهزمهم .

(١) بخ : (بكسر الخاء وإسكانها) : كلمة تقال فى موضع الإعجاب .
(٢) يضحك الرب : أى يرضيه غاية الرضا . (٣) شاهت : قبحت .

قال : ولمّا وضع القومُ أيديَهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم [فى العريش] (١) وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش، مُتوشّح السيفَ، فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخافون عليه كَرّة العدوّ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سعد بن معاذ الكَراهيةَ لما يصنع الناس فقال له : لَكأنّى بك يا سعدُ تكره مايصنَع القوم؛ قال : أجَل: والله يا رسول الله، كانت أوّلَ وقْعة أوقعها الله بأهل الشَرك، فكان الإثخان فى القتل أحبَّ إلىّ من آستبقاء الرجال .

وفى هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين .

قال محمد بن سعد : لما صَفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه وعبّاهم للحرب ، جاءت ريح لم يُرَ مثلُها شدّة ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى ثم ذهبت ، فجاءت ريح أخرى . فكانت الأولى جبريل عليه السلام فى ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،والثانية ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن مَيْمَنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثالثة إسرافيل فى ألف من الملائكة عن مَيْسَرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان سِيما الملائكة يومئذ عمائم قد أرخوْها بين أكتافهم : خُضْر وصُفْر وحُمْر من نور ، والصُّوف فى نواصى خيلهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إنّ الملائكة قد سوّمت فسوِّموا . فأعلَموا بالصوف فى مَغافرهم (٢) وقلانِسهم .

قال : وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُلْق .

وقال آبن إسحاق : حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر أنه حُدِّث عن آبن عباس رضى الله عنهما قال : حدّثنى رجل من بنى غِفَار قال :

(١) زيادة عن الطبرى وابن هشام . (٢) المغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

أقبلتُ أنا وٱبن عمٍّ لى حتى أصعَدنا فى جبل يُشرف [بنا](١) على بدر [ونحن مشركان](٢) ننظرُ الوَقْعَة على من تكونُ الدائرةُ(٣)، فنتهب مع من ينتهب ، فبينما نحنَ فى الجبل إذ دَنت منا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حَمْحَمةَ الخيل ، فسمعتَ قائلا يقول : أَقْدِمْ(٤) حَيْزوم . قال : فأمّا ٱبنُ عمى فانكشف قِناعُ قلبه ، فمات مكانه . وأما أنا فكدت أنْ أهلِك ، ثم تَماسكْت .

وروى ٱبن إسحاق عن أبى أُسَيْد مالك بن ربيعة — وكان شهد بدرا — قال — بعد أنْ ذهب بصره — : لوكنتُ اليوم ببدر ومعى بصرى لأَريتُكم الشِّعْب(٥) الذى خرجت منه الملائكة ، لا أَشُكّ ولا أتمارى(٦) .

وعن أبى داوود المازِنىّ ، قال : إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنه قتله غيرى . ١٠/١٥

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : كانت سيما الملائكة يومَ بدر عمائمَ بِيضًا قد أرسلوها فى ظُهورهم ، ويوم حُنَين عمائمَ حُمرا ، وفى حديث آخر عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بِيضًا قد أرخوْها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامةٌ صفراء .

وعن ٱبن عباس رضى الله عنهما ، قال : لم تُقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر ، وكانوا فيما سواه من الأيام عَددًا ومَددا لا يَضربون .

---

(١) زيادة من جـ . (٢) زيادة عن الطبرى ، وابن هشام .

(٣) فى المواهب اللدنية ، والروض الأنف : « الدبرة » ، ومعناها : الهزيمة .

(٤) أقدم . كما صوّبه صاحب اللسان : كلمة تزجر بها الخيل . وحيزوم : اسم فرس جبريل عليه السلام . ويقال فيه : « حيزون » .

(٥) الشعب : الطريق فى الجبل . (٦) أتمارى : أشك .

قال : وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابنُ إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو [يقاتل و][1] يقول :

ما تَنْقِـم[2] الحرب العَوان منّى * بازلُ عامَـين حديثٌ سِـنِّى

* لِمثْـلِ هـــذا ولَدَتْنى أمّى *

قال : فلما فرغ رسـول الله صلى الله عليه وسـلم من عَدوّه أمَر أن يُلتَمس أبو جهل بن هشام فى القتْلى ، فمـرّ به عبدُ الله بن مسعود ، قال : فوجدته بآخر رمَق فعرفْتُـه ، فوضعت رجلى على عنُقه ، فقال لى : لقـد ارتقيْت يا رُوَيْعِىَ الغنم مُرتقىً صعبا ، ثم قال : أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ فقلْت : لله ولرسوله ؛ ثم احتَزَزْت رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله أبى جهل ؛ فقال : آللهِ[3] الذى لا إلهَ غيره ؟ قلت : نعم واللهِ الذى لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسَه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضى الله عنها قالت : لمـا أمر رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يُطرَحوا فى القَلِيب ، طرحوا فيه إلا أميّة بن خَلف فإنه انتفخ فى دِرعه فـملأها فذهبُوا ليُحرِّكوه فتَزايَل[4] ، فأَقَـرُّوه وألقَوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجـارة ، قالت : ولمـا أُلقُوا فى القليب ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ياأهلَ القليب ، هل وجدتُم ما وعدَ ربكم حقا ، فإنى قد وجدتُ ما وَعدنى

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . (٢) الحرب العوان : هى التى قوتل فيها مرة . البازل : أصله فى البعير ، يقال : بعير بازل ، إذا استكمل السنة الثامنة ، وطعن فى التاسعة ، والكلام هنا على التشبيه ، يريد أن يقول : أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة . (٣) « آلله الذى لا إله إلا هو » : كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالخفض عند سيبويه لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده . راجع الروض الأنف جـ ٢ ص ٧٢ . (٤) تزايل : تفرق لحمه .

ربى حقا » قالت : فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلم قوما موتى ؟ فقال لهم : " لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حق " . وعن أنس رضى الله عنه نحوُه ، إلا أنّ فيه : فقال المسلمون : يا رسول الله، أتنادى قوما قد جيّفوا(1) ؟ قال : " ما أنتم بأسمعَ لما(2) أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبونى " .

قال ابن إسحاق : وكان الفتية الذين قُتلوا ببدرٍ — فنزل فيهم قولُه تعالى : ﴿ إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمِى أنفسِهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّمُ وساءتْ مصيرًا ﴾ — الحارثُ بنُ زَمْعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ابن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص ابن منبّه .

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر ، فأصيبوا كلُّهم .

قال : ثم أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما فى العسكر مما جمع الناسُ فجُمع ، واختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدوّ : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا عنكم القومَ حتى أصبتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافةَ أن يخالف إليه العدوّ : ما أنتم بأحقّ منّا ، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله

(1) جيفوا : صاروا جيفا .

(2) الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى « وما أنت بمسمع من فى القبور » ، تجده واضحا فى الروض الأنف ، جزء ٢ ص ٧٤ ، وفى شرح المواهب اللدنية جزء ١ ص ٥٢٢ .

أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَن يمنعه، ولكنّا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرّة العدو فقمنا دونه، فما أنتم أحقّ به منا . فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عنِ الأنفالِ قُلِ الأنفالُ لله والرسولِ فاتقوا اللهَ وأصلِحوا ذاتَ بينِكم ﴾ ، نزلت السورة بجملتها فى غزوة بدر .

قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الأُسارَى من المشركين والنَّفَل[1]، وجعل على النَّفَل عبد الله بن كعب المازنىّ ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضيق الصفراء، نزل على كثيب بين المضيق[2] وبين النازية[3] ، يقال له : سَيَر ، إلى سَرْحة[4] [به][5] وهو من المدينة على ثلاث ليال ، فقسم هناك النَّفَل الذى أفاء اللهُ على المسلمين على السواء .

قال ابن سعد : وتنفّل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفَه ذا الفَقَار، وكان لمنبّه بن الحجّاج ، فكان صفيّه يومئذ ؛ وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمَه مع المسلمين ، وفيه جَمَل أبى جهل بن هشام ، وكان مَهْريا[6] ، وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة بشيرًا إلى المدينة ، وبعث عبدَ الله بن رَوَاحة إلى أهل العالية .

قال ابن سعد يرفَعه إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بثلثمائة وخمسةَ عشَرَ من المقاتلة، كما خرج طالوتُ،

---

(١) النفل : الغنيمة . (٢) فى الأصل : « المضيقين » وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٣) النازية : عين على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة ، قرب الصفراء .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . (٥) تكملة من ابن هشام .

(٦) مهرى : نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن .

فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا، فقال: "اللهم إنهم حُفاةٌ فاحملهم، اللهم إنهم عُراةٌ فاكسهم، اللهم إنهم جِياعٌ فأشبعهم".

ففتح الله يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، فاكتسوْا وشبِعوا.

وقال يرفعه إلى عِكرمةَ قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أهل بدر: عليك بالعِير ليس دونَها شيء، فناداه العباس: إنه لا يصلح ذلك لك، قال: لِمَ؟: قال: لأنّ الله تعالى وَعدك إحدى الطائفتين، فقد أعطاك ما وعدك.

ذِكر ورود الخبر بمُصاب أهل بدر على مَن بمكة من كفار قريش. وهلاك أبى لهب بن عبد المطلب

قال ابنُ إسحاق: كان أوّل من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعىّ، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قُتِل عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو الحَكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزَمْعَة بن الأسود، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج، وأبو البَخْتَرىّ، وجعل يعدّد أشراف قريش، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد فى الحِجْر: والله إن يعْقِل هذا فاسألوه عنى، قالوا: ما فعل صَفْوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس فى الحِجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمتْ أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خِلافهم، وكان يكتم إسلامه [وكان

ذا مال كثير مُتفرّق فى قومه] (١). وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، و بعث مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة [وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا] (١)، فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحابِ بدر كبته (٢) الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا ، وكنتُ رجلا ضعيفا ، وكنت أنحت الأقداح فى حُجْرة زمزم ، فوالله إنى لجالسٌ فيها أنحت أقداحى وعندى أمّ الفضل جالسةٌ ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبَر إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ، حتى جلس على طُنُب (٣) الحجرة ، وكان ظهرى إلى ظهره ، فبينما هو جالس إذ قال الناس (٤) : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ . فعندك لعمرى الخبر . قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لُمتُ الناس، لقينا رجالا بيضًا ، على خيل بُلْق بين السماء والأرض، والله ما تُلِيق (٥) شيئا ولا يقوم لها شىء .

قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُب الحُجرة [بيدى] (٦) ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، فثاورته (٧) فاحتملنى ، فضرب بى الأرض، ثم برك على صدرى، وكنتُ رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة فأخذته فضربته به ضربة فلقت (٨) رأسه شجّة منكرة، وقالت:

---

(١) زيادة من سيرة ابن هشام . (٢) كبته : أذله .
(٣) طنب الحجرة : طرفها . والطنب أيضا : حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .
(٤) كذا فى ح . وفى أ : « للناس » . (٥) ما تليق : ما تبق .
(٦) ساقطة من أ . (٧) ثاورته : واثبته .
(٨) كذا فى أ . وفى ح : « فلقت فى رأسه » . وفى السيرة : « فلعت فى رأسه » .

أتستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولّيًا ذليــلا ، فوالله ما عاش إلا سبعَ ليال حتى رماه الله بالعدسة [(١)] فقتلته .

وقالت قريش فى قتلى بدر مراثى كثيرة ذكرها ٱبن هشام وغيره، تركنا إيرادَها رغبةً فى الٱختصار ، ولأنه ليس تحت ذلك كبيرُ فائدة فيما نحن بصدده، إلا أنهـا تشهد بقتل من قُتِل ممن نذكره إن شاء الله تعالى .

ذِكرُ تسميةِ من شَهِد بدرا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان جميع مَنْ شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم من المسلمين ومن ضُرب له فيها بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعةَ عشرَ رجلا ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون [(٢)] ، ومن الأَوْس أحدٌ وستون ، ومن الخزرج مائةٌ وسبعون .

فأما من شهــد بدرا من المهاجرين ، ومن ضُرب له بسهمــه وأجْرِه ، فشهدها من بنى هاشم بن عبــد مناف اثنا عشر رجلا ، وهم : سيدنا رســول الله صلى الله عليه وســلم، وحمــزةُ بن عبــد المطلب ، وعلىّ بن أبى طــالب، وزيدُ ابن حارثة، وأَنَسَةُ الحبَشى ، وأبو كَبْشَة الفارسى ، مَوالى رسـول الله صــلى الله عليه وسلم، وأبو مَرْثَد كَنَّاز بن حُصَين،وٱبنُه مَرْثَد،حليفا حمزة بن عبد المطلب، وعُبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه : الطفَيلُ، والحصين، ومِسطح ، وٱسمُــه عَوفُ بن أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب [(٣)] .

---

(١) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون . وكان العرب يتشاءمون بها ، ويرون أنها شديدة العدوى .

(٢) فى أ : « ثلثمائة وثمانون » وهو خطأ .

(٣) كذا فى جـ ، وهو يوافق ما فى السيرة وأسد الغابة . وفى أ : « ابن عبد المطلب » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسةَ عشرَ رجلا، وهم : أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة ، وسالمٌ مولاه . ومن حلفائهم من بنى أسَد ابن خُزَيمة عبد الله بن جحش بن رِئاب ، وعُكَّاشةُ بن مِحْصَن ، وشُجاع بن وهب ابن رَبيعة ، وأخوه عُقْبة ، و يزيد بن رُقَيْش[1] بن رئاب، وأبو سِنان بن مِحْصَن ابن حُرْثان[2] أخو عُكَّاشة ، وآبنه سِنان ، ومُحرِز بن نَضْلة بن عبد الله وربيعة بن أكثم بن سَخْبَرة بن عمرو . ومن حلفائهم بنى كبير[3] بن غَنْم بن دُودان بن أسد : ثَقْفُ بن عمرو ، وأخواه مالك ، ومُدْلِج[4] ، وهم من بنى حَجْر آل بنى سُلَيم ، وأبو مَخْشى، حليف لهم .

ومن بنى نوفل بنِ عبد مناف رجلان،وهما : عُتْبة بن غَزْوان، وخَبّاب مولاه .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى ثلاثةُ نفر ، وهم : الزبير بن العوّام وحاطبُ بن أبى بَلْتَعة ، وسعد مولاه .

ومن بنى عبد الدار رجلان،وهما : مُصْعَب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْملة، ويقال : ابن حرملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار .

(١) هذه رواية ابن هشام . وفى الاستيعاب ، والإصابة، وأسد الغابة : « رقيش بن رباب » . وفى الأصول : « قيس بن رئاب » .

(٢) فى أ : « محصن وحرثان » .

(٣) كذا فى السيرة ، وفى أ « كثير » ، تحريف .

(٤) كذا فى الأصول : وفى رواية أخرى لابن هشام، وفى الاستيعاب : « مدلاج» .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب وحلفائهم تسعةُ نفر، وهم : عبد الرحمن بن عوْف، وسعدُ بن أبى وقّاص، وأبو وقاص مالكُ بن أُهَيب[1]، وأخوه عُمَير بن أبى وقّاص . ومن حلفائهم : المِقْدادُ بن عمرو بن ثعلبة، وعبد الله بن مسعود ابن الحارث، ومسعود بنُ ربيعة بن عمرو، وذو الشِّمالين[2] عُمَير بن عبد عمرو بن نَضْلة، وخَبَّاب بن الأَرَتّ .

ومن بنى تَيْم بن مرّة ومواليهم أربعةُ نفر، وهم : أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، ومواليه، بلالُ بن رَبَاح، وعامرُ بن فُهَيْرة، وصُهَيْب بن سِنان .

ومن بنى مخزوم خمسةُ نفر، وهم : أبو سَلَمة عبدُ الله بن عبد الأَسَد وشَمّاس بن عثمان بن الشّريد، واسم شمّاس عثمان، والأَرْقَم بن أبى الأَرقم، وأبو الأرقم هو عبد مناف بن أسد، وعمّار بن ياسر، ومُعتِّب بن عوْف بن عامر حليفٌ لهم .

ومن بنى عدىّ بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلا، وهم : عمر بن الخطّاب رضى الله عنه، وأخوه زيد، ومِهْجَع مولى عمر، وعمرو بن سُرَاقة بن المُعتَمِر وأخوه عبد الله، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عُرَين، حليف لهم، [[3] وعامر ابن البُكَير، وأخواه خالد، وإياس، حلفاء بنى عدىّ، وخَوْلِىّ بن أبى خَوْلىّ، وأخوه مالك، حليفان لهم — ومنهم من عدّ هلال بن أبى خَوْلى — وعامرُ بن أبى ربيعة، حليف لهم] .

---

(١) فى أسد الغابة : «وهيب» .

(٢) قال ابن هشام : إنما قيل له : «ذو الشمالين» لأنه كان أعسر .

(٣) ما بين المربعين ساقط من أ .

ومن بنى جُمَح خمسةُ نفر ، وهم : عثمان بن مَظْعون ، وابنه السّائب وأخواه قُدامة، وعبد الله، ابنا مظعون ، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر .

ومن بنى سهم بن عمرو : خُنَيْس بن حُذافة بن قيس .

ومن بنى عامر بن لؤىّ خمسة نفر ، وهم : [(١) أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى ، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سُهَيل بن عمرو — وكان قد خرج مع أبيه سُهيل، فلما نزل الناس بدرا فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدها معه — وعُمَير بن عَوْف ، مولى سُهَيل بن عمرو ، وسعد ابن خَوْلة ، حليف لهم .

ومن بنى الحارث بن فِهر خمسةُ نفر، وهم] : أبو عُبيدة عامرُ بن عبد الله ابن الجراح ، وعمْرو بن الحارث بن زُهَير ، وسُهَيل بن ربيعة بن هلال، وأخوه صَفْوان بن وهب(٢) ، وهما ابنا بيضاء ، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة .

هؤلاء الذين شهدوا بدرا من المهاجرين .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره، فثلاثة نفر،وهم(٣) : عثمان بن عفّان — وقد تقدّم خبره — وطلْحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل،وكانا قد بعثهما ١٣/١٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام يتحسّسان له خبر العير ، فقدما بعد غزوة بدر ، فضَرَب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما ، قالا : يا رسول الله ، وأجْرنا ؟ قال : وأجركما .

---

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) فى الأصل : « وهيب » . وما ذكرناه رواية أسد الغابة والإصابة والاستيعاب والسيرة .

(٣) ساقطة من أ .

وأما من شهدها من الأوس ومن غاب وضُرِب له فيها بسهمه وأجره ، فهم أحد وستون رجلا ، شهدها منهم ستة وخمسون رجلا ، وهم : سعد بن مُعاذ ابن النعمان ، وأخوه عمرو بن معاذ ، والحارث بن أنَس بن رافع (١) ، وسعد بن زيد ابن مالك ، وسَلَمة بن سَلامة بن وَقْش ، وعبَّاد بن بشر بن وَقْش ، وسلَمة بن ثابت بن وَقْش ، ورافع بن يزيد بن كُرْز (٢) ، والحارث بن خَزَمة بن عدىّ ، حليف لهم ، ومحمد بن مَسْلمة بن خالد ، حليف لهم ، [وسَلَمة (٣) بن أسلم بن حَرِيش ، حليف لهم] ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وأخوه عُبَيد بن التيهان — قال ابن هشام : ويقال : عَتيك بن التيهان — وعبدُ الله بن سُهَيل (٤) ، وقَتادةُ بن النعمان بن زيد ، وعُبيد ابن أوس بن مالك — وعبيد هو الذى يقال له : مُقرِّن ، لأنه قرَن أربعة أسرى فى يوم بدر ، وهو الذى أسر عَقيل بن أبى طالب يومئذ ، [ونصر بن (٥) الحارث بن عبد بن رِزاح بن كعب] ، ومُعتِّب بن عبيد ، وعبد الله بن طارق حليف لهما من بَلِىّ ، ومسعود بن سعد بن عامر ، ويقال فيه : مسعود بن عبد سعد ، وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو ، وأبو بُرْدة بن نِيار ، واسمه هانئ ، حليف لهم من بلِىّ ، وعاصم بن ثابت بن قيس ، ومُعتِّب بن قُشَير ، وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد ، وعمرو بن معبد بن الأزعر ، وقيل فيه : عُمَير بن معبد ، وسهل بن حُنَيف (٦) بن واهب ، ومُبشِّر بن عبد المُنذر بن زَنْبَر (٧) ، وأخوه

(١) فى ا : «رابع» ، تصحيف . (٢) كذا فى السيرة والاستيعاب والإصابة . وفى الأصول : «كريز» ، وفى رواية أخرى للاستيعاب : «رافع بن زيد» . (٣) ما بين المربعين ساقط من ا . (٤) فى جـ : «سهل» ، والصواب ما أثبتناه . وانظر أسد الغابة . (٥) ما ذكرناه رواية الإصابة . وفى سيرة ابن هشام : «ومن بنى عبد بن رزاح نصر بن الحارث» وفى الأصول : «ورزاح ابن كعب بن نصر بن الحارث» ولم يعرف هذا الاسم فيمن شهد بدرا . (٦) فى ا : «عنيف» ، تصحيف . (٧) كذا فى الإصابة والسيرة . وفى الأصول : «زبير» ، تصحيف .

رفاعة ، وسعد بن عُبيد بن النعمان، وعُوَيم بن ساعدة ، ورافع بن عُنْجُدة ، وعبيد ابن أبي عُبَيد ، وثَعْلبة بن حاطب ، وأُنَيس بن قَتادة بن ربيعة . ومَعْنُ بن عَدىّ ابن الجدّ من حلفائهم ، وثابت بن ثَعْلبة ، وعبد الله بن سَلَمة ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة ، ورِبعىّ بن رافع بن زيد ، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بَلِىّ ، وعبد الله ابن جُبَيْر بن النعمان [(١) وعاصم بن قَيس بن ثابت ، وأبو ضَيَّاح ثابت بن النعمان وأخوه أبو حَنة — ويقال: أبو حبّة — وسالم بن عُمير بن ثابت بن النعمان، والحارث ابن النعمان] بن أمية ، ومُنذر بن محمد بن عُقبة ، وأبو عُقَيل بن عبد الله بن ثعلبة من حلفائهم، وسَعْد بن خَيْثَمة بن الحارث، ومُنذر بن قُدامة، ومالك بن قُدامة ابن عَرْفجة، والحارث بن عَرْفجة، وتَميم مولى بنى غَنْم، وجَبْر(٢) بن عَتيك بن الحارث ومالك بن نُمَيلة ، حليف لبنى معاوية من مُزَينة ، والنعمان بن عَصَر(٣) ، حليف لبنى معاوية من بلىّ . هؤلاء الذين شهدوها من الأوس .

وأما من ضُرب له بسهمه وأجره منهم لخمسة نفر ، وهم : أبو لُبابة واسمه بَشير بن عبد الله ، والحارث بن حاطب ، وحاطب بن عمرو بن عُبيد وعاصم بن عَدىّ بن الجدّ بن العَجْلان ، وخَوّات بن جُبير بن النعمان .

وأما من شهدها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم فمائة وسبعون رجلا : خارجةُ بن زيد بن أبي زُهير ، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير وعبد الله بن رَواحة بن امرئ القيس ، وخلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو

---

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) كذا في جـ وهو يوافق ما في السيرة ، وفي أ : « جبير » .

(٣) في الأصول : « عيصر » وهو تحريف .

وبَشير بن سعد بن ثعلبة ، وأخوه سِمَاك[1] بن سعد ، وسُبَيع بن قيس بن عَيْشة[2] بن أمية ، وأخوه عَبّاد بن قيس ، وعبد الله بن عَبْس ، ويزيدُ بن الحارث بن قيس وخُبَيْب بن إسَاف بن عتبة ، وعبد الله بن زيد بن ثَعْلبة ، وأخوه حُرَيث بن زيد ، وسفيان بن نَسْر[3] بن عمرو بن الحارث ، وتميم بن يَعار[4] بن قيس ، وعبد الله ابن عُمير بن عدىّ ، وزيد بن المُزَيْن[5] بن قيس ، وعبد الله بن عُرْفطة بن عدىّ ، وعبد الله بن ربيع بن قيس ، وعبد الله بن عبد الله بن أبىّ [بن][6] مالك ، وأوس ابن خوْلى بن عبد الله بن الحارث ، وزيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جَزْء وعُقبة بن وَهْب بن كَلَدة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غَطَفان ، ورفاعة بن عمرو بن ثعلبة ، وعامر بن سلَمة بن عامر ، حليف لهم من اليمن ، وأبو حميضة[7] عبّاد بن قُشَير بن المُقدَّم ، وعامر بن البُكَير ، حليف لهم ، ونوفل بن عبد الله بن ١٤/١٥ نَضْلة ، وعُبادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرم ، وأخوه أَوْس بن الصّامت والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، وهو الذى يقال له : قَوْقَل[8] ؛ وثابت بن هَزّال ابن عمرو بن قُرْيُوش ، ويقال : قُرّيوس ، ومالك بن الدّخْشم بن مالك ، وربيع

(١) فى أ : « سمال » .

(٢) قال ابن الأثير : « ويقال عائشة » .

(٣) فى الأصول : « بشر » ، تصحيف .

(٤) فى الأصل : « معاذ » وهو تصحيف .

(٥) كذا ضبطه الدارقطنى بضم الميم وفتح الزاى وتسكين الياء . راجع أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ .

(٦) زيادة عن جميع المراجع .

(٧) وفى رواية عن ابن إسحاق : « أبو خميصة » .

(٨) قال فى الاستيعاب : « إن النعمان هذا كان ذا عز ومنعة ، فكان يقال للخائف إذا جاءه : « قوقل حيث شئت فأنت آمن » . فقيل لبنى غنم وبنى سالم لذلك : قواقلة . وفى القاموس : القوقل : اسم أبى بطن من الأنصار ، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له : « قوقل فى هذا الجبل وقد أمنت » ، أى ارتق .

ابن إياس، حليف لبني لَوْذان من اليمن، والمُجَذَّر بن زياد بن عمرو، وآسم المجذر، عبد الله حليف لهم من بَلِيّ، وعُبَاد[1] بن الخَشْخاش بن عمرو، حليف، ونجاب بن ثعلبة بن خَزمة[2] ويقال: بَحَّاث، وعبد الله بن ثعلبة بن خَزمة، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سُلَيم، وأبو دُجانة سِماك بن خَرَشة.

قال آبن هشام: سماك بن أوس بن خرشة، والمنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة، وأبو أُسَيد مالك بن ربيعة، ومالك بن مسعود البَدِيّ[3]، وعبد ربه بن حق ابن أوس بن وَقْش بن ثعلبة بن طَريف.

ومن حلفائهم من جهينة[4]: كعب بن جَمَّاز بن ثعلبة — ويقال: جِمار، وهو من غُبْشان — وضَمْرة، وبَسْبَس، وزياد، بنو عمرو.

وعبد الله بن عامر من بَلِيّ. وخراش بن الصِّمة بن عمرو بن الجَمُوح، وتَميم مولى خراش بن الصِّمة، وعبد الله بن عمرو بن حَرام، ومُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومُعَوِّذ بن عمرو بن الجموح، وخَلَّاد بن عمرو بن الجَموح، وعُقبة بن عامر بن نَابي، وحَبيب بن أسود، مولى لهم، وثابت بن ثَعلبة بن زيد بن الحارث، وثعلبة الذي يقال له: الجِذع، وعُمَير[5] بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث، وبِشْر بن البَراء ابن مَعْرور بن صخر، والطُّفَيل بن مالك بن النعمان، وسِنَان بن صَيْفيّ بن صخر وعبد الله بن الجَدّ بن قيس بن صخر، وخارِجة بن حُمَيِّر، وعبد الله بن حمير، حليفان

(١) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة: «عبادة». وفي رواية: «الحسحاس». (٢) في الأصول: «خرمة»، وهو تصحيف، صوابه من القاموس والإصابة. (٣) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة: «البدن».

(٤) في أ: «ومن جهينة».

(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والإصابة، وأسد الغابة. وفي الأصل: «عمر».

لهم من أشجع من بنى دُهْمان، وجَبّار بن صخر بن أمية بن خُنَاس، ويزيد بن المُنذر ابن سَرح ، وأخوه مَعقِل بن المُنذر ، وعبد الله بن النُّعمان بن بَلْدَمة ، ويقال : بُلْدُمة وبُلْذُمة، والضحّاك بن حارثة بن زيد بن ثَعلبة، وسَواد بن زُرَيق بن ثَعلبة؛ ومَعبد بن قَيْس بن صخر ، وأخوه عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مَناف بن النعمان ، والنعمان بن يَسار مولى لبنى النعمان ، وأبو المُنذر بن يزيد بن عامر بن حَديدة، وسُلَيم بن عمرو بن حَديدة، وقُطْبة بن عامر بن حديدة، وعَنْترة(١) مولى سليم ابن عمرو ، وعَبس بن عامر بن عدىّ ، وثَعلبة بن غَنَمة بن عدىّ ، وأبو اليَسَر، وهو كعب بن عمرو بن عَبّاد بن عمرو، وسهل(٢) بن قيس [بن أبى كعب(٣)، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو ، وحارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشم ، وقَيس بن مِحْصَن بن خالد بن مُخَلَّد، ويقال: قيس] بن حِصْن، وأبو خالد، وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخلَّد، وجُبَير بن إياس بن خالد بن مخلد ، وأخوه عُقبة بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد، وذَكْوان بن [عبد](٤) قيس بن خَلَدة بن مخلَّد، ومسعود ابن خلدة بن عامر بن مخلد، وعبّاد بن قيس بن عامر بن خالد ، وأسعد بن مَزيد ابن الفاكه بن زيد بن خَلَدة ، والفاكه بن بِشر بن الفاكه بن زيد ، ومُعاذ بن ماعِص بن قيس بن خلدة ، وأخوه عائذ بن ماعِص ، ومسعود بن سعد بن قيس ابن خَلَدة، ورِفاعة بن رافع بن مالك بن العَجْلان ، وأخوه خلّاد بن رافع ، وعُبَيد ابن زيد بن عامر، وزِياد بن لَبِيد بن ثَعلبة بن سِنان ، وفَرْوة بن عمرو بن ودفة(٥)

(١) فى الأصول: « عنزة » . وما ذكر هو الصواب .

(٢) فى الأصول : « سهيل » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) زيادة عن الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب .

(٥) قال ابن هشام : « ويقال : «ودفاقة » . وفى الاستيعاب ، وأسد الغابة : « ودقة » .

ابن عُبَيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العَجلان، ورُجَيلة بن ثَعلبة بن خالد بن ثعلبة، وعطيةُ بن نُوَيْرة بن عامر بن عطية، ورافع بن المُعَلَّى بن لَوْذان، وأبو أيوب خالد ابن زَيد بن كُلَيب[1] بن ثعلبة، وثابت بن خالد بن النُّعمان، وعُمارة بن حزم بن زيد ابن لَوْذان بن عمرو، وسُراقة بن كعب بن عبد العُزّى بن غَزِيّة، وحارثة بن النعمان ابن زيد بن عُبيد، وسُلَيم بن قيس بن فَهْد[2]، وسُهَيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدى بن أبي الزَّغْباء، حليف لبني عائذ من جُهينة، ومسعود بن أَوْس ابن زيد، وأبو خُزَيمة بن أوس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زَيد، وعَوف، ومُعوِّذ، ومُعاذ، بنو الحارث بن رفاعة، وهم بنو عَفراء بنت عُبيد بن ثعلبة، والنعمان بن عمرو بن رِفاعة بن سَواد، ويقال: نُعَيمان، وعامر بن مَخْلَد بن الحارث ابن سَواد، وعبد الله بن قَيس بن خالد بن خَلَدَة بن الحارث بن سَواد، وعُصَيمة، حليف لبني سواد من أَشجع، ووديعة بن عمرو، حليف لهم من جُهَينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدىّ بن سواد — قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحارث بن عَفراء شهد بدرا — وثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عتيك، والحارث بن الصِّمة بن عمرو بن عتيك، كُسِر بالرَّوْحاء، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَهمه، وأُبَىّ بن كعب بن قَيس، وأَنَس بن مُعاذ بن أَنس بن قَيس، ١٥ / ١٥
وأَوس بن ثابت بن المُنذر بن حَرام، وأبو شَيْخ أُبَىّ بن ثابت[3] بن المنذر بن حرام.

قال ابن هشام: أبو شيخ [أُبَىّ بن ثابت][4] أخو[5] حسان بن ثابت، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حَرام، وحارثه بن سُراقة بن الحارث بن عَدِىّ،

(١) فى أ: «كاب». (٢) كذا فى الأصول، وأسد الغابة والإصابة. وفى سيرة ابن هشام: «قهد». (٣) كذا فى سيرة ابن هشام. وفى الأصول: «أبو شيخ بن أبى ثابت»، راجع الاستيعاب ص ٧١٥. (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام.
(٥) كذا فى سيرة ابن هشام، وفى الأصل: «أبو».

وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك، وأبو سليط — وهو أسيرة بن عمرو — وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك، ومحرز[1] بن عامر بن مالك بن عدى، وسواد بن غزية بن أهيب، حليف لبنى عدى بن النجار.

وأبو زيد قيس[2] بن سكن بن قيس، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس ابن حرام، ويقال: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسليم بن ملحان، وأخوه حرام — واسم ملحان: مالك بن خالد بن زيد — وقيس بن أبى صعصعة — واسم أبى صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف — وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعصيمة، حليف لبنى مازن بن النجار من بنى أسد بن خزيمة، وأبو داود عمير ابن عامر بن مالك بن خنساء، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء، وقيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار، وأخواه لأمه الضحاك، والنعمان، ابنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك، وبجير بن أبى بجير، حليف لبنى قيس بن مالك.

هؤلاء الذين عدهم محمد بن إسحاق.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكرون فى الخزرج ممن شهد بدرا عتبان ابن مالك بن عمرو بن العجلان، ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، وهلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة.

---

(١) فى ا: «محرز بن مالك».

(٢) فى ا: «أبو زيد بن قيس».

ذِكْرُ تسمية من آستُشهد من المسلمين فى غزاة بدر

كان من آستُشهِد من المسلمين فى غزاة بدر أربعة عشر رجلا، من المهاجرين ستة نفر، وهم: عُبَيدة بن الحارث بن المطلب، قتله عُتبة بن ربيعة، قطع رجله فمات بالصفراء فى قُفول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وعُمَير[1] بن أبى وَقَّاص، وهو أخو سعيد، وذو الشِّمالَين بن عبد عمرو بن نَضلة الخُزاعى، حليف لبنى زُهْرة، وعاقلُ بن البُكَيْر، حليف لبنى عدىّ بن كعب من بنى سعد بن ليث، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب، وصَفوان بن بَيْضاء، من بنى الحارث بن فِهر.

ومن الأنصار ثمانية وهم: سعد بن خَيْثمة، ومبَشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر، ويزيد بن الحارث، وعُمَير بن الحَمام، ورافع بن المُعَلَّى، وحارثة بن سُراقة بن الحارث، وعَوف، ومُعَوِّذ، ابنا الحارث بن رفاعة.

ذكرُ تسمية من قُتل من المشركين فى غزوة بدر

كانت عدّة من قتل من المشركين فى غزوة بدر سبعين رجلا

من بنى عبد شمس ومواليهم وحلفائهم أربعة عشر رجلا، وهم: عُقبة ابن أبى مُعَيط، قُتِلَ صَبْرا[2] بعِرْق الظُّبْية[3] عند قُفول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وقال — حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله —: فمن

---

(١) ذكر الواقدىّ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان رد عميرا هذا فى ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عمير، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم بكاءه أذن له فى الخروج معه، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة (راجع المغازى للواقدى والروض الأنف).

(٢) يقال للرجل إذا حبس على القتل حتى يقتل: قتل صبرا.

(٣) عرق الظبية: بين مكة والمدينة قرب الروحاء.

للصّبْية يا محمد ؟ قال : النار ! فقتله عاصم بن ثابت بن الأقْلح ، وحَنْظلة بن أبي سفيان بن حرب ، قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال: اشترك فيه حمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، والحارث بن الحَضْرَمىّ ، وعامر بن الحضرمى ، حليفان لهم . قتل عامرا عمّار ابن ياسر ، وقتل الحارثَ النُّعمانُ بن عَصر ، حليف الأوس ، وعُمير بن أبي عمير، وآبنه، مَوْليان لهم . قتل عُميرا سالم مولى أبي حُذَيفة ، وعُبيدة بن سعيد ابن العاص بن أُميّة بن عبد شمس، قتله الزبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص ابن أمية، قتله عاصم بن ثابت بن الأقْلح، صبرا، وقيل: قتله علىّ بن أبي طالب، وعُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس، اشترك فيه عُبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب وعلىّ بن أبي طالب، وشَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبد المطلب، والوَليد بن عُتبة بن ربيعة ، قتله على بن أبي طالب، وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بنى أنمار، قتله علىّ، ووهب بن الحارث، حليف لهم من بنى أنمار، وعامر ١٦/١٥ ابن زيد، حليف لهم من اليمن .

ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف رجلان ، وهما : الحارث بن عامر ابن نوفل، قتله خُبَيب بن إساف، وطُعَيمة بن عدىّ بن نوفل، قتله على، ويقال: حمزة ؛ وروى أبو عُمر بن عبد البر بسنده الى آبن عباس رضى الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل طُعَيمة بن عدى صبرا هو وعُقبة بن أبي مُعَيط والنَّضر بن الحارث .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ سبعة نفر : زَمعة بن الأسْود ابن المطلب بن أسد ، قتله ثابت بن الجِذْع، وقيل اشترك فيه حمزة وعلى، مع

ثابت، والحارث بن زَمعة، قتله عمار بن ياسر، وعُقيل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة، وعليّ، وأبو البَخْتَرِيّ — وهو العاص بن هشام — قال ابن هشام: العاص ابن هاشم بن الحارث بن أَسد، قتله المُجَذَّر البَلَوِيّ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتله، لأنه كان أَكَفَّ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كان بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام فى نَقض الصحيفة كما تقدّم، فلما لقيه المجذّر قال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك، وكان مع أبى البَخْترى زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جُنادة بن مُليحة — رجل من بنى ليث — فقال أبو البَخْترى. وزميلى، فقال المجذّر: لا والله ما نحن بتاركى زميلك، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك. فقال: لا والله إذا لأموتنّ أنا وهو جميعا! لا تَحدّثُ عنّى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة، وقال يرتجز.

لن يُسلمَ آبنُ حُرّةٍ زميلَه[1] حتى يموتَ أو يرى سبيلَه

ثم آقتتلا، فقتل المجذر أبا البخترىّ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: والذى بعثك بالحق، لقد جهِدْت[2] عليه أن يستأسِر فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلنى، فقاتلته فقتلته. ونوفل بن خويلد بن أسد، قتله علىّ بن أبى طالب، وعقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير، مولى لهم.

ومن بنى عبد الدار بن قصىّ أربعة نفر وهم: النضر بن الحارث

(١) فى الأغانى، والطبرى: «أكيله».
(٢) كذا فى ح، وفى السيرة. وفى ا: «عهدت عليه أن يستأنس».

ابن علقمة بن كَلَدة، قتله علىّ صبرا بالصَّفراء (١)، ولما بلغ ٱبنته (٢) قُتيلة بنت النضر خبر مقتله كتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا .

يا راكبا إن الأُثَيْل مَظِنَة ... من صبح خامسةٍ وأنت مُوفَّق (٣)
بلّغ به ميْتا بأن تحيّةً ... ما إن تزال بها النجائب تخفق (٤)
منى إليه وعَبْرةً مسفوحةً ... جادت لمائحها وأخرى تخنُق (٥)
هل يسمعنّ النضر إن ناديتُه ... بل كيف يسمع ميّت لا ينطق
ظلت سيوفُ بنى أبيه تَنوشُه ... لله أرحامٌ هناك تشقّق (٦)
قسرا يقاد إلى المنيّة مُتعبا ... رَسْفَ المقيَّد وهو عانٍ موثَق (٧)
أمحمد أو لسْت ضِنْءَ نجيبةٍ ... فى قومها والفحل فحل مُعرِق (٨)
ما كان ضرَّك لو منَنْت وربما ... منّ الفتى وهو المَغيظ المحْنَق
النضر أقربُ من قتلت قرابةً ... وأحقّهم إن كان عِتْق يُعتَق
أو كنت قابلَ فدية فَلَينْفِقنْ ... بأعزّ ما يغلو به ما يُنفَق (٩)

---

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع ، وهو على مرحلة من بدر .

(٢) وفى الأغانى : « أخته » . (٣) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء . ومظنة الشيء موضعه ومألفه الذى يظن كونه فيه .

(٤) فى أ : « به » . والنجائب : الإبل الكريمة التى يسابق عليها .

(٥) جادت لمائحها : تعنى أباها لأنه هو الذى يستبكيها ويستنزف دمعها .

(٦) تنوشه : تتناوله . (٧) فى الأغانى ، وابن هشام : « صبرا يقاد » . رسف المقيد : مشيه . والعانى : الأسير . (٨) الضنء : الأصل . المعرق : الكريم .

(٩) كذا فى الأصول . وفى الأغانى ، ومعجم البلدان الرواية الآتية :

أو كنت قابل فدية فلنأتين ... بأعز ما يغلو لديك وينفق

وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى (١ : ١١ ، طبعة الدار) ، وديوان الحماسة ٤٣٧ طبع أوربا ، وسيرة ابن هشام ، ومعجم البلدان « مادة الأثيل » مع اختلاف يسير فى الترتيب والألفاظ .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى أخضلّت لحيته وقال : ” لو بلغنى شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه “ حكاه أبو عمر عن عبد الله ١٧/١٥ ابن إدريس، وحكاه الزبير بن بكّار، وقال: فرقّ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دمَعت عيناه، وقال لأبى بكر : ” يا أبا بكر لو كنتُ سمعت شعرها ما قتلت أباها “ وزيد بن مُلَيص، مولى عُمَير بن هاشم، قتله بلال بن رَباح، مولى أبى بكر، ويقال : قتله المِقداد بن عمرو . ونُبيه بن زيد بن مليص ، وعبيد بن سَليط حليف لهم من قيس .

ومن بنى تَيْم بن مرّة أربعة نفر وهم : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، قتله علىّ بن أبى طالب ، ويقال : قتله عبد الرحمن بن عوف . وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهيب بن سِنان . ومالك بن عبيد الله بن عثمان ، أسِر فمات فى الإسار ، فعدّ فى القتلى . وعمرو بن عبد الله بن جُدْعان .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مرة أربعة وعشرون رجلا : أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — ضربه معاذ ابن عمرو بن الجموح فقطع رجله ، وضرب ابنُه [عِكرمةُ](١) يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوّذ بن عَفراء حتى أثبته ،(٢) وتركه وبه رمق، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتزّ رأسه كما تقدّم ، والعاص بن هِشام بن المغيرة، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمر . ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم، قتله عمّار بن ياسر .

(١) التكلة من سيرة ابن هشام .

(٢) فى ح : « ذفف » .

وأبو مُسافع الأشعرىّ ، حليف لهم ، قتله أبو دُجانة الساعدىّ . وحَرْملة بن عمرو حليف لهم ، قتله خارجة بن زيد ، ويقال : بل علىّ [بن أبى طالب][١] . ومسعود ابن أبى أميّة بن المُغيرة ، قتله على بن أبى طالب . وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، قتله حمزة [بن عبد المطّلب][١] ويقال : علىّ ؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله علىّ ، ويقال : عمّار بن ياسر ، ورِفاعة بن أبى رِفاعة بن عابِد بن عبد الله بن عمر[٢] ابن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع ، والمنذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قتله معْن بن عدىّ ، وعبدُ الله بن المنذر بن أبى رِفاعة ، قتله علىّ بن أبى طالب ، والسّائب ابن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر[٢] بن مخزوم على ما حكاه ابن إسحاق .

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما : إن السائب هذا ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجعرانة[٣] من غنائم حنين ، ١
فقد وقع فيه الخلاف . والأسود بن عبد الأسد[٤] بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة ، وحاجب ، ويقال : حاجز[٥] بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ ، قتله على بن أبى طالب . وعويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان ابن مالك القَوقلىّ مبارزة ، وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيئ ، قتل عمرا يزيدُ بن رُقَيْش ، وقتل جابرا أبو بُردة بن نِيَار . وحُذيفة ١
ابن أبى حُذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبى وقاص ، وهشام بن أبى حذيفة

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام
(٢) كذا فى السيرة والاستيعاب . وفى الاصل : « عمرو » .
(٣) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب ، نزلها النبى صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم هوازن وهو راجع من غزوة حنين . (معجم البلدان) . ٢
(٤) كذا فى ج ، وفى الطبرى . وفى أ : « عبد الأسود » .
(٥) كذا فى ابن هشام . وفى الأصول : « حاجر » .

ابن المغيرة، قتله صُهَيب بن سِنان . وزُهير بن أبى رفاعة ، قتـله أبو أُسَيد مالك ابن أبى ربيعة . والسائب بن أبى رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عَوف . وعائذ بن السائب بن عُويمر ، أُسِر ثم افتـدِى فمات فى الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة ابن عبد المطلب ، وعُمير، حليف لهم من طيّئ ، وخِيار(١) ، حليف لهم من القارة(٢) .

ومن بنى سهـم بن عمـرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤىّ سـبعة نفر وهم : مُنبِّه بن الحجاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سهْم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَـلمة وابنه العاص بن مُنبِّه ، قتله علىّ . ونُبَيْـه بن الحجاج ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن أبى وقاص ، اشتركا فيـه ، وأبو العاص بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، قتـله علىّ ، ويقال : النعمان القـوقَلىّ ، ويقال : أبو دُجانة ، وعاصم بن أبى عَوف بن صُبيرة(٣) بن سُعَيد بن سعد بن سهـم ، قتله أبو اليَسَر أخو بنى سلمة . والحارث بن مُنبّه بن الحجاج ، قتـله صُهَيب بن سِنان ، وعامر بن أبى عَوْف بن صُبيرة أخو عاصم ، قتله عبد الله بن سـلمة ، ويقال : أبو دُجَانة .

١٨/١٥ ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب بن لؤىّ أربعة نفر ، وهم : أميّة ابن خلف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح ، قتـله رجل من الأنصـار من بنى مازن ويقال : قتله معاذ بن عَفراء ، وخارجة بن زيد ، وخُبَيْب(٤) بن إساف ، اشتركوا فيه . وابنه علىّ بن أميّة بن خلف ، قتـله عمّار بن ياسر . وأوْس بن مِعْيَر بن لَوْذان بن سعد بن جُمح ، قتـله علىّ بن أبى طالب ، ويقال : قتله الحُصين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مَظْعون ، اشتركا فيه ، وسَبْرة بن مالك ، حليف لهم .

(١) كذا فى ابن هشام . وفى ا : « جبار » ، وفى حـ : « حبار » .

(٢) القارة : قبيلة تتألف من عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة .

(٣) فى الطبرى والسيرة : «ضبيرة» بالضاد المعجمة ، وهما روايتان فيه . وفى الأصل : «صبير» . وفى الجمهرة : «عوف بن هبيرة» .

(٤) فى رواية أخرى للطبرى : «حبيب» .

ومن بنى عامر بن لؤىّ من حلفائهم رجلان، وهما : معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس، قتله علىّ ، ويقال : عُكّاشة بن مِحصَن . ومَعْبد بن وهب، حليف لهم من بنى كلب، قتله خالد وإياس ابنا البُكَير، ويقال: أبودُجانة .

فجميع من انضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية وستون على الشك فى السائب بن أبى السائب ، والذى ثبت فى صحيح البخارىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه أصابوا من المشركين فى يوم بدر أربعين ومائة ؛ سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا .

ذكر تسمية من أُسِر من المشركين فى غزوة بدر

كانت عدّة من أسِر من المشركين فى يوم بدر سبعين رجلا على ما ورد فى الصحيح ودلّت عليه الآية [فى] قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾[1] يعنى يوم أحد ، وكان قد قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، والذى انضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلا .

من بنى عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر، وهم : العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أسره أبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو الخزرجىّ، وكان رجلا قصيرا، والعباس رجلا طويلا ضخما، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد أعانك عليه ملك كريم" . وعَقِيل بن أبى طالب بن عبد المطلب ، أسره عُبيد بن أوْس بن مالك الأوسى ، ونوْفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعُتبة، حليف لهم من بنى فِهر ، قال : وكان العباس وعَقِيل خرجا مُكرَهين .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة نفروهم : السائب بن عُبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بْن المطّلب ، ونُعمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطلب ، وعَقِيل بن عمرو حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه عمرو بن تميم .

(١) سورة آل عمران آية ١٦٥ .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر وهم : عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس ، والحارث بن أبي وَجْزة ـ ويقال: وحْرة بن أبي عمرو ـ ابن أمية ، وأبو العاص بن نَوْفل بن عبد شمس ، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، وخالد بن أَسِيد بن أبي العِيص . ومن حلفائهم : أبو رِيشة بن أبي عمرو ، وعمرو بن الأزرق ، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى ، وأبو العريض يَسار ، مولى العاص بن أمية .

ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم : عدىّ بن الخيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس ، حليف لهم من بني مازن بن منصور ، وأبو ثَوْر ، حليف لهم ونَبْهان ، مولى لهم .

ومن بني عبد الدار بن قصىّ ثلاثة نفر وهم : أبو عزيز بن عُمَير بن هاشم بن ١٩ / ١٥
عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، وعَقيل ، حليف لهم من اليمن .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصىّ أربعة نفر وهم : السّائب بن أبي حُبَيش ابن المطلب بن أسد ، والحُوَيرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد . قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد ، وعبد الله بن حُمَيد بن زُهير بن الحارث ، وسالم بن شمّاخ ، حليف لهم .

ومن بني تيم بن مُرّة رجلان وهما : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم .

ومن بني مخزوم بن يَقَظة بن مرة عشرة نفر وهم : خالد بن هِشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسره سواد بن غَزِيّة ، وأميـة بن أبي حُذَيفة

ابن المُغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصَيْفِىّ ابن أبى رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عُمر(١) بن مخزوم ، وأبو المنذر بن أبى رفاعة ابن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقَيْس بن السائب ، والمطلب ابن حَنْطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم. وخالد بن الأعلم، حليف لهم من خُزاعة ، و يقال : عُقَيلِىّ . وزعموا أنه أوّل من فرّ منهزما(٢)، وهو الذى يقول :

ولَسْنا على الأدبار تَدْمَى كُلُومُنا(٣) ولكنْ على أعقابنا تقطر الدّما

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب خمسة نفر وهم : أبو وَداعة ابن صُبَيرة بن سعيد بن سعد بن سَهم، وهو أوّل أسير افتُدِى من أسرى بدر ، افتداه ابنُه المطلب بن أبى وداعة، وفَرْوة بن قَيس بن عدىّ بن حُذافة بن سُعيد ابن سهم ، وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سُعيد بن سهم، والحجّاج(٤) بن الحارث ابن قيس بن عدى بن سُعيد(٥) بن سهم، وأسْلَمَ، مولى نُبَيه بن الحجاج .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب أحد عشر نفرا وهم :عبد الله بن أبىّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح [وأخوه(٦) عمرو بن أبىّ،وأبو عزّة عمرو ابن عبد الله بن عثمان بن وهْب بن حذافة بن جمح] والفاكه، مولى أمية بن خلف ووهْب بن عُمير بن وهْب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح، وربيعة بن

---

(١) فى أ : « عمرو » . (٢) فى أ : « منهن » . (٣) الكلوم : الجراحات .

(٤) قال السهيلى فى الروض الأنف صفحة ١٠٧ ج٢ : « وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع وهما ، فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد ، فكيف يعد فى أسرى المشركين يوم بدر » .

(٥) كذا فى أ ، جـ . وفى الروض الأنف : « ولم يوافق الواقدى ولا غيره ابن إسحاق على قوله : « سعيد بن سهم » . وقالوا : إنما هو سعد » .

(٦) ما بين المربعين ساقط من أ .

دَرّاج بن المنبّس بن أُهْبـان بن وهب بن حُذافـة بن جمح، وأبو رُهْم بن عبد الله حليف لهم، ومولَيَان لأميّة بن خلف، أحدهما : نِسْطاس، وأبو رافع، غلام أمية ابن خلف . قال ابن هشام : وحليف لهم ذهب عني اسمه .

ومن بني عامر بن لؤيّ خمسة نفر وهم: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم أخـو بني سـالم ابن عَوْف، وعبد بن زَمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ، وعبد الرحمن بن مَشنوء ابن وَقْـدان بن قَيْس بن عبـد شمس بن عبـد ودّ، وحبيب بن جابر، والسائب ابن مالك .

ومن بني الحارث بن فِهْر أربعة نفر وهم : الطُّفيل بن أبي قُنَيع، وعُتْبة بن عمرو ابن جَحْدَم، وشافع، وشفيع، حليفان لهم من اليمن .

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك

قال : لمـا قَفَل رسـول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر ومعه الأسارَى سمع العباس وهو يئن ويتأوه، قد آلمه الوَثَاق، فقلِق رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليـلة لذلك، فاستـأذنه أصحابه رضى الله عنهم، فى أن ينفِّسوا عن العباس وَثاقه، فقـال صلى الله عليـه وسلم : « إن فعلتُم ذلك بجميع الأسرى فنِعْم وإلا فلا » . أو كما قال : فنفَّسوا عن جميع الأسرى .

ولـما قدِم رسـول الله صلى الله عليه وسـلم المدينة فرّق الأسارى بين أصحابه وقال : " استوصوا بهـم خيرا " . ثم جاءه جبريل عليـه السلام فى أمر الأسارى

فقال : إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفـداء ، [(١)](واستشهد قابلًا منكم سبعون . قال: فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه، فجاءوا — أوْ من جاء منهم) — فقال: ” هذا جبريل يخيّركم بين أن تقدّموهم فتقتلوهم ، وبين أن تُفادُوهم ويستشهَد قابِلًا منكم بعـدّتهم “ . فقالوا : بل نُفاديهم ويدخل قابلًا منـا الجنة سبعون . ففادوهم . رواه محمد بن سعد .

وروى ابن قُتَيبة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : ” افدِ نفسَك وابنَىْ أخويْك : عَقيـل بن أبى طالب ، ونَوْفَل بن الحـارث بن عبد المطلب ، وحليفَك، فإنك ذو مال “ . فقال : يا رسول الله، إنى كنت مسلما ولكنّ القوم استكرهونى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقا فالله يجزيك به ، وأما ظاهر [أمرِك][(٢)] فقد كان علينا “ . ٢٠ / ١٥ قال : فإنه ليس لى مال . قال : ” فأين المـال الذى وضعتَه عند أم الفضـل بمكة حين خرجتَ وليس معكما أحد ؟ ثم قلتَ : إن أصِبتُ فى سفرى هـذا فللفضل كذا ، ولعبـد الله كذا “ . قال : والذى بعثك بالحق ما علم بهـذا أحدٌ غيرها ، وإنى لأعلم أنك رسـول الله . ففـدى نفسَه بمـائة أوقيّة ، وكل واحد بأربعين أوقية ، وقال : « تركتنى أسأل النـاس فى كفّى » . قال : « وأسلم العبـاس ، وأمر عَقيلا فأسلم » .

وروى محمد بن سعد قال : لمـا أُسر نوفل بن الحارث ببدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” افدِ نفسك “ . قال : ما لى شىء أفتدى به . قال . ” افد نفسك

---

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) زيادة من جـ .

برماحك التى بجُدّة ". فقال : والله ما علم أحد أن لى بجدّة رماحا غيرى بعد الله، أشهد أنك رسول الله . ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح . وقيل : كان إسلام نوفل وهجرتُه أيام الخندق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدرٍ ناحُوا على قتلاهم، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغَ محمدا وأصحابه فيشمَتوا بكم، ولا تَبعثوا فى أسراكم حتى تَستأنوا[1] بهم لا يأرب[2] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء . فقال المطلب ابن أبى وَداعة : صدقتم ، لا تعجَلوا ، وانسلّ من الليل فقدم المدينةَ ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، وانطلق به .

ثم بعثت قريش فى فِداء الأُسارى ، فكان أعلى ما فُدى به أسير أربعةَ آلاف درهم فما دونها إلى ألف درهم .

وقال محمد بن سعد فى طبقاته : كان فِداء أُسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك ، فمن لم يجد عنده شيئا[3] أُعطِى عشرة من غِلمان المدينة ، فعلّمهم الكتابة ، فإذا حذَقوا فهو فداؤه . وكان أهل مكّة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون . [قال[4]] : فكان زيد بن ثابت ممن عُلِّم .

ذكرُ خبر أبى سفيان فى أمر ابنه عمرو بن أبى سفيان و إطلاقه

قال محمد بن إسحاق : وكان عمرو بن أبى سفيان فى الأسارى، فقيل لأبى سفيان : افدِ ابنَك عَمْرا، فقال : أَيُجمَع علىّ دمى ومالى! قتلوا حَنظلةَ، وأفدى عمرا ! دعُوه فى أيديهم يُمسكوه مابدا لهم . فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن النعمان

(١) تستأنوا بهم : تنتظروا بهم ، أى تؤخروا فداءهم . (٢) لا يأرب : لا يشتد .
(٣) فى الأصول : « شىء » . (٤) زيادة عن جـ .

ابن أكّال، أخو بنى عمرو بن عَوف معتمرا، وكان شيخا مسلما، فى غَنَم له بالبقيع[1]، وقد كانت قريش عهدوا[2] أنهم لا يَعرضون لحاج أو معتمر إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بمكة فحبسه بآبنه عمرو، ثم قال أبو سفيان :

أرهطَ ابنِ أكّالٍ أجيبوا دُعاءَه تَفاقدتُم[3] لا تُسلموا السيّد الكَهْلا
فإنّ بنى عمرو لئامٌ أذلّة إذا لم يَفُكّوا عن أسيرهمُ الكَبْلا[4]

قال : فمشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خَبَره، وسألوه أن يعطيَهم عمرو بن أبى سفيان فيَفتكّوا به صاحبَهم، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثوا به إلى أبى سفيان، فخلّى سبيلَ سعد ابن النعمان.

ذكر خبر أبى العاص بن الربيع فى فدائه وإرساله[5] زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك، وردّ زينب عليه بغير نكاحٍ جديد

قال ابن إسحاق : وكان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى ابن عبد شمس، خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجُ آبنته زينب. أسره خِراش بن الصِّمة، أحد بنى حَرَام.

(١) البقيع : مكان مقبرة أهل المدينة.
(٢) فى ا : « وكانت ».
(٣) تفاقدتم : يدعو عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا.
(٤) الكبل : القيد.
(٥) فى ا : « و إرساله إلى زينب ».

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة ، فسألت خديجةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه زينب ، فزوجه بها ، وذلك قبل أن ينزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معها وهو على شِركه وهى مسلمة .

فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص [1] [بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص] فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لها رقّة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرها وتردّوا عليها [2] [مالها] فافعلوا » . قالوا : نعم يارسول الله . فأطلقوه وردّوا عليها الذى بعثت به ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يخلّى سبيل زينب ، ولم يُظهر ذلك ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال : « كونا ببطن يأجَج [3] حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتيانى بها » . فخرجا وذلك بعد بدر بشهر ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فتجهّزت لذلك ، وقدّم لها حموها كنانةُ بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهارا يقود بها ، وهى فى هَودج لها ، وتحدّث بذلك رجال قريش ، فخرجوا فى طلبها ، حتى أدركوها بذى طُوى [4] ، فكان أول من سبق إليها هَبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى الفهرى ، فروّعها بالرمح وهى فى هودجها ، وكانت حاملا فطرَحت ، فنثر حموها كنانته ثم قال : والله لايدنو منى

(١) ما بين القوسين زيادة من جـ .

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٣) يأجج : موضع على ثمانية أميال من مكة .

(٤) ذو طوى : واد عند مكة .

رجل إلا وضعتُ فيه سهما ، فتكركر(١) الناس عنه ، ثم جاء أبو سفيان بن حرب فى جِلّة [من](٢) قريش فقال : أيها الرجل ، كُفّ عنا نبلَك حتى نكلّمك . فكفّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصب ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجْتَ له ببنته علانية على رءوس الناس من بين أظهُرنا أن ذلك على ذُلّ أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووَهْن ، ولعَمرى مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثُؤرة(٣) ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد رددناها فسُلّها سرا وألحِقْها بأبيها . قال : ففعل .

فأقامت ليالى حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقامت عنده بالمدينة وفرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قُبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام — وكان رجلا مأمونا — بمال له وأموال رجال من قريش ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقِيتْه سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا مامعه وأعجزَهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبّر وكبر الناس معه خرجت زينب من صُفّة النساء [وقالت](٤) : أيها الناس ، إنى قد أجَرْت أبا العاص ابن الربيع . فلمّا سلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : "أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ" ؟ فقالوا : نعم ؛ قال : « أما والذى نفس محمد بيد

(١) تكركر : رجع .
(٢) زيادة عن جـ .
(٣) الثؤرة : الثأر .
(٤) كذا فى ا ، وفى جـ : « صرخت » .

ما علمت بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم، إنه يُجير على المسلمين أدناهم » . ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على آبنته وقال : " أى بُنيّة ، أكرمى مثْواه ، ولا يخلُص إليك فإنك لا تُحلّين له " .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السريّة الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم : " إن هذا الرجلَ منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبْتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردّوا عليه الذى له فإنّا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فَىْء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به ". قالوا : يارسول الله ، بل نردّه عليه ، فردّوه عليه ، حتى إنّ الرجل ليأتى بالدّلو ، ويأتى الرجل بالشّنّة (١) والإداوة (٢) ، حتى إنّ أحدهم ليأتى بالشِّظَاظ (٣) ، حتى ردّوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئا ، ثم احتمل إلى مكّة ، فأدّى إلى كلّ ذى مال من قريش مالَه ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقِىَ لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيّا كريما ؛ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوّف أن يظنّوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمت . ثم خرج حتى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينبَ على النكاح الأوّل (٤) ، ولم يُحدِث شيئا .

(١) الشنة : السقاء البالى . (٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروتى الجوالقين ، والجمع أشظة . (٤) قال فى الروض الأنف ٢ : ٨٣ : « وذكر عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم ردّ زينب على أبى العاص على النكاح الأوّل ، لم يحدث شيئا بعد ست سنين . ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد . وهذا الحديث هو الذى عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث ؛ ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : «لا هنّ حل لهم ولا هم يحلون لهن » ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأوّل أى على مثل النكاح الأوّل فى الصداق والحباء ، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره » .

٢٢/١٥

نرجع إلى تتمة أخبار أسارى بدر :

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المُغيرة

قد تقدّم أنه كان ممن أُسر يوم بدرٍ، وكان الذى أسره عبد الله بن جحش ويقال : أسره سَليط بن قيْس المازنىّ الأنصارىّ، فقدم فى فدائه أخواه : خالد وهشام، فتمنّع عبد الله بن جحش حتى افتكّه بأربعة آلاف درهم . فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك، فقال هشام لخالد : إنه ليس بابن أمّك، والله لو أَبَى فيه إلا كذا وكذا لفعلتُ . ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش : لا تقبل فى فدائه إلا شِكّةَ أبيه الوليد —وكانت درعا فَضْفاضة وسيفا وبَيْضة— فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويْه، فأُقيمَت الشكة بمائة دينار، فطاعا بها وسلّماها إلى عبد الله، فلما آفتُدىَ أسلم، فقيل له : هلّا أسلمت قبل أن تُفتَدى وأنت مع المسلمين ؟ قال : كرهت أن تظنوا أنى جزعت من الإسار . فحبسوه بمكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له فيمن دعا له من مستضْعَفى المؤمنين ، ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عُمرة القَضيّة[1] . حكاه آبن عبد البرّ .

ذكر من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدرٍ وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق : وكان ممن منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء : أبو العاص بن الربيع هذا الذى تقدّم خبره . والمطّلب بن حَنْطَب[2] بن الحارث

(١) هى عمرة القضاء ، ويقال لها عمرة القصاص ؛ سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها . (انظر الروض الأنف ٢ : ٢٥٤) .

(٢) فى أ : «حطب» .

ابن عُبيد المخزومىّ ، وكان لبعض بنى الحارث بن الخزرج ، فتُرك فى أيديهم حتى خلَّوا سبيله ، فلحق بقومه ، وصَيفىّ بن أبى رِفاعة المخزومىّ ، تُرِك فى يد أصحابه فلم يأت أحد فى فدائه ، فأخذوا عليه العهد ليبعثنّ إليهم بفدائه وخلّوا سبيله ، فلم يَفِ لهم بشىء ، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذافة بن جُمَح كان محتاجا ذا بنات فقال : يارسول الله، لقد عرفتَ مالى من مال، و إنى لذو حاجة وذو عِيال، فامنُن علىّ، فمنّ عليه وأخذ عليه ألّا يظاهر عليه أحدا؛ فقال أبو عَزّة فى ذلك :

مَن مبلِغٌ عنّى الرسولَ محمّدًا ... فإنك حقٌّ والمليكُ حَميدُ
وأنت آمرؤٌ تدعو إلى الحقّ والهدَى ... عليك من الله العظيم شهيدُ
وأنت آمرؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَباءةً ... لها درجاتٌ سهلة وصُعودُ[1]
فإنك مَن حاربتَه لمحارَبٌ ... شقىٌّ ومن سالمتَه لسعيدُ
ولكن إذا ذُكِّرتُ بدرًا وأهلَه ... تأوّب ما بِى حَسْرةٌ وقُعودُ[2]

ومنهم وهب بن عُمير الجُمحى، ولإطلاقه سبب نذكره .

ذكرُ خبرِ عُمير بن وهْب و إسلامه، و إطلاق ولده وهب بن عمير

قال ابن إسحـق فى سبب إطلاق وهب بن عمير : إنّ أباه عمير بن وهب بن خَلَف بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب جلس مع صَفوان بن أميّة فى الحِجْر بعد مُصاب أهل بدر بيسير — قال : وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ، ويَلقَوْن منه عَناء وهو بمكة — فذكر أصحاب القلِيب[3] ومُصابَهم . فقال صفوان : والله إنْ

(١) بوّئت فينا مباءة : نزلت فينا منزلة .
(٢) تأوّب : رجع .
(٣) القليب : البئر القديمة التى لا يعلم لها حافر .

فى العيش بعدهم خير ، فقال عمير : صدقتَ والله ، أما والله لولا دَيْن علىّ ليس له [عندى] [1] قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضَّيْعة [2] بعدى ، لركبْت إلى محمد حتى أقتلَه ، فإن لى قِبلهم عِلة ؛ ابنى أسير فى أيديهم . فاغتنمها صفوان فقال : علىّ دَينُك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالُك مع عيالى أواسيهم ما بقُوا لا يسعنى [3] شىء و يعجز عنهم ؛ قال له عمير : فاكْتُم علىّ شأنى وشأنك ؛ قال : أفعل . ٢٣/١٥

ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ له ، ثم سُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ، و يذكرون ما أكرمهم الله به ، إذ نظر إلى عُمير حين أناخ على باب المسجد متوشّحا السيف ، فقال عمر : هذا الكلب عدوّ الله عميرُ بن وهب ما جاء إلا لشرّ ، وهذا الذى حرّش [4] بيننا وحزرنا [5] للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبىّ الله ، هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحا بسيفه ، قال : فأدخلْه علىّ ، فأقبل عمر حتى أخذ بحِمالة سيفه فى عنقه فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : أرسلْه ياعمر ، ادنُ يا عمير ؛ فدنا ثم قال : انعمُوا صباحا — وكانت تحيّة أهل الجاهلية بينهم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير ، بالسلام تحيّة أهل الجنة ؛ قال : أما والله إنْ كنتَ يامحمد بها لحديثَ عهد ؛ قال : فما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير

(١) زيادة من السيرة . (٢) الضيعة : الهلاك .
(٣) هكذا فى ح ، وفى السيرة . وفى أ : « لا يشبعنى » .
(٤) حرش : أفسد . (٥) الحزر : تقدير العدد تخمينا .

الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال : فما بالُ السيف فى عنقك؟ قال: قبّحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئا ! قال : اصدُقنى، ما الذى جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ؛ قال : بل قعدتَ أنت وصفوانُ بن أميّة فى الحِجْر فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش ثم قلتَ : لولا دَين علىّ وعِيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا، فتحمّل لك صفوان بدَينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك. قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى، وهذا أمر لم يحضره(1) إلا أنا وصفوان فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المَساق، ثم شهِد شَهادة الحقّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فقّهوا أخاكم فى دينه، وأقرِئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره"، ففعلوا .

ثم قال: يارسول الله، إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله، شديدَ الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحبّ أن تأذن لى فأقدَم مكة ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يَهديهم ، وإلا آذيتُهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابَك فى دينهم . قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة . وكان صفوان بن أمية يقول لقريش : أبشروا بوقْعة تأتيكم الآن فى أيام ، تُنْسيكم وقعة بدر ، وكان يسأل عنه الرُّكبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبدا ، ولا ينفعه بنفع .

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويُؤذى مَنْ خالفه أذًى شديدا، فأسلم على يديْه ناس كثير .

---

(١) فى ا : « يبصره » .

قال ابن إسحاق : وعُمير بن وهب أو الحارث بن هشام ، قد ذُكر أن أحدهما [الذى](١) رأى إبليس حين نَكص على عَقِبيه يوم بدر، كما أخبر الله تعالى عنه فى قوله : ﴿و إذْ زَيَّن لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُمْ وقالَ لا غالِبَ لَكُمُ اليوْمَ مِنَ النَّاسِ وإنِّى جارٌ لَكُمْ فلمَّا تَراءَتِ الفِئتانِ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وقَالَ إنِّى بَرِىءٌ مِنْكم إنِّى أرَى مَا لَا تَرَوْن إنِّى أخافُ اللهَ واللهُ شَديدُ العِقَاب﴾ وكان إبليس قد تَشبّه لقريش بِسُراقة بن مالك بن جُعْشُم وقال : آنا جارٌ لكم من بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة، كما قدّمنا ذكرَ ذلك، قال : وكانوا يَرَوْنه فى كل منزل فى صورة سُراقة لا يُنكرونه . فلما آلتقى الجمعان يوم بدر و رأى إبليسُ الملائكة نكَص على عقبيه وقال لهم ماقال .

وقد أخذت هذه الغزوة حقّها من البسْط والإطالة و إن كان ذلك على سبيل الاختصار ، فلْنذكرْ غيرها من الغزوات والسّرايا . والله المستعان .

ذكر سرية عُمير بن عدىّ بن خَرَشة الخَطْمىّ إلى عَصماء بنت مروان من بنى أميّة بن زيد(٢) ٢٤/١٥

قال محمد بن سعد : كانت سريّة عُمير لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على رأس تسعةَ عشرَ شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطْمى(٣)، وكانت تعيب الإسلام وتُؤذى النبىّ صلى الله عليه وسلم وتحرّض عليه، وتقول الشعر، فجاءها عُمير بن عَدىّ فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نَفَر من ولَدها نيام، منهم من تُرضعه فى صدرها،

(١) زيادة عن ج . (٢) فى أ : « يزيد » . نسبتها إلى بنى أمية بن زيد الأنصارىّ ؛ قيل لأنها حليفتهم أو لكون زوجها منهم . وانظر الزرقانى ١ : ٥٤٦ .

(٣) كذا فى المواهب اللدنية ، والطبقات ، و إمتاع الأسماع . وفى أ ، ج : « حصين » .

فجسّها بيده ـــ وكان ضريرَ البصر ـــ ونحّى الصّبيّ عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفــذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبيّ صلى الله عليــه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قتلْتَ بنتَ مرْوان؟ قال: نعم، فهل علىّ فى ذلك شىء؟ قال: لَا ينْتَطِح فيها عنزان (١).

قال محمــد بن إسحاق: فرجع عمير بن عدىّ إلى قومه، وبنو خطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم (٢) فى شأن ٱبنــة مرْوان، ولهــا يومئذ بنون خمســة رجال، فقال: يا بنى خطمة، أنا قتلت ٱبنةَ مروان، فَكِيدُونِى جَميعًا ثم لا تُنْظِرونِ (٣). قال: فذلك اليوم أوّلُ ماعزّ الإســلامَ فى دار بنى خطمة، وكان مَن أسلمَ منهم يَستخفِى بإسلامه، وعمير هو أوّل من أسلم من بنى خطمة. قال: وأســلم يوم قتلها رجالٌ من بنى خطمةَ لمــا رأوا من عزّ الإسلام.

ذكر سريّة سالم بن عُمَير العَمْرىّ إلى أبى عَفَك اليهودىّ

قال ٱبن سعد: كانت سريّة سالم فى شوال على رأس عشريــن شهرا من الهجرة، وكان أبو عَفَك (٤) من بنى عمــرو بن عوف شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان (٥) يحرّض على رســول الله صلى الله عليــه وسلم ويقول الشعر، فقال سالم

---

(١) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا الفعل لا يكون له تغيير، ولا له نكير، أى لا يختلف فيــه اثنان. وانظر مجمع الأمثال ٢ : ١٤٨.

(٢) موجهم: اضطرابهم وتحيرهم.

(٣) تنظرون: تؤخرون، بعض آية من سورة هود ٥٥.

(٤) فى الأصول: «أبو عفــل». والتصويب من طبقات ابن ســعد والمواهب اللدنية وسيرة ابن هشام.

(٥) فى طبقات ابن سعد: «وكان يهوديا وكان يحرض».

ابن عمير — وهو أحد البكّائين[(١)] وقد شهد بدرا — : علىّ نَذْرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه؛ فجاء وقد نام أبوعفك بالفناء فى ليلة صائفة، فوضع السيف على كبده، ثم اعتمد عليه حتى خَشّ فى الفراش، فصاح [عدوّ الله][(٢)] ، فثار إليه ناس ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزله وقبروه .

ذكر غزوة بنى قَيْنُقاعَ
(وهى بضم النون وقيل بكسرها[(٣)])

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم السبت النصف من شوّال على رأس عشرين شهرا من مهاجَره .

قال ابن سعد : وكانوا حلفاء عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول، وكانوا أشجعَ يهود، وكانوا صاغةً ، فوادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت وقعةُ بدر أظهروا البغْى والحسد، ونبذوا العَهد والمدّة، فأنزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿وإما تَخافَنّ مِن قَومٍ خِيانةً فَانْبِذْ إلَيْهِم على سَواءٍ إن الله لا يُحِبُّ الخائنين﴾[(٤)].

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق فى سبب غزوة بنى قَينقاع : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَمَعهم بسوق بنى قَينقاع[(٥)] ثم قال : يا معشر يهودَ، احذروا من الله

---

(١) البكاءون : سبعة نفر أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ليحملهم ، فلم يجد ما يحملهم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ، فسموا البكائين . راجع جـ ٨ ص ٢٢٨ من القرطبى .

(٢) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفى أ : « وصاع وصاح » . وفى جـ : « وصاح ، فثار » .

(٣) زيد فى المواهب اللدنية : « بالفتح أيضا ولكن الضم أشهر » .

(٤) سورة الأنفال ٥٨ .

(٥) بنو قينقاع : اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة أضيفت إليهم سوق كانت بها ، فيقال : سوق بنى قينقاع .

مثلَ ما نزل بقريش من النّقمة، وأَسلِموا، فإنكم قد عَرفتم أَنّى نبيّ مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهدِ الله إليكم؛ قالوا : يا محمد، لا يَغُرّنَّك أنك لقيتَ قوما لا علمَ لهم بالحــرب فاصبتَ منهــم فُرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن النّــاس . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قل لِلَّذِينَ كَفَروا ستُغْلَبُون وتُحْشَرُون إلى جَهَــنَّمَ و بِئْسَ المِهَاد . قَــدْ كان لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئتَيْنِ ٱلتَقَتا فِئَــةٌ تُقاتِلُ فى سَبِيلِ اللهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ يرَوْنَهم مِثْلَيهِم رَأْىَ العَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الأَبْصَارِ ﴾(١) . حكاه ٱبن إسحاق بسندٍ يرفعه إلى ٱبن عباس .

٢٥ / ١٥

وقال ٱبن هشام فى سبب هذه الغزاة : إنّ ٱمرأة من العرب حلّت بجَلَبٍ(٢) لها، فباعته بســوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بهــا ، فجعلوا يريدونها على كَشف وجهها ، فأبت ، فعمَد الصائغ إلى طرَف ثوبها فعقَده إلى ظهرها ، فلمــا قامت ٱنكشفت سوءتُها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثَب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرَخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضَبهم، فوقع الشر بينهم و بين بنى قَينقاع .

عُدنا إلى مَساق حديث ٱبن سعد ؛ قال : فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وحمــل لواءَه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، وٱستخلف على المدينــة أبا لُبَابة بن عبد المنذر، ثم سار إليهم فحاصرهم خمسَ عشْرة ليلة إلى هِلالِ ذى القعدة، وكانوا أوّلَ من غدر من اليهود، وحاربوا وتحصّنوا فى حِصنهم، فحاصرهم أشدّ الحصار، حتى قذَف الله فى قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالَهم ، وأن لهم النساءَ والذّرّيّة ، فأمر

(١) من سورة آل عمران آية ١٢ — ١٣ (٢) الجلب : ما جلب من خيل و إبل ومتاع .

بهم فكُتفوا، وآستعمل على كِتافهم المنذر بن قُدامة السُّلمى . فكلّم عبد الله بن أُبَىّ فيهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وألحّ عليه، فقال: خذهم، لعنهم الله؛ وتركهم (١) من القتل، وأمر بهم أن يُجلوا من المدينــة ، وولّى إخراجَهم منها عُبادة بن الصامت، فلحِقوا بأَذْرِعات (٢)، فما كان أقلّ بقاءَهم فيها .

وقال آبن إسحاق فى خبر عبــد الله بن أُبَىّ بن سلول : إنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من بنى قَينقاع، فقال : يامحمد، أَحسِن فى مَوالىَّ. وكانوا حلفاءَ الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، فقال : يامحمد، أحسن فى موالىّ . قال : فأعرَض عنه . قال : فأدخَل يده فى جيب دِرع النبى (٣) صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَرسلنى، وغضِب حتى ظهر ذلك فى وجهه ، ثم قال : ويحك ! أرسلنى؛ قال : لا والله لا أُرسلك حتى تحسن فى موالىّ، أربعمائة حاسر (٤) وثلاثمائة دارع (٥)، قد منعونى من الأحمر والأسود، تحصدهم فى غَداةٍ واحدة ، إنى والله آمرؤ أخشى الدوائر . فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

وحكى أيضا قال : كان لبنى قَينقاع من عُبــادة بن الصامت من الحِلف مثل الذى لهم من عبد الله بن أُبىّ، فمشى عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرّأ إلى الله و إلى رسوله من حِلفهم ، وقال : أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار و وِلايتهــم . فأنزل الله تعــالى فيه وفى عبــد الله بن أُبىّ :

---

(١) كذا فى ا ، وفى جـ : « لعنهم، وتركهم » .

(٢) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء .

(٣) فى سيرة ابن هشام : « وكان يقال لها : ذات الفضول » .

(٤) الحاسر : الذى لا درع له .

(٥) الدارع : الذى عليه الدرع ، وفى ا : «دراع» .

﴿ يَأَيُّها الذينَ آمنُوا لا تَتَّخِذُوا اليهودَ والنَّصارَى أَوْلِيَاءَ بعضُهم أولياءُ بَعْضٍ ومَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فإنَّهُ مِنْهُمْ إنَّ اللهَ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالفَتْحِ أو أَمْرٍ مِن عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُمْ راكِعُونَ ﴾[1] وذلك لعبادة بن الصامت .

قال محمد بن سعد[2] : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من سلاحهم] ثلاث قِسِىّ ، منها : الكَتُوم ، كُسِرت بأُحد ، والرَّوْحاء ، والبَيْضاء ، وأخذ دِرْعين : الصُّغْدِيّة ، وأخرى فضّة ، وأخذ ثلاثة أسياف : سيف قَلْعِىّ[3] ، وسيف يقال له : بتّار ، وسيف آخر ، وثلاثة أرماح ، ووجد فى حصنهم سلاحا كثيرا وآلة الصِّياغة ، فأخذ صلى الله عليه وسلم صفيّه[4] والخمسَ ، وفضّ[5] أربعة أخماس على أصحابه ، وكان الذى تولى قبض أموالهم محمدُ بن مَسْلَمة .

ذكر غزوة السَّوِيق

قال محمد بن سعد : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلَوْن من ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره ، واستخلف على ٢٦/١٥
المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرّم الدّهن حتى يثأر من محمد وأصحابه .

---

(١) من سورة المائدة آية ٥١ — ٥٥ . (٢) التكملة من الطبقات لابن سعد .

(٣) سيف قلعى : منسوب إلى القلعة ، وهى موضع بالبادية تنسب السيوف إليه .

(٤) الصفىّ من الغنيمة : ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٥) يقال : فضّ الشىء على القوم أى قسمه وفرّقه بينهم .

قال ابن إسحاق : نذر ألا يمسّ رأسَه ماء من جنابة[(١)] حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : فخرج فى مائتى راكب، وقيل : فى أربعين راكبا، فنزل بالعُرَيْض، — بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال — فقتل رجلا من الأنصار، وأجيرا له، وحرّق أبياتا هناك وتِبْنا، ورأى أن يمينَه قد حلّت، ثم ولّى هاربا، وبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم، فخرج فى مائتى رجل من المهاجرين والأنصار فى أثرهم، وجعل أبو سفيان [وأصحابُه[(٢)]] يتخفّفون للهرب[(٣)] فيلقون جُرُب السويق[(٤)] وهى عامّة أزوادهم، فأخذها المسلمون، فسمّيت غزوة السويق، ولم يلحقهم وانصرف . وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : بلغ قَرْقرة الكُدْر[(٥)] ثم انصرف راجعا، فقال المسلمون حين رجع بهم : يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

ذكر غزوة قَرْقَرة الكُدْر ويقال قَرارة الكُدْر وهى غزوة بنى سُلَيم

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للنّصف من المحرّم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من مهاجَره، وهى ناحية معدن بنى سليم، وبينه وبين المدينة ثمانية بُرُد، وآستخلف على المدينة عبد الله بن أمّ مكتوم، وحمل لواءه علىّ بن أبى طالب، وكان

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقى معهم الحج والنكاح » .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) كذا فى ب . وفى أ : « يتخففون الحرب » .

(٤) السويق : قمح أو شعير يقلى ثم يطحن .

(٥) قرقرة الكدر، قال الواقدى : « بناحية المعدن، بينها وبين المدينة ثمانية برد» . وقال غيره : «ماء لبنى سليم» . راجع معجم البلدان مادة : « كدر » .

قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع جمعا من بنى سُلَيم وغطفان، فسار إليهم فلم يجد فى المحالّ أحدا، ووجد رِعاء (١) منهم غلام يقال له : يسار، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فانحدر به إلى المدينة، فاقتسموا غنائمهم بصِرار، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النَّعم خمسمائة بعير، فأخرج خُمسه وقسم أربعة أخماس على المسلمين، فأصاب كلَّ رجل منهم بعيران، وصار يسار فى سهم النبىّ صلى الله عليه وسلم، فأعتقه حين رآه يصلى. وكانت غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة.

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودىّ وخبر سريّته

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو محمد عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعد — دخل حديث بعضهم فى حديث بعض — : كانت سريّة قتل كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل على رأس خمسة وعشرين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنه كان رجلا شاعرا يهجو النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ويحرّض عليهم ويؤذيهم، وكان لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة إلى أهل السافلة وعبدَ الله بن رَواحة إلى أهل العالية بشيرَين إلى مَن بالمدينة من المسلمين بخبر بدر، فقال كعب بن الأشرف — وكان رجلا من طيئ، ثم أحدَ بنى نَبْهان، وكانت أمه من بنى النَّضير (٢) — : أحَقٌّ هذا؟ أتروْن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان؟ فهؤلاء أشراف العرب

---

(١) رعاء: جمع راع.

(٢) قال صاحب الأغانى (ج ١٩ ص ١٠٦ طبع بولاق): «كعب بن الأشرف مختلف فى نسبه؛ فزعم ابن حبيب أنه من طيئ، وأمه من بنى النضير، وأن أباه توفى وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله فنشأ فيهم وساد وكبر أمره. وقيل: بل هو من بنى النضير، وكان شاعرا فارسا ...الخ».

وملوك النـاس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القـوم لَبطْن الأرض خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقّن الخبرَ خرج حتى قدِم مكة فنزل على المطّلب بن أبى وَداعة السّهْمى، وجعل يحرّض على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ويُنشد الأشـعار[١] ويبكى أصحابَ القَليب من قريش .

ثم رجع إلى المدينـة فشبَّب[٢] بنساء المسـلمين حتى آذاهم . فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم اكفنى ابن الأشرف بمـا شئت"؛ وقال: "من لى بابن الأشرف فقد آذانى"؟ فقال محمـد بن مسلمة، أخو بنى عبد الأشهل : انا لك به يا رسولَ الله، أنا أقتله ؛ قال : "فافعلْ إن قدرتَ على ذلك"[٣]. فرجع [محمد بن][٤] مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُمسك رمقَه؛ فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له : "لِمَ تركتَ الطعام والشّراب"؟ فقال : يارسول[الله][٥]؛ قلت لك قولا لا أدرى هل أفى لك به أو لا ؟ قال : " إنما عليك الجَهْد" قال : يا رسول الله؛ ٢٧/١٥ لابدّ لنا من أن نقول؛ قال : "قُولوا ما بدا لكم[٦]، فأنتم فى حلّ من ذلك". فاجتمع على قتله محمد بن مَسْلمة، وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة بن وَقْش — وكان أخا كعب من

(١) راجع هذه الأشعار فى سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٥ — ٥٧ طبعة الحلبى بمصر .

(٢) يروى : أنه شبب بأم الفضل لبـابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب . راجع الطبرى القسم الأول ج ٣ ص ١٣٦٩ .

(٣) قال السهيلى فى الروض الأنف ج ٢ ص ١٢٣ : « فى هـذه من الفقه وجوب قتـل من سب النبىّ صلى الله عليه وسـلم وإن كان ذا عهـد ، خلافا لأبى حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذمىّ فى مثل هذا » .

(٤) زيادة عن ج .

(٥) ساقط من ج .

(٦) زيد فى المواهب اللدنية فى هـذا الموضع : « قولا غير مطابق للواقع لنتوصل به إلى التمكن من قتله » .

الرّضاعة — وعبّاد بن بِشر بن وقش، والحارث بن أوس بن مُعاذ، وأبو عَبْس بن جَبْر[١]، أخو بنى حارثة، فقدّموا إليه سِلْكان بن سلامة، فجاءه فتحدّث معه ساعة، وتناشدا شعرا، ثم قال أبو نائلة سِلكان: ويحك يا بن الأشرف! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرَها لك، فاكتم عنى؛ قال: أفعلُ، قال: قد كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاء من البلاء؛ عادتنا العرب ورمتنا[٢] عن قوسٍ واحدة، وقُطعت عنا السُّبُل حتى ضاع العيـال، وجُهدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالُنا؛ فقـال كعب: أنا ٱبن الأشرف، والله لقـد كنت أخبرك يابن سـلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلكان: إنّا نريد التّنحىَ منه، ومعى رجال من قومى على مثل رأيى، وقد أردتُ أن آتيَك بهم، فنبتاع منك طعاما وتمْرا، ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة ووفاء؛ فقـال أترهنونى نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أشبّ أهل يثْرِب وأعطرُهم؛ فقال: أترهنونى أبناءكم؟ قال: لقـد أردت أن تفضحنا وأن يُعيّر أبناؤنا؛ فيقال: هذا رهينة وَسْقٍ[٣]، وهـذا رهينة وسقين، ولكنّا نرهنُك سلاحنا وقد علمتَ حاجتنا إلى السلاح؛ فقال: نعم إن فى الحلْقة[٤] لوفاء، وإنما أراد سِلْكان ألا يُنكرَ السلاح إذا جاءوا بها، ثم رجع سِلكان إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعلوا.

ومشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَقِيع الغَرْقد[٥]، ثم وجههم وقال: انطلقوا على ٱسم الله، اللهم أعِنْهم. ورجع صلى الله عليه وسلم إلى بيته، وتوجّهوا،

---

(١) فى الأصل: «جبر» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. والتصويب عن الاستيعاب، والطبرى.

(٢) كذا فى الطبقات، وسيرة ابن هشام. وفى الأصل: «ورمونا».

(٣) الوسق: حمل البعير. (٤) يريد «بالحلقة»: السلاح كله، وقيل: هى الدروع خاصة.

(٥) بقيع الغرقد (بالغين المعجمة): هو مقبرة أهل المدينة.

وكانت ليلة مقمرة، حتى آنتهوا إلى حِصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان آبن الأشرف حديث عهدٍ بعرس، فوثب فى مِلْحفته، فأخذت آمرأته بناحيتها وقالت: إنك آمرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة؛ قال: إنّه أبو نائلة، لو وجدنى نائما ما أيقظنى؛ فقالت: والله إنى لأعرفُ فى صوته الشّر، فقال لها: لو يُدعى الفتى لطعْنة لأجاب.

وفى حديث البخارىّ من رواية سُفيان[1] عن عمرو عن جابر بن عبد الله قالت: أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة، ورَضِيعى أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِى إلى طعنة بلَيل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدّثوا معه ساعة ثم قالوا: هل لك يآبن الأشرف أن تماشى إلى شِعْب[2] العجوز فتحدّث به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم. فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة [يده[3]] فى فود رأس آبن الأشرف، ثم شمّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طِيبا أعطرَ قطّ من هذا! فقال: هذا عِطْر أمّ فلان، يريد آمرأته، ثم مشى قليلا وعاد لمثلها حتى آطمأنّ، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفَوْد رأسه وقال: اضربوا عدوّ الله. فضربوه، فآختلفت عليه أسيافُهم فلم تُغن شيئا.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مِغْوَلا[4] فى سيفى حين رأيت أسيافنا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبْق حولنا حِصن إلا أوقِدت عليه نار، فوضعته فى ثُنّته[5]، ثم تحاملت عليه حتى آنتهى إلى عانته[6]. ثم حزّوا رأسه وحملوه معهم؛ وأصيب الحارث بن أوس، بجرح فى رأسه أو رجلِه، أصابه بعض أسياف أصحابه

(١) فى أ: «أبى سفيان». (٢) شعب العجوز: بظاهر المدينة. (٣) زيادة عن جـ.
(٤) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. (٥) الثنة: ما بين السرة والعانة.
(٦) فى الأصول: «غايته» وهو تصحيف. وانظر شرح المواهب ٢: ١٥.

قال محمد بن مسلمة : فخرجنا حتى سَلَكْنا على بنى أميــة بن زيد، ثم على بنى قُريظة ثم على بُعَاث[١] حتى استندنا[٢] فى حرة[٣] العُريض، وقد أبطأ علينا الحارث ، ونزفـه[٤] الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا فآحتملناه وجئنا به .

قال ابن سعد : فلما بلغوا بقيع الغرقد كبّروا، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى، فلما سمع تكبيرهم كبّر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إلى رســول الله صلى الله عليــه وسلم فقال : « أفلحتِ الوجوه » قالوا : وجهك[٥] يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله .

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة : وتفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرح صاحبِنا فبرأ ، فرجعنا إلى أهلينا ، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقْعَتِنا بعدو الله، فليس بها يهودىّ إلا وهو خائف على نفسه .

وفى مقتل كعب بن الأشرف يقول عبّاد بن بِشْر :

صرختُ به فلم يَعرض لصـوتى * وأوفى طالعا من رأس جَذْرِ[٦]
فعُدْتُ له فقـال مَنِ المنـادى * فقلت أخوك عبّـاد بن بِشْرِ
وهَـــذى درعُنا رهْنا فخـــذْها * لشهر إن وفى أو نصفِ شهرِ

---

(١) بعاث : موضع فى نواحى المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج فى الجاهلية . وفى رواية أخرى : « بغاث » .

(٢) كذا فى ا ، حـ . وفى الطبرى، وابن هشام : « أسندنا » ، أى ارتفعنا .

(٣) الحرّة : الأرض الصلبة الغليظة التى ألبستها حجارة سود نخرة . والعريض : وادى المدينة .

(٤) نزفه الدم : خرج منه كثيرا حتى ضعف .

(٥) فى الطبقات : « ووجهك » .

(٦) الجذر : الحائط . وفى المواهب اللدنية : « خدر » .

فقــال معاشرٌ سَغِبوا وجاءوا * وما عدِموا الغنى من غير فقــرِ
فأقبــل نحونا يهوِى سريعــا * وقال : أَمَا[1] لقــد جئتم لأمرِ
وفى أَيمانـنــا بيضٌ حِــدادٌ[2] * مجرَّبة بهـــا الكفارَ نفرِى
فعانقَــه ٱبنُ مسلمة المــردّى * به الكفارُ كالليث الهِزَبرِ
وشــدّ بسيفه صَلْتا عليــه * فقطّره[3] أبو عبْس بن جبرِ
فكان الله سادسَنا فأُبْنـا * بأنعَم نِعْمــةٍ وأعــزّ نصْرِ
وجــاء برأسه نَفَــرٌ كرامٌ * هُمُ ناهِيك[4] من صِدْق وبِرِّ

ذكر غزوة غَطَفان إلى نجد

(وهى غزوة ذى أَمَر[5]، ناحية النُّخَيل، وقصة دُعْثُور بن الحارث[6])

غزاها رســول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأوّل[7] على رأس خمســة وعشرين شهرا من مهاجَره ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وســلم أن جمعا

(١) فى المواهب ، والاستيعاب : « وقال لنا لقد » .

(٢) فى الاستيعاب : « جداد * مجردة » .

(٣) قطره : أسال دمه .

(٤) فى الاستيعاب : « ناهوك » .

(٥) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة « غزوة ذات الرقاع » . وقال فى سبب هذه التسمية : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ؛ ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع » .

(٦) فى سيرة ابن هشام : « غورث بن الحارث » . وفيه روايات أخرى . راجع المواهب اللدنية جـ ٢ صفحة ١٧ .

(٧) فى طبقات ابن سعد أنهــا كانت فى المحرّم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجره .

من بنى ثعلبة ومحارب بذى أَمَر تجمّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم. جمعهم رجل منهم يقال له : دُعْثُور بن الحارث من بنى محارب، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فى أربعمائة وخمسين رجلا ، ومعهم أفراس، وٱستخلف على المدينة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فأصابوا رجلا منهم بذى القَصَّة(١) يقال له جَبَّار من بنى ثعلبة ، فأُدخِل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم(٢) وقال : لن يُلاقوك ، لو سمعوا بمسيرك هربوا فى رءوس الجبال ، وأنا سائر معك . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأسلم وضمّه إلى بلال ، ولم يلاق صلى الله عليه وسلم أحدا .

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيْهقىّ، رحمه الله : وهربت منه الأعراب فوق ذِرْوة من الجبال ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمَر وعسكَرَ به فأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، فأصابه ذلك المطر فَبَلَّ ثوبه ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادىَ ذى أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجفّ ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالت الأعرابُ لدُعثور، وكان سيّدَها وأشجعَها : قد أمكنك محمد، وقد ٱنفرد من أصحابه حيث إن غوّث(٣) بأصحابه لم يُغث حتى تقتلَه ؛ فاختار سيفا من سيوفهم صارما ، ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهورا، فقال : يا محمد ، من يمنعك منّى اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل فى صدره فوقع

(١) ذو القصة : موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة .

(٢) كذا فى جـ . وفى ا : « بخبرهم » . (٣) غوّث : قال : واغوثاه .

السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه، فقال: من يمنعك منى؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا أكثر عليك جمعا أبدا، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه، ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير منى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه، فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف فى يدك؟ قال: قد كان والله ذلك رأيى، ولكن نظرت إلى رجل أبيض[1] طويل فدفع فى صدرى فوقعت لظهرى، فعرفت أنه مَلَك، وشهدت أن محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليه، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: ﴿ يا أيُّها الّذِين ٢٩/١٥
آمنوا اذكُرُوا نِعمةَ اللهِ عَليكم إذْ هَمَّ قومٌ أنْ يَبْسُطوا إليكم أيْدِيَهمْ فكَفَّ أيْدِيَهم عَنكُمْ[2] ﴾ الآية. ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

ذكر غزوة بنى سُلَيم بِبُحْران[3]

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لستّ خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجَره — وبحران من ناحية الفُرُع[4]، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد — وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا من بنى سليم، فخرج فى ثلثمائة رجل من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأغذّ[5] السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم، فرجع ولم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال.

(١) أراد جبريل. (٢) بعض آية من سورة المائدة.

(٣) بحران (بضم الباء وفتحها، وسكون الحاء): موضع بناحية الفرع. وفى الأصل: «بنجران».

(٤) الفرع (بضمتين أو ضم وسكون): قرية من ناحية المدينة، ويقال: هى أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة. (٥) أغذ: أسرع.

ذكر سريّة زيد بن حارثة إلى القَرَدَة

(بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الآخرة ، على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، وهى أوّل سريّة خرج زيد فيها أميرا يعترض لعير قريش فيها صَفْوان بن أميّة، وحُوَيْطب بن عبد العزّى، وعبد الله بن أبى ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليلَهم فراتُ بن حَيّان العِجْلىّ ، فخرج بهم على ذات عِرْق ، طريق العراق .

قال ابن إسحاق : وفيها أبو سفيان بن حرب ، وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون إلى الشام حين(١) وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق ، فخرج منهم تُجّار ، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضّة كثيرة ، وهى أعظم تجارتهم .

قال ابن سعد : فبلغ النبىّ صلى الله عليه وسلم ذلك ، فوجّه زيد بن حارثة فى مائة راكب ، فآعترضوا لها ، فأصابوا العِير وأفلت أعيانُ القوم، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمّسها ، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقى بين(٢) أهل السريّة، وأُسِر فُرات بن حيّان، فأسلم ، فتُرِك من القتل .

والقَرَدة : من أرض نجد بين الرَّبَذة والغَمْرة .

---

(١) فى ابن إسحاق : « حيث كان من وقعة بدر ما كان » .

(٢) فى ا : « من » .

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد فى طبقاته : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا يوم السبت لسبع خلون من شوال ، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مُهاجَره صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت يوم السبت للنصف من شوال .

وذلك أن قريشا لما أُصيب من أُصيب منهم يوم بدر ، ورجع من نجا منهم إلى مكة ، وجدوا العير التى قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة فى دار الندوة ، فمشت أشراف قريش إلى أبى سُفيان ، فقالوا : نحن طيِّبو أنفس أن نُجهِّزوا بربح هذه العير(١) جيشا إلى محمد ، فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معى ، فباعوها فكانت ألف بعير ، والمالُ خمسين ألف دينار ، فسلّم إلى أهل العير رءوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يربحون فى تجارتهم للدينار دينارا .

قال ابن سعد وغيره : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ(٢) ﴾ وبعث قريش رُسلَهم إلى العَرب يدعُونهم(٣) إلى نَصرهم فأَوعبوا(٤) وأَلبوا(٥) .

قال ابن سعد : وكتب العبّاس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر قريش ، فأخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن الربيع بكتاب

---

(١) كذا [illegible] فى الأصول : « هذا العير » . (٢) سورة الأنفال آية ٣٦ .
(٣) [illegible] (٤) [illegible]
(٥) [illegible]

العباس . وأَرْجَفَ[١] المنافقون واليهود بالمدينة، وخرجت قريش من مكة بِجَدِّها وجِدِّها[٢] وأحابيشها[٣]، ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل،
٣٠ / ١٥ فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس[٤] وثلاثة آلاف بعير، وخرجوا معهم بالظُّعُن[٥] التماسَ الحفيظة[٦]، وألّا يفرّوا، وكان معهم خمسَ عشرة امرأة، فخرج أبو سفيان ابن حرب — وهو قائد الناس — معهم بهند[٧] بنت عتبة، وخرج عِكْرمة بن أبي جهْل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صَفوان بن أمية بِبَرّة[٨] بنت مسعود بن عمرو ابن عمير الثقفيّة، وهى أم عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص بريْطة بنت مُنَبِّه بن الحجّاج، وهى أم عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبى طلحة — عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار — بسُلافة بنت سعد بن شَهِيد[٩] الأنصاريّة، وخرجت خُنَاس بنت مالك بن المُضَرِّب[١٠]

(١) أرجف القوم: اختلقوا أخبارا كاذبة يكون معها اضطراب فى الناس .

(٢) بجدها وجدها: بنفيها وعظمتها .

(٣) أحابيش قريش: قوم من بنى المصطلق والهون بن خزيمة، اجتمعوا وحالفوا قريشا عند حبشى، وهو جبل بأسفل مكة، فسموا به .

(٤) كذا فى طبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام . وفى الأصول: «فارس» .

(٥) الظعن: جمع ظعينة، وهى المرأة مادامت فى الهودج .

(٦) الحفيظة: الحمية والغضب .

(٧) كذا فى أ . وفى جـ: «وهو قائد الناس معه بهند» .

(٨) فى السيرة والمواهب اللدنية: «ببرزة» .

(٩) كذا فى السيرة، والطبرى . وفى الأصول: «سهيل» . وفى رواية الطبرى: «سهيد» .

(١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبرى . وفى الأصول: «النضر» .

مع ابنها أبى عزيز بن عُمير[(١)]، وخرجت عَمْرة بنت علقمة[(٢)] إحدى نساء بنى الحارث ابن عبد مَناة .

قال محمد بن إسحاق : ودعا جُبير بن مُطعم غلاما له حبَشيّا، يقال له : وحشىّ، يقذف بحَرْبة له قذف الحبشة ، قلّما يُخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمّى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق .

فكانت هند بنت عتبة كلّما مرّت بوحشىّ أو مر بها، قالت: وَيهًا[(٣)] دُسْمة، اشْف واستشْفِ، وكان وحشىّ يكنى بأبى دسمة .

قال ابن سعد : وشاع خبرهم ومسيرهم فى الناس حتى نزلوا ذا الحُليْفة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَسا ومُؤْنِسا ابنَى فَضَالة، ليلة الخميس لخمس مضين من شوّال عينَيْن له ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم، وأنهم قد خلّوا إبلهم وخيلهم فى الزرع الذى بالعُريض[(٤)] حتى تركوه ليس به خضراء، ثم بعث الحُباب ابن المنذر [بن الجموح فدخل فيهم][(٥)] لحَزَرهم، وجاءه بعلمهم، وبات سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضير، وسعد بن عُبادة، فى عِدّة ليلة الجمعة، عليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحُرست المدينة حتى أصبحوا، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كأنّه فى دِرعٍ حَصِينة ، وكأنّ سيفَه ذا الفقار قد انقصم من عند ظُبته ، وكأن بقرا تُذْبح ، وكأنه مُرْدِفٌ كبْشا فأخبر بها أصحابه وأوّلها ، فقال : أما الدّرع الحصينة فالمدينة ، وأما انقِصام سيفى

(١) كذا فى الطبرى، والسيرة . وفى أ : «مع أبى أبى عزيز» وفى جـ : «مع أبيها أبى عزيز» .

(٢) فى أ، جـ : «أحد» .

٢ (٣) ويها : كلمة معناها الإغراء والتحضيض . والدسمة : السواد . وفى الطبرى « إيه أبا دسمة » وفى السيرة : «ويها أبا دسمة» .

(٤) العريض : واد بالمدينة . (٥) ساقطة من أ ، والحزر : العدّ بالظن والتخمين .

مصيبة فى نفسى، وأما البقر التى تذبح فقتل فى أصحابى، وأما مُردِف كبشا، فكبش الكتيبة يقتله [الله] [١] إن شاء الله : فكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، فأحبَّ أن يُوافَق على رأيه [٢]، فاستشار أصحابه فى الخروج، فأشار عبد الله بن أبىّ بن سلول ألا يخرج ، وكان ذلك رأى الأكابر من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امكثوا فى المدينة، واجعلوا النساء والذرارىّ فى الآطام [٣] . فقام فتيان أحداث لم يشهدوا بدرا، فطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى عدوهم ورغبوا فى الشهادة، وقالوا : اخرج بنا إلى عدونا لا يرون أنا [قد] [٤] جبُنّا عنهم وضعُفنا . فغلبوا على الأمر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالناس ووعظهم وأمرهم بالجد والجهاد [٥]، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بالشخوص، ثم صلى بالناس العصر، وقد حَشَدوا، وحضر أهلُ العوالى [٦]، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر، فعمّماه وألبساه [٧]، وصفّ [٨] الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد ابن معاذ وأُسَيد بن حُضير : استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء، فردّوا الأمر إليه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس لأْمَته [٩]، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمِنْطَقة من أَدَم من حمائل سيفه [١٠]، واعتمّ وتقلد السيف، وألقى التُّرس فى ظهره، فندموا جميعا على ما صنعوا، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك . فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى

(١) ساقطة من أ . (٢) كذا فى أ . وفى جـ : « على مثل رأيه » .
(٣) الآطام : الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة . (٤) ساقطة من أ .
(٥) فى المواهب : « الاجتهاد » مكان « الجهاد » . (٦) العوالى : قرى بظاهر المدينة .
(٧) فى الأصول : « لبساه » وهو تحريف (٨) صف : اصطف .
(٩) اللأمة : الدرع أو السلاح كله . (١٠) فى جـ : « سيفه » .

لنبي إذا لبس لأمتــه أن يضعها حتى يحكم الله بينــه و بين أعدائه . فانظروا ما آمركم به فافعلوا وامضوا على اسم الله ، فلكم النصر ما صَــبرتم . ثم دعا بثــلاثة أرماح ، فعقد ثلاثة ألويه ، فدفع لواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب ، ويقال : إلى مصعب بن عُمَير ، ودفع لواء الأوس إلى أُســيد بن حُضَير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحُبَــاب بن المنذر ، و يقال : إلى سعد بن عُبــادة ، واستخلف على المدينــة عبد الله بن أم مكتوم . ثم ركب فرسه وتنكّب القَوس[1] وأخذ قناة بيده . والمسلمون عليهم السلاح قد أظهروا الدروع ، فيهم مائة دارع ، وخرج السّعدان أمامه يعدُوان ، سعدُ بن معاذ ، وسعد بن عُبادة ، كل منهما دارع ، والناس عن يمينه وشماله ، فمضى حتى إذا كان بالشَّيخين[2] — وهما أُطمان ، كان يهودى و يهودية يتومان عليهما يتحدّثان[3] ، فلما انتهى بالشيخين ، وهمــا فى طرف المدينة — التفت فنظر إلى كتيبة خَشْناء[4] لها زجل[5] . فقال : ما هــذه ؟ قالوا : حلفاء ابن أبىّ من يهود . فقال صلى الله عليه وسلم : لا تستنصِروا[6] بأهل الشّرك على أهل الشرك . وعرض من عرض بالشيخين ، فردّ من ردّ ، وأجاز من أجاز .

قال محمد بن إسحاق : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة[7] بن جُنْدُب ... ورافع بن خَديج أحد بنى حارثة ، وهما ابنــا خمس عشرة ســنة ، وكان

٣١
١٥

(١) ... : ألقاه على منكبه . (٢) فى أ : « كانا » .
(٣) ... معجم البلدان : « كان شيخ وشيخة » . وفى الطبرى : « كان يهودى ويهودية أعميان » .
(٤) ... كثيرة السلاح خشنته .
(٥) ... : الجلبة والضوضاء .
(٦) ... : « لا تستنصر » وما ذكر رواية ابن سعد .
(٧) ... سمرة » وهو تحريف .

قد ردّها ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رامٍ . فأجازه ، فقيل له : إن سمرة يصرع رافعا، فأجازه . وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسامةَ بن زيد ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبَراء بن عازب، وعمرو بن حَزم، وأُسَيْد بن ظُهَيْر، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة، وردّ عَرَابة ابن أوس وهو الذى يقول فيه الشمّاخ[1] .

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد * تلقّاها عَرابة باليمين

قال ابن سعد : وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشيخين ، وكان نازلا فى بنى النّجار ، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مَسلَمة فى خمسين رجلا، يُطيفون بالعسكر، وأدلَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السَّحَر، ودليله أبو خَيْثمة[2] ، فانتهى إلى أُحُد، فحانت الصلاة، وهو يرى المشركين ، فأمر بلالا فأذّن وأقام ، فصلّى بأصحابه الصبح صفوفا .

قال ابن إسحاق : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشَّوْط[3] بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أُبَىّ بثلث الناس، وقال : أطاعهم وعصانى، ما ندرى علامَ نَقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النّفاق، واتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام، أخو بنى سلمة ، يقول : ياقوم،

---

(١) خرج الشماخ يريد المدينة فلقيه عرابة بن الأوس، فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن أمتار لأهلى . وكان معه بعيران فأوقرهما له عرابة تمرا وبرا ، وكساه وأكرمه، فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التى منها هذا البيت .

(٢) كذا فى الأصول، وهو يوافق ما فى المواهب ، وفى ابن سعد : « أبو حثمة » ، وخطأه صاحب المواهب .

(٣) الشوط ، قال فى معجم البلدان : « اسم حائط ، يعنى بستانا بالمدينة » .

أذكركم الله أن تخذلوا[1] قومكم ونبيكم عندما حضر عدوّهم ؛ قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكن لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداءَ الله ، فسيُغنى الله عنكم نبيّه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : انخزل عبد الله بن أبيّ بثلثمائة ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ومعه فرسه وفرس لأبى بُردة بن نيار . وأقبل يصفّ أصحابه ويسوّى الصفوف على رجليه ، وعليه دِرعان ومغفر[2] وبيضة ، وجعل له ميمنة وميسرة ، وجعل أُحدا وراء ظهره ، واستقبل المدينة ، وجعل عينين[3] — جبلًا — عن يساره ، وجعل عليه[4] خمسين من الرماة ، واستعمل عليهم عبد الله بن جُبير ، وقال : قوموا على مصافّكم هذه[5] فاحموا ظهورنا ، لا يأتونا من خلفنا ، فإن رأيتمونا قد غنمنا ، فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا .

وأقبل المشركون ، وقد صفّوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ، ولهم مُجنّبتان[6] مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أميّة ، ويقال : عمرو بن العاص . وعلى الرماة عبد الله بن أبى ربيعة ، وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللّواء إلى طلحة بن أبى طلحة — واسم أبى طلحة عبد الله ابن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار — فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

---

(١) هكذا فى الأصل ، والقرطبى ، وشرح المواهب اللدنية . وفى السيرة : « ألا تخذلوا » .

(٢) المغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح .

(٣) عينان : جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

(٤) فى أ : « عليه » .

(٥) كذا فى طبقات ابن سعد . وفى الأصول : « هذا » .

(٦) المجنبتان : الميمنة والميسرة .

يحمل لواء المشركين ؟ فقيل : عبد الدار . فقال : نحن أحق بالوفاء منهم ، أين مُصعَب ابن عُمَير ؟ قال : ها أنذا ؛ قال : خُذ اللواء ؛ فأخذه مصعب ؛ فتقدّم به بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به فى العدوّ حتى ينحنى ؛ قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دجانة إذا أعْلَم بعصابةٍ له حمراء علم الناس أنه سيقاتِل . فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصّفين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : إنها لمِشْية يُبغضها الله ورسوله ، إلا فى هذا الموطن .

قال ابن هشام : إن الزبير بن العوام قال : وَجدْتُ(1) فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنَعنيه وأعطاه أبا دُجانة ، فقلت : والله لأنظرن ما يصنع ، فاتّبعته ، فأخرج عِصابة حمراء فعصَب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عِصابة الموت ، وجعل يقول : ٣٢ / ١٥

أنا الذى عاهدَنى خَليلى * ونحنُ بالسَّفْحِ لدَى النّخيلِ
ألّا أقومَ الدهرَ فى الكَيّولِ(2) * أضربْ بسيْفِ اللهِ والرّسولِ

(1) وجدت : حزنت .

(2) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب . وهى رواية اللسان وإحدى روايتى ابن هشام . وفى الأصول : «الكبول» جمع كبل : وهو القيد الضخم . وما ذكرناه أوفق للمعنى . وقد ذكر هذين البيتين صاحب لسان العرب .

قال الزّبير : فجعل لايَلْقَى أحداً إلا قتله . وكان فى المشركين رجل لايدع لنا جريحا إلا ذَفَّف[1] عليه ، فدعوْت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجانة ، فاتّقاه بدَرَقته[2] ، وضربه أبو دُجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مَفْرِق رأس هند بنت عُتبة ، ثم عدله عنها ؛ قال الزّبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال أبو دُجانة : رأيت [illegible] يَحْمِش[3] [illegible] ، فصَمَدتُ له ، فلما حملت [illegible] السيف وَلْوَل ، فإذا [illegible] ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

قالوا : وكان [illegible] خرج يوم أُحُد أبو عامر عبد عمرو بن صيفى[4] ابن مالك بن النعمان [illegible] ، وكان قد خرج إلى مكة مُباعِداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، [illegible] خمسون غلاما من الأوس ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبْدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق — وكان فى الجاهلية يُسمَّى الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، كما قدمنا من خبره — قال : فلما سمع ردّهم عليه ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شرّ . ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضخهم[5] بالحجارة فراضخوه ، حتى ولّى هو وأصحابه منهزمين .

---

(١) ذفف : أجهز . (٢) الدرقة : الترس المصنوع من الجلد .

(٣) يحمش الناس : يسوقهم بغضب ، أى يحرّضهم على القتال ويغضبهم .

(٤) كذا فى السيرة ، والطبرى ، [illegible] . وفى أ : « عبد بن حرب عمرو » وفى جـ : « عبد بن عمرو » . (٥) راضخهم : راماهم .

قال : وكان أبو سـفيان قد قال لأصحـاب اللواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدّار، إنكم قد وَلِيتم لِواءَ[(١)] يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنمـا يُؤتَى الناسُ من قِبَـل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أن تَكْفونا لواءنا[(٢)]، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فَنَكْفِيكوه؛ فهمُّوا به وتواعدوه، وقالوا : نحن نُسْـلِم إليك لواءنا؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نَصْنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

قال : ولمـا التقى الناس، ودنا بعضُهم من بعض، قامت هِند بنت عُتبة فى النّسوة اللاتى معها، وأخذْن الدّفوف يضْرِبن بها خلف الرجال ويحرّضْنهم، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًـا بنى عبْد الدارْ * ويهًـا حُمـاةَ الأَدْبارْ
* ضرْبًا بكلّ بتّـارْ[(٣)] *

وقالت أيضـا :

نحن بنـاتُ طارق[(٤)] * نمشى عـلى النّمارق[(٥)]
إن تُقبلوا نُعـانق * أو تُدْبِروا نُفـارق
* فراق غَيرِ وامق[(٦)] *

(١) فى السيرة، والطبرى : « لواءنا » .

(٢) كذا فى جـ . وفى أ : « لواء » . (٣) بتـار : قاطع .

(٤) فى هامش جـ ما يأتى : « قولهـا : بنات طارق : تريد النجم ؛ أى نحن شريفات رفيعات كالنجم . وقيل : الشعر لهنـد بنت طارق بن بيـاضة الإيادية، قالته فى حرب الفرس لإياد، فتمثلت به هند هذه » . وقال لسان العرب : إن ابن برى قال : إن هندا بنت عتبة هى هند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادى . وذكر الأبيـات برواية أخرى، وهى تخالف رواية المؤلف وروايتى الطبرى وابن إسحاق . راجع لسان العرب مادّة (طرق) .

(٥) النمـارق : جمع نمرقة، وهى الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرحل .

(٦) الوامق : المحب .

قال : وكان شِعار المسلمين يوم أحد . أَمِتْ ، أَمِتْ . ودنا القوم بعضُهم من بعض ، والرماة يرشُقون خيل المشركين بالنّبل ، فتولّى(١) هوارب ، فبرز طلحة ابن أبي طلحة ، صاحب لواء المشركين ، وقال : مَن يُبارز ؟ فبرز له على بن أبي طالب ، فالتقيا بين الصفّين ، فبدره علىّ بضربة على رأسه حتى فلَق هامته ، فوقع وهو كَبْش الكتيبة ، فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكبّر ، وكبّر المسلمون ، وشدّوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نغضت(٢) صفوفهم ، ثم حمل لواءَ المشركين عثمان بن أبي طلحة ، وجعل يرتجز وهو أمام النّسوة :

إنّ على أهلِ اللواءِ حقّا * أن يَخضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقّا(٣)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب ، فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مُؤْتَزَرِه ، و بدا سَحْره(٤) ، ثم رجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج . فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقّاص فأصاب حنجرته ، فأدلعَ(٥) لسانه إدلاع الكلب ، فقتله . ثم حمله مُسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتله . ثم حمله كِلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله الزّبير بن العوّام . ثم حمله الجُلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عُبيد الله . ثم حمله أَرْطاة بن شُرَحْبيل ، فقتله علىّ بن أبي طالب .

---

(١) فى الأصول : « فيولوا » والتصويب من الطبقات .

(٢) « النغض : التحريك والاضطراب » .

(٣) الصعدة : القناة التى تنبت مستقيمة . وفى الطبقات : « أن تخضب » .

(٤) السحر هنا : الرئة .

(٥) أدلع : أخرج .

ثم حمله شُريح بن قاسط(1)، فقُتِل. ثم حمله صُؤاب(2) غلامهم، وهو حبشىّ، فقاتل
بها حتى قُطعت يده، فاعتنق اللواء حتى قُتِل عليه، وهو يقول: اللهمّ هل
أعذرت. وخُولِف فى قاتله، فقيل: قتله سعد بن أبى وقّاص؛ وقيل: على بن ٣٣ / ١٥
أبى طالب؛ وقيل: قتله قُزْمان على الأصحّ.

قال: فلما قُتل أصحابُ اللواء صار مُلقًى، حتى أخذته عَمْرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش، فلاثوا(3) به. ثم انكشف المشركون وانهزموا لا يلوون على شىء، ونساؤهم يدعون بالويل. وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم(4) عن العسكر، ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم.

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزَّبير بن العوّام، أنه قال: والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خدم هندٍ وصواحبها مشمَّراتٍ هوارب، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثير.

قال ابن سعد: وتكلّم الرُّماة الذين على الجبل واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جُبير فى نفر يسير دون العشرة، وقال: لا أُجاوِز أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعظ أصحابَه وذكّرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لم يُرِد رسولُ الله هذا، قد انهزم المشركون، فما مُقامنا ها هنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم، وتركوا الجبل. فنظر خالد بن الوليد إلى خُلوّ الجبل وقلةِ أهله،

(1) كذا فى الأصول. وفى طبقات ابن سعد، والمواهب اللدنية: «قارط» وفى سيرة ابن هشام: «القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار».

(2) كذا فى جـ. وفى أ: «غلامهم وحبشى». وفى سيرة ابن هشام: «غلام لبنى أبى طلحة».

(3) لاثوا به: اجتمعوا حوله.

(4) أجهضوهم: أزالوهم.

فكرّ بالخيل ، وتبعه عِكْرمة بن أبى جَهل ، فحملوا على المسلمين [1] ، واستدارت رَحاهم ، وحالت الريح فصارت دَبُورا ، وكانت قبل ذلك صَبًا ، ونادى إبليس — لعنه الله — : إن محمدا قد قُتِل . واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون [2] على غير شِعار ، و يضرب بعضُهم بعضا ، ما يشعرُون به من العَجلة والدَهَش ، وقُتل مُصعب ابن عُمير ، فأخذ اللواءَ مَلَك فى صورة مُصعب ، وحضرت الملائكة يومئذ ولم تقاتل ، ونادى المشركون بشعارهم : يا لَلْعُزّى يا لَهُبَل [3] . فقُتل من أكرمه الله بالشهادة من المسلمين ، حتى خلَص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت صلى الله عليه وسلم معه [4] عِصابة من أصحابه أربعة عشر رجلا ، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وسبعة من الأنصار [5] ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقّت سِيَتُها [6] ، فأخذها قَتادة بن النعمان فكانت عنده ، ثم ذبّ بالحجارة . وكُسِرت يومئذ رَباعِيته [7] صلى الله عليه وسلم ، وكُلِمت شَفَته ، وشُجّ فى وجهه ، وجرح فى وجْنته ، وكسرت البيضة على رأسه ، فسال الدم على وجهه ، فجعل يمسحه ويقول : كيف يُفلح قوم خَضَبوا وجه نَبيّهم ، وهو يدعُوهم إلى ربّهم ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ لَيس لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ أو يَتوبَ علَيْهِم ، أو يُعذّبهم فَإنّهمْ ظَالِمون [8] ﴾ .

---

(١) فى طبقات ابن سعد : « فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم ، وقتل أميرهم عبد الله ابن جبير ، وانتقضت صفوف المسلمين » .

(٢) فى أ : « يقتتون » .

(٣) العزى وهبل : صنمان لقريش .

(٤) فى أ : « مع » .

(٥) كذا فى جـ . وفى أ : « ستة » .

(٦) السية : طرف القوس .

(٧) الرباعية : السن التى بين الثنية و ... .

(٨) آية ١٢٨ من سورة آل عمران .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبى سعيد الخُدرى : أن عتبة بن أبى وقّاص رمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، فكسر رَباعيته اليمنى السّفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شِهاب الزُّهرىّ شجّه فى جبهته، وأن ابن قمئة جَرح وجنته، فدخل حلْقتان من حلَق المِغفر فى وجنته، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرة من الحُفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ على بن أبى طالب بيده، ورفعه طلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائما، ومَصّ مالك بن سِنان أبو أبى سعيد الخدرى، الدّم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثم] ازدَرَده، فقال صلى الله عليه وسلم : من مسّ دمُه دمِى لم تَمسّه النار .(١)

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو : لما غَشِى القومُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رجلٌ يشترى لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السَّكَن [فى خمسة من الأنصار ، وبعضهم يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السكن](٢) . فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا يُقتَلون دونه ، حتى كان آخرَهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . ثم فاءت فئة المسلمين فأجهَضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منى . فأدنَوه منه ، فوسّده قدمَه ، فمات ، وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقاتلت أمُّ عُمارة نَسِيبة بنت كعب المازنيّة يومئذ ، فحدّثت وقد سئلت عن خبرها، فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سِقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدولةُ والرّيح للسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزْت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أباشر القتال وأذبّ عنه بالسيف، حتى خلَصت الجراحة إلىّ . وكان على عاتقها جرح أجوف له غَوْر ،

(١) ساقطة من أ . (٢) ما بين القوسين ساقط من أ .

فقيل لها : من أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قمئة[1]، أقمأه[2] الله، لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلّونى على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عُمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات[3] ، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرعان . ٣٤/١٥

قال ابن إسحاق : وترّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجانة بنفسه ، يقع النّبل فى ظهره وهو منحنٍ عليه ، حتى كثُر فيه النّبل . ورمى سعد ابن أبى وقّاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النبل ويقول : اِرم فداكَ أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ما له من نَصل، فيقول : اِرمِ به . قال : وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فكانت أحسنَ عينيه وأحدّهما . قال : وانتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عُبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار، قد ألقَوْا[4] بأيديهم، فقال : ما يجلسكم؟ فقالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قُوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل . قال أنس بن مالك : لقد وجدنا به سبعين ضربة؛ وأصيب عبد الرحمن بن عوف فى فمه فهُتِم، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، فأصابه بعضها فى رجله فعرِج .

---

(١) كذا فى جـ . وفى ا : « أمية »، تحريف . (٢) اقمأه : أذله .

(٣) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى الأصول : « ولقد على ذلك ضربته ضربات » وفيها تقديم وتأخير وصوابه عن الطبقات . (٤) فى ا : « حتى ألقوا » .

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كعبُ بن مالك ، قال كعب : عرفت عينيه تُزهران تحت المغفر (١) ، فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلىّ : أن أنصِت ، قال : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا [به] ونهض معهم نحو الشَّعب ، معه أبو بكر وعمر وعلىّ وطلحة بن عبيد الله والزُّبير بن العوام والحارث بن الصّمة ، ورهط من المسلمين . فلما أُسنِد (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشّعب أدركه أبىّ بن خلف ، وهو يقـول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجا . فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منّا ؟ قال رسول الله : دعوه . فلما دنا تنـاول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرْبة من الحارث بن الصمة . قال : فلمـا أخذها منه انتفض بها انتفاضة تَطَايرنا عنه (٣) تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه بها طعنة فى عنقه تَدَأْدَأَ (٤) منها عن فرسه مرارا ؛ وكان أُبىّ بن خلف قبل ذلك يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : إنّ عندى العَوْد — فرسا — أعلفه كل يوم فَرَقًا (٥) من ذُرة أقتلك عليه . فيقول رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير ، فاحتقن الدّم فيه ، فقال : قتلنى والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك

(١) تزهران : تضيئان . وفى جـ : « تزهران من تحت المغفر » .

(٢) أُسند : صعد .

(٣) تطايرنا عنه : تفرقنا . وفى هامش جـ : « الشعراء : ذباب له لدغ » .

(٤) تدأدأ : تدحرج .

(٥) الفَرَق : مكيال بالمدينة يسع ستة عشر رطلا .

بأس ؛ قال : إنه قد قال لى بمكة : أنا أقتلك ، [والله][1] لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدوّ الله بسرِف[2] وهم قافلون إلى مكة ، وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

لقد وَرِث الضَّلالةَ عن أبيه * أُبَىٌّ يوم بارزه الرسولُ
أتيتَ إليه تحمل رِمَّ عظم[3] * وتُوعِده وأنت به جَهول
وقد قتلت بنو النجّار منكم * أميَّةَ إذ يُغوِّث[4] : يا عقيل
وتَبَّ[5] ابنا ربيعة إذ أطاعا * أبا جهل ، لأمهما الهبول
وأفلت حارث لما شغلنا * بأسر القوم ، أسْرته قليل

وقال حسان أيضا فيه :

ألا مَن مُبلِغٌ عنّى أُبَيًّا * فقد أُلقِيتَ فى سُحُق السعير[6]
تمنّى بالضلالة من بعيد * وتُقسم أن قَدرْتَ مع النذور
تَمنّيك الأمانى من بعيد * وقولُ الكُفر يرجع فى غُرور
فقد لاقيتَ طعنةَ ذى حِفاظ[7] * كريم البيت ليس بذى فُجور
له فضلٌ على الأحياء طُرًّا * إذا نابتْ مُلِمّات الأمور

قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعب خرج علىّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقَته[8] من الماء ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له رِيحا ، فَعافه وغسل عن وجهه الدَّم . ٣٥/١٥

(١) ساقطة من أ ، وفى ابن هشام : «فوالله» . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل غير ذلك ؛ تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث .

(٣) الرم : البالى . (٤) يغوّث : يقول : واغوثاه .

(٥) تب : هلك . والهبول : الفقد . وفى المواهب اللدنية : «وأمهما» .

(٦) السحق : البعد والبق . (٧) الحفاظ . الذب عن المحارم .

(٨) الدرقة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب .

قال : وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشِّعب، معه أولئك النَفر من أصحابه، إذ علَت عالية من قُريش الجبلَ، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ [إنه][1] لا ينبغى لهم أن يعلُونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهْط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوَها ، وقد كان بدَّن وظاهر[2] بين دِرعين، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها[3] .

قال ابن هشام : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أُحُد قاعدا من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قُعودا .

قال ابن إسحاق : ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أَنْعَمتْ[4] فَعال، إن الحرب سِجال، يوم بيوم بدر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجِبه ، فقل : الله أعلى وأجلّ ، لا سَواء[5] ، قتلانا فى الجنّة، وقتلاكم فى النار، فقال له أبو سفيان : هَلُمّ إلىّ يا عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ايته فانظر ما شأنُه ، فأتاه ، فقال له أبو سفيان :

---

(١) ساقطة من أ .

(٢) بدن : ضعف . ظاهر : طابق .

(٣) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « عليه » .

(٤) أنعمت فعال : كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب على أحدهما « نعم » ، وعلى الآخر « لا » ، ثم يتقدم إلى الصنم ويجيل سهامه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج سهم « لا » امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ، فذلك قوله لعمر رضى الله عنه : أنعمت فعال ، أى أجابت بنعم فتجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء ، يعنى آلهتهم . هذا ما ذكره صاحب اللسان ، وهناك أقوال أخرى تجدها فى جـ ٢ صفحة ٥٧ من المواهب اللدنية .

(٥) لا سواء : لا نحن سواء ، أى لا نستوى .

أنشُدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهمّ لا ، وإنه لَيسمع كلامك الآن ، قال : أنتَ أصدق عندى من ابن قَمِئة وأبرّ — لقول ابن قمئة لهم : إنى قتلت محمدا — قال : واسم ابن قمئة عبد الله .

وروى البخارىّ عن البرَاء قال : وأشرف أبو سفيان فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه ، قال : أفى القوم ابن أبى قُحافة ؟ قال : لا تجيبوه ، قال : أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قُتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمرُ — رضوان الله عليه — نفسه، فقال : كذبتَ يا عدو الله ، أبقى الله لك ما يُخزيك . قال أبو سفيان : اُعْلُ هُبَل[1] ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، فقالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجلّ ؛ قال أبو سفيان : لنا العزى[2] ولا عُزّى لكم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، قالوا: ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم ؛ قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر، والحرب سِجال، وتجدون مُثْلة لم آمر [بها][3] ولم تَسُؤْنى .

قال ابن سعد: ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل له : نعم هو بيننا وبينك موعد . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال : آخرُج[4] فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم

(١) هبل : اسم صنم كان فى الكعبة .

(٢) العزى : اسم صنم كان لقريش .

(٣) الزيادة من البخارى . و يقال : مثلت بالقتيل [illegible] و[illegible] من أطرافه .

[illegible]

يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرَن إليهم فيها ، ثم لأناجزنّهم[1] . قال علىّ : فخرجت فى آثارهم فرأيتهم قد جَنَبوا الخيل وامتطوا الإبل، وتوجهوا إلى مكة .

ذكر خبر[2] مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وما فعلته هند بنت عتبة ، وما قالته من الشعر ، وما أجيبت به

كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قد قتل من ذكرنا من المشركين آنفا ، ومرّ به سِباع بن عبد العزّى الغُبشانىّ ، وكان يكنى بأبى نيار ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مقطّعة البُضور[3] — وكانت أمه أم أنمار مولاةَ شريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ ، وكانت ختّانة بمكة — فلما التقيا ضربه حمزة فقتله . فقال وحشىّ غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهُدّ الناس بسيفه هدًّا ما يقوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيّأ أريده ، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه سباع ، فلما رآه حمزة قال له ما قال ، فضربه حمزة فقتله ، فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعتْ فى ثُنّته[4] ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينُوء[5] نحوى فغُلب ، فتركته وإيّاها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ، ٣٦/١٥
ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، فلم يكن لى بغيره حاجة ، إنما قتلته لأُعتق .

قال ابن إسحاق : ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتى معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدّعن[6] الآذان والآنُف ، حتى

(١) المناجزة فى القتال : المبارزة والمقاتلة ، وهو أن يتبارز الفارسان فيتمارسا حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه أو يقتل أحدهما .
(٢) فى ا : « ذكر مقتل » .
(٣) البضر : لغة فى البظر .
(٤) الثنة : أسفل البطن .
(٥) ينوء : ينهض بجهد ومشقة .
(٦) يجدعن . يقطعن .

اتخذت هنـد من آذان الرجال وآنفهم قلائد وخَدَما [1]، وأعطت قلائدها وخدمها وقُرْطها وحشيًّا. وبقَرت عن كَبِد حمزة فلاكتْها فـلم تسطع أن تُسيغها، فلفظتها، ثم علَت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها، ثم قالت:

نحن جزَينـاكم بيوم بدرِ * والحربُ بعدالحرب ذاتُ سُعر
ما كان عن عُتبة لى من صبْرِ * ولا أخى وعمِّـه وبِكْـرى
شَفيتُ نفسى وقضَيتُ وتْرى [2] * شفيتَ وحْشىُّ غَليل صدرى
فشُكـر وحْشىٍّ علىَّ عُمْرى * حتى ترِمَّ [3] أعظُمى فى قـبرى

فأجابتها هند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المُطّلب [4] فقالت:

خَزِيتِ فى بدرٍ وبعـد بَدْرِ * يا بنتَ وقّاع [5] عظـيم الكُفْر
صبّحكِ الله غَداة الفجْـر * بالهاشميّين الطِّـوال الزُّهر
بكل قطّاع حُسَـامٍ يَفْـرِى [6] * حمـزةُ لَيْـثى وعلىٌّ صَـقْرى
إذ رام شَيْبٌ [7] وأبوكِ غَدْرى * فخضَّبا منـه ضواحى النَّحْـر
* ونَذْرك السُّوء فشـرُّ نَذْر *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجيبت بمثله، وتركنا ذلك اختصارا.

---

(١) خدما: خلاخيل.
(٢) الوتر: الثأر. وفى السيرة، والمواهب اللدنية، وأسد الغابة: «نذرى».
(٣) ترم: تبلى.
(٤) كذا فى ابن هشام، والمواهب، والإصابة، وأسد الغابة. وفى الأصول: «ابن عبد المطلب».
(٥) وقاع: يغتاب الناس.
(٦) يفرى: يقطع.
(٧) شبب: يريد شيبة. ضواحى النحر: ما ظهر من الصدر.

قال ابن إسحاق: ومرّ الحُليس بن زَبَّان[1] أخو بنى الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش بأبى سفيان، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بُزجّ الرمح، ويقول: ذُقْ عُقَق[2]. فقال الحُليس: يا بنى كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحمًا[3]؛ قال: ويحك! اكتُمها عنّى، فإنها كانت زلة. قال ولما فرغ الناس لقتالهم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادى قد بُقر بطنه عن كبده، وجُدِع أنفه وأذناه. فقال حين رآه: لولا أن تحزن صَفيّة ويكون سنّة من بعدى لتركته حتى تكون فى بطون السِّباع وحواصل الطير، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثِّلن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنُمثِّلن بهم مُثْلة لم يُمثِّلها أحدٌ من العرب. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وإنْ عاقَبْتُمْ فعاقِبوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيرٌ للصّابِرين، واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلَّا باللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيهِمْ ولا تَكُ فى ضَيقٍ مِمّا يَمْكُرون. إنّ اللهَ مع الَّذِينَ اتَّقَوا والذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[4] قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر. ونهى عن المُثْل[5].

---

(١) كذا فى سيرة ابن هشام، والطبرى. وفى الأصل: «الحليس بن ريان». وقال ابن إسحق: «الحليس بن علقمة بن أو ابن زبان» (جـ ٢ : ٧٤٣).

(٢) عقق، أى ياعاق. (٣) لحما، أى ميتا. (٤) آية ٢٦ — ٢٨ سورة النحل.

(٥) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين، قلنا: فى ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصا. وثانيهما، أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. وراجع الروض الأنف جـ ٢ ص ١٤٢.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن أُصابَ بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قطّ أغيظ إلىّ من هذا! ثم قال: جاءنى جبريل عليـه السلام فأخبر أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسـد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسُجِّى(١) ببُرْد، ثم صلى عليه وكبّر سبْع تكبيرات، ثم أُتى بالقتلى يُوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلّى عليـه ثنتين وسبعين صلاة(٢). قالت: وأقبلت صَفيّة بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزّبير ٣٧/١٥
ابن العوام: القَها فارجعها لا ترى ما بأخيها. فقال [لهـا](٣): يا أمّاه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى، فقالت: ولم؟ وقـد بلغنى أنه قد مُثِّل بأخى، وذلك فى الله عزّ وجلّ، فـما أرضانى(٤) أنا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ(٥) إن شاء الله تعـالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله [صلى الله عليـه وسلم](٦) وأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها، فأتتـه، فنظرت إليـه، وصلّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن. قال: واحتمل ناس [من المسلمين](٧) قتلاهم إلى المدينـة، فدفنوهم بها. ثم نهى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم عن ذلك، وقال: ادفنوهم حيث صُرِعوا.

---

(١) سجى: غطى. (٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعى لوجهين: أحدهما — ضعف إسناد هذا الحديث. وثانيهما — أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية. راجع الروض الأنف جـ٢ ص ١٤٢. (٣) ساقطة من أ. (٤) فى ابن هشام: «فما أرضانا». (٥) فى أ: «أصبرن». (٦) ساقطة من أ. (٧) ساقطة من أ.

ذكر [تسمية][(١)] من استشهد من المسلمين يوم أحد

قال ابن إسحاق : استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا، كان منهم من المهاجرين من بنى هاشم : حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنه، وقد تقدم خبر مقتله . ومن بنى أمية : عبد الله بن جحش، حليف لهم من بنى أسد بن خُزيمة[(٢)] قتله أبو الحكم[(٣)] بن الأخنس بن شَريق . ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : مصعب ابن عُمَير، قتله عبد الله بن قمئة الليثىّ . ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمّاس بن عثمان قتله [أبىّ][(٤)] بن خلف .

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة .

وقال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى : وعبد الله، وعبد الرحمن، ابنا الهُبيب، من بنى سعد بن ليث، ووهب بن قابوس المُزنىّ، وابن أخيه الحارث بن عُقبة ابن قابوس . وزاد الثعلبى سعدا مولى عتبة، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد، بل عدّ المهاجرين خمسة .

واستشهد من الأنصار، من بنى عبد الأشهل اثنا عشر رجلا، وهم : عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان أخو سعد، والحارث بن أنس بن رافع[(٥)]، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن، وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش، وأخوه عمرو بن ثابت، وأبوهما ثابت، ورِفاعة [بن][(٦)] وَقْش، واليَمَان أبو حُذيفة بن اليمان، وأخته حُسَيل بن

(١) ساقطة من أ . (٢) فى الأصول : « خزيم » تحريف .
(٣) كذا فى الروض الأنف، وابن هشام، وأسد الغابة، والاستيعاب، والطبقات . وفى الأصول : « الحكم » . (٤) ساقطة من أ .
(٥) كذا فى الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب . وفى الأصل : « الربيع » .
(٦) ساقطة من أ .

جابر، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه[1]، فتصدّق ابنه حُذيفة بديته على المسلمين، وصيفىّ بن قَيْظى، [وخُبا ابن قيظى][2]، وعَبّاد بن سهْل، والحارث بن أوس بن مُعاذ.

ومن أهل راتج[3] ثلاثة نفر. وهم: إياس بن أوس بن عَتِيك، وعُبيد بن التيهان، ويقال: عَتيك بن التيهان. وحبيب بن زيد بن تَيْم. ومن بنى ظَفَر: يزيد[4] بن حاطب بن أميّة بن رافع. ومن بنى عمرو بن عوف، رجلان، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن قيْس بن زيد، وحنظلة بن أبى عامر بن صيفىّ بن النعمان، وهو غَسيل الملائكة، وكان قد آلتقى هو وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم لتغسله الملائكة. فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنُب حين سمع الهاتفة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لذلك غسّلته الملائكة. وقال شدّاد بن الأسود حين قتل حنظلة:

لأَحمِينّ صاحبى ونفسى * بطَعْنة مثل شُعاع الشمس

ومن بنى عبيد بن زيد[5]: أُنيْس بن قتادة. ومن بنى ثعلبة بن عمرو ابن عوف رجلان، وهما: أبو حيّة[6] بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جُبير

---

(١) يديه. يدفع ديته.

(٢) ساقط من أ. وجاء فى الإصابة، وأسد الغابة، والاستيعاب: «خباب أو حباب».

(٣) راتج: أطم من آطام المدينة.

(٤) فى أ: «بن يزيد».

(٥) فى الأصول: «عبد زيد». وما ذكرناه رواية ابن هشام، والإصابة، وأسد الغابة.

(٦) كذا فى الأصول، ورواه صاحب أسد الغابة بالياء والباء.

ابن النّعمان ، وهو أمير الرّماة . ومن بنى السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك : خَيْثمة أبو سعد بن خيثمة . ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبد الله بن سَلمة . ومن بنى معاوية بن مالك رجلان ، وهما : سُبَيع بن حاطب بن الحارث، ويقال : سُوَيق(١) بن الحارث . ومالك بن نُمَيلة، حليف لهم من مُزَينة.
ومن بنى النّجار ثم من بنى سواد(٢) بن مالك خمسة نفر ، وهم : عمرو بن قيس بن زيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مَخلد ، ومالك بن إياس . ومن بنى مبذول رجلان ، وهما : أبو هُبيرة بن الحارث ابن علقمة ، وعمرو بن مُطرف(٣) بن علقمة . ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار رجلان، وهما : أوْس بن ثابت بن المنذر، وهو أخو حسان، و إياس بن عدى.
ومن بنى عدى بن النجار رجل واحد ، وهو : انس بن النَّضر بن ضَمْضم بن زيد ٣٨/١٥
ابن حرام بن جُندب بن عامر بن عدى بن النجّار ، وقد تقدّم خبره . ومن بنى مازن بن النجّار رجلان ، وهما : قيْس بن مُخلَّد ، وكَيْسان عبد لهم . ومن بنى دينار بن النجار رجلان ، وهما : سُليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو . ومن بنى الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم : خارجة بن زيد بن أبى زُهير ، وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبى زهير — حكى محمد بن سعد فى طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : مَن رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ، أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحا فى القتلى و به رمَق(٤) ، قال الأنصارى:

(١) كذا فى ابن هشام والاستيعاب وأسد الغابة . وذكر فى الإصابة : أن سويقا هذا هو سبيع الذى تقدم ذكره . وفى الأصل : « سويق » وهو تحريف .

(٢) كذا فى جـ . وفى أ : « ومن بنى النجار من بنى سويد » .

(٣) فى الاستيعاب : « مطرف أو مطروف » .

(٤) الرمق : بقية الروح .

فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نَبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيّكم وفيكم عين تَطرِف (١) . قال الأنصارى : ثم لم أبرح حتى مات ؛ فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . وأوْس بن الأرقم بن زيد . ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة ، ثلاثة نفر ، وهم : مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد [بن] (٢) الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخُدرىّ ، وسعيد بن سُوَيد بن قيس بن عامر بن عبّاد بن الأبجر، وعُتبة بن ربيع ابن رافع بن معاوية . ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان ، وهما : ثعْلبة بن سعد بن مالك بن خالد، وثقيف (٣) بن فروة بن البدىّ . ومن بنى طَريف، رهْط سعد بن عُبادة رجلان، وهما : عبد الله بن عمرو بن وَهب ، وضَمْرة حليف لهم من جُهينة . ومن بنى عوف بن الخزرج خمسة نفر، وهم : نوفل ابن عبد الله ، وعبّاس بن عُبادة بن نَضلة ، ونُعمان (٤) بن مالك بن ثعلبة ، والمجذَّر ابن زياد ، حليف لهم من بَلِىّ ، وعُبادة بن الحَسْحاس . ومن بنى الحُبْلى، رفاعة

---

(١) تطرف : تطبق أحد جفنيها على الآخر .

(٢) الزيادة من ابن هشام، وفى أسد الغابة والاستيعاب : « عبيد بن الأبجر » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى رواية للإصابة . وفى ابن هشام : « ثقف » . وفى الإصابة، وأسد الغابة، والاستيعاب : « ثقب أو ثقيب » . وفى القاموس : « ثقف، ثقب » .

(٤) فى أ، جـ : « يعمر بن مالك بن ثعلبة » . ولم نعثر فى المراجع التى بأيدينا على هذا الاسم ممن استشهد من المسلمين يوم أحد . وما ذكرناه رواية ابن هشام ، وأسد الغابة ، والإصابة ، والاستيعاب .

ابن عمرو . ومن بنى سَلِمة[1] ثم من بنى حرام أربعة نفر، وهم : عبد الله بن عمرو ابن حرام . وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وخلّاد بن عمرو بن الجموح ، وأبو أيمن[2] مولى عمرو بن الجموح . ومن بنى سَواد بن غَنم ثلاثة نفر ، وهم : سُليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة[3] ، وسهل بن قَيس بن أبى كعب بن القين . ومن بنى زُرَيق [بن عامر][4] رجلان ، وهما : ذَكوان[5] بن عبد قيس ، وعُبيد بن المعلَّى بن لَوْذان . ومن بنى خَطْمة من الأوس : الحارث بن عَدىّ بن خَرَشة بن أمية . ومن بنى سالم[6] بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكرُ تسميةِ مَن قُتل من المشركين يوم أُحد

قُتل من المشركين يوم أحد اثنان وعشرون رجلا : من بنى عبد الدار بن قصىّ أحد عشر رجلا — وهم أصحاب اللواء — طلحة بن أبى طلحة، قتله على بن أبى طالب، وأبو سعيد بن أبى طلحة، قتله سعد بن أبى وقّاص ، ويقال : على . وعثمان بن أبى طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ومسافع بن طلحة[7] بن أبى طلحة، قتله عاصم ابن ثابت بسهم، والجُلَاس بن طلحة ، قتله عاصم أيضا كما تقدّم، وكِلَاب بن طلحة والحارث بن طلحة، قتلهما قُزمان حليف لبنى ظَفر، وأَرْطاة بن عبد بن شُرَحْبيل ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله حمزة، ويقال : قتله على ، وأبو زيد[8] ابن عمير بن هاشم ، قتله قزمان، وصؤاب غلام لهم حبشىّ، قتله قزمان، والقاسط

(١) فى ا : « سلمة » . (٢) فى ا : « أبو يمن » .
(٣) فى الأصول : « سبيل » . والتصويب من سيرة ابن هشام، والاستيعاب، وأسد الغابة .
(٤) زيادة من سيرة ابن هشام . (٥) فى الأصول : « عامر بن ذكوان » . والتصويب من سيرة ابن هشام : والاستيعاب، وأسد الغابة والإصابة .
(٦) فى ا : « سلمة » . (٧) فى ا : « نافع » .
(٨) كذا فى الأصول . وفى ابن هشام : « أبو يزيد » .

ابن شُرَيْح بن هاشم، قتله قزمان. ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ: عبد الله ابن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد: قتله على بن أبى طالب. ومن بنى زُهْرة ابن كِلاب رجلان، وهما. أبو الحكم بن الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفى، حليف لهم، قتله على بن أبى طالب، وسِبَاع بن عبد العُزّى — واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غُبْشان — حليف لهم من خزاعة، قتله حمزة كما تقدم. ومن بنى مخزوم أربعة نفر، وهم: هشام بن أبى أمية بن المغيرة، قتله قزمان، والوليد ابن العاص بن المغيرة، قتله قزمان أيضا، وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة، قتله على بن أبى طالب، وخالد بن الأعلم حليف لهم، قتله قزمان. ومن بنى جُمَح رجلان، وهما: عمرو بن عبد الله بن عُمير بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو أبو عزّة، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا — وكان قد أسر يوم بدر، فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقه كما ذكرنا، فقال: لا أكثر عليك جمعا، فلم يف، وخرج يوم أحد مع المشركين فأُسر، ولم يؤسر يومئذ غيره، فقال: مُنَّ علىّ يا محمد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن لا يُلدَغ من جحر مرتين، لا ترجع إلى مكة تمسح عارِضَيْك، تقول: سحرت[1] محمدا مرتين، ثم أمر عاصم بن ثابت ابن الأقلح فضرب عنقه — وأُبىّ بن خلف بن حذافة بن جُمح، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كما تقدم. ومن بنى عامر بن لؤى رجلان، وهما: عبيدة[2] بن جابر وشَيْبة بن مالك بن المُضَرّب، قتلهما قُزمان[3]، ويقال: قتل عبيدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

---

(١) فى الطبقات: «سخرت بمحمد».

(٢) كذا فى سيرة ابن هشام. وفى الأصول: «سعد».

(٣) فى الأصول: «قتل عبيدة بن جابر [illegible]». و[illegible] ابن هشام.

قال محمد بن سعد فى طبقاته : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من أُحد، فصلى المغرب بالمدينة ، وشَمِت عبد الله بن أُبىّ بن سَلول والمنافقون بمـا نِيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : لن ينالوا منّا مثلَ هذا اليـوم حتى نستلم الرُّكْن . قال : وبكت الأنصار على قتلاهم ، فسمع رسول الله صلى الله عليـه وسلم البكاء فبكى ، وقال : لكنّ حمـزةَ لا بواكى له ، فلما رجع سعد بن مُعاذ وأُسـيد بن حُضَير إلى دار بنى عبـد الأشهل أمرا نساءهم أن يَتحزَّمن ، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين ، فقال : ارجعْن يرحمكنّ الله ، فقد آسيتُنّ بأنفسكن ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يومئذ][1] عن النوْح .

ورُوى عن سعد بن أبى وقّاص رضى الله عنه ، قال : مرّ رسـول الله صـلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أَرُونيه حتى أنظر إليه ؛ قال : فأشِير لها إليه صلى الله عليـه وسلم ، حتى إذا رأته قالت : كل مُصيبة بعدك جَلَل ؛ رضى الله عنها .

ولـمـا قدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم المدينة كانت فاطمة — رضى الله عنها — تغسل جُرحه ، وعلىّ يسكب المـاء عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن المـاء لا يزيد الدم إلا كثرة ، عَمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها ، وألصقت ذلك على الجُرح فاستمسك الدم ؛ وبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلا تلك

الليلة ، ثم أصبح فخرج فى طلب العدوّ إلى حمراء الأسد ، على ما نذكره إن شاء الله .

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن .

ذكر ما أُنزل[(١)] على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فى غزوة أحد ، وما ورد فى تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان ممـا أنزل الله تعالى فى غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران ، أول ذلك قوله تعـالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ[(٢)] الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو إسحاق[(٣)] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى — رحمه الله — فى تفسير المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن : إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وذكر نحو ما قدمناه من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت للنصف من شوّال ، وأنه صلى الله عليه وسلم جعل يَصُفّ أصحابَه للقتال كما يقوَّمُ القِـدْح ، إذا رأى صدرا خارجا قال : تأخر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الآية[(٤)] ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُم أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ تفشلا ، أى تجبُنا وتَضعُفا وتتخلّفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما بنو سلمة بن الخزرج ، و بنو حارثة بن الأوس ،

(١) فى ا : « ما نزل » .
(٢) تبوئ المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل .
(٣) فى ا : « ابن إسحاق » . وهو تحريف .
(٤) زيادة عن ح .

. ثم جد حتى عسكر، وذلك أن عبد الله بن [أبي بن سلول] (١) لما انخزل بثلث الناس كر قدما وقال هو ومن وافقه من أصحابه: ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ (٢)، هم بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف معه، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا، ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكّرهم الله تعالى عظيم نعمته، فقال: ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي ناصرهما وحافظهما ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكّرهم الله مِنّته عليهم إذ نصرهم (٣) ببدر، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ قوله: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾. «لِيَقْطَعَ طَرَفًا» أي يهلك طائفة «أَوْ يَكْبِتَهُمْ» أي يهزمهم «فينقلبوا خائبين» أي لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال عبد الله بن مسعود: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان بن عفان منهم، فنهاه الله تعالى عن ذلك، وتابَ عليهم، وأنزل هذه الآية. وقال عِكرمة، وقَتادة، ومِقْسم: أدمى رجلٌ من هُذيل يقال له: عبد الله ابن قمئة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان حتفه أنْ سلّط الله عليه تَيْسا فنطحه حتى قتله، وشجَّ عُتبة بن أبي وقاص رأسه وكسر رَباعيته صلى الله عليه وسلم، فدعا عليه وقال: اللهم

---

(١) في الأصل: «ابن سلام». وهو خطأ، إذ أن الذي انخزل بثلث الناس هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وهو الذي تقدم ذكره، وأما عبد الله بن سلام فهو بريء من ذلك. راجع تاريخه في الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٥.

(٢) في ج: «همت».

(٣) في أ: «نصرهم الله».

لا يَحُل[1] عليه الحَوْل حتى يموت كافرا [قال : فما حال الحول حتى مات كافرا][2] فأنزل الله تعالى عليه[3] هذه الآية . وقال الربيع والكلبى : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وقد شُجّ فى وجهه وأُصيبت رَباعيتُه ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَلعَن المشركين و يدعوَ عليهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، لعلمه فيهم أن كثيرا منهم سيُؤمنون .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ قيل : أمثال . وقيل : أُمَم . والسُّنّة الأُمّة ، قال الشاعر :

ما عايَن الناسُ من فضلٍ كفضلِهمُ * ولا رأَوْا مثلَهم فى سالف السُّنَنِ

وقيل : أهل سُنَن، وقيل : أهل شرائع، قال : معنى الآية : قد مضت وسَلَفت منّى فيمن قبلكم من الأمم الماضية المكذّبة الكافرة سَنَنٌ بإمهالى واستدراجى إيّاهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجلى الذى أجلت — لإدالة[4] أنبيائى — وأهلكتهم . ﴿ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى منهم ، فأنا أُمهلهم وأَستدرجهم حتى يبلغ الكتابُ أجلى الذى أجلت فى نُصرة النبىّ وأوليائه وهَلاك أعدائه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قال : هذه الآية[5] تعزية من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد ، وحثٌّ منه إيّاهم على قتال عدوّهم ، ونَهْىٌ عن العَجْز

---

(١) كذا فى أ ، جـ . وفى الكشف والبيان : «لا يحـول» . (٢) ما بين القوسين لم يذكر فى أ . (٣) ساقطة من جـ . (٤) الإدالة : الغلبة والنصرة؛ أى غلبة أنبيائى ونصرتهم ، كما سيوضح بعد فى تفسير بقية الآية . وفى أ : «لا ذالة» . وفى الكشف والبيان للثعلبى : «لا دلالة» وهما محرفتان . (٥) هذه الكلمة ساقطة من جـ .

والفشل. وقال تعالى : "وَلَا تَهِنُوا" أى لا تضعفوا ولا تجبنوا من جهاد أعدائكم [بما نالكم يوم أحد من القتل والقَرْح . "وَلَا تَحْزَنُوا" على ظهور أعدائكم] (١) ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة "وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ" أى لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (٢) .

قوله تعالى : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ أى جرح يوم أحد فقد مسّ القومَ جرح مثله يوم بدر . ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يعنى إنما كانت هذه المداولة ليرى الله الذين آمنوا — يعنى منكم — ممن نافق، فيميز بعضهم من بعض. وقيل: المعنى "وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا" بأفعالهم موجودًا كما علمها منهم قبل أن كلفهم. ٤١ / ١٥ "وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ" يُكرِم أقواما بالشهادة، وذلك أن المسلمين قالوا : أرِنا يوما كيوم بدرٍ نقاتل فيه المشركين ونلتمس الشهادة . فلقُوا المشركين يوم أُحد ، فاتخذ اللهُ منهم شهداء .

قوله تعالى : ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ يعنى يطهّر الذين آمنوا من ذنوبهم «وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» يفنيهم ويهلكهم وينقصهم. ثم عزّاهم الله تعالى فقال : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

وذلك أنه لمـا قتل عبدُ الله بن قمئة مُصعبَ بن عُمير، وصرخ صارخ — يقال : هو إبليس، لعنه الله — ألا إن محمدا قد قُتل . وانهزم الناس، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أُبَيّ فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان . وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم[1] . وقال أناس من أهل النفاق : إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأوّل . فقال أنس بن النضر : ياقوم، إن كان قد قُتِل محمد فإن ربّ محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ؟ فقاتلوا على ما قاتَل عليه، ومُوتوا على ما مات عليه ؛ ثم قال : اللّهم إنى أعتذر إليك مما قال[2] هؤلاء — يعنى المسلمين — وأبرأ إليك ممـا جاء به هؤلاء — يعنى المنافقين — ثم قاتل حتى قُتل . ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فانحدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم صلى الله عليه وسلم على الفرار، فقالوا : يا نبىّ الله، فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قُتلت فرُعبت[3] قلوبنا فولّينا مدبرين . فأنزل الله تعالى : "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ" أى على فراشه "أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ" أى رجعتم إلى دينكم الأوّل الكفر "وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ" فيرتدّ عن دينه "فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئًا" بارتداده، وإنما يضرّ نفسه "وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ" أى المؤمنين .

قوله تعـالى: "وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِىٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ"؛ قيل: الربّيّون الألوف والرِّبّة[4] الواحدة عشرة آلاف . وقيل : الرِّبيون العلماء والفقهاء . وقيل : الأتباع

---

(١) كذا فى الأصول وابن هشام، والذى فى المواهب اللدنية عن ابن إسحق : «ألقوا ما بأيديهم» .

(٢) فى جـ : «يقول» . (٣) فى أ : «فزعت» . (٤) كذا فى لسان العرب . وفى الأصل : «الربية» . ولم نعثر فى المراجع التى بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى . وفى القرطبى (٤ : ٢٠٠) عن أبان بن ثعلب : «الربّىّ عشرة آلاف» وعليه فربيون جمع ربّىّ .

وقيل : الرّبانيون الوُلاة ، والرِّبِّيون الرعيّة . وقيل : الرِّبّيون الذين يعبدون الرّب تعالى . قال : ومعنى الآية ، فما ضعفوا عن الجهاد " لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ " لما نالهم من الجراح وقتل الأصحاب ، وما عجزوا بقتل نبيهم " وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا " قال قتادة والربيع : يعني وما ٱرتدوا عن بصيرتهم(1) ودينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّهم حتى لحقوا بالله تعالى . قال السُّدّى : وما ذَلّوا . وقال عطاء : وما تضرّعوا . وقال مقاتل : وما ٱستسلموا وما خضعوا لعدوّهم ، ولكنّهم صبروا على أمر ربّهم ، وطاعة نبيّهم ، وجهاد عدوّهم " وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ " .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴾ (2)[قال : معنى الآية ، " قَوْلَهُمْ " عند قتل نبيهم " إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا " يعني خطايانا " وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا " لئلا تزول " وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ "] .

قوله تعالى : ﴿ فَآتَاهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ يعنى النصر والغنيمة ﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ ﴾ الجنة(3) ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال علىّ ، رضى الله عنه : يعنى المنافقين فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى إخوانكم ، وٱدخلوا فى دينهم . ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ أى ترجعوا على أوّل أمركم الشرك ﴿ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ أى فتصيروا مغبونين ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ أى ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّاصِرِينَ ﴾ .

---

(1) وفى تفسير الطبرى عن قتادة والربيع : « نصرتهم » .

(2) ما بين القوسين ساقط من أ . (3) فى أ : « بالجنة » .

قوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾ قال السدّى : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا ، وقالوا : بئس ما صنعنا ، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشّريد تركناهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى[1] فى قلوبهم الرعب ، حتى رجعوا عما همّوا به ، فأنزل الله تعالى: "سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ" يعنى الخوف ﴿بِمَا[2] أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أى حجة وبيانا وعذرا وبرهانا ، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم ، فقال : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أى مقام الكافرين .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظىّ : لما رجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه إلى المدينة ، وقد أصابهم ما أصابهم بأحد ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ [فأنزل الله[3] تعالى "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللهُ وَعْدَهُ" أى الذى وعد بالنصر] والظفر ، وهو قوله تعالى : "بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا" الآية . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [للرماة][4] : "لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم" وقوله [تعالى][5] : ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أى تقتلونهم قتلا ذريعا شديدا ، وذلك عند هزيمتهم كما تقدّم . قوله : ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ « فَشِلْتُمْ » : أى جبنتم وضعفتم « وَتَنَازَعْتُمْ » أى اختلفتم . وهو ما وقع بين الرماة ، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدّم ، فكانت الهزيمة بسبب ذلك . قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾

---

(١) ساقطة فى ا .
(٢) ساقطة من جـ .
(٣) ما بين القوسين ساقط من ا .
(٤) ساقطة فى ا .
(٥) زيادة للإيضاح .

وهو الظفر والغنيمة. قوله : ﴿ مِنكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ [(١)] يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ﴿ وَمِنكُم مَن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ يعنى الذين ثبتوا مع عبد الله بن جُبير أمير الرماة حتى قتلوا . قوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ أى ردّكم عنهم بالهزيمة ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ أى فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ يعنى ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هاربين ﴿ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ﴾ . ثم رجع إلى الخطاب، فقال : ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَاكُمْ ﴾ قال يقال : أصعَدتَ إذا مضيت حِيال وجهك، وصعِدت إذا ارتقيت فى جبل أو غيره، والإصعاد : السير فى مستوى الأرض و بطون الأودية والشِّعاب، والصعود : الارتفاع على الجبال وغيرها . وقال المبرد : أصعَد إذا أبعد فى الذهاب . قال الشاعر :

ألا أيّهذا السائلى أين أصعَدت [(٢)] * فإن لها فى أهل يثرب موعِدا

وقال الفرّاء : الإصعاد الابتداء فى كل سفرٍ، والانحدار الرجوع منه . وقوله : "وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ" يعنى ولا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هربا وفرارا، قال الكلبى : "على أَحَدٍ" يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَاكُمْ ﴾ يعنى فى آخركم ومن ورائكم : إلىّ عباد الله، إلىّ عباد الله، فأنا رسول الله، من يكرّ فله الجنة . ﴿ فَأَثَابَكُمْ ﴾ أى فجازاكم؛ جعل الإثابة بمعنى العقاب، كقوله : "فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"؛ معنى الآية : أى جعل مكان الثواب الذى كنتم ترجون ﴿ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ قال الحسن : يعنى بغمّ المشركين يوم بدر . وقال غيره : غمًّا على غمّ . وقيل : غمًّا متصلا بغمّ، فالغمّ الأوّل [(٣)] ما فاتهم من الغنيمة

(١) زيد فى ا فى هذا الموضع : « ومنكم من يريد الآخرة » .
(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس . وفى ديوانه : « أين يممت » .
(٣) فى ا : « على ما فاتهم » .

والظفر، والغم الثانى ما نالهم من القتل والهزيمة . وقيل: الغم الأوّل ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثانى ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل، فأنساهم الغم الأوّل . وقيل: غير هذه الأقوال. والله أعلم . قوله تعالى : ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أى من الفتح والغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ؛ هذا أنساكم ذلك الغم ، وهمّكم ما أنتم فيه عما كان قد أصابكم قبل . وقال المفضّل : « لا » صلة . معناه : لكى تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم فى خلافكم إياه ، وتركم المركز ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

قوله : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

رُوى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيتُنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم، والله إنّى لأسمع قول مُعتّب بن قُشير والنُّعاس يغشانى ما أسمعه إلا كالحلُم يقول : لو كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا ها هنا، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف، وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام . وعن أنس عن أبى طلحة قال : رفعت رأسى

يوم أُحد ما أرى أحدا من القوم إلا وهو يَميد تحت حجفته(١) من النعاس . قال أبو طلحة : وكنت ممن ألقى الله(٢) تعالى عليه النعاس يومئذ، فكان السيف يسقط من يدى فآخذه، ثم يسقط السوط من يدى فآخذه من النوم . « وَطَآئِفَةٌ » يعنى المنافقين [معتب بن قُشير وأصحابه](٣) « قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ » أى حملتهم على الهم « يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ » أى لا يَنصر محمدا، وقيل : ظنوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل. «ظَنَّ الجَاهِلِيَّة» أى كظن أهل الجاهلية والشرك «يَقُولُونَ هَلْ لَنَا» أى ما لنا ، لفظه استفهام ومعناه جَحْد «مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ» يعنى التصرف « قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ » وذلك أن المنافقين قال بعضُهم لبعض : لو كانت لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة، ولم يُقتل رؤساؤنا . فذلك قوله تعالى: « يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا » فقال الله تعالى لنبيه — صلى الله عليه وسلم — قل لهم: «لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ » أى لخرج «الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ» أى مصارعهم «وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ» أى ليختبر الله « مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ » أى يخرج ويظهر « مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ » أى بما فى القلوب من خير أو شر(٤) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ أى انهزموا منكم يا معشر المؤمنين ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أى

---

(١) الحجفة : الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

(٢) ساقطة من ا .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ا . وقال القرطبى : « وكانوا خرجوا طمعا فى الغنيمة وخوف المؤمنين، فلم يغشهم النعاس، وجعلوا يتأسفون على الحضور، ويقولون الأقاويل » .

(٤) كذا فى جـ . وفى ا : « وشر » .

حملهم على الزّلل . وقال الكلبي : زين لهم أعمالهم ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ أى بشؤم ذنوبهم . قال المفسرون : بتركهم المركز . وقال الحسن : بما كسبوا قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم من الهزيمة . ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعنى المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ فى النفاق ، وقيل : فى النسب . ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ساروا وسافروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا ﴿ أَوْ كَانُوا غُزًّى ﴾ غُزاة فقتلوا ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴾ يعنى قولهم وظنّهم ﴿ حَسْرَةً ﴾ وحزنا ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ والحسرة : الاغتمام[1] على فائت كان يُقْدَر[2] بلوغه .

قال الشاعر :

فوا حسرتى لم أَقض منك لُبَانتى * ولم تمتّع بالجوار و بالقُرب[3]

ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله، سبحانه، لا يتقدّمان لسفر ولا يتأخران لحضر فقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى فى العاقبة ﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أى من الغنائم ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أى فى العاقبة .

قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ أى سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك فلم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا ﴾ أى جافيا سَيِّئَ الخلق قليل الاحتمال . ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ قال الكلبي : فظّا فى القول، غليظ

(١) فى أ ، ج : « والحسرة والاغتمام » وهو تحريف .

(٢) فى أ : « يقدر على بلوغه » .

(٣) فى القرطبي : « لم أقض منها ... ولم أتمتع »

القلب فى الفعل ﴿لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أى لتفرقوا عنك، وأصل الفضّ الكسر، ومنا قولهم : لا يَفْضُضِ الله فَاكَ . قال أهل الإشارة فى هــذه الآية : منه العطاء ومنه الثناء[1]. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ أى عمّا أتوا يوم أحد ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى أشفعك فيهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أى استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم، وهو مأخوذ من قول العرب : شُرْت الدابّة وشَوّرتها إذا استخرجْت جريها، وعلمت خبرها، قال : ومعنى الآية وشَاوِرهم فيما ليس عندك فيــه من الله عهد، ويدل عليه قراءة ابن عباس "وشاوِرْهُمْ فِى بَعْضِ الأَمْرِ". قال الكلبى : يعنى فأظهرهم فى لِقاء العدو، ومُكايدَة الحرب عنــد الغزوة . رُوِى عن ابن عبــاس رضى الله عنهما فى قــوله : " وشاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ " قال أبو بكر وعمــر رضى الله عنهما، وقال مقاتل وقتــادة والربيع : كانت سادات العرب إذا لم يُشاوَروا فى الأمر شقّ عليهم، فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم فى الأمر، فإن ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغانهم، وأطيب لأنفسهم، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم . قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أى لا على مشاورتهم . وقرأ جعفر الصادق، وجابر ابن زيد، "فإذا عزمْتُ" بضم التاء، أى عزمتُ لك ووفقتك وأرشدتك فتوكّل على الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أى يعنكم ويمنعكم من عدوّكم ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ مثــل يوم بدر ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ أى يترككم ولا ينصركم، والخــذلان القعود عن النصر، والإسلام[2] للهلكة والمكروه، قال : وقرأ عبيد بن عمير "وإن يُخْذِلكم" بضم اليــاء وكسر الذال، أى يجعلكم مخذولين، ويحملكم على الخذلان والتخاذل،

(١) المعنى: أن الله تعالى هو الذى أعطى رسوله الرحمة، وهو الذى مدحه بها . وفى تفسير الثعلبى : «البناء» .

(٢) الإسلام : من أسلمه إذا ألقاه فى الهلكة .

٤٤/١٥ كما فعلتم بأحد ﴿ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أى من بعد خذلانه ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ أى بأُحُد ﴿ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ ببدر، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحُد سبعين رجلا ، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَـٰذَا ﴾ أى من أين لنا هـذا القتل والهزيمة، ونحن مسلمون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، والوحى ينزل عليه، وهم مشركون ؟ وقد تقدّم فى قصـة أسارى بدر خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم ، ويقتل منهم مثلهم فى العام القابل، واختيارُهم الفداء، وذلك قوله : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

قوله تعـالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ أى بأحد من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى بقضائه وقدره وعلمه ﴿ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ أى ليميز، وقيل : ليرى . وقيل: لتعلموا أنتم أن الله قد علم نفاقهم، وأنتم لم [تكونوا](١) تعلمون ذلك . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أى لأجل دين الله وطاعته ﴿ أَوِ ٱدْفَعُوا ﴾ أى عن أهلكم وبلدكم وحريمكم، وقيل : أى كثّروا سَواد المسلمين ورابطوا إن لم تقاتلوا، ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدوّ ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ وهو قول عبد الله بن أبىّ وأصحابه الذين انصرفوا معه، كما تقدّم من خبرهم عند اتبـاع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سـلمة لهم ومناشدته لهم فى الرجوع . قال الله تعالى : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر ، فبين الله تعالى نفاقهم ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ .

(١) ساقطة من أ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ قيل : فى النسب لا فى الدين ، وهم شهداء أحد . ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ يعنى وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾ وٱنصرفوا عن محمد ، وقعدوا فى بيوتهم ﴿ مَاقُتِلُوا ﴾ قال تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ لهم يامحمد ﴿ فَادْرَءُوا ﴾ أى فادفعوا ﴿ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن الحذر يغنى عن القدر .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طيور[1] خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتسرح من الجنة حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وما صنع الله عز وجل بنا ، كى يرغبوا فى الجهاد ولا ينكلوا عنه . فقال[2] عز وجل : أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم . ففرحوا بذلك وٱستبشروا ، فأنزل الله تعالى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ » الآيات ، [إلى][3] قوله « أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وقال قتادة والربيع : ذكر لنا أن رجالا من أصحاب[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ياليتنا نعلم مافعل إخواننا الذين قتلوا بأحد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

---

(١) فى ج : « طير » . (٢) فى ج : « فقال الله » .

(٣) ساقطة من أ . (٤) فى ج : « من أصحاب النبى » .

وعن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية، فقال : جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد فى أجواف طير خُضْر، تسرح فى الجنة حيث شاءت، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطّلع الله عز وجل إليهم اطّلاعةً فقال : هل تشتهون شيئا فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا، ألسنا نسرح فى الجنة فى أيها شئنا ؛ ثم اطلع إليهم الثانية، فقال : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا : ربنا، ألسنا نسرح فى الجنة فى أيها شئنا ؛ ثم اطلع إليهم الثالثة، فقال : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا : ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نُحب أن تعيدنا أحياء، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل فى سبيلك، فنقتل مرة أخرى فيك، قال : لا ؛ قالوا : فتقرئ نبيّنا منا السلام، وتخبره بأن قد رضينا، ورُضى عنا ؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

وعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : قُتل أبى يوم أحد، وترك علىّ بنات، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك ياجابر؟ قلت : بلى يارسول الله(١) ؛ قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله تعالى وكلّمه كفاحا(٢)، فقال : ياعبد الله ٤٥/١٥ سلنى ما شئت ؛ فقال : أسألك أن تعيدنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا ؛ فقال : يا عبد الله، إنى قضيت ألا أُعيد إلى الدنيا خليقة قبضتها ؛ قال : يا رب، فمن يبلغ قومى ما أنا فيه من الكرامة؟ قال الله تعالى : أنا ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقد روى أن هذه الآية نزلت فى أصحاب بئر معونة ؛ وقيل : فى شهداء بدر . والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها فى شهداء أحد، والله أعلم .

(١) فى جـ : « يانبى الله » .

(٢) كفاحا : مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول .

ذكر غزوة حمراء الأسد[1]

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من أحد، قال ابن سعد: لثمان خلون من شوّال على رأس آثنين وثلاثين شهرا من مُهاجَره. وقال آبن إسحاق: كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوّال. وهذا الخلاف مرتب على ماتقدّم فى غزوة أُحد.

قال آبن سعد وغيره: لما آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على بابه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم الأحَد أمر بلالا أن ينادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوّكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. فقال جابر بن عبد الله: إن أبى خلّفنى يوم أحد على أخوات لى، فلم أشهد الحرب، فأذن لى أسير[2] معك؛ فأذِن له، فلم يخرج معه أحد ممن لم يشهد أُحدا غيره. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه، وهو معقود لم يحلّ، فدفعه إلى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، ويقال: إلى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه. وخرج رسول[3] الله صلى الله عليه وسلم، وهو مجروح، وحشد[4] أهلُ العوالى حيث أتاهم الصّريخ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وخرج الناس معه، فبعث ثلاثة نفر من أَسلَم طليعةً فى آثار القوم، فلحق آثنان منهم القوم بحمراء الأسد — وهى من المدينة على عشرة أميال — وهم يأتمرون بالرجوع،

---

(١) كذا ضبط فى الأصل، والقاموس، والطبرى، وطبقات ابن سعد. وفى معجم البلدان: «حمراء الأَسَد» بضم الهمزة وسكون السين.

(٢) فى طبقات آبن سعد: «أن أسير».

(٣) فى جـ: «وخرج صلى الله ...».

(٤) حشد أهل العوالى: أجابوا مسرعين.

وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك، فبصُروا بالرجلين، فقطعوا عليهما فقتلوهما، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد، فدفن الرجلين فى قبر واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه، فكبت الله تعالى عدوّهم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليالٍ، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وقال محمد بن إسحاق، ورفع الحديث إلى أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان: إن رجلا من بنى عبد الأشهل قال: شهدت أُحُدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا وأخ لى، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ، قلت لأخى، وقال لى: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ما لنا دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جرحا من أخى، فكان إذا غُلب حملته عُقْبة(١) ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال: وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ هم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح، إلى قوله: ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾.

ذكر سرية أبى سَلمة بن عبد الأسد المخزومى

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قَطَن — وهو جبل بناحية فَيْد، به ماء لبنى [أسد بن](٢) خُزيمة — فى هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجره. ٤٦/١٥

(١) عقبة: نوبة. (٢) ساقطة فى أ.

وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم، أن طُليحة وسلمَة ابنى خُوَيلد قد سارا فى قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث أبا سلمة وعقَد له لِواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إبلا وشاء[١]، ولم يلقوا كيدا، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة .

ذكر سرّية عبد الله بن أُنَيْس إلى سُفيان بن خالد الهذَلى

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة .

وذلك أنه بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم، أن سُفيان بن خالد بن نُبَيح[٢] الهذلىّ ثم اللِّحيانى — هكذا سماه محمد بن سعد فى طبقاته .

وقال ابن إسحاق : خالد بن سُفيان بن نُبَيح قد جمعَ الجموعَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحدَه فقتله وجاء برأسه . وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم . قاله ابن سعد .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال قال عبد الله ابن أنيس : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه[٣] قد بلغنى أن ابن[٤] سفيان الهذلىّ جمع الناس ليغزونى وهو بنخلة أو بعُرَنة[٥] فأته فاقتله . فقلت يا رسول الله انعَته لى حتى أعرفه، قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك و بينه

(١) شاء : جمع شاة، والكيد : الحرب .

(٢) فى أ : « خالد نبيح » .

(٣) فى جـ : « إنى » .

(٤) فى أ : « أبا سفيان » .

(٥) عرنة: قال فى المواهب اللدنية : موضع بقرب عرفة، أو قرية بوادى عرفة .

أنك إذا رأيتــه وجدت له قُشَعْرِيرة . قال : فخرجت متوشّحا بسيفى، حتى دُفعت [إليه] وهو فى ظُعن يرتاد لهن منزلا[١]، وذلك وقت العصر، فلما رأيتــه وجدت له ما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة[٢] تشغلنى عن الصلاة، فصليت وأنا أمشى نحــوه ، أُومئ برأسى، فلما انتهيت إليــه، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهــذا الرجل فجاءك لذلك . قال : أجل، أنا فى ذلك . قال : فمشيت معه شيئا حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُنْكَبّات عليه ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أفلح الوجه، قلت : قد قتلته، قال صدقت. ثم قام بى فأدخلنى بيته فأعطانى عصا، فقال : أمسك هــذه العصا عندك . قال : فخرجت بها على النــاس، فقالوا : ما هذه؟ قلت : أعطانيها رســول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرنى أن أمسكها عندى ، فقالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لِمَ ذلك ؟ قال : فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله، لِمَ أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آيةٌ بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل النــاس المتخصرون[٣] يومئــذ ، قال : فقرنها عبد الله ابن أنيس بسـيفه ، فلم تزل معــه حتى مات ، ثم أمر بهــا فضُمّت فى كفنه ، ثم دُفنا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى ذلك :

تركتُ ابن ثور كالحُوَار وحــوْلَه * نوائحُ تَفْرِى كلَّ جَيْبٍ مُقــدّد[٤]
تناولتــه والظُّعْنُ خلفى وخلفَــه * بأبيض من ماء الحديد مُهنّــد[٥]

(١) ساقطة فى أ . (٢) فى أ : « مجادلة » .
(٣) المتخصرون : المتوكئون على المخاصر، وهى العصى، واحدتها مخصرة .
(٤) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيرا . تفرى : تقطع .
(٥) أبيض : سيف . مهند : مطبوع من حديد الهند .

عَجُـومٍ لِهـامِ الدَّارعينَ كـأنَّه * شِهابُ غضىً من مُلْهَبٍ متوقِّـد (١)
أقولُ له والسيفُ يعجُم رأسَـــه * أنا ابنُ أُنَيْس فارساً غيرَ قُعْـدُد (٢)
أنا ابنُ الذى لم يُنْزَل الدهرَ قِدْرَه * رحيبُ فِناءِ الـدَّار غيرُ مُزَنَّد (٣)
فقلت له خُـذْها بضربةِ ماجِـدٍ * حنيفٍ على دِيـنِ النبيِّ محمـد (٤)
وكنتُ إذا همَّ النبيُّ بكـافرٍ * سبقتُ إليه باللسانِ وباليـد

٤٧ / ١٥

ذكر سَرِيَّةِ المُنْذِر بن عمرو السَّاعِدى إلى بئر مَعُونة

كانت فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مُهاجَره .

وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براءٍ ملاعب الأسنَّة (٥) الكِلابى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهدى (٦) له فلم يقبل منه ، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم ، ولم يبعد (٧) ، وقال : لو بعثتَ معى نفرا من أصحابك إلى قومى لرجوتُ أن يجيبوا دعوتك . قال : أخاف عليهم أهل نجد ؛ قال : أنا لهم جار . فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من الأنصار شَبَبَة (٨) يسمون القُرّاء (٩) ، وأمر

---

(١) عجوم : عضوض . الهام : الرءوس . الشهاب : القطعة من النار . الغضى : شجر خشبه من أجود الوقود . (٢) القعدد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم . (٣) المزند : الضيق البخيل .
(٤) الحنيف : الذى مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام .
ملاحظة : زيد فى أ بعد الأبيات : « والله ولىّ المتقين وهو خير الناصرين » .
(٥) الأسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح . وسمى ملاعب الأسنة لأن أخاه طفيلا الذى كان يقال له : فارس قرزل ، أسلمه وفر فى يوم سوبان ، وهو يوم كان بين قيس وتميم ، فقال شاعر :
فررت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
فسمى ملاعب الرماح ، وملاعب الأسنة .
(٦) فى رواية أنه أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا أقبل هدية مشرك . (٧) فى رواية لابن هشام : « ولم يبعد من الإسلام » . (٨) رواية ابن إسحاق أربعون ، والصحيح ما هنا كما قال السهيلى ، وهى رواية البخارى ومسلم . وشببة : شبان . (٩) سموا القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم . وفى شرح المواهب : أنهم كانوا يصلون بعض الليل ، ويدرسون بعضه ، ويحتطبون ، ويبيعون بعضه يشترون به طعاما لأهل الصفة والفقراء ، وبعضه يأتون به الحجر الشريفة .

عليهم المنذر بن عمرو ، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة — وهى بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سُليم ، كلا البلدين منهـا قريب ، وهى إلى حرّة بنى سُليم أقرب — فلما نزلوها سرحوا ظهرهم ، وقدّموا حرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى عامر بن الطُّفيل ، فوثب على حرام فقتله ؛ واستصرخ عليهم بنى عامر فأبَوا ، وقالوا : لا نُخفِر(١) جوار أبى براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم ، عُصَيَّة ورِعلا وذَكْوان ، فنفروا معـه . واستبطأ المسلمون حراما ، فأقبلوا فى أثره ، فلقيهم القوم فأحاطوا بهم ، وكاثروهم(٢) فاقتتلوا ، فقُتل أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وفيهم سليم بن مِلحان ، والحَكَم بن كَيْسان .

قال ابن إسحاق : فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فإنهم تركوه ، وبه رمق بين القتلى ، فعاش حتى قُتـل يوم الخندق . قال : وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرى ، ورجل من الأنصار — قال ابن هشام : هو المنـذر بن محمد بن عقُبـة بن أُحَيْحة بن الجُلاَح — فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه(٣) الطير لشأنا ؛ فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، والخيل التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ؛ قال الأنصارى : ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنـذر بن عمرو ؛ ثم قاتل القوم حتى قُتِل ، وأُخذ عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم(٤) أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، و جزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمّه .

(١) لا نخفر : أى لا ننقض . (٢) كاثروهم : كانوا أكثر منهم .
(٣) فى ا : « لهذا » . (٤) فى ا : « أخبره » .

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة(١) من صدر قناة(٢) أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا معه ، وكان معهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : وقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أُنْت من بينهم» ! ثم أخبره بقتل العامريين ، فقال : «بئس ماصنعت ، قد كان لهما منى أمان وجوار ، لأدِيَنَّهما» ! وبعث بديتهما إلى قومهما ، وقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا فى صلاة الصبح يدعو على رِعْلٍ وذَكْوان وعُصَيّة وبنى لِحيان .

وروى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قرأنا بهم قرآنا زمانا ، ثم إن ذلك رفع أو نسى : «بلّغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا»(٣) . وقال أنس ابن مالك : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَد(٤) على أحد ما وَجَد على أصحاب بئر معونة .

قال ابن سعد : وجاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فى تلك الليلة التى وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصابُ خُبَيب بن عدى ومن معه ، فدعا رسولُ

(١) هى قرقرة الكدر ، قال الواقدى : موضع بناحية المعدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره : ماء لبنى سليم . (راجع معجم البلدان فى كدر) .

(٢) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى الأرحضية وقرقرة الكدر .

(٣) قال السهيلى : «ثبت هذا فى الصحيح ، وليس عليه رونق الإعجاز ، فيقال : إنه لم ينزل بهذا النظم ، ولكن بنظم معجز كنظم القرآن» .

(٤) وجد : حزن .

الله صّلى الله عليه وسلم على قتلتهم بعد الركعة من الصبح، فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسِني يوسف، اللهم عليك ببنى لِحيان وعَضَل والقارَة وزِعْب ورِعل وذَكْوان وعُصَيّة (١)، فإنهم عصوا الله ورسوله».

ذكر سَرِيّة مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوى إلى الرّجيع ٤٨/١٥

كانت فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رَهط من عَضَل والقارة، وهم إلى الهُون بن خُزَيمة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا [من أصحابك] (٢) يفقّهونا ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام. فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، ومَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوى، وخُبَيب بن عدىّ، وزيد بن الدَّثِنّة (٣)، وخالد بن البُكَيْر (٤) الليثى، وعبد الله بن طارق، ومعتّب بن عبيد أخو عبد الله لأمّه (٥). وأمّر عليهم عاصما، وقيل: مَرْثدا؛ فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع — وهو ماء لهُذيل بناحية الحجاز — غدروا [بهم] (٦) واستصرخوا عليهم هذيلا، فلم يَرُع القوم، وهم فى رحالهم

(١) قال فى المواهب اللدنية: «ذكر صاحب شرف المصطفى أنه صلى الله عليه وسلم لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى إليه، فقال لها: اذهبى إلى رعل وذكوان وعصية، عصت الله ورسوله، فأتتهم، فقتلت منهم سبعمائة رجل، بكل رجل من المسلمين عشرة».

(٢) ساقطة فى أ. (٣) ضبط فى المواهب اللدنية: بفتح الدال وكسر الثاء مع فتح النون المشدّدة. وزاد البرهان: وقد تسكن الثاء. وضبطه صاحب القاموس، بكسر الثاء مع فتح النون المخففة.

(٤) كذا فى الطبرى، والإصابة، وأسد الغابة والاستيعاب. وفى الأصل: «أبى بكير». وفى الطبقات: «أبى البكير». ورجحنا ما دوّناه لأن المؤلف ذكره فى موضع آخر من هذه الغزوة موافقا لما أثبتناه. (٥) هو عبد الله بن طارق كما فى الطبقات. (٦) ساقطة فى أ، م.

إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشُوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا ، فقالوا : إنا ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم . فأما مرثد بن أبى مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، ومعتّب بن عبيد ؛ فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهدا ولا عَقدا أبدا. وقاتلوا حتى قُتلوا، رضى الله عنهم .وأما زيد بن الدَّثنة وخُبيب بن عدى ،وعبدالله بن طارق ، فرغبوا فى الحياة، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بمَرّ الظَّهران[1] انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران[2] ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ؛ فقُبر هناك . وأما خُبيب بن عدى وزيد بن الدَّثنة فقدموا بهما مكة ، فأباعوهما[3] من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة، فابتاع خُبيبا حُجير[4] بن أبى إهاب التميمى، حليف بنى نوفل، لعقبة بن الحارث ابن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه . وابتاع زيدَ بن الدَّثنة صفوانُ بن أميّة ، ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، و بعثه مع مولى له يقال له : نِسطاس ، إلى التنعيم[5] ، فأخرجوه من الحرم ليقتله ، واجتمع لذلك رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أَنْشُدك الله يازيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن[6] مكانك نضرب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدا

---

(١) مر الظهران : الظهران ، وادٍ قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مر ، تضاف إلى هذا الوادى ، فيقال: مر الظهران . (معجم البلدان) (٢) القران : الحبل الذى يشد به الأسيران .

(٣) أباعوهما : عرضوهما للبيع . (٤) كذا فى الأصل ، وفى رواية للإصابة فى الحديث عن مارية مولاته . وفى طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والإصابة ، وأسد الغابة ، والطبرى : « حجير » .

(٥) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة .

(٦) فى جـ : « الآن عندنا » .

الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنى جالس فى أهلى. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا؛ ثم قتله نِسطاس.

وأما خُبيب بن عدى فروى عن ماوِيّة[1] مولاة حُجَير بن أبى إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خُبيب قد حبس فى بيتى، فلقد اطلعت عليه يوما وإن فى يده لقِطْفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل، قالت: وقال لى حين حضره القتل: ابعثى إلىّ بحديدة أتطهّر بها للقتل؛ فأعطيت غلاما من الحىّ المُوسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن قد ولّى الغلام بها إليه؛ فقلت: ما صنعتُ! أصاب والله الرجل ثأره بقتل[2] هذا الغلام، فيكون رجلا برجل؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك، ما خافت أمك غدرتى حتى بعثتك بهذه الحديدة! ثم خلّى سبيله[3]. ويقال: إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: ثم خرجوا بخُبيب، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع[4] ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع ركعتين. [فركع[5] ركعتين] أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة. فكان خُبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبته، فلما أوثقوه، قال:

(١) كذا فى الأصول. وفى روايات كثيرة: «مارية».
(٢) فى أ: «فقتل». (٣) فى أ: «سبيلها».
(٤) فى أ: «أصلى». (٥) ما بين القوسين ساقط من أ.

اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا؛ ثم قال : اللهم أحصِهم عددا[١] ، واقتلهم بددا[٢] ، ولا تغادر منهم أحدا[٣] . ثم قتلوه، رحمه الله ورضى عنه .

قال ابن[٤] هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه .

وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب[٥] :

لقد جمّع الأحزابُ حولى وألّبوا[٦] * قبائلَهم واستجمعوا كل مجمع ٤٩/١٥
وقد قرّبوا أبناءَهم ونساءَهم[٧] * وقُرِّبتُ من جِذع طويل مُمنَّع
وكلّهمُ يُبدى العداوةَ جاهدًا * علىّ لأنى فى وِثاق بمَضيع[٨]
إلى الله أشكو غربتى بعد كربتى * وما جمّع الأحزابُ لى عند مَصرعى
فذا العرش صبّرنى على ما أصابنى * فقد بضّعوا لحمى وقد ضلّ مَطمعِى[٩]

(١) أحصهم عددا : أى أهلكهم واستأصلهم بحيث لا يبق من عددهم أحد .

(٢) بددا : قال ابن الأثير : يروى بكسر الباء جمع بِدّة ، وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويروى بالفتح ، أى متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد من التبديد . وفى الأصول : « مددا » . وهو تحريف .

(٣) قال فى الروض الأنف : « فإن قيل : هل أجيبت فيهم دعوة خبيب ؟ . قلنا : أصابت منهم من سبق فى علم الله أن يموت كافرا ، ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب بدعائه ، ومن قتل منهم بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بددا » غير معسكرين ولا مجتمعين ، فنفذت الدعوة على صورتها ، وفيمن أراد خبيب رحمه الله » .

(٤) فى ا : « قال هشام » .

(٥) قال ابن هشام : « بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٦) ألبوا : جمعوا وحضوا .

(٧) فى ابن هشام : « جمعوا » . وقد ذكر هذا البيت بعد البيت الذى يليه .

(٨) ويروى البيت :

وكلهم مبدى العداوة جاهد * علىّ لأنى فى وثاق مضيع

(٩) بضعوا : قطعوا . وفى سيرة ابن هشام : « يأس مطمعى » .

وذلك فى ذاتِ الإله وإن يشأ * يبارك على أوْصال شِلْوٍ مُمزَّع[١]
وقد عرّضوا بالكفر والموتُ دونه * وقد ذرَفت عيناى من غير مَدْمع[٢]
وما بى حِذارُ الموتِ ، إنى لميّتٌ * ولكن حذارى حرّ نارٍ تلفع[٣]
فلست بمبْدٍ للعدو تخشّعا * ولا جَزَعا إنّى إلى الله مرجعى
ولست أبالى حين أُقتلُ مسلما * على أى حال كان فى الله مضجعى

وفى رواية ابن شهاب :

* على أى جنب كان فى الله مصرعى *

قالوا : وصُلب بالتّنعيم[٤] ، وكان الذى تولى صلبه عقبة بن الحارث ، وأبو هبيرة العدوى .

ذكرُ غزوةِ بنى النَّضير

غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأوّل ، سنة أربع ، على رأس سبعة وثلاثين شهرا من مهاجره .

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد ، ومحمد بن إسحاق ، وعبد الملك بن هشام ، دخل حديث بعضهم فى بعض ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى بنى النضير يستعينهم فى دِيةِ الكلابيّين أو العامريّين اللذين قتلهما عمرو بن أميـة الضَّمْرى ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك بما أحببت . وكان

(١) أوصال : أعضاء . شلو : جسد .

(٢) ذكر هذا البيت فى سيرة ابن هشام ، وفى المواهب اللدنية كما يأتى :

وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع

(٣) كذا فى الأصول ، وعليه فهى تلفع بحذف إحدى التاءين أى تشتمل ؛ يقال : تلفع بالثوب إذا اشتمل به . وفى ابن هشام والمواهب : « جحم نار ملفع » . والجحم : الملتهب ، ومنه الجحيم .

(٤) راجع شعر حسان بن ثابت فى بكاء خبيب ص ١٨٦ ج ٣ من سيرة ابن هشام طبع الحلبي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم، وهو فى نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعلىّ، رضوان الله عليهم، فخلا بعض بنى النضير إلى بعض(١)، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمَن رجل يعلو هذا البيت، فيلقىَ عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحاش(٢) ابن كَعْب، أحدُهم، فقال: أنا لذلك؛ فقال سلّام بن مِشْكَم: لا تفعلوا، والله ليُخبَرَنّ بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه. وجاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فنهض مسرعا كأنه يريد الحاجة فتوجه إلى المدينة، فلما أبطأ على أصحابه قاموا فى طلبه، فلقُوا(٣) رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه صلى الله عليه وسلم، فقال: رأيته قد دخل المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوه، فقالوا: يارسول الله، قمت ولم نشعر. قال: همّت يهود بالغدر فأخبرنى الله بذلك فقمت. ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم محمد بن مَسْلمة: «أن اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشرا [أى من الأيام](٤) فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه». فمكثوا أياما يتجهّزون، وأرسلوا إلى ظَهْر لهم بذى الجَدْر(٥) وتكارَوا إبلا من ناس من أشْجَع، فأرسل إليهم عبد الله بن أُبَىّ: أن أقيموا فى حصونكم، ولا تخرجوا من دِياركم، فإن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم، وتمدّكم قُريظة وحلفاؤكم من غَطَفان. ووافقه على ذلك وِديعة(٦) بن مالك بن أبى قوقل، وسُوَيْد وداعِس، وقالوا

(١) فى أ: «دخل» وهو تحريف. (٢) ضبط بكسر الجيم وتخفيف الحاء فى الطبرى، وطبقات ابن سعد، وابن هشام. وضبط فى المواهب اللدنية بفتح الجيم وتشديد الحاء. (٣) فى أ: «فرأوا».
(٤) هذا التفسير غير موجود فى جـ. (٥) ذو جدر: مسرح على ستة أيام من المدينة بناحية قباء.
(٦) كذا فى الأصل، وفى المواهب والروض الأنف. وفى الطبرى: «ووديعة ومالك بن أبى قوقل».

لهم : إن قوتلتم نصرناكم ، وإن أُخرجتم خرجنا معكم ، فطمع حُيَيّ بن أخطب فيما قال آبن أُبَيّ ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك . فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبّر المسلمون لتكبيره ، وقال : حاربت يهود . واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم ، وسار فى أصحابه ، ٥٠/١٥
وعلى بن أبى طالب يحمل لواءه ، فصلى العصر بفناء بنى النضير ، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم ، وقاموا عليها معهم النبل والحجارة ، وآعتزلتهم قريظة فلم تُعنهم ، وخذلهم عبد الله بن أبىّ ومن وافقه فلم ينصروهم ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست ليال ، ثم أمر بقطع النّخيل وتحريقها ، فنادوه : يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ! وكان الله عز وجل أمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وقالوا : نخرج من بلادك . فقال : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دِماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلْقة (١) . فنزلوا على ذلك .

وكانت مدّة حصرهم خمسة عشر يوما ، وولى إخراجهم محمد بن مسلمة ، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير ، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف (٢) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع آبن أبى الحُقيق ، وحُيىّ بن أخطب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء فى قومهم بمنزلة بنى المغيرة فى قريش . وحزن المنافقون [عليهم (٣)] حزنا شديدا ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلْقة ، فوجد من الحلْقة خمسين

(١) الحلقة : الدروع ، وقيل السلاح كله ، وهو المراد هنا .

(٢) النجاف : العتبة . (٣) ساقطة من أ .

١٠٠٠، وخمسين بيضة ، وثلثمائة سيف وأربعين سيفا ، وكانت بنو النضير صفيا[١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خالصة له حُبسا[٢] لنوائبه، لم يخمّسها ولم يُسهم منها لأحد، إلا أنه أعطى ناسا من أصحابه، ووسّع فى الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم من المهاجرين أبو بكر [الصديق][٣] رضى الله عنه ، أعطاه بئر حجر، وعمر بن الخطاب بئر جرم[٤] ، وعبد الرحمن بن عوف سوالة ، وصُهيب بن سنان الصراطة[٥] ، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البُويلة[٦] ، وسهل بن حُنيف وأبو دُجانة مالا ، يقال له : مال ابن خَرَشة . حكاه محمد بن سعد فى طبقاته .

قال : ولما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير، قال : امضوا فإن هذا أول الحشر وإنا على الأثَر .

وأنزل الله عز وجل فى بنى النضير سورة «الحشرَ» بكمالها .

يقول الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَا أُولِى ٱلْأَبْصَارِ﴾ .

---

(١) صفيا : أى مختارة . (٢) حبسا : وقفا . (٣) ساقطة فى أ .

(٤) كذا فى أ، والطبقات . وفى جـ : «حرم» .

(٥) كذا فى جـ . وفى أ : «المراطه» . وفى الطبقات : «الضراطه» .

(٦) البويلة : مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب . ويقال لها أيضا : «البويرة» . شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٩٩

وقال صاحب معجم البلدان ، فى «النضير» : «لم أر أحدا من أهل السير ذكر أسماء منازل بنى النضير فبحثت فوجدت منازلهم التى غزاهم النبى صلى الله عليه وسلم فيها تسمى وادى بطحان والبويرة»

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، رحمه الله: «أَهْلِ الكِتَابِ» بنو النضير «مِنْ دِيَارِهِمْ» التي كانت بيثرب «لِأَوَّلِ الحَشْرِ» قال الزهري: كانوا من سبط[1] لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال: وكانوا أول حشر في الدنيا حشر إلى الشام[2]. وقال الكلبي: إنما قال: «لِأَوَّلِ الحَشْرِ» لأنهم أول من حُشِر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز. وقال مُرَّة الهَمْداني: كان هذا أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأَرِيحا[3] من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلى يديه. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف. «مَا ظَنَنْتُمْ» أيها المؤمنون «أَنْ يَخْرُجُوا» من المدينة «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ» حيث دربوها وحصنوها «فَأَتَاهُمُ اللهُ» أي أمر الله وعذابه «[مِنْ][4] حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف. «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» قال ابن إسحاق: وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم. وقال ابن زيد: كانوا يقتلعون العمد، وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب[5]، حتى الأوتاد، يخربونها لئلا يسكنها المسلمون حسدا منهم وبغضا. وقال ابن عباس: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم[6] هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي

(١) السبط: ولد الولد. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب.

(٢) كذا في الأصول، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي: «وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام». (٣) كذا في الأصول، ومعجم البلدان. وفي القاموس: «أريحاء» كزليخاء وكربلاء.

(٤) ساقطة من أ. (٥) في أ: «الأخشاب». (٦) في أ: «دارهم».

بعدها ، فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها ، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وقال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من باطنها ، فذلك قوله عز وجل : " يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ " .

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَاءَ ﴾ الآية . " الجلاء " عن الوطن ٥١ / ١٥
" لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا " بالقتل وبالسبي[(١)] كما فعل ببني قريظة " وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا[(٢)] ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ " .

قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾ قال ابن إسحاق : اللينة : ما خالف العجوة من النخل . وقال ابن هشام : مالم تكن برنية[(٣)] ولا عجوة . وقال عكرمة وزيد بن رومان وقتادة: النخل كله لينة ماخلا العجوة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، اللينة : النخلة والشجرة . وقال سفيان : هي كرام النخل . وقيل : هي النخلة القريبة من الأرض . وقال مقاتل : هو ضرب من النخل ، يقال لثمرها[(٤)] : اللون ، وهو شديد الصفرة ، يرى نواه من خارج ، يغيب فيه الضرس ، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم ، وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف[(٥)] ، وأحب إليهم من وصيف ، فلما رأوا ذلك يقطع شق عليهم . قال : وجمع اللينة لين . وقيل : ليان[(٦)] .

(١) في جـ : « والسبي » .
(٢) « شاقوا الله » : أي عادوه وخالفوا أمره .
(٣) البرنية : واحدة البرني ، وهو ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر .
(٤) كذا في الأصول . وفي المواهب اللدنية ، والقرطبي « لتمرها » .
(٥) الوصيف : العبد والخادم .
(٦) في الأصل : « اليان » . وفي لسان العرب : جمع اللينة ، لين ولون وليان .

قال الثعلبى : لمـا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى النضير، وتحصنوا فى حصونهم ، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، بجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا : يامحمد زعمت أنك تريد الصـلاح ، أفمن الصـلاح قطع النخيل، وعقْر الشجر ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أُنزل عليك الفسادَ فى الأرض ؟ فشق ذلك على النبى صـلى الله عليه وسلم ،ووجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكونْ[(١)] ذلك فسادا، واختلف المسلمون فى ذلك، فقال بعضهم: لاتقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا . وقال بعضهم : بل نغيظهم بقطعها . فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطع من الإثم ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى .

وفى قطع نخيل بنى النضير يقول حسان بن ثابت :

وهان على سَراة بنى لُؤَىّ * حَريقٌ بالبُـوَيْرة مستطيرُ

وقوله تعالى : « وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ » أى وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم .

قوله تعالى : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ " أَفَاءَ اللهُ " أى ردّ على رسـوله ورجع إليـه ، ومنه فَىْء الظلّ [مِنهُـم][(٢)] أى من بنى النضـير من الأموال " فَمَا أَوْجَفْتُمْ " أوضَعْتم[(٣)] " عَلَيْـهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ " وهى الإبل ، يقول: لم تقطعوا إليها شُقّة، ولم تنالوا فيها مشقة، ولم تكلفوا مُؤْنة[(٤)]، ولم تلقوا حربا. وإنمـا كانت بالمدينـة فمشوا إليها مشـيا ، ولم يركبوا خيـلا ولا إبلا إلا النبى

(١) فى أ : « يكن » .
(٢) ساقطة من أ، جـ .
(٣) أوضعتم : أسرعتم .
(٤) المؤنة : القوت .

صلى الله عليه وسلم ، فإنه ركب حملا فافتتحها صلحا ، وأجلاهم عنها وخزن أموالهم فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة ، فأنزل الله عز وجلّ الآية ، فجعل أموال بني النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ، وهم : أبو دُجانه سِماك بن خرَشة ، وسهل بن حُنيف ، والحارث بن الصِّمّة . قال : ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان ، أحدهما سفيان ابن عمير بن وهب ، والثاني سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها . روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : إن أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف[1] المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينفق على أهله منه نفقة سنته ، وما بقي جعله في الكُراع[2] والسلاح عُدّة في سبيل الله .

قوله تعالى : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : القرى هي قُرَيظة والنّضير ، وهما بالمدينة ، وفدَك ، وهي من المدينة على ثلاثة أميال ، وخَيبر ، وقُرى عُرَينة و ينْبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، يحكم فيها ما أراد ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسمها ؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية . قال : و«القربى» قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم بنو هاشم و بنو المطلب . وقوله : « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » أي بين

(١) كذا في جـ . وفي أ : « مالم يرجف » .

(٢) الكراع : أي جماعة الخيل .

الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبُعها لنفسه ، وهو المِرْباع، ثم يصطفى منها أيضا بعد المِرباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم : ٥٢/١٥

لك المِرباعُ منها والصَّفايا * وحكمُك والنَّشِيطةُ والفُضول(١)

فجعل الله تعالى [هذا](٢) لرسوله عليه السلام يقسمه فى المواضع التى أمر بها .

وقوله تعالى : «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ» أى ما أعطاكم من الفىء والغنيمة «وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ» من الغُلول وغيره «فانتهوا» .

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ يعنى كى لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولةً بين الأغنياء منكم ولكن يكون ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أى فى إيمانهم. قال قَتادة : هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حبًا لله ورسوله ، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة ، حتى ذُكر لنا أن الرجل كان يَعْصِب الحجر على بطنه ليقيم به صُلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دِثار غيرها .

وعن سعيد بن جُبير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبْزَى، قالا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة، يحج عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهما فى الزكاة .

(١) النشيطة : ما يغنمه الغزاة فى الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذى قصدوه . الفضول : ما فضل من الغنائم حين تقسم . وفى أ : «البسيطة» .

(٢) زيادة عن القرطبى يتطلبها المعنى .

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ قال: قوله «تَبَوَّءُوا» توطنوا «الدَّارَ» اتخذوا المدينة دار الإيمان والهجرة، وهم الأنصار، أسلموا فى ديارهم وابتنوا المساجد قبل قدوم النبىّ صلى الله عليه وسلم، فأحسن الله الثناء عليهم. وقوله: «مِن قَبْلِهِمْ» أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» أى حزازة وغيظا وحسدا «مِّمَّا أُوتُوا» أى مما أعطى المهاجرين من الفىء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار(١) منها شيئا إلا الثلاثة الذين ذكرناهم، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أى فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شىء من الغنيمة» فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا(٢) ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها. فأنزل الله عز وجل. «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» والشحّ فى كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

---

(١) فى أ: «المهاجرين»، وهو خطأ.

(٢) فى جـ: «من أموالنا وديارنا».

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ(١) رَحِيمٌ ﴾ قال آبن أبي ليلى : الناس على ثلاث منازل : الفقراء المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تكون خارجا من هذه المنازل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يعلم أنهم سيفتنون . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسببتموهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ . لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ نزلت هذه الآيات فى شأن عبد الله بن أبىّ ومن وافقه ٥٣/٥ فى إرسالهم لبنى النضير وقعودهم عنهم، كما تقدّم آنفا ، وقوله : « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ » يقول : يرهبونكم أشدّ من رهبتهم الله تعالى . « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ(٢) بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال، ولا يقاتلونهم إلا فى قرى محصنة، أو من

(١) فى أ ، ج : « غفور » وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : « جدار » . وهى قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وابن كثير ، وابن محيصن ، وأبو عمرو .

وراء جدار «بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» يعنى بعضهم فظّ على بعض، و بعضهم عدوّ لبعض، وعداوتهم بعضهم بعضا شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله . « تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى » قال قتادة : أهل الباطل مختلفة [أهواؤهم[1]، مختلفة شهاداتهم، مختلفة] أعمالهم، وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق . وقال مجاهد : أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعنى مثل هؤلاء اليهود «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» وهم مشركو مكة « ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» يوم بدر ؛ قال مجاهد وقال ابن عباس : يعنى بنى قَيْنُقَاع ؛ وقيل : مثل قريظة كمثل بنى النضير . ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود فى تخاذلهم فقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهى قصة بَرْصِيصَا العابد مع الشيطان .

ذكر قصة بَرْصِيصَا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى بسند يرفعه إلى ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى قوله تعالى : « كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ ٱكْفُرْ » الآية . قال :

كان راهب فى الفَتْرة يقال له برصيصا ، قد تعبد[2] فى صومعة له سبعين سنة ، لم يعص الله فيها طرفة عين، و إن إبليس أعياه فى أمره الحيل، فلم يستطع له بشىء، فجمع ذات يوم مَرَدة الشياطين ، فقال : ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا ؟ فقال الأبيض ، وهو صاحب الأنبياء ، وهو الذى تصدّى لرسول الله صلى الله عليه

---

(١) [illegible] ساقط من أ . (٢) فى أ : « تعبد الله » .

وسلم ، وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس إليـه على وجه الوحى ، فجاء جبريل حتى دخل بينهما ، فدفعه بيده دفعة هينة ، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند . فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك . فانطلق فتزيّن بزينة الرهبان ، وحلق وسط رأسه ، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا ، فناداه ، فلم يجبه برصيصا ، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا فى عشرة[1] أيام ، ولا يفطر إلا فى عشرة أيام ، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل صومعته ، فلما آنفتل برصيصا اطلع من صومعته . فرأى الأبيض قائما منتصبا يصلى فى هيئـة حسنة من هيئة الرهبان . فلما رأى ذلك من حاله تدبر فى نفسه حين لهى عنـه فلم يجبه . فقال له : إنك ناديتـنى وكنت مشغولا عنك ، فحاجتك[2] ؟ قال : حاجتى أنى أحببت أن أكون معـك فأتأدّب بك ، وأقتبس من علمك ، ونجتمع على العبادة . فتدعو لى وأدعو لك ؛ قال : إنى لفى شغل عنك ، فإن كنت مؤمنا فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيبا إن آستجاب لى . ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، فأقبل الأبيض يصلى ، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما بعدها ، فلما انفتل رآه قائما يصلى ، فلما رأى برصيصا شدّة اجتهاده ، وكثرة تضرعه وابتهـاله إلى الله عز وجل كلّمه ، وقال له : حاجتك؟ قال : حاجتى أن تأذن لى فأرتفع إليك . فأذن له ، فارتفع فى صومعته ، فأقام الأبيض معه حولا يتعبد ، لا يفطر الا فى كل أربعين يوما [ولا ينفتل عن صلاته إلا فى كل أربعين يوما][3] مرة ، وربما مدّ إلى الثمانين ؛ فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت[4] إليه نفسه ، وأعجبه شأنه ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا : إنى منطلق ، فإن لى صاحب ٥٤ / ١٥

(١) فى جـ : « فى كل عشرة أيام » . (٢) كذا فى الأصل . وفى القرطبى : « ما حاجتك ؟ » .
(٣) ما بين القوسين لم يذكر فى أ ، م . (٤) تقاصرت نفسه : تضاءلت .

غيرك، ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت . قال: فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقته للذى رأى من شــدّة اجتهاده ، فلما ودعه قال له الأبيض : إن عندى دعواتٍ أعلمكها تدعو بهن، فهن خيرلك ممـا أنت فيــه، يشفى الله بها السقيم ، ويعافى بها المبتلى والمجنون ؛ قال برصيصا : إنى أكره هذه المنزلة، لأن لى فى نفسى شغلا، و إنى أخاف إن علم بهذا الناس شغلونى عن العبادة؛ فلم يزل به الأبيض حتى علمه . ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال : قد والله أهلكت الرجل . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لرجل فخنقــه ، ثم جاءه فى صورة رجل متطبب، فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونا فأعالجه؟ فقالوا : نعم؛ فقال لهم : إنى لا أقوى على جنّيته ، ولكنى سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى ؛ فقالوا له : دلّنا . قال : انطلقوا إلى برصيصا ، فإن عنده اسم الله الذى إذا دعى به أجاب . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنــه الشيطان . وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذى فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافَون . قال : فانطلق الأبيض فتعرض لجـارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملِكا فمات فاستخلف أخاه ، وكان عمها ملك بنى إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم فى صورة رجل متطبب ، فقال لهم : أعالجها ؟ قالوا : نعم . فعالجها فقال : إن الذى عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردّونها[1] صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا : ومن هو؟ قال : برصيصا ؛ قالوا : وكيف لنا أن يقبلها منـا ويجيبنا إلى هذا ؟ هو أعظم شأنا من ذلك . قال: انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه ، ولكن

(١) كذا فى الأصل، ولعل صواب العبارة : «وتردونها صحيحة وقد ذهب عنها شيطانها» بتأخير الواو.

هذه الصومعة التي تبنون لزيقة صومعته ، فإن قبلها و إلا تضعونها[1] فى صومعتها، ثم قولوا له : هى أمانة عندك، فاحتسب فيها . قال : فانطلقوا إليـه فسألوه ذلك ، فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية فى صومعتها، وقالوا له : يا برصيصا ، هـذه أختنا قد عرض لهـا عدوّ من أعداء الله ، فهى أمانة عنـدك فاحتسب فيهـا . ثم انصرفوا، فلما انفتَـل برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمـال ، فأسقط[2] فى يده، ودخل عليـه أمر عظيم ، قال : فجاءها الشيطان فخنقها ؛ فلما رأى برصيصا ذلك انفتل عن صلاته ، فدعا بتلك الدعوات ،فذهب عنها الشيطان،ثم أقبل على صلاته ،ثم جاءها الشيطان فخنقها ، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض [بها[3]] لبرصيصا ، وجاءه الشيطان ، فقال : ويحك ! واقعها فلن تجد مثلها، فستتوب بعد، فتدرك ما تريد من الأمر الذى تريد؛ فلم يزل به حتى واقعها، فافترشها ، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطـان : ويحك ! قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب ؟ فإن سألوك فقل : جاء شيطانها فذهب بها ولم أقوَ عليـه . قال : ففعل . فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل ؛ فجاءه الشيطان وهـو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها ، فبـقى طرف إزارها خارجا فى التراب،ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبـل على صلاته ، فجاء إخوتها يتعاهدون أختهـم، وكانوا يجيئون فى بعض الأيام يسألون عنهـا ، و يطلبون إلى برصيصا و يوصونه بهـا ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : جاء شـيطانها فذهب بها ولم أُطقه . قال : فصـدّقوه وانصرفوا . فلما أمسوا وهم مكروبون ، جاء الشـيطان إلى كبيرهم

(١) كذا فى الأصل . ورفع الجزاء هنا جائز على ضعف . (٢) أسقط فى يده : تحير .

(٣) الزيادة من تفسير القرطبى (١٨ : ٣٨).

فى المنام ، فقال له : ويحك ! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ، وإنه دفنها فى موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا . فقال الأخ : هـذا حُلم وهو من عمل الشيطان ، برصيصا خير من ذلك . قال : فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث ، فآنطلق إلى الأوسط بمثل ذلك ، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر ، فلم يخبر به أحدا ، فآنطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا . فقال الأوسط : وأنا والله لقد رأيت مثله . وقال الأكبر : وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا ، فآنطلقوا بنا إلى برصيصا ؛ فأتوه ، فقالوا :
يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شيطانها ! ٥٥ / ١٥
فكأنكم اتهمتمونى . فقالوا : لا والله لا نتهمك . فاستحيوا منه وآنصرفوا عنه ، فجاءهم الشيطان فقال ، ويحكم ! إنها لمدفونة فى موضع كذا ، وإن طرف إزارها خارج من التراب . قال : فآنطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا فى نومهم ، قال : فمشوا فى مواليهم ، ومواليهم معهم الفؤس والمساحى[1] ، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وآنطلقوا به إلى الملك ، فأقر على نفسه ؛ وذلك أن الشيطان أتاه فقال : تقتلها ثم تكابر ، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة ؛ اعترف . فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أتاه الأبيض عيانا ، وذلك أن إبليس لعنه الله، قال للأبيض : وما يغنى عنك ما صنعت ؟ إن قتل فهو كفارة لما كان منه . فقال الأبيض : أنا أكفيكه . فأتاه فقال : يا برصيصا ، أتعرفنى ؟ قال : لا . قال : أنا صاحبك الذى علمك الدعوات فاستُجيبَ لك . ويحك ! أما اتقيت الله فى أمانة خنت أهلها ، وأنك أعبد بنى إسرائيل ! أَمَا استحيت ! أما راقبت الله فى دينك ! فلم يزل يعيره ويوبخه ، ثم قال له فى آخر ذلك : ألم يكفك

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد .

ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس ! فإن متّ على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك . قال : فكيف أصنع ؟ قال : تطيعنى فى خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، وآخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك . قال : وماهى ؟ قال : تسجد لى . قال : أفعل . فسجد له ، فقال[1] : يا برصيصا ، هذا الذى أردت منك ، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك ، إنى برىء منك ، إنى أخاف الله رب العالمين .

يقول الله تعالى : ﴿ فَكَانَ عاقِبَتَهما ﴾ يعنى الشيطان وذلك الإنسان . ﴿ أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وذَلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم ، أن يجلى بنى النضير من المدينة ، فدسّ المنافقون إليهم فقالوا : لا تجيبوا محمدا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم كنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم . قال : فأطاعوهم ؛ فدرّبوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فناصبوه الحرب ، يرجون نصر المنافقين ، فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله .

قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قوله : « اتَّقُوا اللهَ » أى فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » يعنى يوم القيامة .

---

(١) فى ا : « قال : برصيصا » .

قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ « نَسُوا اللهَ » أى نسوا حق الله وتركوا أوامره « فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ » [يعنى حظ أنفسهم] (١) أن يقدموا لها خيرا « أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » .

فقد أتينا — أكرمك الله — على تفسير ما أنزل من القرآن فى شأن بنى النضير مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار ، ولم نتعرض إلى ما سوى ذلك من التفسير .

ذكر غزوة بدر الموعد

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لهلال ذى القعدة ، على رأس خمسة وأربعين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم . حكاه محمد بن سعد .

وقال محمد بن إسحاق : كانت فى شعبان . وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع ، فتكون على رأس اثنين وأربعين شهرا من الهجرة، والأشبه ما قاله ابن سعد ، لأن الميعاد كان على (٢) رأس الحول من غزوة أحد ، وغزوة أحد كانت فى شوال على ما اتفقا عليه ، ولم يختلفا فى الشهر و إنما فى أيام ذكرناها هناك .

قال محمد بن سعد : لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم نُعَيم بن مسعود الأشجعى مكة ، فقال له أبوسفيان : إنى قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقى ببدر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جدب، و إنما يصلحنا عام خصب غَيْدَاق (٣)، ٥٦/١٥
وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترئ (٤) علينا، فنجعل لك عشرين فريضة (٥) يضمنها

(١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) فى جـ : « إلى » . (٣) غيداق : مخصب .
(٤) الفريضة : البعير المأخوذ فى الزكاة، سمى فريضة لأنه فرض واجب على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة فى غير الزكاة . (٥) فى أ : « يضمها » .

إليك سُهَيل بن عمــرو على أن تقدم المدينــة فتخذل أصحــابَ محمد . قال : نعم . فحملوه على بعير ، فأسرع السير حتى قدم المدينة ، فأخبرهم بجمع أبى سفيان [لهم][1] وما معه من العدّة والسلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لأخرجنّ و إن لم يخرج معى أحد .

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة ، والخيل عشرة أفراس ، وحمــل لواءه على بن أبى طالب ، وخرج المسلمون ببضائع وتجارات لهم ، وكانت بدر الصغرى مجتمَعا يجتمع فيــه العرب ، وسوقا تقوم لهلال ذى القعدة إلى ثمان تخلو منه ، ثم يتفرّق الناس إلى بلادهم .

فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بدر ليلة هلال ذى القعدة ، وقامت السوق صبيحة الهــلال فأقاموا بهــا ثمانية أيام ، وباعوا ما خرجوا به من التجارات ، فربحوا للدرهم درهما ، وانصرفوا ، وقــد سمع الناس بمسيرهم ، وخرج أبو ســفيان بن حرب من مكة فى قريش ، وهم ألفــان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا إلى مَجَنَّة[2] — وهى مرّ الظهران — ومنهــم من يقول : بلغوا عُسْفان[3] . ثم قال : ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب غَيْداق ، نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن ، وعامكم هــذا عام جدب ، وإنى راجع فارجعوا . فسمى أهــل مكة هذا الجيش جيش السّويق ، يقولون : خرجوا يشربون السويق . قال : وقدم معبد ابن أبى معبد الخُزاعى مكة بخبر مسير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ، فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان : قد نهيتك يومئذ أن تعــد القوم وقد اجترءوا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم .

---

(١) ساقطة فى ا . (٢) كذا فى الأصل . وفى المواهب : «مجنة : ناحية الظهران» . وفى معجم البلدان : «وقال الأصمعى : وكانت مجنة بمر الظهران» . (٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

وقال عبد الله بن رواحة :

وعدنا أبا سفيان وعدا فلم نجد[1] * لميعاده صدقا وما كان وافيا

فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا * لأبت ذميما وافتقدت المواليا[2]

تركنا به أوصال عتبة وابنه * وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا[3]

عصيتم رسول الله أف لدينكم * وأمركم السيء[4] الذى كان غاويا

فإنى وإن عنفتمونى لقائل * فدى لرسول الله أهلى وماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره * شهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة .

وأنزل الله عز وجل فى شأن هذه الغزوة قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ .

قال السدى : لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للسير إلى بدر لميعاد أبى سفيان أتاهم المنافقون فقالوا : نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم فعصيتمونا، وقد أتوكم فى دياركم [فقاتلوكم][5] وظفروا، فإن أتيتموهم فى ديارهم لا يرجع منكم أحد. فقالوا : «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فالناس فى هذه الآية أولئك المنافقون . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى سفيان، فقالوا : قد جمعوا لكم جموعا

(١) فى سيرة ابن هشام : « بدرا » . (٢) الموالى : جمع مولى، وهو القريب والجار والحليف . (٣) ثاويا : مقيما . (٤) البىء : المنكر . (٥) ساقطة فى ا .

كثيرة فاخشوهم ؛ فقالوا : «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» . فأنزل الله عز وجل «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ » يعنى أبا سفيان وأصحابه « قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ » تخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم «فَزَادَهُمْ إِيمَانًا»(١) يعنى تصديقا ويقينا وجرأة وقوة . وقوله : « فَانْقَلَبُوا » فانصرفوا ورجعوا « بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ » أى بعافية لم يلقوا بها عدوا ، وبرأت جراحتهم «وَفَضْلٍ»(٢) أى ربح وتجارة ، وهو ما أصابوا من السوق فربحوا «لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ» لم يصبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم(٣) أذى ولا مكروه «وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ» فى طاعة الله وطاعة رسوله(٤) صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا : هل يكون هذا غزوا ؟ فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم . «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» . ٥٧/١٥

[ثم](٥) قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى ذلك الذى قال لكم : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ؛ من فعل الشيطان ألقى فى أفواههم لترهبوهم وتجبنوا عنهم « يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ »(٦) أى يخوفكم بأوليائه ، يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين ، قال السدى : يعظم أولياءه فى صدوركم لتخافوهم . وقرأ عبد الله بن مسعود « يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ » قال : وكان أبى بن كعب [يقرأ](٧) « يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ » « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ » فى ترك أمرى « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » مصدقين بوعدى فإنى متكفل لكم بالنصر والظفر .

---

(١) فى ج : « فزادهم ذلك إيمانا » .

(٢) فى أ : « وهم » .

(٣) فى أ : « لا ينلهم » .

(٤) فى أ : « رسول الله » .

(٥) ساقطة من أ .

(٦) فى أ : « يخوفكم » .

(٧) ساقطة من أ .

ذكر غزوة ذات الرِّقاع[(١)]، وخبر صلاة الخوف

وقصة غورث بن الحارث المحاربى، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف فى تسمية ذات الرقاع، فقيل: جبل فيه بقع حمر و بيض وسود. وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم. وقيل: ذات الرقاع، شجرة بذلك الموضع. وفى صحيح البخارى أنهم نقِبت[(٢)] أقدامهم، فلفّوا عليها الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع. والله أعلم.

قال محمد بن سعد: كانت فى المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجره صلى الله عليه وسلم. وقال ابن إسحاق: كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة بنى النضير فى جمادى الأولى، فتكون على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة، واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفارىّ، ويقال: عثمان بن عفان. ولم يقل ابن سعد غير[(٣)] عثمان رضى الله عنه.

وذلك أن قادما قدم المدينة بجَلَب[(٤)]، فأخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أنمارا وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم فى أربعمائة، ويقال: سبعمائة من أصحابه؛ فمضى حتى أتى محالّهم بذات الرقاع — وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد وبياض — فلم يجد فى محالّهم أحدا إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رءوس الجبال، وحضرت الصلاة، فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف.

---

(١) غزوة ذات الرقاع: هى غزوة محارب، وغزوة بنى ثعلبة، وغزوة بنى أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٢) نقبت أقدامهم: رقت جلودها من المشى.

(٣) فى أ: «عن».

(٤) الجلب: ما جلب من خيل و إبل ومتاع.

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : صلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ، ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدوّ ، فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلم . وروى عنه أيضا من طريق آخر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأوّل ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأوّل وتقدّم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين ، وركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين . هكذا روى عن جابر فى صلاة الخوف بذات الرقاع .

وروى ابن هشام أيضا بسنده إلى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، فى صلاة الخوف ، ولم يذكر ذات الرقاع ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلى عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدوّ ، ويتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

ذكر خبر غَوْرَث[1] بن الحارث المحاربىّ

لما أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فحماه الله منه وأمكن نبيه صلى الله عليه وسلم من عدوّه وعفوه عنه

٥٨/١٥ وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . وكان رسول

(١) كذا ضبط فى جـ ، ووافقه على ذلك صاحب شرح المواهب اللدنية . ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة . وحكى الخطابى : غويرث بالتصغير . ب

الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يَقيل تحتها، فأتاه فاخترط[1] سيفه، ثم قال: من يمنعك منى؟ فقال: الله. فأُرعدت يد غورث، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس. ومن رواية الخطابى: أن غورث ابن الحارث المحاربى أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه، منتضيا[2] سيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اكفنيه بما شئت». فانكبّ غورث من وجهه من زُلّخة[3] زُلِّخها بين كتفيه، وندر[4] سيفه من يده، وقيل: فيه نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية. وقيل: نزلت فى غير هذه القصة.

ذكر خبر جابر بن عبد الله فى جَمَله، واستغفار النبى صلى الله عليه وسلم لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نَخْل[5] على جمل لى ضعيف، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعلت الرّفاق تمضى، وجعلت أتخلّف، حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مالك ياجابر»؟ قلت: يا رسول الله، أبطأ علىّ جملى هذا، قال: «أنخه»[6]؛ فأنختُه، وأناخ رسول الله صلى الله

(١) اخترط السيف: استله من غمده. (٢) منتضيا: مستلا. (٣) فى هامش جـ: الزلخة: وجع الظهر. وفى لسان العرب: يقال: رمى الله فلانا بالزلخة، بضم الزاى وتشديد اللام وفتحها، وهو وجع يأخذ فى الظهر لايحرك الإنسان من شدته، ويروى بتخفيف اللام. وفى الأصل: «زلجة» وهى رواية خطأها صاحب اللسان. (٤) ندر: سقط. (٥) نخل: موضع بنجد من أرض

عليه وسلم ، ثم قال : أعطنى هـذه العصا من يدك، أو اقطع لى عصا من شجرة؛ قال : ففعلت . فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب . فركبت، فخرج — والذى بعثه بالحق — يُواهق[1] ناقته مواهقة .

قال : وتحدّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتبيعنى جملك هذا يا جابر» ؟ قلت : يا رسول الله، بل أهبه لك؛ قال : «لا، ولكن بِعْنيه»؛ قال : قلت : فسُمْنيه؛ قال : «قد أخذته بدرهم»؛ قلت : لا، إذا تغبنى[2] يا رسول الله! قال : «فبدرهمين»؛ قلت : لا . فلم يزل يرفع[3] لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقيّة؛ قلت : فقد رضيت؟[4] قال : «نعم»؛ قلت : هو لك؛ قال : «أخذته» . ثم قال : «يا جابر، هل تزوّجت بعد»[5] ؟ قلت : نعم يا رسول الله؛ قال : « أثيّبا أم بكرا» ؟ قلت : بل ثيّبا؛ قال : «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك» ؟ قلت : يا رسول الله، إن أبى أصيب يوم أحد ، وترك بنـات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهن وتقوم عليهن؛ قال : «أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو جئنا صرارا[6] أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسَمِعتْ[7] بنا، فنفَضتْ نمارقها» . قلت : يا رسول الله ما لنـا من نمارق؛ قال : «إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيّسا» .

فلما جئنا صِرارا أمر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بجزور فنحرت ، وأقمـا عليهـا يومَنا ذاك ، فلما أمسى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم دخل ودخلْنا ؛ قال : فحدّثت المرأة الحديث وما قال لى رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم، قالت :

---

(١) يواهق ناقته : أى يباريها فى السير ويماشيها . (٢) فى أ : «تغنى» وهو تحريف . وفى الروض الأنف : «تغبننى» . (٣) فى أ : «يدفع» . (٤) كذا فى أ ، ج . وفى ابن هشام : «أفقد رضيت يا رسول الله» ؟ . (٥) فى أ : «قد» . (٦) صرار : بئر على ثلاثة أميال من المدينة كما سيأتى للؤلف . (٧) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

فدونك، فسمعٌ وطاعة . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، [ثم جلستُ فى المسجد[1] قريبا منه، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم] فرأى الجمل، فقال : «ماهذا» ؟ قالوا : هذا جمل جاء به جابر، قال : «فأين جابر» ؟ فدُعيتُ له، فقال : «يآبن أخى خذ برأس جملك فهو لك» ودعا بلالا فقال له : «اذهب بجابر فأعطه أوقيّة» . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئا يسيرا . قال : فوالله مازال يَنْمِى عندى ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ؛ يعنى يوم الحَرّة[2] .

وقال محمد بن سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جابرا عن دَين أبيه فأخبره، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة . قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جِعال[3] بن سُراقة بشيرا إلى المدينة بسلامته وسَلامة المسلمين، وقدم صِرارا يوم الأحد لخمس بقين من المحرّم — وصِرار ٥٩ / ١٥ على ثلاثة أميال من المدينة، وهى بئر جاهلية على طريق العراق — وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذكر غزوة دُومة الجَنْدل

وهى بضم الدال ؛ سميت بدُومى[4] بن إسماعيل لأنه كان نزلها، وهى غير دَومة التى بفتح الدال

(١) مابين القوسين ساقط من أ . (٢) يشير إلى وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد آبن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى . راجع الروض الأنف جـ ٢ ص ١٨٤ (٣) كذا فى ابن سعد والمواهب، والإصابة، وأسد الغابة . وفى القاموس وابن هشام والطبرى «جعيل» . راجع الاختلاف فى هذا الاسم فى الإصابة وأسد الغابة . وفى الأصول : «جوال» . وهو تحريف .

(٤) كذا فى الأصول، والمواهب اللدنية . وفى معجم البلدان : «سميت بدوم بن إسماعيل، وقال الزجاجى : دومان بن إسماعيل . وقيل : كان لإسماعيل ولد اسمه دما، ولعله مغير منه . وقال ابن الكلبى : دوماء بن إسماعيل» .

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجَره، وذلك أنه(١) بلغه صلى الله عليه وسلم أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من مرّ بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة — وهى طَرَف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة — فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، واستخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفارى، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول فى ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويَكمُنُ النهار، ومعه دليل من بنى عُذرة، يقال له : مذكور ؛ فلما دنا منهم إذاهم مغرِّبون، وإذا آثار النَّعم(٢) والشاء، فهجم على ماشيتهم ورِعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب . وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل ، فتفرقوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم ، فلم يجد بها أحدا ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا وفرقها ، فرجعت ولم تصب منهم أحدا(٣) وأخذ منهم رجل واحد، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهم؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يَلْق كيدا .

وفى هذه الغزوة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُيَينة بن حِصْن أن يرعى بتغلَمين(٤) وما والاه إلى المراض(٥) ، والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة على طريق الرَّبَذة .

---

(١) فى : أ «أنه» . (٢) المراد بالنعم هنا الإبل . (٣) كذا فى الأصول . وفى رواية المواهب اللدنية : « ولم يصب منهم أحد » . (٤) كذا فى الطبرى ، وطبقات ابن سعد ، ومعجم البلدان ، والقاموس . وفى الأصل : « بثعلبين » وهو تحريف « وتغلمين من المراض على ميلين » . (٥) زيد فى ابن سعد فى هذا الموضع ما يأتى : « وكان ما هناك قد أخصب ، وبلاد عيينة قد أجدبت » .

ذكر غزوة بنى المُصْطَلِق، وهى غزوة المُرَيْسيع (١)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان سنة خمس من الهجرة . حكاه محمد بن سعد .

وقال ابن إسحاق : كانت فى شعبان سنة ست ؛ وجعلها بعد غزوة ذى قَرَد .

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبى ضرار سيّد بنى المصْطَلِق سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب، ودعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيئوا للسير، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيدة بن الحُصَيب الأسلمى للوقوف على حقيقة الخبر، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالخبر، فندب صلى الله عليه وسلم الناس ، فأسرعوا فى الخروج ، وقادوا الخيول، وهى ثلاثون فرسا ، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأنصار، وخرج معه خلق كثير من المنافقين ، لم يجتمعوا فى غزاة قط مثلها، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة . وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذرّ الغِفارى . قال : ويقال : نُميلة بن عبد الله الليثى . قال ابن سعد : وكان معه صلى الله عليه وسلم فرسان : لِزاز، والظَّرِب، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، فبلغ الحارثَ بن أبى ضرار ومن معه مسيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتفرّق عنه من كان معه من العرب وخافوا خوفا شديدا، وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المُرَيْسيع —وهو ماء لبنى المصطلق بينه وبين الفُرْع نحو من يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرُد— فنزل به وضرب قُبّته، ومعه صلى الله عليه وسلم من نسائه أمّهات المؤمنين رضى الله عنهنّ عائشة ، وأم سلمة ، وتهيئوا للقتال، وصفّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابَه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبى بكر ٦٠/١٥

(١) المصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو، لقب بذلك لحسن صوته ، وكان أوّل من غنى من خزاعة .

الصدّيق رضى الله عنه، وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة ، فتراموا بالنَّبْل ساعة ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملةَ رجلٍ واحد ، فما أفلت من القوم إنسان ، قتل منهم عشرة، وأسر سائرهم ، وسُبِيت النساء والذّرارى ، وغنمت النعم والشاء، ولم يَستشهَد من المسلمين إلّا رجل واحد، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسارى فكُتفوا، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب ، وأمر بجمع الغنائم فجمعت، واستعمل عليها شُقْران مولاه ، وقسم السبي والنعم والشاء، فعُدلت الجزور بعشر من الغنم ، و بيعت الرِّثَّة (١) فيمن يريد (٢)، قال : وكانت الإبل ألفى (٣) بعير والشاء خمسة آلاف شاة، والسبي مائتى أهل بيت ، وصارت جويرية بنت الحارث ابن أبى ضِرار فى سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له (٤)، فكاتباها على تسع أواق من ذهب، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابتها، فأدّى (٥) عنها ، وتزوجها على مانذكر ذلك إن شاء الله فى أخبار أزواجه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكان من السبي من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، ومنهم من أُفدى ، فافتــديت (٦) المرأة والذرّية بست فرائض ، وقــدموا المدينة ببعض السبي، فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم، فلم تبق امرأة من بنى المصطلق إلّا رجعتْ إلى قومها . وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور أمت أمِت، وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاته هذه ثمانية وعشرين يوما ، وقدم المدينة لهلال رمضان .

---

(١) الرثة : ردىء المتاع، وأسقاط البيت من الخلقان . (٢) فى الطبقات : « يريد » .
(٣) فى أ : « التى تغير » وهو تحريف . (٤) فى أ : « لها » .
(٥) فى جـ : « فأداها » . (٦) كذا فى ابن سعد . وفى الأصول : «فافتدت» .

وفى هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبىّ بن[1] سلول المنافق بما تكلم به من قوله : ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ . ووقع حديث الإفك، وقد قدمنا ذكر ذلك كله فى حوادث السنين بعد الهجرة، فى حوادث السنة الخامسة .

ذكر غزوة الخندق ، وهى غزوة الأحزاب

كانت فى ذى القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قاله ابن سعد . وقال ابن إسحاق : كانت فى شوّال .

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام ، رحمهم الله تعالى ، دخل حديثُ بعضهم فى حديث بعض ، قالوا : لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير وساروا إلى خيبر ، خرج نفر من أشرافهم ووجوههم، منهم سلام بن أبى الحُقَيق ، وحُيىّ بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمّار الوائلى، فى نفر من بنى النضير، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا مكة على قريش[2] ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ؛ فقالت قريش لهم : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا[3] خير أم دينه ؟ فقالوا : بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه . فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ[4] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

(١) فى ا : « ابن أبى سلول » . (٢) فى ا : « لنا » . (٣) فى ا : « فديننا » .
(٤) الجبت والطاغوت : كل معبود من دون الله .

اللهُ ومَنْ يلعنِ اللهُ فلَنْ تجِدَ لهُ نصيراً . أَمْ لهمْ نصيبٌ مِنَ المُلْكِ فإذًا لا يُؤْتونَ
النّاسَ نقيرًا . أَمْ يحسُدونَ النّاسَ على ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فضلِه فقدْ آتينا آلَ إبراهيمَ
الكتابَ والحكمةَ وآتيناهُمْ مُلكًا عظيمًا . فمِنْهُمْ مَنْ آمنَ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ صدَّ عنهُ
وكفى بجهنّمَ سعيرًا) قالوا : فلما قالت اليهود [ذلك](١) لقريش سرّهم ونشطوا لما
دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك، ثم خرج
أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان وسُليما ، ودعوهم إلى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأعلموهم(٢) أن قريشا قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم(٣) واجتمعوا ٦١/١٥
معهم ؛ فتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب ، وكانوا أربعة
آلاف ، وعقدوا اللواء فى دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ،
وقادوا معهم ثلثمائة فرس ، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير ، وخرجوا يقودهم
أبو سفيان بن حرب ، ووافتهم بنو سليم بمَرّ الظَّهْران، وهم سبعمائة ، يقودهم
سفيان بن عبد شمس ، حليف حرب بن أمية ، وهو أبو أبى الأعور السُّلَمى الذى
كان مع معاوية بصفّين، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدى،
وخرجت غطفان وفزارة ، معهما ألف بعير ، يقودهم عُيينة(٤) بن حِصْن بن حذيفة
ابن بدر ، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبى حارثة
المرّى، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مِسعر(٥) بن رُخيلة بن نُويرة بن طَريف،
وخرج معهم غيرهم .

(١) ساقطة من أ . (٢) فى أ : « فأعلموهم » . (٣) فى أ : « فأجابوا » .

(٤) عيينة هذا هو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : «الأحمق المطاع» . لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة ، وقال فيه أيضا : «إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره» . وفى رواية : «إنى أداريه لأنى أخشى أن يفسد علىّ خلقا كثيرا » . وسمى عيينة لشتر كان بعينيه ، واسمه حذيفة . راجع المواهب جـ٢ ص ١٢٥ . (٥) فى الطبقات، وشرح المواهب : «مسعود» وقد ذكر الطبرى الوجهين .

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة عساكر ، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فُصولُهم(١) من مكة ندب(٢) الناس ، وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم فى أمرهم ، فأشار عليه سلمان الفارسيّ بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سفح سَلْع(٣) ، وجعل سلعا خلف ظهره ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، فعملوا وجدّوا فى العمل ودأبوا(٤) ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى ذلك العمل رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يورّون(٥) بالضعف من العمل ، و يتسللون إلى أهليهم بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة ، ذكرها لرسول الله صلّى الله عليه وسلم واستأذنه ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله فى الخندق ، فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى فى المنافقين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا(٦) فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

(١) فصولهم : خروجهم . (٢) فى الأصول : « نذر » وهو تحريف .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . (٤) كذا فى جـ . وفى ا : « ودأبوا فى العمل » .

(٥) يورون بالضعف من العمل : أى يخفون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف . وفى المواهب : « بالضعف عن العمل » .

(٦) فى هامش جـ : « اللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب » .

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

قال : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه. روى محمد بن سعد [بسند](١) يرفعه إلى سهل بن سعد قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا ، فقال(٢) صلى الله عليه وسلم : «لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة(٣)» . وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل معنا التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول :

لَاهُمَّ(٤) لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدَّقْنا ولا صلّينا
فأَنْزِلَنْ سكينةً علينا * وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنا
إنَّ الأُولَى لقد(٥) بَغَوا علينا * إذا أرادوا فتنةً أَبَيْنا

[أبينا](٦) يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته ، ومنها ما يتعيّن ذكره ها هنا ، وهو ماحكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال :

(١) ساقطة من أ . (٢) فى أ : « فقال رسول الله » .

(٣) كذا فى جـ، وطبقات ابن سعد . وفى أ : «والمهاجرين» . وهذا القول من كلام عبد الله ابن رواحة ، تمثل به عليه الصلاة والسلام . راجع الروايات المختلفة فى صيغته ، وفى كونه شعرا أو غير شعر فى جـ ٢ ص ١٢٧ من المواهب . (٤) كذا فى ابن سعد الذى نقل عنه المؤلف . وفى الأصول : « اللهم » . والشعر لعبد الله بن رواحة ، ارتجز به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) فى الأصول : «قد» . وما أثبتناه رواية ابن سعد الذى نقل عنه المؤلف . وفى هذه الأبيات روايات كثيرة تجدها فى جـ ٢ ص ١٢٨ من المواهب اللدنية .

(٦) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفى المواهب : أنه كان يمد صوته باللفظة الأخيرة لا بالجميع .

اشتدت على الناس فى بعض الخندق كُدْيَة[1] ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيــه ، ثم دعا بمـا شاء الله أن يدعو ، ثم نضح
ذلك المـاء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثـه بالحق لَآنهالت
حتى عادت[2] كالكثِيب ، لا ترُدّ فأسا ولا مِسحاة . ٦٢/١٥

قالوا : وفرغوا من حفر الخنــدق فى ستّة أيام ، وكانوا يعملونــ فيه نهارا وينصرفون ليلا ، ورفع رسول الله صلّى الله عليه وسلم النساء والصبيان فى الآطام ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الآثنين لثمان مضين من ذى القعدة ، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة . وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها ، وآجتمع إليها بعد فراغ الخندق ، فصار الخندق بين رســول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وظهور المسلمين إلى سَلْع ، وخرج حُيَيّ ابنــ أخطب حتى أتى كعب بن أســد القرظى ، صاحب[3] عقــد بنى قريظة ، وكان قد وادع رســول الله صلى الله عليه وســلم على قومه وعاقده ، فأغلق كعب دون حُيي باب حصــنه ، وأبى أن يفتح له ، فناداه حييّ : ويْحك يا كعب ! افتح لى . قال : ويحــك ! إنك آمرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . فعاوده مرارا ، وهو يأبى عليــه حتى [قال له حُيّ][4] : والله إنــ[5] أغلقت دونى إلا عن جَشِيشتك[6] أن آكل معــك[7] .

(١) الكدية : الحجر الصلد الضخم ، والشىء الصلب بين الحجارة والطين ، والأرض الغليظة .

(٢) فى ا : «عاد» . (٣) فى ا : «، صاحب» . (٤) مابين القوسين ساقط من ا .

(٥) فى ا : «إنى» . (٦) الجشيشة : واحدة الجشيش ، وهو أن تطحن الحنطة طحنا جليلا ، ثم تنصب به القدر ويلق عليها لحم أو تمر فيطبخ ، ويقال لها : دشيشة .

(٧) كذا وردت هذه العبارة فى ا ، خ . وفى المواهب : «والله إن أغلقت دونى إلا تخوفا على جشيشتك أن آكل معك منها» .

فأحفظه(١) ذلك، ففتح له، فقال : ويحك يا كعب! جئتك بعزّ الدهر و ببحرٍ طامٍ(٢)، جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ، [ومن دونه(٣)] غطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنَب(٤) نَقَمى على جانب أُحُد ، وقد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه . فقال له كعب : جئتنى والله بذلّ الدهر ، و بجهام(٥) قد هَرَاق ماءَه، يرعد و يبرق ، ليس فيه شىء، و يحك يا حُيىّ ! فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل به حُيى حتى سمح له ، أن أعطاه(٦) عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد(٧) عهده ، و برئ مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى المسلمين وصحّ ذلك عنده كبّر، وقال : « حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ » قال : ونجم النفاق وفشل الناس، وعظم البلاء ، وآشتدّ الخوف ، وخيف على الذرارىّ والنساء ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سلمة بن اسلم فى مائتى رجل ، وزيد بن حارثة فى ثلثمائة يحرسون المدينة و يظهرون التكبير ، وذلك أنه كان يخاف على الذرارى من بنى قُريظة ، وكان

---

(١) احفظه : أغضبه . (٢) طام : مرتفع ؛ يريد كثرة الرجال . (٣) التصويب من المواهب ، وفى الأصول : «من رومة» وهو تحريف . (٤) فى أ : « فى نقمى » وهو تحريف . (٥) الجهام : السحاب لا ماء فيه . (٦) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل . وفى المواهب : « وأعطاه عهدا على أنه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك ، يصيبنى ما أصابك » . (٧) كذا فى الطبرى ، وابن هشام . وفى الأصل : « راشد » .

عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وجاء العدو لا يزولون يتقبون خندقهم ويحرسونه ، والمشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب فى أصحابه يوما ، ويغدو خالد بن الوليد يوما ، [ويغدو[1] عمرو بن العاص يوما] ، ويغدو هبيرة بن أبى وهب يوما ، ويغدو ضرار بن الخطّاب الفهرى يوما ، فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويجتمعون مرّة ويتفرقون أخرى ، ويناوشون أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدّمون رماتهم فيرمون ، فرمى حِبَّانُ بن العَرِقة سعدَ بنَ معاذ بسهم فأصاب أَكْحَلَه[2] ، فقال : خذها وأنا ابن العَرِقة . ويقال : رماه أبو أسامة الجُشَمى .

قال ابن هشام : ولما اشتدّ على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُيينة بن حِصن بن حُذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرّى ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى [بينه[3] و] بينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عُبادة فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمر تحبّه فتصنعه ، أم شىء أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به ، أم شىء تصنعه لنا ؟ قال : بل شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم[4] من كلّ جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ا .
(٢) الأكحل : عرق فى وسط الذراع يكثر فصده .
(٣) ساقطة من ا .
(٤) كالبوكم أى اشتدوا عليكم .

كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم ٦٣/١٥ لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِراء(١) أو بيعا، أَفَحِين(٢) أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا ! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدوا علينا .

قال ابن سعد : ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدوا يوما ، فغَدَوْا جميعا ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مَضيقا من الخندق يقتحمون خيلهم(٣) إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقيل لهم : إن معه رجلا فارسيا، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فمن هناك إذًا ، فصاروا إلى مكان ضيّق أغفله المسلمون ، فعبَر منه عكرمةُ بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطّاب، وهُبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد وُدّ [فجعل(٤) عمرو بن عبد ودّ] يدعو إلى البراز، ويقول :

ولقد بححْتُ من النداء * ء بجمعهم هل من مُبارِزْ

وكان ابن تسعين سنة ، فبرز إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال له : يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلّا أخذتها منه؛ قال له : أجل . قال له(٥) : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال : لاحاجة لى بذلك؛ قال : فإنى أدعوك إلى النّزال؛ قال : يابن

(١) القراء : ما يقدّم للضيف من الطعام . (٢) فى أ : « فحين » .
(٣) كذا فى أ ، جـ . وفى ابن سعد : « يقحمون منه خيلهم » .
(٤) ما بين القوسين ساقط من أ . (٥) ساقطة من جـ .

أخى ، فوالله ما أحبّ أن أقتلك ؛ فقال له علىّ : ولكنى والله أحبّ أن أقتلك ؛ فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق . وألقى عكرمة بن أبى جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو . فقال حسّان بن ثابت :

فرّ وألقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل
وولّيت تعدو كعدو الظّليـ[1] * ـم ما إن تجور[2] عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستأنسا * كأنّ قفاك قفا فرعل[3]

قال ابن سعد : وحمل الزبير بن العوّام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقّه باثنتين ، ثم اتّعدوا أن يغدوا[4] من الغد ، فباتوا يعبّون[5] أصحابهم ، وفرّقوا كتائبهم ، ونحّوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فقاتلوهم يومهم ذاك إلى هُوِىّ[6] من الليل ، ما يقدرون أن يزولوا من موضعهم ، ولم يصلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى كشفهم الله تعالى ، فرجعوا متفرّقين إلى منازلهم وعسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى قبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأقام أُسيد بن حُضير على الخندق فى مائتين من المسلمين ، وكرّ خالد بن الوليد فى خيل من المشركين يطلبون غرّة من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وحشىّ ، فزرق الطفيلَ بن النعمان بمزراقه فقتله وانكشفوا ، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبّته فأمر بلالا فأذّن وأقام للظهر فصلّى ، ثم بعد

(١) الظليم : ذكر النعام . (٢) كذا فى ابن هشام . وفى جـ : « وما إن تحور » .
(٣) فى هامش جـ : « الفرعل : صغير الضباع » . (٤) فى أ : « إلى أن يغدوا » .
(٥) كذا فى جـ . وفى أ : « فيأتون » . (٦) هوى من الليل : ساعة منه ، أو نحو ثلثه أو ربعه .

ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال : «شغلونا عن الصلاة الوسطى — صلاة العصر — ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا» . ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدَعون الطلائع بالليل طمعا فى الغِرّة ، قال : وحُصر رســول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر .

ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة[1] بن الأشجع ابن رَيْث بن غطفان أتى رســول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمُرْنى بما شئت ؛ فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل[2] عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة» . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديما فى الجاهلية، فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودّى إياكم ، وخاصّةَ ما بينى وبينكم ؛ قالوا : صدقت، لست عندنا بمتّهم؛ فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقــدرون على أن تحلوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزة[3] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم[4]، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنا[5] من أشرافهم، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ؛ قالوا : لقد أشرت علينا بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشا ،

---

(١) كذا فى الأصول، وفى أسد الغابة، والإصابة . وفى ابن هشام : «خلاوة» . وجاءت الروايتان فى الطبرى . (٢) تخذل عنا أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا . (٣) النهزة : انتهاز الشىء، وهو اختلاسه . (٤) فى أ : «ببلادكم» . (٥) فى ج : «رهناء»

فقال لأبى سفيان ومن معه : قد عرفتم ودّى لكم وفراق محمّدا، و إنه قد بلغنى أمر قد رأيت منه علىّ حقا أن أبلّغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عنى ؛ قالوا : نفعل؛ فما هو؟ قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ [لك](١) من القبيلتين : قريش وغطفان ، رجالا من أشرافهم ، ونعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم : نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان، إنكم أهلى وعشيرتى، وأحبّ الناس إلىّ، ولا أراكم تتّهمونى(٢)؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتموا عنى؛ قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذّرهم ما حذّرهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عِكرمةَ بن أبى جهل، فى نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخفّ والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ فيما بيننا و بينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رُهُنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضرستكم(٣) الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا(٤) إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش

(١) ساقطة من ا . (٢) حذفت نون الرفع هنا وهو جائز على قلة .

(٣) ضرستكم أى نالت منكم كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .

(٤) تنشمروا : أى تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

وغَطَفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لَحَق ، فأرسَلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ؛ فقالت بنو قُرَيْظَة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذَكر لكم نعيمُ ابنُ مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصةً آنتهزوها ، وإن كان غير ذلك آنشَمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل . فأرسلوا إلى قريش وغَطَفان : إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهنا . فأبَوْا عليهم، وقال أبو سفيان: ألا أرانى أستعين بإخوة القِردة والخنازير ! فوقع الآختلاف والخذْلان بينهم ، وبعث الله عزّ وجلّ عليهم ريحا فى ليلة شاتية شديدةِ البَرْد، فكفَأَت القدور وطرحت الأبنية .

فلما آنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بينهم من الآختلاف أُرسل حُذيفة بن اليمان إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال حذيفة : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا حذيفة، اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحدِثَنّ شيئا . فذهبتُ فدخلتُ فيهم ، والريحُ وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقِرّ لهم قِدْرا ولا نارا ولا بناءً . فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش ، لينظر آمرؤ مَن جليسُه؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى، فقلت: من أنت؟ فقال : فلان ابن فلان . ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، ولقد هلك الكُراع[1] والخُفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الرِّيح ماترون ، فآرتحلوا فإنّى مرتحل . ثم قام إلى جَمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثَب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ ألّا أحدث شيئا

(١) الكراع : الخيل .

٦٥/١٥ حتى آتيه ، ثم لو[1] شئت ، لقتلته بسهم . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر . وسمعتْ غَطَفان ما فعلتْ قريش ، فانشَمَروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح . وكان شعار المسلمين فى غزوة الخندق (حَمٓ لا ينصرون) .

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه : لن تغزوَكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنّكم تغزوهم[2] . فكان كذلك .

قال ابن سعد : وكانت مدّة الحصار خمس عشرة ليلة، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس . وقد ذكرنا ما قاله غيرُه فى ذلك .

ذكر تسمية من استُشهد من المسلمين فى غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى : واستشهد من المسلمين فى غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بنى عبد الأشهل، قتله خالد بن الوليد؛ وعبد الله بن سهل[3] الأشهلىّ، وثعلبة بن عَنَمة بن عدىّ، قتله هبيرة بن أبى وهب؛ وكعب بن زيد

(١) « لو » ساقطة من جـ وابن هشام ؛ وما أثبتناه عن أ .

(٢) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل ، وهو جائز على قلة . وقال الدماميني : إنه شاذ . وقال فى المسع : لايقاس عليه فى الاختيار .

(٣) كذا فى أسد الغابة، والاستيعاب ؛ والطبقات وفى كلا الأصلين : « سهيل » .

من بنى دينار، قتله ضرار بن الخطّاب[1] . وسعد بن معاذ مات من جراحة بعد بنى قريظة، والطُّفَيل بن النعمان بن جُشَم

وقتل من المشركين أربعة نفر وهم : عثمان بن أمية بن مُنبّه بن عُبيد بن السبّاق من بنى عبد الدار بن قصىّ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، وعمرو بن عبد وُدّ، ويقال : وابنه حِسْل بن عمرو، قتلهما على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ذكر ما أُنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من القرآن فى غزوة الخندق وما ورد فى تفسير ذلك

أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله — صلّى الله عليه وسلّم — فى أمر الخندق والأحزاب قولَه تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ قال أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبى رحمه الله : قوله : « إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ » يعنى الأحزاب: قريش وغَطَفان ويهود قُرَيظة والنَّضير. « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا » قال: وهى الصَّبا[2]. قال عكرمة : قالت الجَنوب للشَّمال ليلةَ الأحزاب : انطلق بنُصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشَّمال : إن الحرّة[3] لا تسرى بالليل؛ وكانت الريح التى أرسلت

(١) رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم فقطع أكحله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتفخت يده ونزفه الدم ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى فى بنى قريظه . فاستمسك عرقه ، فما قطر قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه ، وكان حكمه فيهم أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله فيهم . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات رحمه الله .

(٢) الصبا : هى الريح الشرقية ، ويقال لها : القبول ، لأنها تقابل الشمال ، والشمال : الريح العقيم التى لا خير فيها .

(٣) كذا فى الأصلين . وفى المواهب ج٢ ص ١٤٦ : « إن الحرائر لا تهب بالليل » . وفى القرطبي ج ١٤ ص ١٤٤ : « إن محوة لا تسرى بليل » ومحوة من أسماء الشمال؛ لأنها تمحو السحاب وتذهب به .

عليهم الصّبا، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : «نُصرتُ بالصّبا وأُهلكتْ عاد بالدّبور» . قوله : «وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا» هى الملائكة ، ولم تقاتل يومئـذ ، قال المفسرون : بعث الله تعـالى عليهم باللّيـل ريحا باردة ، وبعث الملائكة فقلعت الأوتاد ، وقطّعت أطناب الفَساطيط ، وأطفأت النيران ، وأكفأت القدور ، وجالت الخيل بعضُها فى بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب ، وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سـيد كلّ حىّ يقول : يابنى فلان ، هلمّ [إلى ، فإذا اجتمعوا عنده قال : النّجاء النّجاء ، أُتيتم . لِمـا بعث الله عليهم من الرعب ، فانهزموا من غير قتال][1] .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَـارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ قال : قوله : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ» يعنى من فوق الوادى من قبل المشرق ، عليهم مالك بن عوف النَّصرىّ ، وعيينة ابن حصن الفَـزارى فى ألف من غَطفان ، ومعهـم طليحة بن خويلد الأسـدى فى بنى أسد ، وحُيَىّ بن أخطب فى يهود بنى قريظة . «وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» يعنى من بطن الوادى من قبـل المغرب ، وهو أبو سفيان بن حرب فى قريش ومن تبعـه ، وأبو الأعور السّلمى من قبل الخندق . وقال ابن إسحاق : الذين جاءوا من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان . «وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ» ٦٦/١٥
أى مالت وشخصت «وَبَلَغَتِ الْقُـلُوبُ الْحَنَاجِرَ» زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع . «وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» قال : أما المنافقون فظنوا أن محمدا صلى الله عليـه وسلم وأصحابه سيُغلبون ويُستأصلون ، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حقّ ، وأنه سيظهر دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون .

(١) ما بين القوسين ساقط من أ .

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ قال: أى ٱختُبروا ومُحِّصوا، ليُعرَف المؤمن من المنافق «وزُلْزِلُوا»: حُرِّكوا وخُوِّفوا «زِلْزَالًا» تحريكا «شَدِيدًا».

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال: يعنى معتِّب بن قشير وأصحابه «وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شكٌّ وضَعفُ اعتقاد. وقد قدّمنا فى أخبار المنافقين ما تكلم به معتِّب بن قشير فى هذه الغزوة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾. «قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» أى من المنافقين، وهم أوس بن قيظىّ وأصحابه؛ قال مقاتل: هم بنو سالم. قال ابن عباس رضى الله عنهما: قالت اليهود لعبد الله بن أُبىّ وأصحابه من المنافقين: ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه! فارجعوا إلى المدينة. «وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ» فى الرجوع إلى منازلهم بالمدينة، وهم بنو حارثة بن الحارث «يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» أى خالية ضائعة، وهى مما يلى العدوّ، وإنا لنخشى عليها العدوّ والسُّرّاق، قال: وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العُطاردىّ «عورة» بكسر الواو، يعنى قصيرة الجدران فيها خلل وفُرجة. وأخبر تعالى أنها ليست بعورة، إن يريدون إلا الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا[1] وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ قال: يقول: لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة «من أَقْطَارِهَا» جوانبها ونواحيها «ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ» الشرك «لَأَتَوْهَا» أى لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا «وَمَا تَلَبَّثُوا» وما ٱحتبسوا

(١) «لأتوها» من غير مد قراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف (أى لجاءوها).

عن الفتنة « إِلَّا يَسِيرًا » ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال : هذا قول أكثر المفسرين .

وقال الحسن والفرّاء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى هَلَكُوا.

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ قال : « عَاهَدُوا اللَّهَ » أى من قبل غزوة الخندق « لَا يُوَلُّونَ » عدوّهم « الْأَدْبَارَ » قال يزيد بن رومان : هم بنو حارثة همّوا يوم أُحد أن يفشلوا مع بنى سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألّا يعودوا لمثلها ، فذكر الله لهم الذى أعطوه من أنفسهم .

وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدرٍ من الكرامة والفضيلة، فقالوا : لئن أشهَدَنا الله قتالا لنقاتلنّ . فساق الله تعالى ذلك إليهم فى ناحية المدينة .

وقال مقاتل والكلبي : هم السبعون رجلا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العَقبة وقالوا له : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم» . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فمالنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة» . قالوا : قد فعلنا . فذلك عهدهم ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ أى عنه .

قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال[1] : أى الذى كتب[2] عليكم « وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا » إلى آجالكم، والدنيا كلّها قليل .

---

(١) فى أ : « قل » . (٢) كذا فى كلا الأصلين . وفى الكشف والبيان ما يأتى : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل » الذى كتب عليكم .

قوله تعـالى : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أى نصرة ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

قوله تعـالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَـا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال: «الْمُعَوِّقِينَ» المثبطين منكم للناس عن رسول الله صلى ٦٧/١٥ الله عليه وسلم « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا » ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك « وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ » الحرب « إِلَّا قَلِيلاً » دفعا وتعذيرا . قال قتـادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهـم : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس[1]، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك . وقال مقاتل : نزلت فى المنـافقين، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا : ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا ، وإنا لنُشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا ، هَلُمَّ إِلَيْنَا . فأقبل عبـد الله بن أبىّ وأصحابه على المؤمنين يعوّقونهـم ويخوّفونهـم بأبى سفيان ومن معه، وقالوا: ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يَرْفِدُنا[2] بخير، وما عنده خير . ما هو إلا [أن][3] يقتلنا هاهنا ، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا . يعنى اليهود، فلم يزدد[4] المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا .

وقال ابن زيد : لمـا كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فوجد أخاه، بين يديه شِواء ورغيف ونبيذ، فقال : أنت هاهنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ! فقال : هلم إلى هذا، والذى يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا ؛ فقال : كذبت والذى

---

(١) أكلة رأس : أى هم قليل يشبعهم رأس واحد . شرح القاموس (مادة أكل) .

(٢) يرفدنا : يعيننا . (٣) تكملة من الكشف والبيان . (٤) فى أ : « يزد » .

يُحاف به — وكان أخاه من أبيه وأمه — أما والله لأخبرن النبيّ صلى الله عليه وسلم خبرك . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ قال : «أشحة» يعنى «عليكم» بالخير والنفقة فى سبيل الله ، ووصفهم الله تعالى بالجبن والبخل «فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم» فى رءوسهم من الخوف والجبن ، أى كدوران [أعين](1) الذى يُغشى عليه من الموت «فإذا ذهب الخوف سلقوكم» أى عضوكم ورموكم بألسنة حداد ذَرِبة(2)، وأصل السلق : الضرب . وقال قتادة : يعنى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة ، يقولون لكم : أعطونا أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال ، ولستم بأحق بالغنيمة منا ؛ وأما عند الغنيمة فأشحّ قوم وأسوأ مقاسمة ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق . «أشحة على الخير» يعنى الغنيمة «أولئك لم يؤمنوا» .

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ يعنى هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن قتالهم ، وقد انصرفوا جُبنا منهم وفرقا ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ ﴾ أى يرجعوا إليهم كرّة ثانية ﴿ يَوَدُّوا ﴾ من الخوف والجبن ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ ﴾ أى خارجون إلى البادية ﴿ فِي الْأَعْرَابِ ﴾ أى معهم ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ أى يسأل بعضهم بعضا عن أخباركم ، وما آل إليه أمركم ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعنى رياء من غير حسبة ، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا .

(1) ساقطة من ا .
(2) كذا فى الكشف والبيان : والذى فى الأصول «ذرية» وهو تصحيف .

ثم قال تعالى مشيرا إلى المؤمنين: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ قال . قوله : « أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » أى سنة صالحة، [أن](١) تنصروه وتؤازروه، ولا تتخلفوا عنه ، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو ، إذ كُسرت رَباعيته وَجُرح ، وقتل عمه حمزة ، وأُوذى بضُروب الأذى ، فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضا كذلك ، واستنوا(٢) بسنته « لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » أى فى الرخاء والبلاء ، ثم ذكر المؤمنين بوعود الله تعالى ، فقال : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » الآية، قال: ووعد الله إياهم قوله : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ ٦٨/١٥ قَرِيبٌ » .

قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ قال : قوله : « صَدَقُوا » أى وفوا به . « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ » يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد . والنحب : النذر ، والنحب أيضا : الموت ، قال ذو الرمة :

عشيّة فرّ الحارثيون بعد ما ... قضى نحبه فى ملتقى القوم هوبر(٣)

---

(١) زيادة عن الكشف والبيان .

(٢) فى ا : «واستنوا» ، وهو تحريف .

(٣) ساقطة من ا . قال ابن هشام : « هوبر من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد ابن هوبر » .

أى مات ، قال مقاتل : قضى نحبه ، أى أجله ، فقتل على الوفاء ، يعنى حمزة وأصحابه الذين آستُشهدوا بأُحُد، رضوان الله عليهم . وقيل : قضى نحبه ، أى بذل جهده فى الوفاء بعهده، من قول العرب : نَحَب فلان فى سيره يومه وليلته، إذا مدّ فلم ينزل، قال جرير :

بِطِخْفَةَ جالَدْنا المـلوكَ وخَيْلُنا عشيّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ[1]

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » قال ابن إسحاق : ينتظر ما وعد الله به من نصره، والشهادة على [ما][2] مضى عليه أصحابه . «وما بَدَّلُوا تَبْدِيلا » أى ما شكّوا وما تردّدوا فى دينهم، وما آستبدلوا به غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ يعنى قريشا وغطفان ﴿ وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أى بالملائكة والريح ﴿ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، وبيده الفضل والمنة .

ذكر غزوة بنى قُرَيْظة

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة خمس من مهاجره . وقال ابن إسحاق : فى شوّال منها .

قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن سعد ، دخل حديث بعضهما فى بعض، قالا : لمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون ،

---

(١) طخفة بكسر الطاء وفتحها : جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل، قال صاحب اللسان : « ويقال : جرين على نذر » .

(٢) لم تذكر فى جـ .

ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ — عليه السلام — النبيَّ صلّى الله عليه وسلم معتجرا[1] بعمامة من إستَبْرق، على بغلة عليها رِحالة[2] عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعتُ إلا من طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير[3] إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذّن فى الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألّا تصلّوا العصرَ إلّا فى بنى قريظة. واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا، فأعطاه لواءه، وقدّمه إلى بنى قريظة، فسار [علىّ][4] حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فرجع حتى لقى رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: أظنّك سمعتَ منهم لى أذًى؛ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نِقْمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جَهولا. ثم نزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بنى قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أَنَّا[5]، ويقال: بئر أُنَّى؛ وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة[6] لم يصلّوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها الرجل على رأسه ويردّ طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه.
(٢) الرحالة: سرج من جلود لا خشب فيها تتخذ للركض الشديد.
(٣) فى ج: «بالسير». (٤) ساقطة من أ.
(٥) كذا ضبط فى سيرة ابن هشام، وفى شرح المواهب اللدنية أقوال فى ضبطه (انظر المواهب ٢: ١٠٤). (٦) فى أ: «عشاء».

وسلم . لا يصلّينّ أحد العصر إلا ببنى قريظة . فشغلهم ما لم يكن منه بدٌّ فى حربهم وأبوا أن يصلّوا لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى يأتوا بنى قريظة، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، وتخوّف ناس فوت الصلاة فصلّوا، فما عنّف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين، ولا عابهم الله تعالى فى كتابه .

قال: وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فى المسلمين، وهم ثلاثة آلاف ٦٩/١٥ والخيل ستة وثلاثون فرسا ، فحاصرهم خمسة عشر يوما . قاله ابن سعد .

وقال ابن إسحاق: خمسا وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب . وكان حُيىّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم ما ترون، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيّها شئتم ؛ قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل [و](1) نصدّقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبىّ مرسل ، وأنه الذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ؛ قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره؛ قال : فإذا أبيتم هذه فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نُخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقَلاَ حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نَهلِك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نَظْهَرْ فلعمرى لنجدنّ النساء والأبناء؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش(2) بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم علىّ هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها، فآنزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة؛ قالوا : تفسد علينا سَبْتَنا، وتحدث فيه ما لم يُحدث

(١) ساقطة من أ . (٢) فى أ : « خير فى العيش » .

من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه مالم يَخْفَ عليك من المسخ؛ قال : ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة [واحدة](١) من الدهر حازما . ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لُبابة(٢) بن عبد المنذر لنستشيره فى أمرنا؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهَش(٣) إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرقّ لهم وقالوا له : يا أبا لبـابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال : نعم. وأشار بيده إلى حلقه، أى إنه الذبح، قال أبو لبابة : فوالله ما زلت(٤) قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عَمَده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ. قال : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو كان جاءنى لأستغفرت له ،فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فأنزل الله تعالى فيه : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . قالت أم سلمة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك ، فقلت : ممّ تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله ؟ . قال : تيب على أبى لبـابة . قالت : فقلت : أفلا أبشّره يا رسـول الله ؟ قال : بلى، إن شئت . فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرَب عليهنّ الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله، حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده؛ فلما مرّ عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

---

(١) ساقطة من أ . (٢) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم .
(٣) جهش : فزع وأسرع . (٤) كذا فى الأصول . وفى ابن هشام والمواهب اللدنية والطبرى : « ما زالت » .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطا فى الجذع ستَّ ليال، تأتيه امرأته فى كلّ وقت صلاة ، فتحلّه للصلاة ، ثم تعود فتربطه .

هذا ما كان من أمر أبى لبابة ؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سَعْية، وأُسيد بن سعْية ، وأسد[(١)] بن عبيد ، وهم نفر من هَدَل ، قال ابن إسحاق : ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا فى الليلة التى نزل بنو قريظة فى صبيحتها على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج تلك الليلة عمرو بن سُعدَى القرظىّ فمرّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعدَى — وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا — فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى عثرات[(٢)] الكرام، ثم خلّى سبيله ، فخرج على وجهه، فلم يُدْرَ أين توجّه من الأرض إلى آخر الدهر ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه، ومنهم من يزعم أنه أوثق . والله أعلم .

ذكر نزول بنى قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسؤال الأوس فيهم، وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم ٧٠/١٥

قال : ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت

(١) كذا فى ابن هشام، والمواهب اللدنية، والاستيعاب، والطبرى . وفى الأصول : «أسعد» .

(٢) كذا فى الأصول : وفى بعض نسخ ابن هشام : « إقالة عثرات الكرام » .

فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت . يعنون بنى قينقاع لمــا أطلقهم[١] صلى الله عليــه وسلم لعبد الله بن أبىّ بن ســلول[٢] ، فقال رســول الله صلى الله عليــه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فذاك ســعد بن معاذ . وكان ســعد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى خَيْمة لامرأة من أَسْــلم يقال لهــا : رُفَيدة ، كانت تداوى الجــرحى محتسبة ، فأتاه قومه فحملوه على حمار ، ووطئوا له بوسادة من أَدَم ، ثم أتوا به رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون له : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وســلم إنما ولّاك[٣] ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقــد أَنَى لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معــه [من قومه[٤]] إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم ســعد ، لكلمته التى سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قوموا إلى سيّدكم" . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنمــا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ والأنصار يقولون : قــد عمّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقاموا إليــه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال ســعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أنّ الحكم فيهم لمَــا حكمت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وعلى من ها هنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتُقسم الأموال ، وتُسْبَى الذرارىّ[٥] والنساء . فقال

(١) فى أ : « أطلقهم رسول الله » . (٢) فى أ : « أبى سلول » . (٣) فى أ : « وليك »
(٤) ساقطة من أ . (٥) الذرارى : الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعة[(١)]. أى من فوق سبع سموات، ويقال: إن اليهود سألوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ. والله تعالى أعلم .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الخميس لسبع خلون من ذى الحجة، وأمر بهم فأُدخِلوا[(٢)] المدينـة ، فحبسهم فى دار بنت الحـارث امرأة من بنى النجار، ثم خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى سـوق المدينة، فحفر بها خنـادق ، وجلس هو وأصحـابه و بعث إليهـم فأُخرجوا إليـه أرْسالا[(٣)] ، فضُربت أعناقهم، وفيهم حُيىّ بن أخطب، وكعب بن أسد، واختلف فى عددهم فقيـل : كانوا ستمائة أو سبعمائة . وقيل : بين الثمانمـائة والتسعمائة؛ قال : وقالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع، وأنه من ذُهب [به[(٤)]] منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل! قال : وأُتِى بحُيىّ ابن أخطب ، وعليـه حلّة [له[(٥)]] فُقّاحية[(٦)] قد شقها عليه من كل ناحيـة قدر أنملة، أنملة لئلا يُسلَبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلمـا نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك، ولكن من يَخْذل الله يُخذل ، ثم أقبل

---

(١) سبعة أرقعة : قال ابن دريد : أرقعة : (جمع رقيع) بتذكير العدد على معنى السقف، إذ السماء مؤنث سماعى فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العـدد . وسميت السماء رقيعا لأن بعضها كان يرقع بعضا . و بعضهم يجعل الرقيع السماء الدنيا لا غير، وكأنها رقعت بالنجوم .

(٢) فى ا : « فأدخلهم » . (٣) أرسالا : أفواجا وفرقا .

(٤) ساقطة من ا . (٥) ساقطة من ا . (٦) فقاحية : أى بلون الورد حين هم أن يتفتح . وفى الأصل : « تفاحية » وهو تحريف .

على الناس فقال : أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَر وَمَلحمة كُتبت على بنى إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه، فقال جَبَل بن جَوّال الثعلبىّ :

لعمرك ما لام آبن أخطبَ نفسَه * ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْـــذَلِ

لَجَاهَد حتى أبلغ النفس عُذرَها * وقَلْقَــلَ[1] يبغى العــزّ كلّ مُقلقَلِ

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : لم يُقْتَــل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنهـا لعندى تحدّث معى، وتضحك ظهرا وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسـلم يقتل رجالها فى السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ؛ قلت لهـا : ويلك ! مالك ؟ قالت : أُقْتَل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بهـا ، فضربت[2] عنقها ، فكانت عائشة تقول : والله ما أنسى عجبا منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل . قال الواقـدىّ : واسم تلك المرأة : بُنانة[3] ٧١/١٥
امرأة الحكم القرظىّ ؛ وكانت قتلت خلّاد بن سُويد ، طرحت عليه رَحًى ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقَها بخلاد بن سويد . قال : وكان علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوّام رضى الله عنهما يضربان أعناق بنى قريظة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك .

وروى محمــد بن إسحاق عن الزهرى، أن الزَّبير بن باطا القرظىّ ، وكان يكنى أبا عبدالرحمن ــ وكان قد منّ على ثابت بن قيس بن شمّاس فى الجاهليّة [يوم بُعَاث][4] أخذه فجزّ ناصيته ثم خلّى سبيله ــ فجاءه[5] ثابت يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال :

---

(١) قلقل : تحرك . (٢) فى أ : « فضرب » .

(٣) كذا فى الطبرى ، والاستيعاب ، والقرطبى ، وأسد الغابة . وفى الأصول : « رمانة » .

(٤) ساقط من أ . (٥) فى أ : « فجاء » .

يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال : وهل يجهل مثلي مثلك ؛ قال : إني قد آن أن أجزيك بيدك عندي ؛ قال : إن الكريم يجزى الكريم ؛ ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد كانت للزبير عندي يد ، وله عليّ منّة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أهله وولده ؛ قال : هم لك . فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ماله ؛ فقال : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك ؛ قال : أي ثابت ، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيه[1] عذارى الحيّ ، كعب بن أسد؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُييّ بن أخطب؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل مُقدّمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا كررنا[2] ، عزّال بن سموءل[3] ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة ، وبني عمرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا وقتلوا ؛ قال : فإني أسألك بيدي عندك[4] يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش

(١) في سيرة ابن هشام : « فيها » .

(٢) كذا في جـ ، والطبري . وفي أ ، وفي هامش جـ : « قدرنا » وفي ابن هشام : « فررنا » .

(٣) كذا في إمتاع الأسماع ، وفي سيرة ابن هشام . وفي الأصل : « سمول » وقد ذكر في الطبري بروايات مختلفة ، راجع القسم الأول ٣ ، ٤ ص ١٤٩٦ .

(٤) كذا في جـ ، وسيرة ابن هشام . وفي أ : « بيدك عندي » .

بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قَبْلة[1] دلْو ناضح حتى ألق الأحبّة . فقدّمه ثابت فضرب عنقه . فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألق الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا .

وفى هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس :

وفَتْ ذِمّتى أنّى كريمٌ وأننى * صبور إذا ما القوم حادوا[2] عن الصبر

وكان زَبِيرٌ أعظمَ الناس مِنّــةً * علىّ فلمّا شُدّ كُوعاه[3] بالأسر

أتيت رســولَ الله كيما أَفُكّه * وكان رسول الله بحرا لنا يجرى

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنْبَتَ منهم ؛ فسألته سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سَليط بن قيس — وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد صلّت معه القبلتين ، و بايعته بيعة النساء على رفاعة بن سموءل القرظىّ ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفها ، فقالت : يا نبى الله ، بأبى أنت وأمّى ، هب لى رفاعة بن سَموءل ، فإنه قد زعم أنه سيصلى و يأكل لحم الجمل . فوهبه لها ، فاستَحْيَتْه .

قال : ثم أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالغنائم فجُمعتْ ، فاصطفى لنفسه رَيْحانة بنت عمرو بن خُنَافة إحدى نساء عمرو بن قريظة ، ثم أخرج الخمس مر

(١) قبلة دلو ، أى بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة . وذكر أبو عبيد الحديث فقال : « قال الزبير : يا ثابت ، ألحقنى بهم ، فلست صابرا عنهم إفراغة دلو » .

(٢) فى ا : « عادوا » .

(٣) كذا فى جـ . وفى ا : « كرعاه » .

المتاع والسبي، ثم أمر بالباق فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكانت السُّهمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى مَحْمِيَة[(١)] بن جَزْء الزُّبَيدى، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرِّثَّة، وهى السَّقط من متاع البيت.

وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم سعد بن زيد الأنصاري أحد بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد، فآبتاع له بهم خيلا وسلاحا.

وآستُشهد يوم بنى قريظة من المسلمين: خلاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصارى الخزرجى، طُرحت عليه رحًى فشدختْه شدخا شديدا، ومات أبو سنان ابن مِحْصن بن حُرثان، أخو بنى أسد بن خزيمة.

وأنزل الله عزّ وجل فى شأن بنى قريظة قولَه تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ قال: قوله: « الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ » يعنى قُريظةَ ظاهروا قريشا وغطفان « مِنْ صَيَاصِيهِمْ » أى حصونهم ومعاقلهم، واحدتها صِيصية « وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ » وهم الرجال « وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا » وهم النساء والذرارى « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا » قال يزيد بن رومان [وابن][(٢)]

(١) كان من مهاجرة الحبشة، فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس.

(٢) ساقطة من أ.

زيد ومقاتل : يعني خيبر . وقال قتادة : كنا نحدث أنها مكة . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

ذكر سرية عبد الله بن عَتِيك إلى أبي رافع سلّام ابن أبي الحُقَيق النضريّ بخيبر

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت في شهر رمضان سنة ستّ من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت هذه السريّة بعد غزوة بني قريظة . فتكون في ذي الحجة سنة خمس من الهجرة ، وهو الصحيح إن شاء الله ، ويدلّ عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في ذي الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلّام بن أبي الحقيق بخيبر

قال محمد بن إسحاق : لما أصابت الأوسُ كعبَ بنَ الأشرف قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر ، وهم : عبد الله ابن عتيك ، ومسعود بن سِنان ، وعبد الله بن أُنَيس ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعي ، وخُزَاعيّ بن أسود[1] ، حليف لهم من أسلم .

قالوا[2] : وكان أبو رافع بن أبي الحُقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجُعْل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) كذا في الأصول ، وفي ابن هشام . وفي الطبقات : « الأسود بن خزاعى » .

(٢) كذا في جـ ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « قال » .

فأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة ، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكمنوا ، فلما هـدأت الرِّجْل جاءوا إلى منزله فصعدوا درجة له ، وقدّموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهوديّة ، فاستفتح وقال : جئت أبا رافع بهديّة . ففتحت له امرأته ، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح ، فأشار إليها بالسيف فسكتت ، فدخلوا عليه فَعَلَوْه بأسيافهم (١) ، قال ابن أُنيس : وكنت رجلا أعشى لا أبصر، فاتكأتُ بسيفي على بطنه حتى سمعت خَشَّه فى الفراش ، وعرفت أنه [قد (٢)] قضى ، وجعل القوم يضربونه جميعا ، ثم نزلوا وصاحت امرأته ، فتصايح أهل الدار . قال ابن إسحاق : وكان عبد الله بن [عتيك (٣)] سيئ البصر، فوقع من الدرجة فوَثِئت (٤) يده وَثْئًا شديدا ، قال ابن هشام : ويقال : رِجْله ؛ قالوا : فحملناه حتى أتينا منهرا من عيونهم — والمناهر؛ واحدتها مَنْهرة، وهو فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها كُنَاستهم — فدخلنا فيه .

قال محمد بن سعد : وخرج الحارث أبو زينب فى ثلاثة آلاف فى آثارهم يطلبونهم بالنيران ، فلم يَروْهم ، فرجعوا ، ومكث القوم فى مكانهم يومين حتى سكن الطلب . قال ابن إسحاق : فقلنا : فكيف لنا أن نعلم بأن عدوّ الله قد مات ؟ فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل فى الناس ، فوجده ورجال من يهودَ حوله ، وامرأته فى يدها مصباح تنظر فى وجهه وتحدّثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت [نفسي (٥)] وقلت : ابن عتيك بهذه البلاد!

(١) كذا فى جـ . وفى أ : « فعلوه سيافهم وهو تصحيف » . (٢) ساقطة من أ .

(٣) فى الأصول : « عبد الله بن أنيس » . والتصويب من ابن هشام ، وأسد الغابة ، والمواهب اللدنية ، والطبرى .

(٤) الوثء : صدع يصيب اللحم ولا يبلغ العظم فيرم ، وقيل : هو توجع فى العظم من غير كسر .

(٥) تكملة من ابن هشام .

ثم أقبلت تنظر فى وجهه وتقول[1] : فاظ[2] وإله يهود . قال : فما سمعت كلمة كانت ألذّ فى نفسى منها ، وجاء فأخبرهم بالخبر ، قالوا : فاحتملنا صاحبنا ، وقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدّعيه ، فقال : هاتوا أسيافكم . فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله ٧٣/١٥ ابن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال الشيخ شرف الدين [عبد المؤمن][3] بن خلف الدّمياطى رحمه الله فى سيرته : وفى حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، قال : وهو الصواب . والله أعلم .

وقال حسان بن ثابت الأنصارىّ فى قتل سلام بن أبى الحقيق و الأشرف :

لله درّ عِصابةٍ لاقيتَهم ... يابن الحُقيق وأنت يا بن الأشرفِ
يسرون بالبيض الخفاف إليكُم ... مرَحا كأُسْدٍ فى عَرِين مُغْرِفِ[4]
حتى أتوكم فى محلّ دياركم ... فسقَوكُمُ حتْفا ببيض ذُفَّفِ[5]
مستنصرين[6] لنصر دين نبيِّهم ... مستصغِرين لكلّ أمرٍ مُجحِف[7]

(١) فى جـ : « ثم قالت » . (٢) فاظ : مات

(٣) تكلة من جـ .

(٤) فى رواية : « بالبيض الرقاق » يعنى السيوف . مرحا : نشاطا . عرين مغرف : قال أبو ذر الخشنى فى شرح السيرة جـ ٢ ص ٣٢٦ : « العرين : غابة الأسد . ومغرف ملتف الأغصان » .

(٥) ذفف : سريعة القتل .

(٦) فى ديوان حسان : « مستبصرين » .

(٧) ومجحف : ذاهب بالنفوس والأموال .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القُرَطاء، وهم بنو قُرط وقُرَيط من بنى كلاب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم، على رأس تسعة وخمسين شهرا من مهاجَره فى ثلاثين راكبا إلى القُرَطاء[1]، وهم ينزلون بناحية ضَرِيّة[2] وبين ضريّة والمدينة سبع ليال، فقتل نفرا منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعماً وشاءً، ولم يعرض للظّعن، وانحدر إلى المدينة، فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به، وفَضّ مابقى على أصحابه، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم، وكانت النعم مائة وخمسين بعيرا، والغنم ثلاثة آلاف شاة. وغاب سبع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرّم.

ذكر غزوة بنى لَحيان بناحية عُسفان[3]

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره على ما أورده محمد بن سعد. وقال محمد بن إسحاق : فى جمادى الأولى سنة ست.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَد على عاصم بنِ ثابت وأصحابه أصحاب الرَّجيع — وَجْدا شديدا، فأظهر أنه يريد الشام.

قال ابن سعد : وعسكر لغرّة هلال شهر ربيع الأوّل فى مائتى رجل، معهم عشرون فرسا، واستخلف على المدينة عبد الله بنَ أمّ مكتوم، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن غُرَان، وبينها وبين عُسفان خمسة أميال، حيث كان مصاب

(١) كذا ضبطه صاحب المواهب اللدنية، وانظر جـ ٢ : ١٧٣

(٢) ضرية : قرية لبنى كلاب على طريق البصرة إلى مكة، وهى إلى مكة أقرب.

(٣) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة.

أصحابه، فترحّم عليهم ودعا لهم، فسمعتْ [بهم] (١) بنو لحيان، فهربوا (٢) فى رءوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو يومين، فبعث السرايا فى كلّ ناحية، فلم يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهو يقول: "آيبون تائبون عابدون، لربّنا حامدون، أعوذ بالله من وَعْثاء السفر وكآبة المنقلَب وسوء المَنظَر فى الأهل والمال". وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهى غزوة ذى قَرد (٣)

وهى على بريد من المدينة فى طريق الشام

غزاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الأوّل سنة ست من مهاجَره.

قالوا: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لِقْحة (٤) ترعى بالغابة، وكان أبو ذرّ فيها، فأغار عُيَينة بن حِصن ليلة الأربعاء فى أربعين فارسا فآستاقوها وقتلوا ابن أبى ذرّ.

وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غِفار وامرأة [له] (٥)، فقتلوا الرجل وحملوا المرأة [فى اللقاح] (٥). وجاء الصّريخ، فنودى: الفزعَ الفزعَ! فنودى:

(١) ساقطة من ا.

(٢) فى ا: «فهربت».

(٣) قرد: بفتح القاف والراء، وحكى الضم فيهما، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه.

(٤) اللقحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة.

(٥) زيادة عن ابن هشام.

«يا خيل الله اركبى» ؛ وكان أوّل ما نودى بها ؛ وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج غداة الأربعاء، فكان أوّل من أقدم المِقداد بن عمرو، وعليه الدرع والمِغفر ٧٤/١٥ شاهرا سيفه، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء فى رمحه، وقال : اِمض حتّى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك . واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلّف سعد بن عبادة فى ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة . قال المقداد : فخرجت فأدركت أخريات العدوّ، وقد قتَل أبو قتادة الحارثُ بن رِبعىّ حبيبَ بن عُيينة بن حِصْن، وغشّاه برده، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، فرأوا حبيبا مسجًّى[1] ببُرد أبى قتادة [فاسترجع[2] الناس، وقالوا : قتِل أبو قتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة]، ولكنه قتيل لأبى قتادة وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه . وقال ابن سعد : إن الذى قتل حبيبا هو المقداد بن عمرو، قتله وقتل قِرفة[3] بن مالك بن حُذيفة بن بدر ؛ وإن أبا قتادة قتل مسعدة، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلّم فرسه وسلاحه، وأدرك عكاشة بن مِحصن أوْبارا[4] وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فقتلهما . واستشهد من المسلمين يومئذ مُحرِز بن نضلة، قتله مَسعدة، وأدرك سلمة[5] بن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يُراميهم بالنبل ويقول :

خذها وأنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرُّضّع[6]

(١) مسجى : مغطى . (٢) مابين القوسين ساقط من أ . (٣) كذا فى ابن سعد، والمواهب اللدنية، والطبرى . وفى الأصل : «قرة» . (٤) فى ابن سعد : «أثار» . بضم الهمزة . (٥) كان شجاعا راميا يسبق الفرس، وما كذب قط . (٦) يوم الرضع : يعنى يوم هلاك اللئام، من قولهم : لئيم راضع، أى رضع اللؤم فى بطن أمه . وقيل : معناه اليوم يعرف من ارتضعته الحرب من صغره وتدرب بها، ويعرف غيره . راجع المواهب جـ ٢ : ص ١٨٢ .

حتى انتهى إلى ذى قرد — وهى ناحية خَيْبر مِمّا يلى المُستناخ — قال سلمة : فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء، فقلت : يارسول الله، إن القوم عِطاش، فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت مافى أيديهم من السرح(١)، وأخذت بأعناق القوم . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "ملكتَ فأسجِح(٢)"، ثم قال : "إنهم الآن ليُقرَون(٣) فى غَطَفان". وذهب الصريخ إلى بنى عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد ، فاستنقذوا عشر لِقاح ، وأفلت القوم بما بقى ، وهى عشرة ، وصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف، وأقام يوما وليلة يتحسّس الخبر، وقسم فى كلّ مائة من أصحابه جَزورا ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، وقيل : سبعمائة .

ذكر سرية عُكاشة بن مِحصَن الأسدىّ إلى الغَمْر

غمر(٤) مرزوق ، وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من فَيْد

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر فى أربعين رجلا ، فخرج سريعا ، فَنذِر(٥) به القوم فهربوا ، فنزلوا عُلْيا بلادهم، ووجدوا دارهم خُلوفا(٦)، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة، فرأى أثر النعم، فتحمّلوا فأصابوا رَبيئة(٧)

(١) السرح : المال السائم المرسل فى المرعى . (٢) ملكت فأسجح ، أى قدرت عليهم فارفق وأحسن العفو . (٣) ليقرون : بفتح الراء وضمها من القِرى ، وهى الضيافة . وقيل : معنى ضم الراء أنهم يجمعون الماء واللبن . (المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) فى الأصول ، وكذا فى المواهب : « غمرو مرزوق » . وما أثبتناه عن الطبقات وفى معجم البلدان : غمرة ، فقد جاء فيه ما نصه : « وقال ابن الفقيه : غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد ، أغزاها النبى صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن » .

(٥) نذر : علم . (٦) أى أصحاب ديارهم غائبين .

(٧) ربيئة : طليعة .

لهم، فأمّنوه، فدلّهم على نَعَم لبنى عمّ له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتى بعير، وأرسلوا الرجل، وحدّروا(١) النعم إلى المدينة، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا.

ذكر سرية محمد بن مَسْلمة إلى بنى ثعلبة بذى القَصّة

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى بنى ثعلبة، وهم بذى القَصّة فى شهر ربيع الآخر سنة ستّ من مهاجَره، وبين ذى القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، طريق الرَّبذَة، بعثه فى عشرة نفر فوردوا عليهم [ليلا](٢) فأحدق به القوم وهم مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم، ووقع محمد بن مسلمة جريحا، يُضرب كعبُه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبيدة بن الجرّاح فى أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا، ووجدوا نَعَما وشاء، فساقه ورجع.

ذكر سرية أبى عُبيدة بن الجرّاح إلى ذى القَصّة

٧٥/١٥ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر سنة ستّ من مهاجَره فى أربعين رجلا من المسلمين، وسبب ذلك أن بلاد بنى ثعلبة وأَنمار أجدبت، ووقعت سحابة بالمِراض إلى تَغلَمَين، والمِراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيْفا — موضع على سبعة أميال من المدينة — فبعث رسول الله

(١) حدروا: ساقوا. وفى أ: «قدروا». وهو تحريف.

(٢) ساقطة من أ

صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومن معه حين صلّوا المغرب ، فمشوا ليلتهم حتى وافَوا ذا القصّة مع عَمَاية[1] الصبح — وهي[2] موضع فى طريق العراق — فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال، وأصاب رجلا واحدا فأسلم فتركه، وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورِثّة[3] من متاعهم . وقدم المدينة بذلك ، فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقسم ما بقى عليهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بنى سُلَيم بالجَمُوم

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى شهر ربيع الآخر سنة ست من الهجرة إلى بنى سليم ، فسار هو ومن معه حتى ورد الجَموم — ناحيةَ بطن نخل عن يسارها ، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرُد — فأصابوا عليه امرأة من مُزينة يقال لها : حليمة ؛ فدلّتهم على محلّة من محالّ بنى سُلَيم ، فأصابوا فيها نَعَمًا وشاء وأَسْرى ، فكان فيهم زوج حليمة المُزَنيَّة ، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنيّة نفسَها وزوجَها ، فقال بلال بن الحارث المُزَنىّ فى ذلك :

لَعمركَ ما أخنى[4] المَسُول ولا ونَتْ[5] حليمــة حتى راح ركبُهما معَــا

---

(١) عماية الصبح : يقال : لقيته فى عماية الصبح ، أى فى ظلمته قبل أن أتبينه .

(٢) هذا ما ذكره المؤلف : وفى معجم البلدان ما يأتى : « قال السكونى : ذو القصة : موضع بين زبالة والشقوق ، دون الشقوق بميلين ، فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا الموضع كانت غزاة أبى عبيدة بن الجراح ، أرسله إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الرثة : السقط من متاع البيت .

(٤) أخنى : أفحش . وفى أ : « أغنى » .

(٥) فى أ : « دنت » .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العِيص لِعير قريش

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى سنة ستّ من مهاجَره فى سبعين ومائة راكب إلى العِيص — وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذى المَرْوَة ليلة — وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ يومئذ فِضّة كثيرة لصَفْوان بن أمية، وأسروا ناسا ممّن كان فى العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، ونادت فى الناس حين صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر: إنى قد أجرت أبا العاص. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما علمت بشىء من هذا(1)] قد أجرنا من أجرت. ورد عليه ما أُخذ له(2) كما تقدّم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف إلى بنى ثعلبة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة سنة ستّ من مهاجَره إلى الطَّرِف — وهو ماء قريب من المَرَاض، دون النُّخيل، على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، طريق البَقَرة على المحجّة — فخرج إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فأصاب نَعما وشاء، وهربت الأعراب، وصبّح زيد بالنَّعم المدينة، وهى عشرون بعيرا، ولم يلق كيدا، وغاب أربع ليال، وكان شعارُهم «أمِت أمِت».

---

(1) ما بين القوسين ساقط من ا.

(2) فى ا: «ما أخذه». وفى الطبقات: «ما أخذ منه».

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى ، وهى وراء وادى القُرَى

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حِسْمَى فى جمادى الآخرة أيضا ، وذلك أن دَحْية بن خليفة الكلبى أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه ، وقد أجازه[1] ٧٦/١٥ وكساه ، و دِحية تجارة له ، حتى إذا كان بواد يقال له : شَنَار أو شِنَان[2] ، أغار عليه الهُنَيد بن عارض ، وقيل : [ابن عُوص ، وابنه عارض بن الهُنيد ، وقيل :][3] عُوص ابن الهُنيد ، الضُّلَعِيان[4] فى ناس من جُذام بحسمى ، فقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه ، فلم يتركوا عليه إلا سَمَل[5] ثوب ، فسمع بذلك نفر من بنى الضُّبَيب — [رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب — فنفروا إلى الهنيد وابنه ، وفيهم من بنى الضُّبَيب][6] النعمان بن أبى جِعال حتى لقُوهم فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرّة بن أشقر الضُّفارىّ[7] ثم الضُّلَعىّ ، فقال : أنا ابن لُبنى ؛ ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته ، وقال : خذها وأنا ابن لُبنى ، ولُبنَى أمّه ، ثم استنقذوا لِدِحية متاعَه ، وقدم دِحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل وردّ معه دِحية ، فكان زيد يسير الليل ويكمُن النهار ومعه دليل من بنى عُذرة ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهنيد

(١) أجازه : أعطاه جائزة . وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفا على ملكه .
(٢) كذا فى معجم البلدان والطبرى . وفى الأصل : « شيار » .
(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .
(٤) الضليع : بطن من جذام .
(٥) سمل ثوب : أى الخلق من الثياب .
(٦) ما بين القوسين ساقط من أ .
(٧) فى أ : « الضفدى » .

وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء والصبيان مائة ، فرحل رِفاعة[١] بن زيد الجذامى فى نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفع إليه كتابه الذى كان كتب له ولقومه ليالى قدم عليه فأسلم ، وقال : يا رسول الله ، لا تحرّم علينا حلالا ولا تحلّ لنا حراما . فقال : كيف أصنع بالقتلى ؟ فقال أبو يزيد بن عمرو : يا رسول الله ، أطلق لنا من كان حيّا ، ومن قتل فهو تحت قدمىّ هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو يزيد ؛ فبعث معهم عليّا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلّى بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجه علىّ رضى الله عنه، فلقى رافع بن مَكيث الجُهَنى بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم ، فردها علىّ عليهم ، ولقى زيدا بالفحلتين[٢] — وهى بين المدينة وذى المروة — فأبلغه [أمر[٣]] رسول[٤] الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليهم كلّ ما كان أخذ منهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القُرى[٥]

قال محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة إلى وادى القرى أميرا فى شهر رجب سنة ست من الهجرة . ولم يذكر غير ذلك .

---

(١) قدم رفاعة هذا على النبي صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية فى جماعة من قومه فأسلموا، وعقد له رسول الله على قومه ، وكتب له كتابا إلى قومه فأسلموا . وهذا نص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل فمنى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » . راجع شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ١٩٢ .

(٢) كذا فى الطبقات ، ومعجم البلدان . وفى الأصل : «بالنخلتين» وهو تحريف .

(٣) ساقطة من أ . (٤) فى أ : « فبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٥) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة .

ذكر سرِيّة عبد الرحمن بن عَوْف إلى دُومة[1] الجندل

قال محمد بن سعد رحمه الله : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى شعبان سنة ست من مهاجره، فأقعده بين يديه وعمّمه بيده وقال : اغزُ بسم الله ، وقاتل فى سبيل الله[2] ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغُلّ[3] ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا . و بعثه إلى كَلْب[4] بدومة الجندل، وقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم . فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبى، وكان نصرانيا وهو رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن تُماضِر[5] بنت الأصْبغ وقدم بها المدينة ، وهى أم أبى سَلَمة بن عبد الرحمن .

ذكر سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى بنى سعد بن بكر بفَدَك

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فى شعبان سنة ست من الهجرة إلى بنى سعد بن بكر بفَدَك فى مائة رجل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهودَ خيبر، فسار على رضى الله عنه بمن معه ، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى

---

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال، ومن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة .

(٢) فى طبقات ابن سعد : « اغز باسم الله وفى سبيل الله » .

(٣) غل : خان كأغل .

(٤) فى أ : « إلى دومة الجندل » .

(٥) كذا فى أ . وفى جـ : « بنت » .

إلى المَسْمَج (١) — وهو ماء بين خيبر وفدك، و بين فدك والمدينة ست ليال — فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم فقال : أخبركم على أن تؤمنونى؟ فأمنوه فدلهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة، وهربت بنو سعد بالظُّعن ورأسهم وبْرَن عليم، فعزل علىّ رضى الله عنه صفىّ (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقُوحا تدعى الحَفِدة (٣)، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه ، وقدم المدينة ولم يلق كيدا .

ذكر سرِيّة زيد بن حارثة إلى وادى القُرى وقتل أم قِرْفة

كانت هذه السرية فى شهر رمضان سنة ست من مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن زيد بن حارثة خرج فى تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان دون وادى القُرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل (٤) زيد بن حارثة . وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . حكاه محمد بن سعد فى طبقاته .

وقال محمد بن إسحاق : إن الذى أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادى القرى ، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه ، وارتُثّ (٥) زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هى التى كانت فى شهر رجب من السنة .

(١) فى الأصول : « الفمج » ، وصوابه من الطبقات، وانظر معجم البلدان

(٢) الصفىّ : ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٣) فى هامش جـ : « الحفدة : السريعة » .

(٤) فى هامش جـ : « استبل ، أى عوفى » . وفى أ : « استقبل » .

(٥) ارتث : حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحا وبه رمق .

قال ابن سعد : فخرج زيد بن حارثة بمن معه فكمنوا النهار وساروا الليل، ونَذِرت[1] بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبّروا وأحاطوا بالحاضر[2]، وأخذوا أم قرفة، وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حُذيفة ابن بدر، فكان الذى أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها صلى الله عليه وسلم لحزْن بن أبى وهب، قال : وعمد قيس ابن المُحسِّر إلى أم قرفة، وهى عجوز كبيرة، فربط بين رجليها حبلا، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطّعاها[3]، وقتل النعمانَ وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه عُريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفّره الله به .

ذكر سَرِيّة عبد الله بن رواحة إلى أُسَير[4] بن رِزام[5] اليهودىّ بخيبر

كانت هذه السريّة فى شوال سنة ستّ من مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما قُتِل أبو رافع سلّام بن أبى الحقيق كما ذكرنا أَمّرت يهود عليها أُسَيْر بن رزام، فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه عبدَ الله بن رَواحة فى ثلاثة نفر من المسلمين فى شهر رمضان سرا

---

(١) ندرت بهم : علموا بهم فحذروهم .

(٢) الحاضر، أى بمن حضر هناك من فزارة .

(٣) فى شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٧ ما يأتى : «ذكر الدولابى: أن زيدا إنما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل : ولأنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها، وولد ولدها وقالت : اغزوا المدينة، واقتلوا محمدا» .

(٤) فى رواية أخرى : «يسير» بضم الياء وفتح السين .

(٥) فى الأصول : «زارم»، والتصويب من المواهب وابن هشام .

سأل عن خبره وغِرّته (١) ، فأُخبر بذلك ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فانتدَب له ثلاثون رجلا ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أُسَير فقالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ؛ قال : نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؛ قالوا : نعم ؛ فقالوا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك . فطمع أُسير فى ذلك ، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود ، مع كل رجل رَديف (٢) من المسلمين ، حتى إذا كانوا بقَرْقَرة ثِبَار (٣) ندم أُسير ، قال عبد الله ابن أُنيس — وكان فى السريّة : فأهوى بيده إلى سيفى ، ففطنت له ودفعت بعيرى فقلت : غدرا أى عدوّ الله ! فعل ذلك مرتين ، فنزلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف ، فأندَرْت (٤) عامة فخذه وساقه ، وسقط عن بعيره وبيده مخرش (٥) من شَوحط (٦) ، فضربنى به فشجّنى مأمومة (٧) ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدّا ، ولم يصَب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدّثناه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين . وتفَل صلى الله عليه وسلم على شجّة عبد الله بن أنيس فلم تقِح ولم تُؤذه .

---

(١) غرته : غفلته .

(٢) الرديف : الذى يركب خلف الراكب .

(٣) قرقرة ثبار : موضع على ستة أميال من خيبر .

(٤) أندرت : قطعت .

(٥) المخرش والمخراش : عصا معوجة الرأس كالصولجان .

(٦) شوحط : من شجر الجبال تتخذ منه القسى .

(٧) شجة مأمومة : بلغت أم الرأس .

ذكر سريّة كُرْز بن جابر الفِهرىّ إلى العُرَنيّين ٧٨/١٥

كانت هــذه السرية فى شوّال سـنة ست من مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا : قدم نفر من عُرَينة ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستَوْبَـئُوا[١] المدينة، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لِقاحه، وكانت ترعى بذى الجَدْر — ناحية قُباء قريبـا من عَيْر، على سـتة أميال من المدينة — فكانوا فيها حتى صحّوا وسمنوا، فعدَوا على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ومعـه نفر، فقاتلهم ، فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشّـوك فى لسانه وعينيه حتى مات ، فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فبعث فى أثرهم عشرين فارسـا ، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهرىّ ، فأدركوهم فأحاطوا بهـم وأسروهم ور بطوهم[٢] وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلقُوه بالزّغابة[٣] بمجتمَع السّيول، فأمر بهم فقُطعت أيديهم وأرجلهم، وسُمِلَتْ أعينهم، وصُلبوا هنالك . وأنزل الله تعالى على رسوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . فلم يسمل بعد ذلك عينا ، وكانت اللقاح خمس عشرة لِقْحة غِزارا فردوها إلى المدينة ، ففقد منها لِقحة تدعى الحناء، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقيل : نحروها .

---

(١) استوبئوا : استوخموا . وفى ا : « استوا » .

(٢) فى ا : « وكسروهم » .

(٣) ضبطت فى القاموس بضم الزاى ، وفى معجم البلدان بفتحها

ذكر سرية عمرو بن أمية الضَّمْرىّ وسلمة بن أسلم إلى أبى سفيان بن حرب بمكة

قال محمد بن سعد فى طبقاته : وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش : ألا أحد يَغترّ[1] محمدا فإنه يمشى[2] فى الأسواق؟ فأتاه رجل [من الأعراب][3] فقال : قد وَجَدْتَ أجمع الرجال قلبا، وأشدّه[4] بطشا، وأسرعه[4] شدّا، فإن أنت قوّيتنى خرجت إليه حتى أغتاله، ومعى خَنْجر مثل خافية النسر[5]؛ قال : أنت صاحبنا؛ فأعطاه بعيرا ونفقة، وقال : اطوِ أمرك؛ فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبّح ظهر الحرّة صبح سادسة، ثم أقبل فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دُلّ عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن هذا ليريد غدرا". فذهب ليجنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجذبه أُسيد بن الحضير بداخلة إزاره[6]، فإذا بالخنجر، فسُقِطَ فى يده[7]، وقال : دمى دمى! وأخذ أسيد بلبّته فذعته[8]، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اصدُقنى، ما أنت؟" قال : وأنا آمن؟ قال : نعم؛ فأخبره بخبره، فخلّى عنه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) يغتر، أى يأتيه على غفلة . وفى الأصول : « يغتر » ، وصوابه عن المواهب فيما نقله عن الطبقات .

(٢) كذا فى ح . وفى أ : « فيمشى » .

(٣) ساقطة من أ .

(٤) كذا فى الأصل، والطبقات . وفى المواهب : « أشدهم، وأسرعهم » .

(٥) خافية النسر : ريشة صغيرة فى جناح النسر دون العشر ريشات التى فى مقدم الجناح .

(٦) بداخلة إزاره؛ أى طرفه وحاشيته من داخل .

(٧) سقط فى يده : أى ندم .

(٨) ذعته : أى خنقه أشدّ الخنق . وفى أ ، وح، والطبقات : « فدعته » بالدال المهملة . وفى هامش ح : « دعته : إذا خنقه أشد الخنق » وهو تحريف . والصواب « ذعته » بالذال المعجمة فى الجميع .

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى، وسلمة بن أسلم ابن أبى حَرِيس[1] إلى أبى سفيان بن حرب، وقال : إن أصبتما منه غِرة فاقتلاه ؛ فدخلا مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا، فرآه معاوية بن أبى سفيان فعرفه، وأخبر قريشا بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكا فى الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير؛ فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقى عمرو عُبيد الله ابن مالك بن عبد الله[2] التيمى [فقتله][3] وقتل آخر من بنى الدِّيل، سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيًّا ... ولست أدِين دينَ المسلمينا

ولقى رسولين لقريش بعثتهما يتحسّسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر [فقدم به المدينة][4] فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله يضحك. هكذا حكى محمد بن سعد .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أميّة الضَّمْرى ، ومعه جَبّار بن صخر الأنصارى ، وذلك بعد مقتل خُبَيب بن عدى وأصحابه ، قال : فخرجا حتى قدما مكة ، وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يَأْجِج[5] ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبّار بن صخر لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؛ قال عمرو : فطفنا وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل فعرفنى، فقال : عمرو بن أمية، والله إنْ قَدِمها إلا لشرّ ؛ فقلت لصاحبى : النجاء ؛ فخرجنا نشتدّ حتى أصعدنا فى جبل، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فدخلنا كهفا

(١) كذا فى الأصول، وفى ابن هشام : « ابن حريش » .
(٢) كذا فى الأصول . وفى المواهب، والطبقات : « عبد الله » .
(٣) ساقط من أ .   (٤) تكملة من جـ .   (٥) يأجج : اسم موضع بمكة .

فى الجبل فبتنا ، وقد رضّمنا(١) دوننا حجارة ، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ، فغشّينا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا فنؤخذ فنقتل ؛ قال : فخرجت إليه فضربته على ثديه(٢) بخنجر كنت قد أعددته لأبى سفيان ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، ورجعت فدخلت مكانى ، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رَمق ، فقالوا : مَنْ ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية . ومات لوقته ، ولم يدلّ علينا ، فاحتملوه ، فقلت لصاحبي لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خُبيب ، فقال أحدهم : والله مارأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو ؛ قال : فلما حاذى عمرو الخشبة شدّ عليها واحتملها ، وخرجا شدًّا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جُرُفا بمَهْبط مَسيل يأْجَج ، فرمى بالخشبة فى الجُرف ، فغيّبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه . قال عمرو : وقلت لصاحبي : النجاء ، حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه ، فإنى سأشغل عنك القوم ؛ قال : ومضيت حتى خرجت على ضَجْنان(٣) ، ثم أويت إلى جبل فدخلت كهفا ، فبينا أنا فيه إذ دخل علىّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنَيمة له ؛ فقال : مَن الرجل ؟ قلت : من بنى بكر ، فمَن(٤) أنت ؟ قال : من بنى بكر ؛ فقلت : مرحبا ؛ فاضطجع ، ثم رفع عقيرته فقال :

ولست بمسلم ما دمت حيًّا * ولست أَدينُ دينَ المسلمينَا

---

(١) رضم الحجارة : جعل بعضها على بعض .

(٢) كذا فى الأصل . وفى ابن هشام : « ثديه » .

(٣) ضجنان : اسم جبل قرب مكة .

(٤) كذا فى ء . وفى ا : « فقلت : من بكر . قال : فمن أنت من بنى بكر ؟ . » .

فقلت فى نفسى : ستعلم ؛ فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سِيَتها[(١)] فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جئت العَرْج[(٢)] ، ثم سلكت رَكُوبة[(٣)] ، حتى إذا هبطت النَّقيع[(٤)] إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة يتحسّسان ؛ فقلت : استأسرا ؛ فأبيا ، فرميت أحدهما بسهم فقتلته ، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطا ، وقدمت به المدينة .

ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السريّة ، فى أى شهر كانت ، فاذكُره .

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَة[(٥)] وما وقع فيها من بيعة الرِّضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَة فى ذى الحجة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيئوا ، ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين ، وركب راحلته القَصْواء[(٦)] ، وخرج ، وذلك يوم الاثنين لهلال ذى القعدة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وقال ابن إسحاق : استعمل على المدينة نُمَيلة بن

---

(١) سية القوس : ما عطف من طرفها .

(٢) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالحجاز .

(٣) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

(٤) النقيع : موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة .

(٥) الحديبية : بئر سمى المكان بها ، وقيل : شجرة حدباء سمى المكان بها . وقيل : قرية متوسطة قريبة من مكة .

(٦) القصواء ، لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله اللَّيثى . قال ابن سعد : ولم يُخرِج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه (١) بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف فى القُرُب، وساق بُدْنا (٢) وساق أصحابه بدنا، فصلى الظهر بذى الحُلَيفة : ثم دعا بالبدن التى ساق فجُلِّلت (٣)، ثم أشعرها (٤) فى الشقّ الأيمن وقلّدها (٥)، وأشعر أصحابه أيضا، وهى موجّهات إلى القبلة، وهى سبعون بَدَنة، فيها جمل أبى جهل الذى غَنِمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وأحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبّى، وقدَّم عبَّاد بن بشر أمامه طليعةً فى عشرين فارسا من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل : ألف وستّمائة ؛ ويقال : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضى الله عنها، وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وعسكروا بِبَلْدَح (٦) وقدّموا مائتى فارس إلى كُرَاع الغَميم (٧)، عليهم خالد بن الوليد، ويقال : عكرمة ابن أبى جهل .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهرى : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُسْفان لقيه بشر بن سُفيان الكعْبى — قال ابن هشام : ويقال : بُسْر — فقال : ٨٠/١٥

(١) حذف المؤلف المفعول هنا، والتقدير ولم يخرج معه أحدا .

(٢) البدن : جمع بدنة، وهى الناقة أو البقرة تنحر بمكة .

(٣) جللت : ألبست ما تصان به .

(٤) أشعرها : أعلمها، وذلك بأن ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعارا بأنها هدى .

(٥) قلدها : علق فى عنقها شيئا ليعلم أنها هدى .

(٦) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب .

(٧) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

يا رسول الله ، هـذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المطَافِيل[1] ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طُوًى ، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبدا ، وهـذا خالد بن الوليـد فى خيلهم قد قدموها إلى كُراع الغَميم . فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : "يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بينى و بين سائر العرب ؟ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، و إن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة ، فما تظن قريش ؟ والله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[2]".

قال محمد بن سعد : ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فأمر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عبّاد بن بشر فتقدم فى خيله ، فأقام بإزائه وصفّ أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف ، فلما أمسى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : تيامنوا فى هذا الموضع العَضَل[3] — موضع منعطف فى الوادى — فإن عيون قريش بمرّ الظّهران و بضَجْنان . فسار حتى دنا من الحديبية ، وهى طرف الحرم على تسعة أميال من مكة ، فوقفت[4] يدا راحلته على ثنيّة تهبط على غائط القوم ، فبركت .

---

(١) العوذ المطافيل : النـوق التى وضعت أولادها حديثـا . يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان . وفى هامش جـ ما يأتى : « حاشية : العوذ : نتاج الناقة القريب العهـد بالولادة . والمطافيل : كل ما يتبع أمه من سائر الحيوان » .

(٢) السالفة : صفحة العنق ، وكنى بانفرادها عن الموت .

(٣) فى حاشـية جـ : « العضل : جمع عضـلة ، وهى شجرة إذا أكل منهـا البعير سلحته » . وفى معجم البـلدان : « العضل : موضع بالبادية كثير الغياض » . وفى ابن سـعد و إمتاع الأسماع : « فى هذا العصل » بالصاد المهملة . والعصل : الرمل الملتوى المعوج .

(٤) فى ابن سعد : « فوقعت » .

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير الأشطاط[١] قريبا من عُسْفان أتاه عُيَيْنة الخزاعي، فقال : إني تركت كعب بن لُؤَي وعامر بن لؤى قد جمعا لك الأحابيش[٢] ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ، أترون أن نميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم[٣] فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن يحبثوا [تكُنْ][٤] عنقا قطعها الله ، أو ترون أن نؤمّ البيت فمن صدّنا عنه قاتلناه ؟ فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا و بين البيت قاتلناه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فرُوحوا إذًا؛ فراحوا، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقدمناه إلى قوله : أو تنفرد هـذه السالفة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ فقال رجل من أسلَم : أنا يا رسول الله . فخرج بهم على طريق وعر حَزْن بين شِعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا،

---

(١) غدير الأشطاط : موضع تلقاء الحديبية .

(٢) الأحابيش : هم بنو الهون بن خزيمة ، و بنو الحارث بن عبد مناة و بنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له : الحبشى أسفل مكة . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم .

(٣) كذا فى جـ . وفى أ : « أعاونوهم » .

(٤) كذا وردت هذه العبارة فى أ ، و جـ . وفى تفسير الكشف والبيان : « فإن قعدوا قعدوا موفورين ، وإن نجوا عنقا قطعها الله » . والتصويب من شرح المواهب ٢ : ٢١٩ .

فقال : والله إنها لَلخِطَّة(١) التي عرضت على بنى إسرائيل فلم يقبلوها؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : اسلكوا ذات اليمين، فى طريق يخرجه على ثنية المُرار(٢) على مهبِط من أسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قَتَرة(٣) الجيش، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنيّة المرار بركت به ناقته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ(٤) ؛ فقال : ما حل؛ قالوا : خَلأَتْ(٥) القَصْواء ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : " ماخلأت وماذاك لها بخُلُق ،ولكن حبسها حابس الفيل(٦) ؛ ثم قال : والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش إلى خُطة يعظمون بها حرمات الله ، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها "؛ ثم قال للناس : "انزلوا"فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة المـاء، إنما يتبرّضه(٧) الناس تبرّضا ، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكا الناس إلى النبى صلى الله عليه وسلم العطش، فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه، يقال له : ناجية بن عُمير بن يَعْمَر بن دارِم، وهو سائق بُدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل فى تلك البئر فغرزه فى جوفها

(١) الحطة : يشير إلى قول الله تعالى لبنى إسرائيل : «وقولوا حطة» ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا.

(٢) فى الأصل : « المران » وهو تحريف .

(٣) قترة الجيش : غباره . وفى أ : « قرة الجيش » .

(٤) حل حل : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير . وقال الخطابى : حل واحدة فبالسكون، وإن أعدتها نونت الأولى وسكنت الثانية . وحكى غيره : السكون فيهما والتنوين كنظيره فى بخ بخ . لكن الرواية بالسكون فيهما . راجع شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٢٢١ .

(٥) فى هامش جـ : « الخلأ : حران الإبل » .

(٦) حابس الفيل : أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

(٧) يتبرضه الناس : أى يأخذونه قليلا قليلا .

فجاش(١) المــاء بالرّى ، حتى صدروا(٢) عنه ؛ ويقال : إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القَليب يميح(٣) على الناس، فقالت :

يأيها المــائح دَلـوى دُونَكا * إنى رأيت النـاس يَحمدونكا

يُثنون خيرا ويُمجّـدونكا * أرجوك للخيـر كما يرجونكا

فقال ناجية :

قد علمت جاريةٌ يَمانيــةْ * أنى أنا المــائح واسمى ناجيه

وطعْنةٍ ذات رشاشٍ واهيه * طعنتها تحت صدور العاديه(٤)

قال ابن إسحاق : ناجية بن جندب بن عُمَـير الأَسلمى ؛ قال : وزعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم . قال محمد بن إسحاق والثعلبى : روى عن الزُّهرى عن عُروة بن الزبير عن المِسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيل بن ورقاء الخُزاعى فى نفر من قومه ، وكانت خزاعة عَيْبَةَ نُصح(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة ، فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر ابن لؤى قد نزلا أَعْداد(٦) مياه الحديبية ، معهم العُوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب ، وأضرّت بهم ، فإن شاءوا ماددناهم مدة(٧)

---

(١) جاش : فار (٢) صدروا : رجعوا .

(٣) الميح : أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلة مائها .

(٤) العادية : القوم الذين يعدون أى يسرعون العدو .

(٥) عيبة نصح ، أى أنهم موضع نصح .

(٦) أعداد : جمع عدّ ، وهو المــاء الذى لا انقطاع له . و يطلق أيضا على الكثرة فى الشىء .

(٧) ماددناهم مدة : جعلنا بيننا و بينهم مدة تترك الحرب فيها .

ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا[١]، فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى، أو ليُنْفِذَنّ الله أمره. قال بُدَيل: سنبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا فى أن تحدثنا عنه بشىء؛ وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعته يقول؛ قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائرا لهذا البيت. فاتهموه وجبهوه[٢] وقالوا: إن كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا يحدِّث[٣] بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص بن الأخيَف أخا بنى عامر ابن لؤىّ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال: هذا رجل غادر. وفى رواية: «فاجر». فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبُديل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم، ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلْقمة أو ابن زَبَّان[٤]، وكان يومئذ سيِّد الأحابيش، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا من قوم يتألَّهون[٥]، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه. فلما رأى الهَدْىَ يسيل[٦] عليه من عرض الوادى فى قلائده، قد أكل أوباره[٧] من طول الحبس عن مَحِلِّه[٨] رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما

(١) جموا: استراحوا. (٢) جبهوه: لقوه بما يكره.
(٣) كذا فى جـ. وفى أ: «ولا تحدث بذلك العرب عنا».
(٤) كذا فى ابن هشام، والطبرى. وفى الأصل: «ابن ريان».
(٥) فى حاشية جـ: «التأله: التعبد؛ قال رؤبة: ضحكن واستهزأن من تألهى».
(٦) فى أ: «سال». (٧) أوباره: جمع وبر وهو صوف الإبل. وفى أ: «أوتاره».
(٨) محل الهدى: الموضع أو الوقت الذى يحل فيه نحره.

لمـا رأى ، فقال لهم ذلك ؛ فقالوا له : ياحُلَيس ، إنما أنت أعرابى لا علم لك ؛ فقال : يامعشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاهدناكم، أيُصَدّ عن بيت الله من جاءه معظِّما له ؟ والذى نفس الحُليس بيـده لتُخَلُّنّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد ؛ فقالوا له : مَـهْ ، كف عنا ياحليس، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ؛ قال : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بن مسعود الثقفى، فقال لهم : يامعشر قريش، إنى قد رأيت ما يلق منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد — وكان عروة لِسُبَيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم، فجمعت من أطاعنى من قومى، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ؛ قالوا : صدقت، ما أنت عندنا بمتّهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يامحمد، أجمعتَ أَوْشابَ[1] الناس ثم جئت بهم إلى بَيْضتك[2] لتفضّها بهم؟ يامحمد، أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصـله قبلك ؟ وإنها قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنْوة [أبدا][3] وإنى لأرى وجوها وأوشابا مـن النـاس خليقًا[4] أن يفرّوا ويدَعوك ، وايم الله ، لكأنى بهؤلاء قـد انكشفوا غدا عنك . وأبو بكر ٨٢/١٥ الصديق رضى الله عنه خلف رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قاعد، فقال لعُروة : امصَصْ بَظْرِ[5] اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ — واللات طاغيـة ثقيف التى كانوا

(١) فى حاشية حـ : « أوشاب : أى أخلاط من الناس . وأوشاب : مثل أوباش » .

(٢) بيضتك : أصلك وعشيرتك . (٣) ساقطة من أ .

(٤) فى الأصول : « خلقا » ، والتصويب من المواهب .

(٥) أقام أبو بكر رضى الله عنه معبود عروة ، وهو صنمه اللات مقام أمه ، لأن عادة العرب الشتم بذلك بلفظ الأم ، فأبدله الصديق باللات ، فنزله منزلة امرأة تحقيرا لمعبوده . وفى أ : «بضر اللات» .

يعبدونها — فقال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قُحَافة؛ قال : أما والله لولا يدٌ[1] كانت لك عنـدى لكافأتك بها، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وهو يكلمه، والمُغـيرة بن شُعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول : اكفُف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك؛ قال : فيقول عروة : ويحك! ما أفظّك وما أغلظك[2]! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عروة : من هذا يامحمد؟ قال : "هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعبة" قال : أى غُدَر، وهل غسلتَ سوأتكَ إلا بالأمس؟ — وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من[3] ثقيف،
١ صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما الإسلام فقد قبلناه، وأما المـال فإنه مال غَدْر، ولا حاجة لنا فيه" . قال : ولمـا قتلهم المغيرة تهايج الحيّان من ثقيف : رهط القتلى ورهط المغـيرة ، فودَى عُروة المقتـولين ثلاث عشرة دِيَة ، وأصلح ذلك الأمر ، فلذلك قال للمغـيرة ما قال — قال : ثم كلم رسـول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بنحـو ما كلم به أصحابه ، فقام
١ من عند رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتـدروا وَضوءه ، ولا يبصـق بُصاقا إلا ابتـدروه ، ولا يسقط من شـعره شىء إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدّون[4] النظر إليه تعظيما

(١) كان عروة قد تحمل بدية فأعانه فيها أبو بكر بعشر قلائص، وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث .

(٢) فى ح : « ما أفظك وأغلظك » .

٢ (٣) كذا فى ح . وفى أ : « بنى مالك بن ثقيف » .

(٤) يحدّون : يحدّقون .

له . فرجع إلى قريش فقال : يامعشر قريش، والله لقد وفَدتُ على الملوك، وفدت على قَيصرَ فى مُلكه،وكسرى فى مُلكه،والنجاشيِّ فى ملكه،و إنى والله مارأيت ملكا فى قومه قطّ(١) يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمدا،والله إن تنخّم نُخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم فدلَك بها وجهَه وجلدَه ، و إذا أمرهم ابتدروا أمره ، و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، و إذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، ومايُحِدّون النظر إليه تعظيما له ، ولقد رأيت قوما لا يُسْلمونه لشيء أبدا ، فَرَوا رأيَكم . وفى رواية قال : و إنه قد عرض عليكم خطة رُشْد فاقبلوها .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخُزاعىّ إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير يقال له : الثّعلب ، ليبلّغ أشرافهم ما قد جاء له ، فعقروا الجمل وأرادوا قتل خراش ، فمنعتْه الأحابيش ، فخلّوا سبيله . قال : وبعثت قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأُخذوا وأُتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، وكانوا رمَوا فى العسكر بالحجارة والنّبل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كعب أحد يمنعنى، وقد عرفتْ قريش عداوتى إيّاها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلّك على رجل أعزّ بها منّى، عثمان بن عفان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى أبى سفيان ابن حرب وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائرا لهذا

---

(١) فى أ : « ملكا قط فى قومه » .

البيت ومعظما لحرمته . فخرج حتى أتى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قُتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا نبرحُ حتّى نناجزَ القوم" . ودعا الناس إلى البيعة .

ذكر بَيْعة الرِّضْوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، قال الثعلبيّ : وكانت سَمُرة[1] . قال : ٨٣/١٥

وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن عثمان بن عفّان قُتل قال : "لا نبرح حتى نناجز القوم"؛ ودعا الناس إلى البيعة ، قال : فكان الناس يقولون : بايَعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وقال عبد الله ابن مُغَفَّل : كنت قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وبيدى غصن من السَّمُرة أذبّ عنه وهو يبايع الناس ، فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ألا يفرّوا . قال جابر بن عبد الله : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدّ بن قيس أخو بنى سلمة، لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته ، مستترا بها عن الناس .

وكان أول مَنْ بايع بيعة الرضوان رجل من بنى أسد يقال له : [أبو][2] سنان ابن وهب . ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكروا من أمر عثمان باطل . واختلف فى عدد أهل بيعة الرضوان، وهو مبنيّ على الاختلاف فى عدد

(١) السمرة : شجرة الطلح . (٢) ساقطة من أ ، وفى اسمه خلاف ، وانظر أسد الغابة ٥ : ٢٣١

أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم ، لم يتخلف منهم إلا الجد بن قيس ، قالوا : ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى . روى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فسأله عن عثمان رضى الله عنه ، أكان شهد بدرا ؟ قال : لا ؛ قال : أكان شهد بيعة الرضوان ؟ قال : لا ؛ قال : فكان من الذين تولَّوا يومَ ٱلْتقى ٱلجمعان ؟ قال : نعم . قال : فانطلق الرجل ؛ فقيل لعبد الله بن عمر : إن هذا يرى أنك قد عبته ، قال : علىّ به ؛ فأُتى به فقال : أمّا بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب له بسهمه [وأجره][1] ؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يد عثمان ، وأما الذين تولَّوا يوم ٱلتقى الجمعان فقد عفا الله عنهم ، فاجْهَد علىّ جَهْدَك[2] .

وأنزل الله عزّ وجلّ فى الّذين بايعوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم هذه البيعة قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ . قال الكلبىّ : معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة . وقال ابن كيسان : قوة الله ونُصرته فوق قوّتهم ونصرتهم . ثم قال تعالى : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة . وقوله تعالى فى السورة أيضا : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ . قيل : فتح خيبر ؛ رُوى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة" .

(١) ساقطة من أ .

(٢) اجهد جهدك ، أى ابلغ غايتك .

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال : ثم بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُهَيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤىّ ، فقالوا : إيت محمدا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قد سهل أمرُكم ، القوم مأتُون إليكم بأرحامهم ، وسائلوكم الصلح ، فابعثوا الهـدْى وأظهروا التلبية ، لعلّ ذلك يُلين قلوبَهم" . فلبّوا من نواحى العسكر حتى ارتجت أصواتُهم بالتلبية ، قال : وانتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم فأطال ، وتراجعا ، ثم جرى الصلح بينهما ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا المشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلامَ نُعطى الدَّنِية (١) فى ديننا ؟ قال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ، وليس نعصى رأيه (٢) ، فاستمسك بغرزه (٣) حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحق ؛ قال عمر : أو ليس كان يحدّثنا أنا سنأتى البيت نطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه (٤) العام ؟ قال : لا ؛ قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال : ثم جاء عمر إلى رسول الله ٨٤/١٥
صلى الله عليه وسلم فقال : ألست رسول الله ؟ قال : "بلى" ؛ قال : ألسنا على الحق

---

(١) الدنية : الخصلة الخسيسة .

(٢) كذا فى أ ، ح . وفى الكشف والبيان : «وليس يعصى ربه» .

(٣) فاستمسك بغرزه : أى تمسك بأمره فلا تخالفه ، كالذى يتمسك بركاب الراكب . والغرز للإبل بمنزلة الركاب للفرس .

(٤) كذا فى أ . وفى جـ : «أنه يأتيه» .

وعدوّنا على الباطل؟ قال : "بلى"؛ قال : فلِمَ نعطى الدنيّة فى ديننا إذًا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى" . وفى رواية قال : "إنى عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيّعنى" . قال عمر : ألستَ تحدّثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : "بلى ، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟" قال عمر : لا؛ قال : "فإنك آتيه ومطوّف به". قال عمر : والله ماشككت منذ أسلمت إلّا يومئذ ، فما زلت أصوم وأتصدّق وأصلّى وأعتق من الذى صنعت [يومئذ](1) مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت خيرا . قالوا(2) : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال : "اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم"؛ فقال سهيل : أما الرحمن فلا أدرى ما هو ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم [كما كنت تكتب ، قال المسلمون : لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اكتب : باسمك اللهم"(3)] فكتبها، ثم قال : "اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو" . فقال سهيل : والله لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله إنى لرسول الله وإن كذّبتمونى"؛ ثم قال لعلىّ : "امحُ رسول الله" . فقال : والله لا أمحوك أبدا . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يحسن يكتب فمحاه؛ ثم قال : "اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سُهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكفّ بعضهم عن

(١) ساقطة من أ .
(٢) فى أ : « قال » .
(٣) ما بين العلامتين ساقط من أ .

بعض ، وعلى أنه من قدم مكّة من أصحاب محمد حاجّا أو معتمرا أو يبتغى من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله ، ومَنْ قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام، يبتغى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، وعلى أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم لم يردّوه عليه " . فاشـتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبـه جعل له مخرجا " . وأن بيننا عَيْبة[1] مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا[2] إغلال، وأنه من أحب أن يدخل فى عقـد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه" . فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم . فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : "وعلى أن تخلّوا بيننا و بين البيت [فنطوف به.][3]" فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضُغْطة[4]، ولكن لك ذلك من العام المقبل ؛ فكتب : وعلى أنك ترجع عنـا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف فى القرُب، وسلاح الراكب، وعلى أنّ هذا الهدىَ حيثما حبسناه محلّه ، لا تقدّمه علينا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن نسوقه وأنتم تردّون وجوهه" ! قال : فبينا رسول الله صلى الله عليـه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَنْـدل بن سهيل بن عمرو يرسُـف فى قيوده ،

---

(١) عيبة مكفوفة ، أى أمورا مطوية فى صـدور سليمة ، إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها .

(٢) لا إسلال ولا إغلال ، أى لا سرقة ولا خيانة .

(٣) ساقطة من أ .

(٤) الضغطة : الإكراه والشدة .

وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه ، وقال : يا محمد ، قد تمت القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، وهذا أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا ؛ ثم جعل يجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُرَدّ إلى المشركين وقد جئت مسلما ليفتنوني عن ديني ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذّب عذابا شديدا في الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا جندل ، احتَسِب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا ، وإنّا لا نغدِر" . قال : فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب — ويدني قائم السيف منه — قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضنّ الرجل بأبيه .

قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ذلك دخل الناسَ ٨٥/١
أمر عظيم حتى كادوا يَهلِكون ، وزادهم أمرُ أبي جندل شرًّا إلى ما بهم ، قالوا : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، وفرغت القضيّة أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبا بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقّاص ، ومحمود بن مسلمة[(1)] أخا بني عبد الأشهل ، ومِكْرَز بن حَفْص بن الأخيف ، وهو مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة . قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

(١) في ا : « محمود بن أبي مسلمة » .

وسلم من قضيته سار مع الهَدْى ، وسار الناس ، فلما كان الهدى دونَ الجبال التى تطلع على وادى الثّنية عرض له المشركون ، فردّوا وجُوهَه ، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم حيث حبسوه ، وهى الحديبية ، وقال لأصحابه : " قوموا فانحروا، ثم احلقوا " . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات ؛ فلما لم يقم منهم أحد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقى من الناس ؛ فقالت له أم سلمة رضى الله عنها : يا نبيّ الله، اخرج ولا تكلّمْ منهم أحدا كلمةً حتى تنحر بَدَنتك ، وتدعوَ حلّاقك فيحلقك . فقام صلى الله عليه وسلم فخرج فلم يكلّم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنتَه ودعا حلّاقه فحلقه ، وكان الذى حلقه ذلك اليوم خِراش بن أمية بن الفضل الخزاعىّ ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا (١) غمّا . قال عبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يرحم الله المحلّقين" . قالوا : يا رسول الله ، والمقصّرين ؟ قال : "يرحم الله المحلقين" ؛ قالوا : يا رسول الله ، والمقصّرين ؟ قال : " يرحم الله المحلقين "؛ قالوا : يا رسول الله، والمقصّرين ؟ (٢) [قال : " يرحم الله المقصّرين "] قالوا : يا رسول الله، فَلِمَ ظاهرت الترحّم على المحلّقين دون المقصّرين؟ قال: "لأنهم لم يشكّوا". قال ابن عمر : وذلك أنه تربّص قوم قالوا : لعلّنا نطوف بالبيت .

(١) فى ا : « بعضهم » .

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ا .

ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ونزول سورة الفتح

قال الزُّهرى : وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى كان بين مكّة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

روى قَتَادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حِيل بيننا و بين نُسُكنا، فنحن بين الحزن والكآبة، فأنزل الله عزّ وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ الآية كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد أنزلتْ عَلَيَّ آية هى أحبُّ إلىّ من الدنيا كلها" . وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلا، فسأله [عمر](1) عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، قال عمر رضى الله عنه : فحركت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل فىّ قرآن، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، فقال : " لقد أُنزلت علىّ الليلة آية لَهِى(2) أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس" . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . وقد اختلف فى الفتح، ما هو؟ فقال قتادة عن أنس : فتح مكة، وقال مجاهد والعَوْفىّ : فتح خيبر، وقال آخرون : فتح الحديبية، ويدل عليه ما روى عن مُجَمِّع بن جارية الأنصارى، — وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن — قال : شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزُّون(3) الأباعر، فقال بعض الناس لبعض : ما بال الناس؟ قالوا : أُوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجنا نُوجِف(4)، فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم

(1) ساقطة من أ .   (2) فى القرطبى ج ١٦ ص ٢٥٩ : « سورة » .

(3) يهزون الأباعر : ينشطونها بالحداء . لتخف وتسرع فى سيرها .

(4) الإيجاف : سرعة السير .

واقفا على راحلته عند كُراع الغَميم(١)، فلما اجتمع إليه النـاس قرأ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم، والذى نفسى بيده إنه لفتح". وقال الشعبي رحمه الله: فتح الحديبية، غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واطعموا نخل خيبر، وبلغ الهَدْىُ مَحِلَّه(٢)، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال مقاتل بن حيّان: يسّرنا لك يُسْرا بيّنا. وقال مقاتل بن سليمان: لمـا نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ فرح بذلك المشركون والمنـافقون وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدرى ما يفعـل به وبأصحابه، ما أمْرُنا وأمرُه إلا واحد، فأنزل الله عز وجل بعد ما رجع من الحديبية: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ أى قضينا لك قضاء بينا ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فنسخت هذه الآية تلك. قال سفيان الثورى: ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ ما عملت فى الجاهليـة ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ كل شيء لم يعمله. وقال عطاء بن أبى مسلم الخراسـانى: ﴿ مَا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ يعنى ذنب أبويك آدم وحـواء ببركتك ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك. وقال الزبادىّ: أى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أى بالنبوّة والحكمة ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أى ويثبتك عليه، وقيل: يهدى بك، ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ غالبا، وقيل: معزّا.

قوله تعـالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَـانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾، قال الثعلبى: أى الرحمة والطمأنينة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: بعث الله عز وجل نبيّه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقوه زادهم

(١) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة. (٢) فى أ: «أبلغ».

الصلاة، [[1] فلما صدقوه زادهم الزكاة]، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ أى تصديقا بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان. وقال الضحاك: يقينا مع يقينهم. وقال الكلبي: هذا في أمر الحديبية. وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على الناس قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قالوا: هنيئا مريئا يارسول الله، قد بين الله ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ثم قال تعالى ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ إن لم ينصر محمد والمؤمنون ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة، وقد تقدمت.

ثم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعنى أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادى، ليخرجوا معه حذرا من قريش

(١) ما بين العلامتين ساقط من ا.

أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعُمرة وساق معـه الهَدْى ، ليعلم الناس أنه لا يريد حربا ، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وقالوا : نذهب معهُ إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ ، الآية . أى إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ثم كذبهم فى اعتذارهم واستغفارهم ، وأخبر عن إسرارهم و إضمارهم ، فقال : « يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ » .

قوله تعـالى : ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ وذلك أنهم قالوا : إن محمدا وأصحابه أَكَلَةُ رأس ، فـلا يرجعون ، فأين تذهبون ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم . ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ أى هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشئ من الخير . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ .

٨٧/١٥ قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : ﴿ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ أى عن الحديبية ﴿ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ ﴾ يعنى غنائم خيبر ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ أى إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ معناه يريدون أن يغيّروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضا عن غنائم أهـل مكة ، إذْ[1] انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئا . وقال ابن زيد :

(١) كذا فى حـ . وفى ا : « إذا » .

هو قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ قال : والأول أصوب ، لأن قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ نزلت فى غزوة تبوك . قال : ﴿ كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أى من قبل مرجعنا إليكم : إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب : ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أى أن نصيب معكم من الغنائم .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾، قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن أبى ليلى ومجاهد : هم فارس . وقال كعب الأحبار : الروم . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : هوازن . وقال سعيد بن جبير : هوازن وثقيف . وقال قتادة : هوازن وغطفان يوم حنين . وقال الزهرى ومقاتل : بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب . وقال رافع بن خديج : والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ولا نعلم مَنْ هم حتى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة (١) : فكيف بنا يارسول؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ يعنى عن التخلف عن الجهاد والقعود عن الغزو ﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ يعنى فى ذلك ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

---

(١) أهل الزمانة : ذوو العاهات .

ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم برضاه عن أهل بيعة الرضوان ، فقال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وقد تقدم ذكر ذلك آنفا . ثم قال تعالى : ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ . وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ يعنى خيبر . وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر . ثم قال تعالى : ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ قال : معناه(١) ووعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم . واختلفوا فيها ، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى ليلى والحسن ومقاتل : هى فارس والروم ، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق : هى خيبر، وعدها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها . وهى رواية عطية و باذان عن ابن عباس . وقال قتادة : هى مكة . وقال مجاهد : ما فتحوا حتى اليوم .

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، قال : يعنى أسدا وغطفان وأهل خيبر . وقال قتادة : يعنى كفار قريش ، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾، واختلفوا فى هؤلاء، فقال أنس : إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم(٢) عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم ، فأخذهم

(١) فى ح : «معناه أى ووعدكم» .

(٢) التنعيم : موضع بمكة فى الحل بين مكة وسرف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم سلماً (١) فأعتقهم ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال عكرمة عن ابن عباس : إن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد قدمنا ذكرهم .

٨٨/١٥ وقال عبدالله بن مغفل : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فى أصل الشجرة ، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة ، فرفعته عن ظهره ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو ، فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح ، فثاروا فى وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل الآية . وقيل : غير ذلك . والله تعالى أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ الآية . وهى قصة الحديبية وقد تقدم شرحها . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ، قال : قوله : ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ أى تقتلوهم ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، قال ابن زيد : إثم . وقال ابن إسحاق : غُرْم الدِّية . وقيل : الكفارة ، لأن الله عز وجل إنما أوجب على قاتل المؤمن فى دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتلُه إيمانه الكفارة دون الدية . وقيل : هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون : قتلوا أهل دينهم . والمعرة المشقة ، وأصلها من العُرّ وهو الجَرَب . قال : فلولا ذلك لأذن لكم فى دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك . ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾

(١) سلما : قال ابن الأثير : « يروى بكسر السين وفتحها ، وهما لغتان للصلح » . وقال الخطابى : « إنه السلم بفتح السين واللام ، يريد الاستسلام والإذعان » .

أى فى دين الإسلام « مَنْ يَشَاءُ » من أهل مكة قبل أن تدخلوها . قال : وقال بعض العلماء : قوله « لَعَذَّبْنَا » جواب لكلامين أحدهما «وَلَوْلَا رِجَالٌ» والثانى « لَوْ تَزَيَّلُوا » أى تميزوا . وقال قتادة فى قوله : « لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ » أى أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : « لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » قال : "هم المشركون من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن كان بعدهم فى عصره، كان فى أصلابهم المؤمنون ، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا أليما" .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ، قال ابن إسحاق : يعنى سهيل بن عمرو حين حمى(١) أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وأن محمدا رسول الله . ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ ، قال : كلمة التقوى يعنى الإخلاص ؛ وقد روى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال فى قوله تعالى : « وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » : "لا إله إلا الله". وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كُهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مُصَرِّف والربيع والسدّى وابن زيد . وقال عطاء الخراسانى : هى لا إله إلا الله محمد رسول الله . وعن علىّ رضى الله عنه قال : كلمة التقوى : لا إله إلا الله والله أكبر ، وهو قول ابن عمر . وقال عطاء بن أبى رباح : هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

(١) حمى : أنف .

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وعن الزهري : كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ، قال : الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام . قوله : « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » أي أن الصلاح كان في الصلح . « فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » قيل : صلح الحديبية .

ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي أنك نبيّ صادق فيما تخبر .

ثم وصف تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . قال الثعلبيّ رحمه الله تعالى : قوله : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » تم الكلام هاهنا ، يعني الكلام الأول ، ثم قال مبتدئا : « وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ » أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رأفة . « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » أي متعاطفون ٨٩/١٥ متوادّون بعضهم على بعض . « يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ » أي يدخلهم جنته . « وَرِضْوَانًا » يرضى عنهم . « سِيمَاهُمْ » علامتهم . « فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » . واختلف العلماء في هذه السيماء ، فقال قوم : هو نور وبياض في وجوههم يوم

القيامة ، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا فى الدنيا ؛ وهى رواية العَوفى عن ابن عباس . وقال عطاء بن أبى رباح والربيع بن أنس : استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا . وقال شَهْر بن حَوْشَب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال آخرون : هو السَّمْت الحسن والخشوع والتواضع . وقال منصور: سألت مجاهدا عن قوله تعالى : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ » أهو الأثر يكون بين عينى الرجل ؟ قال : لا ، ربما يكون بين عينى الرجل مثل رُكْبَة البعير ، وهو أقسى قلبا من الحجارة ، ولكنه نور فى وجوههم من الخشوع . وقال ابن جُريج : هو الوقار والبهاء . وقال شَمِر بن عطية : هو التهيّج وصُفرة الوجه وأثر السهر . وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى ، وما هم بمرضى . وقال عكرمة وسعيد بن جبير : هو أثر التراب فى جباههم . وقال عطية الخراسانى : دخل فى هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس . « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ » أى ذلك الذى ذكرت « مَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي التَّوْرَاةِ » قال : وها هنا تم الكلام . ثم قال : « وَمَثَلُهُمْ » صفتهم «فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ » ؛ قال أنس : « شَطْأَهُ » نباته . وقال ابن عباس: سنبله . وقال مجاهد والضحاك : ما يخرج تحت الحَقْلة(١) فينمو ويتم . وقال مقاتل : هو نبت واحد ، فإذا خرج ما بعده فقد شَطأه . وقال السدّى : هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى . وقال الفراء : الأشطاء : الزرع إذا نبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا . وقال الأخفش : فراخه ، يقال : أشطأ الزرع فهو مشطئ إذا فَرَّخَ ، قال الشاعر :

أخرج الشطء على وجه الثرى * ومن الأشجار أفنان الثمر

قال : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يعنى أنهم كانوا يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون . قال قتادة : مثل أصحاب

(١) الحقلة ، بالفتح والكسر : ما يبقى من الماء الصافى فى الحوض .

محمد صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. « فَآزَرَهُ » قواه وأعانه وشدّ أزره. «فَاسْتَغْلَظَ» ، فغلظ وقوى. «فَاسْتَوَى» تم وتلاحق نباته وقام. «عَلَى سُوقِهِ» أصوله. « يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » يعنى أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ليغيظ بهم الكفار. قال الثعلبى بسند يرفعه إلى الحسن فى قوله عز وجل : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» قال : محمد رسول الله. «وَالَّذِينَ مَعَهُ» ، أبو بكر. «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» عمر بن الخطاب. «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» عثمان بن عفان. « تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » على بن أبى طالب. « يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة. « سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» ، قال : هم المبشرون، أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة. «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ » قال: نعتهم فى التوراة والإنجيل كمثل زرع. قال : الزرع محمد صلى الله عليه وسلم. «أَخْرَجَ شَطْأَهُ» أبو بكر الصديق. «فَآزَرَهُ» عمر بن الخطاب. « فَاسْتَغْلَظَ » عثمان ؛ يعنى استغلظ عثمان للإسلام. « فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ » على بن أبى طالب، يعنى استقام الإسلام بسيفه. « يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ » قال : المؤمنون. « لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » قال : قول عمر لأهل مكة : لا نعبد الله سرًّا بعد اليوم. رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكرُ خبر أبى بَصير ومن لحق به وانضم إليه

قد اختُلف فى اسمه، فقيل : عُبَيد بن أَسيد بن جارية. وقال ابن إسحاق : عُتْبة بن أسيد بن جارية. وعن أبى معشر قال : اسمه عتبة بن أسيد بن جارية بن

أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غِيَرة بن عوف بن قسيّ، وهو ثقيف ابن منبّه بن بكر بن هوازن، حليف لبنى زهرة. وخبره وإن لم يكن داخلا فى جملة ٩٠/١٥ الغزوات والسرايا فليس هو منافيا لها، وموجب إيرادنا إياه فى هذا الموضع لتعلقه بغزوة الحديبية، ولأن ردّه كان من شروط الهدنة. ونحن نورده هاهنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، رحمه الله تعالى، فى كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد ابن إسحاق رحمهم الله تعالى، يدخل حديث بعضهم فى حديث بعض، قالوا :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انفلتَ رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له : أبو بصير بن أَسِيد بن جارية الثقفىّ من المشركين، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما مهاجرا، وكان ممن حُبس بمكة ، فكتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤىّ ، ومعه مولى لهم ، ويقال : كانا من بنى منقذ ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم ، اسمه جحش بن جابر ، وكان ذا جلَد ورأى فى أنفس المشركين ، وجعل لها الأخنس فى طلب أبى بصير جُعلا ، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلقْ إلى قومك" . فقال : يا رسول الله ، أتردّنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال : "انطلق ، فإن الله سيجعل لك فرجا

ومخرجا"، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذى الحُلَيْفة(١) سلّ جحش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفى هـذا فى الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: أوَ صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برَد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف جحش بفيه، وهو نائم، فقطع به إساره، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخرَ فجمز(٢) مذعورا مستخفيا، حتى دخل المسجد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: "لقد رأى هذا ذُعْرا"؛ فأقبل واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ويحك! مالك؟" فقال: قتل صاحبُكم صاحبى. وجاء أبو بصير يتلوه، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وَفَت ذمتُك يارسول الله، وأدّى الله عنك، دفعتنى إليهما فتعرفت أنهم سيعذبوننى ويفتنوننى عن دينى، فقتلت المنقذىّ، وأفلتنى هذا. فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلُ أمّه مِسْعَر(٣) حرب لو كان معه رجال!"، وجاء أبو بصير بسلَبه فقال: خمّس يارسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنى إن خمّسته لم أوفِ لهم بالذى عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلَب صاحبك، واذهب حيث شئت". فخـرج أبو بصير معه خمسـة نفر كانوا قدموا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العِيص وذى المَرْوة من أرض جُهينة، على طريق عيَرات قريش مما يلى سِيف البحر، لا تمر

(١) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة.

(٢) جمز: عدا وأسرع.

(٣) مسعر الحرب: موقدها، يقال: رجل مسعر حرب إذا كان يؤرثها، أى تحمى به الحرب؛ يتعجب النبى من شجاعته وجرأته وإقدامه.

بهـم غير لقريش إلا أخذوها وقتـلوا أصحابها ، وانفلت أبو جنـدل بن سُهَيل بن عمرو ــ واسم أبى جندل العاص بن سهيل(١) على ما أورده الزبير بن بكار ــ فى سبعين را كبا أسلموا ، فلحقوا بأبى بصير حين(٢) بلغهم أنـ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ويلُ امه مِسْعَر حرب لو كان معه رجال"، فقطعوا مادة قريش من طريق الشام . وكان أبو بصير يصلى لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم ، واجتمع إلى أبى جندل ناس من بنى غفار وأسـلم وجهينة وطوائف من الناس ، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل ، وهم مسلمون، فأقاموا مع أبى جندل وأبى بصير ، لا تمرّ بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وقال أبو جندل فى ذلك :

أبلغ قريشًا عن أبى جَنـدل * أنَّا بذى المَـرْوة بالساحلِ
فى معشرٍ تخفـق راياتُهـمْ * بالبِيض فيها والقَنا الذُّبَّـلِ(٣)
يأبَون أنـ تبـق لهم رفقة * من بعد إسـلامهم الواصلِ
أو يجعـل اللهُ لهم مخـرجا * والحـق لا يُغلب بالباطـلِ
فيسـلم المـرء بإسـلامه * أو يقـتل المـرء ولم يأتَـلِ(٤)

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامهم(٥) إلا آواهم، وقالوا : لا حاجة لنا بهم . قال البيهقىّ : وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه غير ٩١/١٥ حرج أنت فيه ، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره . فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع

(١) فى ا : « سهل » تصحيف . (٢) فى ا : « حتى » .
(٣) الذبل : الدقيقة اللاصقة القشر . (٤) لم يأتل : لم يقصر .
(٥) فى جـ : « بأرحامها » .

أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم فيما أحبوا وكرهوا . وحكى البيهقى : أن هؤلاء هم الذين مرّ بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه، فلما بلغهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا من أسروا من أصحاب أبى العاص، وردّوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العِقال، وقد تقدم خبر أبى العاص، وقيل : إنما أُخذ فى غير هذه السَّرِيّة . والله أعلم .

قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى أبى بصير وأبى جندل يأمرهما أن يقدما عليه ، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم، ولا يعترضوا لأحد مرّ بهم من قريش وعِيَراتهم . فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى جندل وأبى بصير ، وأبو بصير قد أشرف على الموت ، فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجدا ، وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهليهم ، وأمنت عيرات قريش .

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد : غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى سنة سبع من مهاجَره . وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى : فى المحرم من السنة . وخيبر على ثمانية بُرُد من المدينة .

قالوا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر، وأَجْلَبَ[1] من حوله يريدون الغزاة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يخرجنّ معنا

(١) يقال : أجلب القوم إذا صاحوا واختلطت أصواتهم .

إلا راغب فى الجهاد"، وشقّ ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغفارىّ، قاله ابن سعد والبيهقى . وقال ابن إسحاق : استخلف نُمَيلة بن عبد الله الليثى ؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضى الله عنها .

قال ابن إسحاق : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر قال فى مسيره لعامر بن الأكوع — وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سِنان — . " انزل يا بن الأكوع، فخذ لنا من هَناتك[1] "، فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدّقنا ولا صلّينا
إنا إذا قوم بغَوْا علينا * وإن أرادوا فتنة أبَيْنا
فأنزِلَنْ سَكينةً علينا * وثبّت الأقدامَ إن لاقينا[2]

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يرحمك ربُّك". ومن رواية البيهقى : " غفر لك ربُّك " . قال : وما خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا استُشهد . قال ابن إسحاق : فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : وجبتْ والله يا رسول الله، لو متّعتنا بعامر ؛ فقتل يوم خيبر شهيدا ، رجع سيفه عليه وهو يقاتل، فكَلَمه كَلْما شديدا فمات .

(١) هناتك : أى من أخبارك وأمورك وأشعارك .

(٢) ذكر هذا الرجز فى شرح الزرقانى بأسلوب يختلف عما ذكر هنا فى ألفاظه وأبياته . ونقل عن كتاب الفتح : « أكثر هذا الرجز تقدم فى الجهاد عن البراء، وأنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا عليه ؛ بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، واستعان عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة » . جـ ٢ ص ٢٦٢ من شرح المواهب اللدنية .

قال : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سلك على عصر[١] فبنى له فيه مسجدا، ثم على الصهباء[٢]، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له : الرَّجيع[٣]، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مُظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا مَنقَلة[٤] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسّا ، وظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

قال : ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه : "قِفوا"
فوقفوا ، ثم قال : " اللّهم ربّ السموات وما أظْلَلْن، وربّ الأرضين وما أقْلَلْن، ٩٢/١٥
وربّ الشياطين وما أضلَلْن، وربّ الرياح وما ذَرَيْن، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله" .

قال : ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يَصِحْ لهم ديك حتى طلعت الشمس، وأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغدَوا إلى أعمالهم، معهم المَساحى[٥]، والكَرازِن — وهى الفُئُوس — والمَكاتِل — وهى الزنابيل — فلما نظروا إلى

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرع ورواه بعضهم بالتحريك ، (وانظر ياقوت) .

(٢) فى جـ : « فيها » .

(٣) الصهباء : موضع قرب خيبر .

(٤) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر .

(٥) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والخميس(١) — يعنون الجيش — فولوا هاربين إلى حصونهم، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين"، ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وفرّق فيهم الرايات ، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، إنما كانت الألوية(٢)، فكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء من بُرْد لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تدعى العُقاب ، ولواؤه أبيض ، ودفعه إلى على بن أبى طالب ، وراية إلى الحُباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة؛ وكان شعارهم: «يامنصور أمِت» ، وكانت حصون خيبر حصونا ذوات عدد، منها النَّطاة ، وحصن الصّعب ابن مُعاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قلعة الزّبير(٣)، هذه حصون النطاة . والشّق و به حصون منها : حصن أبىّ ، وحصن النّزار . وحصون الكتيبة منها : القَمُوص ، والوطيح، وسُلالم. وسنذكر إن شاء الله فتحها حصنا حصنا . قال: وخرج مَرْحب اليهودىّ من حصنهم، قد جمع سلاحه وهو يقول :

قد علمت خيبر أنّى مَرْحَبُ * شاكى السلاح(٤) بطَل مُجرَّبُ
أطعن أحيانا وحِينا أضرِب * إذا الليوثُ أقبلت تُحَرَّبُ(٥)
* إن حِماىَ لَلْحِمى لا يُقرَب *

---

(١) سمى الجيش خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدّمة ، والساقة ، والميمنة، والميسرة، والقلب .

(٢) قال فى المصباح : « لواء الجيش علمه : وهو دون الراية » .

(٣) فى شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٢٧٣ ما يأتى : « مفاد عطف المصنف ما ذكر على النطاة — تبعا لمغلطاى — أن النطاة اسم لحصن مغاير لما بعده ، والشامى جعل النطاة اسما لحصن ناعم والصعب والزبير، فإن وفقت بينهما فقدّر بعد النطاة : وحصونها ثلاثة » .

(٤) شاكى السلاح : يريد حادّ السلاح .

(٥) تحرب : تغضب .

ثم يقول : هل من مبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى كعبُ * مفرِّج الغُمَّى جرىءٌ صُلْبُ
إذ شبّت الحرب تليها الحربُ * معى حسام كالعقيق عَضْبُ[١]
نطأكمُ حتّى يُذالَ[٢] الصعبُ * نعطى الجزاء أو يفىء النَّهبُ[٣]
* بكفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ[٤] *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لهذا"؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس؛ قال : "فقم إليه ، اللهم أعنه عليه". فخرج إليه حتى دنا منه ، فحمل مرحب عليه فضربه ، فاتّقاه بالدَّرَقة ، فأمسكت سيفَه ، وضربه محمد بن مسلمة فقتله . وقد روى أن الذى قتل مرحبا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونهض من نهض معه من الناس ، فلقوا أهل خيبر ، فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُجبِّنه أصحابه ويُجبِّنهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذته الشقيقة[٥] فلم يخرج إلى الناس ، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا أشدّ من القتال الأوّل ، ثم رجع ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : "أما والله لأعطينّ الراية غدا رجلا يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها عَنوة". وفى رواية قال : "يفتح الله على

---

(١) قال أبو ذر الخشنى : «العقيق هنا جمع عقيقة ، وهى شعاع البرق شبه السيف به » شرح السيرة ٣٤٦ . عضب : قاطع . (٢) فى ابن هشام : «يذل» . (٣) الجزاء : جمع جزية . النهب : ما انتهب من الأموال . (٤) ليس فيه عتب : أى ليس فيه ما يلام عليه .

(٥) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس و إلى أحد جانبيه .

يديه ". فبات الناس يذكرون ليلتهم أيّهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليــه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أين على بن أبى طالب" ؟ فقالوا : هو يا رسول الله يشتكى عينيه ؛ قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليــه سلمة بن الأكوع فدعاه ، فجاء على بعير له حتى أناخ قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أرمد ، قد عصب عينيه بشقّة بُرد قَطَرِىّ (١) ، قال سـلمة : فجئت به أقوده إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مالك ؟" قال : رمدت ؛ فقال : "ادن منى" فدنا منــه فتفل فى عينيه ، ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع ، وما وَجِعَهما حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية وقال : "امض حتى يفتح الله عليك" قال : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال : "انفُذ على رِسلك (٢) حتى تنزل بساحتهم ، ٩٣ / ١٥ ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبِرْهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْر النَّعَم" روى هذا الحديث أو نحوه أهل الصحة .

ومن رواية ابن إسحـاق عن سلمة بن الأكوع قال : فنهض علىّ بالراية وعليه حلّة أرجوان حمراء ، وقــد أخرج خملها (٣) ، فأتى مدينــة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن ، وعليه مِغْفَر مُعَصْفر ، وحجَرٌ قــد ثقَبه مثــل البيْضة على رأســه ، وهو يرتجز ويقول :

قــد علمت خيبر أنى مرحبُ * شـاكِى السلاح بطَلٌ مُجرَّبُ

أطعن أحيـانا وحينا أَضرِبُ * إذا الحــروبُ أقبلت تَلهَّب

* كانَ حِمـاى كالحِمَى لا يُقْرَبُ *

(١) القطرى : نوع من البرود ينسب إلى قرية يقال لهـا قطر ، وهى بين عمان والعقير .

(٢) انفذ على رسلك : أى امض على هينتك .

(٣) الخمل : هدب القطيفة ونحوها ممـا ينسج وتفضل له فضول .

فبرز له علىّ[1] بن أبى طالب فقال :

أنا الذى سمّتنى أمّى حيدره[2] * كليث غاباتٍ شديدٍ قسوره[3]

* أكيلكم بالسّيف كيل السّندره[4] *

فاختلفا ضربتين، فبدره علىّ رضى الله عنه فضربه ، فقدّ الحجر والمغفر وفلق رأسه ، حتى أخذ السيف فى الأضراس . ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يرتجز و يقول :

قد علمت خيبرُ أنّى ياسرُ * شاكى السلاح بطلٌ مُغاوِرُ[5]

إذا الليوثُ أقبلت تُبادِرُ * إن حماىَ فيه موتٌ حاضرُ

وهو يقول : هل من مبارز ؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى زبّارْ * قَرْمٌ[6] لقوم غير نِكسٍ[7] فرّارْ

أين حماة المجد؟ أين الأخيارْ؟[8] * ياسرُ، لا يغررك جمع الكفّار

* فجمعهم مثل السّراب الختّار[9] *

فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : أيقتل ابنى يا رسول الله ؟ قال : "بل ابنك يقتله إن شاء الله" ثم التقيا، فقتله الزبير . ومن رواية أخرى عن سلمة قال : فخرج

---

(١) فى جـ : «على عليه السلام» . (٢) الحيدرة فى الأصل : الأسد . وقال ابن الأعرابى : «الحيدرة فى الأسد مثل الملك فى الناس» . (٣) القسورة : العزيز يقتسر غيره، أى يقهره . (٤) السندرة : مكيال كبير . (٥) مغاور : مقاتل كثير الغارات . (٦) القرم هنا : السيد . (٧) النكس : الضعيف .

(٨) كذا فى جـ . وفى أ : «ابن حماة المجد ابن الأخيار» . وفى الطبرى : «ابن حماة المجد وابن الأخيار» . (٩) الختار : الخداع .

على رضى الله عنه يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته فى رَضْم حجارة تحت الحصن ، فاطّلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب ؛ فقال اليهودى : علوتم وما أنزل الله على موسى . وقال ابن إسحاق أيضا من رواية أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود فطرح تُرْسه من يده ، فتناول علىّ بابا كان عند الحصن فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتُنى فى نفر معى سبعة ، أنا ثامنهم (١) ، نجهد على أن نقلّب ذلك الباب ، فما نقلبه .

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقى وغيرهما : إن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا وما بأيدينا من شىء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ؛ فقال : " اللهم إنك قد عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها غَناء ، وأكثرها طعاما ووَدَكا (٢) " ، فغدا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر منه طعاما ووَدَكا . قال البيهقى : وافتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن ناعم ، فانتقل مَن كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزّبير ، ويقال : حصن ناعم أوّل ما افتتح من حصونهم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه رَحًى منه فمات . قال : وحصن

(١) فى حاشية أ : « وأنا منهم » .

(٢) الودك : الدسم .

الزبير حصن منيع فى رأس قُلّة[١] ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثلاثة أيام ، فجاءه رجل من اليهود يقال له : غزال ؛ فقال : يا أبا القاسم ، تؤمّنى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النّطاة ، وتخرج إلى أهل الشّق ؟ فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منك ، فأمّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودى : إنك لو أقمت شهرا ما بالوا ، لهم دُبُول[٢] تحت الأرض ، يخرجون بالليل ٩٤ / ١٥ فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك ، فإذا قطعت مشربهم عليهم أَصْحَروا[٣] لك . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دُبولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشدّ قتال ، وقُتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من يهود فى ذلك اليوم عشرة ، وآفتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان آخرَ حصون النطاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النطاة تحوّل إلى أهل الشّق ، وبه حصون ، فكان أوّل حصن بدأ به صلى الله عليه وسلم حصنُ أُبَىّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سَمْوان ؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالا شديدا ، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول ؛ فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُباب بن المنذر ، فآختلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن ، فتبعه الحباب فقطع عُرْقوبَيه ، فوقع ، فذفّف[٤] عليه ، فخرج آخر فصاح : من يبارز ؟ فبرز له رجل

(١) فى الأصلين : « فى رأسه قلة » والتصويب من دلائل النبوّة . وجاء فى شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٢٧٤ فى هذا الحصن : « وكان اسمه حصن قلة ، لكونه كان على رأس جبل » .

(٢) دبول : جمع دبل ، وهو الجدول .

(٣) أصحروا : برزوا فى الصحراء .

(٤) ذفف عليه : أجهز عليه .

من المسلمين من آل جحش ، فقتل الجحشىّ ، وقام مكانة يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دُجانة ، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المِغْفر، يختال فى مشيته ، فبدره أبو دجانة فضربه فقطع رجليه، ثم ذفّف عليه وأخَذَ سلبه؛ درعه وسيفه : فنفلَه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأحجموا عن البراز، فكبّر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدُمهم أبو دجانة الأنصارىّ ، فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحموا الجُدُر كأنهم الظّبىّ إلى حصن النِّزار، فغلّقوه وامتنعوا فيه، وزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقاتلهم ، فكانوا أشدّ أهل الشّق رميا بالنبل والحجارة ، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلِقت به ، فأخذ النبل فجمعها، ثم أخذ كفّا من حصباء، فحَصَب به حصنهم فرجف الحصن بهم، ثم ساخ فى الأرض حتى جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذا، ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتيبة، فافتتح القَمُوص، حصن أبى الحُقَيق، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بصفيّة بنت حُيَىّ بن أخطب .

قالوا : ولما آفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما آفتتح، وحاز من الأموال ما حاز، آنتهوا إلى حِصنيهم : الوَطِيح والسُّلالِم ، وكانا آخر حصون أهل خيبر آفتتاحا، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُسَيِّرهم ، وأن يحقن دماءهم . قال البيهقىّ : حصرهم أربعة عشر يوما وهم لا يطلعون من حصونهم، حتى همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المَنْجنيق[1] عليهم ، فلما أيقنوا

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

بالملكة سألوا الصلح، وأرسل ٱبن أبي الحُقَيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَنزل فأكلمك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"، فنزل كنانة بن الربيع ٱبن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقن دماء مَن فى حصونهم من المقاتلة، وترك الذرّيّة لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلُّون بين ، الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء بيضاء والكُراع والحَلْقة[(١)]، وعلى البزّ إلا ثوبا على ظهر إنسان؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله إن كتمتمونى شيئا" فصالحوه على ذلك . وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كنز بنى النضير، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، بجحد أن يكون يعلم مكانه، وقال : نفد فى النفقة والحروب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان أكثر من ذلك"، ثم جاء رجل من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يارسول الله، إنى رأيت كنانة يُطيف بهذه الخربة كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : "أرأيت إن وجدناه عندك، أقتلك؟" قال : نعم؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة لحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقى، فأبى أن يؤدّيه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزّبير بن العوام به، فقال : "عذّبه حتى تستأصل ما عنده"، فكان بير يقدح بزَنْد فى صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . ويقال : ذلك بعد فتح حصن القَمُوص، وقبل فتح الوَطيح والسّلالم .

(١) الصفراء والبيضاء هنا : الذهب والفضة . والكراع : الخيل . والحلقة هنا : السلاح كله .

قال محمد بن إسحاق : ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النِّصف ؛ " على أنا إذا شئنا [أن](١) نخرجكم أخرجناكم "، قال : ولما سمع أهل فدَك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألونه أن يُسيِّرهم ، ١٥ / و وأن يحقن دماءهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل ؛ وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينهم فى ذلك مُحَيِّصة بن مسعود أخو بنى حارثة ، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ، كما عامل أهل خيبر ، فأجابهم إلى ذلك ؛ " على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم " ؛ فكانت خيبر فيئا بين المسلمين، وكانت فدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قدم عليه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه من أرض الحبشة ومَن كان بقى بها من المسلمين ، فقبّله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيْه والتزمه ، وقال : " ما أدرى بأيهما أنا أسرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ! " .

ذكر تسمية من استُشهد من المسلمين فى غزوة خيبر

قالوا : استُشهد من المسلمين فى غزوة خيبر تسعة عشر رجلا . من قريش وحلفائهم خمسة نفر، وهم رِفاعة بن مَسْروح ، من بنى أمية بن عبد شمس ، ومن حلفائهم ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة، وثَقْف بن عمرو بن سُمَيْط، ومن حلفاء بنى أسد

(١) زيادة عن ابن هشام .

ابن عبد العُزّى أبو عُمَير عبد الله بن الهُبَيْب — ويقال ابن الهَبِيب — بن أُهَيْب اللّيثيّ، ومسعود بن ربيعة، حليف لبنى زُهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر رجلا، وهم: بِشر بن البَراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفُضَيل بن النعمان، ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضَيّاح النعمان بن ثابت، والحارث بن حاطب، ممن شهد بدرا، وعُروة بن مُرّة بن سُراقة، وأوس بن الفائد (١)، وأُنَيف بن حَبيب، وثابت بن إثْلة (٢)، وطلحة، ومبشر، وعُمارة بن عقبة، وعامر بن الأكوع الأسلميّ، وكان قد برز له يهودى، فبرز إليه وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى عامرُ   شاكى السلاح بطلٌ مغامرُ

واختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهوديّ فى تُرْس عامر، ووقع سيف عامر عليه، فأصاب ركبة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: بطل عمل عامر؛ فأتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاحب أبكى، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ فقال: "ومَن قال ذلك؟" قلت: بعض أصحابك؛ قال: "كذب من قاله، بل له أجره مرّتين، إنه لجاهدٌ مُجاهِد".

واستُشهد الأسود الراعى — واسمه أسلم، وهو من أهل خيبر — وكان من حديثه حكاه محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقى رحمهما الله: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيرًا لرجل من

(١) فى أسد الغابة: «أوس بن الفاتك»، وقيل: ابن الفائد بالدال؛ وقيل: الفاكه».

(٢) كذا ضبط فى الإصابة «بكسر الهمزة وسكون المثلثة».

يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض علىّ الإسلام ؛ فعرضه عليه ، فقال : فماذا لى إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال : "لك الجنة إن أنت مت على ذلك"، فأسلم وقال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب هـذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : " أخرجها من عسكرنا ، واحصِب(١) وجوهها ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ، وسترجع إلى ربّها " . ففعل الأسـود وقال : ارجعى إلى صاحبـك ، فوالله لا أصحبك ، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاةً قطّ ، فأُتى به رسـول الله صلى الله عليه وسلم فوُضع خلفه ، وسجّى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : " إن معه الآن زوجته من الحور العين " .

وقتـل من يهود ثلاثة وأربعون(٢) ، منهم : الحارث أبو زينب ، ومَرْحَب ، وأسير ، وياسر ، وعامر ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وأخوه .

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد : أمر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بالغنائم فجمعت ، واستعمل عليها فَرْوة بن عمرو البَيَاضِىّ ، وأمر بذلك فجُزّئ خمسة أجزاء ، وكتب فى سهم منها لله ، وسائر السُّهمان أغفال ، فكان أوّل ما خرج سهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمر ببيع الأربعة أخماس فيمن يزيد ، فباعها فروة ، وقسم ذلك بين

(١) حصبه : رماه بالحصباء .

(٢) فى ابن سعد : « ثلاثة وتسعون » .

أصحابه ؛ وكان الذى ولى إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفا وأربعمائة رجل ، والخيـل مائتى فرس ، فكانت السُّهْمان على ثمانية عشر سهما ، لكل مائة سهـم ، وكان الخمس الذى صار إلى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يعطى منه على ما أراه الله .

وقال محمد بن إسحاق : كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشِّق ونَطاة والكُتَيْبَة ، فكانت الكتيبة خُمسَ الله ، وسهم النبى صـلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعْم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وطُعْم رجال مشَوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبين أهل فَدَك بالصلح ، منهم مُحَيِّصة بن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وَسْـقا(١) من شعير، وثلاثين وسقا من تمر، وكانت الشق ونطاة فى سُهمان المسلمين؛ قال : وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِية ، من شهد منهم ومن غاب ، ولم يغب عنها إلّا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام ، فقسم له رسـول الله صلى الله عليه وسـلم كسهْم من حضرها . وقال : وكان وادياها : وادى السُّرير ووادى خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نَطاة والشِّـق ثمانيـة عشر سهما ، نطاة خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهما ، فقسـمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم ، فكان لكلّ سهم رأسٌ جُمِع إليه مائة رجل؛ قال : ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة — وهو وادى خاص — بين قرابتـه ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منهـا . وروى بشير بن يسار قال : لمـا افتتح النبى صلّى الله عليه وسلّم خيبر أخذها عنوة، فقسمها على ستة وثلاثين سهما، فأخذ لنفسه ولنوائبه وما ينزل به ثمانية عشر سهما، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهما . والله أعلم .

---

(١) الوسق : ستون صاعا ، أو حمل بعير .

وروى أبو داود فى سُننه بسنده إلى عُقْبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل : " أترضى أن أزوّجك فلانة ؟ " قال : نعم ؛ وقال للمرأة : " أترضين أن أزوّجك فلانا ؟ " قالت : نعم . فزوّج أحدهما صاحبه ، فدخل بها الرجل ، ولم يَفرِض لها صداقا ولم يعطها شيئا ، وكان ممن شهد الحديبية ، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر ، فلما حضرته الوفاة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زَوّجنى فلانة ، ولم أَفرض لها صداقا ، ولم أعطها شيئا ، وإنّى أُشهدكم أنّى أعطيتها من صداقها سهمى بخيبر . فأخذت سهما فباعته بمائة ألف .

ذكر تسمية من قَسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيبَة التى خرجت للخمس وما أعطاهم منها

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيبة — وهو وادى خاص(١) — لفاطمة ابنته رضى الله عنها مائتى وسق ، ولعلىّ بن أبى طالب مائة وسق ، ولأسامة بن زيد مائتى وسق ، وخمسين وسقا نَوًى ، ولعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها مائتى وسق ، ولأبى بكر الصديق رضى الله عنه مائة وسق ، ولعَقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولربيعة بن الحارث مائة وسق ، وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق ؛ للصلت منها أربعون وسقا . وقال أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة قاسم بن مخرمة بن المطّلب(٢) : أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخيه الصلت مائة وسق من خيبر ، ولأبى نَبْقة خمسين وسقا ، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولابن القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق ، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ، ولابن ٩٧/١٥

(١) خاص : من أودية خيبر .

أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولِمِسْطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم رُمَيثة أربعين وسقا ، ولنُعيم بن[1] هند ثلاثين وسقا ، ولبُحَينة بنت الحارث ثلاثين وسقا، ولعُجَير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا، ولأم الحكم[2] بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقا، ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا، ولعبد الله بن الأرقم الزهرى خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولحَمْنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولام الزبير أربعين وسقا ، ولضُباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن أبي خُنَيس ثلاثين وسقا، ولأم طالب أربعين وسقا، ولأبي نَضْرة عشرين وسقا، ولنُمَيلة الكلبيّ خمسين وسقا، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا ، لابنيه منها أربعون وسقا ، ولأم حبيب بنت جَحْش ثلاثين وسقا ، ولمَلْكو بن عَبْدة ثلاثين وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وسق .

وقال ابن إسحاق أيضا : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه من فتح خيبر مائة وسق وثمانين وسقا، ولفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم رُمَيثة خمسة أوسق .

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر خارصا[3] بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم، فإذا قالوا : تعديت علينا ؛ قال : ان شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض . ولم يخرص عليهم عبد الله إلا عاما واحدا ومات .

(١) كذا فى ابن هشام .
(٢) كذا فى الأصلين . وفى ابن هشام : « ولأم حكيم » .
(٣) خارصا : حازرا ومقدرا .

وروى أبو داود رحمه الله فى سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن أبى الزبير عنه ، قال : خرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق ، وإن اليهود لما خيرهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق ، ثم خرص[1] عليهم بعده جَبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم ، حتى عدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه، وكان قد خرج إليها فى أصحاب له يمتار[2] منها تمرا ، فوُجد فى عين قد كسرت عنقه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقتله ، وجاء أخوه عبدالرحمن بن سهل ، وابنا عمه حُوَيِّصة ومُحَيِّصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم عبدالرحمن — وكان أصغرهم ، وهو صاحب الدم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كَبِّر كَبِّر"[3] فسكت ، وتكلم حويِّصة ومحيِّصة ، ثم تكلم بعدهما ، فذكروا قتل صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَتُسَمُّون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسْلمه إليكم؟" قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : "أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، ثم يبرءون من دمه ؟" ، فقالوا : يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم . قال : فوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة . قال[4] : واستقرت خيبر بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، ثم أقرها أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه صدرا من خلافته ،

(١) فى أ : «وخرص» . (٢) يمتار : يجلب . (٣) ويروى : «الكبر الكبر» ٢
بضم الكاف وسكون الباء ؛ أى قدموا الأكبر . (٤) أى ابن إسحق .

ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : " لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان "، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبْت ، فأرسل إلى يهود، فقال : إن الله قد أذن فى إجلائكم، قد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان " فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به أُنفذه له ، ومن لم يكن له عهد منه فليتجهز للجلاء . فأجلى عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ما كان من أمر خيبر على سبيل الاختصار ، فلنذكر ما اتفق بعد فتح خيبر مما يتعين إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها ، فمن ذلك خبر الشاة التى سُمّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قدّمنا ذكر ذلك فى أخبار يهود، وهو فى الجزء الرابع عشر من هذه النسخة [1] ، ومنه خبر الحجاج بن عِلاط .

٩٨ / ١٥

ذكر خبر الحجاج بن عِلاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله

قالوا : وكان الحجاج بن عِلاط السُّلمى ثم البَهْزى أسلم وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فتحت خيبر قال : يارسول الله، ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة، ومال مفرّق فى تجار أهل مكة، فأْذن لى يارسول الله. فأذن له ، فقال : إنه لابدّ لى يارسول الله من أن أقول . قال : "قل"، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنيّة البيضاء [2] رجالا من قريش يستمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) من تجزئة المؤلف .

(٢) فى معجم البلدان : « البيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لها ذكر فى كتاب السيرة » .

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفًا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، و يسألون الرُّكبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط عنده والله الخبر ؛ قال : ولم يكونوا قد علموا بإسلامى ، فقالوا : أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ؛ فالْتَبَطوا(١) بجنْبَى ناقتى يقولون : إيهِ يا حجاج ! قال : قلت : هُزِم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقُتِل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأُسِر محمد أسرا ، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة ، فيقتلوه بين أَظْهرهم بمن أصاب من رجالهم . فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : لقد جاءكم الخبر ، وهذا محمد ، إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة على غُرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فَلِّ(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحثّ(٣) جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى — وقد كان لى عندها مال موضوع — لعلِّى ألحق بخيبر ، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ؛ قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنّى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيم(٤) التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ؛ قلت : فاستأخر عنى حتى أفرغ . قال : فلما فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعتُ الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل ؛ قلت : فإنى والله تركت ابن أخيك

(١) التبطوا بجنبى ناقتى : أى عدوا إليها مطيفين بها . (٢) الفل : القوم المنهزمون .
(٣) كأحث جمع : كأسرع جمع . وفى ا : « كأحب » .
(٤) فى جـ : « خيام »

عروسا على بنت ملكهم — يعني صفيّة بنت حييّ بن أخطب — ولقد افتتح خيبر، وانتثل[١] ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ قال: ما تقول ياحجاج! قلت: إى والله، فاكتم عنى، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فاظهر أمرك، فهو والله على ما تحب. قال: وسرت حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلّة له، وتخلّق[٢] وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة؛ قال: كلا، والله الذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذى جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله، وانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه؛ قالوا: ياِلعَباد الله! انفلت عدوّ الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن. ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى القرى، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القرى، فنزل به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له: مِدْعَم؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُذامىّ، فبينا هو يضع رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه سهمُ غَرْبٍ[٣] فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا والذى نفس محمد بيده إن شَملته[٤] لتحترق عليه فى النار". كان غلّها

(١) انتثل: استخرج. (٢) تخلق: طلى بالخلوق، وهو ضرب من الطيب.

(٣) سهم غرب: لا يدرى راميه.

(٤) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.

من فَىْءِ المسلمين يوم خيبر ، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِراكَين لنَعلين لى ؛ فقال : " يقدُّ لك مثلهما من النار " .

قال أبو بكر أحمد البيهقىّ رحمه الله بسند يرفعه إلى أبى هريرة رضى الله عنه ، وساق نحو الحديث فى قتل مِدْعم ، ثم قال : وكانت يهود قد ثَوَى إليها ناس من العرب ، فاستقبلونا بالرمى حيث نزلنا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون من آطامهم ، فعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وصفّهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حُنَيف ، وراية إلى عبّاد بن بِشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا اموالهم ، وحقنوا دماءهم ، وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دُجانة الأنصارىّ رضى الله عنه فقتله ، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلا(1) ، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقى إلى الإسلام . قال : ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله ، فقاتلهم صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قِيدَ رُمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنم أموالهم ، وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخل بأيدى يهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تَيْماء ما كان من أمر خيبر وفَدَك ووادى القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ،

---

(١) فى دلائل النبوّة : « أحد عشر » .

وأقاموا بأيديهم أموالهم ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ؛ فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل : " مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام " ؟ وجاء في الحديث : " من رجل يكلأ لنا الليل " ؟ . فقال بلال : أنا يارسول الله . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله أن يصلى ، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمُقه فغلبته عينه فنام ، فلم يوقظهم إلا مَسُّ الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه استيقاظا ، فقال : " ماذا صنعت بنا يابلال " ؟ فقال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : "صدقت" . ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعيره](١) غير كثير ثم أناخ ، فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة(٢) ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلّم أقبل على الناس فقال : " إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عزوجل يقول : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى﴾(٣) " .

وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى ، وقال : "إن هذا وادٍ به شيطان" فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضئوا ... الحديث بنحو ماتقدم .

ذكر سريّة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تُرَبة(٤)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان سنة سبع من مهاجَره فى ثلاثين رجلا إلى عَجُز هوازن بتُرَبَة — وهى ناحية العَبْلاء على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء ونجران — فأتى الخبر هوازن فهربوا ، وجاء عمر محالّهم(٥) فلم يلق بها أحدا . فانصرف راجعا إلى المدينة .

---

(١) التكملة عن ابن هشام . (٢) فى ج : « للصلاة » . (٣) سورة طه آية ١٤

(٤) فى أ : « قربة » . وهو تحريف . (٥) فى أ : « محالها » .

ذكر سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى بنى كلاب بنجد

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان سنة سبع من مهاجَره .

روى عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع أبى بكر رضى الله عنه إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم ، وكان شعارنا : ١٠٠/١٥ أَمِت أَمِت . قال : فقتلت بيدى سبعة أهل أبيات من المشركين . وعنه أيضا قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة . وهذا الذى صححه مسلم . وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال : حدثنى أبى قال : غزونا فَزارة وعلينا أبو بكر رضى الله عنه ، أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فلما كان بينه و بين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرّسنا (١) ، ثم شنّ الغارة فورد الماء ، فقتل من قتل وسبى من سبى . ثم [قال سلمة : فرأيتُ عُنقا (٣)] (٢) من الناس فيهم الذرارى ، فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم ، وفيهم امرأة من بنى فزارة ، معها ابنة لها من أحسن العرب ، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضى الله عنه فنفلنى ابنتها ، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا ، فلقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق ، فقال : " يا سلمة ، هب لى المرأة " . فقلت : يا رسول الله ، قد أعجبتْنى وما كشفتُ لها ثوبا ، ثم لقينى من الغد فى السوق ، فقال : " ياسلمة ، هب لى المرأة ، لله أبوك ! " . فقلت : هى لك يا رسول الله ؛ فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة . روى هذا الحديث مسلم .

(١) عرّسنا : نزلنا فى آخر الليل للاستراحة .

(٢) هنا بياض بالأصلين والتكملة من دلائل النبوة للبيهقى ، وطبقات ابن سعد ، وصحيح مسلم .

(٣) عنقا : جماعة من الناس .

ذكر سرية بَشير بن سعد الأنصارى إلى فَدَك

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان سنة سبع من مهاجَرِه فى ثلاثين رجلا إلى بنى مُرّة بفدك ، فخرج فلقى رِعاء الشاء، فسأل عن الناس فقيل : فى نواديهم ؛ فاستاق النَّعَم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركهم[1] الدَّهْم[2] منهم عند الليل، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فَنِيَتْ نبل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المرّيون عليهم فأصابوا أصحاب بشير ، وقاتل بشير حتى ارتُثَّ[3] وضرب كعبه، وقيل : قد مات . ورجعوا بنَعَمِهم وشائهم، وقدم عُلْبَة بن زيد الحارثى بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قدم بعده بشير بن سعد .

ذكر سريّة غالب بن عبد الله الليثى إلى المَيْفَعة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان سنة سبع من مهاجره إلى بنى عُوال[4] ، وبنى عبد بن ثعلبة، وهم بالميفعة ، وهى وراء بطن نخل إلى النُّقْرة قليلا بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرُد .

بعثه فى مائة وثلاثين رجلا، ودليلهم يسار، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهجموا عليهم جميعا ، ووقعوا وسط محالّهم ، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعما وشاء فحدروه إلى المدينة ، ولم يأسروا أحدا . وفى هذه السرية قتل أسامةُ بن زيد الرجلَ الذى قال لا إله إلا الله ، وهو نَهِيك بن مِرداس بن ظالم من بنى ذبيان بن بَغيض، وقال ابن إسحاق : مِرداس بن نهيك؛ حليف لهم من الحُرَقة من جُهينة. ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الاضبط الأشجعى، وأن رسول الله صلى الله

---

(١) فى جـ : « فأدركه » . (٢) الدهم : العدد الكثير .

(٣) ارتث : صرع فى الجنوب وبه رمق . (٤) فى أ : « عراك » ؛ وهو تحريف .

عليه وسلّم وَدَاه . قال أسامة : أدركْتُه أنا ورجل من الأنصار، فلمّا شَهرنا عليه السلاحَ قال : أشهد أن لا إله إلّا الله؛ فلم نَنزِع عنه حتى قتلناه ، فلمّا قدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخْبرناه خبَره ؛ فقال : " يا أسامة ، مَنْ لك بلا إله إلا الله؟ " قال: قلت : يا رسول الله، إنه إنما قالها تعوُّذا من القتل؛ قال : " فمن لك بها يا أسامة " ؟ قال : فوالّذى بعثه بالحقّ إنه مازال يردّدها علىّ حتّى لَوددْتُ أنّ ما مضى من إسلامى لم يكن، وكنتُ أسلمتُ يومئذ ، وأنّى لم أقتله . قال : قلت : أَنظِرنى يا رسول الله، إنى أعاهد الله ألّا أقتل رجلا يقول: « لا إله إلا الله » أبدا. قال : "يقول بعدى يا أسامة "، قلت : بعدك . وفى بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة حين قال : « يا رسول الله، إنما قالها تعوّذا من القتل » " هلاّ شققتَ عن قلبه فتعلَمَ أصادقٌ هو أم كاذب " ! .

ذكر سريّة بَشير بن سعد الأنصارىّ إلى يَمْن(١) وجبار(٢)

كانت هذه السريّة فى شوّال سنة سبع من مهاجَرِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من غَطَفان بالجناب(٣) قد واعدهم عُيَيْنة بن حِصْن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فدعا بَشيرَ بنَ سعد فعقَد له لواءً، و بعث معه ثلثمائة رجل، فساروا حتى أتوا يَمْن وجَبار، وهو نحو الجناب ـــ والجناب يعارض سَلاح(٤) وخيبرَ ووادى القُرى ـــ فدنَوا

(١) يمن : بفتح الياء ، وقيل : بضمها ؛ وقيل : بهمزة مفتوحة وسكون الميم ، (الزرقانى جـ ٢ : ٣٠٢) . (٢) جبار : ضبطه الزرقانى بفتح الجيم ، وضبط فى معجم البلدان بضمها .

(٣) الجناب : من أرض غطفان .

(٤) سلاح : موضع أسفل خيبر .

من القوم فأصابوا لهم نَعَما كثيرا ، وتفرق الرِّعاء فحذّروا الجمع ، فتفرقوا ولحقوا بَعَلْياء بلادهم ، وخرج بشيرُ بنُ سعد فى أصحابه حتى أتى محالّهم فلم يجد فيها أحدا ، فرجع بالنَّعَم ، وأصاب منهم رجلين ، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلما ، فأرسلهما صلى الله عليه وسلم .

ذكر سريّة ابن أبى العَوْجاء السُّلَمىّ إلى بنى سُلَيم

بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذى الحِجّة سنة سبع من مهاجَره فى خمسين رجلا إلى بنى سُلَيم ، وذلك بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بعد عمرة القضاء ، فخرج إليهم وتقدّمه عَيْنٌ لهم كان معه ، فحذّرهم ، فتجمّعوا ، فأتاهم ابن أبى العوجاء وهم مُعِدّون له ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتَنا إليه . فترامَوا ساعةً بالنَّبل ، وجعلت الأمدادُ تأتى حتى أحدقوا بهم من كلّ ناحية ، فقاتل القومُ قتالا شديدا حتى قُتل عامّتُهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء جريحا مع القتلى ، ثم تحامل حتّى بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقدموا المدينةَ فى أوّل يوم من صفَر سنة ثمان من الهجرة .

ذكر سريّة غالب بنِ عبد الله اللّيْثىّ إلى بنى المُلَوح بالكَدِيد[1]

كانت فى صفر سنة ثمانٍ من مهاجَر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . رُوِى عن جُنْدَب بن مَكِيث الجُهَنىّ قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم غالبَ ابنَ عبد الله الليثىّ ، ثم أحد بنى كلب بن عوف فى سريّة ، فكنتُ فيهم ، وأمرهم أن يشُنّوا الغارة على بنى المُلَوّح بالكَدِيد — وهم من بنى ليث — قال : فخرجنا

(١) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة . ويوم الكديد من أيام العرب .

حتى إذا كنا بقُدَيد[1] لقينا الحارثُ بنُ البرصاء ، فأخذناه ، فقال : إنما جئت أريد الإسلام . قلنا : إن تكن مسلما لم يَضرُرْك رباطُنا يوما وليلة . قال : فشددناه وَثاقا ، وخلّفنا عليه رُوَيجلا منّا أسودَ ، وسرنا حتى أتينا الكَديدَ عند غروب الشمس ، فكنّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبيئةً[2] ، فخرجت حتى آتى تلّا مشرفا على الحاضر[3] ، فاستندتُ فيه ، فعلوتُ فى رأسه ، فنظرتُ إلى الحاضر ، فوالله إنّى لَمُنبطح على التلّ إذ خرج رجلٌ منهم من خِبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التلّ سوادا ما رأيتُه فى أوّل يومى ، فانظرى إلى أوعِيَتك ، هل تَفقِدين منها شيئا؟ لاتكون الكلاب جرّت بعضها قال : فنظرتْ ، فقالت : لاوالله ما أفقد شيئا . قال : فناولِينى قوسى وسهمَين . فناولَتْه ، فأرسل سهما فوالله ما أخطأ جنْبى ، فأنزِعه فأضعه ، وثبتُّ مكانى ، ثم أرسل الآخرَ فوضعه فى مَنكِبى ، فأنزِعه فأضعه ، وثبتُّ مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيئةً لقد تحرّك ، لقد خالطه سهمایَ لا أبا لَك ! فإذا أصبحتِ فابتغيهما فخذيهما لا تَمضُغهما الكلاب ؛ قال : ثم دخل ، وأمهلناهم حتى اطمأنّوا وناموا — وكان وجه السَّحَر — شننّا عليهم الغارة ، واستقنا النَعَم ، فخرج صريخُ القوم فى قومهم ، فجاء ما لا قِبَلَ لنا به ، فخرجْنا بها نَحدُرها حتى مررنا بابن البرصاء ، فاحتملْناه واحتملْنا صاحبَنا ، وأدرَكنا القومُ حتّى نظروا إلينا ، مابيننا وبينهم إلّا الوادى — وادى قُدَيد — فأرسل الله تعالى الوادىَ بالسَّيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابةٍ نراها ولا مطر ، فجاء بشىءٍ ليس لأحد به قوّة ، ولا يقدر على أن يجاوِزَه . فلقد رأيتُهم وقوفا ينظرون إلينا ، وإنّا لنسوق نَعَمهم ١٠٢/١٥

(١) قديد بالتصغير : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) ربيئة ، أى عينا لهم .

(٣) الحاضر : الحىّ العظيم .

ما يستطيع رجلٌ منهم أن يُجيزَ إلينا، ونحن نَحدُوها سِراعا حتى فُتناهم، فلم يقدروا على طلبنا، قال : فقدمْنا بها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ٱبن سعد : وكانوا بضعةَ عشرَ رجلا، وكان شعارُهم يومئذٍ : أَمِتْ أَمِتْ !

ذكر سَرِيّة غالب بنِ عبد الله اللّيثى أيضا إلى مُصَاب أصحاب بَشير بن سعد بفَدَك

كانت فى صفر سنةَ ثمانٍ من هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد هيّأ الزبيرَ بنَ العوّام رضى الله عنه ، وقال له : "سِرْ حتى تنتهىَ إلى مُصاب أصحابِ بشير بنِ سعد ، فإنْ أظفَرَك الله بهم فلا تبقِ فيهم" ، وهيّأ معه مائتى رجل ، وعقَدَ له لِواءً، فقدِم غالبُ بنُ عبد الله من الكَديد ، وقد أظفره الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : "ٱجلس" . وبعث غالبَ بنَ عبد الله فى مائتى رجل، فيهم أُسامةُ بنُ زيد ، فسار حتى ٱنتهى إلى مُصاب أصحاب بشير، فأصابوا نَعما، وقتلوا قتْلَى .

ذكر سريّة شُجاع بن وهب الأسدىّ إلى بنى عامر بالسِّىِّ(١)

بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمان من الهجرة فى أربعة وعشرين رجلا إلى جَمْع من هوازن بالسِّىّ، من ناحية رُكْبَة(٢)، من وراء المَعدِن(٣)، وهى من المدينة على خمس ليال ، وأمَره أن يُغير عليهم، فسار حتى صبّحهم وهى غارّون ، فأصابوا نَعَما كثيرا وشاءً ، فٱستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، وغابت هذه السريّة خمس عشرةَ ليلةً .

---

(١) السِّىّ : ماء بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة .

(٢) ركبة (بضم فسكون ففتح) : موضع بالطائف .

(٣) يريد معدن بنى سليم ، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد .

ذكر سريّة كعب بنِ عُمَير الغفاريّ إلى ذات أَطْلاح (١)

بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ من الهجرة فى خمســةَ عشر رجلا، فساروا حتى أتَهوا إلى ذات أطلاح ، من أرض الشام ، وهى من وراء وادى القُرى، فوجدوا جَمْعا كثيرا من جمعهم، فدعَوْهم إلى الإسلام: فـلم يستجيبوا لهم، ورشَقُوهم بالنَّبْل، فلمّـا رأى ذلك أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسـلم قاتَلوهم أشدّ القتال حتى قتلوا ، وأفلت منهم رجلٌ جريح ، فأتَى رسولَ الله صلّى الله عليه وسـلم فأخبَرَه الخبر ، فشَقّ ذلك عليه ، وَهمّ بالبَعْث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع أُخَر، فتركهم .

ذكر سـرِيّة مُـؤْتة

ومؤْتة (٢) بأدنى البَلْقاء بالقرب من الكَرَك (٣) .

كانت هـذه السريّة فى جمادى الأولى سـنةَ ثمانٍ من الهجرة . وسببُ بعثِ هـذه السريّة أنّ رسـول الله صـلّى الله عليه وسـلّم بعث الحـارث بن عُمَـير الأزدىّ إلى مَلِك بُصْرى بكتاب ، فلمّـا نزل مُؤْتة عرض له شُرَحبيـل بن عمرو الغسّانىّ، فقتله ، ولم يُقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسـولٌ غيرُه ، فاشـتدّ ذلك عليـه ، وندب النـاسَ فأسرعوا وعسكَروا بالجُرْف (٤) ، وهم ثلاثة آلاف ،

---

(١) فى ا : « أطلاغ » ، وهو تحريف .

(٢) مؤتة كذا وردت مهموزة بالأصلين ، وروى فيها ضم الميم وسكون الواو بغير همز .

(٣) الكرك : قلعة حصينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء . وفى ابن سـعد : « والبلقاء د دمشـق » .

(٤) الجرف : بضم فسكون : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

فقال رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم : " أمير القوم زيدُ بنُ حارثة ، فإن قُتل
جعفرُ بنُ أبى طالب ، فإن قُتـل فعبدُ الله بنُ رَواحة ، فإن قُتل فليرتَضِ المسلمون
بينهم رجلا فيجعلوه عليهم "، وعقَدَ لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لِواءً أبيضَ
١٠٣/١٥ وسلّمه إلى زيد بنِ حارثة ، وأوصاهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتوا مَقتلَ
الحارث بنِ عُمَير، وأن يَدْعوا من هناك إلى الإسلام "فإن أجابوا، وإلّا فٱستَعينوا
عليهم بالله وقاتلوهم" ، وخرج رسـول الله صلّى الله عليـه وسلم مشـيِّعا لهم حتّى
بلغ ثَنِيّة الوَداع(١) ، فوقف ووَدّعهم وٱنصرَفَ عنهم ، فقال عبد الله بن رَواحة :

خَلَفَ السلامُ على ٱمرئٍ ودَّعْته * فى النَّخل خيرَ مُوَدَّع(٢) وخليـلِ

فلمّا ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم، وردّكم صالحين غانمين! .
فقال ٱبن رواحة :

لكنّنى أسأل الرحمنَ مغفـرةً * وضربةً ذات فَرْغٍ تَقذفُ الزَّبَدَا(٣)

فى أبيات أُخَر(٤) .

قال : فلمّا فَصَلوا(٥) من المدينـة سمع العـدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ،
وقام فيهم شُرَحْبيل بن عمـرو بجمع أكثر من مائة ألف ، وقدّم الطلائع أمامه ،

---

(١) هى ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة ، قيـل فى سبب تسميتها بذلك : إنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة .

(٢) كذا فى ا ، والذى فى جـ وابن هشام جـ ٤ ص ١٦ « مشيع » .

(٣) ذات فرغ ، أى واسعة . وأراد بالزبد هنا رغوة الدم ؛ (الزرقانى جـ ٢ ص ٣٢٣) ملخصا .

(٤) الأبيات فى ابن هشام ٤ : ١٥ — ١٦

(٥) فصلوا : خرجوا .

وقد نزل المسلمون مَعان[١] من أرض الشام ، وبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل مَآب[٢] من أرض البلقاء فى مائة ألف من بَهْراء ووَائل وبَكْر ولَخْم وجُذَام والقَيْن ، عليهم رجل من بَلِىّ ثم أحد إراشة ؛ يقال له : مالك بن زافلة[٣] ، فأقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشجّعهم عبد الله ابن رواحة ، وقال : ياقوم ، والله إنّ التى تكرهون لَلّتى خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتِل الناس بعددٍ ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنّما هى إحدى الحُسْنَيَيْن : إمّا ظهورٌ[٤] ، وإمّا شهادة . فقال الناس : قد والله صدق ابن رَواحة . قال : فمضى الناسُ حتّى إذا كانوا بتُخوم[٥] البَلْقاء لقيتْهم جموعُ هِرَقْل من الروم والعرب بقرية من قرى البَلْقاء يقال لها المَشارِف ، ثم دنا العدوّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتة[٦] ، ووافاهم المشركون ، فجاء منهم ما لا قِبَل لأحد به من العَدَد والسلاح والكُراع[٧] والدّيباج والحرير والذهب

---

(١) معان ، ضبطه الزرقانى بفتح الميم ، وضبطه البكرى بضمها : حصن كبير من أرض فلسطين ، على خمسة أيام من دمشق فى طريق مكة .

(٢) مآب ، بفتح أوله وثانيه بعده ألف وباء معجمة : موضع بالشام (البكرى) .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالزاى المعجمة فى الأصلين وابن هشام جـ ٤ ص ٢٣ ، والذى فى الزرقانى جـ ٢ : ٣٢٤ « رافلة » بالراء المهملة .

(٤) الظهور هنا : الغلبة .

(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض .

(٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام ؛ وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان) .

(٧) فى الزرقانى جـ ٢ ص ٣٢٤ : أن الكراع جماعة الخيل خاصة .

فعبأ المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذْرة يقال له : قُطْبة بنُ قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له : عُبَايةُ بنُ مالك — ويقال : عُبادة — ثم ٱلتقوا وٱقتتلوا، فقاتل زيدُ بنُ حارثة رضى الله عنه براية رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قُتِل طَعْنا بالرماح ، ثم أخذ الرايةَ جعفرُ بنُ أبى طالب، فنزل عن فرس له شَقْراء فعرقبها (١) ، فكانت أوّلَ فرس عُرْقبتْ فى الإسلام ، وقاتَل حتى قُتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوُجد فى أحد نصفيه بضعةٌ وثلاثون جُرحا ، ووجدْنا فيما أقبل من بدنه (٢) ٱثنتين وسبعين ضربةً بسيف (٣) وطعنةً برمح .

وحَكَى أبو محمد عبدُ الملك بنُ هشام أنّ جعفر بنَ أبى طالب أخذ اللّواء بيمينه فقُطِعتْ يده، فأخذه بشماله فقُطعتْ ، فٱحتضنه بعَضُديه حتى قُتِل وهو ٱبن ثلاثٍ وثلاثين سنة ، فأثابه ٱللهُ تعالى بذلك جَناحَين فى الجنّة يطير بهما حيث شاء.

وقال محمد بن إسحاق : كان جعفر يقاتِل وهو يقول :

يا حبّذا الجنّة وٱقترابُها * طيّبةً وباردًا شرابُها
والرّومُ رومٌ قد دنا عذابُها * كافرة بعيدة أنسابُها
علىَّ إن لاقيتُها ضِرابُها

قال : ولمّا قُتل جعفر أخذ عبدُ الله بن رُوَاحة الرّاية، ثم تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه (٤) ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أقسمتُ يا نفس لتنزِلِنّه * لتَنزِلِنّ أو لتُكرَهِنّه

---

(١) عرقبها ، أى قطع عرقوبها ، وهو الوتر الذى بين مفصل الساق والقدم ، قال فى الروض : « ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين » . وفى ابن هشام جـ ٤ ص ٢٠ « عقرها » . (٢) فى أ : « يديه » ؛ وهو تحريف . (٣) فى أ « بالسيف » . (٤) يستنزل نفسه ، أى يطلب نزولها عما أرادته وهمّت به .

إنْ أجلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ[1] * مالِى أراكِ تَكرَهين الجنَّهْ

قد طال ما قد كنتِ مطمئنَّهْ * هل أنتِ إلّا نُطْفةٌ فى شَنَّهْ[2]

وقال أيضا رضى الله عنه :

يا نفس إلّا تُقتَلى تموتى * هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ

وما تمنَّيتِ فقد أُعطِيتِ * إنْ تفعلِى فِعلَهما هُدِيتِ

وإنْ تَوَلَّيتِ فقد شَقِيتِ

يريد بقوله : « فِعلَهما » صاحبَيه زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل . فأتاه ابنُ عمٍّ له ١٠٤/١٥ بعرقٍ[3] من لحم ، فقال : شُدَّ بهذا صُلْبَك ، فإنّك قد لقيتَ فى أيّامك هذه ما لقيتَ ، فأخَذَه من يده فانتَهَس[4] منه نَهْسَةً ، ثم سمع الحَطْمَة[5] من ناحية الناس ، فقال : وأنتَ فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفَه وتقدّم ، فقاتَل حتى قُتِل .

ثم أخذ الراية ثابتُ بنُ أرقم ، وقال : يامعشر الناس[6] ، اصطلِحوا على رجل منكم ؛ فقالوا : أنتَ ؛ قال : ما أنا بفاعل . فاصطلَحَ الناسُ على خالد بنِ الوليد ، فلمّا أخذ الرايةَ دافَع القومَ وحاشَى بهم[7] ، ثم انحاز وانحِيز عنه ، وانكشف ، فكانت

---

(١) أجلب الناس : اختلطت أصواتهم وضجّوا . وفى السهيلىّ « جلّب » بتشديد اللام ، والرنة : صوت فيه ترجيع شبه البكاء .

(٢) النصعة : القليل من الماء الصافى . والشنة : القربة الخلق .

(٣) العرق : العظم الذى عليه بعض اللحم .

(٤) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا (عن أبى ذرّ) . وفى أ : « فانتهش منه نهشة » .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٦) فى الزرقانى جـ ٢ ص ٣٢٦ عن ابن إسحاق : « المسلمين » .

(٧) حاشى بهم : انحاز بهم ، من الحشى ، وهى الناحية . وفى ابن هشام جـ ٢ ص ٢٥٨ : « وخاشى بهم » بالمعجمة ، من المخاشاة ، وهى المحاجزة ، مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم ، وفى الزرقانى جـ ٢ ص ٣٢٧ : « فحاش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه » .

الهزيمة ، فتبعهم المشركون ، فقُتل من قتِل من المسلمين ، ورُفعت الأرضُ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نظر إلى معتَرَك القوم ، فلما أخذ خالدُ بنُ الوليد اللواءَ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " الآنَ حَمِيَ الوَطِيس "(١) .

قال محمد بنُ إسحاق : ولمّا أصيب القومُ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " أَخذَ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ فقاتَلَ بها حتى قُتِل شهيدا، ثم أخَذَها جعفرٌ فقاتَلَ بها حتى قُتِل شهيدا"، ثم صَمَت حتى تغيّرتْ وجوهُ الأنصار، وظنّوا أنّه قد كان في عبد الله ابنِ رَواحةَ بعض ما يكرهون، فقال : " ثم أخَذَها عبدُ الله بنُ رَواحة فقاتَلَ بها حتى قتِل شهيدا " .

قال ابن إسحاق : وكان قُطْبةُ بنُ قَتادة العُذرِيّ حَمَلَ على مالكِ بنِ زافلةَ فقتَلَه وهو على المائة ألف التي اجتمعتْ من العرب ، فقال في ذلك :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإراش * برمحٍ مضى فيه ثمّ انْحطَمْ(٢)
ضَربتُ على جِيدِه ضربةً * فمالَ كما مالَ غصنُ السَّلَمْ(٣)

قال : ولمّا سمع أهلُ المدينة بإقبال جيش مُؤْتة تلقَّوْهم بالجُرْف ، فجعل الناسُ يَحثُون في وجوههم التراب ويقولون : يا فُرّار ، فررتم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " ليسوا بفُرّار، ولكنّهم كُرّار إن شاء الله " .

---

(١) حمى الوطيس ، أي حمى الضرب وجدّت الحرب واشتدّت .

(٢) انحطم : انكسر .

(٣) الجيد : العنق . والسلم بالتحريك : شجر العضاه ، الواحدة سلمة .

ذكر تسمية من آستُشهِد من المسلمين يومَ مُؤْتة

أُستُشهِد من قريش ومَواليهم أربعةُ نفر، وهم : جعفر بنُ أبى طالب، وزيدُ ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ومسعودُ بنُ الأسوَد بنِ حارثة ابنِ نضلة، ووهب بنُ سعد بن أبى سَرْح . وآستُشهِد من الأنصار : عبدُ الله ابنُ رَواحة، وعبّادُ بنُ قيس، والحارث بنُ النعمان بن إساف، وسُراقةُ بنُ عمرو وأبو كُلَيب وجابر آبنا عَمرو بنِ زيد، وعَمرو وعامر آبنا سعد بنِ الحارث بنِ عبّاد، رضوان الله عليهم أجمعين .

ذكر سرِيّة عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسِل(١)

وهى وراءَ وادى القُرَى، و بينها و بين المدينة عشرةُ أيام، وكانت فى جمادَى الآخرة سنة ثمانٍ من الهجرة . وسبب بَعْث هذه السرِيّة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أنّ جَمْعا من قُضَاعةَ قد تجمّعوا يريدون أن يَدْنُوا(٢) إلى أطراف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فدعا عمرَو بن العاص فعقَد له لواءً أبيضَ، وجعل معه رايةً سوداء، و بعثَه فى ثلاثمائة من سَراة(٣) المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسا، وأمَرَه أن يستعين بمن يَمُرّ به من بلِيٍّ(٤) وعُذْرةَ و بَلْقَيْن، فسار الليل وكَمَن النهار، فلمّا قرُب من القوم بلغه أنّ لهم جمعا كثيرا، فبعَثَ رافعَ بنَ مَكِيث(٥) الجُهَنِىّ

---

(١) اختلفوا فى ضبط هذه الكلمة آختلافا كثيرا، فنهم من ضبطها بفتح السين الأولى ومنهم من ضبطها بالضم، ومنهم من ضبطها بالفتح والضم . راجع الزرقانى جـ ٢ ص ٣٣٢

(٢) كذا فى الأصلين وابن سعد جـ ٢ القسم الأول ص ٩٥ ، وفى عيون الأثر (٢ : ١٥٧) : يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة .

(٣) سراة القوم : أصحاب الشرف فيهم .

(٤) لأن عمرا كان ذا رحم فيهم، فإن جدّته لأبيه كانت بلوية، فأراد عليه السلام أن يتألفهم بعمرو .

(٥) كذا ضبط فى الزرقانى جـ ٢ ص ٣٣٣ .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم يستمدّه، فبعث إليه أبا عُبيدة بن الجرّاح في مائتين، وعقد له لواء، وبعث معه سَراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعا ولا يختلفا، فلحق بعمرو؛ فأراد أبو عُبيدة أن يؤمّ الناس، فقال عمرو: إنما قدمتَ علىّ مَدَدا، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عُبيدة[1]، وسار حتى وطئ بلاد بَلِىّ، ودوّخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذْرة وبَلْقَين، ولقى في آخر ذلك جَمْعا، فحَمَل عليهم المسلمون، فهرَبوا في البلاد وتفرّقوا، ثم قفَل وبعث عوف بن مالك الأشجعىّ بريدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم؛ فأخبَره بقُفولهم وسلامتهم وما كان في غَزاتهم.

١٠٥/١٥ ذكر سَرِيّة أبي عُبيدة بن الجرّاح، وهى سرية الخَبَط[2]

بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا عُبيدة بن الجرّاح في شهر رجب سنة ثمانٍ من الهجرة في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عمرُ بنُ الخطّاب — رضى الله عنه — إلى حىّ من جُهَينة بالقَبَلِيّة ممّا يلى ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمسُ ليالٍ، فأصابهم في الطريق جوعٌ شديد، فأكلوا الخَبَط، وابتاع قيسُ بنُ سعد جَزُورا ونحرَها لهم.

رُوِى عن عُبادة بن الصامت قال: بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سَرِيّة إلى سِيف البحر[3]، عليهم أبو عبيدة بنُ الجرّاح، وزوّدهم جِرابا من تمْر، فجعل يقوتهم إيّاه حتى صاروا إلى أن يعدّه لهم عدّا، ثم نفِد التمر حتى كان يعطى كلّ رجل منهم كلّ يوم تمرة، فقسمها يوما بيننا، فنقصتْ تمرةٌ عن رجل، قال: فوجدنا فقدَها ذلك

(١) زاد في ابن سعد جـ ٢: ص ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله: «وكان عمرو يصلى بالناس».

(٢) الخبط (بالتحريك): ورق العضاه، من الطلح ونحوه من الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر.

(٣) سيف البحر: ساحله.

اليوم ، فلمّا جهَدَنا الجوع أخرج الله لنا دابّةً[1] من البحر فأصبنا من لحمها وَوَدَكها[2] ، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمِنّا وابْتَلَلْنا[3] ، وأخَذَ أميرُنا ضِلَعا من أضلاعها فوضعه على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعيرٍ معنا فحمل عليه أجسم رجلٍ منّا ، فخرج من تحتها وما مسّت رأسه ، فلمّا قدِمْنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخبرْناه خبَرَها ، وسألناه عمّا صنعنا فى ذلك منْ أكلنا إيّاها ، فقال : "رِزْقٌ رزَقَكُموه الله" .

قال ابن سعد : وانصرفوا ولم يلقَوا كيدا .

ذكر سريّة أبى قتادةَ بن رِبْعىٍّ الأنصارىِّ إلى خُضْرَة وهى أرضُ مُحارِب بنَجْد

قالوا : بعثَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شعبان سنة ثمانٍ من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلا إلى غَطَفان ، وأمَرَه أن يشنّ عليهم الغارة ، فسار الليلَ وكَمَن النهار ، فهجَمَ على حاضِرٍ منهم عظيم ، فأحاط به ، فصرَخَ رجلٌ منهم : يا خُضْرة وقاتَلَ منهم رجال ، فقَتلوا من أشرافهم[4] ، واستاقوا النَّعَم ، فكانت الإبلُ مائتى بعير ، والغنمُ ألفَىْ شاة ، وسبَوْا سبْيًا كثيرا ، وجمعوا الغنائم ، فأخرجوا الخُمس ، وقسموا ما بقى على السريّة ، فأصابَ كلُّ رجل منهم آثنا عشَرَ بعيرا ، وعُدِل البعيرُ بعشرٍ من

(١) ذكر الزرقانى أنه نوع من السمك يقال له العنبر .

(٢) الودك (بالتحريك) : الشحم .

(٣) ابتللنا : حسنت حالنا بعد الهزال وأفقنا من ألم الجوع الذى كان أصابنا .

(٤) كذا فى الأصلين . والذى فى الزرقانى جـ ٢ ص ٣٤٠ وابن سعد جـ ٢ ص ٩٦ « فقتلوا من أشرف لهم » أى ظهر .

الغنم، وصارت فى سَهْم أبى قَتادةَ جاريةٌ وَضيئةٌ، فآستوهَبَها منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فوهَبَها له، فوهَبَها صلى الله عليه وسلم لَمحْمِيَةَ بن جَزْء. وغابوا فى هذه السريّة خمسَ عشرةَ ليلةً.

ذِكْرُ سريّة أبى قَتادةَ بن رِبْعىٍّ الأنصارىّ إلى بطن إِضَم

كانت هذه السريّة فى أوّل شهر رمضانَ سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

قالوا: لمّا هَمَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بغَزْوِ أهلِ مكّة بعثَ أبا قتادة فى ثمانية نفر سريّةً إلى بطنِ إضَم — وهى فيما بين ذى خُشُب وذى المَرْوة وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرُد — ليظنّ ظانٌّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم توجّه إلى تلك الناحية، ولأَنْ تَذهبَ بذلك الأخبار، وكان فى السريّة مُحلِّمُ بنُ جَثّامة اللّيثىّ، فمرّ عامر بنُ الأضبط الأشجعىّ، فسلّم بتحيّة الإسلام، فأمسكَ عنه القوم، وحمل عليه مُحلِّمُ بنُ جَثّامة فقتلَه لشىء كان بينهما، وسلَبَه بعيرَه ومتاعَه، فلمّا لحقوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم نزل فيهم من القرآن قولُه تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ[(1)] ﴾ الآية. فمضَوا ولم يلقَوْا جمعًا فانصرَفوا حتى انتهَوْا إلى ذى خُشُب، فبلَغَهم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد توجّه إلى مكّة، فأخذوا على يَيْن[(2)] حتى لقوا النبىَّ صلّى الله عليه وسلم بالسُّقْيا.

(١) سورة النساء: ٩٤

(٢) يين، بفتح فسكون: ناحية من أعراض المدينة على بريد منها (ياقوت).

ذِكْرُ غزوةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفَتْح والسببِ الّذى أوجبَ نقضَ العهد وفسْخَ الهُدْنة

كانت هذه الغَزْوة فى شهر رمضانَ سنةَ ثمانٍ من مهاجَرِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وعلى رأس اثنين وعشرين شهرا من صُلح الحُدَيْبية .

وسببُ ذلك أنّه لمّا دخل شعبانُ من هذه السنة كلّمتْ بنو نُفَاثةَ — وهم من بنى بَكر — أشرافَ قريش أن يعينوهم على خُزاعَة بالرّجال والسلاح، وكانت خزاعة قد دخلت فى عَقد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعهدِه يومَ الحُدَيْبيــة كما قدّمْنا ذكرَ ذلك ، ودخلتْ بنو بكر فى عَقْــد قريش وعهدِها ، قالوا : فلمّا سألوهم ذلك وَعَدوهم ووافَوْهم بالوَتِير(١) متنكّرين متنقّبين ، فيهم صَفوان بنُ أميّة ، وحُوَيْطب بنُ عبد العُزّى، ومِكْرَز بنُ حفص بنِ الأَخْيَف، فَبيّتُوا خُزاعةَ ليلا، وهم غارّون(٢) آمنون فقتَلوا منهم عشرين رجلا، ثم ندمتْ قريش على ما صنعتْ، وعلموا أن هذا نقضٌ للذّة والعهد الّذى بينهم و بين رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، وخرج عمرو بنُ سالم الخُزاعىّ فى أربعين راكبا من خُزاعة، فقدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُخبِرونه بالّذى أصابهم و يستنصرونه .

قال ابن إسحاق : قدِم عمرو بن سالم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة، فوقف ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جالس فى المسجد بين ظَهْرانى الناس، فقال :

يا ربِّ إنّى ناشِــدٌ محمّــدَا * حِلْفَ أبِينا وأبيــه الأَتْلَدَا(٣)
قَــد كنتُمُ وُلْدا وكنّا والِدا * ثُمّتَ أَسلَمْنا فلَمْ نَنزِعْ يدا(٤)

---

(١) الوتير : ماء قريب من مكة . (٢) غارّون : غافلون . (٣) ناشد : طالب . والحلف، بكسر الحاء وسكون اللام : المناصرة . (٤) الولد، بضم فسكون : لغة فى الولد، بالتحريك . وثمت : حرف عطف أدخل عليه تاء التأنيث .

فانصرْ هداكَ اللهُ نصرا أبدا[1] * وادعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسولُ الله قد تجرّدا * إن سِيمَ خسفا وجهه تربّدا[2]
فى فيلقٍ[3] كالبحر يجرى مُزبِدا * إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكّدا * وجعلوا لى فى كَداء رُصَّدا[4]
وزعموا أنْ لستُ أدعو أحدا * وهمْ أذلُّ وأقلُّ عددا
همْ بيّتونا بالوتير هُجّدا * وقتلونا رُكّعا وسُجّدا[5]

يقول : قُتلنا وقد أسلمْنا ، ويُروَى بدل قوله : * قد كنتمُ وُلْدا وكنّا والدا *

* نحن ولدناك فكنتَ ولَدا *

قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "[illegible] نُصرتَ [illegible] عمرو [illegible]" .

ورَوَى محمد بنُ سعد فى طبقاته ، قال : فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يجرّ رداءه ويقول : "لا نُصرتُ إن لم أنصرْ بنى كعب مما أنصر منه نفسى" . ثم عرَض له سحاب ، فقال : إن هذا السحاب ليستهلّ بنصر بنى كعب .

قال محمد بنُ إسحاق : وقدِمَ بُدَيل بنُ وَرْقاء فى نفر من خُزاعة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبَروه بما أُصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم

(١) فى جـ ، وفى ابن هشام جـ ٤ ص ٣٦ « أعتدا » .
(٢) سيم خسفا ، أى أولى ذلا . وتربد : تغير .
(٣) الفيلق : العسكر الكثير .
(٤) رصد كركع : جمع [illegible] وهو [illegible] .
(٥) [illegible]

ثم آنصرفوا راجعين إلى مكة ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : "كأنكم بأبى سُفيان قد جاءكم ليشُدّ العقد و يزيد فى المدّة"، ومضى بُديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سُفيان بن حرب بعُسفان(١)، قد بعثته قريش إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليشُدّ العقد، و يزيد فى المُدّة، فقال له أبو سُفيان : من أين أقبلتَ يا بُديل ؟ قال : تَسيّرتُ فى خُزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى؛ قال : أو ما جئتَ محمدا؟ قال : لا، وفارقه ، فقال أبو سُفيان: لئن كان بُديل جاء إلى يثرب لقد علف النوى بها ، فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتّه ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُديل محمدا ؛ ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على محمد صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل على آبنته أمّ حبيبة ، وذهب ليجلس على فراش النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فطوته، فقال: يا بُنيّة ، ما أدرى أرغبتِ بى عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عنّى، قالت: بل هو فراش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنت رجلٌ مشرك نجس ، فلم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ فقال: والله لقد أصابكِ بعدى يا بُنيّة شرّ، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكلّمه ، فلم يردّ عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبى بكر وكلّمه أن يكلّم(٢) رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال : ما أنا بفاعل ؛ ثم أتى عمرَ بنَ الخطّاب فكلّمه ، فقال : أنا أشفعُ لكم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتُكم به ؛ ثم دخل على علىّ بن أبى طالب، وعنده فاطمة بنتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعندها الحسنُ آبنها غلامٌ يدِبّ بين يديها، فقال: يا علىّ ،

(١) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم ...).

(٢) فى ابن هشام : « يكلم له » .

١٠٧/١٥ إنك أمسّ القوم بى رحما ، وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعنّ(١) كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمّد ، هل لك أن تأمرى بنيّك هذا فيجير بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنىّ ذاك أن يجير بين النـاس ، وما يجير أحدٌ على رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم؛ فقال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدّت علىّ ، فانصحنى، قال : والله ما أعلم شيئا يغنى عنك ، ولكنّك سيّد بنى كنانة . فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنيا عنّى شيئا؟ قال : لا والله، ما أظنّه ، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان فى المسجد فقال: أيها الناس ، إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره وانطلق، فلمّا قـدم مكّة على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمّدا فكلّمته ، فوالله ما ردّ علىّ شيئا، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطّاب فوجدته أعدى العدوّ، ثم جئت(٢) عليّا فوجدته ألين القـوم، وقد أشار علىّ بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين النـاس، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمّد؟ قال : لا ؛ قالوا : ويلك، والله إن زاد الرجل على أن لعب منك(٣)، فما يغنى عنك ما فعلت(٤)، ثم تجهّز

(١) فى كلا الأصلين : « فلا رجعن » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ابن هشام .

(٢) كذا فى ا وابن هشام؛ والذى فى جـ : « أتيت » .

(٣) فى ابن هشام : « بك » .

(٤) فى ابن هشام : « ما قلت » .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأخفى مقصده، ثم أعلَم الناسَ أنه سائر إلى مكّة، وامَرَهم بالجدّ والتهيّؤ، وقال: "اللهمّ خذ العُيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها في بلادها". والله المعين.

ذكرُ خبر حاطب بن أبى بلتعة فى كتابه إلى أهل مكّة، وإعلام الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وسلّم بذلك، وأخْذِه الكتاب، وما أنزلَ اللهُ عزّ وجلّ فى ذلك من القرآن

قال: ولمّا أجمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المسيرَ إلى مكّة كتب حاطب ابنُ أبى بَلْتَعة كتابا إلى قريش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الأمر فى المَسير إليهم، ثم أعطاه آمرأةً يقال إنها من مُزَيْنة — وقيل: هى سارة مولاة لبعض بنى عبدالمطلب — وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا، فجعلته فى رأسها ثم فتلتْ عليه قرونَها وخرجتْ به، وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبرُ من السماء بما صَنع حاطب، فبعثَ علىَّ بنَ أبى طالب، والزبيرَ بن العوّام رضى الله عنهما، وقال: أَدرِكا آمرأةً قد كَتب معها حاطبٌ كتابا إلى قريش يحذّرهم ما قد أجمعْنا فى أمرهم، فخرجا فادركاها بالخَليقة، خَليقة بنى أبى أحمد، فآستنزلاها وآلتمسا فى رَحْلها فلم يجدا شيئا، فقال لها علىّ: أحلِف بالله لتُخرجِنّ لنا هذا الكتاب أو لنفتّشنّك، فقالت: أَعرِض عنّى، فأَعرَض، فحلّت قرونَ[1] رأسها فآستخرجت الكتابَ ودفعتْه إليه، فأَتَيا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم، فدعا حاطبا فقال: "ما حَملك على هذا"؟. قال: يا رسولَ الله، أما والله إنى لمؤمن بالله و برسوله، ما غيّرتُ

---

(١) القرون: جمع قرن، وهو الضفيرة.

وما بدّلتُ ، ولكنّى آمرؤٌ ليس لى فى القــوم مِن أصل ولا عشــيرة ، ولى بين أظهُرِهم ولدٌ وأهــل ، فصانعتُهم عليهم ، فقال عمر : يا رســول الله ، دعنى أضربْ عنقه ، فإنّ الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "وما يُدريك يا عمر ، لعــلّ الله قد آطّلع على أصحاب بدرٍ يوم بدر ، فقال : اِعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم" .

هذه رواية محمد بن إسحاق :

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمدُ بنُ محمّــد بنِ إبراهيم الثعلبىّ رحمه الله : إن المرأة سارةُ مولاةُ عمرو بن صيفىّ بنِ هاشم بن عبد مناف، وإنها أتت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهّز لفتح مكة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمسلمةً جئتِ"؟ قالت : لا . قال : "أمهاجرةً جئتِ"؟ قالت : لا ، قال : "فما حاجتُك"؟ قالت : كنتُ كثيرةَ العشيرة والأصل والمَوالى ، وقد ذهبتْ موالىَّ ، وآحتجتُ حاجةً شديدة ، فقدمتُ عليكم لتُعطونى وتَكسونى وتَحملونى . قال لها : "فأين أنتِ من شباب أهلِ مكّة" ، وكانت مغنّيةً نائحة ، قالت : ما طُلب منّى شىء بعــد وقعة بدر : فحثّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى عبــد المطّلب وبنى المطّلب فكســوْها وحملوها وأعطَوْها نفقــةً ؛ فأتاها حاطبُ بنُ أبى بلتعــةَ حليفُ بنى أَســد بنِ عبد العُزّى ، فكَتب معها إلى أهل مكّة كتابا ، وأعطاها عشرةَ دنانير .

١٠٨/١٥ قال الثعلبىّ : هذه رواية زاذانَ عن آبن عبّاس رضى الله عنهما ، قال : وقال مقاتلُ بنُ حيّان : أعطاها عشرة دراهمَ وكساها بُردا على أن توصــل الكتابَ إلى أهل مكّة ، وكَتب فى الكتاب : «من حاطب بن أبى بلتعةَ إلى أهــل مكّة، إن

رسولَ الله يريدكم ، فخذوا حذرَكم » . فخرجتْ سارة ، ونزل جبريل ، فأخبر النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم بما فعل حاطب ، فبعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليّا ، وعمرَ ، والزبيرَ ، وطلحةَ ، وعمّارا ، والمقدادَ بنَ الأسود ، وأبا مَرْثَد ، وكانوا كلُّهم فُرسانا ، وقال لهم : "انطلقوا حتّى تأتوا روضةَ خاخ(١) فإنّ بها ظعينةً معها كتاب من حاطب بن أبى بَلْتَعة إلى المشركين ، فخذوه منها ، وخلُّوا سبيلَها ، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقَها" فخرجوا حتى أدركوها فى ذلك المكان الّذى قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا لها : أين الكتاب ؟ فحلفتْ بالله ما معها كتاب ، ففتّشوها ، وفتّشوا متاعَها فلم يجدوا معها كتابا ، فهَمُّوا بالرجوع ، فقال علىٌّ رضى الله عنه : والله ما كُذِبْنا ولا كَذَبْنَا ، وسلَّ سيفَه ، وقال لها : أخرجى الكتابَ وإلّا والله لأجرِّدنّك ، ولأضربنّ عنقك ، فلمّا رأت الجِدَّ أخرجتْه من ذوائبها قد خبّأتْه فى شَعرها ، فخلّوا سبيلَها ، ولم يتعرّضوا لما معها ، ورجعوا بالكتاب إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى حاطب فأتاه ، فقال له : "هل تعرف الكتاب"؟ قال : نعم ، قال : "ما حمَلك على ما صنعتَ"؟ فقال : يارسول الله ، ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلّا وله بمكّة من يمنع عشيرته ، وكنت غريبا فيهم ، وكان أهلِى بين ظهرانيهم ، فخشيت على أهلى ، فأردت أن أتخذ عندهم يدا ، وقد علمت أن الله يُنزِل بهم بأسه ، وأنّ كتابى لا يغنى عنهم شيئا ؛ فصدّقه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعذَره ، فقام

(١) روضة خاخ : موضع بين مكّة والمدينة (معجم البلدان) .

عمر بن الخطّاب فقال : يا رسـول : دعني أضربْ عنقَ هـذا المنافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد آطلع على أهلِ بدرٍ يوم بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر" .

وأنزل الله عزّ وجلّ في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وعَدُوَّكُمْ أولِيَـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بِمَـا جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ ﴾(1) ، قال : أى من مكّة لِأَنْ آمنتم بالله ربِّكم ؛ قال : في الكلام تقـديم وتأخير ، ونظم الآية : ﴿ لَا تَتَّخِـذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَـا جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾، ثم قال تعـالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِـمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَـا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَـلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ، ثم قال تعـالى : ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْـدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ قال : يثقفوكم(2) يروكم و يظهروا ، ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى بالقتل ، ﴿ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ أى بالشتم ، ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يُناصحونكم ولا يُوادّونكم .

قوله تعـالى : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِـلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال : معنى الآية : لا تدعُونَّكم قراباتكم ولا أولادكم التى بمكّة إلى خيانة رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم ، ومظاهرتهم ، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التى عصيتم الله لأجلهم

(1) سورة الممتحنة الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(2) كذا فى كلا الأصلين . والذى فى القرطبى : « يثقفوكم يظفروا بكم و يتمكنوا منكم » .

﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ فيُدخل أهلَ طاعته والإيمانِ به الجنة، ويدخل أهل معصيته والكفرِ به النارَ .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ[1] ﴾ الآية ، ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ[1] ﴾ قال : قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ[1] ﴾ يعنى فى إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء ؛ قال : فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم من المشركين فى الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، فعلم الله تعالى شدّة وجد ١٠٢/١٥
المؤمنين بذلك ، فأنزل : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[1] ﴾ ؛ قال : ففعل الله عزّ وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركى مكّة، فصاروا للمؤمنين أولياءَ وإخوانا، وخالطوهم وناكحوهم .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ[1] ﴾ معناه : أن تعدلوا فيهم بالإحسان والبرّ ، واختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية ، فقال ابن عباس : نزلت فى خُزاعة ، منهم هلال بنُ عُوَيمر ، وخُزَيمة ، وسُراقة بنُ مالك ابنِ جُعْشُم ، وبنو مُدْلج ، وكانوا صالحوا النبىّ صلّى الله عليه وسلم على ألّا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا .

---

(١) الممتحنة : ٤ ، ٦ ، ٧

وقال عبد الله بن الزبير : نزلتْ فى أسماءَ بنتِ أبى بكر رضى الله عنهم ، وذلك أنّ أمّها قُتيلة بنت عبد العزّى بن عبد أسعَدَ من بنى مالك بن حِسْل قَدِمتْ عليها المدينةَ بهدايا وهى مُشركة ، فقالت أسماء : لا أقبل منك هديّة ، ولا تدخلى علىّ بيتى حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسألت لها عائشةُ رضى الله عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية ، فأمَرها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن تُدخِلها منزلَها ، وتقبلَ هديّتها ، وتحسنَ إليها ، وتكرمَها .

وقال مرّة الهَمَذانىّ وعطية العَوْفىّ : نزلتْ فى قوم من بنى هاشم ، منهم العباس . ثم قال تعالى : ﴿ إنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) قال : وهم مشركو مكّة . فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح .

ذكر خروج رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة إلى مكّة ، ومن جاءه فى طريقه قبل دخوله مكّة

قال : ولمّا تهيّأ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للغزاة بعث إلى مَن حوله من العرب بجَلَبهم ، وهم أسلَم ، وغِفَار ، ومُزَينة ، وجُهَينة ، وأشجَع ، وسُلَيم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه فى الطريق ، وكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف ، واستَخلف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على المدينة عبدَ الله بن أمّ مكتوم ؛ قاله محمد بن سعد .

وقال محمد بن إسحاق ، وأبو بكر أحمد البيهقى : استَخلف على المدينة أبا رُهْم كلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خلف الغِفارى ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الأربعاء لعشر ليالٍ خلون من شهر رمضان بعد العصر ، فلمّا انتهى

(١) سورة الممتحنة : ٩

إلى الصلصل[1] قدم أمامه الزبير بن العوام فى مائة من المسلمين ، وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس حتى إذا كان بالكديد[2] بين عسفان[3] وأمج[4] أفطر . ونادى مناديه : من أحب أن يفطر فليفطر، ومن أحب أن يصوم فليصم .

قال ابن سعد : فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقديد[5] عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل .

قال محمد بن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مر الظهران[6] وهو فى عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت[7] سليم، و بعضهم يقول : ألفت مزينة، وفى كل القبائل عدد و إسلام، وأوعب معه المهاجرون والأنصار . قال: ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الطريق لقيه عمه العباس بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة[8] مهاجرا بعياله، وكان قبل ذلك بمكة على سقايته، وقد قدمنا أنه أسلم عند انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر . قال : ولقيه أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، لقياه بنيق العقاب[9] بين مكة والمدينة، والتمسا الدخول عليه ، وكلمته أم سلمة رضى الله عنها فيهما، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك ، وابن عمتك وصهرك . فقال : " لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال"، فلما خرج الخبر بذلك إليهما ومع أبى سفيان بنى له ١١٠/١٥

(١) الصلصل : موضع بنواحى المدينة على سبعة أميال منها . (٢) الكديد كأمير : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة . (٣) عسفان ، بضم أوله وسكون ثانيه : قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة . (٤) أمج بالتحريك : بلد من أعراض المدينة . (٥) قديد بالتصغير : موضع قرب مكة . (٦) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة . (٧) سبعت : أى كانت سبعمائة ، وألفت : كانت ألفا . (٨) الجحفة : موضع على أربع مراحل من مكة .
(٩) نيق العقاب : موضع قرب الجحفة .

قال : والله لتأذنّ لى أو لآخذنّ بيد بُنىّ هذا ، ثم لنذهبنّ فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ؛ فلمّا بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم رقّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه ، فأسلما ، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر ممّا كان قد مضى من فعله ، فقال :

لعمرك إنّى يوم أحمل راية * لتغلبَ خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمُدْلج الحيْران أظلمَ ليلُه * فهذا أوانى حين أهدَى وأهتدى
هدانى هادٍ غيرُ نفسى ودلّنى (١) * على الحقّ مَنْ طرّدتُ كلّ مطرّد
أصدّ وأنأى جاهدا عن محمد * وأُدعَى وإن لم أنتسب من محمد
همُ ما همُ من لم يقل بهواهمُ * وإن كان ذا رأى يُلَمْ ويفنّد (٢)
أريد لأرضيهم واستُ بلائط (٣) * مع القوم ما لم أُهد فى كلّ مقعد
فقل لثقيف : لا أريد قتالَها * وقل لثقيف تلك : غيرىَ أوعدِى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامرا * وما كان عن جَرَّا لسانى ولا يدى
قبائلُ جاءت من بلاد بعيدة * نزائع (٤) جاءت من سَهام وسُردد (٥)

قال : ولمّا بلغ إنشاده قوله : «من طرّدت كل مطرّد» ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى صدره وقال : « أنت طرّدتنى كل مطرّد » .

قال : ولمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْران نزلها عَشِيًّا، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر

(١) رواية البيت كما فى ابن هشام ٤ : ٤٣ ، والبداية ٤ : ٢٨٧

هدانى هاد غير نفسى ونالنى * مع الله من طردت كل مطرد

(٢) فى جـ : « يلام ويفند » . (٣) لائط : ملصق . (٤) النزائع : الغرباء .

(٥) سهام كسحاب ، وسردد بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة ، ويروى بضم أوله فتح الدال الأولى : موضعان من أرض عك .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال العباس بن عبدالمطلب: واصَباحَ قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنّه لَهَلاك قريش إلى آخر الدهر.

قال العبّاس: فجلستُ على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم البيضاء، فخرجتُ عليها حتى جئتُ الأراك[1]، فقلت: لعلّى أجد بعض الحطّابة أو صاحبَ لَبَن، أو ذا حاجة يأتى مكّة، فيخبرهم بمكان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنوة.

ذكر مجىء العبّاس بأبى سُفيان بنِ حرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإسلام أبى سفيان، وخبر الفتح

قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبُديل بن وَرْقاء قد خرجوا فى تلك الليالى يتحسّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به، فوالله إنّى لأسير على بغلة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، ألتمس ما خرجتُ له، إذ سمعتُ كلامَ أبى سفيان وبديل ابن ورقاء وهما يتراجعان، وأبوسفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قطّ ولا عسكرا؛ فيقول له بديل: هذه والله خزاعة قد حَمَسَتْها[2] الحرب، فيقول أبو سفيان: خُزاعة أذَلّ وأقلّ أن تكون هذه نيرانُها وعسكرُها، قال العباس: فعرفتُ صوتَه، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى، فقال: يا أبا الفضل، قلت: نعم، قال: مالك فِداك أبى وأمّى! قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله فى الناس، واصباحَ قريش والله!

---

(١) الأراك: واد قرب مكّة.

(٢) حمسَتها بالمهملة: اشتدّت عليها، وفى جـ، وابن هشام: «حشتها» بالمعجمة، أى أحرقتها.

قال : فما الحيلة فداك أبى وأمّى ! ، قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقَك ، فاركب فى عَجُز هذه البغلة حتى آتى بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خَلْفى ، ورجع صاحباه ؛ قال : فجئتُ به ، كلّما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا : مَن هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر آبن الخطّاب .

قال آبن سعد : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد آستعمل عمرَ تلك الليلة على الحَرَس ؛ قال العبّاس : فقال عمر : من هذا ؟ وقام إلىّ ، فلما رأى
١١١/١٥ أبا سفيان على عَجُز الدابّة قال : أبو سفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد ، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وركضتُ البغلةَ فسبقتُه ، فآقتحمتُ عن البغلة ، ودخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أُمكِن منه بغير عَقْد ولا عهد ، فدعنى أضربْ عنقَه . قال العبّاس ، قلت : يا رسول الله ، قد أجرته ، ثم جلستُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأخذتُ برأسه وقلتُ : والله لا يناجيه الليلةَ رجلٌ دونى ، فلمّا أكثر عمر فى شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من رجال بنى عدىّ بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنّك قد عرفتَ أنّه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال عمر : مهلا يا عبّاس ، فوالله لإسلامك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أسلَم ، وما بى إلا أنى قد عرفتُ أنّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : " اذهب به يا عبّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتنى به " ؛ قال : فذهبتُ به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غدوتُ

به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : " ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ[1] لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله "، قال : بأبى أنت وأمّى! ما أحلمَك وأكرَمك وأوصَلَك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئا بعد ؛ قال : " ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأنِ لك أن تعلم أنى رسول الله "؟ ؛ قال : بأبى أنت وأمى! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمّا والله هذه فإن فى النفس منها حتّى الآن شيئا ؛ فقال له العبّاس : ويحَك! أَسلِم واشْهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضْرب عنقُك ؛ قال : فشهد شهادة الحقّ ، فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحبّ هــذا الفخر، فاجعل له شيئا . قال : " نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهــو آمن "؛ فلمّــا ذهب لينصرفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ياعبّاس، احبِسْه بمَضيق الوادى عند خَطْم الجبل[2] حتى تمرّ به جنود الله فيراها ". قال : فخرجت به حتى حبستُه حيث أمرنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن أحبسه ؛ قال : ومرّت القبائل على راياتها كلّما مرّت قبيلة قال : ياعبّاس، من هذه؟ . فأقول: سُليم، فيقول: مالى ولسُلَيم، ثم تمرّ القبيلة، فيقول: من هذه ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى مرّت القبائل ، فما تمرّ قبيلة إلّا سألنى عنها، فإذا أخبرتُه بهم، قال: مالى ولبنى فلان! حتى مرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار — وإنّمــا سمّيت بالخضراء لكثرة الحديد وظهورِه فيها — وهم لا يرى منهم إلا الحــدَق من الحديد، فقال : سبحان الله ياعبّاس! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلّى الله عليــه وسلّم

(١) ألم يأن : ألم يحن .

(٢) خطم الجبل : أنفه النادر منه .

فى المهاجرين والأنصار ، فقال : ما لأحد بهــؤلاء من قِبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ٱبن أخيك الغــداة عظيما . قلت : ويحك ! إنها النبوّة ، قال : فنعم إذًا ، ثم قلت : النَّجاءَ(١) إلى قــومك ، فسار حتى إذا جاءهم صرَخَ بأعلى صــوته : يا معشر قريش ، هــذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سُفيان فهــو آمن ، فقامت إليــه هندُ بنتُ عتبة فأخذتْ بشاربه ، فقالت : ٱقتلوا الحَميتَ(٢) الدّسِمَ الأحْمَسَ ، قُبِّح من طَليعة قوم! قال: ويلكم ! لا تغرنّكم هذه من أنفســكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به ، فمن دخل دارى فهو آمن ، قالوا: قاتلك الله ! وما تغنى عنّــا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهــو آمن . فتفرّق النــاسُ إلى دُورهم و إلى المسجد . والله يؤيّد بنصره من يشاء .

ذكر دخول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه مكّة شرّفها الله تعالى صُلْحا ، ودخول خالد بن الوليــد ومن معه من القبائل عَنوة

قال : ولمــا ٱنتهى رســولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ذى طُوًى(٣)، وقف على راحلته مُعْتجِرا(٤) بشُــقّة بُرْدِ حِبرةٍ حمراء و إنه ليضع رأسَه تواضعا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إنّ عُثنونَه ليكاد يمسّ واسِــطَ الرحل ، ثم فرّق رســولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم الجيش من ذى طُوًى ، وكانت راية رســول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ مع سعد بن عُبادة رضى الله عنه ، فأمر رسول الله صلّى الله ١١٢/١٥

(١) النجاء : السرعة . (٢) الحميت فى الأصل : زق السمن . والدسم : الكثير الودك . والأحمس : الذى لاخير عنده ، من قولهم : عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر . (٣) ذو طوى ، مثلثة الطاء : موضع قرب مكة . (٤) الاعتجار : التعمّم بغير ذؤابة . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

عليه وسلم الزبيرَ بن العوّام، وكان على المجنِّبة اليسرى أن يدخل فى بعض النـاس من كُدًى[1]، وأمر سعدَ بنَ عُبادة أن يدخل ببعض الناس مِنْ كَداء[2]، فلمّا وجّه سعدٌ للدخول قال : اليـومَ يومُ المَلْحمة، اليومَ تُستحلّ الحرمة، وفى رواية تُستحلّ الكعبة؛ فسمعها عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بنُ عُبادة، ما نأمن أن يكون له فى قريش صَوْلة، فقال رسـول الله صلّى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : "أدرِكْه فخذ الرايةَ منه، فأدخلْ أنت بها". حكاه ابن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : إنّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية من سـ[عد] ودفَعَها لابنه قيس بن سعد .

وذكر يحيى بنُ سـعيد الأُموىّ فى السِّيَر : أن سعد بن عُبادة لمـا أخذ الر[اية] مرّ على أبى سفيان، فقال سعد إذ نظر إليـه : اليوم يومُ المَلْحَمة، اليومُ تُستحـ[ـلّ] الحرمة، اليـوم أذلّ الله قريشا، فأقبل رسـول الله صلّى الله عليـه وسلّم فى كتيبة الأنصار حتى إذا حاذَى أبا سفيان ناداه : يا رسـول الله، أمرتَ بقتل قومك ؟ فإنه زَعَم سعدٌ ومن معـه حين مرّ بنا أنه قاتِلُنا، وقال : اليوم يومُ المَلْحمة، اليوم تُسـتحَلّ الحُرمة، اليـوم أذلّ الله قريشا؛ و إنى أَنشُدُك اللهَ فى قومك، فأنت أبرّ الناس وأوصلُهم وأرحمُهم .

وقال عثمان وعبـد الرحمن بن عوف : يا رسول الله، والله ما نأمن سـعدا أن تكون منه فى قريش صَوْلة؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : "يا أبا سفيان، اليوم يومُ المَرْحَمة، اليوم أعزَّ اللهُ فيه قريشا". وقال ضِرار بنُ الخطّاب الفِهْرىّ يومئذ :

(١) كُدًى كقرى : جبل بأسفل مكة .

(٢) كَداء كسماء : جبل بأعلى مكة .

يا نبيَّ الهُدى إليك لجا حَيُّ قريش ولات حين لجاءِ (١)
حين ضاقت عليهمُ سعةُ الأرضِ وعاداهمُ إلهُ السّماءِ
والتقت حَلْقتا البِطانِ على القومِ ونُودوا بالصَّيْلَم الصَّلْعاءِ (٢)
إنّ سعدا يريد قاصمةَ الظهرِ بأهل الحَجُون والبَطْحاءِ
خَزْرَجِيٌّ لو يستطيع من الغيظِ رمانا بالنَّسْر والعَوّاءِ (٣)
وغِرُ الصّدرِ لا يهمّ بشيءٍ غيرِ سَفْك الدِّما وهَتْك النساءِ
قد تلظّى على البِطاح وجاءت عنه هندٌ بالسَّوْءة السَّوْآءِ
إذ ينادى بذُلِّ حىِّ قريشٍ وابنُ حربٍ بدا من الشّهداءِ
فلئن أقحمَ اللواءَ ونادَى يا حُماةَ اللِّواء أهل اللِّواءِ
ثم ثابت إليه من بُهَم الخزرجِ والأوسِ أنجمَ الهَيْجاءِ
لتكونَنّ بالبطاح قريشٌ فقعةَ القاعِ فى أكفِّ الإماءِ (٤)
فَأْنْهَيَنْهُ فإنه أسَدُ الأُسْدِ لدى الغابِ والِغٌ فى الدماءِ
إنه مُطرِق يريد لنا الأمرَ سكوتا كالحيّةِ الصّمّاءِ (٥)

قال : فأرسل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى سعد بن عُبادة فنزع اللواء من يده، وجعله بيد قيس ابنه ، ورأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن اللواء لم يخرج

(١) « لجا » مهموز، وتركه هنا للوزن .

(٢) التقت حلقتا البطان : مثل فى بلوغ الأمر . البطان : حزام يجعل تحت بطن البعير . والصيلم : الداهية الشديدة .

(٣) النسر والعواء : كوكبان .

(٤) الفقعة (بكسر الفاء) : ضرب من الكمأة ، وهى البيضاء الرخوة ، يشبه بها الرجل الذليل . وفقعة القاع : مثل يضرب فى الذل ، لأن الفقعة أرذأ الكمأة .

(٥) الحية الصماء : التى لا تنفع منها الرقية ، وهى أخبث الحيات وأضرها .

عنه إذ صار إلى آبنه ، وأبى سعد أن يُسلِّم اللواء إلّا بأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسَلَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعمامته ، فعرفَها سعد ، فدفعَ اللواءَ إلى آبنهِ قيس .

قال : وأمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بنَ الوليـد ، وكان على المُجَنِّبة اليمنى ، أن يدخل ببعض الناس من اللِّيط أسفل مكّة ، وكان معه : أسلَم ، وسُلَيم وغِفار ، ومُزينة ، وجُهينة ، وقبائل من العرب ، وأقبل أبوعبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين ينصبّ لمكّة بين يدى رسـول الله صلّى الله عليـه وسلّم ، ودخل رسول الله صلى الله عليـه وسلم من أَذاخر[(١)] ، حتى نزل بأعلى مكّة ، وضُربت له هناك قُبـة ، ونَهى عن القتال ، وعَبر أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من الأماكن التى أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا منها ، لم يلْقَوا كيدا ، إلّا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو جمعوا جَمْعًا من قريش ، ووقفوا بالخَنْـدمة[(٢)] ليقاتلوا خالد بنَ الوليد ، ويمنعوه من الدخول ، وشَهروا السلاح ١١٣/١٥ ورَموا بالنَّبـل ، فصاح خالد فى أصحـابه وقاتلهم ، فقُتل أربعـة وعشرون رجلا من قريش ، وأربعة نفر من هُذيل ، وانهزموا أقبح هزيمة ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنيّة أَذاخِر رأى البارقة[(٣)] فقال : "ألم أَنْهَ عن القتال"؟ فقيل : يارسول الله ، إنّ خالدَ بنَ الوليد قوتل فقاتَل ؛ فقال : " قضاء الله خير" ، وقتل من المسـلمين رجلان كانا سلَكا طريقا غـير طريق خالد فقُتِلا ، وهمـا كُرْز بن جابر الفِهْرىّ ، وحُبَيش[(٤)] بنُ خالد الخُزاعىّ . قاله محمد بنُ سعد .

---

(١) أذاخر : ثنية بين مكة والمدينة «البكرى ج١ : ١٢٨» .

(٢) الخندمة : جبل بمكة له يوم معروف . (٣) البارقة : السيوف .

(٤) فى ابن سعد « خالد الأشقر الخزاعى » ، وفى ابن هشام : « خنيس » .

وقال آبن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ آثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلا. وقال: وقد كان حِمَاس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يُعِدّ سلاحا ويُصلح منه قبل دخول رسول الله صلى الله عليـه وسلم، فقالت له آمرأته: لمـاذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقـوم لمحمّد وأصحابه شىء؛ قال: والله إنى لأرجو أن أُخدِمَكِ بعضهم، ثم قال:

إن يُقبلوا اليـــوم فـالى عِلّهْ * هـــذا سلاحٌ كاملٌ وأَلّهْ (١)

* وذو غِرارَين سريعُ السَّلّهْ (٢) *

ثم شهد يوم الخَنْدَمَة، فلما آنهزم القـوم دخل على آمرأته وقال: أغلق علىّ بابى؛ قالت: فأين الذى كنت تقول؟ فقال:

إنّك لو شَهدتِ يوم الخَندَمهْ * إذ فـرّ صفوانُ وفـرّ عِكْرِمهْ

وآبو يزيــدَ قائمٌ كالمُوتِمهْ (٣) * وآستقبلتْهم بالسيوف المسلِمهْ

يَقطَعن كلَّ ساعِدٍ وجُمجُمهْ * ضَرْبا فـلا تَسمعُ إلا غَمْغمه (٤)

لهـمْ نَهيتٌ خَلفَنا وهَمْهَمهْ (٥) * لا تنطق فى اللّـوم أدنى كلمه

قال آبن هشام: ويروى للرعّاش الهُذَلى.

---

(١) الألّة: جميع أداة الحرب.

(٢) كذا فى ج وابن هشام ج ٤: ٥٠، والذى فى ا «القتلة». وذو غرارين: ذو حدّين.

(٣) المؤتمة: الثكلى.

(٤) الغمغمة: أصوات غير مفهومة.

(٥) النهيت: زئير الأسد. والهمهمة: تردّد الزئير فى الصدر.

وكان ممن فرّ يومئذ هُبَيرة بنُ أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج أمّ هانئ بنت أبى طالب أخت علىّ لأبويه؛ فأسلمتْ، وهرب هبيرةُ إلى نجران، وقال معتذرا من فراره :

لعمرُك ما ولّيت ظَهرى محمّدًا * وأصحابَه جُبْنا ولا خيفةَ القتلِ
ولكننى قلّبت أمرى فلم أجد * لسيفى غَناء إن ضَربتُ ولا نَبْلى
وقفتُ فلمّا خفت ضَيعة موقفى * رجعتُ لِعَوْد كالهِزَبْر إلى الشِّبل

قال ٱبن هشام : وكان شِعار أصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحُنين والطائف : شعار المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن، وشعار الخَزْرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأَوْس : يا بنى عبيد الله ؛ وكان الفتح يوم الجمعة لعشر بقِين من رمضان .

ذكرُ من أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم فتح مكّة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابَه بقتل ستّة نفر وأربع نسوة، وإن وُجِدوا تحت أستار الكعبة، وهم : عِكْرمة بنُ أبى جهل، وهبّار ابن الأسود، وعبد ٱلله بنُ سعد بنِ أبى سَرْح، ومِقْيَس بنُ صُبابةَ[1] الليثى، والحويرث ابن نُقَيْذ بن وهب ، وعبد الله بن هلال بن خَطَل الأدرمىّ ، وهند بنت عُتبة ، وسارةُ مولاة عمرو بن هشام ، وَفَرْتَنَى، وقُرَيبة .

فأمّا عِكْرمة بن أبى جهل فإنه هرب إلى اليمن ، وأسلمت آمرأتُه أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنتْ له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمّنه ، فخرجتْ فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأَسلَم وحسن إسلامه .

حَكى الزبير بنُ بكّار قال : لمـا أسلم عكرمة قال : يا رسـول الله ، علّمنى خيرَ شىء تَعلمه أقوله ؛ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : " شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله "، فقال عكرمة : أنا أشهد بهذا ، وأُشهد بذلك مَنْ حضرنى ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لى ؛ فآستغفرَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال عكرمة : والله لا أدع نفقةً كنت أنفقها فى صدٍّ عن سَبيل الله إلّا أنفقتُ ضِعفَها فى سبيل الله ، ولا قتالا قاتلتُـه إلّا قاتلتُ ضِعفَه ؛ ثم آجتهـد فى الجهـاد والعبادة حتى آستُشهِد رحمـه آلله فى خلافة عمر بن الخطّاب بالشام ؛ وقيل : استُشهِد فى آخر خلافة أبى بكرٍ ؛ قيل : فى يوم اليَرْموك . وقيل : فى يوم مَرْج الصُّفَّر[1] ، وقيل : أَجْنَادِين[2] . والله أعلم .

وأما عبد الله بنُ سعد بنِ أبى سَرْح ، فإنه كان قد أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليـه وسلم الوحى ؛ فارتدّ ورجع إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنـه ، وهو أخوه من الرضاعة ، فَغَيّبـه حتى أَتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فآستأمن له بعـد أن آطمأن النـاس ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَمَت طويلا ، ثم قال : " نعم " ؛ فلما آنصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه : " لقد صَمَتُّ ليقوم إليه بعضُكم فيضربَ عنقَه "،

(١) مرج الصفّر : موضع بالشام كانت به وقعة للمسلمين مع الروم ، وهو بالقرب من غوطة دمشق .
(٢) أجنادين : موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم .

فقال رجل من الأنصار : فهلّا أومأت إلىّ يا رسول الله ؟ فقال : " إن النبىّ لا يَقتل بالإشارة "، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك .

وأمّا مِقْيَس بنُ صُبابة، فإن أخاه هشام بن صبابة كان قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلِق بالمُرَيْسِيع ، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأ ، فقدم مِقْيَس هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وأظهر الإسلام، وقال : يا رسول الله، جئتُك مسلما ، وجئتُك أطلب دِيَةَ أخى، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه ، فأقام غيرَ كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتَلَه ، ثم خرج إلى مكة مرتدًّا، فنذَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلَه لذلك، فقتله نُمَيلة بنُ عبدِ الله ، رجل من قومه .

وأما الحويرث بن نُقيذ فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بنتَىْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ وأمَّ كلثوم من مكة يريد بهما المدينة ، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض .

وأمّا عبد الله بن خَطَل، فأمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلما، فبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصدِّقا[1]، وبعث معه رجلا من الأنصار، وكان معه مولًى له يخدمه وهو مسلم ، فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تَيْسًا ، فيصنع له طعاما ، فنام وآستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فقتله ثم آرتدّ ، وكانت فَرْتَنَى وقُرَيبة قَيْنَتَاه تُغنّيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل آبنَ خَطل

(١) مصدّقا ، بتشديد الدال : جامعا للصدقات ، وهى الزكاة .

سعيدُ بن حُريث المخزومى ، وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ، وقُتلتْ إحدى قَيْنتيه وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنها .

وهند بنت عُتبَة أسلمتْ . ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، ومن الشرط فيها ألّا يسرقن ولا يزنين ، قالت : وهل تزنى الحرّة أو تسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : "ولا تقتلن أولادكن" ، قالت : قد ربيناهم صغارا ، وَقَتَلتَهم أنت ببدرٍ كبارا ، أو نحو هذا من القول ، وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ زوجها أبا سفيان شحيح لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدَها ، فقال : "خذى من ماله بالمعروف ما يكفيكِ أنتِ وولدك" .

وأما سارة فاستُؤمن لها ، فأمنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

وأما هبّار فإنه هرب فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحَسُنَ إسلامه .

ذكر إسلام أبى قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة بن كعب

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذى طُوًى قال أبو قحافة لابنةٍ له من أصغر ولده : أى بُنيّة ، اظهَرى بى على جبل أبى قُبَيس — قالت : وكان قد كُفَّ بصره — فأشرفَتْ به عليه فقال لها : أى بنيّة ، ماذا ترين؟ قالت : أرى سوادا مجتمعا ، قال : تلك الخيل ؛ قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك السواد مقبلا ومدبرا ؛ قال : أى بُنيّه ، ذلك الوازع ، — يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدّم إليها — ثم قالت : قد والله انتشر السواد ؛ فقال : قد والله إذًا دفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ؛ قالت : فانحطّت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل

115/15

إلى بيته ؛ قالت : وفى عنق الجارية طَوْق من وَرِق[(١)] ، فتلقاها رجل فاقتطعه من عنقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "هلّا تركتَ الشيخَ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه"؟ قال أبو بكر : يارسول الله ، هو أحقّ أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : "أسلم" ، قالت : فأسلم ؛ قالت : فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغامة[(٢)] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "غيّروا هذا من شَعره" ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد الله والإسلام طوقَ أختى ؛ فلم يجبه أحد ؛ قالت : فقال : أى أخيّة ، احتسبى طَوْقَك ، فوالله إنّ الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

وأسلم عبد الله بْنُ الزِّبَعْرى عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ الأذى فى الجاهلية ، فأسلم واعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل عذرَه ، وكان شاعرا مجيدا ، فقال يمدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وله فى مدحه أشعار كثيرة يَنْسَخ بها ما قد مضى فى كفره ، منها قوله :

مَنَع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ * والليل مُعتلِج الرِّواق بهيم[(٣)]
ممّا أتانى أنّ أحمدَ لامنى * فيه فبت كأننى محموم
يا خيرَ من حَمَلتْ على أوْصالها * عَيْرانةٌ سُرُح اليدين غَشُوم[(٤)]

(١) الورق : الفضة ؛ وقيل : الذهب والفضة (اللسان) . (٢) الثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر ؛ يشبه بياض الشيب به . (٣) البلابل : الوساوس المختلطة ، ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . ورواق الليل : مقدّمه وجانبه . والبهيم : الذى لا ضياء فيه .

(٤) العيرانة من الإبل : السريعة فى نشاط . وسرح اليدين : سريعتهما . وغشوم : لا يثنيها عن مرادها شيء .

إنى لمعتــذِرٌ إليك من الذى * أسديتَ إذ أنا فى الضّلال مُقــيمُ
أيام تأمرنى بأغــوى خُطّــةٍ * سَهــمٌ، وتأمرنى بها مخــزومُ
وأمدّ أســباب الرّدى ويقودُنى * أمرُ الغُـواة، وأمرهمْ مَشْئومُ
فاليــوم آمنَ بالنبىّ محمّــدٍ * قلــبى ومخطئُ هــذه محرومُ
مضت العداوة وآنقضتْ أسبابُها * وأتتْ أواصرُ بيننا وحُــلُومُ
فآغفر فدًى لك والدَىّ كلاهمــا * وآرحــم فإنك راحم مرحــومُ
وعليك من سِمَــة المليك علامةٌ * نــورٌ أغرُّ وخاتَمٌ مختــومُ
أعطاك بعــد محبّــةٍ برهانَــه * شَرَفًا وبرهانُ الإلٰه عظيمُ

ذكر دخولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وطوافهِ بالبيت ودخولهِ الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال: ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وآطمأنّ النّاس، خرج حتى جاء البيتَ، فطاف به سَبعا على راحلته يستلم الرّكن بمحجَنٍ فى يده، فلما قضى طوافَه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحتْ له، فدخلها، فوجد فيها حَمامةً من عيدانٍ، فكَسَرها بيده وطرَحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: "لا إله إلا الله وحده لاشريك له، صدق وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزابَ وحدَه ١١١٦/١٥ ألا كلّ مأثرةٍ(١) أو دمٍ أو مالٍ يُدّعى فهو تحت قدمىّ هاتين إلا سِدانة البيت وسِقاية الحاجّ؛ ألا وقتيل الخطأ شبه العمْد بالسوط والعصا، ففيه الديةُ مغلّظة، مائة من الإبل، أربعون منها فى بطونها أولادها؛ يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب"، ثم تلا قوله

(١) المأثرة: المكرمة المتوارثة.

تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١) ؛ ثم قال : "يامعشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم"؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : "اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء" ؛ ثم جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه علىّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه ومفتاحُ الكعبة فى يده ، فقال : يارسول الله ، اجمعْ لنا الحجابةَ مع السّقاية ؛ فقال : "أين عثمان بن طلحة" ؟ فدُعى له ، فقال : "هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء" ؛ حكاه محمد بن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : دفع إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المفتاحَ وقال : "خذوها يا بنى أبى طلحة تالدةً خالدة ، لا ينزعها منكم إلّا ظالم" ؛ ودفع السقاية إلى العبّاس بن عبد المطّلب .

قال عبد الملك بن هشام : حدّثنى بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيمَ عليه السلام مصوّرا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : "قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ، ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)" ثم أمر بتلك الصور كلّها فطُمست .

قال : ودخل الكعبة ومعه بلال بنُ رباح ، فأمره أن يؤذّن ، فأذّن وأبو سفيان بنُ حرب وعتّاب بنُ أَسيد والحارث بنُ هشام جلوسٌ بفناء الكعبة ، فقال عتّاب بن أَسيد : أكرم الله أسيدا ألّا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه ؛ فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محقّ لاتّبعته ؛ فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا

(١) الحجرات : ١٣ (٢) آل عمران : ٦٧

لو تكلمت لأخبرتْ عنّى هـذه الحَصَى؛ فخرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : "قد علمتُ الّذى قلتم"، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتّاب : نشهد أنك رسول الله، والله ما آطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أَخبَرَك .

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى آبن عباس رضى الله عنهما : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكّة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرَّصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام و يقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١)، فما أشار صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها فى وجهه إلّا وقع لقفاه، ولا لِقفاه إلّا وقع لوجهه؛ حتى ما بقى منها صنم إلّا وقع .

قال محمد بن سعد : كان حول الكعبة ثلثمائة وستّون صنما ، وكان أعظمها هُبَل ، وساق الحديث نحوما تقدّم ، فقال تميم بن أسد الخزاعىّ فى ذلك :

وفى الأصنام معتبَر وعِلْمٌ * لمن يرجو الثوابَ أو العِقَابا

قال : ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الظهر فقال : " إن الله قد حرّم مكّة يوم خَلَق السموات والأرض ، فهى حرام إلى يوم القيامة، ولم تحلّ لى إلّا ساعة من نهار، ثم رجعتْ لحرمتها بالأمس، فليبلّغ شاهدُكم غائبَكم، ولا يحلّ لنا من غنائمها شىء "، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة خمس عشرة ليلةً يصلّى ركعتين ركعتين ، وبثّ السرايا ، ثم خرج إلى حنين .

ذكر سَرِيّة خالد بن الوليد إلى العُزّى وهَدْمِها

قالوا : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بنَ الوليد إلى العُزّى ليَهدِمَها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليالٍ بقِين من شهر رمضان سنة ثمانٍ، فخرج فى ثلاثين فارسا ١١٧/١٥

(١) سورة الإسراء ٨١

من أصحابه حتى آنتهوا إليها فهدموها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "هل رأيتَ شيئا"؟ قال: لا، قال: "فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فآهدمْها"؛ فرجع خالد وهو متغيِّظ، فجرّد سيفه، فخرجتْ إليه آمرأة عُرْيانة سوداء ثائرة الرأس(١) فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها آثنتين، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "نعم، تلك العُزّى، وقد يئستْ أن تُعبد ببلادكم أبدا"؛ وكانت لقريش وجميع بنى كِنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شَيْبان من بنى سُلَيم.

ذكر سريّة عمرو بن العاص إلى سُواع وكسره

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان بعد الفتح أيضا إلى سُواع، وهو صنم هُذيل ليهدمه؛ قال عمرو: فآنتهيت إليه وعنده السّادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لِمَ؟ قال: تُمنَع؛ قلت: حتى الآن أنت فى الباطل وَيْحك! وهل يَسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرتُ أصحابى فهدموا بيت خِزانته فلم يجدوا فيه شيئا؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سريّة سعد بنِ زيد الأشهلىّ إلى مَناة

بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر رمضان أيضا إلى مَناة — وكانت بالمشلَّل(٢) للأوس والخزرج وغسّانَ — ليهدمها، فخرج فى عشرين فارسا حتى آنتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هَدْم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشى إليها، وتخرج إليه آمرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالوَيْل

(١) ثائرة الرأس: منتشرة شعر الرأس.

(٢) المشلَّل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

وتضرب صدرها ؛ فقال السادن : مناة دونك بعض غضباتك ؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها ، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه ، ولم يجدوا فى خزانتها شيئا ، وانصرف راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن عامر ابن عبد مناة بن كنانة، وهو يوم الغميصاء

قالوا : لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة ، بعثه فى شوال إلى بنى جذيمة بن عامر ، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يلملم ، داعيا إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلا ، فخرج فى ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبنى سليم ، فانتهى إليهم خالد بن الوليد ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، قد صلينا وصدقنا بمحمد ، وبنينا المساجد فى ساحاتنا ، وأذنا فيها ؛ قال : فما بال السلاح عليكم ؟ فقالوا : إن بيننا وبين بعض العرب عداوة ، فخفنا أن تكونوا هم ، فأخذنا السلاح ؛ قال : فضعوا السلاح ؛ قال : فوضعوه ، فقال لهم : استأسروا ؛ فاستأسر القوم ، فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى أصحابه ، فلما كان فى السحر نادى خالد : من كان معه أسير فليدافه ؛ أى فليجهز عليه بالسيف .

فأما بنو سليم فقتلوا من كان فى أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد ، فقال : " اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد " ؛ وبعث على بن أبى طالب فودى[1] لهم قتلاهم وما ذهب منهم .

---

(١) ودى : دفع الدية .

وقد حكى أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى[(١)] ، خبر هـذه السرية فى قصة ١١٨ / ١٥ عبد الله بن علقمة أحد بنى عامر بن عبد مناة بن كنانة وخبر مقتله ، وذكر خبره مع حُبَيشة ، فروى بسند رفعه إلى آبن دأب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يَفَعة : دون المحتلِم ، لتزور جارةً لها ، وكانت لها بنت يقال لهـا : حُبيشة إحدى بنات عامر بن عبد مناة ، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعتْ فى نفسه ، فآنصرف وترك أمّه عند جارتها ، فبقيتْ عندها يومين ، ثم أتاها ليرجعَها إلى منزله ، فوجد حُبيشةَ قد زُيِّنت لأمرٍ كان فى الحىّ ، فازداد بها عجبا ، وآنصرف بأمه فى غداةٍ تمطر ، فمشى معها وجعل يقول :

فـما أدرِى بَـلى إنّى لأدرى * أصَوْبُ القَطر أَحْسَنُ أم حُبَيشُ

حُبيشـة والذى خلق الهـدايا * وما إنْ عندها للصبِّ عيش[(٢)]

قال : فسمعتْ ذلك حبيشة ، فتغافلت عنه ، وكرهتْ قولَه ، ثم مشى مليًّا فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض ، فقال :

يا أمّتا خَبّرينى غـيرَ كاذبةٍ * وما يريد مَسُولُ الحقّ بالكذبِ

أأنت أحسنُ أم ظبىٌ برابيـةٍ * لابل حُبيشة فى عينى وفى أربى

قال : فزجرته أمّه ، وقالت : ما أنت وهـذا ، أنا مزوِّجتك بنتَ عمِّك ، فهى أجمـل من تلك ، وأتت آمرأةَ عمِّه فأخبرتْها خبَره وقالت : زيّنى آبنتَك له ، ففعلت وأدخلتْها عليـه ، فلما رآها أطرق ، فقالت له أمّه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

---

(١) الخبر فى الأغانى ٧ : ٢٨٠ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) رواية الأغانى : * وما عن بعدها للصب عيش *

إذا غُيّبتْ عــنّى حُبيشة مرّةً * من الدهر لم أملِك عزاءً ولا صبرَا
كأنّ الحشا حَرُّ السعير يَحُشُّه(١) * وقود الغضى فالقلب مضطرمٌ جَمرا

قال : وجعل يراسل الجارية وتراسله ، حتى علِقتْه كما علقها ، وكثر قولُه الشعرَ فيها ، فمن ذلك قولُه(٢) :

حُبيشة هل جدّى وجَدّك جامعٌ * بشملكمُ شَملى وأهلِكمُ أهلى؟
وهل أنا ملتفّ بثوبك مرّةً * بصحراءَ بين الأَيْكتَين إلى النّخل؟
ومرتشفٌ من رِيق ثغرِك مرّةً * كراحٍ ومِسْكٍ خالَطَا عَسَلَ النّحل

فلما بلغ أهلَها خبرُه ، حجبوها عنه مدّة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قولَه الشعر فيها ، فأتوْها فقالوا لها : عِديه السّرحة ، فإذا أتاكِ فقولى له : نَشَدتك اللهَ إن أحببتنى فما على الأرض شىء أبغض إلىّ منك ، ونحن قريب نسمع ما تقولين ؛ فواعدتْه ، وجلسوا قريبا يسمعون ، وجلست عند السرحة ، وأقبل عبد الله لموعدِها ، فلمّا دنا منها دمعتْ عينُها ، والتفتت حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم قريب ، فرجع ، وبلغه ما أمروها به أن تقوله ، فأنشأ يقول :

فلو قلتِ ما قالوا لزدْتِ جَوًى جوٍ(٣) * على أنه لم يبق سِتر ولا صبرُ
ولم يك حبّى عن نوالٍ بذلته * فيُسْليَنى عنكِ التجلّد والهجر(٤)
وما أنس مِ الأشياءِ لم أنس دمعَهَا * ونظرتَها حتى يُغَيِّبَنى القبر

(١) حش النار : أوقدها .
(٢) فى الأغانى خلاف فى رواية بعض الأبيات .
(٣) رواية الأغانى :
* لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم *
(٤) رواية الأغانى :
* فيسليني عنه التجهم والهجر *

قال : وبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بنى عامر ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا قاتلهم ، فصبّحهم خالد بالغُمَيصاء وقد علموا به وخافوه ، وكانوا قد قتلوا الفاكه بنَ الوليد وعمّه الفاكه بن المغيرة فى الجاهلية ، فلمّا صبحهم خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك ابن خالد بن صخر بن الشريد ، وإخوته كُرْز وعَمرو والحارث ، وكانوا قتلوهم فى موطن واحد . فلما صبحهم خالد ورأوا معه بنى سليم زادهم ذلك نُفورا ، فقال لهم خالد : أسلموا ، فقالوا : نحن مسلمون ؛ قال : فألقوا سلاحكم وانزلوا ، قالوا : لا والله ؛ فقال لهم جِذْيم[1] بن الحارث أحد بنى أقرم : ياقوم ، لا تُلقُوا سلاحَكم ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ؛ قالوا : والله لا نُلقى سلاحَنا ولا ننزل ، فما نحن لك ولا لمن معك بآمنين ؛ قال خالد : فلا أمان لكم ؛ فنزلت فرقةٌ منهم فأسَروهم ، وتفرّق بقيّة القوم فرقتين ؛ فأصعدتْ فرقة وسفلتْ أخرى .

قال ابن دأب : فأخبرنى من لا أتّهم عن عبيد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ ١١٩/١٥
قال : كنت يومئذ فى جُند خالد ، فبعثنا فى إثر ظُعُنٍ مُصْعِدة يسوق بها فتية ، فقال : أدركوا أولئك ؛ فخرجنا فى أثرهم حتى أدركناهم ، فمضوا ، ووقف لنا غلام على الطريق ، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول :

أَرْخِين أطرافَ الذُّيول وارْتَعِنْ[2] * مشىَ حَيِيّات كأن لم يَفزعنْ

* إن يُمنع اليوم نساء تُمْنَعنْ *

فقاتلنا طويلا ، فقتلناه ومضينا ، حتى لحقْنا الظُّعن ، فخرج إلينا غلام كأنه الأوّل ، فجعل يقاتِلُنا ويقول :

(١) ما فى الأصلين يوافق ما فى الإصابة ، وفى ابن هشام : «جذيمة» . وفى الأغانى «جذيمة» .

(٢) فى الأغانى : * بين أطراف الذيول واربعن *

ورواية ابن هشام : * رخين أذيال المروط واربعن *

أقيمُ ما إنْ خادِرٌ ذو لِبْـدهْ (١) * يَـرزِم بين أَيـكة وَوَهْــدَهْ (٢)
يَفـرِس ثُنْيانَ الرجالِ وحدَهْ * بأصـدقَ الغـداةَ مِنّى نَجْـدَهْ

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظُّعُن ، وإذا فيهن غلام وضيء به صُفْرة فى لَوْنه كالمنهوك ، فربطناه بحبـل ، وقدّمناه لنقتله ، فقال : هـل لكم فى خير ؟ قلنا : ما هو ؟ قال : تدركون بى الظعن أسفلَ الوادى ثم تقتلوننى ؛ قلنا : نفعل ؛ فخرجنا حتى نعارض الظُّعُن بأسفل الوادى ، فلمّا كان بحيث يسمعون الصوت ، نادى بأعلى صوته : اِسلَمى حُبَيش ، عند فقد العيش ؛ فأقبلتْ إليه جارية بيضاءُ حسناء ؛ فقالت : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء ، وشدّةِ البلاء ؛ قال : سلام عليك دهرا ، وإن بقيت عصرا ؛ فقالت : وأنتَ سلامٌ عليك عشرا ، وشَفْعا ووَترا ، وثلاثة تَتْرَى ؛ فقـال :

إنْ يقتلونى ياحُبيش فلم يَدَعْ * هواكِ لهم مِنّى سـوى غُلّة الصدرِ
فأنتِ التى أخليتِ لحمىَ من دمِى * وعظمى وأسبلتِ الدموعَ على نحرى

فقالت له :

ونحن بكينا من فراقِـك مرّةً * وأخرى وآسيناكَ فى العسرِ واليسرِ
وأنت فلا تَبعَدْ فنعم فتى الهـوى * جميـلُ العَفاف والمودّةِ فى ستر

فقال لها :

أريتَـك إن طالبتكم فوجدتكم * بحَزْةٍ (٣) أو أدركتُكم بالخـوانقِ (٤)
ألم يك حقًّا أن يُنَوّل عاشقٌ * تكلّفَ إدلاجَ السُّرى والوَدائق (٥)

---

(١) فى الأصل : « ذو ولده » . وما أثبتناه عن ابن هشام والأغانى . (٢) فى الأغانى « يزأر » .

(٣) فى الأغانى والمواهب (٣ : ٥) : « بحلية » . (٤) الخوانق : موضع بتهامة .

(٥) الودائق : جمع وديقة . وهى شدة الحر فى الظهيرة .

فقالت : بلى والله، فقال :

فلا ذنب لى قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ * أثيبى بودّ قبـل إحدى الصَّفائق (١)

أثيبى بودّ قبل أن تَشْحَطَ النّوى * ويَنْأَى الخليـطُ بالحبيب المفارِق

قال ابن أبى حَدْرَد : فقدّمناه فضربْنا عنقه ، فٱقتحمت الجارية من خِدْرها حتى أهوتْ نحـوه ، فٱلتقمتْ فاه ، فـنزعنا منها رأسَه ، وإنها لَتَتَبّعُ (٢) نفسها حتى ماتت مكانَها ، وأفلت من القوم غلام من بنى أُقَرم يقال له السَّمَيْدَع حـتى ٱقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ماصنع خالد وشكاه . قال ابن دَأْب : فأخبرنى صالح بنُ كَيْسان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هل أنكر عليه أحد ماصنع " ؟ قال : نعم ، رجل أصفر رَبْعَة (٣) ، ورجل طويل أحمر ؛ فقال عمر رضى الله عنه : أنا والله يارسـول الله أعرفهما ، أمّا الأوّل فهو ٱبنى ، وأمّا الآخر فهو أبى حذيفه ، وكان خالد قد أمر كلّ من أَسَر أسـيرا أن يقتله ، فأطلق عبدُ الله بن عمـر وسالمٌ مولى أبى حذيفة أسـيرَيْن كانا معهما ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب بعد فَراغه من حُنَين، و بعث معه بإبلٍ ووَرِق، وأمره أن يَدِيَهم؛ فوَداهم ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله ، فقال : قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أن تقبلوا هذا بمـا أصيبَ منكم من القتلى والجَرْحى ، وتحلّلوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ممّا عَلِم وممّا لم يعلم ؟ ، فقالوا : نعم ، قال : فدفعتُـه إليهم ، وجعلت أَديهـم حتى إنّى لأدى مِيـلَغَ (٤) الكلْب .

(١) الصفائق : الخطوب، واحدتها صفيقة . وفى الأغانى : «البوائق» .

(٢) فى الأغانى : «لتكسع بنفسها» .

(٣) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .

(٤) الميلغ : الإناء الذى يلغ فيه الكلب .

وفضلتْ فضلةٌ فدفعتُها إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أَقَبِلوها" ؟ قلت : نعم؛ قال : "فوالذى أنا عبدُه لذاك أحبّ إلىّ من حُمر النَّعم" . ١٢٠/١٥

وروَى أبو الفرج أيضا بسند رفعه إلى عمر بن شبة(١)، قال : قالوا : يُروَى أن خالدا أتى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فسئِل عن غَزاته بنى جَذِيمة ، فقال : إن أذِن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحدثتُ ، فقال : "تحدّثْ"، فقال : لقيناهم بالغُميصاء بعد وجه الصبح ، فقاتلْناهم حتى كاد قَرْن الشمس يغيب ، فمَنحنا الله عز وجل أكتافَهم ، فاتبعناهم نطلبهم ، فإذا غلام له ذوائبُ على فرس فى أخريات الناس، فبوّأتُ(٢) له الرمحَ فوضعتُه بين كتفيه . فقال : لا إله، فقبضتُ الرمحَ ، فقال : إلا اللات أحسنتْ أو أساءتْ ، فهشمتُه هشمةً أرديتُه بها، ثم أخذته أسيرا ، فشددته وَثاقا ، ثم كلّمته فلم يكلّمنى ، وآستخبرتُه فلم يخبرنى ؛ فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بنى جَذِيمة يسوق بهنّ المسلمون، فقال : يا خالد، فقلت : ما تشاء؟ فقال : هل أنت واقفى(٣) على هذه النسوة؟ فأبيتُ، فآلى(٤) علىّ أصحابى، ففعلت ، وفيهنّ جارية تدعى حُبَيشة، فقال : لها : ناوليني يدك، فناولَته يدَها فى ثوبها، فقال: اسلَمى حُبيش، قبل نفاد العيش . فقالت : حُيّيتَ عَشرا، وتسعا تَتْرى، وثمانيا أخرى ، فقال :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكمْ * بنَخْلة(٥) أو أدركتكمْ بالخوانِقِ
ألم يك حقًّا أن ينوّلَ عاشقٌ * تكلّفَ إدلاجَ السُّرَى والوَدائقِ

---

(١) الأغانى ٧ : ٨٩
(٢) بوّأ له الرمح : سدّده .
(٣) كذا فى جـ والأغانى ، وفى ا : « أقف » .
(٤) آلى علىّ أصحابى ، أى حلفوا .
(٥) هى نخلة اليمانية ، وفى الأغانى : « حلية » ، وحلية موضع بتهامة .

فقالت : بلى ، فقال :

فقد قلت إذ أهلى وأهلك جيرةٌ * أثيبى بوُدّ قبل إحدى الصّفائق
أثيبى بودّ قبل أن تَشحَطَ النّوى * وينأى الأميرُ بالحبيب المُفارق
فإنى لا ضَيّعتُ سرَّ أمانةٍ * ولا راق عينى بعد عينك رائقُ (١)

قال خالد : فغاظنى ما رأيت من غَزَله وشعره فى حاله تلك ، فقدّمته فضربت عنقَه ، فأقبلت الجارية تسعى حتى أخذت برأسه فوضعته فى حجرها ، وجعلت تَرشُفُه وتقول :

لا تَبعدَنْ يا عمرو حيًّا وهالكًا * ولا يبعدنَّ المدح مثلك من مِثْلِ (٢)
ولا تبعدنْ يا عمرو حيًّا وهالكا * فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعْلِ
فمن لِطراد الخيل تُشْجَر بالقَنَا * وللنّحر يومًا عند قَرقرة البُزْلِ (٣)

فما زالت تبكى وتردّد هذه الأبيات حتى ماتت ، وإنّ رأسه لفى حجرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد وُقِفتَ لى يا خالد وإن سبعين مَلَكا لمطيفون بك يحضّونك على قتل عمرو حتى قتلته" . والله أعلم .

ذكر غزوة حُنين، وهى إلى هوازنَ وثَقيف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى شوّال سنة ثمان من مهاجَره. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكّة ، مشت أشراف هَوازِن وثَقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وأوْعبوا وبَغَوْا ، وجمع أمرَهم مالكُ بن عوف النَّصْرى ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأَوْطاس (٤) ، وجعلت الأمدادُ تأتيهم .

(١) فى هذا البيت إقواء . (٢) كذا فى الأصلين ، وفى الأغانى :

* فحقّ بحسن المدح مثلك من مثلى *

(٣) تشجر : تطعن . البزل : جمع بازل ؛ وهو البعير فى السنة التاسعة ، والقرقرة : دعاء الإبل ؛ وهى أيضا هدير الفحل . (٤) أوطاس : واد فى بلاد هوازن .

قال محمد بن إسحاق : اجتمع إليه مع هوازنَ ثقيفٌ كلُّها ، ونصر ، وجُشَم كلها ، وسعد بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل . قال : ولم يشهدها من قيس عيلان إلّا هؤلاء ، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ؛ قال : وفى بنى جُشَم دريد بن الصِّمَّة ، وهو شيخ كبير ليس فيه شىء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب . قال : وفى ثقيف سيّدان لهم فى الأحلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتّب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبَيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه.[1]

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى : كان على ثقيف كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عُمَير الثقفى . قال : وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف .

قال ابن إسحاق : وجمع أمر الناس إلى مالك بن عوف . قال : ولما نزل مالك بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصِّمَّة ، والصِّمَّة : معاوية الأصغر بن بكر بن علقمة ، وقيل : علقمة بن خزاعة بن غَزِيّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن فى شِجار له يقاد به — والشجار : الهودج — فلما نزل دريد قال : بأىّ واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نِعم مجالُ الخيل ، لا حَزْنٌ ضِرْس ، ولا سَهْل دَهْس[2] . ثم قال : مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء[3] ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار

(١) فى ابن هشام ٤ : ٨٠ « وأخوه أحمر بن الحارث » .

(٢) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضرس : الصعب من الحجارة . والدهس : المكان السهل .

(٣) يعار الشاء : صوتها .

الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال : فأنقَضَ به ، — أى صاح — ثم قال : راعى ضأنٍ والله ! وهل يردّ المنهزمَ شىء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، و إن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَدّ والجدُّ ، ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددتُ أنكم فعلتم ما فَعلت . فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر . وعوف بن عامر ، قال : ذانكَ الجَذَعان من عامر(1) لا ينفعان ولا يضرّان ، يا مالك : إنك لم تصنع بتقديم البيضة . بيضة هوازن(2) إلى نحور الخيل شيئا . ارفعهم إلى متمنع بلادهم ، وعُلْيا قومهم ، ثم ٱلقَ الصُّبَّاء(3) على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك ، قد أحرزت أهلك ومالك ، قال : لا والله ، لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لتطيعُنَّنى يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدريد بن الصِّمَّة فيها ذكر ورأى ، قالوا : أطعناك ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتْنى .

يا ليتنى فيها جَذَعْ * أَخُبّ فيها وأَضَعْ
أقودُ وَطْفاء الزَّمَعْ(4) * كأنها شاة صدعْ

(١) الجذع بالتحريك : الشاب الحدث .

(٢) بيضة هوازن : أصلهم ومجتمعهم . (٣) فى الاصلين : « الظبا » تحريف . صو من ابن هشام . والصباء فى الأصل : جمع صابئ ، وهو من خرج من دين إلى دين . وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا . وفى اللسان فى حديث هوازن : « وألق الصبي » (بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة) أى الذين يشتهون الحرب ويميلون إليها . (٤) الخب والوضع . ضربان من السير . والوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة ، يريد فرسا صفتها هكذا ، والمراد بالشاة الوعل . وصدع ، أى وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير (الخشنى) .

ثم قال مالك بن عوف للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد ؛ قال : وبعث مالك بن عوف عُيونا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب ، فقال : وَيْلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالا بيضا ، على خَيلٍ بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابنا ما ترى ، فلم يردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبى حَدْرد الأسلمىّ ، وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، ففعل ؛ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى هوازن لِقتالهم ، وذُكِر له أن عند صفوان بن أمية أدْراعا وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : " أعِرنا سِلاحك نَلْقَ به عدوّنا " ؛ فقال : أَغَصْبا يا محمد ؟ فقال : "بل عاريّة مضمونة حتى نؤدّيها إليك" ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة دِرع بما يكفيها من السلاح ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لستّ ليال خلون من شَوّال فى اثنى عشر ألفا من المسلمين : عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة ، وألفان من أهل مكة .

قال الثعلبىّ : قال مقاتل : كانوا أحد عشر ألفا وخمسمائة .

وقال الكلبىّ : كانوا عشرة آلاف ، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قطّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن نُغلب اليومَ مِن قِلّة " ، حكاه ابن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : قال ذلك أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه . قال الثعلبىّ : ويقال : بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له : سلمة بن سلامة .

قال ابن سعد : وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثير، منهم صفوان بن أمية .

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش
١٢٢/١٥ ومن سواهم من العرب سِدْرة(١) عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة يعلّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكُفون عليها يوما ؛ قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرةً خضراءَ عظيمة ، فتنادينا من جَنَبات الطريق : يا رسول الله، اجعلْ لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال: " الله أكبر، قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(٢) إنها السُّنن، لتركبن سَنَن من كان قبلكم"،

قالوا: وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنينٍ مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوّال ، فلما كان من الليل عَمَد مالكُ بنُ عوف إلى أصحابه فعبأهم فى وادى حنين ، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حَملةً واحدة ، وعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى السَّحَر : وصفّهم صُفوفا ، ووضع الألوية والرايات فى أهلها مع المهاجرين : لواء يحمله علىّ بن أبى طالب ، وراية يحملها سعد بن أبى وقّاص، وراية يحملها عمر بن الخطّاب، ولواء الخزرج يحمله حُباب بن المنذر — ويقال : سعد بن عبادة — ولواء الأوس مع أُسيد بن حُضَير ، وفى كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مسمًّى، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات يحملها قوم منهم مسمَّوْن، وكان رسول الله صلى الله عليه

(١) السدرة : شجرة النبق .
(٢) الأعراف : ١٣٨

وسلم قد قدم سُلَيْما من يوم خرج من مكة، وآستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدّمة حتى قدم الجِعِرّانة. قال: وآنحدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وادى حنين على تعبئته، وركب بغلته البيضاء «دُلْدُل»، ولبس دِرعين والمِغفَر والبيضة، فآستقبلهم من هوازن شىء لم يَرَوْا مثلَه قطّ من السواد والكثرة، وذلك فى غَبَش الصبح(١) وخرجت الكتائب من مَضيق الوادى وسعته، فحملوا حملة، وآنكشفت الخيل خيل بنى سليم مولّية، وتبعهم الناس منهزمين، وآنحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلىّ بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان وآسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أمّ أيمن بن عبيد فى أناسٍ من أهل بيته وأصحابه.

قال الكلبىّ: كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة من المسلمين، وآنهزم سائر الناس عنه، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للعباس: نادِ، يامعشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة(٢)، يا أصحاب سورة البقرة، فنادى — وكان صيّتا — فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حَنَتْ على أولادها يقولون: يالبّيك يا لبّيك! فحملوا على المشركين، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال: "الآن حَمِىَ الوَطِيس(٣).

أنا النبىُّ لَا كذِبْ * أنا ٱبنُ عبد المطّلبْ".

(١) غبش الصبح: ظلمة آخر الليل، وفى ابن هشام: «عماية الصبح».

(٢) السمرة: شجرة الطلح، وهى التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٣) الوطيس: التنور يختبز فيه. وقيل: هو حجارة توقد العرب تحتها النار ويشوون فيها اللحم، وقيل غير ذلك.

ثم قال للعباس بن عبد المطلب : ناولنى حَصَيات ، فناوله حصيات من الأرض ، ثم قال : "شاهت الوجوه" ورمى بها وجوه المشركين ، وقال : "انهزموا وربِّ الكعبة" وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وآنهزموا لا يَلوِى أحد منهم على أحد .

قال محمد بن إسحاق : لمـا آنهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم من جُفاة مكّة الهزيمة ، تكلّم رجال بما فى أنفسهم من الضِّغْن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، و إن الأزلام لمعه فى كِنانته ، وصرخ جَبَلة بن الحَنْبل وهو مع أخيه صفوان بن أميـة : ألا بَطَل السِّحْرُ اليوم ! فقال له صفوان : أُسكت فَضّ الله فاك ! فوالله لأن يَرُبّنى(١) رجل من قريش أحبّ إلىّ من أن يَرُبّنى رجل من هوازن ؛ وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة : اليوم أُدرِك ثأرى من محمد — وكان أبوه قتل يوم أُحُد — اليوم أقتل محمدا . قال : فبادرت لأقتله ، فأقبل شىء حتى غَشّى فؤادى . فلم أُطِق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع منّى .

وفى رواية أخرى ، قال شـيبة بن عثمان : استدبرت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يوم حنينٍ وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة ، فأطلَعَ الله رسولَه على ما فى نفسى ، فآلتفت إلىّ وضرب فى صدرى وقال : " أعيذك بالله ياشَيبة " ، فأُرعدتْ فرائصى ، فنظرت إليـه وهو أحبّ إلىّ من سمعى و بصرى فقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأنّ الله أطلعك على ما فى نفسى .

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العبّاس قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بحَكَمَةِ(٢) بغلته البيضاء وقد شَجَرتها(٣) بها ، وكنت آمرأً جسيما شديد الصوت ،

(١) يربنى : يكون ربّا لى ، أى مالكا علىّ .

(٢) الحكمة محركة : ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه .

(٣) شجرتها بها ، أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : " [أين][1]
١٢٣/١٥ أيها الناس " ، فلم أر الناس يَلْوُون على شيء ، فقال : " يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمُرة " قال : فأجابوا لبّيك لبّيك ، قال : فيذهب الرجل لِيثْني بعيره فلا يقدر على ذلك ، و يأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ، و يأخذ سيفه وترسه و يقتحم عن بعيره و يخلى سبيله ، فيؤمّ الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا آجتمع إليه منهم مائة آستقبلوا الناس فآقتتلوا ؛ فأشرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مُجتلَد[2] القوم ، فقال : " الآن حَمِيَ الوَطِيس " .

قال جابرُ بنُ عبد الله : فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناسِ من هزيمتهم حتى وجدوا الأُسارى مكتّفين عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق : وآلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أمّ سليم ابنة مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة ، وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، و إنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جَمَل أبى طلحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمّ سليم" ؟ قالت : نعم ، بأبى وأمّى يارسول الله ! أُقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " أو يكفى الله يا أمّ سليم " ؟ قال : ومعها خِنْجَر ، فقال لها أبو طلحة : ماهذا الخنجر معكِ يا أمّ سُلَيم ؟ قالت : خنجرٌ أخذتُه إن دنا منّى أحد من المشركين بعجتُه[3] به .

(١) الزيادة عن ابن هشام .
(٢) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف .
(٣) بعج بطنه : شقه .

وقال محمّد بنُ إسحاق : حدّثنى أبى إسحاق بن يسار أنه حدّث عن جُبير ابن مُطعِم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجادِ(1) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا و بين القوم، فنظرتُ، فإذا نملٌ أسودُ مبثوث قد ملأ الوادى، لم أشكّ أنها الملائكة؛ ولم تكن إلّا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضُهم بأَوْطاس، وتوجّه بعضهم نحو نَخلة(2)، وتبعتْ خيلُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من سلك فى نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثّنايا، فأدرك ربيعةُ بنُ رُفَيع بن أُهبان — وهو ابن الدُّغُنّة — دُرَيدَ بن الصِّمّة وهو فى شِجارٍ له أى هَوْدج، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنه امرأة، فأناخ به ، فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه ، فقال له دُرَيْد : ما تريد بى ؟ قال: أقتلك ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بنُ رُفَيع السُّلَمىّ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن فيه شيئا ، فقال : بئس ما سلّحتك أمّك ! خذ سيفى هذا من مُؤخر الرَّحْل فى الشِّجار ، ثم اضرب به، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدِّماغ ، فإنّى كذلك كنتُ أضربُ الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمّك فأخبرها أنك قتلتَ دُرَيدَ بنَ الصِّمة، فرُبَّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءَك؛ فقتله . ولما رجع ربيعة إلى أمّه أخبرها بقتله إيّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمّهاتٍ لك ثلاثا .

قال ابن هشام : ويقال إن الذى قتل دُرَيْد بنَ الصِّمّة هو عبد الله بن قُنَيْع ابن أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة؛ قال : و بعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى آثار من توجّه قِبل أَوْطاس أبا عامر الأشعرىّ ، فأدركَ بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال ، فقتَل منهم أبو عامر تسعةً مُبارَزةً وهو يدعو كلّ واحد منهم إلى الإسلام

(1) البجاد : الكساء، وجمعه بجد بضمتين . (2) يريد نخلة اليمانية .

ويقول : اللهم آشهد ؛ ثم برز له العاشر مُعلَما بعمامة صفراء ، فضرب أبا عامر فقتله . وآستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعرىّ ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقُتل قاتل أبى عامر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم آغفر لأبى عامر وآجعله من أعلى أمّتى فى الجنّة" ، ودعا لأبى موسى .

وقال آبن هشام فى خبر أبى عامر : إنه قتل تسعةً مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم آشهد عليه ، فيقتله أبو عامر ؛ وبقى العاشر ، فحمل كلٌّ منهما على صاحبه ، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال : اللهم آشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد علىّ ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بعدُ فحسنَ إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : "هذا شَريد أبى عامر" ، ورَمَى أبا عامر أخوان : العلاء وأَوْفى ابنا الحارث من بنى جُشَم آبن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه ، والآخر ركبته ، فقتلاه ؛ وولّى الناسَ أبو موسى فحمل عليهما فقتلهما .

وقال أبو الفرج الأصفهانى : إن الذى رمى أبا عامر فأصاب ركبته هو سَلَمة آبن دريد(1) بن الصِّمّة . وإنه آرتجز فقال :

إنْ تَسْألُوا عنّى فإنّى سلمهْ * ابنُ سَمادِير(2) لمن توسّمهْ
* أضربُ بالسيف رءوسَ المُسْلِمهْ *

قال : وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه على ثنيّة من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم وتلحق أخراكم ، فوقف حتى مضى من لحق بهم من منهزمة الناس .

---

(1) فى كلا الأصلين : «زيد» .
(2) سمادير : امرأة دريد بن الصمة .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالكٌ وأصحابُه على الثنيّة ، فقال ٢٤/١٥
لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادّهم[1] فقال : هؤلاء بنو سُليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلمّا أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما عارضي رماحهم أغفالا[2] على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنيّة سلكوا طريق بني سُليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارسا طويل البادّ واضعا رمحه على عاتقه ، عاصبا رأسه بملاءة حمراء ، فقال : هذا الزبير بن العوّام ، وأحلف باللات ليخالطنّكم ، فاثبتوا له ؛ فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية ، أبصر القوم فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

قالوا : ولما انهزم القوم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقتل من قدر عليه ، فحنق المسلمون عليهم ، فقتلوا الذرّيّة والنساء ، فمرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ بامرأة قد قتلها خالد بنُ الوليد ، فقال : « ما هذه » ؟ قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لبعض من معه : « أدرك خالد بن الوليد فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة » ؛ وأنزل الله تعالى في يوم حُنين قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[3]

(١) البوادّ : جمع البادّ ، وهو باطن الفخذ .
(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الذي لا علامة له ، يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به .
(٣) سورة التوبة ٢٥ — ٢٦

قال الثعلبيّ : قال سعيد بن جُبير : أمدّ الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة مُسوِّمين[1] .

وقال الحسن ومجاهد : كانوا ثمانية آلاف .

وقال الحسن : كانوا ستة عشر ألفا ؛ قال سعيد بن جبير : حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حُنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حَلْبَةَ شاة ، فلمّا كشفناهم جعلنا نسُوقهم ، حتى إذا آتهينا إلى صاحب البغلة الشَّهباء — يعنى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم — فتلقّانا رجال بِيض الثياب حِسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا ، وركبوا أكتافنا ، فكانت إيّاها . يعنى الملائكة .

قال : وفى الخبر ان رجلا من بنى نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال : أين الخيل البُلق ، والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلّا كهيئة الشامة ، وما كان قتلنا إلّا بأيديهم ، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " تلك الملائكة " .

وقال محمد بن سعد : كان سِيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرْخَوْها بين أكتافهم .

قال آبن إسحاق : وآستُشهِد من المسلمين يوم حُنين من بنى هاشم أيْمَن بن عُبيد ، ومن بنى أسد يزيد بن زمعة بنِ الأسود ، ومن الأنصار سراقة بن الحارث ابن عدِىّ ، ومن الأشعريين أبو عامر .

وقال آبن سعد : ورُقَيم بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان ، واستحرّ القتل فى بنى نصر آبن معاوية ، ثم فى بنى رئاب ، فقال عبد الله بن قيس ، وكان مسلما . هلكت

(١) مسوّمين ، أى معلمين .

بنو رئاب، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "اللهم آجبر مصيبتهم". قال : وأمر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بالسبايا والأموال فجُمعتْ، وحُدِرت إلى الجِعرانة ، وعليها مسـعود بن عمرو الغِفاريّ، فوقف بهـا بالجعرانة حتى آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسـلم من غزوة الطائف وهم فى حظائرهم يستظلون بها من الشمس ، ثم قسمها صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر سرية الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسىّ إلى ذى الكَفَّيْن

بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شوّال سنة ثمانٍ عند منصرَفه من غزوة حُنينٍ، وتوجُّهِه إلى الطائف ليهدم ذا الكَفَّين صنم عمرو بن حُمَمة الدَّوْسِىّ، وأمره أن يستمدّ قومه ويأتيَه بالطائف، فخرج سريعا إلى قومه، فهدم ذا الكفَّين وجعل يَحُشُّ النار فى وجهه ويقول :

يا ذا الكَفَّين لستُ من عبّادكا * ميـلادنا أقدم من ميـلادِكا ١٢٥/١٥

* إنى حَشَشْتُ النارَ فى فؤادكا * (١)

وآنحدر معـه من قومه أربعمائة سراعا ، فوافَوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مَقدَمِه بأربعة أيام، وقدم الطفيل معه بدَبّابةٍ (٢) ومَنْجَنيق .

ذكرُ غزوة الطائف

غزاها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شوّال سنة ثمانٍ مِن مهاجَرِه ، وذلك أنه لمّا آنهزمت هوازن وثقيفٌ يوم حُنين، وجمِعت السبايا والغنائم، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنينٍ يريد الطائف ، وقدّم خالدَ بن الوليـد على مقدّمته ،

(١) حش النار : أوقدها .   (٢) الدبابة : آلة تتخذ فى الحروب يدخل فى جوفها الرجال ثم تدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

وقد كانت ثقيف رمّوا حصنهم، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما آنهزموا من أوطاس، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيئوا للقتال، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلك على نخلة اليمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من لية(١)، فآبتنى بها مسجدا يصلى فيه.

قال آبن إسحاق: وأقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيد به فى الإسلام رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتل به، قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بحصن مالك آبن عوف، فهدم، ثم سلك فى طريق يقال لها: الضيقة، فسأل عن آسمها، فقال: "ما آسم هذه الطريق"؟ فقالوا: الضيقة، فقال: "بل هى اليسرى"، ثم خرج منها على نخب(٢) حتى نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة، قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "إمّا أن تخرج وإمّا أن نخرّب عليك حائطك"، فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه؛ ثم مضى حتى نزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك، فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم آثنا عشر رجلا.

قال آبن إسحاق: وهم(٣) سعيد بن سعيد بن العاص، وعرفطة بن جناب، حليف لهم من أسد بن الغوث.

وعبد الله بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما، رمى فاندمل جرحه(٤)، ثم انتقض(٥) بعد ذلك فمات منه فى خلافة أبيه.

ومن بنى مخزوم عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة.

---

(١) هذه أسماء مواضع بالطائف. (٢) نخب: (بفتح ثم كسر): واد بالطائف (ياقوت).

(٣) فى ابن هشام: «من قريش ثم من بنى أمية بن عبد شمس سعيد...». (٤) فى ابن هشام: «ومن بنى تيم بن مرة عبد الله ...». (٥) يقال: انتقض الجرح إذا فسد.

ومن بنى كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم .

ومن بنى سعد بن ليث جليحة بن عبد الله .

ومن الأنصار ثابت بن الجذع ، والحارث بن سهل بن أبى صعصعة ، والمنذر بن عبد الله، ورُقَيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسىّ .

قال : فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قُبَّتين . وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوما، ويقال: خمسة عشر يوما، ونصب عليهم المنجنيق ، ورمى عليهم به ، وأهل الطائف أول من رُمى بالمنجنيق فى الإسلام .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشَّدْخة (١) دخل نفر من المسلمين تحت دبّابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحماةً بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبل ، فقتل منهم رجال ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها ، فقطع المسلمون قطعا ذريعا ، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنى أدعُها لله وللرَّحم" ، ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيّما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر"، فخرج منهم بضعة عشر رجلا، منهم: أبو بكْرة، فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يَمُونه، فشقّ ذلك على أهل الطائف ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف، فاستشار نوفلَ بن معاوية الدِّيلىّ، فقال: "ما ترى"؟ فقال: ثعلبٌ فى جُحر ، إن أقمتَ عليه أخذتَه، وإن تركتَه لم يضرك .

(١) سمى يوم الشدخة لما شدخ فيه من الناس . والشدخ : كسر كل شىء أجوف، (المواهب ج ٣ : ٣٧) .

قال محمد بن إسحاق : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضى الله عنه : " يا أبا بكر ، إني رأيت أني أُهديتْ لى قَعْبَةٌ مملوءةٌ زُبْدا ، فنقرها ديك فهَراقَ ما فيها " ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأنا لا أرى ذلك " .

١٢٦/١٥ قال : ثم إن خُوَيْلة بنت حكيم بن أمية السُّلَمية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله ، [أعطنى](١) إن فتح الله عليك الطائف حُلِىَّ بادية بنت غَيْلان ابنِ سلمة ، أو حُلِىَّ الفارعة بنت عُقَيل ، وكانتا من أحلى نساءِ قريش . قال : فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : " و إن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خُوَيلة " ؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدَّثَتْنيه خويلة فزعمتْ أنك قد قلته ؟ ؛ قال : " قد قُلْتُه " . قال : أو ما أُذِن فيهم يا رسول الله ؟ قال : " لا " ، قال : أفلا أؤذِّن بالرحيل ؟ قال : " بلى " قال : فأذَّن عمر فى الناس بالرحيل ؛ فضجّ الناس من ذلك ، وقالوا : نرحل ولم تفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فاغدوا على القتال " ؛ فغَدَوا ، فأصابت المسلمين جِراحات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا قافلون إن شاء الله " ؛ فسرّوا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرتحلون و رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، وقال لهم : " قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " ؛ فلما ارتحلوا واستقلوا قال : " قولوا آيبون تائبون عابدون ، لربنا حامدون " ؛ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أُدع على ثقيف ؛ فقال : " اللهم اهد ثقيفا وأْتِ بهم " .

---

(١) التكملة عن ابن هشام جـ ٤ : ١٢٧

ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة وقسم مغانم حُنين ، وما أعطاه المؤلَّفة

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الطائف رجع إلى الجعرانة فانتهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذى القعدة ، فأقام بها ثلاثة عشر يوما ، وقسم الفىء .

قال محمد بن سعد : كان السَّبى ستة آلاف ، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، والوَرِق أربعة آلاف أوقية ، فاستأنى(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبى أن يقدم عليه وفدهم ، وبدأ بالأموال فقسمها ، وأعطى المؤلَّفة قلوبهم أوّل الناس .

قالوا : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال : وابنى يزيد ؟ قال : " أعطوه أربعين أوقيّة ومائة من الإبل " ؛ قال : وابنى معاوية ؟ فأعطاه أربعين أوقيّةً ومائةً من الإبل ، وأعطى حكيم بنَ حزام مائةً من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها ، وأعطى النُّضَير بنَ الحارث بنِ علقمة بنِ كَلَدَة مائةً من الإبل ، وأَعطى أَسِيدَ بنَ جارية الثَّقفىَّ مائةً من الإبل ، وأَعطى العَلاء ابن جارية الثقفى خمسين بعيرا ، وأعطى مَخرَمة بن نوفل خمسين بعيرا ، وأعطى الحارث بن هشام مائةً من الإبل ، وأعطى سعيد بنَ يربوع خمسين من الإبل ، وأعطى صفوان بنَ أميّة مائةً من الإبل ، وأَعطى قيس بنَ عدى مائة من الإبل ، وأَعطى عثمانَ بنِ وهب خمسين من الإبل ، وأَعطى سُهيل بنَ عمرو مائةً من الإبل ، وأعطى حُوَيطِب بنَ عبد العُزّى مائةً من الإبل ، وأَعطى هشامَ بنَ عمرو العامرىَّ

---

(١) استأنى : انتظر .

خمسين من الإبل، وأعطى الأقرعَ بنَ حابس التميميَّ مائةً من الإبل، وأعطى عُيينة ابن حصن مائةً من الإبل، وأعطى مالكَ بنَ عوف مائةً من الإبل، وأعطى العبّاس بنَ مِرْداس أربعين من الإبل، وقيل: أربعة، فقال فى ذلك:

كانت نِهـابًا تلافيتُهـا * بِكَرِّى على المُهْرِ فى الأَجْرَعِ (١)
وإيقاظِىَ القومَ أن يَرقدوا * إذا هَجَعَ الناسُ لم أَهْجَعِ
فأصبحَ نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـ * ـدِ بين عُيَيْنةَ والأقرعِ (٢)
وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدْرَإٍ * فلم أُعطَ شيئا ولم أُمْنَعِ (٣)
إلّا أفائلَ أُعطِيتُها * عَديدَ قوائمِها الأربعِ (٤)
وما كان حِصنٌ ولا حابِسٌ * يفوقانِ مِرْداسَ فى المَجْمعِ (٥)
وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما * ومن تَضعِ اليومَ لا يُرفعِ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اقطعوا عنّى لسانَه"، فأعطَوْه حتى رضى، قيل: أعطاه مائةً من الإبل.

قال ابن سعد: أَعطى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذلك كلَّه من الخُمس، ١٢٧/١٥ وهو أثبت الأقاويل عندنا، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فَضَّها (٦) على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل، وأربعون شاة، فإن كان فارسا أخذ اثنى عشر من الإبل، أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد.

(١) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم. والأجرع: المكان السهل.
(٢) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس. (٣) ذا تدرأ، أى ذا دفع عن قوى.
(٤) الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد أفيل. (٥) فى رواية ابن هشام «شيخى»، يعنى أباه مرداسا. ويروى: «شيخَىّ» بتشديد الياء يعنى أباه وجدّه.
(٦) يقال: فضّ الشىء على القوم: إذا فرّقه وقسمه.

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم وردّ السبايا إليهم

قال : وقدِم وفد هوازن على رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعـة عشر رجلا، ورأسُهم زُهَير بن صُرَد، وفيهم أبو بُرْقان عمّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، فسألوه أن يمنّ عليهم بالسّبى .

قال ٱبن إسحاق بسـنده إلى عبد الله بن عمرو : إنّ وفد هوازنَ وفـدوا على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم وقد أَسلَموا ، فقالوا : يا رسـول الله ، إنّا أصلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ، فٱمننْ علينا .

قال : وقام رجل من هوازن، أحد بنى سـعد بن بكر يقال له : زهير، يُكنَى بأبى صُرَد، فقال : يا رسـول الله، إنمـا فى الحظائر(١) عمّاتُك وخالاتك وحواضنك اللّاتى كنّ معك يكفلنك ، ولو أنا مَلَحْنَا(٢) للحارث بن أبى شِمر أو للنعمان بن ٱلمنـذر ثم نزل منـا بمثل الذى نزلتَ به ، رجونا عطفَـه وعائدتَه علينـا ، وأنت خير المكفولين .

وحكى أبو عمر بنُ عبد البرّ أن أبا صُرَد زهير بن صرد أنشد عند ذلك :

أُمنُنْ علينـا رسـولَ الله فى كرمٍ * فإنّك المرءُ نرجـوه وننتظـر(٣)
أُمنُنْ على بَيْضـةٍ قد عاقها قَـدَرٌ(٤) * ممـزّق شملها، فى دهرها غِـيَر
يا خير طِفـلٍ ومولودٍ ومنتجَبٍ * فى العـالمين إذا ما حصّل البَشَرُ
إن لم تَداركهـم نَعماء تنشُرها * يا أرجح الناس حِلمـا حين يُختبَرُ

(١) الحظائر : جمع حظيرة وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها .
(٢) يقال : ملحنا لفلان أى أرضعناه، وانظر اللسان (ملح) . (٣) فى الاستيعاب : « وندخر » . (٤) البيضة هنا : مجتمع الناس .

فآمنن على نسوة قد كنت ترضعها * إذ فوك يملؤه من محضها دِرَرُ
إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها * وإذ يزينك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته[(١)] * واستبق منا فإنا معشر زُهُر
يا خير من مرحت كُمْتُ الجياد به * عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا لنشكر آلاءً وإن كفرتْ * وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخر
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية إذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت واهبه * يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفر

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم"؟ فقالوا: يا رسول الله، خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فردّ إلينا أبناءنا ونساءنا فهو أحبّ إلينا؛ فقال لهم: "أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صلّيت الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم". ففعلوا ما أمرهم به؛ فقال: "أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطّلب فهو لكم"، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقالت الأنصار مثلَ ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أمّا أنا وبنو تميم فلا؛ وقال عيينة بن حِصن: أمّا أنا وبنو فَزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أمّا أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: يقول عباس لبنى سليم: وهّنتمونى[(٢)]؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) يقال: شالت نعامتهم إذا ماتوا وتفرقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية، والنعامة: الجماعة (وانظر اللسان (شول)).

(٢) وهّنتمونى: أضعفتمونى.

" إنّ هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت آستأنيت بسبْيهم ، وخيّرتهم فلم يَعدِلوا بالأبناء والنساء شيئا ، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسُه أن يردّه فسبيل ذلك ، ومن أبى فليردّ عليهم ، وليكن ذلك قرضا علينا ، فله بكل إنسان ستّ فرائض من أوّل ما يُفيء ٱلله علينا " قالوا : رَضِينا وسلّمنا ، فرَدّوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلّف منهم أحد غير عُيَينة بن حِصن ، فإنّه أبى أن يردّ عجوزا صارت فى يده ١٢٨/١٥ منهم ، ثم ردّها بعد ذلك .

وقد حكى محمد بن إسحاق سببَ تمسّك عيينة بها وردّها ، قال : فقال حين أخَذَها : أرى عجوزا إنى لأحسب لها فى الحىّ نسبا ، وعسى أن يعظم فِداؤها ؛ فلما ردّ الناس السّبايا بستّ فرائض أبى أن يُردّها ، فقال له زهير بن صُرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديُها بناهد ، ولا بطنُها بوالد ، ولا زوجُها بواجِد ولا دَرُّها بماكِد (١) ؛ فردّها بستّ فرائضَ حين قال له زهير ما قال . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبيَ قُبْطيّة قُبْطية ، والقَباطى : ثياب بِيض تُتّخذ من الكتّان بمصر .

وحكى محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى فى ترجمة عيينة بن حِصن فى هذه القصة قال : لمّا قدم وفدُ هَوازن على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وردّ عليهم السبي ، كان عيينة قد أخذ رأسا منهم ، فنظر إلى عجوزٍ كبيرة فقال : هذه أمّ الحىّ ، لعلّهم أن يُغلُوا بفدائها ، وعسى أن يكون لها فى الحىّ نسب . فجاء آبنها إلى عيينة فقال : هل لك فى مائةٍ من الإبل ؟ قال : لا ، فرجع عنه ، فتركه ساعة ، وجعلت العجوز تقول لآبنها : ما إربُك فىّ بعد مائةِ ناقة ، أُتركه فما أسرع ما يتركنى بغير فداء ؛

(١) الدر : اللبن . والماكد : الغزير .

فلما سمعها عيينة قال : ما رأيت كاليوم خدعة ، والله ما أنا من هذه إلا في غرور ، ولا جرم والله لأبعدنّ أثرك منّي ؛ قال : ثم مرّ به ابنها فقال له عيينة : هل لك فيما دعوتك إليه ؟ ؛ فقال : لا أزيدك على خمسين ؛ فقال عيينة : لا أفعل ؛ ثم لبث ساعة ، فمرّ به وهو معرض عنه ، فقال له عيينة : هل لك في الذي بذلت لي ؟ ، قال له الفتى : لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة ؛ قال عيينة : والله لا أفعل ، فلما تخوّف عيينة أن يتفرق الناس ويرتحلوا قال : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ ؛ فقال الفتى : هل لك إلى عشر فرائض ؟ قال : لا أفعل ؛ فلما رحل الناس ناداه عيينة : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ ؛ قال الفتى : أرسلها وأحملك ، قال : لا والله ما لي حاجة بحملك ؛ فأقبل عيينة على نفسه لائما لها ويقول : ما رأيتُ كاليوم أمرا أنكد ، قال الفتى : أنت صنعتَ هذا بنفسك ، عمدتَ إلى عجوز كبيرة ، والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ؛ فقال له عيينة : خذها لا بارك الله لك فيها ؛ قال : فيقول الفتى : يا عيينة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة ، فهل أنت كاسيها ثوبا ؟ قال : لا ، والله ما لها ذاك عندي ، قال : لا تفعل ؛ فما فارقه حتى أخذ منه سَمَل ثوب . ثم ولّى الفتى وهو يقول : إنك لغير بصير بالفُرَص . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي قُبْطِيّة قُبْطِيّة ، والقباطي : ثياب بيض تُتخذ من الكتّان بمصر .

قال محمد بن إسحاق : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال : "أخبروا مالكا إن هو أتاني مسلما رددتُ إليه أهله وماله ، وأعطيته مائةً من الإبل". فأخبر بذلك

فخرج من الطائف فأدرك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجعرانة أو بمكّة، فردّ عليه أهلَه ومالَه، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشدا:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِه * فى النـاس كلِّهـمُ بمثـلِ محمّـدِ
أَوفَى وأَعطَى للجزيل إذا اُجتُدِى * ومـتى تشأ يخـبرْك عمّا فى غـدِ
وإذا الكَتيبـةُ عَرّدتْ أنيابهـا * بالسَّمْهَرِىِّ وضَرب كلِّ مهنّـدِ
فـكأنه ليثٌ عـلى أشـبالِه * وَسْط الهَباءَة خادِرٌ فى مَرْصَـدِ[1]

فٱستعملَه رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل : ثُمـالة ، وسَلِمة ، وفَهْم ، فكان يقاتِل بهم ثقيفا ؛ لا يخرج لهم سَرْحٌ[2] إلا أغار عليه ، حتى ضَيّق عليهم ، فقال أبو مِحْجَن بنُ حبيب بن عمرو الثقفىّ فى ذلك :

هابت الأعداءُ جانبَنـا * ثم تغـزُونا بنـو سَلِمهْ
وأتانا مالِك بِهِـم * ناقِضا للعهد والحُرُمه
وأتَـوْنا فى منازلنـا * ولقـد كنّا أُولِى نَقِمَه

١٢٩ / ١٥ ذكر تسمية من بايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
من قريش وغيرها عند قسم مغانِم حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله : بايع رسـول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين : أبو سـفيان ابن حرب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وطُلَيق بنُ سفيان بن أميّة ، وخالد بن أَسِيد

(١) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر: الأسد فى عرينه ، وهو حينئذ أشد ما يكون بأسا خوفه على أشباله ، يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ، يصفه باليقظة .
(٢) السرح : المال السائم .

ابن أبي العِيص[1]، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بَعكَك بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أميّة بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم، العَدوِيّان، وصفوان بن أميّة بن خلف الجُمَحي، وأُحَيحة بن أميّة بن خلف، وعُمَير بنُ وهب بن خلف، وعديّ بن قيس ابن حُذافة السَّهْمي، وحُوَيطِب بنُ عبد العُزّى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل ابن معاوية بن عروة بن صخر الدِّيلي، وعلقمة بنُ عُلاثة بن عوف، ولَبيد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرملة بن هَوْذة ابن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعبّاس بن مِرداس السُّلَميّ، وعيينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ، والأقرع بن حابس بن عقال المُجاشعيّ.

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفَيْء، وما أجابهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ورَضّاهم به

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه أنه قال: لما أَعطَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أَعطَى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدوا في أنفسهم حتى كثُرتْ بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقِيَ والله رسولُ الله قومَه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يارسول الله، إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجَدوا عليك في أنفسهم لما صنعتَ في هذا الفيء الذي أَصبتَ، قسمتَ في قومك، وأعطيتَ عطايا عظاما

(١) كذا في ابن هشام (٤ : ١٣٧) والاستيعاب. والذي في الأصلين: «العاص».

فى قبائل العرب، ولم يكن فى هذا الحىّ من الأنصار منها شىء . قال: " فأين أنت من ذلك ياسعد "؟ قال : يارسول الله، ما أنا إلّا من قومى ؛ قال : " فآجمع لى قومَك فى هذه الحظيرة "، فخرج سعد فجمعهم فيها ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : " يامعشر الأنصار، ماقالةٌ بلغتْنى عنكم ، وجِدةٌ وجَدْتُموها فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم" ؛ قالوا : بلى ، الله ورسوله أمَنُّ وأفضل ثم قال : "ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟" . قالوا: بماذا نجيبك يارسول الله؟ ، لله ولرسوله المنّ والفضل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم : أتيتنا مكذَّبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك ،أوجدتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم من لُعاعةٍ (1) من الدنيا تألفتُ بها قوما ليُسلموا ، ووكلتُكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ! فوالذى نفس محمدٍ بيده لولا الهجرة لكنت آمرأ من الأنصار، ولو سلكت الناسُ شِعبا (2) وسلكت الأنصارُ شِعبا لسلكتُ شِعب الأنصار ، اللهم آرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار "؛ قال : فبكى القوم حتّى أخضلوا (3) لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظًّا؛ ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا ، وذلك ليلة الأربعاء لثنتى عشرة ليلةً مضت من ذى القعدة ، فأحرم بعُمرة ، ودخل مكة ، فطاف وسعى وحلق رأسه ، ورجع إلى الجعرانة من ليلته .

(1) اللعاعة : جرعة من الماء؛ يريد الشىء اليسير .

(2) الشعب بكسر الشين : الطريق بين جبلين .

(3) أى بلوها بدموعهم .

١٣٠ / ١٥

ذكر استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بنَ أَسِيد على مكّة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمرته استخلف عتّاب بنَ أَسِيد على مكّة ، وخلّف معه مُعاذَ بنَ جَبَل يفقّه الناس فى الدّين و يعلّمهم القرآن .

قال ابن هشام : لما استعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بنَ أَسِيد على مكّة رزَقَه كلَّ يوم دِرهما ، فقام فخطب الناس فقال : أيّها الناس ، أجاع الله كبِد من جاع على دِرهم ، قد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كلَّ يوم ، فليست بى حاجةٌ إلى أحد .

قال : وحج عتّاب بالناس فى سنةِ ثمانٍ على ما كانت العرب تحجّ عليه .

قال ابن سعد : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلك فى وادى الجعرانه ، حتى خرج على سَرِف[1] ، ثم أخذ الطريق إلى مَرّ الظَّهْران[2] ، ثم إلى المدينة ، فقدمها صلى الله عليه وسلم فى بقية ذى القعدة أو فى أوّل ذى الحجّة .

وقال ابن هشام : لستٍّ بقين من ذى القعدة . والله أعلم .

ذكر سريّة عُيَينة بنِ حِصْن الفزارىّ إلى بنى تميم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة تسع من مهاجَرِه إلى بنى تميم فى خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجرىّ ولا أنصارىّ ، وكان يسير الليل ويَكمُنُ النهار ، فهجم عليهم فى صحراء — وكانوا فيما بين السُّقيا وأرض بنى تميم ، وقد

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة (ياقوت) .

(٢) مرّ الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

حلّوا وسرّحوا ماشيتهم ، فلما رأوا الجمع ولّوا — وأَخَذَ منهم أحد عشر رجلا ؛ ووجدوا فى المحلة إحدى عشرة آمرأة وثلاثين صبيّا ، فجلبهم إلى المدينة ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحُبِسوا فى دار رملة بنت الحارث ، فقدِم فيهم عدّة من رؤسائهم : عُطارِد بن حاجب، والزِّبْرِقان بن بدر، وقيس بنُ عاصم، ورَباح بنُ الحارث بن مجاشع ، والأقرع بن حابس، وقيس بن الحارث ، ونعيم ابن سعد، وعمرو بن الأهتم، وربيعة بن رُفَيع، وسَبْرَة بنُ عمرو، والقَعْقاع بنُ معبد، ووردان بن مُحرِز ، ومالك بن عمرو، وفِراس بن حابس، وكان من شأنِهم وكلامِ خطيبهم وشاعرِهم ما نذكر ذلك فى أخبارهم فى وفادات العرب إن شاء الله تعالى، وذلك فى السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة[1] .

قال : وردّ عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ الأسرى والسّبى .

قال آبن إسحاق : وكان ممّن قُتِل يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوانٍ له ، بنو وهب ، وشدّاد بن فراس، وحنظلة بن دارِم . وكان ممّن سبى يومئذ أسماءُ بنتُ مالك، وكأس بنت أرىّ، ونَجْوة بنت نَهْد ، وجُميعة بنت قيس ، وعَمْرة بنت مطر .

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط مع بنى المُصْطَلق

قال محمد بن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة ابن أبى معيط إلى بَالمصطلق من خُزاعة يُصدِّقهم،وكانوا قد أسلموا وبَنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقّونه بالجَزور والغنم فرحا به ، فلما رآهم ولّى راجعا إلى المدينة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لَقُوه

(١) من تجزئة المؤلف ، ويوافق جـ ١٨ : ٣٢ (طبع الدار) .

بالسلاح يحولون بينه و بين الصّدقة ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث إليهم من يغزوهم ، و بلغ ذلك القوم ، فقدم الرَّكب الّذين لقوا الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأخبره الخبر على وجهه ، فنزل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) ، فقرأ عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القرآن ، وبعث معهم عبّاد بن بِشر يأخذ صدقاتِ أموالهم ، و يعلّمهم شرائعَ الإسلام ، و يقرئهم القرآن ، ١٣١/١٥ ففعل ، وأقام عندهم عشرا ، ثم آنصرف إلى المدينة .

ذكر سريّة قُطْبة بن عامر بن حديدة إلى خَثْعَم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر سنة تسع من مهاجَره إلى حىّ من خثعم بناحيــة تَبالة فى عشرين رجلا ، وأمره أن يشُنّ الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبعــرة يعتقبونها ، فاخذوا رجلا ، فسألوه فآستعجم عليهم ، وجعل يصيح بالحاضر ويحــذّرهم ، فضربوا عنقَه ، ثم امهــلوا حتى نام الحاضر ، فشنّوا عليهم الغارة ، فآقتتلوا قتالا شديدا ، وساق المسلمون النَّعم والشاءَ والنساءَ إلى المدينة ، وجاء سيلٌ فحالَ بينهم وبين قطبة ، فمــا يجدون إليه سبيلا ، وكانت سِهامهم بعد الخمس لكلّ رجل أربعة أبعرة ، والبعير يُعَدل بعشرة من الغنم .

ذكر سريّة الضحّاك بن سُفيان الكلابىّ إلى بنى كلاب

كانت فى شهر ربيع الأوّل سنة تسع من الهجرة .

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وســلم جيشا إلى القُرْطاء (٢) عليهم الضحّاك ابن سفيان بن عوف الكلابىّ ، ومعه الأَصْيَد بن سلمة بن قرط ، فلقوهم بالزُّجّ (٣) ،

---

(١) سورة الحجرات : ٦ (٢) القرطاء : بطن من بنى بكر واسمه عبيد بن كلاب .
(٣) زج لاوة : موضع بنجد .

زُجّ لاوَة، فدعَوْهم إلى الإسلام فأبَوا، فقاتَلوهم فهُزِموا، فلحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له فى غدير الزُّجّ، فدعا أباه إلى الإسلام، وأعطاه الأمان، فسبّه وسبَّ دِينَه، فضرب الأصيدُ عُرقوبَى فرسِ أبيه، فلمّا وقع الفرسُ على عُرْقوبيه آرتكز سلمة رمحَه فى الماء، ثم آستمسك به، حتى جاءه أحدُهم فقتَلَه، ولم يقتله آبنُه، وفى هذه السريّة وفى الضحّاك بن سفيانَ يقول عبّاس بنُ مِرْداس :

إنّ الذين وفَوا بما عاهدتَهمْ * جيشٌ بعثتَ عليهمُ الضحّاكَا
أمّرتَه ذَرِبَ اللّسانِ(1) كأنه * لمّا تكنّفه العدوّ يراكا
طَوْرا يُعانِق باليدَيْن وتارةً * يَفْرِى الجماجمَ صارما بَتّاكا(2)

ذكر سريّة عَلْقمةَ بن مُجَزِّز المُدْلِجىّ إلى الحَبشة

كانت هذه السريّة فى شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بلغه أنّ ناسا من الحبشة تراآهم أهلُ جُدّة، فبعث إليهم علقمةَ بن مجزِّز فى ثلاثمائة، فآنتهى إلى جزيرةٍ فى البحر وقد خاض إليهم، فهربوا منه، فلمّا رجع تعجّل(3) بعض القوم إلى أهليهم، فأذن لهم، وفيهم عبد الله بن حُذافة السَّهْمىّ، فأمّره علقمة على من تعجّل، وكانت فيه دُعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يَصْطلون عليها، فقال لهم: عزمتُ عليكم إلّا تَواثبتم فى هذه النار، فقام بعض القوم حتى ظُنّ أنهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا، إنما كنتُ أضحك معكم، فذكروا ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: "من أمَرَكم بمعصية فلا تطيعوه".

(1) فى ابن هشام ٤ : ١٠٣ « رجل به ذرب السلاح »
(2) البتاك والفتاك بمعنى واحد .
(3) أى أرادوا الرجوع قبل بقية الجيش .

ذكر سرية علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى الفُلْس صنم طيّئ

بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر سنة تسع فى خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفُلْس (صنم طيّئ) ليهدمه — (والفُلْس بضم الفاء وسكون اللام) — بعثهم على مائةِ بعير وخمسين فرسا، ومعه رايةٌ سوداء ولواءٌ أبيض، فشنّوا الغارة على محلّة آل حاتم مع الفجر. فهدموا الفُلس وخرّبوه وملأوا أيديَهم من السَّبى والنَّعَم والشاء، وفى السبى أخت عدىّ بن حاتم، وهرب عدىّ إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله فى أخبار الوفود. قال: ووجدوا فى خِزانة الفلس ثلاثة أسياف: رَسُوب، والمِخْذَم، واليمان؛ وثلاثة أدرُع، فلمّا نزلوا رَكَك(1) آقتسموا الغنائم، وعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيّه(2): رَسوب، والمِخذَم، ثم صار له بعدُ السيفُ الآخر، وعزل الخُمس وَعَزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قدِم بهم المدينةَ على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ١٣٢ / ١٥

ذكر سرية عُكّاشة بن مِحْصَن الأَسَدىّ إلى الجناب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجَرِه إلى الجِناب، أرضِ عُذْرة وبَلِىّ، ولم يذكر آبنُ سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غَزوة تبوك

كانت غزوة تبوك فى شهر رجب سنة تسع من مهاجَرِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان سببها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أنّ الروم قد جمعتْ جموعا كثيرةً بالشام، وأنّ هِرَقْلَ قد رَزَق أصحابَه لِسنة، وأجلبتْ معه لَخْم،

---

(1) رَكَك (بالتحريك): محلّة من محالّ سلمى أحد جبلى طيّئ.

(2) الصفىّ هنا: ما يأخذه الرئيس لنفسه من الفىء قبل القسمة.

وجُذام ، وعامِلة ، وغسّان ، وقدّموا مقدّماتهم إلى البَلْقاء ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج، وأعلمهم المكانَ الذى يريد ليتأهّبوا لذلك، وبعث إلى مكّة وإلى قبائل العرب يستنفِرُهم ، وذلك فى حرّ شديد ، وأمرهم بالصدقة ، فحملوا صدقاتٍ كثيرة ، وقَوَّوا فى سبيل الله .

قال ابن هشام : أنفق عثمان بنُ عفّان رضى الله عنه فى جيش العُسْرة فى غزوة تَبوك ألفَ دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم ٱرضَ عن عثمانَ فإنّى عنه راضٍ " .

وجاء البكّاءون وهم سبعة : سالم بن عُمَير ، وهَرَمىّ بن عبد الله أخو بنى واقف، وعُلْبَة بن زيد أخو بنى حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازنىّ، وعمرو بنَ عَنمة، وسلمة بن صخر، والعِرباض بن سارية الفزارىّ .

قال : وفى بعض الرُّواة من يقول : إنّ فيهم عبد الله بن مغفَّل المُزَنىّ، ومعقل ابن يسار ، وبعضهم يقول : البكّاءون بنو مقرِّن السبعة ، وهم من مزينة، فأتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يستحمِلونه ، فقال : " لا أجد ما أحمِلكم عليه "؛ فتولوا وأعينهم تفيض مِن الدمع حَزَنا ألّا يجدوا ماينفِقون، فعذرهم الله تعالى .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيلم اليهودىّ، يثبّطون الناسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم طلحة بنَ عبيد الله فى نفرٍ من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة، فٱقتحم الضحّاك بن خليفة من ظهر البيت، فٱنكسرتْ رِجلُه ، وٱقتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحّاك فى ذلك :

كادت وبيتِ الله نارُ محمّدٍ * يَشيطُ بها الضحّاك وٱبن أُبَيرِقِ

فَظَلْتُ وقد طبّقتُ كِنْبَس سويلم * أنوءُ على رِجلى كَسيرا ومِرفَقِى(١)

سلامٌ عليكم لا أعود لمثلها * أخاف، ومن تَشمَلْ به النارُ يُحرَقِ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التخلّف من غير عِلّة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلا .

وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لهم، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم، وهم اثنان وثمانون رجلا ؛ ذكر أنهم نفر من بنى غِفار، وكان عبد الله بن أبىّ بن سَلول قد عسكر على ثَنيّة الوَداع فى حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكره بأقلّ العسكرين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه ، فصلّى بالناس ، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة ، فلمّا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عبد الله بنُ أُبَىّ، ومن كان معه ، وتخلّف نفر من المسلمين من غير شكّ ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك، وهلال بنُ أميّة ، ومُرارة بنُ الرّبيع، وأبو خيثمة مالك بنُ قيس السّالِمى، وأبو ذرّ الغفارىّ؛ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً أو راية ، ومضى صلى الله عليه وسلم لوجهه يسير بأصحابه

١٣٣/١٥ حتى قدم تَبوك فى ثلاثين ألفا من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس، فأقام بها عشرين ليلة يصلّى ركعتين ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذرّ .

قال محمد بن إسحاق فى سبب مسير أبى خيثمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه جاء يوما إلى أهله بعد أن سار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أيّاما فى يوم

(١) طبّقت : علوت . والكِبس بكسر الكاف : البيت الصغير .

حارّ ، فوجد آمرأتين له فى عَرِيشَين (١) لهما فى حائطه ، قد رَشّت كلّ واحدة منهما عريشَها وبرّدتْ له فيه ماء ، وهيّأتْ طعاما ، فلمّا دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى آمرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله فى الضِّحّ (٢) والرّيح والحرّ ، وأبو خيثمة فى ظلّ بارد ، وطعامٍ مهيّأ ، وآمرأةٍ حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنَّصَف ! ، ثم قال : والله لا أدخل عريشَ واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيّئا لى زادا ، ففعلتا ، ثم قدّم ناضحه (٣) فآرتحله ، ثم خرج فى طلب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

قال : ولمّا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كن أبا خيثمة"، قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة ؛ فلمّا أناخ أقبل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : "أَوْلَى لك يا أبا خيثمة" ! ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال : خيرا ودعا له .

وأما أبو ذرّ الغفارىّ ، فإنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء الطريق ، وكان بعيرُه قد أبطأ عليه ، فحمل متاعه على ظهره ، ثم خرج يَتْبَع أثرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتّى أدركه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رحم الله أبا ذرّ، يمشى وحدَه ، ويموت وحدَه ، ويُبعث وحدَه" فكان كذلك .

قال : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبوكَ وهِرقْل يومئذ بحِمْص ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خالد بنَ الوليدِ إلى أُكَيْدِر .

(١) العريش : شبيه بالخيمة . والحائط هنا : البستان

(٢) الضّح بكسر الضاد وتشديد الحاء : الشمس .

(٣) الناضح : البعير يستقى عليه ، وارتحله : شدّ عليه الرحل .

ذكر سرية خالد بنِ الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك

قالوا: بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وهو بتبوك خالدَ بن الوليد فى أربعمائة وعشرين فارسا سريّةً إلى أكيدِر بنِ عبـد الملك بدُومة الجَنْـدل، وأكيدِر مِن كِنْدة، قد ملَكَهم، وكان نصرانيّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بنِ الوليد : " إنّك ستجِده يصيـد البقر " . فخرج خالدٌ فى شهر رجبَ سنة تسع من الهجرة حتى كان مِن حِصن أكيدِر بمنظَر العين فى ليـلة مقمِرة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه آمرأته، فباتت البقر تحكّ بقرونها بابَ القصر، فقالت له آمرأته : ما رأيتُ مِثلَ هذا قطّ ؟ قال : لا والله، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأُسرِج له، وركب معـه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له : حسّان ، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقّتهم خيلُ رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فشدّت عليه، فآستأسر أكيدر، وآمتنع أخوه حسان ، وقاتل حتى قتِـل، وكان عليه قَباء من دِيباج مخوَّص(١) بالذهب، فآستَلَبَه خالد ، و بعث به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، و يتعجّبون منـه ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلّم : " أتعجبون مِن هذا ؟ فوالّذى نفسى بيده لمنادِيل سعدِ بن مُعاذٍ فى الجنة أحسن من هذا" . قال: ولمـا أُسِر أكيدِر وقتِل حسّان، هرب من كان معهما ، فدخل الحصن ، وأجار خالدٌ أكيـدرَ من القتل حتى يأتىَ به رسـولَ الله صلى الله عليه وسـلّم على أن يفتح له دُومة الجنْدل ، ففعـل ، وصالَحه على ألفى بعير، وثمانمائة فَرَس ، وأربعمائة دِرع وأربعمائة رمح، فعزل للنبى صلى الله عليه وسلم صَفِيًّا خالِصا، ثم أخرج الخُمس، وقسم

---

(١) التخويص بالذهب : أن يجعل للشىء صفائح من الذهب على قدر عرض خـوص النخل وفى صورته .

مابقى بين أصحابه، ثم خرج خالدٌ بأُكيدر و بأخيه مُصاد — وكان فى الحصن — و بما صالحَــه عليه قافلا إلى المدينة ، فقدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بأكيدر ، فأهدى له هديّة ، وصالحَــه على الجزية، وحقَنَ دمَه ، ثم خلّى سبيلَه ، فرجع إلى قريتِه ، فقال بُجير بن بَجْرة :

تبارك سائقُ البَقَــرات إنّى * رأيتُ الله يهــدى كلّ هــاد

فمن يك حائدا عن ذِى تَبوكٍ * فإنّا قــــد أُمِرنا بالجهـــادِ ١٣٤/١٥

قال محمد بن إسحاق : ولـمـا آنتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى تبوكَ أتاه يُحَنّة
ابن رؤبة صاحب أَيْلة(١) ، فصالَح رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم وأعطاه الجزية ،
وأتاه أهلُ جَرْباء(٢) وأذرُح(٣) ، فأعطَوْه الجزية، وكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسـلم
لِيُحَنّة كتابا، وهو : "بسم الله الرحمن الرحيم، هــذه أَمَنة مِن الله ومحمدٍ النبىّ ١
رســولِ الله لِيُحَنّة بنِ رؤبة وأهــلِ أَيلة ، سُفُنهم وسيّارتهم فى البر والبحر، لهم
ذِمّة الله ومحمدٍ النبى، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن، وأهل البحر ،
فمن أحدث منهــم حدَثا فإنّه لا يَحـول ماله دُون نفســه ، و إنّه طيّب لِمن
أخذه من النــاس ، و إنه لا يَحِلّ أن يُمنَعوا ماء يرِدونه ، ولا طريقا يريدونه من
برّ أو بحر" . ١

قال : وكان رســول الله صلى الله عليه وسلم قد آستعمل على حرَسِه بتبوكَ عبّاد ابن بشر، ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلْقَ كيدا .

---

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .

(٢) جرباء : موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام (ياقوت) .

(٣) أذرح : بلد من أعمال الشراة من نواحى البلقاء (ياقوت) . ٢

وقدِم المدينــة فى شهر رمضان من السنة ، وجاءه من كان قد تخلّف عنــه ، فحلفوا له ، فعذرهم ، واستغفرَ لهم ، وأرجأ أمرَ كعب بنِ مالك وصاحبيه حتى نزلتْ توبتُهم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله فى آخر هذه الغزوة .

قال : وجعــل المسلمون يبيعون أسلحتَهم و يقولون : قد انقطع الجهــاد ، فبلغ ذلك رســولَ الله صلى الله عليه وســلم ، فنهاهم ، وقال : " لا تزال عِصابةٌ من أمّتى يجاهدون على الحقّ حتّى يخرج الدجّال " .

وكان فى غزوة تبوك وقائع غير ما قدّمناه ، قد رأينا إيرادَها فى هذا الموضع .

منها خبر مرور رسول الله بالحِجْر .

ومنها ما أُنزل فى أمر المنافقين .

ومنها خبر الثلاثة الّذين خُلّفوا ، وما أنزل من توبتهم .

ذكر خبرِ مرورِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْـر وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق : لمّـا مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره إلى تبوك بالحِجْر من مَدْيَن ، نزلها ، واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . " لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا يُتوضّأ منه للصــلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجنْ أحد منكم الليــلة إلّا ومعه صاحب له " ، ففعل الناس ما أمرهم رســول الله صلى الله عليه وســلم ، إلّا أنّ رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الّذى ذهب لحاجته فإنه خُنِق على مَذْهبــه (١) ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره

(١) خنق : صرع . المذهب هنا : الموضع الذى يقضى فيه المرء حاجته .

فآحتملته الرِّيح حتى طرحته بجبل طيئ ، وأخبِر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " ألم أنهكم ألّا يخرجَ منكم أحد إلّا ومعه صاحبُه" (١) ! ثم دعا للّذى أصيب فشُفِى ، وأمّا الآخر فإن طيّئا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدِم المدينة .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزُّهرِىّ أنه قال : لمـا مرّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سَجَّى (٢) ثوبَه على وجهِه ، وآستحثّ راحلته ، ثم قال : " لا تَدخلوا بيوتَ الّذين ظلموا إلّا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم مِثل ما أصابهم" .

قال آبن إسحاق : لمّـا أصبح الناسَ ولا ماء معهم شكَوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا ، فأرسل الله تعالى سحابةً فأمطرتْ حتّى آرتوى النـاس وآحتملوا حاجتَهم من المـاء .

وفى هذه الغزوة ضلّت ناقة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال زيد بنُ لُصَيْب (٣) ما قال ، وأُخبِر رسولُ الله صـلى الله عليه وسلم بمـا قال ، فأَخبر بشأنها ، ووُجِدت كما وَصَف صلى الله عليه وسلم على ما قدّمنا ذلك فى أخبار المنافِقين .

ذكر أخبار المنافِقين وما تكلّموا به فى غزوة تبوك وما أنزل الله عزّ وجل فيهم من القرآن

كان ممّن أَنزل الله عزّ وجلّ فيـه من القرآن ما أُنزل فى غزوة تبوك الجـدّ ابن قيس ، وهو الذى قال لرسـول الله صلى الله عليه وسلم : آئذن لِى ولا تفْتِنّى ؛ وقد تقدّم خبره مع أخبار المنافِقين .

---

(١) عبارة الزرقانى جـ ٣ : ٨٧ : « ثم دعا للذى خنق على مذهبه » .

(٢) سجى : غطّى ثوبه وضمّنه معنى وضع فقال : على وجهه .

(٣) ويقال فيه اللصيت (بالتاء) ، والخبر فى ابن هشام ٤ : ١٦٦

١٣٥/١٥ وقال قوم منهم: لا تنفروا فى الحر زهادةً فى الجهاد، فأنزل الله عزّ وجل فيهم: ﴿وقالوا لا تَنْفِرُوا فى الحَرّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلاً ولْيَبْكُوا كثيرًا جزاءً بما كانوا يكسبون﴾(١)، وقال رهط من المنافقين: منهم وديعة ابن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبنى سلمة يقال له: مُخَشِّن بنُ حُمَيِّر — وقيل: مَخْشِيّ(٢) — وغيرهما بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا، والله لكأنكم غدًا بهم مقرّنين فى الحبال، يقولون ذلك إرجافا وترهيبا للمؤمنين.

فقال مَخْشِيّ: والله لوددت أن أقاضَى على أن يضرب كلُّ رجل منّا مائة جلدة، وأنا ننفلت أو ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر: "أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل لهم: بلى قد قلتم كذا وكذا"، فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت: يارسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. وقال مَخْشِيّ: يا رسول الله، قعد بى اسمى واسم أبى، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ولَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أبِاللهِ وآياتِهِ ورَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ إنْ نَعْفُ عَنْ طائفةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائفةً بأنّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٣). فكان مَخْشِيّ بنُ حمير ممن عفى عنه، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة، ولم يوجد له أثر. والله الموفق للصواب.

---

(١) سورة التوبة ٨١ — ٨٢

(٢) كذا ضبط هذا الاسم بالعبارة فى تبصير المنتبه لابن حجر والإكمال لابن ماكولا.

(٣) سورة التوبة ٦٥ — ٦٦

ذكر خبرِ الثلاثةِ الذين خُلِّفوا ، وما أُنزِل فيهم وفى المعذِّرين من الأعراب

والثلاثة الذين خُلِّفوا لم يتخلّفوا عن شكّ ولا نِفاق، وهم : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة ، وكان من خبرهم ما حدّثنا به الشيخان المعمَّران المسنِدان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبى طالب نعمة الصالحى الحجّار، وست الوزراء أمّ محمد وزيرة بنت القاضى شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجى التَّنوخيّة الدِّمشقيّان قراءةً عليهما، وأنا أسمع فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبعمائة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزّيّة ، قالا : حدّثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدى، قال : حدّثنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب السِّجْزى قراءةً عليه ونحن نسمع ، قال : حدّثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودىّ ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمّويه السَّرَخْسىّ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن مطر الفَرَبْرىّ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارىّ، قال : حدّثنا يحيى بن بكير، قال : حدّثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أنّ عبد الله بن كعب بن مالك ، — وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عَمِيَ — قال : سمعتُ كعب بنَ مالك يحدّث حين تخلّف عن قصّة تبوك قال كعب : لم أتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوةٍ غزاها إلا فى غزوةِ تبوك، غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر، ولم يعاتِبْ أحدا تخلّف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم و بين عدوّهم على غير ميعاد؛ ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٦ / ١٥ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبّ أن لى بها مشهد بدر وإن كانت بدرَ أذكرَ فى الناس منها .

كان من خبرى أنى لم أكن قطّ أقوى ولا أيسرَ منّى حين تخلّفتُ عنه فى تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندى قبله راحلتان قطّ حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوةً إلّا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد ، واستقبل سَفَرا بعيدا ومفازا وعَدوّا كثيرا، فجَلَا للسلمين أمرهم ليتأهّبوا أهبةَ غَزْوِهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان .

قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيّبَ إلّا ظن أنّه سيَخفَى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحى الله عزّ وجلّ ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظِّلال ، وتجهّز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون معه ، فطَفِقت أغدو لكى أتجهّز معهم، فأرجع ولم أقضِ شيئا ، فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بى حتى شمّرَ بالناس الجِدّ . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، ولم أقضِ من جهازى شيئا، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، ورجعت فلم أقضِ شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ، ولم أقض شيئا ، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفرّط الغزو[(١)] ، وهممت أن أرتحل فأدرِكهم ، وليتنى فعلت ، فلم يقدر لى ذلك ، فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفت فيهم أحزننى أنّى لا أرى إلّا رجلا مغموصا[(٢)] عليه بالنفاق ، أو رجلا ممّن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى

---

(١) أى فات وسبق .

(٢) مغموصا : مطعونا عليه فى دينه ، متهما بالنفاق . وفى ابن هشام ٤ : ١٠٦ «فى النفاق» .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : "ما فعل كعب" ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه بُرْداه ونظرُه فى عِطفيه (١) . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ما علمتُ عليه إلّا خيرا ، فسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همّى ، وطفقت أتذكّر الكذِبَ وأقول : بماذا أخرج من سَخَطه غدا ، وآستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى ، فلما قيل إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل (٢) قادما راح عنى الباطل ، وعرفت أنّى لم أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب ، فأجمعت صِدقه ، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ، وكان إذا قدِم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم يجلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفِقوا يعتذرون إليه ويحلِفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم وآستغفر لهم ، ووَكَل سرائرَهم إلى الله ، فجئته ، فلما سلّمت عليه تبسّم تبسّمَ المغضَب ، ثم قال : "تعال" ، فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : "ما خلّفك ؟ ألم تكن قد آبتعت ظهرك" ؟ فقلت : بلى وآللهِ ، إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سَخَطه بعذر ، ولقد أُعطِيتُ جدلا (٣) ، ولكنّى والله لقد علمت لئن حدّثتك اليومَ حديثَ كذبٍ ترضى به عنّى ليوشكن آللهُ أن يُسخطك علىّ ، ولئن حدّثتك حديث صِدقٍ تجِد (٤) علىّ فيه إنى لأرجو فيه عقبى آلله ، لا وآلله ما كان لى من عذر ، واللهِ ما كنت قطّ أقوى

(١) كنى هنا عن إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره . (٢) أظل : قرب وأشرف .
(٣) أعطيت جدلا ، أى فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلى بما يقبل ولا يردّ .
(٤) تجد : تغضب .

ولا أيسَر منّى حين تخلّفت عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمّا هذا فقد صدق، فَقُمْ حتى يقضىَ ٱلله فيك"، فقمت وثار رِجال من بنى سلمة فٱتبعونى، فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزتَ ألا تكون ٱعتذرت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بما ٱعتذر إليه المتخلّفون ، قد كان كافِيك ذنبَك ٱستغفارُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما زالوا يؤنّبونى حتى أردت أن أرجع فأ كذّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا معِى أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مِثل ما قلت ، فقيل لهما مِثل ما قيل لك ؛ فقلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الربيع العَمْرى، وهلال بن أمية الواقفىّ ، فذكروا لى رجلين صالحين قد شهِدا بدرا فيهما أسوة؛ فمضيت حين ذكروهما لى .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا — أيّها الثلاثةُ — من بين من تخلّف عنه، فٱجتنبَنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكّرتْ فى نفسى الأرضُ، فما هى بالتى أعرِف، فلبِثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأمّا صاحباى فٱستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأمّا أنا فكنت أشبَّ القومِ وأجلَدَهم، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف فى الأسواق ، فلا يكلمنى أحد، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلّم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسى : هل حرّك شفتيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلّى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلىّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرضَ عنى ، حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوّرت جِدارَ حائط أبى قتادة، وهو ٱبن عمّى، وأحبّ الناسِ إلىّ، فسلّمتُ عليه، فوالله ما ردّ علىّ ١٣٧/١٥
السلام، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشُدُك بالله ، هل تعلمنى أحبّ الله ورسوله ؟

فسلكتَ ، فعدت له فنشدته ، فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتولّيتُ حتى تسوّرت الجدار .

قال : فبينا أنا أمشى بسوق المدينــة إذا نَبَطىّ من أنباط أهلِ الشام ممن قدِم بالطعام يبيعه بالمدينـة يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ؟ ، فطفق النـاس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلىّ كتابا مِن مَلِك غسّان ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلْك الله بدارِ هوان ولا مَضْيَعة ، فالحق بنا نُواسِك » . فقلت لمـا قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيمّمتُ(١) بها التنور ، فسجرته(٢) بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل آمرأتك . فقلت : أطلّقها؟ أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل آعتزلها ولا تقربنّها ، وأرسل إلى صاحِبىّ مثلَ ذلك ، فقلت لآمرأتى : الحَقِى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى آلله فى هذا الأمر .

قال كعب : فجاءت آمرأة هلال بن أميّة رسـولَ الله صلى الله عليه وسـلم فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أميّة شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدُمَه ؟ فقال : "لا ، ولكن لا يقربنّك" قالت : إنه والله ما به حركة إلى شىء ، والله ما زال يبكى مذ كان من أمرِه ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعض أهلى : لو آستأذنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آمرأتك ، كما أذِن لآمرأة هلال بن أمية أن تخدُمَه ، فقلت : والله لا أستأذِن فيها رسول الله ، وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم إذا أستأذنته فيهـا وأنا رجل شابّ ! فلبثت بعد ذلك عشر

---

(١) تيممت : توخيت وقصدت .

(٢) سجرته بها : أوقدته بالصحيفة .

ليالٍ حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجرْ صبحَ خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله ، قد ضاقت علىَّ نفسى ، وضاقت علىَّ الأرض بما رحُبَت ، سمعت صوت صارخ أوفَى(1) على جبل سَلْع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبةِ الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قِبَلَ(2) صاحبيَّ مبشِّرون ، وركض رجل إلىَّ فرسا ، وسعى ساعٍ مِنْ أَسْلم فأَوفَى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبىَّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقّانى الناس فوجا فوجا يهنّئوننى بالتوبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توبةُ الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلىَّ طلحةُ بن عبيد الله يُهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ماقام إلىَّ رجل من المهاجرين غيرُه ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَبرُق وجهه من السرور : " أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك " ، قال : قلت : أمِن عندِك يا رسول الله أم من عندِ الله ؟ قال :

---

(1) أوفى : أشرف .

(2) فى ابن هشام : « وذهب نحو صاحبي مبشرون » .

" لا ، بل من عندِ الله " ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ آستنار وجهه حتى كأنه قطعةُ قمر ، وكنّا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إنّ مِن توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله و إلى رسول الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : " أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك " ، قلت : فإنى أُمسك سهمىَ الذى بخيبر ، وقلت : يا رســول الله ، إن آلله إنما نجّانى بالصدق ، وإنّ من توبتى ألا أحدّث إلّا صِدقا ما بَقِيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صِدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ ممّــا أبلانى ، ما تعمّدت منــذ ذكرت ذلك لرســول الله صلى الله عليــه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى[(١)] ، فأنزل الله تعــالى على رســول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَــدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ (١٣٨ / ١٥) إِنَّهُ بِهِــمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَــا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُــمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْــهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُــوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّــوَّابُ الرَّحِيمُ . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ[(٢)] ﴾ .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله علىّ مِن نعمــةٍ قطّ بعد أن هدانى للإســلام أعظَم فى نفسى مِن صِدقى رســولَ الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبتُه فأهلِك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحىَ شرّ ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعــالى : ﴿ سَيَحْلِفُــونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا آنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِــمْ

(١) فى كلا الأصلين : « بقيت » ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) سورة التوبة ١١٧ — ١١٩

لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ[1]﴾.

قال كعب : وكنا تخلفنا – أيها الثلاثة – عن أمر أولئك الذين قبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا[2] فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾.

وليس الذى ذكر الله مما خُلِّفْنا تخلُّفَنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبِل منه .

انتهت غزوة تبوك ، فلنذكر ماسواها من السرايا .

ذكر سرِيّة خالد بن الوليد إلى بنى عبد المَدان بنَجْران

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فى شهر ربيع الأوّل سنة عشر من مهاجَرِه، ولم يذكر من خبرِ هذه السرية غير هذا فنذكره .

ذكر سرِيّة على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى اليمن

يقال : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إحداهما فى شهر رمضان سنة عشرٍ من مهاجَرِه صلى الله عليه وسلم، وعقد له لواءً ، وعمّمه بيده ، وقال : "امضِ لا تلتفت، فاذا نزلتَ بساحتِهم فلا تقاتِلهم حتى يقاتِلوك" ، فخرج فى ثلثمائة فارس ، وكانت أوّل خيل دخلت إلى تلك البلاد ، وهى بلاد مَذحِج، ففرق أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونَعَم وشاءٍ وغير ذلك ، وجعل على الغنائم بُرَيدة بن الحُصَيب الأسلمىّ ، فجمع إليه ما أصابوا ، ثم لقى جمعهم

(١) سورة التوبة ٩٥ – ٩٦

(٢) عبارة ابن هشام جـ ٤ : ١٨١ : « حين حلفوا له فعذرهم » .

فدعاهم إلى الإسلام، فأبَوْا ورموا بالنَّبل ، ثم حَمل عليهم علىٌّ رضى الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا ، فتفرقـوا وآنهزموا ، فكفّ عن طلبهم ، ثم دعاهم إلى الإسـلام ، فأسرعوا وأجابوا ، و بايعه نفر من رؤسائهم على الإسـلام، وقالوا : نحن على مَنْ وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله ، وجمع علىّ الغنائم فخمّسها ، وقَسَم على أصحابه بقية المغنم ، ثم قفل ، فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين قدِمها للحج سنة عشر . حكاه آبن سعد (١) .

وقال محمـد بن إسحاق ، لمـا رجع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من اليمن إلى مكة ، دخل على فاطمة بنتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدها قد حَلّت فقال : مالَكِ يابنت رسولِ الله ؟ (٢) قالت : أمرنا رســولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نحلّ بعُمرة فحللنا ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وســلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انطلق فطُف بالبيت وحلّ كما حلّ أصحابك " قال : يارسول الله ، إنى أهللتُ بمـا أهللتَ ؛ قال : " فآرجع فآحلل كما حلّ أصحابك " قال : يا رسـول الله ، إنّى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أُهِلّ بما أهلّ به نبيّك وعبدُك ورسولُك محمد ، قال : "فهل معك من هَدْى"؟ قال : لا ؛ فأشركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هَـدْيه ، وثبت على إحرامه مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحجّ ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهَدْى .

١٣٩/١٥ قال : ولمـا أقبل علىّ من اليمن تعجّل إلى رسول آلله ، وآستخلف على جنده الذين معـه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجلُ فكَسا كلّ رجل من القوم حُلة من البَزّ الذى كان مع علىّ ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ؛ قال :

(١) القسم الأوّل من الجزء الثانى : ١٢٢

(٢) يعنى أنه أنكر عليها ما فعلت .

ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا إذا قدموا فى الناس ؛ قال : انزعها ويلك ! قبل أن تنتهى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فانتزع الحلل من الناس فردّها فى البزّ ، فاشتكى الناس عليًّا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : " أيها الناس ، لا تشتكوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله " أو " فى سبيل الله[1] " .

ذكر سريّة أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشّراة[2] ناحية البلقاء

وهذه السريّة هى آخر سريّة جهّزها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل إنفاذها ، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيها أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجرّاح ، وسعد بن أبى وقّاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلْم بن أسلم بن حَريش ، فتكلم قوم وقالوا : نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فخرج وقد عصب على رأسه عِصابة وعليه قطيفة ، فصعد المِنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " أما بعد أيها الناس ، فما مقالةٌ بلغتْنى من بعضكم فى تأميرى أسامة ؟ ولئن طعنتم فى إمارتى أسامة لقد طعنتم فى إمارتى أباه من قبله ، وايم الله إن كان للإمارة لخليقا ، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمَن أحبِّ الناس إلىّ ، وإنهما لمخيلان لكلّ خير ، فاستوصوا به خيرا ، فإنه من خياركم " ، ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأوّل ، وخرج الناس إلى الجُرْف ، فتوفّى رسول الله صلى

(١) فى ابن هشام ٤ : ٢٥٠ : « فى سبيل الله من أن يشتكى » .

(٢) الشراة : شراة الشام ، وهى أرض معروفة ، وبها الكهف والرقيم . (ياقوت) .

الله عليه وسلم قبل خروج هــذه السريّة ، فلما وُلّى أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، كان أوّل ما بدأ به بعث أسامة .

هــذا ما أمكن إيراده من غَزَوات رســولِ الله صلى الله عليه وسلم وسراياه . فلنذكر حجّه وعُمَرَه صلى الله عليه وسلم .

ذكر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعُمَرِه

قالوا : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة حجّتين، ولم يحجّ بعد الهجرة إلّا حجّــة الوداع ، وهى فى السنة العاشرة ، وكانت فريضــة الحجّ نزلت فى السنة السادسة من الهجرة ، وفتحتْ مكّة فى سنة ثمان، فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّابَ بنَ أَسِيد ، فحج بالناس تلك السنة ، وفى السنة التاسعة حج أبو بكر الصّدّيق رضوان الله عليه بالناس كما قدّمنا ذِكر ذلك فى مواضعه ، فلما كان فى السنة العاشرة أَذّن فى الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجّ، فقدم المدينة بَشَرٌ كثير كلّهم يلتمس أن يأتمّ برســول الله صلى الله عليه وســلم ، ويعملَ مثل عمله ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مغتسلا مدّهنا مترجّلا متجرّدا فى ثوبين صُحَارِيّين : إزارٌ ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ بقين من ذى القعدة سنة عشرٍ من مهاجره، واستعمل على المدينة أبا دُجانة الساعدىّ — ويقال : سِباع ابن عُرفُطة الغِفارىّ — قالوا : وصلى الظهر بذى الحُلَيفة ركعتين، وأخرج معه نساءه كلهنّ فى الهوادج ، وأشعر هديه وقلّده، ثم ركب ناقته ، فلما استوى عليها بالبيداء أحرم من يومه، وكان على هديه ناجية بن جُندب ، وقيل : إنه أهلّ بالحج مفردا، وقيل : قرنَه بعُمرة، ومضى صلى الله عليه وسلم يسير المنازل ويؤمّ أصحابَه فى الصلاة ١٤٠ / ١٥
فى مساجدَ له قد بناها الناس ، فكان يوم الاثنين بمَــرّ الظَّهْران، فغربت له الشمس بسَرِف، ثم أصبح فاغتسل ودخل مكّة نهارا وهو على راحلته القَصْواء، وكان تحته

صلى الله عليه وسلم ورحْل رثّ عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم، وقال : " اللهم اجعله حجًّا لا رِياءَ فيه ولا سُمْعة "، فدخل من أعلى مكة من كَداء حتى انتهى إلى باب بنى شَيبة، فلما رأى البيت رفع يديه فقال : " اللهم زِد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزِدْ مَن شرّفه وعظّمه ممّن حجّه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبِرًّا "، ثم بدأ فطاف بالبيت، ورمَل(1) ثلاثةَ أشواط من الحجر إلى الحجر، وهو مضطبِع(2) بردائه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فَوْره ذلك، وكان قد اضطرب بالأبطح، فرجع إلى منزله، فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم التروية إلى مِنًى، فبات بها، ثم غدا إلى عرفات، فوقف بالهضاب منها، وقال: " كلُّ عرفةَ [موقفٌ إلا بطن عُرَنَة](3) "، فوقف على راحلته يدعو، فلما غربت الشمس دفع بجمل يسير العنَق(4) حتى جاء المزدلفة، فنزل قريبا من النار، فصلى المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ثم بات بها، فلما برق الفجر صلّى الصبح، ثم ركب راحلته، فوقف على قُزَح(5) وقال: " كلّ المزدلفة موقفٌ إلّا بطن مُحسِّر(6) "، ثم دفع قبل طلوع الشمس، فلما بلغ إلى محسر أوضع(7)، ولم يزل يلبّى حتى رمى جمرة العقبة، ثم نحر الهَدْى وحلَق رأسه، وأخذ من شاربه وعارِضيه، وقلم أظفاره، وأمر بشَعره وأظفاره أن تُدفن، ثم أصاب الطِّيبَ، ولبس القميص، ونادى مناديه بمنًى: إنها أيّام أكلٍ وشرب وباءة، وجعل يرمى الجمار فى كل يوم عند زوال الشمس، ثم خطب الغد من يوم النَّحْر بعد الظهر

(1) رمل : هرول . (2) اضطبع بردائه : أدخله تحت إبطه الأيمن ورد طرفه على يساره وأبدى منكبه الأيمن وغطى الأيسر . (3) الزيادة عن ابن سعد جـ ٢ : ١٢٥

(4) العنق بالتحريك : ضرب من السير . (5) قزح كعمر : جبل بالمزدلفة .

(6) بطن محسر : واد بالمزدلفة . (7) من الوضع محركة ، وهو أهون سير الدواب .

على ناقته القَصْواء، ثم صَدَر يومَ الصَّدَر الآخر، وقال: « إنما هنّ ثلاث يقيمهنّ المهاجر بعد الصَّدَر »، يعنى بمكة، ثم ودّع البيت، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ذكر الخُطْبة التى خطبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته التى بيّن فيها مابيّن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

« أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغتُ، فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، وإنّ كلّ ربًا موضوع، وإن لكم رءوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون، قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العبّاس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كلّ دمٍ فى الجاهليّة موضوع، وأن أوّل دمائكم أضعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضَعا فى بنى ليث، فقتلته هُذَيل — فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية » .

« أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبدا، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضىَ به، ممّا تَحقِرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم » .

« أيها الناس، إن النّسىءَ زيادةٌ فى الكفر يُضَلّ به الّذين كفروا يُحِلّونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطِئوا عِدة ما حرم الله فيُحِلُّوا ما حرّم الله ويحرّموا ما أحلّ الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلَق الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشَرَ شهرًا منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثةٌ متوالية، ورجب مُضَر الّذى بين جُمادَى وشعبان » .

" اما بعد أيّها الناس، فإن لكم على نسائكم حقًّا، ولهنّ عليكم حقّا، عليهنّ أن لا يوطئن فُرُشكم أحدا تكرهونه ، وعليهنّ ألّا يأتين بفاحشة مبيّنة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع، وتضربوهنّ ضربا غيرَ مبرّح ، فإن آنتهين فلهُنّ رزقُهنّ وكسوتُهنّ بالمعروف، وآستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهنّ عندكم عَوان ، ١٤١ / ١٥ لا يملكن لأنفسهنّ شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، وآستحللتم فروجَهنّ بكلمات الله ، فآعقلوا أيها الناس قولى ، فإنّى قد بلّغتُ ، وقد تركت فيكم ما إن آعتصمتم به فلن تضلّوا أبدا، أمرًا بيّنًا : كتاب الله وسنّة نبيّه " .

"أيّها الناس، اسمعوا قولى وآعقلوه، تعلّمن أن كلّ مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لآمرئ من أخيه إلّا ما أعطاه عن طِيب نفس ، فلا تظلِمُنّ أنفسكم، اللهم هل بلّغتُ " ، فقال الناس : اللهم نعم، فقال : " اللّهم آشهد " .

وقال آبن إسحاق أيضا : حدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد، قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعةَ بنُ أميّة بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل يأيّها الناس إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : هل تدرون أىّ شهر هذا؟ فيقوله لهم، فيقولون : الشهر الحرام، فيقول لهم : " إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوْا ربّكم كحرمة شهرِكم هذا"، ثم يقول : " قل يأيّها الناس، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدرون أىّ بلد هذا"؟ قال : فيصرخ به؛ قال : فيقولون : البلد الحرام، قال : فيقول : " قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا"، ثم يقول : " قل يأيّها الناس، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدرون أىّ يومٍ هذا" ؟

فيقولون : يوم الحجّ الأكبر ؛ قال : فيقول : "قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا " .

وعن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتّاب بن أَسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنّ لُغامها(١) ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : "أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقّه ، وإنه لا تجوز وصيّة لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجَر ، ومن آدّعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرفا ولا عَدلا " .

وأمّا عُمَرُه صلّى الله عليه وسلّم

فقد رَوَى عِكرمة عن آبن عباس رضى الله عنهما ، قال : اعتمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أربع عُمَر : عُمرة الحديبية ، وهى عُمرة الحصر ، وعُمرة القضاء مِن قابل ، وعُمرة الجِعرانة ، والرابعة التى مع حجّته .

وعن قتادة ، قلت لأنس بن مالك : كم آعتمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال : أربعا ، عَدّ منها عُمرته مع حجّته ، وقد قدّمنا ذكر عُمرة الحديبية مع الغزوات ، وَذَكرْنا عمرَة الجِعِرّانة عند ذكرنا لقسم مغانم حُنين ، وعُمرته مع حجّته قد آختلف فيها .

وأمّا عُمرة القضاء

فقد أوردها بعض أهل السِّيَر فى الغزوات ، وترجَم عليها : « عُمرة القضيّة » ، وحُجّة من أوردها فى الغزوات أنه صلى الله عليه وسلم خرج معه السلاح ، ولم يخرج به

(١) لغم الجمل : رمى بلغامه أى زبده .

صلى الله عليه وسلم لقصد الغزاة ، وإنما خرج به آحتياطا . وكان من خبر هذه العمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آستهل هلال ذى القعدة سنة سبع من مهاجَره أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدّهم المشركون عنها بالحديبية ، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ؛ فلم يتخلف منها إلا من مات ١٤٢/١٥ أو قتل بخيبر ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عُمّارا ممن لم يشهد الحديبية ، فكانوا فى عُمرة القضيّة ألفين ، وآستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذَر الغِفارىّ ، حكاه ابن سعد — وقال ابن إسحاق : عويف بن الأضبط الدِّيلىّ — وساق صلى الله عليه وسلم ستّين بَدَنة ، وجعل على هَدْيه ناجيةَ بنَ جُنْدب الأسلمىّ .

قال آبن سعد : وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاحَ والبيض والدُّروع والرماح، وقاد مائة فرس ، فلما آنتهى إلى ذى الحُلَيفة ، قدّم الخيل أمامه ، عليها محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح ، وآستعمل عليه بشير بن سعد ، وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد، ولبّى والمسلمون معه يلبّون . ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل إلى مَرّ الظَّهْران فوجد بها نفرا من قريش ، فسألوه ، فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصبّح هذا المنزل غدا إن شاء الله، فأتوا قريشا بالخبر، ففزعوا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرّ الظهران، وقدّم السلاح إلى بطن يأجُج حيث [ينظر][1] إلى أنصاب الحَرَم، وخلّف عليه أوسَ بن خَوَلىّ الأنصارى فى مائتى رجل ، وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال ، فقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الهَدْىَ أمامه، فحُبِس بذى طُوًى ، وخرج على راحلته القصواء

(١) التكملة من الزرقانى ٢ : ٣٠٥ وابن كثير ٤ : ٢٣١

والمسلمون متوشّحون السيوفَ ، محدقون به صلّى الله عليه وسلّم يلبّون ، فدخل على الثنية التى تُطلِعه على الحَجون ، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يقول :

خلّوا بنِى الكفّار عن سبيلِهِ * خلّوا فكلّ الخير فى رسولِهِ
يا ربِّ إنّى مؤمنٌ بقيلِهِ * أعرِفُ حقَّ الله فى قبولِهِ
نحن قتلناكُمْ(١) على تأويلِهِ * كما قتلناكُمْ على تنزيلِهِ
ضربا يزيل الهامَ عن مقيلِهِ * ويُذهِل الخليلَ عن خليلِهِ

قال ابن هشام: قوله «نحن قتلناكُمْ على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمّار بن ياسر فى غير هذا اليوم .

قال ابن سعد : ولما ارتجز ابنُ رَواحة قال له عمر بن الخطّاب : إيها(٢) يا بن رَواحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ياعمر، إنى أسمع"؛ فأسكتَ عمر، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إيهاً(٢) يا بن رواحة! ، قل لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده"، فقالها ابنُ رواحة . ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى حتى استلم الركنَ بمِحْجَنه مُضْطَبِعا بثوبه، وطاف على راحلته ، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم ، ثم طاف بين الصفا والمروة على راحلته،فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهَدْىُ عند المروة قال: "هذا المَنْحر،وكلّ فِجَاج مكّةَ مَنحر"،فنحر عند المروة،وحلق هناك،وكذلك فعل المسلمون،وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح، ويأتى الآخرون فيقضوا نُسُكَهم ؛ ففعلوا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا. وتزوج ميمونةَ بنت الحارث الهلاليّة، فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سُهَيل بن عمرو وحُوَيطب بنُ عبد العزى

(١) فى . . : «ضربناكم» .
(٢) إيها : كلمة استزادة واستنطاق .

فقالا : قد آنقضى أجلُك، فآخرج عنّا، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل وقال : لا يُمسِيَنّ بها أحد من المسلمين، وأخرج عُمارةَ بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل سَرِف وتتامّ الناسُ إليه، وأقام أبو رافع بمكة حتى أَمسَى، فحمل إليه ميمونةَ، فبَنَى عليها صلى الله عليه وسلم بسَرِف، ثم أَدلجَ فسار حتى قدم المدينة، صلّى الله عليه وسلّم تسليما كثيرا .

كمل الجزء السابع عشر من كتاب " نهاية الأرب فى فنون الأدب " للنويرى رحمه الله . ويليه الجزء الثامن عشر وأوّله : (وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

[صورة ما جاء فى آخر هذا الجزء بنسخة ا]

« كمل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للإمام النويرى رحمه الله ؛ وكان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك سلخ جمادى الأولى من شهور سنة سبع وستين وتسعمائة ، وذلك على يد كاتبه نور الدين بن شرف الدين العاملىّ بلدا ، الشافعىّ مذهبا ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عيوبه ، ولمن يدعو له بالمغفرة والرحمة ولوالديه . آمين » .

[صورة ما جاء فى آخر هذا الجزء أيضا بنسخة جـ]

« كمل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكرى التيمى القرشى المعروف بالنويرى عفا الله عنهم ؛ ووافق الفراغ من كتابته فى يوم الاثنين المبارك لسبع خلون من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمائة أحسن الله تقضّيها بالقاهرة المعزّية . يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء السادس عشر : ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فهـــرس المــــراجع

الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨

أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، الوهبية ١٢٨٠

الإصابة فى تمييز الصحابة ، الشرفية بمصر ١٣٢٥

الأغانى ، طبع بولاق ١٢٨٥

الأغانى ، طبع دار الكتب المصرية .

الإكمال لابن ما كولا ، مخطوطة دار الكتب ١٧ مصطلح حديث

إمتاع الأسماع للمقريزى ، طبع لجنة التأليف والترجمة ١٩٤١

البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة بمصر ١٣٥١

تاريخ ابن الأثير ، ليدن ١٨٩٥

تاريخ الطبرى ، ليدن ١٨٨٩ م .

تفسير الطبرى ، بولاق ١٣٣٠

تفسير القرطبى ، طبع دار الكتب المصرية .

دلائل النبوة للبيهقى ، مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٢ حديث

ديوان الأعشين ، بيانه ١٩٢٧ .

ديوان حسان بن ثابت ، الرحمانية ١٣٤٧

ديوان الحماسة ، طبع بن ١٨٣٨ م .

الروض الأنف للسهيلى ، الجمالية ١٣٣٢

السيرة النبوية لابن هشام ، طبع الحلبى ١٣٥٥

شرح السيرة لأبى ذر الخشنى ، هندية بمصر ١٣٢٩

شرح المواهب اللدنية الزرقانى ، بولاق ١٢٧٨

صحيح البخارى ، بولاق ١٢٩٦

صحيح مسلم ، بولاق ١٢٩٠

طبقات ابن سعد ، ليدن ١٣٢٢

الكشف والبيان الثعلبى ، مخطوطة دار الكتب برقمى ٢٥٦ ، ٧٩٧ تفسير .

عيون الأثر ، القدسى ١٣٥٦

معجم البلدان ، جوتنجن ١٨٩٩ م .

معجم ما استعجم للبكرى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٥ م .

مغازى الواقدى ، كلكتا ١٨٥٥م .

استـــدراك

ورد فى صفحة ٥٣ سطر ٦ البيت الآتى كما فى الأصلين :

ولسنا على الأدبار تدمَى كلومُنَـا ... ولكن على أعقابِنَـا تقطـرُ الدِّما

وصـــوابه هكذا :

فلسْنَا على الأعقابِ تدمَى كلومُنا ... ولكن على أقدامنا تقطـرُ الدِّما

وهو للحُصَين بن الحُمَـام المُرّى من قصيدة له أوّلها :

تأخرت أستبقى الحيـاة فـلم أجد ... لنفسى حيـاة مثـل أن أتقـدما

يقول : نحن لا نولّى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ؛ ولكن نستقبل السـيوف بوجوهنا ؛ فإن إصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا . انظر لسان العرب (مادة دمى)، والحماسة للتبريزى ص ٩٣، والشعر والشعراء ص ٦٣٠

تراثنا



في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

---

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

السِّفر الثامن عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

فهرس

السِّفْر الثامن عشر

من

كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرىّ

صفحة

وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة

صفحة

صفحة

أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفحة

ذكر من تزوجهن صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن ومن دخل بهن وطلقهن ، ومن وهبت نفسها له

من خطبهن صلى الله عليه وسلم ولم يتفق تزويجهن

صفحة

أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم

خدم رسول الله الأحرار وعددهم

موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفحة

صفحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة من الهجرة ، ولذلك سُميت سنة الوفود . وذلك أن العرب إنما كانوا ينتظرون فتح مكة و إسلام هذا الحى من قريش ، فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة — شرفها الله تعالى — وأسلم مَنْ أسلم من قريش ، وفدت عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجهة . ودخلوا فى دين الله أفواجا ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أوردَه أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع فى طبقاته الكبرى ، ونذكر ما أوردَه ابن سعد ممن ذكرهم أبو محمد عبد الملك ابن هشام رحمه الله ، إلا أنا نبدأ من ذلك بذكر مَن وَفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة ، ثم نذكر مَن وَفد عليه صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكة ، نقدمهم على حسب السابقة ، ثم نذكر من عدا هؤلاء من الوفود الذين وَفدوا فى سنة تسع ومابعدها ؛ نرتبهم على ما رتبهم محمد ابن سعد فى طبقاته فى التقديم والتأخير ، ونستثنى منهم من تقدم ذكره ؛ فنقول وبالله التوفيق :

ذكر من وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكّة قبلَ الهِجْرَة

وَفَد عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة غِفَارُ، وأَزْدُ شَنُوءَة، وهَمْدان، والطُّفَيل بن عَمْرو الدَّوْسيّ، ونصارى الحبشة.

ذكر وَفْد غفار وقِصَّة أبي ذَرّ الغِفَارِيّ في سبب إسلامه

رَوَى الشَّيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم بـ «دلائل النبوّة» بسنده إلى عبد الله بن الصَّامت، قال قال أبو ذرّ رضي الله عنه: خرجنا عن قَوْمنا غِفار، وكانوا يُحِلّون الشّهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أُنَيْس وأمّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذي مال وذي هيئة[1]، فأكرمنا وأحسن إلينا، فحَسَدَنا قومُه، فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خالَف إليهم أُنَيْس، قال: فجاء خالُنا فنَثَا[2] علينا ما قيل له، فقلت له: أمّا ما مضى من معروفك فقد كدّرتَه، ولا جِماع[3] لك فيما بعد. قال: فقرّبْنا صِرْمتنا[4] فاحتَمَلنا عليها [ويغطّي خالُنا ثوبَه فجعل يبكي][5] وانطلقنا حتى نزلنا بحَضْرة مكّة، فنافَرَ أُنَيْسٌ عن صِرْمتنا وعن مِثْلها، فأتينا الكاهن فخيّر أُنَيْسًا[6]، فأتانا بصِرْمتنا ومِثْلِها معها. قال أبو ذرّ: وقد صلّيتُ يابن أخي قبل أن أَلْقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين. قال ابن الصامت: فقلت لمن؟ قال: لله. قلت: فأين تَوَجَّهُ؟ قال: أتوجّه حيث وَجَّهني الله[7]؛ أصلّي عِشاء

(١) في الدلائل: «هيبة». (٢) نثا علينا: أي أظهره إلينا وحدّثنا به. وفي الدلائل: «فنثاك». (٣) جماع: اجتماع. (٤) الصرمة: القطعة من الإبل، واختلف في عددها، فقيل: هي من العشرة إلى الأربعين، وقيل غير ذلك. (٥) الزيادة من الدلائل. (٦) في الأصل: «فنفر أنيسا». وفي الطبقات: «فخبّر أنيسا بما هو عليه». (٧) في الدلائل: «يوجهني».

حتى إذا كان من آخر الليل أُلْقِيتُ كأنى خِفَاءٌ(١) — يعنى الثوب — حتى تعلونى الشمسُ . فقال أُنَيْس : إن لى صاحبا بمكة(٢) فاكْفِنِي حتى آتيك . فانطلق أُنَيْسٌ حتى أتى مكة فراثَ(٣) علىّ ، ثم أتانى فقلت : ماحبَسَك ؟ قال : لَقِيتُ رجلا بمكة يزعم أن الله أرسله على دينك(٤) . قال : قلت ماذا يقول الناس فيه؟ قال : يقولون إنه شاعرٌ وساحرٌ وكاهنٌ . قال : وكان أُنَيْس أحد الشُّعراء — وفى رواية عنه : والله ما سمعت بأشعر من أخى أُنَيْس — لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية أنا أحدهم . قال فقال أُنَيْس : لقد سمعتُ قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أَقْراء الشِّعر(٥) فلم يلتئم ، وما يلتئم والله على لسان أَحَد بعدى أنه شِعْرٌ ، والله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون . قال : قلت له هل أنت كافىّ حتى أنطلق فأنظر ؟ فقال : نعم! وكُنْ من أهل مكة على حَذَر ، فإنهم قد شَنِفُوا(٦) له وتجَهَّموا . فانطلقت حتى قدمت مكة ، فتَضَعَّفْتُ(٧) رجلا منهم فقلت : أين هذا الذى تدعونه الصابئ ؟ قال : فأشار إلىّ ، الصابئ(٨) ! فمال علىّ أهل الوادى بكل مَدَرة وعَظْم حتى خَرَرتُ مغشيا علىّ . قال : فارتفَعْت حين ارتفعت كأنّى نُصُبٌ(٩) أحمر ، فأتيت زَمْزَم فشربت من مائها ، وغسلت عنّى الدم ، ودخلت بين الكعبة وأستارها ، ولقد لبثت يا ابن أخى ثلاثين من بَيْن ليلة و يوم ومالى طعام إلا ماء زمزم ، فسمِنتُ حتى تكسّرت عُكَنُ بطنى ، وما وجدت على كَبدى سُخْفَةَ(١٠) جوع . قال : فبينا أهل مكة فى ليلة

---

(١) الخفاء (بالكسر) : يعنى الكساء وكل شىء غطيت به شيئا فهو خفاء ، وقد فسره المؤلف .

(٢) فى الدلائل والطبقات : إن لى حاجة ... الخ . (٣) راث : أبطأ . (٤) فى الدلائل : «على دينه» : أى على دين الله . (٥) أقراء الشعر : طرقه وأنواعه . (٦) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره . وتجهم له : استقبله بغلظة ووجه كريه . (٧) تضعفت : استضعفت . (٨) فى الطبقات : «هذا الصابئ» . (٩) النصب : الصنم ، والمعنى أنهم ضربوه حتى أدموه فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح . (١٠) سخفة الجوع : رقته وهزاله .

قمراءَ إضْحِيانٍ[1]، قد ضرب الله على أَصْمِخَة أهل مكة فما يطوف بالبيت أحدٌ غير آمرأتين وهما تدعوان إسافًا ونائلةَ[2]، فأتتا علىّ فى طوافهما فقلتُ: أنكحا إحداهما الأخرى، فما ثناهما ذلك عما قالتا[3]. فأتتا علىّ فقلتُ: هَنٌ مثل الخشبة غيرَ أنى لا أَكْنِى، فآنطلقتا تُوَلْوِلانِ وتقولان: لو كان ههنا أحدٌ من أنفارنا! قال: فآستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل، فقال لهما: مالكما؟ قالتا: الصّابئ بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمةً تملأ الفَمَ. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه [فآستلم الحجر ثم طاف بالبيت هو وصاحبه[4]] ثم صلّى، فلما قضى صلاته قال أبو ذرّ: فأتيته فكنتُ أوّل من حيّاه بتحيّة الإسلام، فقال: «وعليك ورحمة الله»، ثم قال: «ممن أنت»؟ قلتُ: من غِفَار، قال: فأهوى بيده فوضع يده على جبينه، فقلت فى نفسى: كره أنى آنتميت إلى غِفَار، قال: فأهوَيْتُ لآخذ بيده، فقَدَعَنى[5] صاحبُه وكان أعلم به منّى، ثم رفع رأسه فقال: «متى كنت ههنا»؟ قلت: منذ ثلاثين من ليلة ويوم[6]، قال: «فمن كان يطعمك»؟ قلت: ما كان لى من طعام إلا ماء زمزم، فسَمِنْتُ حتى تكسَّرت عُكَنُ بطنى، وما وجدت على كبدى سُخْفَةَ جوع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها مباركةٌ، إنها طعامُ طُعْمٍ[7]، وشفاء سُقْمٍ» فقال أبو بكر: يا رسول الله! ائذن لى فى إطعامه الليلة، ففعل، فآنطلق رسول الله

---

(١) أضحيان: مضيئة مقمرة. يقال: ليلة إضحيان وإضحيانة؛ والألف والنون زائدتان.

(٢) إساف ونائلة: صنمان. (٣) فى الأصول: «قالا». وفى الطبقات: «عن قولهما».

(٤) الزيادة من الدلائل. (٥) قدعنى: منعنى. وفى ابن الأثير فذهبت أقبل بين عينيه فقدعنى بعض أصحابه.

(٦) فى الدلائل: قد كنت ههنا منذ ثلاثين ليلة ويوم. وفى الطبقات: من بين ليلة ويوم.

(٧) طعام طعم: أى يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما شبع من الطعام.

صلى الله عليه وسلّم وأبو بكر، وآنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زبيب الطّائف، فكان ذاك أوّل طعام أكلته بها، قال : فغبرتُ(١) ما غبرت . ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنى وُجِّهتُ إلى أرض ذات نخـل لا أحسبها إلا يَثْرِبَ ، فهل أنت مبلغ عنّى قومك لعل الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم » ؛ قال : فآنطلقت حتى أتيت أخى أُنَيْسًا فقال لى : ماصنعت ؟ قلت : أسْلَمْتُ وصدّقتُ . قال : فما بى رغبةٌ عن دينك، فإنى قد أسلمت وصدّقت . ثم أتينا أُمّنا ، فقالت : مابى رغبة عن دينكما ، فإنى قد أسلمت وصـدقت ، قال : ثم آحتملنا حتى أتينا قومنا غِفارا ، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان يؤمّهم خُفافُ بن إيماء ابن رَحَضَة الغِفارىّ ، وكان سيّدهم يومئذ(٢)، وقال بقيّتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا ؛ فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم بقيّتهم ؛ وجاءت أَسْلَمُ، فقالوا : يا رسول الله ! إخواننا(٣) ، نُسْلِم على الذى أسلموا عليه . فأسلموا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غِفَار غَفَر الله لها وأَسْلَمُ سالمها الله » .

وهذه الرواية فى خبر إسلام أبى ذرّ ، قد روى مسلم فى صحيحه نحوها ، وهى تخالف رواية البخارىّ .

وروى البيهقىّ عن أبى ذرّ قال : كنت رُبُعَ(٤) الإسلام، أسلم قبلى ثلاثةُ نفر وأنا الرابع ، أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يا رسول الله، أشهد

---

(١) غبرت ما غبرت : أى مكثت ما مكثت . (٢) فى أسد الغابة : كان أبوه سيد غفار وكان هو إمام بنى غفار . وفى التـاج : خفاف كغـراب ، وأبوه إيمـاء بكسر الهمزة والمـد وفتحها والقصر ، ورحضة قيل محركة ويقال بالضم ويقال بالفتح . (٣) أى غفار .

أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله ، فرأيت الأستبشار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى آبن عباس رضى الله عنهما، قال : لما بلغ أبا ذر مَبْعَثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قال لأخيه أُنَيْس : آركب إلى هذا الوادى ، فأعلم لى عِلم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، وآسمع من قوله ، ثم آيتنى؛ فآنطلق حتى قدِم مكة وسمع مِن قوله ثم رجع ، فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاما ماهو بالشعر . قال : ما شَفَيْتنى فيما أردت ، فتزوّد وحمل شَنَّة له فيها ماءٌ حتى قدم مكة فأتى المسجد ، فالتمس النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل ، فآضطجع فرآه علىّ بن أبى طالب ؛ فقال : كأنّ الرجل غريبٌ ، قال : نعم ، قال آنطلق إلى المنزل ، قال : فآنطلقت معه لايسألنى عن شىء ولا أسأله ، فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد ، وبقيتُ يومى حتى أمسيتُ وصرت إلى مَضْجَعِى ، فمرّ بى علىّ بن أبى طالب ، فقال : أما آن للرّجل أن يعرف منزله ؟ فأقامه وذهب به معه ، وما يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شىء ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فأقامه علىٌّ معه ، ثم قال : ألا تحدّثنى ما الذى أقدمك هذا البلد؟ قال : إن أعطيتنى عَهْدا وميثاقا لَتُرشدنى فعلْتُ ، ففعل ؛ فأخبره علىّ أنه نَبىٌّ ، وأنّ ماجاء به حَقٌّ ، وأنّه رسول الله ، قال : فإذا أصبحتَ فآتّبعنى ، فإنى إن رأيتُ شيئا أخاف عليك قُمْتُ كأنّى أُريق الماء ، فإن مَضيتُ فآتبعنى حتى تدخل مَدْخَلى ، قال : فآنطلقت أقْفُوه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت معه وحييت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحيّة الإسْلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله! فكنت أوّل من حياه بتحية الإسلام ، فقال : "وعليك السلام ، من

أنت"؟ قلت: رجل من غفار. فعرض عليّ الإسلام. فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارجع إلى بلاد قومك، وأخبرهم، واكتم أمرك عن أهل مكة. فإنى أخشاهم عليك". فقلت: والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين أظهرهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فثاب القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم! وأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها. وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه. ثم لحق بقومه. وكان هذا أول إسلام أبى ذر.

ومن رواية الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب قال: قدم أبو ذر على النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه. فكان يسخر بآلهتهم، ثم إنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. فلما رآه وهم فى اسمه. فقال: «أنت أبو نملة»؟ قال: أنا أبو ذر، قال: «نعم أبو ذر».

ذكر وفد أزد شنوءة وكيف كان إسلام ضماد

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى — رحمه الله — بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم، قال: قدم ضماد(٣) مكة، وهو رجل من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الرياح، فسمع سفهاء(٤) الناس يقولون: إن محمدا

(١) ثاب: أى أقبل. ولعلها «ثار» كقوله بعد «ثاروا». (٢) ثار إلى الشر: نهض. (٣) ضماد كغراب ابن ثعلبة الأزدى، قال فى أسد الغابة: كان صديقا للنبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية، وكان يتطبب ويرقى ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام. ويروى ضمام بالميم.
(٤) فى الدلائل: «فسمع سفهاء من سفهاء الناس».

مجنونٌ ، فقال : آتى هـذا الرجل لعـل الله أن يَشْفيه على يدىّ ، قال : فلقيت محمدا ، فقلت : إنى أُرْقِى من هـذه الرياح ، وإن الله يَشْفى على يدى من يشاء ، فهلُمَّ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الحمـد لله نحمده ونستعينه ، مَن يهده الله فلا مضـلّ له ، ومَن يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله » ثلاث مرات ، فقال : تالله لقد سمعت قول الكَهَنَة ، وقول السَّحَرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهلمّ يَدك أبايعك على الإسلام ، فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : « وعلى قومك » ؟ فقال : وعلى قومى، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريّة فمرّوا بقوم ضِماد، فقال صاحب الجيش للسريّة : هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل منهم : مِطْهَرة(١)، فقال : « ردّوها عليهم فإنهم قوم ضِماد » . رواه مسلم فى صحيحه .

وروى القاضى عِياض بن موسى فى كتابه المترجَم بـ(الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى) : أن ضِمادا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعِدْ علىّ كلماتك هؤلاء فلقد بَلَغْن قَامُوسَ(٢) البحر ، هات يديك أبايعك .

ذكر وفد هَمْدان

قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثنا حِبّان ابن هانِئ بن مسلم بن قَيْس بن عمرو بن مالك بن لَأْي الهَمْدانىّ ثم الأَرْحَبىّ(٣) عن أشياخهم ، قالوا : قدِم قيسُ بن مالك بن سعد(٤) بن مالك بن لَأْي الأَرْحَبىّ على رسول

(١) المطهرة بالكسر والفتح : إناء يتطهر به ويتوضأ مثل سطل أو ركوة ، والمطهرة الأداوة . وزاد فى الدلائل : « أصبت منهم » . (٢) قاموس البحر : قعره . (٣) أرحب : بطن من همدان . قيس بن مالك كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم بعد أن كتب إليه . وكتابه صلى الله عليه وسلم إليه مذكور فى أسد الغابة وغيره . (٤) فى نسخة أ : سعد بن سعيد بن مالك ، وفى نسخة ح : سعد بن منقذ بن مالك ؛ وليس بصحيح ، وإنما هو سعد بن مالك كما فى ابن سعد وغيره .

الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، فقال : يارسول الله أتيتُك لأومنَ بك وأنصُرَك، فقال له : «مَرحبًا بك، أتأخذونى بما فىّ يامعشر هَمْدان »؟ قال : نعم، بأبى أنت وأمّى، قال: «فاذهب إلى قومك، فإن فعلوا فارجع أذهب معك »، فخرج قيس إلى قومه، فأسلموا واغتسلوا فى جَوْف المحـورة (١) — وهو ماءٌ يغتسلون فيه — وتوجّهوا إلى القِبلة، ثم خَرَج (٢) بإسْلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : قد أسلم قومى وأمرونى أن آخذك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نِعمْ وافدُ القوم قيسٌ »، وقال: «وفيْتَ وفَى الله بك »، ومَسَح بناصيته، وكتب عهدَه على قومه هَمْدان : أحمورِها (٣) وعَرَبِها وخَلائِطها ومَوَاليها أن يسمعوا له ويُطيعوا، فإنّ لهم ذمّة الله وذمّة رسوله ما أقَمْتم الصّلاة وآتيتُمُ الزّكاة، وأطْعَمه ثلثمائة فَرَق (٤)، من خَيْوانَ مائتان : زبيبٌ وذُرةٌ شَطْران (٥)، ومن عُمْران الجَوْف (٦) مائة فَرَق بُرّ، جاريةٌ أبدًا من مال الله .

ومن طريق آخر له قال : عَرَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسَه بالمَوْسم على قبائل العرب، فمرّ به رجلٌ من أرْحَب يقال له : عبد الله بن قيس بن أمّ

(١) كذا فى الأصول وفى ابن سعد . وجوف المحورة : موضع ببلاد همدان، انظر معجم البلدان «جوف» . (٢) فى الأصول : «خرجوا»، وما أثبتناه عن الطبقات . والمقام يقتضيه .

(٣) أحمورها : قدم، وآل ذى مران، وآل ذى لعوة، وأذواء همدان، كذا فى الطبقات . وفى أسد الغابة : حمورها (بغير ألف) . أهل القرى، من الحمرة سمى أهل القرى بالحمرة لأنهم بيض، والعرب تطلق الأحمر وتريد الأبيض، وعربها أهل البادية . وفيه : وعربهم وحمورهم ومواليهم . وليس فيه خلائط، وإن صح فلعل اللفظ خلطائها، وهو جمع خليط، وهم أخلاط الناس . فى الطبقات : «وغربها (بالغين المعجمة) أرحب، ونهم، وشاكر، ووادعة، ويام، ومرهبة، ودالان، وخارف، وعذر، وحجور» . (٤) الفرق (بفتحتين): مكيال؛ يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وخيوان : بلد باليمن .

(٥) شطران بالفتح ويكسر أى نصفان .

(٦) عمران كثمان : قرية من بلاد مراد باليمن بالجوف بها .

عَزالى . فقال : « هل عند قومك من منعة » ؟ قال : نعم ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم ، ثم إنه خاف أن يُخفِره[1] قومه فوعده الحج من قابل ، ثم وجه الهَمْدانى يريد قومه ، فقتله رجلٌ من بنى زُبيد يقال له ذُباب ، ثم إن فتيةً من أَرْحَب قتلوا ذُبابا الزُّبيدى بعبد الله بن قيس . هذا قبل الهجرة .

وأما بعد الهجرة ، فقد روى محمد بن إسحق رحمه الله ، قال : قدم وَفْدُ هَمْدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نَمَط ، وأبو ثور وهو ذو المِشْعار ، ومالك بن أَيْفَع ، وضِمام بن مالك السَّلْمانى ، وعَمِيرة بن مالك الخارِفى ، فلقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبُوك ، وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرات[2] والعمائم العَدَنيَّة . برحال المَيْس[3] على المَهْرِيَّة[4] والأَرْحَبِيَّة[5] . ومالك بن نَمَط ، ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدانُ خيرُ سُوقَةٍ وأَقْيالْ[6] * ليس لها فى العالمين أَمْثالْ
مَحَلُّها الهَضْبُ[7] ومنها الأَبْطالْ * لها إطاباتٌ[8] بها وآكالْ

---

(١) يخفره قومه : ينقضون عهده وذمامه .

(٢) الحبرات جمع حبرة ، وزان عنبة : ثياب يمنية من قطن أو كتان مخطط يقال له : برد حبرة على الوصف أو على الإضافة ، والعدنية نسبة إلى عدن .

(٣) الميس : الشجر الذى يصنع منه الرحال .

(٤) المهرية : نوع من النجائب المنسوبة إلى مهرة ، وهى قبيلة عربية تسكن أعالى اليمن الشمالية .

(٥) والأرحبية نسبة إلى أرحب بطن فى همدان ، وانظر السهيلى ٢ : ٣٤٩ .

(٦) الأقيال جمع قيل وهو الملك فى لغة أهل اليمن .

(٧) يريد المرتفعات من الأرض واحدها هضبة . (٨) الإطابات : الأطعمة الطيبة ، من أطاب قدم طعاما طيبا ، وفى نسخة جـ : الرطابات . وآكال : مآكل الملوك كما فى اللسان . وفى شرح السيرة الخشنى ٢ : ٤٤٧ : « آكال : هو ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة عليهم له » .

ويقول الآخر :

إليك جاوزن سواد الريف * في هبوات[1] الصيف والخريف ٥ / ١٦
مخطمات[2] بحبال الليف

فقام مالك بن نمط بين يديه ، ثم قال : يا رسول الله ! نصية[3] من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص[4] نواج ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف[5] خارف ويام وشاكر ، أهل السود[6] والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلهات الأنصاب ، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع[7] ، وما جرى اليعفور بضلع[8] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم الحي همدان ، ما أسرعها إلى النصر ، وأصبرها على الجهد ، ومنهم أبدال[9] ، وفيهم أوتاد الإسلام » ، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ؛ فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من [محمد][10] رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب[11] وحقاف الرمل[12] ، مع

---

(١) الهبوات جمع هبوة وهي الغبرة . (٢) مخطمات : مجعول لها خطام من الليف وهو المسد . وفي هذا الصنف نوع يكون منه الخطام فاخرا وافتخاره يدل على أنه يريد الخطام الفاخر من هذا النوع .

(٣) النصية : الأخيار الأشراف . (٤) القلص : ككتب جمع قلوص كرسول وهو الفتى من الإبل . ونواج : جمع ناجية وهي السريعة لأنها تنجو بصاحبها . (٥) المخلاف : المدينة بلغة اليمن . وخارف ويام وشاكر من قبائل اليمن . (٦) السود : الإبل . والقود : الخيل .

(٧) لعلع : جبل . يذكر ويؤنث . قال ابن الأثير : أنثه لأنه جعله اسما للبقعة حول الجبل .

(٨) اليعفور الظبي الذي يشبه لونه التراب أو الظبي مطلقا . والضلع : القوة والشدة . وفي نسخة من سيرة ابن هشام « بصلع » : اسم موضع . (٩) الأبدال الأولياء والعباد ، الواحد بدل كجمل وأجمال ؛ سموا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر . والأوتاد من البلاد : رؤساؤها .

(١٠) الزيادة من سيرة ابن هشام . (١١) جناب الهضب : موضع .

(١٢) الحقاف (بالكسر جمع حقف بالكسر) : الرمل المستطيل المشرف ، وأهل الحديث الشريف يشير إلى رمال الأحقاف ؛ لأنها بالشحر من اليمن .

وَافدها ذى المِشْعار مالك بن نَمَط ، ومَن أَسْلَم من قَوْمه ، على أن لهم فِراعها[١] ووِهاطَها[٢] وعَزازَها[٣] ، يأكلون عِلافَها[٤] ، ويَرْعَوْن عافيَها[٥] ، لنا منهم من دِفْئهم[٦] وصِرامهم[٧] ما سَلَّموا بالمِيثاق والأمانة ، ولهم من الصَّدقة الثِّلْبُ[٨] والنَّابُ[٩] والفَصِيل والفَارِضُ[١٠] والدَّاجِن[١١] والكَبْش الحَوَرِىّ[١٢] ، وعليهم فيها الصَّالِغُ[١٣] والقَارِحُ[١٤] ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزَّكاة ، لهم بذلك عهد الله وذِمامُ رسول الله عليه السلام ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار »[١٥] .

---

(١) الفـراع من الأرض أعاليها . (٢) الوهاط من الأرض المنخفض المطمئن .

(٣) عزاز الأرض : ما صلب منها وخشن واشتد وإنما يكون فى أطرافها . ويقال العزاز المكان الصلب السريع السيل . (٤) العلاف : ما تعلفه الدواب . وهو جمع علف بفتحتين .

(٥) عافيها : النبات الكثير . وفى نسخة جـ : عفاها أى عفوها ، والعفو ما ليس لأحد فيه ملك .

(٦) من دفئهم : أى من إبلهم وغنمهم . والدفء : نتاج الإبل وما ينتفع به منها ، سماها دفئا لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يستدفأ به . (٧) الصرام : قطع النخل ، يقال هذا أوان صرامها أى جزها ، والمراد زكاة التمر . (٨) الثلب بكسر المثلثة : الجمل الذى تكسرت أنيابه من الهرم ، والناب : الهرمة من الإناث . (٩) الفصيل : الصغير من الإبل الذى فصل عن أمه ، وقد يقال فى البقر . (١٠) الفارض : المسن الهرم . (١١) الداجن : هى الحلوبة الملازمة للإنسان ؛ من دجن أقام بالمكان ، وسمى ما يألف الإنسان من شاء وطير وغيره دواجن . (١٢) الكبش الحورى : قال ابن الأثير منسوب إلى الحور وهى جلود تتخذ من جلود الضأن . (١٣) الصالغ بالصاد المهملة آخرها معجمة ، وهو من البقر والغنم الذى كمل سنه ، وذلك فى السنة السادسة . كذا فى النهاية . وفى نسخة : الضالع ، وهو تحريف وعلق عليه محش بأنه المسن . (١٤) القارح من الخيل هو الذى دخل فى السنة الخامسة . (١٥) أورد ابن هشام فى سيرته أبياتا قالها مالك بن نمط فى مدح رسول الله وهى :

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلائح تغتلى ... بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة ... تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفى المهند

ذكر وفادة الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسىّ وإسلامه

قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى : كان الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسى يُحدِّث أنه قدم مكّة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجالٌ من قريش — وكان الطُّفَيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا — فقالوا له : يا طُفَيْلُ ! إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بيْن أظهُرنا قد أعْضَل بنا ، قد فرّق بين جماعتنا ، وشتّت أمْرَنا ، وإنما قوله كالسِّحْر يفرّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نَخْشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ، ولا تسمعن منه شيئا . قال الطُّفَيل : فوالله ما زالوا بى حتى أجْمعتُ على ألّا أسمعَ منه شيئا ولا أكلِّمه . حتى حَشَوْت فى أذنى حين غَدَوْت إلى المسجد كُرْسُفا(١) فَرَقا(٢) من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه(٣) ! قال : فغَدَوْتُ إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلّى عند الكعبة ، فقمت منه قريبا ، فأبى الله إلّا أن يُسْمِعنى بعضَ قوله ، فسمعت كلاما حَسَنا ، فقلت فى نفسى : واثكل أمّى ، والله إنّى لرجلٌ لبيبٌ شاعر ، وما يخفى علىّ الحَسَن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذى يأتى به حسنا قبِلتهُ ، وإن كان قبيحا تركتُه ، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فاتّبعته حتى إذا دخل بيته [دخلت عليه(٤)] فقلتُ : يا محمد إنّ قومك قد قالوا لى كذا وكذا — للذى قالوا — فوالله ما برحوا يخوّفوننى أمرَك حتى سَدَدْتُ أذنى بكُرسُف ألا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسْمِعنى قولك ، فسمعت قولا حسنا ، فاعْرِض علىّ أمرَك . قال :

---

(١) كرسفا : أى قطنا . (٢) فرقا : أى خوفا . (٣) فى ابن سعد : « حتى كان يقال لى ذو القطنتين » . (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام .

فعرض عليّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، وتلا عليّ القـرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمرا أعدلَ منه ، فأسلمتُ ، وشهدت شهادة الحقّ ، فقلت : يا نبيّ الله ! إنى آمرؤ مُطاعٌ فى قومى ، وأنا راجع إليهم فداعِيهم إلى الإسلام ، فآدعُ الله أن يجعـل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم إليـه . فقال : « اللهم آجعل له آية » ، فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بِثَنِيَّة تطلعنى على الحاضِر[1] وقع نورٌ بين عينى مثل المِصْباح ، قلت : اللهـم فى غير وجهى ! إنّى أخْشَى أن يظنوا أنها مُثْـلَة وقعتْ فى وجهى لفراق دينَهم ، قال : فتحوّل النّور فوقع فى رأْس سَوْطى ، فجعل الحاضِرُ يَتَراءَوْنَ ذلك النّور فى سَوْطى كالقِنْديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنِيـة حتى جئتهم ، فأصْبحتُ فيهم ، قال : فلمـا ٦/١٦
نزلتُ أتانى أبى وكان شـيخا كبيرا ، فقلتُ : إليـك عنّى يا أبَتِ ، فلستُ منكَ ولستَ منِّى ، قال : لِمَ يا بنيّ ؟ قلت : أسلمتُ وتابعت دين محمد ، قال : أى بنيّ ! فدينى دينُـك ، قلت : فآذهب وآغتسل ، وطهِّـر ثيابك ، ثم تعـالَ حتى أُعلِّمَك ممـا عُلِّمت ، فذهب فآغتسل وطهّر ثيـابه ثم جاء ، فعرضت عليـه الإسلام فأسلم ، ثم أتتْنى صاحبتى ، فقلتُ : إليكِ عنّى فلستُ منكِ ولستِ منّى ، قالت : لِمَ ؟ بأبِى أنت وأمّى ! قلت : فـرّق بينى و بينـكِ الإسـلام ، وتابعتُ دين محمد عليه السلام . قالت : فدينى دينُك ، قلت : فآذهبِى إلى حِنَا ذِى الشَّرَى[2] — قال آبن هشام : و يقال حِمَى ذِى الشَّرَى — فتطهِّرى منه .

---

(١) الحاضر والحاضرة : الحى العظيم .

(٢) فى ابن سعد : فاذهبى إلى حسى ذى الشرى بكسر الحاء و إسكان السين . وهو سَهـل من الأرض يستنقع فيه الماء . والحمى : ماء حوله الصنم ، ولعـل الحنا هو الحمى بإبدال الميم نونا أو من محنية الوادى .

قال : وكان ذو الشَّرَى صنما لدَوْس ، وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْه له ، وبه وَشَلٌ من ماء يهبط من جبل ، [قال] فقالت : بأبي أنت وأمّي ، أتخشى على الصبية (١) من ذى الشَّرَى شيئا ؟ قلت : [لا ، أنا ضامن لكِ] (٢) ، قال : فذهبتْ فاْغتسلتْ ، ثم جاءت ، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوتُ دَوْسا إلى الإسلام فأبطئوا علىّ ، ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يا نبىّ الله ! إنّه قد غلبَنى على دَوْس الزِّنى (٣) ، فادعُ الله عليهم ، فقال : « اللّهمّ اْهدِ دَوْسا ، اْرجع إلى قومك فاْدعهم واْرفق بهم » ، قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم أسلموا بعد ذلك ، ووَفَدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما نذكر ذلك — إن شاء الله تعالى — فيمن وفد بعدَ الهجرة .

ذكر وفد نصارى الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم

قال محمد بن إسحق : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عِشرون رجلا أو قريبٌ من ذلك من النّصارى حين بلغهم خبرُه من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلّموه ، وسألوه — ورجالٌ من قُرَيش فى أنديتهم حولَ الكعبة — فلما فرغوا من مسألته صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمِعوه فاضَت أعينهم من الدّمع ، ثم اْستجابوا لله تعالى وآمنوا به

(١) تريد زوجة الطفيل بهذا نفسها . وفى أسد الغابة : « أيخاف علىّ من ذى الشرى » ؟
(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام . وفى الأصول : « لا ما أصابك » . ثم بياض .
(٣) فى الطبقات : قد غلبتنى دوس فادع الله عليهم . وروى أنه قال : إن دوسا قد غلب عليه الزنى والربا الخ .

وصدّقوه ؛ وعرفوا منه ما كان يُوصَف لهم فى كتابهم من أمْرِه ، فلمّا قاموا عنه آعترَضَهم أبو جهل بن هشام فى نَفَرٍ من قريش، فقالوا لهم : خيّبكمُ الله من ركْب! بعثكُم مَنْ وراءكم من أهل دينكم تَرْتادون لهم لتأتوهم بخَبَر الرّجل ، فلم تَطْمَئِنّ مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينكم ، وصدّقتموه بما قال ، ما نعلم ركْبًا أحمقَ منكم ! فقالوا لهم : سلامٌ عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحنُ عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ أنفسنا خَيْرا . ويقال : إن النّفر من أهل نَجْران . والله أعلم . فيقال فيهم أنزل الله قوله : « الّذينَ آتيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وإذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » . إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » [1] : وقيل : إنما نزلتْ هذه الآياتُ فى النّجاشى وأصحابه، والآيات التى فى سورة « المائدة » قوله تعالى : « ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » . إلى « الشَّاهِدِينَ » [2]، وكان ممّن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة الأَوْسُ والخزرجُ، وقد تقدم ذكرهم فى بَيْعَة العَقَبة .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد الهجرة وقبل الفتح

وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل فتح مكة : عَبْسٌ ، وسَعْدُ العَشيرة، وجُهَينة، ومُزَينَة، وسعدُ بن بكْر، وأشْجَع، وخُشَيْن، والأشْعَرون، ٧/١٦
وسُلَيم ، ودَوْسٌ ، وأَسْلَم ، وجُذامُ .

(١) آيات ٥٢ — ٥٥ من سورة القصص .

(٢) آيتا ٨٢ — ٨٣ من هذه السورة .

ذكر وفد عَبْس

قال محمد بن سعد : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تِسْعة رَهْط من بنى عَبْس فكانوا من المهاجرين الأولين، منهم مَيْسَرة(١) بن مسروق، والحارث بن الربيع — وهو الكامل — وقَنَان(٢) بن دارِم، وبِشْر بن الحارث بن عُبادة، وهِدْم(٣) بن مَسْعدة، وسِباعُ بن زَيْد، وأبو الحِصْن بن لُقمان، وعبد الله بن مالك، وفَرْوة بن الحُصَين بن فَضَالة فأسلموا؛ فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْر، وقال : « أبغونى رجلا يَعْشِركم أَعقِدْ لكم لِواءً » فدخل طلحة بن عُبيد الله فعقد لهم لِواء، وجعل شعارَهم : يا عشرة .

وقال من طريق آخر : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عِيرا لقريش أقبلت من الشام [فبعث(٤)] بنى عبس فى سرية وعقد لهم لواء ، فقالوا : يا رسول الله ! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة ؟ قال : « أنا عاشركم » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قدم ثلاثة نفر من بنى عَبْس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنه قدِم علينا قوم(٥) فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ، ولنا أموالٌ ومواشٍ هى مَعاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بِعناها وهاجرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله حيث كنتم ، فلن يلِتكم من أعمالكم شيئا ، ولو كنتم بِصَمْدٍ(٦) وجازان(٧) » .

---

(١) نسخة جـ : « ميشر » والتصويب من الطبقات . (٢) فى أسد الغابة : « قنان بنون مكررة » ، قال : أحد التسعة العبسيين . (٣) فى أسد الغابة : « هدم بكسر الهاء وسكون الدال ، هو هدم بن مسعود ، ثم قال : أحد التسعة الخ وفى ابن سعد : ابن مسعدة كالأصل .

(٤) الزيادة من ابن سعد وبنسخة ا بياض . (٥) فى ابن سعد : « قراؤنا » .

(٦) الصمد ، بسكون الميم : اسم ماء للضباب ، وفى اللسان للرباب .

(٧) جازان : موضع فى طريق حاج صنعاء .

ذكر وفد سَعْد العَشِيرة

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبى سَبْرَة الجُعْفِىّ قال : لمّا سَمِعتْ سعدُ العشِيرة بخروج النبى صلى الله عليه وسلم وثَب ذُباب — رجلٌ من بنى أَنَس الله بن سعد العَشِيرة — إلى صنم يقال له فَرَاض فحطمه ، ثم وفد إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال :

تَبِعتُ رسولَ الله إذْ جاء بالهُدى * وخَلَّفتُ فَرَاضًا بِدارِ هَوانِ
شَدَدْتُ عليه شَدَّةً فتركْتُه * كأنْ لم يَكُنْ والدَّهرُ ذو حَدَثانِ (١)
فلمّا رأيتُ الله أظهرَ دينَه * أَجَبْتُ رسولَ الله حِينَ دعانى
فأصبحتُ للإسلامِ ماعِشْتُ ناصرا * وألقيتُ فيها كَلْكَلِى وجِرانِى (٢)
فمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ العشيرةِ أنَّنى * شَرَيْتُ الذى يَبْقَى بآخَرَ فانِى

ذكر وفد جُهَيْنَة

قال ابن سعد : لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وَفَد إليه عبد العُزّى بن بدر بن زيد بن معاوية الجُهَنِىّ ، ومعه أخوه لأمه أبو رَوْعَة وهو ابن عم له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد العُزّى : «أنت عبد الله» وقال لأبى رَوْعة : «أنت رُعْتَ العَدوّ إن شاء الله» وقال : «من أنتم» ؟ قالوا : بنو غَيّان، قال : «أنتم بنو رَشْدان» وكان اسم واديهم غَوَى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم رُشْدا، وقال لجَبَلَىْ جُهينة الأشْعَر والأجْرَد : «هما من جبال الجنة

(١) حدثان الدهر (محركة) وحوادثه : نوائبه وما يحدث منه .

(٢) الكلكل : الصدر والجران باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق فى الرأس، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه على الأرض واستعير للإنسان إذا استقر . والضمير فى « فيها » لدار الإسلام المستفاد من المقام ، أو المدينة المنورة .

لا تطؤهما فتنةٌ »، وخَطّ لهم مسجدَهم، وهو أوّل مسجد خُطّ بالمدينة، وجاء من جُهَينة عمرو بن مُرّة الجُهَنيّ. روى عنه محمد بن سعد بسنده إليه قال: كان لنا صَنَمٌ، وكنّا نعظّمه، وكنتُ سادنه، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ٨/١٦ كسرتُه، وخرجتُ حتى أقدم المدينة على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقدِمْت فأسلَمْتُ وشهدت شهادة الحقّ، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول:

شَهِدتُ بأنّ الله حَقٌّ وأنّني * لآلِهَةِ الأحجارِ أوّلُ تارِكِ
وشَمّرْتُ عَنْ ساقِي الإزارَ مُهاجِرًا * إليكَ أَجُوبُ الوَعْثَ بعْدَ الدّكادِكِ (١)
لأَصْحَبَ خَيْرَ النّاسِ نَفْسًا ووالِدا * رَسُولَ مَلِيكِ النّاسِ فَوْقَ الحَبائِكِ (٢)

قال: فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه إلّا رجلا واحدا ردّ عليه قوله، فدعا عليه عمرو بن مُرّة فسقط فُوه، فما كان يَقدِرُ على الكلام، وعَمِيَ واحْتاجَ.

ذكر وفد مُزَيْنَة

وهذا الوفد هو أوّلُ مابدأ به محمد بن سَعْد من الوُفُود فى طبقاته، فقال: كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُضَر أربعمائة من مُزَيْنة (٣)، وذلك فى شهر رَجب سنةَ خمس، فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهِجْرة فى دارهم وقال: « أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم» فرجعوا إلى بلادهم. وقال محمد بن سعد بسنَد يرفعه إلى أبى مِسْكين، وأبى عبد الرحمن العَجْلانيّ (٤)،

(١) أجوب: أقطع. الوعث: الطريق العسر. الدكادك (جمع دكدك): وهو ما تكبس من الرمل واستوى أو التبد منه بالأرض، أو أرض فيها غلظ. (٢) الحبائك (جمع حبيكة): وهى طرائق النجوم؛ أراد فوق السموات. (٣) مزينة: اسم امرأة عمرو بن أدّ بن طابخة، فذريتها منه يقال لهم مزينة والمزنيون. (٤) العجلانى (بالفتح والسكون): نسبة إلى بنى العجلان، بطن من الأنصار.

قالا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من مُزَيْنة ، منهم خُزاعىّ بن عبد نُهْم[١] فبايعه على قومه مزينة ، وقدم معه عشرةٌ منهم ، فيهم بِلالُ بن الحارث ، والنعمان آبن مُقَرِّن[٢] ، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظنّ فأقام ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسّان بن ثابت ، فقال : « آذكر خُزاعيًّا ولا تهجه » فقال حسّان :

أَلَا أبلِغْ خُزاعِيا رَسُولا * بأنَّ الذَّمَّ يغسِلُهُ الوفاءُ
وأنَّك خيرُ عُثْمانَ بْنِ عَمْرٍو * وأَسْناها إذا ذُكِرَ السَّناءُ
وبايَعْتَ الرَّسول وكان خَيْرا * إلى خَيْرٍ وآداكَ[٣] الثَّناءُ
فما يُعجِزْكَ أو ما لا تُطِقْهُ * مِنَ الأشْياءِ لا تَعْجِزْ عِداءُ

قال : و« عِداء » بَطْنُه الذى هو مِنْه . فقام خُزاعىٌّ فقال : يا قومُ! قد خَصّكم شاعرُ الرجل ، فأَنْشُدُكم[٤] الله . قالوا : فإنّا لا نَنْبُو عليك[٥] ؛ فأسلَموا ووَفَدوا على النبي صلى الله عليه وسلم . فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مُزَيْنَة يوم الفتح إلى خُزاعىّ ، وكانوا يومئذ ألْفَ رجل .

ذكر وَفْد سَعْد بن بَكْر

قال محمد بن إسحق : بعثَتْ بنو سعد بن بَكْر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضِمام[٦] بن ثَعْلَبة[٧] — قال آبن سعْد : فى شهر رجب سنة خمس —

(١) نهم (بالضم) : صنم لمزينة ، وبه سموا عبد نهم . (٢) النعمان بن مقرن بن عائذ المزنى ، كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة ، وآستشهد فى خلافة عمر بنهاوند سنة ٢١ هـ .

(٣) آدى الشىء : كثر ، وآداه ماله كثر حتى ثقل عليه . وفى طبقات آبن سعد طبع ليدن « الثراء » بدل « الثناء » . وفى الأصول والطبقات : « وأدّاك » بهمزة وتشديد الدال .

(٤) يقال : نشدتك الله ، وأنشدك الله وبالله وناشدتك الله وبالله أى سألتك وأقسمت عليك .

(٥) لا ننبو عليك : أى لا نمتنع عما تريده منا . (٦) ضمام (بمعجمة مكسورة ، وخفة الميم الأولى المفتوحة) : هو من أهل نجد كما فى الموطأ . (٧) قال شارح المواهب : « كان ذلك فى سنة تسع على الصواب خلافا لما زعم الواقدى أنه سنة خمس » .

قال ٱبن إسحق بسنده إلى ٱبن عباس : فقَدِم وأناخ بعيرَه على باب المسْجد ثم عَقَله(١) ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه . قال : وكان ضِمَام رجلا جَلْداً أشْعَرَ ذا غَدِيرتَين(٢) ، فأقبلَ حتّى وقَف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال أيُّكم ٱبن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا ٱبن عبد المطلب» . قال : أمُحَمَّدٌ ؟ قال : «نعم» . قال : يابن عبد المطلب ! إنى سائلك ومُغْلِظٌ عليك فى المسئلة ، فلا تَجِد(٣) فى نفسك . قال : « لا أجد فى نفسى ، فٱسأل عمـا بدا لك » قال : أَنْشُدكَ الله إلهَـك وإلهَ مَن كان قبـلك ، وإلهَ مَن هو كائنٌ بعدك ، آللهُ بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللّهمّ نعم » قال : فأَنشُدُك الله إلهك وإلَه من كان قَبْلك ، وإلهَ من هو كائنٌ بعدَك ، آلله أمرك أن تأمُرَنا أن نعبدَه وحدَه ، لا نشرك به شيئا ، وأن نَخْلَع هذه الأنْداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : «اللّهمّ نعم» . قال : فأَنْشُدُك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نُصَلِّى هذه الصلاة الخمسَ ؟ قال : « نعم » . قال : ثم جعل يذكُر فرائض الإسلام فريضةً فريضةً : الزّكاة ، والصّيام ، والحج وشرائعَ الإسلام كلّها ، يَنشُده عن كلّ فريضة منها كما يَنْشُده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنِّى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وسأُؤَدّى هذه ٩/١٦
الفرائضَ ، وأَجتنِبُ مانهيتَنى عنه ، ثم لا أزيدُ ولا أنقُصُ . ثم ٱنصرف إلى بعيره راجعا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنْ صَدَق ذو العَقِيصتَين(٤) دخل الجنة»

---

(١) عقل البعير : شد على ساقه حبلا بعد ثنى ركبته .

(٢) جلدا : صلبا شديدا ، والغديرة : الذؤابة من الشعر المضفور ، وأشعر : كثير الشعر طويله .

(٣) فى ٱبن إسحق طبع أوربا « تجدن » وفى غيرها «فلا تحدث تشابها على» .

(٤) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر ، وهما الغديرتان .

قال : فأتى بعيره فأطلق عِقَالَه ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجْتمعوا إليه ، فكان أوّل ما تكلم به : بِئْسَت اللاتُ والعُزّى ! فقالوا : مَهْ يا ضِمامُ ! اتّقِ البرَصَ ، اتّقِ الجُذامَ ، اتّقِ الجُنون ! قال : وَيْلَكم ! إنهما والله لا ينفعان ولا يضران ، إن الله قد بعثَ رسولا وأنزل عليه كتابا ، فاسْتَنْقَذَكم(١) به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأن محمدا عبدُه ورسوله ، وقد جئتُكم من عنده بما أمرَكُم به ، ونهاكم عنه ، قال : فوالله ما أَمْسَى من ذلك اليومِ فى حاضِره(٢) رجلٌ أو امرأةٌ إلا مُسْلما .

قال : يقول عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — فما سمعنا بوَافِد قَوْم كان أفضلَ من ضِمامِ بن ثَعْلبةَ .

ذكر وفدِ أشْجَعَ

قال(٣) : وقَدِمَتْ أشْجَعُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخَنْدَق ، وعامُ الخَنْدَق سنة خمسٍ من الهجرة ، وهم مائةٌ(٤) ، رأسُهم مسعود بن رُخَيْلَةَ بن نُوَيْرَة ابن طَرِيف ، فنزلوا شِعْبَ سَلْعٍ(٥) ، فخرج إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرلهم بأحْمال التمر ، فقالوا : يا محمد ! لانعلم أحدا من قومنا أقْرَبَ دارا منك منّا ، ولا أقلّ عَددا ، وقد ضِقْنا بحَرْبك وبحَرْب قومك ، فجئنا نُوَادِعُك ، فوادَعَهم .

ويقال : بل قدِمَتْ أشْجَعُ بعد مافرَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بنى قُرَيْظَة ، وهم سبعمائة فوادعهم . ثم أسلموا بعد ذلك .

(١) فى ابن إسحق : «فاستنقذكم» . (٢) الحاضر : الحى . (٣) فى الطبقات : قالوا . (٤) فى ابن هشام وعقد الجمان : « مسعر » والصواب ما فى الأصول كما فى الطبرى والاستيعاب والإصابة وغيرها . (٥) سلع : جبيل بضاحية المدينة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — قريب من أحد . والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .

ذكر وفد خُشَيْن

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : قَدِمَ أبو ثَعْلَبة الخُشَنِىُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهّز إلى خَيْبَر ، فأسْلَمَ وخرج معه فشهد خَيْبَرَ ، ثم قدم بعد ذلك سبعةُ نَفَرٍ من خُشَيْن فنزلوا على أبى ثعلبة ، فأسلموا وبايعوا ورجعوا إلى قومهم .

ذكر وَفْد الأَشْعَرِين

قالوا : وقدم الأشْعَرون[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم خمسون رجلا ؛ منهم أبو موسى الأشْعَرى ، ومعهم رجلان من عَكّ . وقـدموا فى سُفُنٍ فى البحر ، وخرجوا بجُدَّة ، فلما دَنوا من المدينة جَعَلوا يقولون :

غـدًا نَلْقَ الأحِبَّـهْ * مُحَمَّـدًا وحِـزْبَـهْ

ثم قدموا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره بخَيْبر، فلقُوه صلى الله عليه وسلم فبايعوه وأسلموا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأشعرون فى الناس كصُرَّة فيها مِسك[2] » .

ذكر وَفْد سُلَيْم

قالوا : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من بنى سُلَيْم ، يقال له قَيْس ابن نُسَيْبَة[3] ، فسمع كلامه ، وسأله عن أشياء فأجابه ، ووَعَى ذلك كلّه ، ودعاه رسول الله

---

(١) الأشعرون : قبيلة كبيرة باليمن ؛ نسبوا إلى جدهم أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ويقال : الأشعرون والأشعريون كما يقال قوم يمانون . وأبو موسى : اسمه عبد الله بن قيس ، واختلف فى وقت وفاته فقيل سنة ٤٢ هـ وقيل سنة ٤٤ وقيل غير ذلك . ذكر ابن إسحق أنه قدم مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة .

(٢) الحديث يدل على تفضيل أهـل اليمن لرقة قلوبهم ، ولين أفئدتهم ، كما ورد فى أحاديث أخرى .

(٣) وقيل : «قيس بن نشبة» .

صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعتُ بَرْجَمةَ[١] الروم، وهَيْنَمةَ[٢] فارس، وأشعار العرب، وكَهانة الكاهن، وكلام مَقاوِل حِمْيَر، فما يُشبه كلامُ محمد شيئا من كلامهم، فأطيعونى وخذوا بنصيبكم منه. فلما كان عامُ الفتح خرجتْ بنو سُلَيْم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقُوه بقُدَيْد[٣] وهم سبعمائة. ويقال: كانوا ألفا. وفيهم العباس بن مِرْداس السُّلَمى، وأنَس بن عيّاس بن رِعْل، وراشد بن عبد ربه[٤]، فأسلموا وقالوا: اجعلنا فى مقدّمتك، واجعلْ لواءَنا أحْمَرَ، وشعارُنا مُقدّم[٥]، ففعل ذلك بهم. وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم راشدا رُهاطًا[٦] وفيها عَيْنٌ يقال لها عين الرَّسول. قال: وكان راشدٌ يَسْدُنُ[٧] صنمًا لبنى سُلَيْم، فرأى يوما ثَعْلَبين يبولان عليه، فقال: ١٠/١٦

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ * لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عليه الثَّعالِبُ

ثم شدّ عليه فكسره. وأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ما اسمك»؟ قال: غاوى بن عبد العُزّى، فقال: «أنت راشد بن عبد ربّه» فأسلم وحَسُن إسلامه وشَهِد الفتح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير بنى سليم راشد» وعَقَد له على قومه.

(١) البرجمة: غلظ الكلام؛ والمراد هنا رطانتهم وكلامهم. وفى أ، والبداية: «ترجمة».
(٢) الهينمة: الكلام الخفى لا يفهم.
(٣) قديد: اسم موضع قرب مكة.
(٤) فى أسد الغابة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ما اسمك»؟ قال: «غاوى بن ظالم» فقال: «أنت راشد بن عبد الله».
(٥) فى البداية لابن كثير طبع السلفية: «مقدما».
(٦) رهاط كغراب: موضع على بعد ثلاث ليال من مكة.
(٧) يسدن: يخدم.

وروى محمد بن سعد أيضا، عن هشام بن محمد، قال حدثنى رجلٌ من بنى سُلَيم من بنى الشَّريد، قال: وَفَد رجل منا يقال له قُدَد[(١)] بن عمّار على النبى صلى الله عليه وسلم، وعاهده على أنْ يأتيه بألف من قومه على الخَيْل، وأنشأ يقول:

شَدَدتَ يَمينى إذ أتيتُ مُحمدًا * بخيرِ يدٍ شَدَّتْ بِحُجْزَةِ مِئْزَرِ
وذاكَ امرؤٌ قاسَمْتُهُ نِصْفَ دِينِه * وأعطيتُه كَفَّ[(٢)] امرئٍ غيرِ أعسَرِ

ثم أتى قومَه فأخبرهم الخَبَر، فخرج معه تِسْعُمائة، وخَلّف فى الحىّ مائةً، وأقبلَ يريد النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزل به الموتُ، فأوصى إلى ثلاثة رَهْط من قومه؛ وهم: عباس بن مِرداس وأمَّره على ثلثمائة، وجَبَّارُ بن الحكم وأمَّره على ثلثمائة، والأخْنَسُ بن يزيد وأمَّره على ثلثمائة. وقال: ايتوا هذا الرجل حتى تَقْضوا العَهْد الذى فى عنقى ثم مات، فمضوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أين الرجل الحسن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الإيمان»؟. قالوا: يا رسول الله! دعاه الله فأجابه، وأخبروه خبَره؛ فقال: «أين تكملة الألف الذين عاهدنى عليهم»؟. قالوا: خَلّف مائةً فى الحىّ مخافةَ حرب[(٣)] كان بيننا وبين بنى كِنانة، قال: «ابعثوا إليها فإنه لا يأتيكم فى عامكم هذا شىءٌ تكرهونه». فبعثوا إليها فأتته بالهَدَّة[(٤)] وعليها المُنَقَّع[(٥)] بن مالك بن أمية، فشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح وحُنَين. وللمنقع يقول العباس بن مِرْداس:

القائدُ المائةِ التى وَفَّى بِها * تِسْعَ المِئِينِ فَتَمَّ ألْفٌ أقْرَعُ[(٦)]

(١) فى الإصابة: قدد (بدالين) بوزن عمر، ويقال آخره راء، ويقال: قدن (بفتحتين ونون).
(٢) كذا فى الأصول والإصابة، وفى الطبقات: «ألف» بدل «كف». وبعد البيتين:

وإن امرأً فارقتُه عند يثرب * لخيرُ نصيح من معد وحمير

(٣) الحرب، مؤنثة وقد تذكر؛ إذا أريد بها القتال.
(٤) الهدّة: موضع بين مكة والطائف.
(٥) كذا فى جـ. ومثله فى الإصابة وأسد الغابة والطبقات وشرح القاموس، وفى ا: «المقنع».
(٦) ألف أقرع: أى تام. يقال: سقت إليك ألفا أقرع من الخيل وغيرها أى تاما، وهو نعت لكل ألف. (اللسان مادة قرع).

وحكى أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة خَنْساء بنت عمرو بن الشَّريد السُّلَمِيّة الشاعرة — وآسمها تُماضِر بنت عمرو بن الشَّرِيد بن رَبَاح بن ثَعلبة بن عُصَيّة بن خُفاف بن آمرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم — أنها قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سليم فأسلمت معهم . قال : فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ، ويُعجبه شعرُها ، فكانت تُنْشِدُه ، وهو يقول : « هِيهِ[1] يا خُناس » ويُومِئُ[2] بيده . وشهدتْ الخَنْساءُ القادسيَّة مع بنيها الأربعة . وسنذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم القادسية ، ووَصيتَها لهم فى الحرب فى خلافة عمر بن الخطاب ، عند ذكرنا لفتح القادسية .

ذكر وَفْد دَوْسٍ[3]

قالوا : لمّا أسلم الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسىّ — كما تقدم — دعا قومه فأسلموا ، وقدِم معه منهم المدينةَ سبعون أو ثمانون أهْلَ بَيْت . وفيهم أبو هريرة وعبد الله آبن أُزَيْهِر الدَّوْسىّ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبر ، فساروا إليه فلقوه هناك ، فيقال : إنه قَسَم لهم من غنائم خَيْبَر ، ثم قدموا معه المدينة . فقال الطُّفَيْل آبن عمرو : يا رسول الله ! لا تُفرِّق بيني وبين قومى ، فأنزلهم حَرَّة[4] الدَّجاج ، فقال أبو هريرة حين خرج من دار قومه :

(١) هيه : بكسر الهاء الثانية والفتح فى موضع « إيه » وأبدل من الهمزة هاء . و « إيه » اسم سمى به الفعل ومعناه الأمر ؛ تقول للرجل « إيه » بغير تنوين إذا آستزدته من الحديث المعهود بينكما ، فإن نونت آستزدته من حديث ما .

(٢) الإيماء : الإشارة بالأعضاء .

(٣) دوس : قبيلة أبى هريرة ، ينسبون إلى جدهم دوس بن عدثان بن عبد الله ، ينتهى نسبهم إلى الأزد . فدوس مصروف لأنه فى الأصل علم لمذكر . (المواهب) .

(٤) كذا فى الأصول والطبقات ، ولم نقف على آسم هذه الحرة فيما لدينا من مراجع .

يا طُولَهَا مِنْ لَيْـلَةٍ وعَنائِها * على أنَّهَا(١) مِنْ بَلْدَةِ الكُفْرِ نجَّتِ

وقال عبد الله بن أُزَيْهِر : يا رسول الله ! إن لى فى قومى سُلْطة ومكانا فاجعلنى عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أخا دوس ، إن الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود غريبًا ، فمن صدّق الله نجا ، ومن آلَ إلى غير ذلك هلك . إن أعظَم قومِك ثوابا أعظمُهم صِدْقًا ، و يوشك الحقّ أن يَغْلب الباطلَ » .

و روى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سِيرِين أنه قال : بلغنى أنّ دوسًا إنّما أسلمتْ فَرَقا من قول كعب بن مالك الأنصارى الخَزْرَجى :

١١/١٦ قَضَيْنا مِن تِهامَةَ كُلَّ وِتْـرٍ * وخَيْبرَ ثم أَغْمَدْنَا السُّيوفَا(٢)

نُخَيِّرُها ولَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ * قَواطِعُهُنَّ : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا

[فقالت دَوْسٌ : انطلِقوا فخُذُوا لأنفسِكم لا يَنْزِلُ بِكُمْ ما نَزَل بثَقِيف(٣)] .

ذكر وفد أَسْلَم

قالوا : قَدِم عُمَيْر بن أَفْصَى فى عِصابة من أَسْلم ، فقالوا : لقد آمنا بالله ورسوله ، واتّبعنا مِنهاجك ، فاجعلْ لنا عندك منزلة ، تعرفُ العربُ فضيلَتنا ، فإنّا إخْوَةُ الأنصار ، ولك علينا الوَفاءُ ، والنَّصْر فى الشّدّة والرّخاء ، فقال رسول

(١) فى الأصول : « أنه » وما أثبتناه عن البخارى والطبقات ، والبيت هكذا روى . وتعقبه الكرمانى بأنه لابد من إثبات فاء أو واو فى أوله ليصير موزونا ، وتعقب بأن هذا فى العروض يسمى الخرم . ويروى البيت أيضا : ١

يا ليلة من طولها وعنائها * على أنها من دارة الكفر نجت

(٢) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . فى سيرة ابن هشام طبع أوربا : « كل ريب » . والوتر : الثأر . نخيرها : نعطيها الخيرة ، والضمير للسيوف ؛ أى ولو نطقت السيوف لاختارت حرب دوس أو ثقيف . ويروى « أجممنا » بدل « أغمدنا » [illegible] . ٢

(٣) ما بين القوسين ساقط من ا .

الله صلى الله عليه وسلم : « أَسْلَم سالَمها الله ـ وغِفار غفر الله لها » . وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَسْلَم ، ومَنْ أَسْلَمَ من قبائل العَرَب ممن يسْكُن السِّيف[1] والسَّهْل كتابا ، فيه ذكر الصدقة والفرائض فى المواشى . وكتب الصّحيفة ثابت ابن قيس ، وشهد أبو عبيدة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم .

ذكر وفد جُذام

قالوا : قدِم رِفاعةُ بن زيد بن عُمَيْر بن مَعْبَد الجُذامِىّ[2] ، ثم أحد بنى الضُّبَيْب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهدنة قبل خيبر ، وأهْدَى له عبدًا وأسلم ، فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، فيه : «هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد إلى قومه ، ومن دخل معهم ، يدعوهم إلى الله ، فمن أقبل ففى حِزْب الله ، ومن أَبَى فله أمانُ شهرين» فأجابه قومُه وأسلموا . قال ابن إسحق وغيره : و بعث فَرْوة بن عمرو بن النّافِرة الجُذامىّ ، ثم النُّفَاثىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولًا بإسلامه ، وأهدى له بَغْلة بيضاء ، واسم رسوله مسعود بن سعد وهو من قومه ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابَه ، وقبل هديتَه ، وأجاز رسوله باثنتى عشرة أُوقيةً ونَشٍّ[3] ، وكتب إلى فَرْوة جواب كتابه . وكان فَرْوة عاملًا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله مُعان[4] وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه فحبسوه عندهم ؛ فقال : فى مَحْبِسه ذلك :

(١) السِّيف (بكسر السين المشددة) : ساحل البحر .

(٢) الجذامىّ (بضم الجيم ، وبذال معجمة) : نسبة إلى قبيلة .

(٣) النش : نصف أوقية . (٤) معان (بضم الميم وفتحها) : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . (معجم البلدان) .

طَرَقَتْ سُلَيْمى مَوْهِنًا أصحابي * والرُّومُ بين البـابِ والقِرْوانِ(١)
صَدَّ الخيالُ وساءه ما قد رأى * وهَمَمْتُ أن أُغْفِي(٢) وقد أبكاني
لا تَكْحُلنّ العينَ بعدِى إِثْمِدًا(٣) * سَلْمَى ولا تَدْنِنَّ للإتيانِ
ولقــد علمتَ أبا كُبَيْشَةَ أنّني * وَسْطَ الأعِزّةِ لا يُحَصُّ(٤) لسانِي
فلئنْ هلكتُ لتفقدُنّ أخاكُمُ * ولئن بَقِيتُ لَتَعرِفُنَّ مكانِي
ولقد جَمعتُ أجلَّ ما جَمَعَ الفتى * من جَوْدةٍ وشجاعةٍ و بيانِ

قال : فلما أجمعت الرُّومُ لصَلْبه على ماء لهم بفِلَسْطِين يقال له عَفْراء(٥) قال :

ألَا هــل أَتَى سَــلْمَى بأنّ حَليلَها * على ماء عَفْرا فوق إحدى الرَّواحلِ(٦)
على ناقــة لم يَضرِبِ الفَحْلُ أمَّها * مُشَــذَّبة أطــرافُها بالمنــاجلِ

قال : ولمــا قدّموه ليضربوا عنقه قال :

أَبْلِــغْ سَرَاةَ المؤمنين بأنّني * سَلْمٌ لِرَبّي أَعْظُمِي ومَقَامِي

فضربوا عنقه وصلبوه على ذلك المــاء .

هذا ما تلخص لنــا من أخبار مَن وَفَد بعد الهجرة وقبــل الفتح، فلنذكر من وَفَد بعد الفتح .

---

(١) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعــد ساعة منه . والقروان : يجوز أن يكون جمع قرو وهو حوض الماء مثل صنوان، و يجوز أن يكون جمع قرى، مثل صليب وصلبان . (الروض الأنف) .

(٢) أغفى إغفاء أو إغفاءة : نام نوما خفيفا .

(٣) الإثمد : الكحل، وقيل نوع منه . وفى الأصــول : « تدين » وقد أثبتناه بالنون كما فى ابن إسحق .

(٤) لا يحص : لا يقطع .

(٥) قال فى المواهب : « عفراء، بفتح العين المهملة، و إسكان الفاء، و بالراء ممــدود » . وفى الأصول من غير همز .

(٦) الحليــل : الزوج . والرواحل فى الأصــل : الإبل، و يريد بإحدى الرواحل الخشبة التى صلبوه عليها .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة شرّفها الله تعالى وعظمها

ولنبدأ من ذلك بذكر وفد تَغْلِبَة ؛ لأنه أوّل وفد كان بعد الفتح . ثم نذكر من وفد فى سنة تسع من الهجرة وما بعدها ، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد فى طبقاته ، إلا أنا نستثنى منهم من قدّمنا ذكره بحكم سابقتهم ، وتقدّم إسلامهم . ١٢/١٦

ذكر وفد ثَعْلَبَة

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله : لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة[1] ، فى سنة ثمان من الهجرة ، قدم عليه أربعة نَفَر ، وقالوا : نحن رُسل من خَلْفنا من قومنا ، ونحن وهم مُقِرّون بالإسلام ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضيافة ، وأقاموا أيامًا ثم جاءوا ليودّعوه فأمر بلالًا أن يُجيزهم ، كما يُجيز الوفد ، فجاء بنُقَرٍ[2] من فضّة فأعطى كل رجل منهم خمس أواقٍ ، وقال : « ليس عندنا دراهم » وانصرفوا إلى بلادهم .

ذكر وفد أَسَد

قال محمد بن سعد : قدم عشرة رَهْط من بنى أَسَد بن خُزَيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوّل سنة تسع من الهجرة ، فيهم حَضْرمىّ بن عامر ، وضِرار ابن الأزور ، فقال حَضْرمىّ : يا رسول الله ! أتيناك نَتَدرّع[3] الليلَ البهيم ، فى سنة

(١) الجعرانة (بكسر الجيم و سكان العين ، وقد تكسر العين وتشدد الراء) : ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب .

(٢) النقر (جمع نقرة) : سبيكة الذهب والفضة .

(٣) تدرع فلان الليل وادرعه إذا وصل فى ظلمته يسرى ، كأنه لبس ظلمة الليل فاستتر به .

شَهْباء[1]، ولم تَبعث إلينا بَعْثا، فنزل فيهم قوله عز وجل : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

قال : وكان معهم قوم من بَنِي الزِّنْية وهم بنو مالك بن مالك بن ثَعْلبة بن دُودان ابن أَسَد، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم بنو الرِّشْدة » .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبيّ رحمه الله : إنّ نفرا من بنى أَسَد، ثم من بنى الحلاف[3] بن الحارث بن سعيد، قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى سنة جَدْبة ، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله ، ولم يكونوا مؤمنين فى السِّر، وأفسدوا طرق المدينة بالعَذِرات ، وأغلَوا أسعارها ، وكانوا يَغدون ويَروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : أتتك العربُ بأنفسها ، على ظهور رواحلها ، وجئناك بالأثقال والعيال والذَّرارىّ — يَمُنّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم — ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان . ويريدون الصَّدَقة ، ويقولون: أعطِنا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[4] الآيات . وقيل : نزلت فى الأعراب : مُزَيْنة، وجُهَينة، وأَسْلم، وأَشْجع ، وغِفَار . وكانوا يقولون : آمنّا بالله ؛ ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، فلما استنفروا إلى الحُدَيْبية تخلّفوا، فأنزل الله فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أى انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسَّبْى ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فأخبر تعالى أن حقيقة الأيمان التصديق بالقلب ، وأن الإقرار باللسان، و إظهار شرائعه بالأبدان، لا يكون إيمانا دون الإخلاص الذى محلّه القلب.

(١) سنة شهباء : ذات قحط وجدب .

(٢) آية ١٧ سورة الحجرات .

(٣) كذا فى الأصول، وفى المقتضب لياقوت الورقة ٣١ : « وولد سعد بن ثعلبة بن دودان الحارث وهو الحلاف » .

(٤) آية ١٤ سورة الحجرات .

ذكر وفد تَمِيم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : كان رســول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث بِشْر بن سـفيان . ويقال : النَّحَّام[١] العَدَوِىّ على صَدَقات بنى كعب من خُزَاعة ، فجاء وقد حَلَّ بنواحيهم بنو عمرو بن جُنْدب بن العنبر بن عمــرو بن تميم ، فجمعت خُزَاعة مواشيها للصدقة ، فاستنكرت ذلك بنو تميم ، وأبوا وٱبتدروا القِسِىّ ، وشهروا السّيوف ، فقدِم المُصــدِّق[٢] على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره[٣] ؛ فقال : « مَن لهؤلاء القوم » ؟ فانتدب لهم عُيَيْنة بن حِصْن ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجرىّ ولا أنصارىّ فأغار عليهم ، فأخذ منهم أحد عشر رجلا ، و إحدى عشرة آمرأة ، وثلاثين صبيا ، فجلبهم إلى المدينة ، فقدم فيهم عِدّة من رؤساء بنى تميم ، منهم عُطَارد بن حاجب ، والزِّبْرِقان بن بَدْر ، وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، والأقرع بن حابس ، ورِياح ابن الحارث ، وعمرو بن الأهتم ، وغيرهم كما ذكرنا ذلك فى الغَزَوات فى خبر سَرِيّة عُيَيْنة . قال و يقال : كانوا تسعين أو ثمــانين رجلا .

قال ابن إسحق : والحُتَــات بن يزيد أحد بنى دَارِم . قال : ومعهم عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر الفَزَارِىّ ، قالوا : فدخلوا المسجد وقد أذَّن بلالٌ بالظهر ؛ ١٣/١٦ والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجلوا واستبطئوه ، فنادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته : يا محمد ! آخرج إلينا . فخرج رسول

---

(١) النحام : لقب نعيم بن عبد الله ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فسمعت نحمــة من نعيم » أى سعلة .

(٢) المصدق : عامل الزكاة الذى يستوفيها من أربابها .

(٣) فى الأصول : « فأخبروه » والمقام يقتضى الإفراد كما فى طبقات ابن سعد .

الله صلى الله عليه وسلم، وأقام بلال(١)، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، ١٣/١٦
ثم أتَوه، فقال الأقرع بن حابس : يا محمد ، آيذن لى، فوالله إن حَمْدى لَزَيْنٌ، وإن ذَمِّى لشَيْنٌ . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَذبتَ، ذاكَ الله تبارك وتعالى » . حكاه ابن سعد .

وحكى محمد بن إسحق أنهم قالوا : يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فأْذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : « قد أذِنتُ لخطيبكم فليقل » ، فقام عُطَارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذى له علينا الفضلُ والمنُّ؛ وهو أهله الذى جعلنا ملوكا، ووهب لنا أموالا عِظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهلِ المشرق وأكثرَه عددا ، وأيسرَه عُدّة، فَمَنْ مثلنا فى الناس؟ ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدِّد مثل ما عَدَّدنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنّا نحيا(٢) من الإكثار فيما أعطانا ، وإنّا نُعرف [بذلك](٣) . أقول هذا لأن تأتونا(٤) بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا . ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قَيس بن الشَّمّاس أخى بنى الحارث ابن الخَزْرج : « قُم فأجب الرجل فى خُطْبته » . فقام ثابت فقال :

الحمد لله الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه ، قضى فيهنّ أمرَه ، ووَسِع كرسيُّه علمَه، ولم يك شىء قطّ إلا من فضله ، وكان من قُدْرته أن جَعَلنا ملوكا، واصطفى من خير خَلْقه رسولاً ، أكرمه نَسبًا، وأصدقه حديثًا ، وأفضله حَسبًا، فأنزل عليه

(١) أى أقام الصلاة .
(٢) نحيا هنا بمعنى نستحيى ، من الحياء .
(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .
(٤) فى ابن هشام : « لأن تأتوا » .

كتابه، وآئتمنه على [خلقه[(١)]] فكان خِيرة الله من العالمين . ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوى رحِمه؛ أكرم الناس أحسابًا، وأحسن الناس وجوهًا، وخير الناس فِعالاً . ثم كان أوّلَ الخلق إجابة، وآستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن؛ فنحن أنصار الله، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله مَنع مالَه ودمَه، ومن كَفَر جاهدناه فى الله أبدًا، وكان قَتْلُه علينا يسيرا .

أقول هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام عليكم .

فقام الزِّبْرِقان بن بَدْر، فقال :

نحن الكرام فــلا حىٌّ يعادلنا * مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[(٢)]

[و يروى : « وفينا يُقسَمُ الرُّبُعُ »، بدل « تُنْصَبُ البِيَعُ »[(٣)]] .

وكم قَسَرْنا من الأحياءِ كُلِّهِمُ * عند النِّهابِ وفضــلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

ونحن يُطعِم عند القَحْطِ مُطْعِمُنا * من الشِّــواءِ إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ[(٤)]

بمــا تَرَى الناسَ تأتينا سَراتُهــمُ * من كلِّ أرض هُوِيًّا ثم نَصْطَنِــعُ[(٥)]

[ويروى : * مِن كلِّ أرض هَوَانًا ثم نُتَّبَعُ[(٣)] *]

---

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) البيع (جمع بيعة بالكسر) : كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود . والمراد هنا مواضع العبادة .

(٣) ما بين المربعين فى جـ، وابن إسحق . والربع : ربع الغنيمة التى كان يأخذها الرئيس فى الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا .

(٤) القزع : قطع من السحاب رقاق . يريد إذا لم تمطرهم السماء فأجدبت أرضهم أطعم مطعمهم .

(٥) الهوى (بضم الهاء) : الإسراع فى السير . وسراة الناس هنا : ذروتهم وسنامهم وليس جمع سرى كما قال فى الروض الأنف .

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطًا فى أَرُومَتِنا * للنَّازِلين إذا ما أُنْزِلُوا شَبِعُوا[١]
فلا تَرانا إلى حَىٍّ نُفاخِرُهم * إلّا آستقادوا وكانوا الرأسَ يُقْتَطَعُ
فمَنْ يُفاخِرُنا فى ذاكَ نَعْرِفُه * فيرجعُ القومُ والأخبارُ تُسْتَمعُ
إنّا أَبَيْنا ولم يَأْبَى[٢] لنا أحدٌ * إنّا كذلك عند الفخرِ نَرْتَفِعُ

قال محمد بن إسحق : وكان حسانُ بن ثابت غائبا ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حسان : جاءنى رسولُه فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعْنا رسولَ اللهِ إذ حَلَّ وَسْطَنا * على أَنْفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغم
مَنَعْناه لَمَّا حَلَّ بين بُيوتِنا * بأسيافِنا مِن كلِّ باغٍ وظالمِ
ببيتٍ حَرِيدٍ[٣] عِزُّه وثَراؤُه * بجابيةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجمِ
هل المجدُ إلّا السُّودُدُ العَوْدُ[٤] والنَّدَى * وجاهُ الملوكِ وآحتمالُ العظائمِ

قال : فلما آنتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعرُ القوم فقال ما قال ، عَرضتُ فى قوله وقلتُ على نحو ما قال . قال : ولما فرغ الزِّبْرِقانُ من إنشاده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : « قُمْ فأجب الرجلَ »

١٤ / ١٦ فقام حسّان فقال

(١) الكوم (جمع كوماء) : الناقة العظيمة السنام . وعبطا : أى تنحر لغير علة . وفى أرومتنا : أى هذا الكرم متأصل فينا .

(٢) لم يحذف حرف العلة لضرورة الشعر . وفى ابن إسحق طبع أوربا والحلبى « ولا يأبى » .

(٣) البيت الحريد : المنفرد عن البيوت لعزته . جابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . يريد نزول النبى صلى الله عليه وسلم وسط حى من الأنصار، يتصل نسبهم بالغساسنة وهم ملوك الشام ، وسيعود إلى هذا المعنى فيما بعد .

(٤) سودد العود : القديم .

إنّ الذّوائبَ من فِهْرٍ وإخوتِهم * قد بيّنوا سُنّةً للناسِ تُتّبَعُ (١)

يَرْضَى بها كُلُّ من كانت سَرِيرتُه * تقوى الإلهِ وكُلَّ الخيرِ يَصْطَنِعُ (٢)

[وروى :

يَرْضَى بها كُلُّ مَنْ كانت سَرِيرتُه * تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذى شَرَعُوا] (٣)

قومٌ إذا حارَبُوا ضَرُّوا عدوَّهمُ * أو حاولُوا النّفعَ فى أشياعِهم نَفَعُوا (٤)

سَجِيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثةٍ * إنّ الخلائقَ فاعلمْ شَرُّها البِدَعُ (٥)

إنْ كان فى الناسِ سَبّاقون بعدَهمُ * فكُلُّ سبقٍ لأدنى سَبْقِهم تَبَعُ

لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهمُ * عند الدِّفاع ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا (٦)

إنْ سابَقُوا الناسَ يوماً فاز سَبْقُهمُ * أو وازَنُوا أهلَ مَجْدٍ بالنّدى مَتَعُوا (٧)

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْىِ عِفّتُهمْ * لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهمُ طَمَعُ (٨)

---

(١) الذوائب : الأعالى ، والمراد هنا السادة . وفهر أصل قريش ، وهو فهر بن غالب بن النضر ابن كنانة ، وقريش كلهم ينسبون إليه . ولعله يريد بإخوة فهر الأنصار ، وبالذوائب من فهر المهاجرين . ولك أن تجعل « وإخوتهم » عطفا على الذوائب والمراد بإخوتهم الأنصار .

(٢) السريرة كالسر والسر ما أخفيت ؛ والمعنى أن سنتهم التى بينوها للناس يرضى بها كل من أسر تقوى الإله واصطناع المعروف ، أو بالأمر الذى شرعوه للناس على الرواية الثانية .

(٣) مابين المربعين فى ج وكذا رواه ابن إسحق بعد انتهاء القصيدة .

(٤) الأشياع (جمع شيعة) : وهم الأنصار والأتباع .

(٥) السجية : الغريزة . والخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة هنا . والبدع : جمع بدعة ، والمراد بها مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها .

(٦) أوهت : شقت وفتقت . يقول : إننا أعزة .

(٧) الذرى : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه ، والمراد هنا الشرف والعلاء . ويروى « بالندى » وفى أ : بالورى ، ولعله تصحيف . ومتعوا : زادوا ؛ من متع النهار يمتع متوعا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه .

(٨) لا يطبعون : لا يتدنسون ، ومنه الحديث : « أعوذ بالله من طمع يهدى إلى طبع » أى يؤدى إلى شين وعيب .

لا يَبْخَلُون على جارٍ بفضلِهمُ * ولا يَمَسُّهمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ (١)
إذا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لا نَدِبُّ لَهُمْ * كما يَدِبُّ إلى الوحْشِيَّةِ الذَّرَعُ (٢)
تَسْمُو إذا الحربُ نالتنا مَخَالِبُها * إذا الزَّعانِفُ من أظفارها خَشَعُوا (٣)
لا يَفْخَرُون إذا نالوا عدوَّهُمُ * وإنْ أُصِيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ (٤)
كأنَّهمْ في الوَغَى والموتُ مُكْتَنِعٌ * أُسْدٌ بِحَلْيَةَ في أرْسَاغِها فَدَعُ (٥)
خُذْ مِنهم ما أتَى عَفْوًا إذا غَضِبُوا * ولا يَكُنْ هَمَّكَ الأمرَ الذى مَنَعُوا (٦)
فإنَّ في حَرْبِهمْ فاتركْ عَداوتَهمْ * شَرًّا يُخَاضُ عليهِ السُّمُّ والسَّلَعُ (٧)
أَكْرِمْ بِقومٍ رسولُ اللهِ شِيعَتُهمْ * إذا تَفَاوَتَتِ الأهواءُ والشِّيَعُ (٨)
أَهْدَى لهم مِدْحَتِي قلبٌ يُؤازِرُهُ * فيما أَحَبَّ لِسانٌ حائكٌ صَنَعُ (٩)
فإنَّهم أفضلُ الأحياءِ كلِّهمُ * إنْ جَدَّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا (١٠)

---

(١) الطبع : (بالتحريك) : الدنس والعيب .

(٢) نصبنا : أظهرنا الحرب والعداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية . يقول : إذا حاربنا أعداءنا لا ندب إليهم كما يدب الذرع إلى الوحشية .

(٣) الزعانف من الناس : سفلتهم . وخشعوا : خضعوا .

(٤) الخور : الضعفاء . والهلع (ككتب) : الجازعون، المفرد هلوع .

(٥) الموت مكتنع : دان قريب . وحلية (بالفتح ثم السكون) : مأسدة بناحية اليمن . والرسغ مفصل ما بين الكف والذراع، وقيل : مجتمع الساقين والقدمين . والفدع : عوج وميل في المفاصل كلها خلقة أوداء، كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطاع بسطها معه، وأكثر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم .

(٦) عفوا : من غير مشقة .

(٧) السلع : شجر مر، أو سم، أو ضرب من الصبر، أو بقلة خبيثة الطعم .

(٨) معنى « شيعتهم » هنا : ناصرهم .

(٩) يقال : لسان صنع ، ورجل صنع اللسان، يقال للشاعر ولكل بليغ؛ والمعنى : يحسن القول ويجيده .

(١٠) شمعوا : ضحكوا وهزلوا . والشموع من النساء : الضحوك اللعوب .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزِّبْرِقان بن بَدْر لمّا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، قام فقال:

أتيناكَ كَيْما يَعْلمَ النّاسُ فَضْلَنا * إذا اختلفوا عِند احتِضارِ المواسِمِ (١)
بِأنّا فُروعُ النّاسِ في كلِّ مَوْطِنٍ * وأنْ ليس في أرضِ الحِجازِ كَدارِمِ (٢)
وأنّا نَذُودُ المُعْلِمِينَ إذا انْتَخَوْا * ونَضرِبُ رأسَ الأَصْيَدِ المتفاقِمِ (٣)
وأنَّ لنا المِرْباعَ في كلِّ غارةٍ * نُغيرُ بِنجدٍ أو بِأرضِ الأعاجِمِ (٤)

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هَلِ المَجْدُ إلّا السُّودَدُ العُودُ (٥) والنَّدَى * وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العَظائِمِ
نَصَرْنا وآوَيْنا النَّبيَّ محمّدًا * على أنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ
بِحَيٍّ حَرِيدٍ أصلُهُ وثَراؤُهُ (٦) * بِجابِيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ
نَصَرْناه لمّا حَلَّ وَسْطَ دِيارِنا * بِأسيافِنا مِن كلِّ باغٍ وظالِمِ

---

(١) احتضر: حضر. المواسم (جمع موسم): وهو المجتمع كموسم الحج.

(٢) فروع الناس: أشرافهم. ودارم: حى من تميم فيهم بيتها وشرفها.

(٣) نذود: ندفع. المعلمين: الذين يجعلون لأنفسهم علامة في الحرب يعرفون بها وهم الشجعان. انتخوا: تعاظموا وتكبروا. الأصيد: الملك لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا، ورافع رأسه كبرا. المتفاقم: المتعظم.

(٤) المرباع: ربع الغنيمة الذى يأخذه الرئيس. ونجد: بلاد العرب لمقابلته بأرض الأعاجم.

(٥) السودد العود: أى القديم. والندى: الجود والكرم.

(٦) فى ديوان حسان: «أصله وثماؤه». والثراوة بالكسر: ما يلزم حفظه وحمايته.

جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وبَنَاتِنَا * وطِبْنَا له نَفْسًا بِفَيْءِ المَغَانِمِ[١]
ونحن ضَرَبْنَا الناسَ حتّى تَتَابعُوا * على دِينِهِ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ[٢]
ونحن وَلَدْنا من قريش عظيمَها * وَلَدْنا نبيَّ الخيرِ مِنْ آلِ هاشِمِ[٣]
بَنِي دارِمٍ لا تَفْخَرُوا إنّ فَخْرَكُمْ * يَعودُ وَبالًا عند ذِكْرِ المكارِمِ[٤]
هَبِلْتم، علينا تفخرُون وأنتمُ * لَنَا خَوَلٌ من بَيْنِ ظِئْرٍ وخادِمِ[٥]
فإنْ كُنتُمُ جِئتُمْ لِحَقْنِ دِمائكمْ * وأموالِكُمْ أن تُقْسَمُوا في المقاسِمِ ١٥/١٦
فلا تجعلُوا لله نِدًّا وأَسْلِمُوا * ولا تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِيِّ الأعاجِمِ[٦]
وأَفْضَلُ ما نِلْتُمْ مِن المجدِ والعُلَا * رِدافَتُنا عند احتضارِ المَوَاسِمِ[٧]

قالوا: فلما فرغ حسّان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأَبِي، إنّ هذا الرجلَ لَمُؤَتًّى له[٨]، لَخطيبُه أخطبُ من خطيبنا، ولَشاعِرُه أشعرُ من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، ولَهم أحلمُ مِنّا. ونزل في وفد بني تميم قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[٩]﴾.

(١) قال الراغب في مفرداته: قيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة فيء. والغنيمة في الأصل: ما أخذ حربا.
(٢) المرهفات الصوارم: السيوف التي تصرم الأعمار.
(٣) يشير حسان إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود من جدة من بني النجار، وقيل: يشير إلى أن أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت جارية من الأنصار.
(٤) الوبال وخامة العاقبة.
(٥) هبلتم، من هبلته أمه فقدته: يدعو عليهم. خول: رعاة وأتباع. الظئر: التي ترضع ولد غيرها.
(٦) الند: الشريك.
(٧) ردافة القوم: الذين هم تبع لهم. وهذا البيت غير موجود في سيرة ابن هشام، وهو موجود في ديوان حسان.
(٨) المؤتى له: الموفق له.
(٩) آية ٤ - ٥ من سورة الحجرات.

قال محمد بن سعد : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم : « هـذا سيّدُ أهلِ الوَبَرِ » وردّ عليهم الأسرى والسّبْى ، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد ؛ ثنتى عشرة أوقية ونَشًّا(١) ، وهى خمسمائة درهم .

قال ابن إسحق : وكان عَمرو بن الأهتم قد خَلّفه القومُ فى ظَهْرهم(٢) ، وكان أصغرهم سِنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ! إنه قد كان رجل منّا فى رِحالنا وهو غلام حَدَث ، وأزْرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فبلغ عَمرو بن الأهتم ما قاله قيس فيه ؛ فقال :

ظَلِلْتَ مُفْترِشَ الْهَلْباءِ(٣) تَشْتُمنِي * عِندَ النبيِّ فلَمْ تَصْدُقْ ولَمْ تُصبِ
إنْ تَبْغِضُونَا فإنّ الرُّومَ(٤) أَصْلُكُمُ * والرُّومُ لا تَمْلِكُ البغضاءَ للعَرَبِ
وإنّ سُودَدَنا عَوْدٌ وسُودَدكم * مُؤَخَّرٌ عندَ أَصْلِ العَجْبِ والذَّنَبِ(٥)

وروى أن الزِّبْرِقان فَخَر يومئذ فقال :

يا رسول الله ، أنا سيّدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والمجابُ منهم ، آخذُ لهم بحقوقهم ، وأمنعُهم من الظّلم ، وهذا يعلم ذلك . وأشار إلى عَمرو بن الأهتم . فقال عَمرو : إنه شديدُ العارضة ، مانعٌ لجانبه ، مطاعٌ فى أَدَانِيه . فقال الزِّبْرِقان : والله لقد كَذَب يا رسول الله ، وما منعه من أن يتكلم إلا الحسد .

---

(١) النش : نصف أوقية . (٢) فى ظهرهم : فى إبلهم .
(٣) الهلباء يعنى أسته ؛ يريد أنها كبيرة .
(٤) وذكر عن ابن الكلبي أنه إنما نسبه إلى الروم لأنه كان أحمر ؛ فيقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ، وقال : « إن إسمعيل كان أحمر » . (حاشية نسخة جـ) .
(٥) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

فقال عَمرو : أنا أحسدك ؟ ! فو الله إنك لَئيمُ الخال، حديثُ المال، أحمقُ الولد، مُبغضٌ فى العشيرة، والله ما كذبتُ فى الأولى، ولقد صدقتُ فى الثانية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ من البيان لَسِحْرا » .

ذكر وفد فَزَارة

وآستسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

قال آبن سعد : لمّا رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم من تَبُوك، قدِم عليه وفدُ بنى فَزَارة ، بضعة عشر رجلا ؛ فيهم خارجةُ بن حِصْن ، والحُرُّ ابن قيس بن حِصْن، وهو أصغرهم، على رِكابٍ عِجافٍ، فجاءوا مُقرّين بالإسلام . وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أَسْنَتَتْ[1] بلادُنا ، وهلكتْ مواشينا ، وأَجْدبَ جنابُنا ، وغَرِثَ[2] عيالُنا ، فادع لنا ربك . فصعد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم المِنبر ودعا، فقال : « اللّهمّ آسْقِ بلادَكَ وبهائمَكَ، وآنشر رحمتَكَ، فأَحْيِ بلدَكَ الميت، اللهم آسقنا غَيْثًا مُغِيثًا[3]، مَرِيئًا[4] مَرِيعًا[5]، مُطْبِقًا[6] واسعًا ، عاجلًا غيرَ آجل ، نافعًا غيرَ ضارّ . اللّهمّ آسقِنا سُقْيا رَحمةٍ، لا سُقْيا عذابٍ ولا هَدْمٍ ولا غَرَقٍ ولا مَحْقٍ . اللّهمّ آسْقِنا الغيثَ وآنصرنا على الأعداء » فمَطَرت، فما رَأَوا السماء سِتًّا[7] ، فصَعِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المِنبر ، فدعا، فقال : « اللّهمّ حَوَالَيْنا ولا عَلَيْنا، على الآكامِ والظِّرابِ[8]، وبُطونِ الأودية، ومَنابِتِ الشَّجَر» . قال : فانجابت[9] السماءُ عن المدينة آنجياب الثوب .

---

(١) أسنتت : أجدبت لقلة المطر . (٢) غرث : جاع . (٣) غيث مغيث : عام النفع .

(٤) مرىء : هنىء . (٥) مريع : مخصب . (٦) غيث مطبق : عام

(٧) ستا أى ستة أيام ، وفى رواية سبتا أى أسبوعا . قال القسطلانى : ولا تنافى بين الروايتين

(٨) الآكام والظراب : الروابى والمرتفعات . (٩) آنجابت السماء : آنكشفت .

وفى صحيح البخارىّ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أصابت الناسَ سَنَةٌ(1) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة، قام أعرابى فقال : يارسول الله . هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا أن يَسْقِيَنا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه . وما فى السماء قَزَعةُ(2) سحاب ، قال : فثار(3) سحابٌ أمثالُ الجبال . ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته، قال : فمُطِرنا يومَنا ذلك ، ومن الغد ، ومن بعد [الغد](4) والذى يليه إلى الجمعة الأخرى . فقام ذلك الأعرابى — أو رجلٌ غيره —(5) ١٦/١٦ فقال : يا رسول الله ، تهدَّم البناءُ ، وغَرِق المالُ ، فادعُ الله لنا . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، فقال : « اللَّهمّ حَوَالَيْنا ولا علينا » قال : فما جعل يُشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا تفرَّجت(6) . حتى صارت المدينة فى مثل الجَوْبة(7) ، حتى سال الوادى وادى قَناة(8) شهرا . قال : فلم يأت أحدٌ من جهة إلا حدَّث بالجَوْد(9) .

ذكر وفد مُرَّة

قال : قدم وفدُ بنى مُرَّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مَرْجِعه من تَبُوك فى سنة تسع ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، رأسهم الحارث بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قومُك وعشيرتُك ، ونحن قوم من لُؤَىّ بن غالب . فتبسّم

(1) سنة (بفتح السين) : أى جدب وقحط . (2) قزعة : قطعة من الغيم .
(3) ثار : هاج . (4) الزيادة من صحيح البخارى .
(5) هذا تردد من الراوى يدل على عدم التذكر . (6) تفرجت : تقطع السحاب ، وفيه دلالة على عظم معجزته صلى الله عليه وسلم . (7) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة ؛ أى انجاب السحاب عن المدينة ، وصار مستديرا حواليها ، وهى خالية منه .
(8) وادى قناة : واد من أودية المدينة عليه حرث وزرع . (9) الجود : المطر الكثير .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال : « أين تركتَ أَهلَك » ؟ قال : بسَلاح[1] وما والاها . قال : « كيف تركتَ البلاد » ؟ قال : والله إنا لمَسْنِتون[2]، فآدع الله لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللّهمّ آسقِهم الغيثَ » وأمر بلالًا أَنْ يُجيزهم، فأجازهم بعشرة أواقٍ، عشرةِ أواقٍ فضّة ؛ وفَضَّل الحارثَ بن عوف، أعطاه ثِنْتى عشرة أوقيةً . فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مُطِرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد مُحَارب

قال : قَدِم وفد مُحَارب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة عشر، فى حجّة الوداع، وهم عشرة نَفَر، منهم سَواء بن الحارث، وآبنه خُزَيمة بن سَواء، فأُنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغَداء وعَشاء؛ فأسلموا وقالوا : نحن على مَن وراءنا، ولم يكن أحد فى تلك المواسم أفظَّ ولا أغلظَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مُحَارب . قال : ومَسَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجهَ خُزَيمة[3] بن سَواء، فصارت له غُرّة بيضاء، وأجازهم كما يُجيز الوفد، وآنصرفوا إلى أهليهم .

ذكر وفد كِلاب

قال : قَدِم وفدُ كِلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسعٍ من الهجرة، وهم ثلاثة عشر رجلا، فيهم لَبِيد بن ربيعة، وجَبّار بن سَلْمى، فأنزلهم

(١) سلاح : موضع أسفل من خيبر، وماء أيضا لبنى كلاب .

(٢) مسنتون : أصابتهم سنة وقحط وأجدبوا .

(٣) أول الخبر أن خزيمة قال للنبى صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى أبقانى حتى صدقت بك، فقال رسول الله : إن هذه القلوب بيد الله، ومسح وجه خزيمة ... الخ .

دارَ رَمْلةَ بنتِ الحارث ، فقالوا : يا رسول الله، إنّ الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله ، وبسنّتك التى أمرتَه ، وأنه دعانا إلى الله ، فآستجبنا لله ولرسوله ، وأنه أخذ الصَّدَقة من أغنيائنا فردّها على فقرائنا .

ذكر وفد رُؤاس بن كلاب

رُوِى عن أبى نُفَيْع طارق بن عَلْقمة الرؤاسىّ أنه قال : قَدِم رجلٌ منّا يقال له عمرو بن مالك بن قيس الرُّؤاسىّ على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام . فقالوا : حتى نُصيب من بنى عُقَيل بن كعب مثل ما أصابوا منّا ، فخرجوا يريدونهم ، وخرج معهم عمرو بن مالك فأصابوا فيهم ، ثم خرجوا يسوقون النَّعَم ، فأدركهم فارسٌ من بنى عُقَيل ، يقال له ربيعة بن المُنْتَفِق بن عامر ابن عُقَيل ، وهو يقول :

أَقْسَمتُ لا أَطْعَنُ إلا فارسَا * إذا الكُماةُ لَبِسُوا القَوانِسَا(١)

قال أبو نُفَيع : فقلتُ نجوتُم يا معشر الرَّجّالة سائرَ اليوم ، فأدرك العُقَيْلىُّ رجلًا من بنى عبيد بن رُؤَاس : يقال له المُحَرِّش بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رُؤَاس ، فطعنه فى عَضُده فأخبلها(٢) ، فاعتنق المُحَرِّش فرسه ، وقال : يا آل رؤاس ! فقال ربيعة : رُؤاسٌ خيلٌ أو أُنَاس ؟ ! فعطَف على ربيعة عمرو بن مالك فطعنه فقتله . قال : ثم خرجنا نسوق النَّعَم ، وأقبل بنو عُقَيل فى طلبنا حتى آنتهينا إلى تُرَبَة(٣) ، فقطع ما بيننا وبينهم وادى تُرَبَة ، فجعل بنو عُقَيل ينظرون إلينا فلا يصلون

(١) القوانس : بيضات الحديد تلبس فى الحرب .

(٢) الخبل : فساد الأعضاء .

(٣) تربة (بالضم ثم الفتح) : واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

إلى شيء فمضينا . قال عمرو بن مالك : فأسقط فى يدى ، وقلت : قَتلتُ رجلا ، وقد أسلمتُ و بايعتُ النبي صلى الله عليه وسلم ! فشددتُ يدى فى غُلّ إلى عنق ، ثم خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغه ذلك ، فقال : «لئن أتانى لأضربنّ ما فوق الغُل من يده » قال : فأطلقت يدى ، ثم أتيته فسلّمتُ عليه ١٠/١٦
فأعرض عنّى فأتيته عن يمينه فأعرض عنّى ، فأتيته عن يساره فأعرض عنّى ، فأتيته من قبل وجهه . فقلت : يا رسول الله ، إن الربّ ليُتَرضَّى [فيَرْضَى][(1)] ، فارض عنّى رضى الله عنك . قال : « قد رَضِيتُ عنك » .

ذكر وفد عُقيل بن كعب

قال محمد بن السّائب : حدّثنا رجل من بنى عُقَيل بن كعب ، عن أشياخ قومه ، قالوا : وَفَد منّا من بنى عُقَيل بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعُ ابن معاوية بن خَفَاجة بن عمرو بن عُقَيل ، ومُطَرِّف بن عبد الله ، وأنس بن قيس ابن المُنْتَفِق . فبايعوا وأسلموا ، وبايعوه على مَن وراءهم من قومهم ، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العَقيق عَقيق بنى عُقَيل ، وهى أرض فيها عيون ونخل وكتب لهم بذلك كتابا فى أديم أحمر : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله رَبيعًا ومُطَرِّفا وأَنَسًا ؛ أعطاهم العَقيق ما أقاموا الصلاة ، وآتَوا الزكاة ، وسمعوا وأطاعوا » . ولم يعطهم حقّا لمسلم ، وكان الكتاب فى يد مُطَرِّف . ووفد عليه أيضا لَقيط بن عامر بن المُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيل ، فأعطاه ماء يقال له النَّظِيم وبايعه على قومه .

---

(١) الزيادة من الطبقات .

قال : وقدم عليه أبو حرب بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فقرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن، وعَرَض عليه الإسلام، فقال : أمَا وايمُ اللهِ لقد لَقِيتُ اللهَ أو لقيتُ من لَقِيه ، فإنّك لتقولُ قولًا لا نُحسن مثلَه ، ولكن سوف أضرب بِقِداحى هذه على ما تدعونى إليه ، وعلى دِينى الذى أنا عليه، وضَرَب بالقِداح، نخرج على سهم الكفر ، ثم أعاد نخرج عليه ثلاث [مرّات](١) . فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَبَى هذا إلّا ما تَرَى، ثم رجع إلى أخيه عِقَال(٢) بن خُوَيلد، فقال له : قَلَّ خَيْسُكَ . أى قَلَّ خَيرُك . فقال : هل لك فى محمد ابن عبد الله ؟ يدعو إلى دين الإسلام ، ويقرأ القرآن، وقد أعطانى العَقيق إن أنا أسلمتُ ، فقال له عِقَال : أنا والله أُخُطُّك أكثرَ مما يَخُطُّك محمد ، ثم ركب فرسه وجَرّ رُمْحه على أسفل العَقيق، فأخذ أسفله وما فيه من عَيْن، ثم إنّ عِقَالا قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام ، وجعل يقول له : « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ فيقول : أشهد أن هُبَيرة بن النُّفَاضة نِعم الفارسُ يوم قَرنَى لُبَان(٣) . ثم قال : « أتشهد أن محمدا رسول الله » ؟ قال : « أشهد أن الصَّريخ تحتَ الرغْوة(٤) »، ثم قال له الثالثة : « أتشهد » ؟ قال : فشهد وأسلم .

---

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) ذكره ابن حبيب « عقال » بالفاء وليس بصحيح .

(٣) قال ابن سعد فى الطبقات : « وابن النفاضة هبيرة بن معاوية بن عبادة بن عقيل ، ومعاوية هو فارس الحرار والحرار اسم فرسه ، ولبان . موضع » . وقال فى معجم ياقوت : لبان بلدة بأرض مهرة أقصى اليمن .

(٤) الصريح من اللبن المحض الخالص . والرغوة الزبد ؛ وهذا مثل معناه : إن الأمر مغطى عليك ، وسيبدو لك .

قال : ثم قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُصَين بن المُعَلَّى بن ربيعة ابن عُقَيل، وذو الجَوْشَن(١) الضِّبَابِيّ فأسلما .

ذكر وفد جَعْدة

قال محمد بن سعد : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بالفَلَج(٢) ضَيْعة ، وكتب له كتابا وهو عندهم .

ذكر وفد قُشَيْر بن كعب

قال : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَرٌ من بنى قُشَيْر، قبل حجة الوَداع وبعد حُنَين ، فيهم ثَوْر بن عَزْرة بن عبد الله بن سَلَمة بن قُشَيْر فأسلم، فأقطعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قطيعةً(٣)، وكتب له بها كتابا . وفيهم حَيْدة(٤) بن معاوية ابن قُشَير، وفيهم قُرَّة بن هُبَيرة بن سَلَمة الخير بن قُشَير فأسلم، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكساه بُرْدا(٥)، وأمره أن يتصدّق على قومه؛ أى يَلِى الصدقة .

---

(١) ذو الجوشن : اختلف فى اسمه فقيل أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور ، وإنما قيل له ذو الجوشن لأن صدره كان ناتئا .

(٢) الفلج : مدينة بأرض اليمامة .

(٣) فى أسد الغابة : أقطعه حمام والسد وهما من العقيق .

(٤) فى الأصول : « جندة » وهو تصحيف وصوبناه عن الطبقات والإصابة والدلائل .

(٥) زاد ابن سعد فى الطبقات بعد هذا «فقال قرة حين رجع :

حباها رسول الله إذ نزلت به * وأمكنها من نائل غير منفد

فأضحت بروض الخير وهى حثيثة * وقد أنجحت حاجاتها من محمد

عليها فتى لا يردف الذم رحله * تروك لأمر العاجز المتردد»

ذكر وفد بني البَكّاء

قال : وَفَد ثلاثة نَفَر من بني البَكّاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع، فيهم معاوية بن ثَوْر بن عُبَادة بن البَكّاء، وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابن له يقال له بِشْر، والفُجَيْع بن عبد الله، ومعهم عبد عمرو البَكّائي وهو الأصمّ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، وكتب له بمائه الذي أسلم عليه «ذي القَصّة»(١) . وكان عبد الرحمن من أصحاب الصُّفّة(٢) ، فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلٍ وضيافة ، وأجازهم ورجعوا إلى قومهم .

وقال معاوية للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أتبرك بمسّك وقد كبِرتُ . وآبني هذا بَرٌّ بي فآمسح وجهه ، فمسح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجهَ بِشر بن معاوية ، وأعطاه أعْنُزًا عُفْرًا(٣) ، وبَرَّكَ عليهنّ(٤) ، وكانت السَّنة(٥) تُصيب بني البَكّاء ولا تُصيبهم .

وفي ذلك يقول محمد بن بِشر بن معاوية :

وأبي الذي مَسَحَ الرسولُ برأسه ٭ ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمدُ إذ أتاه أعْنُزًا ٭ عُفْرًا نواجل(٦) لَسْنَ بالجَبَبات
يَمْلأْنَ رِفْدَ(٧) الحيّ كلَّ عشيّة ٭ ويعودُ ذاكَ المَلْءُ بالغدوات
بُورِكْنَ مِنْ مَنْحٍ(٨) وبُورِكَ مانحًا ٭ وعليه مِنّي ما حَيِيتُ صلاتي

(١) ذو القصة : اسم الجبل الذي فيه الماء، والقصة هو الماء . صححه التاج .

(٢) أصحاب الصفة : هم فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه . والصفة : الظلة .

(٣) ماعزة عفراء : خالصة البياض .

(٤) برك «بالتشديد» عليهن : دعا له بالبركة فيهن .

(٥) السنة : الجدب والقحط .

(٦) نواجل : كريمة النسل . وفي الأصول والطبقات «ليس» بدل «لسن» وما أثبتناه عن ابن كثير في البداية والنهاية . والجبات جمع جبة : وهي النعجة والعنز التي قل لبنها .

(٧) الرفد : القدح الضخم . وفي الأصول والطبقات والبداية «وفد» ولعله تصحيف . وما أثبتناه عن الإصابة في اسم « معاوية » .

(٨) المنح : العطاء .

ذكر وفد كنانة وبنى عبد بن عدىّ

قالوا: وَفَد واثلةُ بن الأَسْقَع الليثىُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تَبُوك ، فصلَّى معه الصّبح، فقال : « مَن أنت؟ وما جاء بك؟ وما حاجتك»؟ فأخبره عن نَسَبه ، وقال : أتيتك لأومن بالله ورسوله؛ [فقال رسول الله :] (١) «فبايِعْ على ما أَحْببتَ وكرِهتَ». فبايعه ورجع إلى أهله فأخبرهم؛ فقال أبوه: والله لا أكلّمك كلمةً أبدا، وسمعت أخته كلامَه فأسلمت وجَهّزته، فخرج راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده قد سار إلى تَبُوك. فقال: مَنْ يَحْمِلُنى عُقْبةً (٢) وله سَهْمى؟ فحمله كَعْب بن عُجْرة حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه تَبُوك . و بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر (٣) ، فجاء بسهمه إلى كَعْب بن عُجْرة ، فأبى أن يقبله وسَوَّغه إياه ، وقال : إنما حملتك لله تعالى .

قال : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَفْد بنى عبد بن عَدِى ، وفيهم الحارث بن أُهْبان ، وعُوَيْمِر بن الأَخْرَم، وحبيب وربيعة آبنا مَلّة ، ومعهم رَهْط من قومهم ؛ فقالوا : يا محمد ، نحن أهل الحَرَم وساكنوه (٤) ، وأعزّ من به ، ونحن لا نريد قتالك . ولو قاتلتَ غير قريش قاتلنا معك ، ولكنّا لا نقاتل قريشا . وإنا لنحبك ومَن أنت منه ، فإن أصبت منّا أحدا خطأ فعليك ديته ، وإن أصبنا أحدا من أصحابك فعلينا ديته . فقال : « نعم » فأسلموا .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . والخبر فى أسد الغابة : فقال « ما جاء بك » قال : أبايع فقال رسول الله « على ما أحببت ... » . الحديث .

(٢) عقبة : نوبة ، وتعاقب المسافران على الدابة ركب كل واحد منهما عقبة .

(٣) كان أصابه ست قلائص فى هذه الغزوة . وأكيدر ، تصغير أكدر : صاحب دومة الجندل .

(٤) فى ا : « وساكنه » .

ذكر وفد باهلة

قال : وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُطَرِّف بن الكاهن الباهليّ بعد الفتح وافدا لقومه ، فأسلم وأخذ لقومه أمانًا ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه فرائض الصّدقات .

ثم قدم نَهْشَل بن مالك الوائليّ من باهِلة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وافِدا لقومه ، فأسلم وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن أسلم من قومه كتابا فيه شرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفّان .

ذكر وفد هلال بن عامر

قالوا : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَرٌ من بنى هلال ، فيهم عبد عوف بن أَصْرَم بن عمرو بن شُعَيْثة(١) فأسلم ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله . وفيهم قُبَيصة بن المُخارق ، فقال : يا رسول الله ، إنّى حملت عن قومى حَمالة(٢) فأَعِنّى فيها ، قال : « هى لك فى الصَّدَقات إذا جاءت » .

قالوا : ووَفَد زياد بن عبد الله بن مالك ، فلما دخل المدينة ، توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت خالةَ زياد — أمه عَزَّة بنت الحارث ، وهو يومئذ شاب — فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عندها ، فلما رآه غضب ورجع ، فقالت : يا رسول الله ، هذا ٱبن أختى ، فدخل إليها ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد ، فصلّى الظهر ، ثم أدنى زيادا فدعا له ، ووضع يده على رأسه ، ثم حَدَرها على طَرَف أنفه . فكانت بنو هلال تقول : مازلنا نَتَعرَّف البركة فى وجه زياد . قال الشاعر لعليّ بن زياد :

(١) فى الأصول : شعبة . وما أثبتناه عن الإصابة ، قال : « وشعيثة بمعجمة ثم مهملة ثم مثلثة مصغر » . (٢) حمالة : كفالة .

يا بْنَ الذى مَسَح النبىُّ برأسِهِ * ودعا له بالخير عنــدَ المسجد
أَعْنِى زيادًا لا أريدُ ســواءهُ * من غائرٍ أو مُتْهِــمٍ أو مُنْجِدِ (١)
ما زال ذاك النورُ فى عِرْنِينِه * حتى تَبَوَّأَ بيتَــهُ فى المَلْحَدِ

ذكر وفد عامر بن صَعْصَعة

وخبر عامر بن الطفيل وأَرْبَد بن قيس

قال محمــد بن سعد : قــدِم عامر بن الطُّفَيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وأَرْبَد بن ربيعة بن مالك بن جعفــر . — قال ٱبن إسحق : وأَرْبَد بن قيس ابن جَزْء (٢) بن خالد بن جعفر، وجَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر — [على رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٣) — . — قال ٱبن سعد — فقال عامر بن الطُّفَيل : يا محمد، مالى إنْ أسلمتُ ؟ قال : « لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم » . قال : أتجعل لى الأمر من بعدك ؟ قال : « ليس ذلك لك ولا لقومك » قال : أفتجعل لى الوَبَر ولك المَدَر (٤) ؟ قال : « لا ، ولكنّى أجعل لك أعِنّة الخيل، فإنك ٱمرؤ فارس » . قال : أو ليست لى ؟ ! لأملأنّها عليك خَيْلًا ورَجْلًا (٥) . ثم وَلَّيَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهمّ ٱكفنيهما ، اللهمّ وٱهدِ بنى عامر وأغنِ الإسلام عن عامر » — يعنى ٱبن الطُّفَيل .

وقال ٱبن إسحق : قَدِم عامر بن الطُّفَيْل على رســول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يريد الغدر به ، وقــد قال له قومه : يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم ،

(١) غار الرجل : إذ سار فى بلاد الغور ، وأتهم : أتى أرض تهامة ، وأنجد : أتى أرض نجد . يريد البلاد كلها . (٢) فى الأصول : « جرير » وهو تصحيف ، والتصويب من سيرة ابن هشام وشرح القاموس مادة « جزأ » . (٣) تكملة من طبقات ابن سعد . (٤) عنى بالوبر أهل البوادى ، وهو من وبر الإبل لأن بيوتهم يتخذونها منه ، وبالمدر أهل المدن والقرى ، لأن مبانيها بالمدر، وهو قطع الطين اليابس . (٥) فى ابن إسحق « وزجالا » والمعنى واحد .

فقال : والله لقد كنت آليْتُ ألّا أنتهى حتّى تتبعَ العربُ عَقِبى ، وأنا أتبع عَقِب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأرْبَد بن قيس : إذا قدِمنا على الرجل فإنى سأشغَل عنك وجهَه ، فإذا فعلتُ ذلك فاْعلُه بالسيف . فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطُّفَيل . يا محمد ، خالِّنى[(١)] . قال : «لا والله حتى تؤمن بالله وحدَه» ، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد عليه مقالته . وهو فى ذلك ينتظر من أرْبَد ما أمره به ، فلم يصنع أرْبَد شيئا ، وكان آخر ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله لأملأنّها عليك خَيلا ورَجْلا . فلما ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم اكفِنى عامر ابن الطُّفَيل» فلما خرجوا من عنده قال عامر لأرْبد : ويلك ! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ، وايْمُ اللهِ لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال له أرْبَد : لا أبالَكَ ! لا تَعْجَل علىّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلتَ بينى و بين الرجل ، حتى لا أرى غيرَك ! أفأضربك بالسيف ! قال : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون فى عنقه ، فمال إلى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، غُدّةٌ كغُدّة البِكْر ، وموتٌ فى بيت سَلُولِيّة[(٢)] ! قال : ومات فواراه أصحابه ، وخرجوا حتى قدِموا أرض بنى عامر ، فأتاهم قومُهم فقالوا : ما وراءك يا أرْبَد؟ فقال : لا شيء ، والله لقد

---

(١) خالِّنى ، بتشديد اللام ، اتخذنى خليلا وصاحبا ، من المخالة وهى الصداقة . ومن رواه بتخفيف اللام : فهو بمعنى تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك . (شرح سيرة ابن هشام لأبى ذر) .

(٢) الغدة : طاعون الإبل ، والبكر : الفتى منها . وإنما تأسف عامر أن لم يمت فى ميدان القتال كما يموت الشجعان ، كما تأسف أيضا على موته فى بيت سلولية ؛ لأن بنى سلول موصوفون عندهم باللؤم .

دعانا إلى عبادة شيء لوددتُ أنه عندى الآن فأرميه بالنَّبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه[1]، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبيّ فى هذه القصة ، بسند يرفعه إلى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : أقبل عامر بن الطُّفَيل وأَرْبَد بن ربيعة يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالمسجد جالس فى نفر من أصحابه ، فدخلا المسجد فاستشرف[2] الناسُ لجمال عامر ، وكان أعور ، وكان من أجمل الناس ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هذا عامر ابن الطُّفَيل قد أقبل نحوك ، فقال : « دعه فإنْ يُرِدِ اللهُ به خيرا يَهْدِه » فأقبل حتى قام عليه . فقال : يا محمد ، مالى إن أسلمت ؟ فقال : « لك ما للمسلمين ، وعليك ما على المسلمين » . قال : تجعل لى الأمرَ بعدك ؟ قال : « ليس ذلك إلىّ ، إنما ذلك إلى الله عز وجل ، يجعله حيث يشاء » . قال تجعلنى على الوَبَر وأنت على المَدَر ؟ . قال : « لا » . قال : فماذا تجعل لى ؟ قال : « أجعل لك أَعِنَّة الخيل تغزو عليها » . قال : أوليس ذلك لى اليوم ؟ ! قُمْ معى أكلّمْك . فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوصى إلى أَرْبَد بن ربيعة إذا رأيتنى أُكلّمه فَدُرْ من خَلْفه فاضربه بالسيف ، فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ، فدار أَرْبَد خَلْف النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فاخترط من سيفه شبرا ، ثم حبسه الله عزّ وجلّ عنه فلم يقدر على سَلّه ، وجعل عامر يومئ إليه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أَرْبَد وما يصنع بسيفه ، فقال : « اللهم ٢٠ / ١٦

(١) فى بعض نسخ ابن إسحق : « يتبعه » .

(٢) استشرف الشيء رفع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس .

آكفنيهما بما شئت » . فأرسل الله عزّ وجلّ على أَرْبَد صاعقة فى يوم صائف فأحرقته ، وولّى عامرٌ هاربا ، وقال : يا محمد ، دعوتَ ربّك فقتل أَرْبَد ، والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْدًا[1] ، وفتيانا مُرْدًا[2] ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمنعك الله ذلك وأبناء قَيْلَة » يعنى الأوس والخزرج . فنزل عامر بيت امرأة سَلُولِيّة وأنشأ يقول :

تَخَيَّرْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ إنْ شِئتَ وُدَّنا * وإنْ شِئتَ حربًا ذاتَ بأسٍ ومَصْدَقِ
وإنْ شِئتَ فِتيانًا بكفِّيَ أمرُهُمْ * يَكُبُّون كَبْشَ العارضِ المتألِّقِ

فلما أصبح ضَمّ عليه سلاحَه، وقد تغيّر لونه، وهو يقول :

لَعَمْرِى وما عَمْرِى علىّ بهيِّنٍ * لقد شانَ حُرَّ الوجهِ طَعنةُ مُسْهِرِ[3]
وقد عَلِمَ المَزْنُوقُ أنّى أكُرُّهُ * على جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشَهَّرِ[4]
إذا ازْوَرَّ من وقعِ السِّنانِ زجرتُهُ * وأخبرتُه أنّى امرؤٌ غيرُ مُقْصِرِ[5]
وأخبرته أنّ الفرارَ خزايةٌ[6] * على المرءِ ما لم يُبْدِ عُذْرًا فيُعذَرِ
لقد عَلِمتْ عُلْيا هَوازنَ أنّنى * أنا الفارسُ الحامى حَقيقةَ جعفرِ

---

(١) الأجرد من الخيل : القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم .

(٢) المرد (جمع أمرد) ؛ وهو الشاب الذى لم تبد لحيته .

(٣) حر الوجه : ما أقبل عليك منه . ومسهر : هو مسهر بن يزيد الحارثى ، وهو الذى غدر بعامر ابن الطفيل وطعنه بالرمح ، ففلق وجنته وشق عينه

(٤) المزنوق : اسم فرس عامر . والمنيح : يعنى القدح الذى يكثر به القداح ليس له غنم ولا عليه غرم ؛ كلما خرج ردّ حتى يخرج آخر القداح .

ويروى : * عشية فيف الريح كرّ المشهر *

وفيف الريح : مكان كانت الوقعة فيه .

(٥) ازورّ : عدل ومال إلى ناحية أخرى ؛ أى إذا مال عن الطعن رددته إليه .

ويروى : * وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر *

(٦) خزاية : استحياء .

فجعل يَرْكُض فى الصحراء ويقول : ٱبرز يا ملك الموت! ثم أنشأ يقول :

أَلَا قَرَّبَ الْمَزْنُوقَ (١) إذ جَدَّ ما أَرَى * لِتعريضِ يـومٍ شرُّه غـيرُ حامِدِ
أَلَا قرِّباه إنّ غايَةَ جَرْيِنـا * إذا قُرِّبَ المَزْنوقُ بين الصَّفائِدِ
بنـو عامرٍ قومى إذا ما دعوتُهم * أجابوا ولَـبَّى منهـمُ كلُّ ماجِدِ

ويقول : واللّاتِ لئن أَصْحَرَ (٢) إلىّ وصاحبه — يعنى مَلَكَ المـوت — لأُنْفِذَنَّهما بِرُمْحى .

قال : فلمّـا رأى الله عزّ وجلّ ذلك منـه ، أرسل مَلَكًا فلَطَمه بجناحه ، فأرداه فى التراب ، وخرجت على ركبته غُـدَّة عظيمة فى الوقت ، فعاد إلى بيت السَّلُولِيّة وهـو يقول : غُدَّة كغُدَّة البعير ، وموتٌ فى بيت سَلُولية . ثم دعا بفرسه فركبه . ثم أَجْراه حتى مات على ظهره .

قال : فرثى لبيدُ بن ربيعة أخاه أَرْبَدَ بجملة من المراثى ؛ فمنها هذه الأبيات :

قَضِّ اللُّبـانةَ لا أبَا لكَ وَٱذْهَب * وَٱلْحَقْ بِأُسْرَتِكَ الكِرامِ الغُيَّبِ (٣)
ذَهب الذين يُعـاشُ فى أكْنافِهِمْ * وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ (٤)
يَتَلَذَّذُون مَـلاذَةً ومَجانَـةً * ويُعـابُ قائلُهمْ وإنْ لم يَشْعَبِ (٥)
فتَعَـدَّ عن هـذا وقُـلْ فى غيْرِه * وٱذْكُرْ شَمائِلَ مِنْ أخٍ لك مُعْجِبِ (٦)

---

(١) كذا فى الأصول ، والمناسب أن يكون « قربا » بألف الاثنين ؛ لقوله بعد : «ألا قرباه» .

(٢) أصحر : خرج إلى الصحراء . (٣) اللبانة : بقية الحالة . الأسرة هنا القوم . الغيب : الغائبون عنه . (٤) الأكناف (جمع كنف) وهو الجانب يريد : فى رعايتهم . والخلف (بالفتح) : البـدل ، يروى بالسكون وهو البقية ، والنسل . شبههم بجلد الأجرب يعنى يشينون من صحبوا كما يشين الجرب الجلد . (٥) كذا البيت كما هو فى الأصول ، وفى الديوان : «يتأكلون مغالة وخيانة» . وفيه :

* يتأكلون خيانة وملاذة *

والمجانة من المجون . وفى نسخة من الديوان : مخانة من الخيانة . وقوله : وإن لم يشعب ، أى لم يفسد والشعب : التفريق والصدع . وفى الديوان : وإن لم يشغب (بالغين) من الشغب وهو تهييج الشر .

(٦) الشمائل : الطبائع ، واحدها شمال . ومعجب : يعجب من رآه وعاشره .

إنّ الرَّزيّةَ لا رَزيّةَ مثلُها * فِقْدانُ كُلِّ أخٍ كضَوْءِ الكَوْكَبِ [1]

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ * والعِزُّ لا يَأْتى بِغَيْرِ تَطَلُّبِ

يا أَرْبَدَ الخَيْرِ الكَرِيمَ جُدُودُهُ * أَفْرَدْتَنِى أَمْشِى بِقَرْنٍ أَعْضَبِ [2]

وقال أيضا فيه :

ما إنْ تُعَدِّى المَنُونُ مِنْ أَحَدٍ * لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ [3]

أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا * أَرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ [4]

يا عَيْنِ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ * قُمْنا وقامَ الخُصُومُ فى كَبَدِ [5]

فَجَّعَنِى الرَّعْدُ والصَّواعِقُ بالْفا * رِسِ يَوْمَ الكَرِيهةِ النَّجُدِ [6]

قال : وأنزل الله عزّ وجلّ فى هذه القصّة : ﴿سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ . لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ يعنى تلك المعقبات ﴿مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ . ثم قال تعالى مشيرا لهذين : ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ٢١/١٦
ما بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ﴾ . [7]

---

(١) الرزية : المصيبة .

(٢) رجل أعضب إذا كان متفردا . والأعضب المكسور أحد قرنيه ؛ وهذا مثل أى ذهب حدى . (شرح الديوان للطوسى) .

(٣) تعدى : تترك . وفى رواية : « تعرى » بالراء ؛ والمعنى : لا تدعه عاريا من المصائب .

(٤) الحتوف : جمع حتف وهو الموت . النوء : المطر . السماك : منزلة من منازل النجوم . والأسد أحد البروج الاثنى عشر .

(٥) الكبد (بفتحتين) : المشقة .

(٦) فجعنى : أصابنى بفجيعة وهى المصيبة ؛ يقول : أصابته صاعقة . يوم الكريهة : أى الشدة . النجدة : البطل ذو نجدة .

(٧) آية ١٠ ، ١١ سورة الرعد .

أى ملجأ يلجئون إليه . وقد قيل : ﴿ والٍ ﴾ يلى أمرهم ، ويمنع العذاب عنهم . ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ . قال : ﴿ خوفًا ﴾ للسافر يخاف أذاه ومشقّته . ﴿ وَطَمَعًا ﴾ للقيم يرجو بركته ومنفعته . ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾(١) قال الحسن : شديد الحقد(٢) .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : شديد الأَخْذ . وقد روى الثعلبىّ أيضا ، عن إسحق الحنظلىّ ، عن رُيحان بن سعيد الشامى ، عن عبّاد بن منصور ، قال سألت الحسن عن قوله عز وجل : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية .

قال : كان رجلٌ من طواغيت العرب ، فبعث إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم نفرًا ليدعُوه إلى الله عز وجل ورسوله أن يؤمن ، فقال لهم : أخبرونى عن ربّ محمد هذا الذى تدعونى إليه ما هو ؟ ومِمّ هو ؟ من ذهب أم فِضّة أم حديد أم نُحاس ؟ فآستعظم القومُ مقالتَه ، وآنصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، ما رأينا رجلًا أكفرَ قلبًا ، ولا أعْتَى على الله منه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آرجعوا إليه » فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وأخبث(٣) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آرجعوا إليه » فرجعوا ، فبيناهم عنده ينازِعونه ويدعونه ويُعظمون عليه ، وهو يقول هذه المقالة ،

(١) آية ١٢ - ١٣ من سورة الرعد .

(٢) قال الراغب : أى الأخذ بالعقوبة ، وقيل . المحال من الحول والحيلة والميم فيه زائدة .

(٣) فى تفسير الثعلبى : « أجيب محمدا إلى رب لا أراه ولا أعرفه ، فانصرفوا إليه فقالوا : يا رسول ... زادنا على مقالته الأولى » .

إذ ٱرتفعت سحابةٌ فكانت فوق رءوسهم، فرعَدَت و برَقَت فرمت بصاعقة فٱحترق[1] الكافرُ وهم جلوس ، فجاءوا يَسعَوْن ليخبروا النبيّ صلى الله عليه وسلم فٱستقبلهم قومٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لهم : ٱحترق صاحبكم . قالوا لهم : من أين علمتم ؟ قالوا : أُوحِى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم الساعةَ : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية . والله أعلم فى أيهما نزلت .

ولنرجع إلى تتمة خبرِ وفدِ عامر بن صَعْصَعَةَ .

قال محمد بن سعد فى طبقاته : وكان فى الوفد عبدالله بن الشِّخِّير، فقال : يا رسول الله، أنت سيدنا، وذو الطَّوْل علينا . قال : «السيِّد اللهُ، لا يَستهوِيَنّكم الشيطانُ» .

قالوا : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلْقَمَةُ بن عُلاثَةَ بن عَوْف ، وهَوْذَة بن خالد بن ربيعة وٱبنه ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا إلى جنبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوسِع لعَلْقَمة» فأَوْسَع له ، فجلس إلى جنبِه، فقصّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شرائعَ الإسلام ، وقرأ عليه قرآنا ، فقال : يا محمد ، إن ربّك لكريم ، وقد آمنتُ بك ، وبايعتُ على عِكْرِمَة بن خَصَفَة أخى قَيْس ، وأسلم هَوْذَة وٱبنه وٱبن أخيه .

وروى ٱبن سعد عن عون بن أبى جُحَيْفَة السُّوَائى عن أبيه قال : قدِم وفد بنى عامر وكنت معهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوجدناه بالأَبْطَح فى قُبَّة حمراء ، فسلّمنا عليه ، فقال : « من أنتم » ؟ قلنا : بنو عامر بن صَعْصَعة . قال : « مرحبًا بكم أنتم منّى وأنا منكم » .

---

(١) فى تفسير الثعلبى : « فأحرقت الكافر » .

ذكر وفد ثَقِيفٍ و إسلامها وهدم اللات

كان قدوم وفد ثقيف[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إسلامها فى شهر رمضان سنة سبع من مُهَاجَره[2] .

قال أبو عبد الله محمد بن إسحق ، وأبو محمد عبد الملك بن هشام ، وأبو عبد الله محمد بن سعد رحمهم الله ، دخل حديث بعضهم فى حديث بعض : لمّا حاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الطـائفَ لم يحضُر عُرْوَةَ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سلَمة الحصَار ، بل كانا بجُرَش[3] يتعلّمان صنعة العَرّادات والمنْجنيق والدَّبّابات[4] ، فقدِما وقد انصرف رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم عن الطّائف ، فنصـبا المنْجَنيق والعَرّادات والدبّابات وأعتدّا للقتال ، ثم ألقى الله فى قلب عُرْوة الإسلام . فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أثره ، حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقـال له رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « إنّهـم قاتلوك » فقال عُرْوة : يا رسـول الله ، أنا أحبّ إليهـم من أبكارهم . ٢٢/١٦
قال : فكرر عليّ رسول الله صلى الله عليه وسـلم ذلك ثلاثا ، فقال : « إن شئتَ فآخرج » فخرج ، وكان فيهم كذلك محبّا مُطَاعا ، فسار إلى الطائف ، فسار خمسا

---

(١) ثقيف ، كأمير : أبو هـذه القبيلة من هوازن ، واسمه قسى بن منبـه بن بكر بن هوازن ، والنسبة إليه ثقفى . ومقر ثقيف الطائف من بلاد الحجاز فى عهده عليه الصلاة والسلام .

(٢) مهاجره : على صيغة اسم المفعول : أى موضع هجرته والمراد هجرته إلى المدينة .

(٣) جرش ، كزفر : مخلاف باليمن منه الأديم والإبل . (قاموس) .

(٤) العرادات ، جمع عرادة بشد الراء : شبه المنجنيق صغيرة ؛ والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة لدك الحصون . والدبابات جمع دبابة مشددة : آلة تتخذ للحروب فتدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها ، وقد تطورت الدبابة وأصبحت اليوم من أهم سلاح الحروب .

فقدِم عِشاءً ، فدخل منزله ، فجاء قومُه يُحيّونه بتحيَّة الشِّرْك ، فقال : عليكم بتحية أهل الجنة « السّلام » . ودعاهم إلى الإسلام فخرجوا من عنده يأتمِرون به ، فلمّا طلع الفجر أَوْفى على غُرْفة له فأذّن بالصلاة ، فخرجت ثَقيفٌ من كل ناحية ، فرماه رجل يقال له أَوْسُ بن عَوْف أخو بني سالم بن مالك — وقيل : بل هو وَهْبُ بن جابر رجلٌ من الأَحْلاف — بسهم فأصاب أَكْحَلَه[1] فلم يرقأْ دمُه، فقام أشراف قومه ؛ وهم : غَيْلان بن سَلَمَة ، وكِنانَة بن عَبْد يَالِيل ، والحَكَم بن عمرو ابن وهب ، ووجوه الأَحْلاف ، فلبِسوا السِّلاح وحَشَدوا ، فلما رأى عُرْوة ذلك قال : قد تصدّقتُ بدَمي على صاحبه ؛ لأصلحَ بذلك بينكم ، وهي كَرامَة أكرمني الله بها ، وشَهادةٌ ساقها اللهُ إليّ . وقال : ادفنوني مع الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات فدفنوه معهم ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرُه فقال فيه : « إنّ مَثَله في قومه لكَمَثل صاحب « يس » دعا قومه إلى الله فقتلوه » .

قالوا : ولحق أبو المُلَيح بن عُروة ، وقارِبُ بن الأَسْوَد بن مسعود برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَوَلَّيا من شئتما » فقالا : نَتَوَلّى اللهَ ورسولَه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وخالكما أبا سُفْيان بن حَرْب » فقالا : وخالنا أبا سُفيان .

قال ابن إسحق : ثم أقامت ثَقِيف بعدما قُتِل عُرْوة أشهرًا ، ثم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا . وكان

(١) الأكحل له عرق في وسط الذراع يكثر فصده ، أو هو عرق الحياة يدعى نهر البدن إذا قطع لم يرقأ الدم .

مالك بن عَوْف قد أسلم كما قدّمنا فى غزوة حُنَين ، وجعل يُغير على سَرْحهم (١) . قال : وكان عمرو بن أمية أخا بنى عِلَاج مُهاجِرًا (٢) لعبد يَا لِيلَ (٣) بن عمرو ، وكان من أَدْهَى العرب ، فمشى إلى عبد يَالِيل بن عمرو حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن آخرج إلىّ ، فآستعظم عبدُ يَالِيل مشيَه إليه ، وقال للرسول الذى جاءه : ويلك! أعمرو أرسلكَ إلىّ ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفا فى دارك ، فقال : إن هذا لشىء ما كنت أظنه ، لَعَمْرو كان أمنعَ فى نفسه من ذلك ، وخرج إليه ، فلمّا رآه رَحّب به ، فقال عمرو له : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجرة (٤) ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيتَ ، وقد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فآنظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثَقِيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سَرْبٌ (٥) ، ولا يخرج منكم أحد إلا آقتطع . فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، كما أرسلوا عُرْوة بن مسعود ، فعرضوا ذلك على عبد يالِيل بن عمرو بن عُمَير ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنَع به إذا رجع كما صُنِع بعُرْوة ، فقال : لست فاعلا حتى يرسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأَحْلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وَهْب بن مُعتّب ، وشَرَحْبِيل بن غَيْلان بن سَلَمَة بن مُعتّب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بِشْر أخا بنى يَسَار ، وأَوْس بن عَوْف أخا بنى سالم ،

(١) السرح : السائمة ترعى بنفسها ، سميت بالمصدر ؛ يقال : سرحت الإبل رعت بنفسها وسرحتها ، يتعدى ولا يتعدى ، وسرحتها بالتشديد للمبالغة والتكثير .

(٢) مهاجر : مقاطع .

(٣) يالِيل كهابيل : صنم أضيف إليه كعبد يغوث وعبد العزى وليس باسم رجل إلا مضافا إلى الصنم .

(٤) الهجرة : الهجر ضد الوصل .

(٥) السرب ، بالفتح : الماشية كلها ، والطريق ، وبالكسر النفس .

ونُمَـيْر بن خَرَشَة بن ربيعة أخا بنى الحارث ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نابُ القوم (١) وصاحب أمرهم .

وقال آبن سعد : كانوا بضعة عشر رجلا ، وهو أثبت .

قال آبن إسحق : فلما دَنَوْا من المدينـة ونزلوا قَنَاةَ (٢)، ألْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَة يرعى فى نَوْبَته رِكاب أصحاب رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم ، وكانت رِعْيَتُها نُوَبًا (٣) على أصحابه ، فلمـا رآهم ترك الرِّكاب عندَ الثَّقَفِيين ، وخرج يَشْتَدّ (٤) ليبشِّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق رضى الله عنـه قبل أن يدخل على رســول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن رَكْب ثَقِيف أن قد قَدِموا يريدون البَيْعة والإســلام ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أُحدِّثه ، ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رســول الله صــلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إليهم فعلَّمهم كيف يُحَيُّون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية .

قال : ولمـا قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضَرَب عليهم قُبَّة فى ناحية مسجده ــ كما يزعمــونَ (٥) ــ ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشى بينهــم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتبوا كتابهم ، وكتبه خالد بيده ، وهو :

(١) نابُ القوم : سيدهم وكبيرهم .

(٢) قناة : واد بالمدينة عليه حرث ومال .

(٣) النوب : جمع نوبة أى يتناوبون رعيها .

(٤) يشتد : يعدو . وفى آبن هشام : « وضبر يشتد » أى وثب يعدو .

(٥) فى الطبقات : ضرب قبـة فى المسجد فكان رسول الله يأتيهم الخ وليس فيه : كما يزعمون ، ولا فى شرح المواهب ، ولعله أراد : كما يزعم المؤرخون .

« بسم الله الرحمن الرحيم مِن محمد النبيّ رسول الله، إلى المؤمنين : إنّ عِضاه[١] وجٍّ[٢] وصَيْدَه [حرام][٣] لا يُعْضَد[٤] ، مَن وُجِد يفعل شيئا من ذلك فإنه يُجلَد وتُنزَع ثيابُه ، فإن تعدّى ذلك فإنه يُؤخَذ فيُبلَغ به النبيَّ — محمدا صلّى الله عليه وسلّم — وأن هـذا أمرُ النبيِّ محمدٍ رسـول الله . وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبـد الله فلا يتعدَّه أحدٌ فيظلمِ نفسه فيما أَمَر به محمدٌ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم » .

قال ٱبن إسحق : وكانوا لا يَطْعَمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم . ٢٣/١٦

قال : وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يَدَع لهم الطّاغِيَةَ وهى اللّاتُ، لا يَهْدِمها ثلاثَ سنين ، فأبى رسـولُ الله صلّى الله عليـه وسلّم ذلك عليهم ، فمـا برحوا يسألونه حتى سألوه شهرا واحدا بعـد مَقْدَمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مُسَمًّى . و إنمـا يريدون بذلك فيما يظهرون أنـ يَسْلَموا[٥] بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهـم، و يكْرهون أن يُرَوِّعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلَهم الإسلامُ . فأبى رسولُ الله صلّى الله عليــه وسلّم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بنـ شُعْبَة فهدماها . وقـد كانوا سألوه مع ترك الطاغيــة أن يُعفيهم من الصلاة، وألّا يَكْسِروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسـول الله صلى الله عليــه وسلم : « أمّا كَسْر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منـه ، وأما الصّـلاة فإنه لا خير فى دِينٍ لا صلاة فيه » . فقـالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها و إن كانت دناءة . فلمـا أسلموا

(١) العضاه، جمع عضاهة وعضة : وهى الشجرة العظيمة أو الخمط أو كل ذات شوك .

(٢) وج : موضع بناحية الطائف . وقيل : هو ٱسم جامع لحصونها . وقيل : ٱسم واحد منها يحتمل أن يكون على سبيل الحمى له . النهاية . (٣) الزيادة من شرح المواهب .

(٤) عضد الشجر قطعه . (٥) فى السيرة لابن هشام : « أن يتسلموا » .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم، أمّر عليهم عثمانَ بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سِنًّا، وكان أحرصَهم على التَّفَقُّه في الإسلام وتعلّم القرآن، فقال أبو بكر الصدّيق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عَهِد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على ثَقِيف أن قال: «يا عثمان، تجاوز (1) في الصلاة وأقْدُر الناسَ بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصّغير والضّعيف وذا الحاجة».

قال ابن إسحق: ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبة في هَدْم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قَدموا الطائف أراد المغيرةُ أن يُقدِّم أبا سفيان فأبى ذلك عليه، وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَدِم (2)، فلما دخل المغيرة بن شُعْبة عَلاها يضربها بالمِعْوَل، وقام قومه بنو مُعَتِّب دونه خشية أن يُرْمَى أو يُصَاب كما أصيب عُرْوة بن مسعود، وخرج نِساء ثَقِيف حُسَّرًا (3) يبكين ويقُلْن:

لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاعْ (4) * أَسْلَمَها الرُّضَّاعْ (5)

* لَمْ يُحْسِنُوا المِصَاعْ (6) *

(1) تجاوز: تساهل بعدم الإطالة فيها؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «وأقدر الناس بأضعفهم». أى احمل الناس على رعاية الضعيف.

(2) الهدم، بفتح فكسر — ياقوت عن الواقدى — ماء لبلى وراء وادى القرى؛ وفى نسخة من الأصل: بذى الهرم ولم نجد له معنى. والمال عند أهل البادية النعم. المصباح. وهو المراد بأقام أبو سفيان بماله. (3) حسرا جمع حاسر: بعورها، مكشوفات الرءوس.

(4) سموا اللات دفاع اعتقادا منهم أنها هى التى تدفع عنهم الضر.

(5) الرضاع: اللئام أو الذين رضعوا اللؤم من ثدى أمهاتهم.

(6) المصاع: الضرب بالسيف.

قال : ويقول أبو سفيان بن حرب، والمغيرة يضربها بالفأس : واهًا لكِ ! آهًا لكِ[(١)] ! فلما هدمها المغيرةُ بن شُعْبة وأخذ مالَها وحُلِيَّها ، أرسل إلى أبى سفيان ، وحُلِيُّها مجموعٌ ، ومالها من الذهب والجَزْع[(٢)] .

وقد كان أبو مُلَيْح بن عُرْوة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضى عن أبيه عُرْوة بن مسعود دَيْنا كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَم » فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، — وعُرْوة والأسودَ أخوان لأبٍ وأمّ — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الأسود مات مشركا» . فقال قارب : يا رسولَ الله ، لكن يَصِلُ مُسْلِماً ذا قرابة — يعنى نفسَه — إنّما الدَّين علىّ وأنا الذى أُطْلَب به . فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطّاغية ، ولمّا جمع المغيرةُ مالَها قال لأبى سفيان : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أمرك أن تقضى عن عُرْوة والأسود دَيْنَهما . فقَضى عنهما .

قال المغيرة : فدخلت ثَقِيف فى الإسلام ، فلا أعلم قوما من العرب بنى أبٍ ولا قبيلة كانوا أصحَّ إسلاما ، ولا أبعدَ أن يوجد فيهم غِشٌّ لله ولكتابه منهم .

ذكر وفد عبد القيس[(٣)]

قال محمد بن سعد : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين أن يَقْدُم عليه منهم عشرون رجلا ، فقَدِموا ؛ رأسهم عبد الله بن عَوْف الأشجّ ،

(١) فى نسخة من سيرة ابن هشام : «واهالك ، آهالك» مكررا تحسرا وتوجعا ، والذى فى الأصل معناه : توسعا وتحسرا لك أهلا .

(٢) الجزع بفتح الجيم وكسرها : الخرز اليمانى وهو الذى فيه بياض وسواد تشبه به الأعين .

(٣) منسوب إلى عبد القيس بن أفصى (بصاد مهملة مفتوحة ، على وزن أعمى) بن دعمى (بضم الدال وسكون العين وكسر الميم) بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وفيهم الجارود بن عمرو بن حَنَش ، ومُنْقِذ بن حَبَّان وهو آبن أخت الأشجّ ، وكان قدومهم عامَ الفَتْح ، فقيل : يا رسول الله ، هؤلاء وفد عبد القيس ، فقال : « مَرْحبًا بهم نِعْم القومُ عبد القيس » . قال : ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأفُق صبيحةَ ليلة قَدِموا ، فقال : « ليأتينّ رَكْبٌ من المشرق لم يُكْرَهوا على الإسلام، قد أَنْضَوا الرِّكاب ، وأَفْنَوا الزاد ، بصاحبهم علامة ، اللهمّ آغفر لعبد القيس ، أَتَوْنى لا يسألون مالًا ، هم خيرُ أهل المشرق » .

قال : فجاءوا فى ثيابهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فسلّموا عليه ، فقال : « أيكم عبد الله الأشجّ » ؟ فقال : أنا يا رسول الله . وكان رجلا دَميما ، فنظر إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : « إنه لا يُسْتَقَى(١) فى مُسُوك(٢) الرجال ، إنما يُحتاج من الرَّجُل إلى أصغرَيْه(٣) لسانه وقلبه » . فقال رسول الله صلى ٢٤/١٦
الله عليه وسلم : « فيك خَصْلتان يُحبّهما الله تعالى » فقال عبد الله : وما هما ؟ قال : «الحِلْم والأَناة»(٤) . قال : أشىء حَدَث أم جُبِلْتُ عليه؟ . قال : «بل جُبِلْتَ عليه » . قال : وكان الجارود نصرانيا ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ورَغّبه فيه .

قال آبن إسحق : فقال يا محمد ، إنّى قد كنت على دِين، وإنى تاركٌ دِينى لدينك : أفتضمن لى دِينى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَم ، أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خيرٌ منه » . فأسلم وأسلم أصحابه .

---

(١) فى الطبقات : يستسق . واستقى واستسقى واحد . (٢) مسوك (جمع مسك بالفتح) : الجلد . (٣) هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ومعناه : إن المرء يعلو الأمور و يضبطها بجنانه ولسانه . (٤) الحلم ، بالكسر : العقل ، والأناة : الوقار والتثبت فى الأمور . قال الراغب : والأناة التؤدة ، وتأنى فلان تأنيا وأنى يأنى فهو آن ، أى وقور .

قال ابن سعد : وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس فى دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، وأجرى عليهم ضيافة ، وأقاموا عشرة أيام ، وكان عبد الله الأشجّ يسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن ، وأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز ، وفَضَّل عليهم عبد الله الأشجّ ، فأعطاه اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا ، ومَسح صلّى الله عليه وسلّم وجهَ مُنْقِذ بن حَبَّان .

ذكر وفد بَكْر بن وائل

قال ابن سعد : قَدِم وفد بَكْر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الوفد بشير بن الخُصَاصِيّة[(١)]، وعبد الله بن مَرْثَد ، وحَسّان بن خَوْط ، ولذلك يقول رجلٌ من ولد حسان[(٢)] :

أنا ابْنُ حسّانَ بن خَوْطٍ وأبى * رسولُ بَكْرٍ كلّها إلى النّبىّ

قالوا : وقَدِم معهم عبد الله بن أسْوَد بن شِهاب بن عَوْف بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس ، وكان ينزل اليَمَامَة ، فباع ما كان له من مال باليمامة ، وهاجر وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجراب من تَمْر ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة . وحيث ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى .

---

(١) قيل له ابن الخصاصية نسبة إلى أمه . وكان اسمه زحم فسماه رسول الله بشيرا . وقد اختلفوا فى نسبه ، فقيل بشير بن يزيد بن معبد ؛ وقيل : بشير بن معبد بن شراحيل . (أسد الغابة) .

(٢) قائله بشر بن حسان الراجز يوم الجمل ، وقد شهد الوقعة مع أبيه ، وكانت راية بكر مع أخيه الحارث بن حسان فقتل فقبل فيه :

* أنعى الرئيس الحارث بن حسان *

ذكر خبر أعشى بنى قيس

وآمتداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعه قبل لقائه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسىّ، وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم، أنّ أعشى[(١)] بنى قيس بن ثَعْلَبَة بن عُكَابة آبن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ لَيْــلَةَ أَرْمَــدَا ٭ وبِتَّ كما باتَ السَّــلِيمُ مُسَهَّدَا[(٢)]
وما ذاكَ مِن عِشْــقِ النِّساءِ وإنَّمــا ٭ تَناسَيْتُ قبــلَ اليومِ صُحْبَةَ مَهْــدَدَا[(٣)]
ولكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الّذى هــو خائنٌ ٭ إذا أَصْلَحَتْ كَفّــاىَ عاد فأفْسَــدَا[(٤)]
كُهُولًا وشُــبَّانًا فَقَــدتُ وثَرْوَةً ٭ فللهِ هــذا الدَّهْرُ كيف تَرَدَّدَا[(٥)]

---

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة . وفى التاج : ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وفى بعض المراجع : شراحيل بن عوف الخ . ابن ثعلبة الحصن ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) تغتمض : استفهام تقرير، يخاطب نفسه تجريدا . وليلة أرمد : أى ليلة رجل أرمد : آفتقر، ولقوم أمحلوا وهلكت مواشيهم . ويروى : «وعاداك ما عاد السليم» ، والسليم : اللديغ قيل له تفاؤلا كما قيل مفازة للفلاة المهلكة ، والمسهد : القليل النوم أرقا ، أو الذى لا ينام .

(٣) يروى : « خلة » مكان « صحبة » . مهددا : آسم آمرأة ، بجعفر ، والألف للإطلاق .

(٤) يقول : إذا آتخذت مالا وآصطفيت أخا جاء الدهر فذهب به .

(٥) الذى فى الديوان (طبع أوروبا) وفى المغنى لابن هشام : « شباب وشيب وافتقار وثروة » .

وما زِلْتُ أَبْغِي المـالَ مُذْ أنا يافِـعٌ * وَلِيـدًا وكَهْـلًا حين شِبْتُ وأَمْرَدَا (١)

وأَبْتَـــذِلُ العِيسَ المَرَاقِيـلَ تَغْتَـلِي * مسافَـةَ ما بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَـدَا (٢)

أَلَا أَيُّهـــذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَّمَتْ * فإنّ لهـا فِي أَهْـلِ يَثْرِبَ مَوْعِـــدَا (٣)

فإنْ تَسْأَلِي عَنِّي فيـارُبَّ سائِلٍ * حَفِيٍّ عنِ الأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْـعَدَا (٤)

أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْـها النَّـجاءَ وراجَعَتْ * يـــداها خِنَـافًا لَيِّنًا غيرَ أَحْـــرَدَا (٥)

وفيهـا إذا ما هَجَّـــرَتْ عَجْرَفِيَّـــةٌ * إذا خِلْتَ حِرْباءَ الظَّهِـيرةِ أَصْـــيَدَا (٦)

---

(١) اليـافع : الغلام الذى قارب الحلم . والوليـد : الصبي . والكهل : الذى بلغ الأربعين ، أو جاوز الثلاثين ، أو وخطه الشيب . والأمرد : الذى لا شعر على وجهه ، من تمريد الغصن ، وهو تجريده من الورق ، ونصب وليدا على أنه خبر كان مقدرة . وفى هذا البيت إيلاء (مذ) الجملة الاسمية ، وهو من الشواهد لهذا .

(٢) العيس : الابل . المراقيل : المسرعة . تغتلى : تغالى فى السير . النجير كزبير : حصن قرب حضرموت . وصرخد : موضع بالشام . ويروى : «وأبتعث العيس المراسيل» . وقال بعض : العيس : الإبل البيض ، وهى ضرب من النجائب .

(٣) يممت : قصدت . يثرب : المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(٤) الحفى : الذى يكثر السؤال فى إلحاح . وأصعد : ذهب فى الأرض . وأصعد أتى مكة ، وأصعد انحدر فى الوادى .

(٥) أجدت : سلكت . والنجاء : السرعة فى السير . الخناف : لين فى أرساغ البعير ، تقول منه : خنف البعـير يخنف خنافا إذا سار فقلب خف يده إلى جانبه الأيمن . وأحرد ، بالحاء المهملة : الذى يخبط بيديه إذا سار . وهذا أحتراس .

(٦) عجرفية : لاتبالى فى سـيرها لنشاطها . وهجرت : دخلت فى الهـاجرة . خلت : حسبت . الحرباء : وهى دويبة تستقبل الشمس حتى تغرب كيفما دارت رافعة يديها ورأسها ، والظهيرة : وقـ الهـاجرة ، والأصيد : البعير الذى به الصيد ، وهو داء يأخذ الإبل فى رءوسها فلا تزال رافعة رأسها منه يصف ناقته بهوج وقلة مبالاة لسرعتها .

وأمّا إذا ما أَدْلَجَتْ فـتَرَى لهـا * رَقِيبَيْنِ جَـدْيًا ما يَغِيبُ وفَرْقَـدَا (١)
فآلَيْتُ لا آوِى لهـا مِن كَلَالَةٍ * ولا مِنْ حَفًى حتّى تُلاقِى مُحَمَّـدَا (٢)
مَتَى ما تُنَاخِى عِنْدَ بابِ ٱبنِ هاشِمٍ * تُرَاحِى وتَلْـقَىْ مِنْ فَوَاضِـلِهِ نَـدَا (٣)
نَبِيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وذِكْرُه * أغارَ لعَمْـرِى فى البِـلادِ وأَنْجَـدَا (٤)
له صَـدَقاتٌ ما تُغِبُّ ونائِـلٌ * ولَيْسَ عَطـاءُ اليَـوْمِ مانِعَـهُ غَدَا (٥)
أَجِـدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصاةَ مُحَمَّـدٍ * نَبِىُّ الإلٰهِ حَيْثُ أَوْصَى وأَشْهَـدَا (٦)

---

(١) أدلجت : سارت بالليل ، الجدى بالفتح : كوكب تعرف به القبلة وهو من نجوم بنات نعش الصغرى ، و يقال له جدى الفرقد ، والفرقد أيضا نجم يهتدى به ، وجاء فى الشعر مفردا ومثنى كقوله :

وكل أخ مفارقـه أخـوه * لعمـر أبيـك إلا الفرقدان

والفرقدان : نجمان فى السماء لا يغربان ، ولكنهما يطوفان بالجدى الذى هو من البروج . يصف ناقته بأنها سريعة السير إلى حد الهوج بالنهار ، وفى الليل تستمر سائرة الليل كله راغبـة الوصول إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) آليت : أقسمت . آوى : أقيم . يروى : « لا أرثى » وكلالة : تعب و إعياء . والحفى (مقصور) : انسحاج القدم من كثرة المشى يريد ناقته . «تلاقى» يروى : «تزور» .

(٣) أناخ الجمل : برك ، يقال أناخ الجمل نفسه ولا يقال ناخ . فى بعض الأصول : «تريحى» ، من أراح : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء وصار ذا راحة . فواضله : هى الأيادى الجسيمة أو الجميلة ، الندى : الجود ، و يروى : «يدا» أى نعمة و إحسانا .

(٤) يرى هنا بمعنى علم أى يعلم ما لا تعلمون . أغار : من الغور وهو المنخفض من الأرض . وأنجد : من النجد وهو ما ارتفع منها . يريد عم ذكره جميع البلاد .

(٥) تغب : تأتى مرة وتتخلف مرة ، يريد لا تنقطع . والنائل : العطاء الذى ينالك .

(٦) أجدك : أحقا ، وهو بالفتح والكسر وهو أفصح لا يقال إلا مضافا ، قال الأصمعى : معناه أبجد منك ، ونصبه بطرح الباء ، قال الليث : إذا كسر استحلفه بحقيقته ، و إذا نصب استحلفه بجده ، وقال بعض : كأنما استحلفه بوالده أبيه . قال أبو حيان : إن الاسم المضاف حقه أن يناسب فاعل الفعل فى الخطاب والتكلم والغيبة ، نحو أجدى وأجدك وأجده لأنه مصدر يؤكد الجملة التى بعده . والوصاة : الوصاية .

إذا أنتَ لم تَرْحلْ بزادٍ من التُّقَى * ولاقَيْتَ بعدَ الموْتِ منْ قد تزوّدا (١)
نَدِمْتَ على ألّا تكونَ كَمِثْلِهِ * فتَرْصُدَ للأمرِ الذى كان أرْصَدا (٢)
فإيّاكَ والمَيْتاتِ لا تَقْرَبنَّها * ولا تأخُذَنْ سَهْمًا حديدًا لتَفْصِدا (٣)
ولا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه * ولا تَعْبُدِ الأوْثانَ واللهَ فاعْبُدا (٤)
ولا تَقْرَبَنَّ جارةً إنّ سِرَّها * عليكَ حرامٌ فانْكِحَنْ أو تأبَّدا (٥)
وذا الرَّحِمِ القُرْبى فلا تَقْطَعَنَّهُ * لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المُقَيَّدا (٦)
وسَبِّحْ على حينِ العَشِيّاتِ والضُّحَى * ولا تَحْمَدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاحْمَدا (٧)
ولا تَسْخَرَنْ من بائسٍ ذى ضَرارةٍ * ولا تَحْسَبَنّ المالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدا (٨)

(١) الزاد : المدخر الزائد على ما يحتاج إليه فى الوقت . والتزود : أخذ الزاد ، قال تعالى : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » . (مفردات الراغب) .

(٢) كمثله ، الكاف زائدة . أرصد : أعد للأمر عدته ، والرصد : الاستعداد للترقب ، ويروى :

* وأنك لم ترصد لما كان أرصدا *

(٣) تفصد . قطع عرق ليشخب الدم ، فكانوا فى الجاهلية يفصدون لشرب الدم . وحذر الأعشى من أكل الميتة وشرب الدم . (٤) النصب : الأصنام . والنسك : الذبح لها ، وكانوا يعقرون عندها ثم يصبون رءوسها بدم العقيرة . ويروى : وذا «النصب» . ونصبه على التحذير . (٥) سرها : وطؤها . تأبد : تعزب وتعفف عن النساء . (٦) وفى الديوان بدل هذا البيت :

ولا السائل المحروم لا تتركنه * لعاقبة ولا الأسير المقيدا

وفى شرح قصيدة الأعشى (المخطوط رقم ١٧٣٦ أدب) : «فلا تقطعنه لفاقته» ومثله فى حواشى الديوان (طبع أوروبا) . (٧) ويروى : « وصل » مكان « وسبح » والمعنى واحد ، كقوله تعالى : « يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال » « وعلى » للظرفية بمعنى « فى » كقوله تعالى : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » أى فى حين . (٨) البائس : الفقير الشديد الحاجة . الضرارة : الضرر وهو سوء الحال فى البدن أو النفس أو المال ؛ قال الراغب : الضر سوء الحال إما فى نفسه لقلة العلم والفضل والعفة ، وإما فى بدنه لعدم جارحة أو نقص وإما فى حالة ظاهرة من قلة مال وجاه . وفى القصيدة الخطية المذكورة آنفا . « ذى ضرورة » . ويروى :

* ولا تحسبن المرء يوما مخلدا *

والخلد البقاء والدوام .

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلِم ، فقال له : يا أبا بصير إنه يحرِّم الزِّنَى . فقال الأعشى له : والله إن ذلك لَأَمْرٌ مالى فيه من أَرَب . فقال : يا أبا بصير فإنه يحرِّم الخمر . فقال : أمّا هذه فوالله إنّ فى النفس منها لَعُلَالَاتٍ(١) ، ولكنّى منصرف فأتَرَوَّى منها عامِى هذا ثم آتيه فأُسْلِم . فانصرف فمات من عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد تَغْلِب

قال : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تَغْلِب(٢) ، وهم ستة عشر رجلا مسلمين ، ونصارى عليهم صُلُب الذَّهَب ، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث ، فصالح صلّى الله عليه وسلّم النّصارى على أن يُقِرَّهم على دِينهم(٣) ، على ألّا يَصْبُغُوا أولادهم فى النّصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم .

ذكر وفد حنيفة

قالوا : قَدِم وفد بنى حنيفة(٤) على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم رَجّال(٥) بن عُنْفُوَة ، وسَلْمَى بن حَنْظَلَة ، وطَلْق بن علىّ بن قيس ،

(١) علالات (جمع علالة) : وهى البقية ؛ يريد بقايا من تعلق النفس بها .

(٢) هم قوم من مشركى العرب طلبهم عمر بالجزية فأبوا أن يعطوها باسم الجزية وصالحوا على اسم الصدقة مضاعفة ، وروى أنه قال : هاتوها وسموها ما شئتم . والنسبة إليها تغلبى ، بكسر اللام على الأصل ، قال ابن السراج : ومنهم من يفتح للتخفيف استثقالا لتوالى كسرتين مع ياء النسب (المصباح) . وتغلب هذا هو ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان .

(٣) وفى : الطبقات «على دينهم» .

(٤) بنو حنيفة : قبيلة كبيرة كانوا ينزلون اليمامة بين نجد والأحقاف وهى أقرب إلى نجد لهذا عدها منه ، ينسبون إلى جدهم حنيفة بن لجيم — بالجيم — ابن صعب بن على بن بكر بن وائل .

(٥) رجال ، كشداد . وفى التاج : «ووهم من ضبطه بالحاء المهملة» . وهو فى الطبقات بالحاء .

وحُمْران بن جابر، وعلىّ بن سِنان، والأَقْعَس بن مَسْلَمَة[1]، وزيد بن عمرو[2]، ومُسَيْلِمَة ابن حبيب، وهو الكذّاب . وعلى الوفد سَلْمَى بن حَنْظَلة : فأنزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث[3]، وأجريت عليهم ضيافة . فأتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى المسجد، فسلّموا عليه وشهدوا شهادة الحقّ ، وخلّفوا مُسَيْلِمَة فى رحالهم . وأقاموا أياما يختلفون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وكان رَجّال بن عُنْفُوَة يتعلّم القرآن من أُبىّ بن كعب ، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم، أمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائزهم : خمس أواقٍ لكل رجل ، فقالوا : يا رسول الله ، خلّفنا صاحبًا لنا فى رحالنا يبصرها لنا ، وفى ركابنا يحفظها علينا . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لأصحابه . وقال : « ليس بشرّكم مكانًا لحفظه ركابكم ورحالكم » . فقيل ذلك لمُسَيْلِمة فقال : عَرَف أنّ الأمر إلىّ من بعده .

وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إداوةً من ماء فيها فَضْل طَهُوره ، فقال : « إذا قدمتم بلدكم فاكسروا بِيعَتكم[4]، وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوا مكانها مسجدًا » ففعلوا، وصارت الإداوةُ عند الأَقْعَس بن مَسْلَمَة، وصار المؤذّن طَلْق بن علىّ ، فأذّن فسمعه راهب البِيْعة ، فقال : كلمةُ حقّ . وهرب فكان آخر العهد به .

ثم ادّعى مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ بعد ذلك النبوّةَ، وشهد له الرَّجّال[5] أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشركه فى الأمر ، فافتتن الناسُ به . وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى فى خلافة أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه .

---

(١) فى الأصل : « ابن سلمة » ، وصوابه مسلمة كما فى الطبقات وما يأتى بعد . (٢) فى طبقات : « ابن عبد عمرو » . (٣) قال شارح المواهب : « رملة بنت الحدث بدال بعد الحاء المهملة لا براء قبلها ألف ، كما قال ابن سعد وغيره » قال : « وكانت دارها دار الوفود » . وهى أنصارية نجارية . (٤) البيعة : متعبد النصارى . (٥) ابن عنفوة المتقدم .

ذكر وفد شَيْبان

قال : وقَـدِم من بنى شَـيْبان حُرَيْث[١] بن حسّان الشَّيْبانىّ، فبايع رسـولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على الإسلام وعلى قومه ، وصَحِبَه فى مَسيره إلى رسـول الله صلّى الله عليه وسـلم قَيْلةُ بنت مَخْرَمَة التّميميّة[٢] ، وهى التى أُرْعِدت من الفَرَق[٣] لمّا أتت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال لها : «يا مِسكينة عليك السَّكِينة»[٤] [فهدأت] .

رُوِى عن قَيْلَة بنت مَخْرَمة أنها قالت : إنّ حُرَيْث بن حسّان قال : يا رسول الله ، ٱكتب بيننا وبين بنى تميم بالدَّهْناء[٥] لا يجاوزها إلينا منهم إلّا مسافر أو مجاور. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلام ٱكتب له بالدَّهْناء »، قالت قَيْلَةُ : فلما رأيته أمر له بأن يكتب له بها ، قلت : يا رسول الله، إنه لم يسألك السويّة من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدَّهْناء[٦] عندك، مُقَيَّد[٧] الجَمَل، ومَرْعَى الغَنَم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك. فقال [رسول الله][٨]: « أَمسِكْ يا غلام، صَدَقت المِسكينةُ، المسلمُ أخو المسلم يَسَعُهما المـاءُ والشجرُ، ويتعاونان على الفَتّان[٩]». فلما رأى حُرَيْث أن قد حِيل دون كتابه، ضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: كنتُ أنا وأنتِ

---

(١) فى أسد الغابة أن الصحيح اسمه الحارث بن حسان ، وهو من ذهل بن شيبان .

(٢) وهى العنبرية — لأن العنبر من تميم — وهذا هو الصحيح كما فى أسد الغابة .

(٣) الفرق، بالتحريك : الخوف ، والرعدة : الاضطراب يصيب الإنسان من الخوف الشديد .

(٤) فى الأصول « مهاجرت » مكان «فهدأت» والسياق لا يستقيم مع الأصول، ويؤيد ما أثبتنا ما فى الطبقات .

(٥) الدهناء : ديار بنى تميم ، تقصر وتمد وهى من أكثر بلاد الله كلأً .

(٦) فى الطبقات : فلما رأيته أمر له بأن يكتب له بها شخص بى وهى وطنى ودارى فقلت الخ .

(٧) مقيد الجمل : أى أنها مخصبة ممرعة ، والجمل يقيد فيها ويخلى لا يتعدى مرتعه .

(٨) زيادة يقتضيها السياق .

(٩) الفتان فى الحديث ، يروى بالضم والفتح ، فالضم جمع فاتن ، أى يعاون أحدهما الآخر على الذين يضلون الناس عن الحق ويفتنونهم ، وبالفتح مفرد وهو الشيطان لأنه يفتن الناس عن الدين ، وفتان من أبنية المبالغة فى الفتنة .

[كما قيل](١) : « حَتْفَهَا تَحمِلُ ضَأنٌ بأظْلافِها »(٢) فقلت : أَمَا واللهِ أَنْ كنتَ لدليلاً في الظَّلْماء ، جَوَادًا بذي الرَّحْل ، عفيفًا عن الرَّفِيقَة ، حتى قَدِمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا تلمني على حَظّي إذ سألتَ حظَّك . فقال : وما حَظُّك في الدَّهْناء لا أبَا لكِ ؟ ! قلت : مُقَيَّد جَمَلي تسأله لجمل امرأتك ! قال : لا جَرَم ، إنّي أُشهِد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّي لكِ أخٌ ما حييتُ إذ أثنيتِ(٣) هذا عليّ عنده . فقلتُ : [أمَا](٤) إذ بدأتَها فلن أضيعها . وحديثُ قَيْلَة فيه طُولٌ ليس هذا موضعه .

---

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) هذا مثل ؛ يقول في مجمع الأمثال لميدانى : يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة . وأصله أن رجلا وجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فضربت بأظلافها الأرض ، فظهر سكين فذبحها به . وهذا المثل لحريث ابن حسان الشيباني تمثل به بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم لقيلة التيمية ، وكان حريث حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله إقطاع الدهناء ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلمت فيه قيلة ، فعنده قال حريث : كنت أنا وأنت كما قيل : « حتفها تحمل ضأن بأظلافها » ضأن فاعل تحمل وحتفها مفعول .

(٣) في الطبقات : « أثنيت » .

(٤) الزيادة من الإصابة .

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طيّئ وخبر زيد الخَيل وعَدىّ بن حاتم

قالوا : وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيّئ خمسة عشر رجلا ؛ رأسهم ، وسيّدهم زَيْد الخَيْل بن مُهَلْهِل ، من بنى نَبْهان . وفيهم وَزَر بن جابر بن سَدُوس النّبْهانىّ[(١)] ، وهو قاتل عَنْتَرَة ، وقَبِيصَة بن الأَسْوَد بن عامر من جَرْم طيّئ ، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرى[(٢)] من بنى مَعْن ، وقُعَين[(٣)] بن خَلَف من جَديلة[(٤)] ؛ ورجل من بنى بَوْلان[(٥)] ، فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ثم دخلوا فدَنَوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة لكل رجل منهم ، وأعطى زيد الخيل اثنتى عشرة أوقيةً ونَشًّا . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذُكِر لى رجلٌ من العرب إلا رأيتُه دون ما ذُكِر لى إلّا ما كان من زيد الخيل ، فإنه لم يَبلغ كلّ ما كان فيه » .

وسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « زيد الخير » وقَطَع له فَيْد[(٦)] وأرَضِين معه ، وكتب له بذلك كتابا ، فخرج مع قومه راجعًا ، فقال رسول الله صلى الله

---

(١) فى أسد الغابة والإصابة : وزر بن سدوس . إلا أن الإصابة نقل فيها عن الرشاطى : وزر بن جابر . وعنترة الذى قتله هو العبسى المشهور . ونقل عن أبى الفرج أن وزر هذا لحق بالشام وتنصر ومات على ذلك . (٢) خيبرى ، بفتح الراء وألف مقصورة ابن أفلت بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن .

(٣) قعين ، كزبير من القعن وهو ارتفاع فى أرنبة الأنف وقصر فاحش فى الأنف ضد . وفى الطبقات ابن خليف بالتصغير . (٤) جديلة . من قبائل طيّئ ، وهى أم جندب وحور ، يعرفون بأمهم . وفى الطبقات : « ابن جديلة » وليس بصحيح لما رأيت . (٥) هو بولان بن عمرو بن الغوث من طيّئ .

(٦) فيد مثال بيع : منزل فى نجد بطريق مكة من العراق . وفى التاج : « قال السكونى كان فيد فلاة فى الأرض بين أسد وطيّئ فى الجاهلية ، فلما قدم زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه فيد » .

عليه وسلم : « إِنْ يُنْجَ زيدٌ من حُمَّى المدينة فإِنَّهُ »(١)، فلما انتهى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة(٢) أصابته الحُمَّى فمات، فعمدت امرأته إلى ما كان النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب له فحرقته بالنار .

هذا ما كان من خبر زيد الخيل .

وأمّا عَدِيّ بن حاتم فكان من خبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى الفُلْس(٣) — صَنَمُ طيِّئ — ليهدمه ويشنّ الغارات، فخرج فأغار على حاضر آل حاتم، وأصابوا ابنة(٤) حاتم، كما قدّمنا ذكر ذلك فى الغزوات والسّرايا، فقَدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَبَايا طيّئ . وقيل : إنما سَبَاها من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلٌ كان عليها خالد بن الوليد، وهرب عَدِيّ بن حاتم حتى لحق بالشام .

حكى محمد بن إسحق رحمه الله قال : كان عَدِيّ بن حاتم يقول — فيما بلغنى — :
٢٧ ما من رجل من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
١٦ سمع به منّى، أمّا أنا فكنت امرأً شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت أسير

---

(١) فى شرح المواهب : يناء « ينج » للفعول و (إن) جازمة ، أى فإنه لا يصاب بسوء كما قدره بعض، أو لم يصبه ضرر، يعنى أن جواب الشرط محذوف تقديره : فإنه لا يصاب بسوء . ولم يقدر فى الإصابة الجواب كأنه اكتفى بوضوحه ، وذكر أنه أصابته الحمى بماء يقال له قروة فات . (٢) هكذا بالقاف والواو والذى فى شرح المواهب : « فردة بالفاء المفتوحة والدال المهملة بينهما راء ساكنة ثم تاء تأنيث » . راجع معجم ياقوت ، ففيه بسط فى الخلاف بالفاء أو بالقاف ، وتحديد المكان فى ج ٣ ص ٨٧١ (طبع أوروبا) .

(٣) الفلس بكسر الفاء وسكون اللام هو ضبط القاموس ، وفى ياقوت بضم الفاء ، وأكثرهم على أنه بفتح الفاء . (راجع الأصنام لابن الكلبي ص ١٥ وص ٥٩ طبع دار الكتب) .

(٤) اسمها سفانة ، بفتح السين المهملة وشد الفاء ثم ألف فنون وتاء التأنيث . والسفانة : اللؤلؤة ، وكان حاتم يكنى بها ، و يقال : هو أجود من أبى سفانة .

فى قومى بالمِرباع ، أى آخذ منهم رُبْع مغانمهم التى يغنمونها ، وكنت فى نفسى على دِين ، وكنت مَلكا فى قومى لما كان يُصْنَع بى ، فلما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم كرِهتُه ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعيا لإبلى : لا أبآ لكَ ! أعدد لى من إبلى جمالا ذُلُلا سِمَانا فآحتبسها قريبا منّى ، فإذا سمعت بجيوش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذِنّى . ففَعَل ، ثم إنه أتانى ذات غَدَاة فقال : يا عَدِىّ ، ما كنت صانعًا إذا غشيتك خيلُ محمد فآصنعه الآن ، فإنى رأيتُ راياتٍ فسألتُ عنها فقالوا : هذه جيوش محمد . فقلتُ : فقرِّبْ إلىّ أَجْمالى . فقرَّبها فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : أَلْحَقُ بأهل دينى من النّصارى بالشام . فسلكت الجُوشِيّة — ويقال الحُوشِيّة[1] — وخلّفتُ بِنْتا لحاتم فى الحاضر ، فلما قدمتُ الشام أقمت بها ، وتُخالِفنى خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب آبنة حاتم فيمن أصابت ، فقُدِمَ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا طيّئ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَرَبى إلى الشام ، قال : فجُعِلت آبنة حاتم فى حظيرة[2] بباب المسجد كانت السَّبايا تُحبَس فيها ، فمرّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت آمرأة جَزْلَة[3] ، فقالت : يا رسول الله ، هَلَكَ الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فآمْنُنْ علىّ ، مَنّ الله عليك . قال : « ومَنْ وافدُك » ؟ قالت : عَدِىّ بن حاتم . قال : « الفارّ من الله ورسوله » ؟! . قالت : ثم مضى وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مَرّ بى فقلت له مثل ذلك ، فقال مثل ما قال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغَدِ مَرّ بى وقد يَئِسْتُ ، فأشار إلىّ رجلٌ من خلفه أنْ قُومى فكلّميه ،

---

(١) كذا فى الأصول وابن إسحق ، والذى يستفاد من معجم ياقوت أنها بالشين أو بالسين (راجعه فى الجوسية) . (٢) الحظيرة : ما أحيط بالشىء سواء كان من خشب أو قصب .

(٣) الجزلة من النساء : التامة الخلق .

قالت : فقمتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هَلَكَ الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فآمْنُنْ عليّ ، منّ الله عليك . فقال : « قد فعلتُ فلا تَعْجَلِي بخروجِك حتى تجدى من قومك من يكون لكِ ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذِنِينى » فسألتُ عن الرجل الذى أشار إلىّ أن كلِّميه ، فقيل علىّ بن أبى طالب ، قالت : فأقمت حتى قَـدِم رَكب من بَلِيٍّ أو قُضَاعة(١) ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قـد قدم رهْطٌ من قومى ، لى فيهم ثقة وَبلاغٌ ، قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَملنى وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ، قال عَدِىّ : فوالله إنّى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظَعِينَة تَصُوب(٢) إلىّ تؤمّنا ، قال : قلت ابنة حاتم ، فإذا هى هى ، فلما وقفت علىّ آنْسَلَحَت(٣) تقـول : القاطع الظّالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقيّـة والديك عورتك ! قال : قلت : أى أُخَيَّةُ ! لا تقولى إلّا خيرا ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرتِ . قالت : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تَرَيْن فى أمر هـذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن نلحق به سريعا ، فإن يكن الرّجلُ نبيا فللسّابق إليه فضله ، وإن يكن ملِكا فلن تذِل فى عِز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت والله إن هـذا الرّأْى . فخرجت حتى أقـدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده ، فسلمت عليه فقال : « مَنِ الرّجل » ؟ فقلت : عدِى بن حاتم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فآنطلق بى إلى بيتـه ، فوالله إنه لعـامِدٌ بى إليـه إذ لقيته آمرأةٌ ضعيفة كبيرة

(١) بلى وقضاعة ، أرومة واحدة ، قال الجوهرى : « بلى على فعيل : قبيـلة من قضاعة والنسبة إليهم بلوى » . (٢) تصوب : تقصد .

(٣) فى سيرة ابن هشام : « آنسحلت » ، أى أخذت فى اللوم ، ومضت فيه مجدة .

فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها. فقلت فى نفسى: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى حتى إذا دخل بى بَيْتَه تناول وِسادة من أَدَمٍ محشوة لِيفًا فقذفها إلىّ فقال: «اجلس على هذه» قلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: «بل أنت» فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض، فقلت فى نفسى: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال: «إيهٍ يا عدىّ بن حاتم ألم تك رَكُوسيا(١)؟» قلت: بلى، قال: «أولم تك تسير فى قومك بالمرباع(٢)» ؟ قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يك يَحِلّ لك فى دينك» . قال: قلت أَجَلْ والله، وعرفتُ أنه نبىّ مرسل يعلم ما يُجْهَل، ثم قال: «لعلّك يا عدىّ إنما يمنعك من دخولٍ فى هذا الدِّين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكَنّ المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكن أن يسمع بالمرأة تخرج من القادِسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم، وايْمُ الله ليوشكَنّ أن يُسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم» .

قال عدىّ: فأسلمت. فكان عدىّ يقول: قد مضت آثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونَنّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابِل قد فُتِحت عليهم، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايْمُ الله ٢٨ / ١٦
لتكونَنّ الثالثة، ليفيضَنّ المالُ حتى لا يوجد من يأخذه .

---

(١) فى النهاية: «وقال لعدى بن حاتم إنك من أهل دين يقال لهم الركوسية» . هو دين بين النصارى والصابئين .

(٢) كانوا فى الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، وذلك الربع يسمى المرباع . وقد سبق تفسيره .

ذكر وفد تُجيب

قال ٱبن سعد : قدِم وفد تُجيب (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع من مُهاجَره، وهم ثلاثة عشر رجلا، وساقوا صَدقاتِ أموالهم التى فرض الله عليهم، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، وقال : « مَرْحباً بكم » وأكرم منزلهم وحَيَّاهم، وأمر بِلالًا أن يُحسِن ضيافتهم وجوائزهم، وأعطاهم أكثر مما كان يُجيز به الوفد، وقال : « هل بقى منكم أحد » قالوا : غلام خلفناه على رِحالنا وهو أحدثنا سِنًّا . قال : « أرسِلوه إلينا » ؛ فأقبل الغلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : إنى ٱمرؤ من بنى أبناء الرَّهْط الذين أتوك آنِفا، فقضيت حوائجهم فٱقضِ حاجتى، قال : « وما حاجتك » ؟ قال : تسأل الله أن يغفِر لى ويرحمنى ويجعل غِناى فى قلبى . فقال : « اللهم ٱغفر له وٱرحمه وٱجعل غِناه فى قلبه » . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم بِمِنًى (٢) فى سنة عشر، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلام، فقالوا : ما رأينا مثلَه أقنع مِنه بما رزقه الله .

---

(١) تجيب، بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم وتحتية ساكنة وموحدة : بطن من كندة ينسبون إلى جدّتهم العليا تجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج، وهى أم أبذى بن عدىّ (الواقدى) .

(٢) منى : قرية بين مكة وعرفات فيها رمى الجمرات والذبح فى مناسك الحج والمبيت ليلة عرفة وهى ليلة الوقوف — ومنى كإلى وتصرف أى تنون .

ذكر وفد خَوْلان

قال: قَدِم وَفْدُ خَوْلانَ[(١)] على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى شعبان سنة عشر، وهم عشرة نفر، فقالوا : يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدّقون برسوله، ونحن على من وراءنا مِن قومنا، وقد ضربنا إليك آباط الإبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما فَعَل عمُّ أنيس» صَنَمٌ لهم[(٢)]؛ فقالوا: بَشرٌّ وعَرٌّ[(٣)]، أبدلنا الله به ماجئت به ، ولو قد رجعنا إليه هدمناه . وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها، وأمر من يُعلّمهم القرآن والسُّنن، وأُنزِلوا فى دار رَمْلة بنت الحارث، وأُجرِيت عليهم الضيافةُ، ثم جاءوا بعد أيام يُودّعونه، فأمر لهم بجوائز ثِنْتَى عشرة أوقيــة ونَشٍّ، ورجعوا إلى قومهم، فلم يَحُلُّوا عقــدة حتى هدموا عمَّ أنيس. وممن أسلم من خَوْلان أبو مسلم الخَوْلانىّ[(٤)] العابد، واسمه عبد الله بن ثُوَب، ولم يرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما قدم المدينة بعد وفاته، وله خبر عجيب مع الأسود العَنْسىّ، نذكره فى أخباره فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

---

(١) خولان أبو قبيــلة ، وخولان آسمــه فكل بن عمرو . وفى سيرة ابن هشام : « خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة » .

(٢) اسمه فى كتاب الأصنام ص ٤٣ : « عميانس » . وهذا الصنم بأرض خولان، كان بطن من خولان يقسمون لهــذا الصنم من أنعامهم وحروثهم قسما بينــه و بين الله بزعمهم، فــا دخل فى حق (عم أنس) من حق الله الذى سموا له تركوه له، وما دخل فى حق الله من حق (عم أنس) ردوه عليه، وفيهم أنزل الله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا » الآية .

(٣) العر (بفتح العين وضمها) : الجرب، وهو أبغض داء إلى نفوس العرب لذا عطفوه على الشر.

(٤) فى التهذيب وغيره أنه من عباد أهل الشام وزهادهم . والخلاف فى اسم أبيه موجود .

ذكر وفد جُعفي

قال ابن سعد : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جُعفي[1] ، وهما قيس بن سلمة بن شَراحيل ، وسَلَمة بن يزيد ، وهما أخوان لأم ، وأمهما مُلَيكَة بنت الحلو بن مالك ، فأسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلغنى أنكم لاتأكلون القلب » وكانوا يُحرِّمون أكلَه ، فقالا : نَعَم ، قال : « فإنه لايكمل إسلامكم إلا بأكله » ودعا بقلب فَشُوِى ، ثم ناوله سَلمة فلما أخذه أُرعِدت يده فقال له : « كُلْه » فأكله ، وقال :

عَلَى أَنِّى أَكَلْتُ الْقَلْبَ كَرْهًا ۞ وَتُرْعَدُ حِينَ مَسَّتْهُ بَنَانِى

ثم قالا : يا رسول الله ، إنّ أُمَّنا مُلَيكة بنت الحلو كانت تفُكّ العانى ، وتُطْعِم البائس ، وترحم المسكين ، وأنها ماتت وقد وأَدت[2] بُنَية لها صغيرة ، فما حالها ، ؟ قال : « الوائدة والموءودة فى النار »[3] فقاما مُغْضَبَين ، فقال : « إلىّ فارجعا » فقال : « وأمّى مع أمّكما »[4] فأبَيا ومضَيا ، وهما يقولان : والله إنّ رجلًا أطعمنا

(١) جعفى (ككرسى) : ابن سعد العشيرة بن مذحج .

(٢) الوأد ، من صفات الجاهلية : وهو قتل الجارية دفنا وهى حية ، وسميت موءودة لما يطرح عليها من التراب فيئودها — أى يثقلها — حتى تموت . راجع جـ ١٠ ص ١١٧ و جـ ١٩ ص ٢٣٠ قرطبى .

(٣) الذى ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فى صغار المشركين : « سألت ربى ألا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم » وقوله : « وسألت ربى فأعطانى أولاد المشركين خدما لأهل الجنة » وذلك أنهم لم يدركوا ما أدرك آباؤهم من الشرك والله لايظلم أحدا ولا تعذيب إلا بعد التكليف ، ولأنهم فى الميثاق الأول . ولعل هذا الحديث — إن صح — قاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يخبر بعدم تعذيب الأطفال .

(٤) هذا ينافى ما روى أن والدته صلى الله عليه وسلم ماتت على الحنيفية ، وأنها اعترفت ببعث ابنها بالإسلام من عند الله ، وأنها نهته عن الأصنام وموالاتها ، وهذا من التوحيد ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أحيا الله له أبويه فآمنا به ، وإن صح هذا فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » راجع شرح المواهب جـ ١ ص ١٩٩

القلب ، وزعم أنّ أمّنا فى النار لأهل ألّا يُتّبع ، فلما كان ببعض الطريق ، لقيا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه إبل من إبل الصّدقة ، فأوثقاه وطردا الإبل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلعنهما فيمن كان يلعن فى قوله : « لعن الله رِعْلا وذَكْوان وعُصَيّة ولحيان وآبنا مُلَيْكَة »(١) .

قال محمد بن سعد : وقدم أبو سَبْرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجُعْفيّ على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه آبناه سَبْرة وعزيز(٢) فأسلموا . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَزِيزًا عبد الرحمن . وقال له أبو سَبْرة : يا رسول الله : إن بظهر كَفّى سِلْعةً(٣) قد منعتنى من خِطام راحلتى ، فدعا بقدح ، وجعل يضرب به على السّلعة ويمسحها فذهبت ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابنيه ، فقال : يا رسول الله ، أَقْطِعنى وادى قومى باليمن ، وكان يقال له جُرْدان(٤) ففعل ، قال : وعبد الرحمن هذا هو أبو خَيْثمة عبد الرحمن .

٢٩
١٦

ذكر وفد مُراد

قالوا : قدم فَرْوَة بن مُسَيْك(٥) المرادىّ(٦) على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفارقًا لملوك كِنْدة ومُباعدا لهم ، وقال فى ذلك :

(١) رعل وذكوان : قبيلتان باليمن من سليم ومنها عصية ، أما لحيان فمن هذيل .

(٢) والذى فى أسد الغابة : « عبد العزى » فسماه صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن فقال : « إنه من خيار أسمائكم إن سميتم عبد الله وعبد الرحمن » . أما الطبقات ففيها : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعزيز ما آسمك فقال عزيز ، فقال : « لا عزيز إلا الله أنت عبد الرحمن » راجع جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) السلعة : خراج كهيئة الغدة تتحرك بالتحريك ؛ قال الأطباء : هى ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه وله غلاف ، وتقبل التزايد لأنها خارجة عن اللحم (المصباح) .

(٤) جردان ، كعثمان بالجيم : واد بين عمقين . (٥) فى أسد الغابة : « وقيل مسيكة ، ومسيك أكثر » . (٦) نسبة إلى مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ سمى مرادا لتمرده واسمه : يحابر ، وقيل : مراد من تزار .

لمَّا رأيتُ مُلوكَ كِنْدَةَ أعرضتْ * كالرِّجْلِ خانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسائها[(١)]

قَرَّبْتُ راحِلتِي أَؤُمُّ محمَّدًا * أرجُو فَواضِلَها وحُسْنَ ثَرائِها[(٢)]

وبايع النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ونزل على سعد بن عبادة ، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم بآثنتى عشرة أوقية ، وحمله على بعير وأعطاه حُلَّة من نَسْج عُمان ، وآستعمله على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَقات ، وكتب له كتابا فيه فرائض الصَّدقة ، فلم يزل على الصَّدَقة حتى تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد زُبَيد

قال آبن سعد : قَدِم وفد عمرو بن مَعْدِى كَرِب الزُّبيدى[(٣)] على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فى عشرة نفر من زُبيد ، فنزل على سعد بن عُبادة فأكرمه سعد وراح به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه ، وأقام أياما ، ثم أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآنصرف إلى بلاده ، فأقام مع قومه على الإسلام ، وعليهم فَرْوةُ بن مُسيك ، فلما توفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم آرْتَدَّ ، ثم رجع إلى الإسلام ، وأَبْلَى يوم القادِسية وغيرها .

قال محمد بن إسحق : كان عمرو بن مَعْدِى كَرِب قد قال لقَيْس بن مَكْشُوح المرادىّ حين آنتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيد

---

(١) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، وهو مقصور ومدّ هنا للشعر .

(٢) فى الإصابة وأسد الغابة : «يممت راحلتى» أؤم : أقصد . وقال آبن هشام : أنشدنى أبوعبيدة :

* أرجو فواضله وحسن ثنائها *

(٣) عمرو بن معدى كرب بن عبدالله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد فارس العرب ، شهد القادسية قالوا : مات على فراشه من لسع حية .

قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد خرج بالحجاز ، يقال إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، إذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس[1] ، فركب عمرو ابن مَعْدِى كَرِبَ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فلما بلغ ذلك قَيْس بن مَكْشُوح أوعد عمرا وتحطّم[2] عليه ، وقال : خالفنى وترك رأيى ، فقال عمرو فى ذلك :

أمَرْتُكَ يومَ ذِى صَنعا * ء أمرًا بَيِّنًا رَشَدُهْ[3]

أمَرْتُك باتّقاء الله * ـه تأتيه وتتّعِدُهْ[4]

فكُنتَ كذِى الحُمَيِّرِ غرّ * رَه مِمّا به وَتِدُهْ[5]

تَمنَّانِى على فَرَسٍ * عليه جالسًا أسَدُهْ[6]

علىَّ مُفاضَةٌ كالنَّهْـ * ـى أخْلَص ماءَهُ جَدَدُهْ[7]

(١) فى سيرة ابن هشام : «فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه» .

(٢) تحطم عليه : تلظى غيظا .

(٣) فى السيرة : باديا رشده . و يوم ذى صنعاء يريد يوم صنعاء و « ذى » زائدة وذلك فى لسان العرب ، كما روى الأزهرى : كنا مع ذى عمرو ، وكان ذو عمرو بالصيان ، يريدون كنا مع عمرو ، وكان عمرو بالصيان . وهذا من الدليل على إضافة « ذو » إلى الأعلام . راجع التاج (حرف ذو) . وقال أبو ذر الخشنى فى شرحه للسيرة : « يوم ذى صنعاء موضع » وليس له ذكر فى كتب المعاجم .

(٤) تتعده : تلتزمه .

(٥) الوتد بالكسر : ما ثبت فى الحائط أو الأرض من الخشب ، وفى السيرة :

خرجت من المنى مثل الـ * ـحمير غره وتده

(٦) تمانى : أرادنى .

(٧) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد (بالجاء المهملة) : المنع والحبس . وفى السيرة : جدده — بالجيم — : الأرض الصلبة .

تردُّ الرُّمح مثنىَّ السِّـ * ـنان عوائرًا قِصَدُه (١)
فلو لاقيتنى للقيـ * ـتَ ليثًا فوقه لِبَدُه (٢)
تُلاقى ضيغمًا شثن الـ * ـبراثن ناشزًا كَتَدُه (٣)
يُسامى القِرْنَ إن قِرنٌ * تيمَّمه فيعتضده (٤)
فيأخذه فيرفعه * فيخفضه فيقتصده (٥)
فيدمغه فيحطمه * فيخضمه فيزدرده (٦)
ظلومُ الشِّرك فيما أحْـ * ـرزت أنيابه ويده (٧)

ذكر وفد كِنْدَة

قالوا: قَدم الأشعث بن قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بضعة عشر راكبا من كِنْدَة (٨). قاله ابن سعد — وقال ابن إسحق: فى ثمانين راكبا — فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وقد رجَّلوا (٩) جُممهم وتكحَّلوا، عليهم جُبب

(١) قصده، بالكسر جمع قصدة: وهو ماتكسر من الرمح. ويروى: غوائر قصده؛ أى متطايرة.
(٢) لبده جمع لبدة: وهو ما على كتفى الأسد من الشعر.
(٣) الضيغم: الأسد. ويروى «شنبثا» وهو الأسد أيضا، والذى يتعلق بقرنه ولا يزايله. والشثن: الغليظ الأصابع. والبراثن للسباع كالأصابع للإنسان. والناشز: المرتفع. والكتد: مابين الكتفين. (٤) القرن بالكسر: الكفء. يممه: قصده، واعتضده: احتضنه.
(٥) اقتصده: قتله (٦) يدمغه: يخرج دماغه. ويحطمه: يكسره. ويخضمه: يأكله، ويروى «فيجضمه» بالجيم وهى بمعناها. ازدرده: أكله بلعا. (٧) الشرك: النصيب والحصة. (٨) كندة بالكسر: لقب لجد هذا الحى من اليمن وهو ثور بن عفير.
(٩) رجلوا: سرحوا، والجمم: جمع جمة: مجمع الشعر فى ناصية الإنسان.

الحِبَرة قد كَفَفُوها بالحرير،[(١)] وعليهم الدِّيباج ظاهرٌ مُخَوَّصٌ[(٢)] بالذَّهب، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تُسلموا»[(٣)]؟ قالوا: بَلَى، قال: «فما بال هذا عليكم» ٣٠/١٦
قال: فَشقّوه وألقوه، ثم قال له الأشعث بن قيس: يارسول الله، نحن بنو آكل المُرَار، وأنت ابن آكل المرار.[(٤)] فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «نَاسِبُوا بهذا النَّسب العبّاسَ بن عبد المطلب ورَبيعةَ بن الحارث». قال: وكانا تاجرين، و[كانا][(٥)] إذا شاعا فى بعض العرب، فسئلا ممن هما، قالا: نحن بنو آكل المُرَار: يَتعزّزان[(٦)] بذلك. وآكُلُ المُرَار هو الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية، وقد تقدم خبره فى وقائع العرب. قال: ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، نحن بنو النَّضر بن كنانة، لا نَقْفو أُمَّنا[(٧)] ولا نَنْتفِى من أَبينا» فقال الأشعث بن قيس: يامَعْشرِ كِنْدة، والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين.

قال محمد بن سعد: فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أجازهم بعشرة أواقٍ، وأعطى الأشعث ثنتى عشرة أوقية.

---

(١) الحبرة: ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط، يقال على الوصف وعلى الإضافة. وكف الثوب: خاط حاشيته. (٢) مخوص: مزين بصفائح من الذهب على قدر خوص النخيل.

(٣) فى شرح المواهب: «فما بال هذا الحرير فى أعناقكم فشقوه». فرواية شرح المواهب مشعرة بأن كلمة «فشقوه» أمر من رسول الله لهم بخلاف ما هنا.

(٤) هو جد امرئ القيس كما سيأتى، سمى بذلك كناية عن كشر كان به، والمرار بضم الميم: شجر مر من أفضل العشب وأضخمه، إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها وبدت أسنانها فصار كناية لمن به كشر. وقيل: سمى بذلك لأن ابنته كانت فى سبى ملك، فقالت له: كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل أكل المرار؛ يعنى كاشرا عن أنيابه، وقد ورد غير هذا فى بعض الأخبار، فليراجع شرح المواهب وغيره.

(٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) فى الأصول: فيعزران بذلك والتصويب من ابن هشام. وقوله: «يتعززان»: أى يتقويان بذلك. (٧) لانقفو: أى لانتسب إلى أمنا ونترك الانتساب إلى أبينا، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم له جدة من كندة وهى أم كلاب بن مرة.

ذكر وفد الصَّدِف

قال ابن سعد : وَقَد وَفْدُ الصَّدِف (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم بضعة عشر رجلا ، على قَلائص (٢) لهم ، فى أُزُر وأَرْدية ، فصادفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين بيته وبين المِنْبر ، فجلسوا ولم يُسَلِّموا فقال : « أمسلمون أنتم » ؟ قالوا : نعم . قال : « فهلّا سَلَّمتم » ، فقاموا فقالوا : السّلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله ، فقال : « وعليكم السلام ، اجلسوا » فجلسوا ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أوقات الصلوات فأخبرهم بها .

ذكر وفد سعد هُذَيْم

قال ابن سعد يرفعه إلى أبى النعمان عن أبيه قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدًا فى نَفَر من قومى . فنزلنا ناحية من المدينة ، ثم خرجنا نؤمّ المسجد ، فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى على جنازة فى المسجد ، فانصرف فقال : « من أنتم » ؟ قلنا : من بنى سعد هُذَيم (٣) ، فأسلمنا وبايعناه ، ثم انصرفنا إلى رحالنا ، فأمر بنا فأُنزِلنا وضُيِّفنا فأقمنا ثلاثا ، ثم جئناه نودّعه . فقال : « أَمِّروا عليكم أحدَكم » وأمَّر بلالا ، فأجازنا بأواقٍ من فضّة ، ورجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام .

---

(١) الصدف ، بكسر الدال والنسبة إليه صدفى بفتحها كراهة الكسرة قبل ياء النسب ؛ وهو بطن من قبائل حضرموت . وقال بعضهم : ينسبون إلى صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن [illegible] ية حمير بن سبأ . وإلى هذا تنسب النجب الصدفية .

(٢) القلائص (جمع قلوص) : وهى الناقة الشابة .

(٣) هذيم بضم الهاء وفتح الذال المعجمة فتحتية فميم : هو سعد بن زيد لكن حضنه عبد أسود اسمه هذيم وأضيف إليه حتى غلب عليه .

ذكر وفد بَلِيّ

روى عن رُوَيْفِع بن ثابت البَلَوِيّ(١) قال : قَدِم وفدُ قومى فى شهر ربيع الأول سنة تسع ، فأنزلتهم علىَّ فى منزلى ببنى جَدِيلة ، ثم خرجتُ بهم حتى انتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس مع أصحابه فى بقية من الغَدَاة(٢) ، فتقدم شيخ الوفد أبو الضُّبَيْب(٣) ، فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم وأسلم ، وأسلم القوم ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضِّيافة ، وعن أشياء من أمر دينهم فأجابهم ، ثم رجعت بهم إلى منزلى ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى [منزلى(٤)] يحمل تَمْرا يقول: « استعن بهذا التَّمْر » فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقاموا ثلاثا ، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوَدِّعونه ، فأمر لهم بجوائز كما كان يُجيز الوفد ، ثم رجعوا إلى بلادهم .

ذكر وفد بَهْرَاءَ

قال ابن سعد : قَدِم وفدُ بهراءَ(٥) من اليمن ، وهم ثلاثة عشر رجلا ، فأقبلوا يقودون رواحلهم ، حتى انتهوا إلى باب المِقْداد بن عمرو ببنى جَدِيلة فخرج إليهم ، فرحَّب بهم وأنزلهم ، وأَتَوا النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلموا وتعلَّموا الفرائض وأقاموا أياما ، ثم جاءوا يُوَدِّعونه فأمر لهم بجوائزهم ، وانصرفوا إلى أهلهم

---

(١) بلى كرضى : نسبة إلى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٢) عبارة الطبقات : « وهو جالس مع أصحابه فى بيته فى الغداة » .

(٣) فى الطبقات : أبو الضباب . وفى شرح المواهب : أبو الضبيب بمعجمة مضمومة بلفظ تصغير ضب . ويرويه بعضهم أبو الضبيس بسين مهملة : ذكره الذهبي .

(٤) الزيادة من شرح المواهب .

(٥) بهراء قبيلة مشهورة ، ابن عمرو وأخو بلى بن عمرو ، ينسب إليه بهرانى .

ذكر وفد عُذْرة

قالوا : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عُذْرة، فى صَفَر سنة تسع من مُهاجَره، وهم آثنا عشر رجلا ، فيهم حمزة بن النعمان العُذْرىّ، وسليم وسعد آبنا مالك، ومالك بن أبى رِياح، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، ثم جاءوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فسلّموا بسلام الجاهلية، وقالوا : نحن إخوة قُصىّ لأمه، ونحن الذين ٣١/١٦ أخرجوا خُزَاعة وبنى بكرٍ عن مكة، ولنا قَرابات وأرحام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَرْحبًا بكم وأهلًا، ما أعرفَنى بكم، مامنعكم من تحية الإسلام » ؟ قالوا : قدمنا مرتادين لقومنا[(١)] . وسألوا النبىّ صلى الله عليه وسلم عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها، فأسلموا وأقاموا أياما، ثم آنصرفوا إلى أهليهم، وأمر لهم بجوائز كما كان يُجيز الوفد، وكَسا أحدهم بُرْدا .

قال : ووَفد زَمْل[(٢)] بن عمرو العُذْرىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنشأ يقول حين وَفَد :

إليكَ رسولَ الله أَعملتُ نَصَّها * أُكَلِّفها حَزْنًا وقَوْزا من الرملِ[(٣)]
لأَنصرَ خيرَ النّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا * وأَعْقِدَ حَبْلًا من حِبالكَ فى حَبلِي[(٤)]
وأَشهدَ أنّ اللهَ لا شىءَ غيرَه * أَدِينُ له ما أَثقلتْ قَدَمِى نَعْلِي[(٥)]

---

(١) فى شرح المواهب : « مرتادين لأنفسنا ولقومنا » . والمرتاد الطالب للشىء .

(٢) فى أسد الغابة : « وقيل زمل بن ربيعة، وقيل زميل بن عمرو بن العنز بن خشاف » .

(٣) نص الناقة : آستخرج أقصى ماعندها من السير . والحـزن (بالفتح فالسكون) : ماغلظ من الأرض . والقوز : المستدير من الرمل، والكثيب المشرف .

(٤) مؤزرا : بالغا شديدا . والحبل : العهد .

(٥) فى الأصل : « رجلى » والتصويب من الطبقات : يريد مادمت حيا .

قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من صنمه ، فقال : « ذلك مؤمن الجن »[1] وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً على قومه ، فشهد به بعد ذلك صِفِّين[2] مع معاوية ، ثم شهد به المرج[3] فقتل .

ذكر وفد سَلَامان

قال ابن سعد : وفد سبعة من سَلَامان[4] على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوّال سنة عشر ، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة ، فقالوا : السلام عليك يارسول الله ، قال : « وعليكم [السلام][5] من أنتم » ؟ قالوا : نحن من سَلَامان ، قدمنا لنبايعك على الإسلام ، ونحن على مَنْ وراءنا من قومنا . فأمر ثوبان[6] فأنزلهم حيث ينزل الوفد[7] ، فلمّا صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظُّهر جلس بين بيته وبين المنبر ، فقدموا إليه فسألوه عن أشياء من أمر الصّلاة وشرائع الإسلام ، وعن الرُّقَى[8] فأجابهم وأسلموا ، وأجاز كلَّ رجلٍ منهم خمس أواقٍ ، ورجعوا إلى بلادهم .

---

(١) في الإصابة : « ودانك من مؤمني الجن » .   (٢) صفين كسجين : موضع على الفرات قرب الرقة ، مشهور بالوقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وفيه قتل عمار بن ياسر وهو مع علي .

(٣) هو مرج راهط : موضع في موطة من دمشق ، وفيه كانت الواقعة بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ قتل فيها الضحاك ، واستقام الأمر لمروان وولديه من بعده .

(٤) قال في شرح المواهب : « سلامان بفتح المهملة وخفة اللام : بطن من قضاعة ينسبون إلى جدّهم الأعلى سلامان بن سعد بن زيد بن لوث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة » .

(٥) الزيادة من شرح المواهب .   (٦) ثوبان : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو ابن بجدد وقيل ابن جحدر ، حميري من اليمن أو من السراة ، اشتراه رسول الله فأعتقه .

(٧) دار رملة بنت الحارث منزل الوفود .   (٨) في شرح المواهب : « قال حبيب — وهو أحد أعضاء الوفد — وسألته عن رقية العين وذكرها ، فأذن له فيها » .

ذكر وفد كلب

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو[(١)] بن جبلة بن وائل بن الجلاح الكلبي[(٢)]، قال : شخصت أنا وعصام[(٣)] — رجل من بنى رقاش من بنى عامر — حتى أتينا النبى صلى الله عليه وسلم، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا .

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقى قال : وفد حارثة بن قطن بن زابر[(٤)] بن حصن بن كعب بن عليم الكلبى، وحمل[(٥)] بن سعدانة بن حارثة بن معقل ابن كعب بن عليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما، فعقد لحمل بن سعدانة لواء، فشهد به صفين مع معاوية، وكتب لحارثة بن قطن كتابا فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأهل دومة الجندل[(٦)] وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن، لنا الضاحية[(٧)]

---

(١) بعضهم ذكره بالإضافة : « عبد عمرو » وهو المتبادر، والبعض ذكره كما هنا .

(٢) نسبة إلى جدهم كلب بن وبرة (بفتح الواو والموحدة من قبائل قضاعة) .

(٣) عصام : هو ابن عامر الكلبي وهو الذى كان يتولى نسك صنم لهم يقال له (عمرة) فسمع صوتا من جوفه يقول له : « يا عصام يا عصام، جاء الإسلام، وذهبت الأصنام، ووصلت الأرحام » ففزعوا منه، فشخص هو وعمرو بن جبلة حتى أتوا رسول الله فأخبروه بما سمعوا، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا .

(٤) زابر : بزاى بعدها ألف فباء فراء، كذا ضبطه أسد الغابة، وفى الأصول وابن سعد : زائر ولم نجد من رسمه بهذا، وفيه : « بن كعب بن حصن » ومثله فى الاستيعاب، والأصول كلها على تقديم حصن .

(٥) حمل بمهملة وميم مفتوحتين ابن سعدانة بن حارثة بن معقل، كذا فى الإصابة وأسد الغابة : معقل من عقل .

(٦) دومة الجندل : حصن مشهور حوله قرى، فيه وقع التحكيم بين على ومعاوية . وهو فى طريق المدينة المنورة من الشام قرب جبلى طيء كانت به بنو كنانة من كلب . سميت دومة الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل .

(٧) الضاحية : « الظاهرة البارزة من العمارة، والبعل : النخل الذى يشرب بالعروق من الأرض من غير سقى لقرب مائها . والضامنة من النخل : هو ما كان داخلا فى العمارة وتضمنته أمصارهم وقراهم . وفى هامش ج : « الضامنة التى لا يضطرب بسرها » .

من البَعْل، ولكم الضَّامِنة من النَّخْل، على الجارية العُشْر، (١) وعلى الغائرة نصفُ العُشْر، لا يُجْمَع سارِحُكم، (٢) ولا تُعَدُّ فارِدَتكم، (٣) تُقيمون الصلاةَ لوقتها، وتُؤتون الزكاةَ بحقِّها، [ولا يُحْظَر عليكم] (٤) النَّبَاتُ، ولا يُؤْخَذ منكم عُشْر البَتَات، (٥) لكم بذلك العهد والميثاق، ولنا عليكم النُّصْحُ والوفاء، وذِمّة الله ورسوله، شهد الله ومَن حضر من المسلمين».

ذِكر وفد جَــرْم

قال ابن سعد: وَفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جَرْم، (٦) يقال لأحدهما: الأَسْقَع (٧) بن شُرَيْح بن صَرِيم بن عمرو بن رِيَاح (٨) بن عوف بن عَمِيرة بن الهُون ابن أَعْجَب بن قُدَامة بن جَرْم [بن رَبَّان] (٩) بن حُلْوَان بن عِمْران بن الحَافِ (١٠) بن قُضَاعة.

(١) الجارية: التي تسقى بالماء الجاري، والغائرة: التي تسق بالماء الغائر في الأرض كالآبار. وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: «فيما سقت السماء والأنهار والعيون العشر، وفيما سقى بالسواني أو النضح نصف العشر» السواني جمع سانية: البعير يستق عليه من البئر، والنضح الماء الذي يستق بالدوالي وهي الدلاء أو المنجنون. (٢) كذا في الأصول والطبقات. والسارح: الماشية التي تسرح إلى الرعى، وهي السائمة؛ أي لا تجمع لأخذ الزكاة، وإنما تؤخذ منها في مراعيها متفرقة؛ أو الخطاب لمجموعهم؛ أي لا تضم سوائم بعضهم إلى بعض عند الزكاة. وفي النهاية: «لا تعدل سارحتكم» أي لا تصرف ماشيتكم عن مرعى تريده». (٣) الفاردة: هي الزائدة على الفريضة؛ أي لا تضم إلى غيرها فتعد معها وتحسب (النهاية)، وفي الأصول والطبقات: «لا تعدل فاردتكم» وهو تصحيف وما أثبتناه عن النهاية وغيرها. (٤) الزيادة من الطبقات؛ أي لا تمنعون من الزراعة حيث شئتم. كذا في النهاية، والذي يتبادر أن المعنى لا تمنعون من الرعى حيث شئتم مما هو ليس حق لأحد لقاعدة: المباح لمن سبق إليه، وهذا من الأصول المرعية، فالحديث يقررها.

(٥) البتات: هو المتاع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة. (٦) جرم: بفتح الجيم نسبة إلى جدهم جرم بن ربان (بالباء الموحدة المشددة). (٧) الأسقع بالسين المهملة كما في الإصابة وأسد الغابة، وفي الأصول والطبقات بالصاد. (٨) رياح بكسر الراء والياء تحتها نقطتان كما في أسد الغابة والإصابة. (٩) الزيادة من الطبقات، وقد ضبطه بالراء والياء. وقد تقدم أنه ربان الموحدة التحتية قبلها راء كما في الاشتقاق وابن دريد.

(١٠) الحاف: مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة، كقولهم العاص في العاصى.

والآخر: هَوْذَة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رِيَاح، فأسلما وكتب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا.

وروى عن أبي يزيد — وقد قيل فيه بالباء الموحّدة أبو بُرَيْد — عمرو بن سَلِمة الجَرْمىّ أن أباه ونفرا من قومه، وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم الناس، وتعلّموا القرآن وقَضَوا حوائجهم، فقالوا: يا رسول الله من يُصلّى بنا، أو لنا؟ فقال: «لِيصلِّ بكم أكثرُكم جَمْعا — أو أخْذًا — للقرآن». قال: فجاءوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحدا أكثر أخذا، أو جَمَع من القرآن ما جمعتُ، أو أخذتُ، قال: وأنا يومئذ غلامٌ على شَمْلَة(٢)، فقدّمونى فصلّيتُ بهم، فما شهدتُ مَجْمعا من جَرْم إلا وأنا إمامهم إلى يومى هذا.

وعن عمرو بن سَلِمة أيضا قال: كنّا بحضرة ماءٍ مَمَرُّ الناس عليه، وكنّا نَسْألهم، ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجلٌ يزعم أنه نبىٌّ، وأن الله أرسله، وأن الله أوحى إليه كذا وكذا، فجعلتُ يومئذ لا أسمع شيئا من ذلك إلّا حفظته، كأنما يُغْرَى(٣) فى صدرى بغِراء، حتى جمعتُ فيه قرآنا كثيرا، وكانت العرب تَلَوَّم(٤) بإسلامها الفتحَ، يقولون: انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق، وهو نبىٌّ. فلما جاءت وقعةُ الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبى بإسلام حِوائِنا ذلك، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يُقيم، ثم أقبل فلمّا دَنا منّا تلقَّيناه فقال: جئتكم والله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حَقًّا، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا، ٢*/٦

---

(١) فى أسد الغابة: «يؤمكم أقرؤكم».

(٢) فى الطبقات: فى «شملة»، والشملة كساء صغير يؤتزر به.

(٣) يغرى: يلصق به، يقال: غرى هذا الحديث بالكسر يغرى بالفتح كأنه ألصق بالغراء.

(٤) تلوم أى تنتظر، أراد تتلوم بحذف إحدى التائين تخفيفا.

وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا فى حين كذا، وصلاة كذا فى حين كذا، إذا حضرت الصلاة فليؤذِّن أحدُكم، وليؤمَّكم أكثركم قرآنا. فنظر أهـلُ حِوائنا (١) فما وجدوا أحدا أكثر قرآنًا منِّى للذى كنت أحفظه من الرُّكبان، فقدّمونى بين أيديهم، فكنتُ أصلّى بهم وأنا ابن ستِّ سنين (٢)، وكان علىَّ بُرْدَة كنتُ إذا سجدتُ تقلّصت (٣) عنِّى، فقالت امرأة من الحىِّ: ألا تغطون عنّا آسْتَ قارئكم؟ فكَسَوْنى قميصًا من مُعقَّد (٤) البَحْرَيْن، فما فَرِحتُ بشىء أشدَّ من فرحى بذلك القميص.

ومن رواية أخرى عنه: فعلّمونى الركوعَ والسجودَ، فكنتُ أصلّى بهم.

ذكر وفدِ الأزد وأهلِ جُرَش

قالوا: قدم صُرَد بن عبد الله الأَزْدىّ (٥) فى بضـعة عشر رجلا من قومه، وَفْدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلوا على فَرْوَةَ بن عَمْرو، وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، وأقاموا عشرة أيام، وكان صُرَد أفضلَهم، فأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، وأَمَره أن يجاهد بهم مَنْ يَليه، من أهل الشِّرك من قبائل اليمن؛ فخرج حتى نزل جُرَش (٦) وهى مدينـة حَصِينة مُغْلَقة، وبهـا

(١) الحواء (بالحاء المهملة وواو ممدودة): بيوت مجتمعة من الناس على

(٢) فى أسد الغابة عن عمرو: قال أممت قومى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام ابن ست أو سبع سنين. (٣) تقلصت: انزوت. (٤) المعقد: ضرب من برود هجر، وهى من قرى البحرين معروفة بهذه البرود، كما عرفت هجر المدينة بقلالها، فيقال: قلال هجر.

(٥) الأزد: بهمزة مفتوحة وزاى ساكنة ودال مهملة، ويقال بالسين لتقارب مخرجهما إلا أن المشهور الأول، والأزد من أكبر الأرومات القحطانية، وهم ثلاثة: أزد عمان، وأزد شنوءة، وأزد السراة. وجرش (كزفر): مخلاف من اليمن؛ أى ناحية، ومدينة أيضا. (٦) هذه المدينة ينسب إليها جلود ونوق، فيقال: أديم جرشى وناقة جرشية؛ فتحت جرش سنة عشر من الهجرة صلحا.

قبائل من قبائل اليمن . وقد ضَوَت إليهم خَثْعَم (١) ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصرهم صُرَد ومن معه فيها شهرا ، ثم رجع قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهـم يقال له شَكَر ، ظَنّ أهلُ جُرَش أنه إنما وَلّى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبـه حتى إذا أدركوه صَفّ صُفوفَه، وحمل عليهم هـو والمسلمون ، ووَضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا ، وأخذوا من خيلهم عشرين فرسا ، فقاتلوهم عليها نهاراً طويلا .

وكان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشيّةً بعد العصر، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بأىّ بلاد الله شَكَر » ؟ فقـام الجُرَشيّان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشَر ، وكذلك تسمّيه أهلُ جُرَش ، فقال : « إنه ليس بكشر ولكنه شَكَر » ، قالا : فمـا شأنه يا رسول الله ؟ قال : « إنّ بُدْن الله لَتُنْحَر عنده الآن » قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان (٢) ، فقال لهما : وَيْحَكُما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لَيَنْعَى لكما قومكما، فقوما إلى رسول الله فَسَلَاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : « اللهم آرفع عنهم » فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا من صُرَد فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فى تلك الساعة، فقصّا على قومهما القِصّة، فخرج وفدهم حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، فقال : « مرحباً بكم ،

(١) ضوى إليـه : آنضم ولجأ ، وخثعم من قبائل اليمن ، قالوا : إنهـا من معد بن عدنان نزحوا إلى اليمن فصاروا منه .

(٢) هذا شك من الراوى . والعبارة فى المواهب : « إلى أبى بكر وعثمان فقالا لهما ... » الخ» .

أحسن الناس وجوها، وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاما، وأعظمه أمانة، أنتم منى وأنا(١) منكم » وجعل شعارهم مبرورا، وحمى لهم حِمًى حول قريتهم، على أعلام(٢) معلومة للفرس والراحلة وللمثيرة — بقرة الحرث — فمن رعاه من الناس فماله سُحْت(٣).

ذكر وفد غسّان

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بُكَير الغَسّانى، عن قومه من غسّان(٤)، قالوا: قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان سنةَ عشر، المدينةَ ونحن ثلاثة نفرٍ، فنزلنا دار رَمْلَة بنت الحارث، ثم أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وصدّقنا، فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين، فقَدِموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم، فكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان مسلمين(٥)، وأدرك الثالث عمر بن الخطاب عامَ اليرموك، فلقى أبا عبيدة فخبّره بإسلامه فأكرمه(٦). ٣٢/١٠

ذكر وفد الحارث بن كعب

وما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم

قال ابن سعد: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى أربعمائة من المسلمين، فى شهر ربيع الأوّل سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنَجْران(٧)،

(١) كذا فى جميع الأصول والطبقات، ولفظ الناس وضع للجميع: كالقوم والرهط والنفر؛ يصح جمع ضميره وإفراده وتذكيره وتأنيثه. (٢) أعلام (جمع علم): وهو الفصل بين الأرضين.

(٣) ماله سحت: هدر. (٤) فى الطبقات: « عن قومه غسان ».

(٥) هكذا فى الأصول والطبقات، واللفظ حال من النكرة بدون مسوّغ، وقد ورد فى البخارى: « وصلى وراءه رجال قياما ». (٦) فى الطبقات: « فكان يكرمه ». (٧) نجران اليمن؛ وهو موضع من ناحية مكة، قالوا: سميت بنجران بن زيد بن سبإ لأنه نزل بها، وكانوا على النصرانية حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى نجران هذا وقعت حادثة أصحاب الأخدود.

وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا قبل أن يقاتلهم ففعل ، فاستجاب له مَن هنـاك من بَلْحارث[١] بن كعب ، ودخلوا فى الإسلام ، ونزل خالد بن الوليد بين أظهرهم ، فعلمهم الإسلام وشرائعه ، وكتاب الله وسنة نبيه صـلى الله عليه وسلم ، وكتب بذلك إلى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فكتب رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى خالد : « أن بَشِّرهم وأَنْذِرهم وأقدِم ومعك وفدُهم » ، فقدم خالد ومعه وفدهم ؛ فيهم قيس بن الحُصَين ، ويزيد بن عبد المَدان ، وعبد الله بن عبد المَدان ، ويزيد بن المُحَجَّل ، وعبد الله بن قُراد[٢] ، وشَدّاد بن عبد الله القَنانِيّ ، وعمرو بن عبد الله ، وأنزلهم خالد عليه ، ثم جاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند » ؟ فقيل : بنو الحارث بن كعب ، فسلّموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول الله ، فأجازهم بعشر أواق ، وأجاز قيس بن الحُصَين باثنتى عشرة أوقيـة ونَشّ ، وأمّره رسـول الله صلى الله عليـه وسلم على بنى الحارث ، ثم انصرفوا إلى قومهم فى بقية شوّال . هذا ما حكاه ابن سعد فى طبقاته .

وقال ابن إسحق : لمـا وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم الذين إذا زُجِروا استقدموا[٣] » ؟ فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، فأعادها عليهم الثانية والثالثة ، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجِروا استقدموا ، قالها أربعَ مِرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) العرب يقولون فى بنى العباس : بلعباس ، و بنى الحارث بلحارث ، و بنى العرب بلعرب ؛ وذلك طلبا للتخفيف .

(٢) كذا فى الأصول والطبقات و يروى قذاذ ، وفى الإصابة : قراد وقداد ، و يروى عبد الله بن قريظ .

(٣) المراد : إذا حثوا وحملوا على القتال تنادوا وتجمعوا وتقدموا .

« لو أنّ خالدا لم يكتب إلىّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم » فقال يزيد بن عبد المَدَان: أَمَا واللهِ ماحَمِدناك ولا حَمِدنا خالدا، قال: «فمن حِمدتم»؟ قالوا: حِمدنا الله الذى هدانا بك يا رسول الله . قال : «صدقتم»، ثم قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية » ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا . قال : « بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم » قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ، ولانبدأ أحدا بظلم ، قال : « صدقتم » . وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث قيسَ بن الحصين ، وأجازهم بعشرِ أواقٍ عشرِ أواقٍ، وأجاز قيسَ بن الحُصَين بأثنتى عشرة أوقيةً ونَشٍّ، ثم انصرفوا إلى قومهم فى بقية شوّال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعــد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حَزْم ليفقِّههم فى الدِّين ويعلِّمهم السُّنة ، ويعلِّمهم الإسلام (١) ، ويأخذ منهم صدقاتِهم . وكتب له كتابا وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (٢) ﴾ عهد من محمد النبى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعمرو بن حزم حين

(١) هكذا فى الأصول والذى فى شرح المواهب : معالم الإسلام . وفى الطبقات : « يعلمهم الإسلام وشرائعه » .

(٢) العقود (جمع عقد) : وهو العهد استعير من الجمع بين أطراف الشىء، قال الراغب : يستعمل ذلك فى الأجسام الصلبة كعقد الحبــل وعقد البناء ، ثم استعير ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد . والعهد : الأمان والموثق والذمة . والآية شاملة لكل ارتباط شرعى بين طرفين فيجب الوفاء به كما أمر الله، وكذلك ما عقده على نفسه لله من طاعات ملة الإسلام كالحج والصوم وغيرهما ، أما ما لا يجوز كنذر بمعصية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » .

بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله فى أمره كله فـ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلّم الناس القرآن ويفقّههم فيه، وينهى الناس، ولا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر النـاس بالذى لهم والذى عليهم، ويلين للناس فى الحق، ويشتدّ عليهم فى الظُّلم، فإن الله كره الظُّلم، ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها، ويُنْذِر الناس النارَ وعملَها، ويستألف (١) الناس حتى يَفقَهوا فى الدِّين، ويعلّم الناس معالم الحج وسنّته وفريضتَه، وما أمر الله به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر هو العُمرة، وينهى الناس أن يصلِّىَ أحدٌ فى ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبا يُثْنِى طرَفَيْه على عاتقيه، وينهى أن يحتبِى (٢) أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعقِص (٣) أحد شعر رأسه فى قفاه، وينهى إذا كان بين النـاس هَيْج (٤) عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله وحـده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فلْيُقْطَفوا (٥) بالسَّيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحـده

(١) يستألف الناس: يكتسب مودتهم وألفتهم ويتابعهم. (٢) الاحتباء أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، وإنما نهى عنه لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته. (النهاية).

(٣) عقص الشعر: ضفره، قال فى النهاية: أصل العقص اللى وإدخال أطراف الشعر فى أصوله، ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنهما: «الذى يصلى ورأسه معقوص كالذى يصلى وهو مكتوف» أراد أنه إذا كان شعره منشورا سقط على الأرض عند السجود فيعطى صاحبه ثواب السجود به، وإذا كان معقوصا صار فى معنى ما لم يسجد، وشبهه بالمكتوف وهو المشدود اليدين لأنهما لا يقعان على الأرض فى السجود. (٤) الهيج: الثورة؛ هاج يهيج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر: ثار، والمراد إذا وقع اضطراب بين الناس وتنادوا بالقبائل كما يفعل الجاهلية؛ أمرهم بالدعاء إلى الله تعالى ونهاهم عن دعوة الجاهلية وهى التنادى بالقبائل. (٥) القطف: القطع، ومن هذا المعنى قول الحجاج فى خطبته: «إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها» يعنى جنيها كما تجنى الثمار وهو قطعها.

لاشريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق ، وأرجلهم إلى الكعبين، ويَمْسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، يُغَلِّس بالصبح (١) ، ويُهَجِّر بالهاجرة (٢) حين تَميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرة ، والمغرب حين يُقبِل الليل ، لا تؤخَّر حتى تَبْدو النجوم في السماء ، والعِشاء أوّل الليل ، وأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغُسْل عند الرَّواح إليها، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمس الله، وما كُتِب على المؤمنين في الصَّدقة من العَقَار (٣) عُشر ما سقت العينُ وسقت السماء، وعلى ما سقى الغَرْب (٤) نصف العشر، وفي كل عشرٍ من الإبل شاتان، وفي كل عِشرين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع (٥) : جَذَع أو جَذَعة، وفي كل أربعين من الغنم سائِمَة (٦) وحدها شاةٌ ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصَّدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم مِن يهوديّ أو نصرانيّ إسلاما خالصا من نفسه، ودان بدِين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم وعليه مثل

---

(١) الغلس محركة : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وأغلسوا دخلوا فيها ، وغلسوا ، بشدة اللام : ساروا ووردوا بغلس . (٢) هجر ، بالشدة تهجيرا : سار في الهاجرة ؛ أي يبادر بصلاة الهاجرة ، وهي صلاة الظهر حين تميل الشمس وهو أوّل الوقت. (٣) العقار ، بالفتح : الضيعة والنخل والأرض ونحو ذلك . (النهاية) . (٤) الغرب ، بسكون الراء : الدلو العظيمة فإذا فتحت الراء فهو الماء السائل بين البئر والحوض ، والمراد في الحديث الدلو كما هو صريح رواية النسائى «وما سقى بالدوالى نصف العشر» والدوالى جمع الدلاء، وهى جمع الدلو ، وقال بعضهم : الدوالى جمع دالية وهى آلة لإخراج الماء .

(٥) التبيع : ولد البقرة لسنة : سمي تبيعا لأنه يتبع أمه فعيل بمعنى فاعل . في الترمذى وابن ماجه : «في ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة» والمراد بالتبيع العجل التابع لأمه لهذا فسره عليه الصلاة والسلام بقوله : «جذع أو جذعة» ويوضح هذا رواية النسائى عن معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال : «أمرني رسول الله حين بعثني إلى اليمن ألا آخذ من البقر شيئا حتى تبلغ ثلاثين ، فإذا بلغت ثلاثين ففيها عجل تابع جذع أو جذعة» . (٦) السائمة : هي التي تركت ترعى وحدها النمو والزيادة ، ووصف السوم هو مناط الحكم في الزكاة .

ما عليهم، ومن كان على نَصرانيته أو يَهوديته، فإنه لا يُرَدّ عنها، وعلى كل حالِمٍ[1] ذكرٍ أو أنثى حُرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، أو عِوضه ثيابا، فمن أدّى ذلك فإن له ذِمّة الله وذِمّة رسوله، ومَن منع ذلك فإنه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته».

ذكر وفد عَنْس

قال محمد بن السّائب الكلبيّ: حدثنا أبو زُفَر الكلبيّ عن رجل من عَنْس[2]، قال: كان منّا رجل وَفَد على النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يتعشّى، فدعا به إلى العَشاء فجلس[3]، فلما تعشّى أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أشهد[4] أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله» فقال العَنْسيّ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فقال: «أراغباً جئتَ أم راهباً» فقال: أمّا الرَّغبة فوالله ما في يديك مالٌ، وأمّا الرَّهبة فوالله إني لببلدٍ ما تبلغه جيوشك، ولكنّي خُوِّفتُ فخِفتُ، وقيل لي: آمِنْ بالله فآمنتُ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم فقال: «رُبَّ خطيبٍ من عَنْس» فمكث يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء يُوَدِّعه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آخرِج[6]» وبَتَّه[5]، أي أعطاه شيئا، وقال: «إن أحسستَ شيئا فوائِلْ[7] إلى أدنى

(١) الحالم: الذي بلغ الحلم أي وهو عاقل؛ لأن بلوغ الحلم مع العقل هو مناط التكليف.

(٢) لقب لجد القبيلة، ومنها عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٣) في أسد الغابة: «فدعا به إلى العشاء فأكل».

(٤) في الإصابة: «فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أشهد ... الخ».

(٥) بتّه أعطاه بتاتا: أي زادا.

(٦) صيغة الأمر: أي التجئ.

(٧) [illegible] أقرب [illegible] في أسد الغابة: «[illegible] إلى أدنى قرية».

قرية» . فخرج فُوعِك[1] فى بعض الطريق ، فوَأَل إلى أَدْنى قرية فمات رحمه الله ، وآسمه ربيعة[2] .

ذِكْر وفدِ الدارِيّين وما كتب لهم بِهِ رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم وما آختَصّ بِهِ تميم الدارِىّ وإخوته

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله ، وروْح بن زِنْباع الجُذامىّ عن أبيه قالا : قدم وفد الدّارِيّين[3] على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَه من تَبُوك وهم عشرة نفر ؛ فيهم تميم ونُعَيم آبنا أَوْس بن خارجة بن سُود[4] بن جَذِيمة[5] آبن دِراع بن عَدِىّ بن الدّار بن هانِئ بن حبيب بن نُمَارة بن لَخْم ، ويزيد بن قيس آبن خارجة ، والفاكه بن النُّعمان بن جَبَلة بن صَفَّارة بن ربيعة بن دِراع بن عَدِىّ آبن الدّار ، وجَبَلة بن مالك بن صفَّارة ، وأبو هند والطَّيِّب آبنا ذَرّ — قال آبن [إسحق][6] : بَرّ — وهو عبد الله بن ذَرّ بن عُمَيت بن ربيعة بن دِراع ، وهانِئ بن حبيب ، وعَزِيز ومُرّة آبنا مالك بن سَوَاد[7] . قال آبن إسحق : عَرَفة . وقال آبن هشام : عزّة . وقال آبن إسحق فى مُرّة : مَرْوان[8] .

قال آبن سعد : فأسلموا وسمّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيّب عبد الله ، وسمّى عَزِيزاً عبد الرحمن .

---

(١) فى أسد الغابة : «فأحس حساً» ، أى وجعا .

(٢) فى أسد الغابة والإصابة إن آسمه ربيعة بن رواء العنسى .

(٣) نسبة الداريين إلى جدّهم الدار بن هانئ بن نمارة — بضم النون — بن لخم بن عدى ابن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٤) وقيل : سواد . (٥) وقيل : خزيمة .

(٦) القائل هو آبن إسحق كما فى سيرة آبن هشام ، واللفظ ساقط من الأصول .

(٧) فى نسخة : «آبن سود» . (٨) وقيل : «مراد» .

قال : وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر وأفراسا وقبـاء(١) مُخوّصا بالذهب ، فقبل الأفراس والقَبَاء وأعطاه العباس بن عبد المطلب ، فقال : ما أصنع به ؟ قال : « تنزع الذهب فتحليه نساءك ، أو تستنفقه ، ثم تبيع الدّيباج فتأخذ ثمنه » ، فباعه العباس من رجل من يهود بثمـانية آلاف درهم .

قال وقال تميم : لنا جِيرةٌ من الرُّوم ، لهم قريتان يقال لأحداهما حبْرى(٢) والأخرى بيت عَيْنُون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لى ، قال : « فهما لك » فلما قام أبو بكر رضى الله عنه أعطاه ذلك ، وكتب له به كتابا ، وأقام وفد الدّار بين حتى تُوفّى رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، وأوصى لهم رسول الله صـلى الله عليه وسلم بجادّ(٣) مائة وَسْق من خَيبر ، هكذا حكى ابن سعد فى طبقاته .

وشاهدت أنا عنـد ورثة الصاحب الوزير فخـر الدين أبى حفص عمـر ، ابن القاضى المرحوم الرئيس مجـد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليلى التميمىّ رحمه الله ، كتابا يتوارثونه كابرا عن كابر ، يقولون : هو كتاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه لتميم الدارىّ وإخوته ، وهو فى قطعة من أَدَم مُربّعة دون الشّبْر قـد غُلّفت بالأطْلَس(٤) الأبيض ، يزعمون أن ذلك من خُفّ كان لأمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد بقى بهذه القطعة الأَدَم آثار أحْرُف خافية ، لا تكاد تَبِين إلا بعد إمعان التأمّل ، وتحقيق النظر ، وعلى هـذه القطعة

(١) قباء : ضرب من الثياب ، ومخوص : مطرز بالذهب ومزين .

(٢) حبرى كسكرى وتسمى حبرون كزيتون ، وهى مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وغلب عليها اليوم وفيها قبره عليه الصلاة والسلام يزار ، وفى رواية كعب الأحبار أنه دفن فى قبر الخليل صلوات الله وسلامه عليه سارة وإلى جنبه إسحق ويعقوب . وعينون من قرى بيت المقدس بوزن هيتون وليتون بسكون المثناة ؛ لفظ عبرى . (٣) فى التاج عن الأصمعى : يقال لفلان أرض جاد مائة وسق ؛ أى تخرج مائة وسق إذا زرعت . وهو كلام عربى . (٤) الأطلس : الحرير ، وليس بعربى .

الأَدَم من الجَلالة ولها من الموقع فى النفوس والمَهابة مايقوِّى أنها صادرة عن المحل المُنِيف[١]، وقرين هـذه القِطْعة الأَدَم قِرْطاس أبيضُ قـديم، يزعمون أن أسلافهم نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن تزول حروفه . وفيه تسعة أسطر بما فى ذلك من البَسْملة، وقد رأينا أن نضع ذلك فى هذا الكتاب على هيئته فى العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو :

بسـم الله الرحمن الرحيم

هذا ما انطا[٢] محمد رسول الله لتميم

الدارى واخوته حَبْرُون والمَرْطُوم[٣]

و بيت عينون و بيت ابراهيم وما فيهن

نِطيه بَتّ بذِمتهم ونفذت وسلمت ذلك

لهم ولأعقابهم فمن اذاهم اذاه

الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عَتيق

ابن ابو[٤] قُحَافَة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عَفّان

وكتب على بن ابو طالب وشهد .

---

(١) المنيف : المرتفع المشرف من أناف ينيف إنافة ارتفع وأشرف .

(٢) أنطى : أعطى، بلغة أهل اليمن . التحقيق أنهـا لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصـار يجعلون العين السـاكنة نونا إذا جاورت الطاء . وقد قرئ بها « إنا أنطينـاك الكوثر » وهى قراءة الحسن وطلحة بن مصرف وابن محيصن، وقراءتهم من الشواذ . وقد شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه اللغة بالنطق بها فقال : "لا مانع لمـا أنطيت" فى أحاديث . وقد تركنا الكتاب النبوى على وضعه كشرط المصنف حيث ذكره على هيئته .

(٣) مرطوم كذا فى كل الأصول، وصوابه مرطهوم كما فى مستدرك التاج، قال : «ومرطهوم اسم أرض جاء ذكرها فى كتب رسول الله إلى أبى شمر» .

(٤) كذا فى الأصل؛ تركناه على شرط المؤلف .

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قَرِين الكتاب ، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا ، وهو العشر الآخر من ذى القعْدة سنة ستّ عشرة وسبعمائة . وهذه الضِّياع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا ، لا يُنازَعُون فيها . وكان الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى رحمه الله ، إذا نابَتْه نائبة ، أو صُودِر أو أوذِى بوجه من وجوه الأذى ، توسّل إلى الله تعالى بكتاب نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأظهره للملوك ، فكفوا عن طلبه ، وأفرَجوا عنه . ولنرجعْ إلى أخبار الوفود .

ذكر وفد الرَّهاويِّين

والرَّهاويّون حَىّ من مَذْحِج(١) ، قال ابن سعد : وفد خمسة عشر رجلا من مَذْحِج على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتحدّث عندهم طويلا . وأهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له المِرْواح ، فأمر به فشُوِّر(٢) بين يديه فأعجبه . فأسلموا وتعلّموا القرآن والفرائض . وأجازهم كما يجيز الوفد ؛ أرفعهم ثنتى عشرة أوقيّة ونَشًّا ، وأخفضهم خمسَ أواقٍ . ثم رجعوا إلى بلادهم .

ثم قدم منهم نفر فحجّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوصى لهم بجَادِّ مائة وَسْقٍ من خَيْبر فى الكَتِيبة جارية عليهم ، وكتب لهم بها كتابا ، فباعوا ذلك فى زمن معاوية .

---

(١) مذحج ، مثال مسجد : أبو قبيلة من اليمن ، وهو مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ، ومذحج أكمة ولدت عليها أمهم فسموا بها .

(٢) شور : أجرى بين يديه ليعرف قوته .

ذكر وفد غامد

٣٦/١٦ قال : قدم وفد غامد[١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان وهم عشرة، فنزلوا ببقيع الغرقد[٢]، ثم لبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلّموا عليه وأقرّوا بالإسلام . وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه شرائعُ الإسلام، وأتوا أُبَىَّ بن كعب فعلّمهم قرآنا . وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يُجيز الوفد وانصرفوا .

ذكر وفد النَّخَع

قالوا : بعث النَّخَع[٣] رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدَيْن بإسلامهم، وهما أَرْطاة بن شَراحيل بن كعب، من بنى حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع، والجُهَيْش واسمه الأرقم، من بنى بكر بن عَوف من النَّخَع، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهما الإسلام فقبِلاه و بايَعا عن قومهما، فأَعجَبَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شأنُهما، وحسْنُ هيئتهما، فقال : «هل خلّفتما وراءَكما من قومكما مثلكما»؟ قالا : يا رسول الله، قد خلّفنا وراءَنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا، وكلهم يَقْطَع الأمر ويُنفِّذ الأشياء، ما يشاركوننا فى الأمر إذا كان، فدعا لهما رسـول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير، وقال : «اللهم بارك فى النَّخَع» . وعقد لأَرْطاة لِواءً على قومه، وكان فى يده يوم الفتح، فشهد

(١) غامد : بطن من الأزد باليمن . نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبد الله، قيل سمى غامدا لوقوع شر بين عشيرته، فتغمد ذنوبهم أى غطاها وسترها، وقيل غير ذلك .

(٢) بقيع الغرقد : أصل البقيع فى اللغة الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى، والغرقد كبار العوسج . وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة .

(٣) النخع : قبيلة من مذحج، سميت باسم جدها وسمى النخع لأنه انتخع عن قومه : بعد عنهم .

به القادسيّة فقُتِل يومئذ، فأخذه أخوه دُرَيْد فقُتِل — رحمهما الله — فأخذه سيف آبن الحارث من بنى جُذَيمة، فدخل به الكوفة .

قال آبن سعد : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمىّ، قال : كان آخر من قدم من الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النَّخَع، وقَدِموا من اليمن للنّصف من المحرم، سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رَمْلة بنت الحارث، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقِرِّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، وكان فيهم زُرارَةُ بن عمرو .

وحكى أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة زُرَارة بن عمرو، والد عمرو بن زُرارة، قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد النَّخَع، فقال : يا رسول الله، إنى رأيت فى طريق رؤيا هالتنى . قال : « وما هى » ؟ قال : رأيتُ أَتَانًا(١) خلّفتها فى أهلى وَلَدت جَدْيا أَسْفَعَ أَحْوى(٢)، ورأيتُ نارا خرجت من الأرض فحالت بينى وبين آبنٍ لى — يقال له عمرو — وهى تقول : لَظَى لَظَى، بصيرٌ وأَعْمَى(٣) . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أخلّفتَ فى أهلك أَمَةً مُسِرّةً(٤) ولدا » . قال : نَعَم . قال : « فإنها قد ولدت غلاما وهو آبنك » قال : فما باله أَسْفَعَ أَحْوَى ؟ قال : « آدن منّى، أبك(٥)

(١) أتان : حمارة أنثى ولا يقال أتانة، وجمع القلة آتن كأعنق والكثرة أتن، بضمتين .

(٢) الجدى : الذكر من أولاد المعزى . أسفع بزنة أحمر : أسود مشرب بحمرة . أحوى : كالتأكيد لما قبله ؛ إذ الحوة (بالضم) سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد .

(٣) قال شارح المواهب : « كأن معناه تفترق الناس فيها فرقتين، بصير عرف الحق وتبعه، وأعمى لم يهتد إلى طريق الحق فضل » .

(٤) مسرة : مخفية حملا ؛ وفى المواهب « مصرة » بالصاد، وقال شارحها : « من أصر على الشىء أقام عليه ؛ والمراد حملها محقق ثابت » وما فى الأصول يوافق ما فى الاستيعاب، وهو الظاهر .

(٥) دفع به ما قد يدخل عليه من الريبة إذا رأى اللون الغريب .

بَرَص تكتمه » ؟ قال : والذى بعثك بالحق ، ما علِمه أحدٌ قبلك . قال : « فهو ذاك ، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدى » . قال : وما الفتنة يا رسول الله ؟ قال : يقتل الناسُ إمامَهم، يَشْتَجِرون اشْتِجار أَطْباق الرأْس(١) — وخالف بين أصابعه — دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء، يحسب المسىء أنه محسن، إن مِتَّ أدركتْ ٱبنَك ، و إن مات ٱبنك أدركك » . قال : فٱدع الله لى ألّا تدركنى . فدعا له . قال : وكان قدوم زُرارة بن عمرو هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النِّصف من شهر رجب سنة تسع .

وقال الطبرى : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النَّخَع وهم مائتا رجل ، وفيهم زُرارة بن قيس بن الحارث بن عَدِىّ بن الحارث بن عَوْف بن جُشَم ٱبن كعب بن قيس بن مُنْقِذ بن مالك بن النَّخَع فأسلموا .

ذكر وفد بَجِيلَة

قال ٱبن سعد : قدم جَرِير بن عبد الله البَجَلىّ(٢) سنةَ عَشْرٍ المدينة، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يطلع عليكم من هذا الفجّ من خَيْرِ ذِى يَمَن على وجهه مَسْحَةُ مُلْك(٣) » فطلع جَرِير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا . قال جَرِير : فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعنى ، وقال : « على أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله، ثم [تقيم(٤)] الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتنصح للسلم ، وتطيع الوالى و إن كان عبدا حبشيا » فقال : نعم، فبايعه .

(١) أطباق الرأس : عظامه . والاشتجار : الاشتباك والاختلاف .

(٢) بجيلة : أمهم نسبوا إليها ؛ وهى بجيلة بنت صعب بن على بن سعد العشيرة .

(٣) مسحة ملك، ومسحة جمال : أثر ظاهر منه . (٤) الزيادة من الاستيعاب لابن عبد البر .

وقدم قيس بن [أبى](١) غَرْزَة الأَحْمَسِىّ — وقيل غَرْزة بن قيس البَجَلىّ — فى مائتين وخمسين رجلا من أَحْمَس ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنتم » ؟ فقالوا : نحن أَحْمَس(٢) الله . وكان يقال لهم ذاك فى الجاهلية . فقال لهم : « وأنتم اليوم لله » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبِلال : « أعطِ رَكْب بَجِيلَة وٱبْدَأْ بالأَحْمَسِيِّين » ففعل . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرِير

٣٧ ١٦ ابن عبد الله « ما فعل ذو الخَلَصَة(٣) » ؟ قال : هو على حاله ، قد بَقِىَ والله ، نُرِيحُ منه إن شاء الله ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَدْمِه ، وعقد له لِواءً فقال : إنى لا أثبت على الخيل فمسح صدره ، وقال : « اللهم ٱجعله هاديا مَهْدِيا » فخرج فى قومه وهم زُهاء مائتين ، فما أطال الغيبة حتى رجع ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَدَمْتَه » ؟ قال : نَعَم ، والذى بعثك بالحق ، وأخذتُ ما عليه وأحرقته بالنار ، فتركته كما يَسُوء مَنْ يَهْوَى هَواه ، وما صَدّنا عنه أحدٌ . قال فبرّك(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ على خيل أَحْمَس ورجالها .

ذكر وفد خَثْعَم

قالوا : وفد عَثْعَثُ بن زَحْر ، وأَنَس بن مُدْرِك ، فى رجال من خَثْعَم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما هدم جَرِير بن عبد الله ذا الخَلَصَة ، وقتل من قتل من خَثْعَم ، فقالوا : آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فٱكتب لنا كتابا نتبع ما فيه ؛ فكتب لهم كتابا شهد فيه جَرِير بن عبد الله ومن حضر .

(١) الزيادة من الاستيعاب وغيره . (٢) الحمس : قبائل من العرب سموا بذلك لأنهم تحمسوا فى دينهم أى تشددوا ؛ كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . (٣) ذو الخلصة : صنم لدوس ، وخثعم ، وبجيلة وغيرهم ، فأنفذ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله فهدمه وهدم بنيانه .
(٤) برّك عليه : دعا له بالبركة .

ذكر وفد حَضْرَمَوْت

قالوا : قَدِم وفد حَضْرَمَوْت مع وفد كِنْدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو وَلِيعَة ملوك حَضْرَمَوْت، جَمْد[١]، ومِخْوَس، ومِشْرَح[٢]، وأَبْضَعَة، فأسلموا، وقال مِخْوَس : يا رسول الله، أدع الله أن يذهب عنى هذه الرُّتَّة[٣] من لسانى . فدعا له، وأطعمه طُعْمَة من صدقة حَضْرَمَوْت .

وقدم وائِل بن حُجْر الحَضْرَمِيّ وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : جئت راغبا فى الإسلام والهجرة، فدعا له ومسح رأسه ونُودِىَ : «الصلاة جامعة» سرورا بقدوم وائِل بن حُجْر . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية بن أبى سفيان أن ينزله بالحَرَّة، فمشى معه، ووائِلُ راكب ، فقال له معاوية : أَلْقِ إلىّ نعليك أتَوَقّى بهما الرَّمْضَاء[٤] . قال : لا ، إنى لم أكن لألبسهما وقد لبسْتَهما . ومن رواية : لا يبلغ أهل اليمن أن سُوقة[٥] لَبِس نَعْل مَلِك . قال : فأَرْدِفْنى ، قال : لست من أَرْداف الملوك ، قال : إنّ الرمضاء قد أحرقت قدمى ، قال : آمش فى ظِلّ ناقتى ، كفاك به شرفا .

ويقال : إن وائل بن حُجْر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية فى خلافته فأكرمه معاوية .

---

(١) فى الأصول والطبقات : « حمدة » ولعله تصحيف عما أثبتناه عن القاموس ، قال فى أسد الغابة : « جمد، بفتح الجيم وسكون الميم ولا أعرف جمدا من كندة إلا جمدا أحد الملوك الأربعة الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا فى الردة كفارا ، والله أعلم » .

(٢) يقال بالسين والشين .

(٣) الرتة : عقدة وحبسة فى اللسان .

(٤) الرمض : شدة حر الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رمضاء .

(٥) السوقة : الرعية ؛ سموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم .

قال : ولما أراد وائل بن حُجْر الشُّخُوص إلى بلاده، كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وهو :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حُجْر قَيْل حَضْرَمَوْتَ، إنك أسلمتَ وجعلتُ لك ما فى يدك من الأرضين والحصون، وأن يؤخذ منك من كل عشرة واحد . ينظر فى ذلك ذَوُو عَدْل (١) وجعلتُ لك ألا تُظْلَمَ فيها ما قام الدين . والنبي — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنون عليه أنصار» .

قال القاضى عياض بن موسى بن عياض — رحمه الله — وفيه :

«إلى الأقيال (٢) العباهلة (٣)، والأرواع (٤) المشابيب (٥)» . وفيه :

«فى التِّيعَة (٦) شاةٌ لا مُقَوَّرَةَ الألْيَاطِ (٧) ولا ضِنَاكٌ (٨)، وأَنْطُوا الثَّبَجَة (٩)، وفى السُّيُوب (١٠) الخُمْس ومن زَنَى من اَمبِكْرٍ فاَصْقَعُوه (١١) مائةً واسْتَوْفِضُوه (١٢) عاما، ومن زَنَى من اَمثَيِّب

(١) فى الطبقات «ذوا عدل» .

(٢) الأقيال : الملوك الذين دون التبابعة .

(٣) العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه ؛ وواحد العباهلة عبهل، والتاء لتأكيد الجمع .

(٤) الأرواع (جمع رائع)، وهم الحسان الوجوه، أو الذين يروعون الناس أى يفزعونهم بمنظرهم هيبة لهم .

(٥) المشابيب : السادة زهر الألوان ؛ واحدهم مشبوب . ورجل مشبوب : أسود الرأس أبيض الوجه، وقيل ذكى الفؤاد شهم .

(٦) فى التيعة شاة : يعنى أن الأربعين من الغنم فيها شاة زكاة .

(٧) مقورة الألياط ؛ يريد غير مسترخية الجلود لهزالها .

(٨) الضناك : السمينة ؛ ويقال للذكر والأنثى بغير هاء .

(٩) أنطوا الثبجة : أعطوا الوسط فى الصدقة، لا من خيار المال ولا من رذاله .

(١٠) السيوب : عروق من الذهب والفضة توجد فى باطن الأرض (الركاز)، الزمخشرى : السيوب جمع سيب يريد به المال المدفون فى الجاهلية أو المعدن ؛ لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه .

(١١) اصقعوه : اضربوه، وقوله : «من امبكر» لغة أهل اليمن، يبدلون لام التعريف ميما .

(١٢) استوفضوه : غربوه وانفوه . و «من امثيب» أى من الثيب على لغة اليمن .

فضرِّجوه بالأضاميم [١] ، ولا توصيم فى الدِّين [٢] ، ولا غُمَّة [٣] فى فرائض الله ؛ وكل مُسْكِر حرام ، ووائل بن حُجْر يترفَّل [٤] على الأقيال » .

قال محمد بن سعد بسنده إلى أبى عُبَيدة من ولد عمّار بن ياسر قال : وَفَدَ مَخْوَس ابن مَعْدِى كَرِبَ بن وَلِيعة فيمن معه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجوا من عنده فأصاب مَخْوَسَ اللَّقْوَةُ [٥] فرجع منهم نفر ، فقالوا : يا رسول الله ، سيِّد العرب ضربته اللَّقْوَة ، فدُلَّنا على دوائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا مِخْيَطاً [٦] فأحموه فى النار ، ثم اقلبوا شُفْرَ عينيه ، ففيها شفاؤه ، وإليها مصيره ، فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندى » . فصنعوه به فبرئ .

ذكر وفد أَزْدِ عُمَان

قالوا : أسلم أهل عُمَان [٧] ، فبعث إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العَلَاء بن الحَضْرَمى ليعلِّمهم شرائع الإسلام ، ويُصدِّق أموالَهم [٨] ، فخرج وفدُهم إلى رسول الله

---

(١) ضرجوه بالأضاميم : أى أدموه بالضرب ؛ يريد الرجم ، والأضاميم : الحجارة واحدها إضمامة .

(٢) لا توصيم فى الدين : أى لا تفتروا فى إقامة الحدود ولا تحابوا فيها .

(٣) لا غمة فى فرائض الله : أى لا تستر ولا تخفى فرائضه و إنما تظهر وتعلن و يجهر بها .

(٤) يترفل على الأقيال : أى يتسود و يترأس ، مستعار من ترفيل الثوب وهو إصباغه و إسباله . وفى النهاية : يسعى و يترفل .

(٥) اللقوة : داء يكون فى الوجه يعوج منه الشدق .

(٦) المخيط : ما خيط به .

(٧) عمان : قطر شرق جزيرة العرب على المحيط الهادى أو بحر العرب مما يلى خليج فارس ، وعمان : موطن الأزد وقبائلهم ، ومزدهر الدولة العربية اليعربية التى طاردت البرتغال من الخليج ، وشواطئ الهند ، وشرق أفريقيا بأساطيلها الحربية على عهد اليعربيين ما بين ألف من الهجرة إلى نحو ألف ومائة وخمسين .

(٨) يصدق أموالهم : يأخذ زكاتها .

صلى الله عليه وسلم، فيهم أسد بن بيرح الطاحى(١)، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم، فقال مخرمة العبدى(٢) وآسمه مُدرِك بن ٣٨/١٦ خُوط : آبعثنى إليهم فإن لهم علىّ مِنّة، أسرونى فى يوم جنوب(٣) فمنّوا علىّ. فوجّهه معهم إلى عُمان، وقدِم بعدهم سَلَمة بن عَبّاد(٤) الأزدى فى ناس من قومه، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يعبد وما يدعو إليه، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : آدع الله أن يجمع كلمتنا وأُلفتنا. فدعا لهم، وأسلم سَلَمة ومن معه.

ذكر وفد غافق(٥)

قالوا : وقدم جُلَيْحة بن شجّار بن صُحَار الغافقى، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رجال من قومه، فقالوا : يا رسول الله، نحن الكَواهِل(٦) من قومنا، وقد أسلمنا وصَدَقاتُنا محبوسةٌ بأفنيتنا . فقال : «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فقال عَوْذ بن سُرَير الغافقى : آمنا بالله وآتبعنا رسول الله .

ذكر وفد بارق

قالوا : قدم وفدُ بارِق(٧)، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلموا و بايعوا، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) كذا فى الأصول، والذى فى أسد الغابة والاستيعاب : «هو بيرح بن أسد الطاحى قدم المدينة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام وكان رآه» .

(٢) وقيل : مخرفة (بالفاء) كما فى أسد الغابة، ولم نقف على من سماه مدركا كما فى الأصول .

(٣) يوم جنوب : من أيام العرب، وجنوب : اسم موضع، ولم نجده فى أيام العرب .

(٤) فى الأصول : عياد وهو تصحيف والتصويب من الإصابة .

(٥) غافق : حىّ من الأزد، وغافق هو جد هذا الحى، وهو ابن الشاهد بن علك بن عدنان بن عبد الله آبن الأزد، و إلى هذا الحى نسب الحصن المعروف بالأندلس بحصن غافق قريب من قرطبة .

(٦) الكواهل : الذين يعتمد عليهم فى القيام بشئون من خلفوهم وراءهم .

(٧) لقب سعد بن عدى أبى قبيلة باليمن .

« هـذا كتاب من محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لبارق ألا تُجَـذ ثمارُهم، ولا تُرْعى بلادُهم فى مَرْبَع[(١)] ولا مَصِيف إلا بمسألة من بارق . ومن مرّ بهم من المسلمين فى عَرك[(٢)] أو جَدْب فله ضيافة ثلاثة أيام . وإذا أَيْنَعت[(٣)] ثمارُهم فلابن السّبيل اللِّقاط[(٤)] يوسّع بطنه من غير أن يَقْتِبه[(٥)] » . ثم شهد أبو عبيدة بن الجرّاح، وحُذَيفة بن اليمان، وكتب أُبَيّ بن كعب .

ذكر وفـد ثُمَـالة[(٦)] والحُدّان

قالوا : قدم عبد الله بن عَلَس[(٧)] الثُّمالىّ ومَسْلَمة بن هَارَان[(٨)] الحُدّانِى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رَهْط من قومهما بعـد فتح مكة ، فأسلموا وبايعوا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم على قومهم ، وكتب لهم كتابا بمـا فرض عليهم من الصـدقة فى أمـوالهم ، كتبه ثابت بن قَيْس بن شَمّاس ، وشهد فيـه سعد بن عُبَادة ومحمد ابن مَسْلَمة .

---

(١) المربع كمقعد : الموضع الذى يرتبعون فيه فى الربيع ينتجعون الكلأ .

(٢) العرك : من عركتهم الحرب عركا دارت عليهم .

(٣) أينعت : نضجت .

(٤) اللقاط : ما يوجد من الثمار ساقطا فيلتقط .

(٥) كذا فى الأصول ولسان العرب : « يقتبه » بمعنى يجمعه، ودليله ما فى الطبقات : « يقتثم » أى يجمع أيضا .

(٦) ثمالة : بطن من الأزد، إليه ينسب محمد بن يزيد المبرد النحوى .

(٧) وفى الطبقات « ابن علس »، وفى أسد الغابة « ابن عبد الثمالى » .

(٨) فى الأصول : مسيلمة بن هزان وفى الطبقات « مسلية بن هزان » والتصحيح من الإصابة وفيها : « ويقال ابن حدان الحدانى » .

ذكر وفد مَهْـرة

قالوا : قدِم وفد مَهْرة[(١)] على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، عليهم مَهْرِىّ[(٢)] بن الأبيض ، فعـرض عليهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم الإسـلام فأسلموا ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا الكتاب من محمد رسول الله لمَهْرِىّ بن الأبيض على من آمن به من مَهْرَة ألاّ يُؤكَلوا[(٣)] ولا يُعرَكوا[(٤)] . وعليهم إقامة شَعائر الإسـلام ، فمن بدّل فقـد حارب ، ومن آمن به فله ذمّة الله وذِمّةُ رسـوله . اللُّقَطَة[(٥)] مؤدّاة ، والسّارِحَة[(٦)] مُنَدّاة ، والتَّفَثُ[(٧)] السَّيِّئة ، والرَّفَثُ[(٨)] الفُسُوق » .

وكتب محمد بن مَسْلَمَة الأنصارى .

---

(١) نسبة إلى مهرة بن حيدان — بفتح أوله — حى من قضاعة ، إليه تنسب الإبل المهرية .

(٢) لم نقف على هذا الاسم فى مرجع غير « الطبقات » .

(٣) ألا يؤكلوا : أى لا يغار عليهم .

(٤) يعركون : يؤكل نباتهم ، من عركت الماشية النبات أكلته .

(٥) اللقطة : ما التقط من مال ضائع . مؤداة : مردودة لصاحبها .

(٦) السارحة : الماشية التى تسرح بالغداة إلى مراعيها . منداة : التندية أن تورد الإبل فتشرب قليلا ، ثم تجىء بها ترعى ، ثم تردها إلى الماء ؛ والمراد أنها تورد على الحياض حتى تأخذ حظها من الماء ولا تمنع من الشرب .

(٧) التفث : من معانيه الدرن والوسخ ، والسيئة : الخطيئة ؛ والمراد أن الوسخ الفعل القبيح ، وليس وسخ البدن .

(٨) الرفث : الفحش من القول . والفسوق : العصيان ، والترك لأمر الله عز وجل . والمعنى أن الرفث هو العصيان لله أمرا ونهيا .

قالوا : ووفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من مَهْرَة، يقال له زُهَير[١] ابن قِرْضِم بن الجُعَيل من الشِّحْر[٢]، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدْنيه لبعد مسافته، فلما أراد الانصراف بَتَّه[٣]، وحَمله، وكتب له كتابا .

ذكر وفد حِمْيَر

قالوا : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن مُرارة[٤] الرَّهاوى، رسول ملوك حِمْير بكتابهم وإسلامهم، وذلك فى شهر رمضان سنة تِسع عند مَقْدَمه من تَبُوكَ، وهم : الحارث بن عَبْد كُلَال، ونُعَيْم بن عَبْد كُلَال، والنُّعمان قَيْل ذِى رُعَيْن، ومَعَافِر، وهَمْدان .

قال ابن إسحق : وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَن مالكَ بن مُرَّة الرَّهاوى فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث بن عَبْد كُلَال وإلى نَعيم بن عَبْد كُلَال، وإلى النعمان قَيْل ذِى رُعَيْن ومَعَافِر وهَمْدان — أما بعد ذلكم — فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو — أما بعد — فإنه قد وقَع بنا رسولكم مُنْقَلَبنا من أرض الروم، فلقِينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به، وخبَّر ما قِبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهُداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمُسَ الله، وسهم

(١) زهير : فيه خلاف فى هذا الاسم، وفى الأصول : «العجيل» (راجع الإصابة وأسد الغابة) .

(٢) الشحر : الشط، وهو ناحية على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهو ممتد بينها وبين عمان .

(٣) بتّه : أعطاه، البتات وهو الزاد، وحمله : أعطاه راحلة تحمله .

(٤) يروى : ابن مرة، وقيل ابن فراوة، والصحيح ابن مرارة (أسد الغابة) .

النبيّ وصَفِيّه[1]، وما كُتب على المؤمنين من الصّدقة، من العَقَار[2] عُشْر ما سقت العينُ وسقت السماءُ، وعلى ما سَقى الغَرْبُ[3] نِصفُ العُشْر، و إن فى الإبل الأربعين ابنةَ لبُون، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفى كل خمس من الإبل شاة، وفى كل عشر من الإبل شاتان، وفى كل أربعين من البقر بقرة، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع جَذَع أو جذَعة، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدَها شاةٌ، وأنّها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصّدقة، فمن زاد خيرا فهو خير له، ومن أدّى ذلك، وأشهد على إسلامه، وظَاهر[4] المؤمنين على المشركين، فهو من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم وله ذِمّة الله وذِمّة رسوله، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنّه من المؤمنين، له مالهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرَدّ عنها، وعليه الجِزْية على كل حالِمٍ ذكرٍ أو أنثى، حرٍّ أو عبدٍ دينارٌ وافٍ، من قيمة المَعَافر[5] أو عِوَضَه ثيابًا، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذِمّة الله وذِمّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد — فإنّ رسولَ الله محمدًا النبيّ أرسل إلى زُرْعة ذى يَزَن أَنْ إذا أتاكم رُسُلى فأوصيكم بهم خيرا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عُبَادة، وعُقْبة ابن نمر، ومالك بن مُرّة، وأصحابهم، وأن اجمعوا له ماعندكم من الصّدقة، والجِزْية من مَخالفيكم، وأبلغوها رُسلى، وأنّ أميرهم معاذ بن جَبَل فلا يَنْقَلِبَنّ إلا راضيا.

أما بعد — فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّه عبده ورسوله، ثم إن مالك ابن مُرّة الرَّهاوىّ قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أول حِمير وقتلتَ المشركين، فأبشر

(١) الصفى: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم الغنائم.

(٢) العقار: الأرض. (٣) الغرب: الدلو.

(٤) ظاهر: عاون وقوى. (٥) المعافر: ثياب من ثياب اليمن.

بخير، وآمرك بحمير خيرا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو مولى غنيكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وأن مالكا قد بلغ الخبر، وحفظ الغيب وآمركم به خيرا، وأنى أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم، وآمركم بهم خيرا، فإنهم (١) منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ذكر وفد جيشان

قال محمد بن سعد: قدم أبو وهب الجيشانى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قومه، فسألوه عن أشربة تكون باليمن، فسموا له البتع (٢) من العسل، والمزر (٣) من الشعير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تسكرون منهما» قالوا: إن أكثرنا سكرنا، قال: «حرام قليل ما أسكر كثيره»، وسألوه عن الرجل يتخذ الشراب فيسقيه عماله، فقال: «كل مسكر حرام».

ذكر وفد سلول

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى رحمه الله: قدم قردة بن نفاثة السلولى، من بنى عمرو بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من بنى سلول، فأمره عليهم بعد ما أسلم

---

(١) فى نسخة من ابن هشام: «فإنه».

(٢) البتع (بكسر الباء وسكون التاء وفتحها): نبيذ يتخذ من عسل، كأنه الخمر صلابة.

(٣) المزر: نبيذ الشعير.

وأسلموا ؛ فانشأ يقول :

بَانَ الشَّبابُ فلم أَحفِل به بالَا * وأَقْبَل الشَّيبُ والإسلامُ إقبالَا
وقد أُرَوِّى نَدِيمى من مُشَعْشَعَةٍ(١) * وقد أُقَلِّبُ أَوْرَاكًا وأَكْفَالَا
الحمدُ لله إذ لم يأتِنى أَجَلِى * حتى اكتسيتُ من الإسلام سِرْبالَا

قال وقد قيل : إن البيت الثالث للَبِيد ، قال أبو عُبيدة : لم يقل لَبِيدُ فى الإسلام غيره ، وكان قد عُمِّر مائة وخمسين سنة .

قال أبو عمر : وقَرَدة هذا هو الذى يقول :

أَصبحتُ شيخًا أرى الشَّخصين أربعةً * والشَّخصَ شخصين لمَّا مسَّنِى الكِبَرُ
لا أسمعُ الصّوتَ حتّى أَستدِيرَ له * وحَالَ بالسَّمع دُونِى المنظَرُ القَهِرُ(٢)
وكنتُ أمشِى على السَّاقَين مُعتدِلًا * فصرتُ أمشِى على ما تُنْبِتُ الشَّجَرُ
إذا أقُومُ عَجَنْتُ الأرضَ مُتَّكِئًا * على البَرَاجِمِ حتّى يَذهبَ النَّفَرُ(٣)

٤٠/١٦

ذكر وفد نجران وسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وما أنزل الله عزّ وجلّ فيهم من القرآن

قال محمد بن إسحق : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ نصارى نَجْران ستُّون راكبًا ، فيهم أربعةَ عشرَ رجلًا من أشرافهم ، وهم : العاقِبُ عبدُ المسيح ، والسّيد وهو الأَيْهَم ، وأبو حارثة ابن عَلْقَمة ، وأَوْسٌ ، والحارثُ ، وزيدٌ ، وقيسٌ ،

(١) المشعشعة : الخمر .

(٢) فى الأصول : « دون » مكان « دونى » وفى الاستيعاب :

* وحال بالسمع دونى المنظر العسر *

(٣) عجن الأرض : اعتمد عليها بجمعه إذا أراد النهوض من الكبر . البراجم (جمع برجمة) : مفاصل الأصابع . والنفر (بالتحريك) : الجماعة من الناس ؛ يريد الذين ينفرون معه .

ويزيد، ونبيه وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنس. ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذى لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيد ثمالهم (١)، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم (٢) وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم (٣).

قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر كوز وهو أخو الحارث بن علقمة، وأوس أخو السيد.

قال: فتقدمهم كوز وهو يقول:

إليك تعدو قلقاً وضينها (٤) * معترضاً فى بطنها جنينها

* مخالفاً دين النصارى دينها *

وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم، ثم قدم الوفد بعده، فدخلوا [عليه] (٥) المسجد، عليهم ثياب الحبرة (٦) وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلون فى المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم»، ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم، فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه، بزى الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم.

(١) ثمالهم: غياثهم الذى يفزعون إليه.

(٢) الأسقف (بتشديد الفاء وتخفيفها): رئيس النصارى فى الدين، أعجمى تكلمت به العرب.

(٣) مدراس: بيت يدرس فيه الكتاب.

(٤) وضين: حزام. وفى ابن هشام: «قال هشام بن عروة: وزاد فيه أهل العراق:

* معترضاً فى بطنها وضينها * »

(٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) الحبرة: ضرب من برود اليمن منمر.

قال محمد بن إسحق : وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم، ودَرَس كتبهم، حتى حَسُن عِلْمُه فى دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخدموه، وبنَوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لِمَا يبلغهم عنه من عِلْمه واجتهاده فى دينهم، فلما وجّهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نَجْران، جلس أبو حارثة على بَغْلة له، وإلى جَنْبه أخوه كُوز، — ويقال فيه كُرْز[1] — فعثَرت بغلة أبى حارثة، فقال كُوز : تَعِس الأبعدُ، يريد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو حارثة : بل أنت تَعِست . فقال : ولم يا أخى ؟ قال : والله إنّه للنبىّ الذى كنا ننتظره . فقال له كُوز : فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ؛ شرّفونا وموّلونا وأكرمونا ، وقد أبَوْا إلّا خلافه ، فلو فعلتُ نزعوا منا كل ما ترى . فأضمر عليها منه كُوز بن عَلْقَمة حتى أسلم بعد ذلك ، فكان يحدّث عنه هذا الحديث .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وبلغنى أن رؤساء نَجْرانَ كانوا يتوارثون كُتبًا عندهم ، فكلما مات رئيس منهم وأفضت الرياسة إلى غيره ، خَتَم على تلك الكُتب خاتمًا مع الخواتم التى قبله ولم يَكْسِرها، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يمشى فعثَر، فقال ابنه : تَعِس الأبعد — يريد النبىّ صلى الله عليه وسلم — فقال له أبوه : لاتفعل فإنه نبىّ واسمه فى الوضائع —يعنى الكتب— فلما مات لم يكن لابنه هَمّة إلا أن كَسَر الخواتم، فوجد فى الكُتب ذِكْر النبىّ صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحَسُن إسلامه فحجّ، وهو الذى يقول :

* إليكَ تَعْدُو قَلِقًا وَضِينُهَا *

(١) فى الأصول وابن هشام «كوز» وما أثبتناه هما الروايتان المعروفتان فى اسم ابن علقمة (راجع القاموس مادتى كوز، وكرز) والإصابة وأسد الغابة .

قال ابن إسحق : ولما قدموا صلّوا فى المسجد نحو الشرق، وكلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم الثلاثةُ نَفَر : العاقِب، والسيّد، وأبو حارثة، وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون فى المسيح : هو الله، ويقولون : هو ابن الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، فهم يحتجّون فى قولهم : هو الله بأنه كان يحيى الموتى، ويبرئ من الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا، ويحتجون فى قولهم أنه ابن الله بأنهم يقولون : لم يكن له أبٌ يُعلَم، وقد تكلم فى المهد، [وهذا][1] شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله . ٤١/١٦ ويحتجون فى قولهم إنه ثالث ثلاثة ، بقول الله فَعَلْنا ، وأَمَرْنا، وخَلَقْنا، وقَضَيْنا، فيقولون : لو كان واحدا ما قال إلا فَعلتُ وقَضيتُ وأَمرتُ وخلَقتُ، ولكنه هو، وعيسى، ومريم .

قال : فلما كلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَبْران قال لهما : «أَسْلِما»، قالا : قد أسلمنا قبلك . قال : « كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاكما لله ولدًا، وعبادتكما الصَّليب، وأكلكما الخِنزير» قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى عليه فى اختلاف أمرهم كلّه صَدْر سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية منها .

فقال تعالى : ﴿الٓمٓ . اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾ قال[2] : افتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده ، ليس معه شريك فى أمره : « الحَىّ » أى الذى لا يموت، وقد مات عيسى وصُلِب فى قولكم . «القَيُّوم» القائم على مكانه من سلطانه

---

(١) الزيادة من ابن هشام .

(٢) القائل ابن إسحق .

في خَلقه لا يزول، وقد زال عيسى. ثم قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق فيما آختلفوا فيه ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أي الفصل بين الحقّ والباطل فيما آختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي إن الله مُنتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي قد علِم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى؛ إذ جعلوه إلها وعندهم من عِلمه غيرُ ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي قد كان عيسى ممن صُوِّر في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صُوِّر غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى تنزيها لنفسه وتوحيدا لها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي «العزيز» في آنتصاره ممّن كفر به إذا شاء «الحكيم» في حجته وعذره إلى عباده. ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي فيهنّ حجة الربّ وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي لهنّ تصريف وتأويل. آبتلى الله فيهنّ العباد، كما آبتلاهم في الحلال والحرام، ألا يُصرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحرَّفْنَ عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ميْلٌ عن الهدى. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي ما تصرّف منه؛ ليُصدِّقوا به ما آبتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حُجّة وشبهة على ما قالوا[1]. ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي اللَّبس. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي تأويل ذلك على

(١) في ابن هشام: «لتكون لهم حجة، وعلى ما قالوا شبهة».

ما ارتكبوا من الضلالة فى قولهم: خلقنا وقضينا . يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قولٌ واحدٌ، من ربٍّ واحد. يقول : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أى فى مثل هذا. ثم قال تعالى : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[1]. ثم قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ بشهدون بذلك . ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أى بالعدل ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أى ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للربّ والتصديق للرسل . قال تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أى العلم الذى جاءك أن الله الواحد الذى ليس له شريك. ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يقول تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أى فيما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ أى الذين لا كتاب لهم ﴿أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

ثم جمع تعالى أهلَ الكتابين من اليهود والنصارى فيما أحدثوا وابتدعوا، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إلى قوله : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أى ربّ العباد والملك الذى لا يقضى فيهم غيره. ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أى ٤٢/١٦

(١) فسر ابن هشام هذه الآية فقال : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » أى لا تمل قلوبنا وإن ملنا بأحداثنا .

لا يَقدِرُ على هذا غيرُك بسلطانك وقُدرتك ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أى بتلك القدرة . ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أى لا يَقدِر على ذلك غيرُك ولا يصنعه إلّا أنت ، أى إن كنتُ سلّطتُ عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إلٰه ، من إحياء الموتى ، و إبراء الأسقام ، والخَلْق من الطّين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آيةً للناس ، وتصديقًا له فى نبوّته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سُلْطانى وقُدْرتى ما لم أعطه[1] ، من إيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل ، و إخراج الحىّ من الميّت ، وإخراج الميت من الحىّ ، و رِزق من شئتُ من بَرٍّ أو فاجرٍ بغير حساب ، فكلّ ذلك لم أُسلّط عيسى عليه ، ولم أُمَلّكه إياه ، أفلم يكن لهم فى ذلك عبرة و بينة ! أن لو كان إلٰها كان ذلك كلّه إليه ، وهو فى قولهم يَهرُب من الملوك و يتنقل منهم فى البلاد ، من بلد ١
إلى بلد .

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم فقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أى ما مضى من كفركم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يقول : أطيعوا الله والرسول فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أى على كفرهم . ١

ثم آستقبل أمر عيسى عليه السلام ، وكيف كان بدء ما أراد الله تعالى به فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . ثم ذكر أمر آمرأة عمران فقال : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أى جعلته عَتيقا يعبد الله عزّ وجل ، لا ينتفع به لشىء من الدنيا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ ٢

(١) عبارة آبن هشام : « ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ... الخ » .

إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى) [أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها مُحَرَّرًا لك نذيرة] [(١)] (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) . يقول الله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) أى كفلها بعد أبيها وأمها ، يذكرها باليتم ، ثم قصّ خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به وما أعطاه ، إذ وهب له يحيى ، ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها ، فقال تعالى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) قال الثعلبي : القائل من الملائكة جبريلُ وحده ، «اصطفاكِ» بولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، «وَطَهَّرَكِ» من مسيس الرجال . وقيل : كانت مريم عليها السلام لا تحيض و «اصْطَفَاكِ» بالتحرير فى المسجد «على نساءِ العالَمِينَ» قال : على عالَمِى زمانها ، ولم تُحرَّر أنثى غيرها . (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) قال الثعلبي : قوله «اقْنُتِي» أطيعى وأطيلى الصلاة لربك ، قال : كلمتها الملائكة شِفاهًا . قال الأوزاعي : لما قالت لها الملائكة ذلك ، قامت فى الصلاة حتى وَرِمت قدماها وسالتا دمًا وقيحا .

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) قال ابن إسحق : كفلها هاهنا جُرَيج الراهب رجلٌ من بنى إسرائيل نجّار ، خرج السَّهْمُ عليه فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمةٌ شديدة ، فعجز زكريا عن حَمْلها ، فاستهموا عليها ، فخرج السَّهْمُ على جُرَيج الراهب فكفلها . يقول تعالى : (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) أى ما كنت معهم إذ يختصمون فى كفالتها ، فخبّره تعالى

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . والمحرر يطلق على النذير والنذيرة .

يخفى ما كتموا منه من العلم عندهم ؛ لتحقيق نبوّته ، والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه .

ثم قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أى هكذا كان أمره، لا كما يقولون فيه . ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ «وَجِيهًا» أى شريفا ذا جاه وقدر «وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» عند الله ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عُمره؛ كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا و كبارا، إلا أن الله تعالى خصّه بالكلام فى مهده آيةً لنبوّته وتعريفًا لأمه . وقوله : « وَكَهْلًا » قال مقاتل : إذا اجتمع(١) قبل أن يُرفع إلى السماء . وقال الحسين بن الفضل : «كَهْلًا» بعد نزوله من السماء . وقال ابن كَيْسان : أخبرها أنه يبقى حتى يكتهل . وقيل : يُكلم الناس فى المهد صبيًّا وكهلا ؛ بشّرها ٤٣/١٦ بنبوّته ، فلأمه فى المهد مُعجزة وفى الكهولة دَعْوة . وقال مجاهد : « وَكَهْلًا » أى حليما(٢) .

قال تعالى إخبارا عن مريم . ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ثم أخبرها بما يريد به فقال تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ قوله «الْكِتَابَ» أى الكتابة والخط . «وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ» التى كانت فيهم من عهد موسى قبله «وَالْإِنْجِيلَ» كتابا آخر أنزله الله إليه، لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن . يقول تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أى يُحقق بها نبوّتى أنى رسول منه إليكم . ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

(١) اجتمع الرجل : استوت لحيته ، وبلغ غاية شبابه .

(٢) على هذا يكون « كهلا » معطوفا على « وجيها » .

قال الثعلبيّ: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه خَلق طيرا كثيرة، وقُرّاء أهل المدينة «طائرا» ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطّير؛ لأنه لم يَخْلُق غير الخُفّاش، قال: وإنما خَصّ الخُفّاش لأنه أكمل الطير خَلْقا؛ ليكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها نديا وأسنانا وهي تحيض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا؛ ليتميز فعل الخَلْق من فعل الله عزّ وجل، وليعلم أن الكمال لله. ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ «الأكمه» الذي يولد أعمى وجمعه كُمْه. وقيل: هو الأعمى وهو المعروف من كلام العرب، قال سُوَيْد بن أبي كاهل:

كَمِهَتْ عيناهُ حتّى ٱبيضّتَا * فهو يَلْحَى نفسَه حتى نَزَعْ[1]

والأبرص الذي فيه وَضَحٌ، قال: وإنما خَصّ هذين؛ لأنهما عَيَاءانِ وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطّبّ؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

قال وهب: ربما ٱجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يُطِق أتاه عيسى عليه السلام، وإنما كان يداويهم بالدعاء، على شرط الإيمان. ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال الثعلبيّ: أحيا أربعةَ أنفس العازَر وكان صديقا له، فأرسلت أختُه إلى عيسى: إنّ أخاك العازَر يموت فأْتِه، وكان بينَه وبَيْنَه مَسيرةُ ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: ٱنطلقي بنا إلى قبره. فٱنطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مُطْبقة، فقال عيسى عليه السلام: «اللّهمّ ربَّ السموات السّبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرهم أني أحيي الموتى بإذنك، فأَحْيِ العازَر»، قال: فقام عازَرُ وودَكُه يَقْطُر، فخرج من قبره وبقي ووُلِد له. وأحيا ٱبنَ العجوز، مُرّ به ميتا على عيسى عليه السلام،

(١) معنى البيت: أن الخمه قد بيض عينه.

وهو يُحمَل على سَرير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سريره . ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحَمَل السَّرير على عنقه . ورجع إلى أهله، فبقى ووُلِد له، وابنة العاشِر[1] قيل له : أتحييها وقد ماتت بالأمس؟ فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت وولدت، وسامَ بن نوح عليهما السلام، ودعا عيسى باسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصفُ رأسه، فقال : قد قامت القيامة ؟ قال : لا، ولكنّى دعوتك باسم الله الأعظم، ثم قال له : مُتْ، قال : بشرط أن يُعيذنِى اللهُ من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل .

قال الكلبي : كان يُحيي الأمواتَ بـ«يا حَىُّ يا قَيُّوم» .

قال [تعالى][2] : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أى آية لكم أنى رسولٌ من الله إليكم .

يقول [تعالى] : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ أى لما سبقنى منها . ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ أى أخبركم أنه كان عليكم حراما فتركتموه، ثم أحلّه لكم تخفيفا عنكم، فتصيبون يُسْره وتخرجون من تباعته[3] .

يقول [تعالى] : ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أى هذا الهدى قد حملتكم عليه وجئتكم به . يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

---

(١) وهى التى كان أبوها يأخذ العشور .

(٢) زيادة يقتضيها المقام .

(٣) التباعة (بالكسر) : الشىء الذى لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها . وهى التبعة .

فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أى هكذا كان قولهم و إيمانهم، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك، ثم ذكر تعالى رَفْعه عيسى إليــه حين اجتمعوا لقتله، فقال : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَـاكِرِينَ ﴾ قال أهل المعـانى : المكر السَّعْىُ بالفساد فى سَـتْر ومُدَاجاة. وقال الفرّاء : المكر من المخلوقين الخبُّ والخديعة والحِيلة، وهو من الله ٱستدراجُه العِباد. ٤٤ / ١٦ ثم أخبرهم تعالى، وردّ عليهم فيما أقرّوا به لليهود من صَلْبه، وأنّ الله عَصَمه منهم، ورفعه إليــه، فقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ قال الثعلبىّ : ٱختلفوا فى معنى التوفّى هاهنا، فقـال كَعْب والحسن والكلبىّ ومَطَر الورّاق ومحمــد بن جعفر بن الزبير وٱبن جُرَيْج وٱبن زيد : معناه إنى قابضك ورافعك من الدنيا إلىّ من غير موت . قال : وعلى هذا القول تأويلان : أحدهما — إنى رافعك إلىّ وافيا لم ينالوا منك شيئا؛ من قولهم توفَّيتُ هذا، وٱستوفيتُه أى أخذته تامًّا .

والآخر — إنى مُسَلِّمُكَ؛ من قولهم تَوفَّيتُ منه كذا أى تَسلَّمته . وقال الربيع ٱبن أنس : معنـاه إنى مُنِيمك ورافعك إلىّ فى نومك؛ ويدل عليه قوله تعـالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ أى يُنِيمكم؛ لأنّ النوم أخو الموت . وقوله تعالى : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ ﴾ الآية . وعن ٱبن عباس رضى الله عنهما قال : إنى مُمِيتك . و يدل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ وقوله : ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قال : وله على هــذا القول تأويلان : أحدهما — ما قال وهب : توفّى اللهُ تعالى

عيسى عليه السلام ثلاثَ ساعات من النهار ثم رَفَعه إليه . وقال آبن إسحٰق : النصارى يزعمون أنّ الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعه . والآخر— ما قال الضحاك و جماعة من أهل المعانى : إنّ فى الكلام تقديما وتأخيرا. معناه إنّى رافعك إلىّ ومُطهّرك من الذين كفروا ، ومُتوفِّيك بعد أنْ أُنزلكَ من السماء . وقال أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطىّ : معناه « إِنِّى مُتَوفِّيكَ » عن شهواتك وحظوظ نفسك . قال : وذلك أنه لمّا رُفِع إلى السماء صار حالُه حالَ الملائكة . وقوله : « وَرَافِعُكَ إِلَىَّ » قال البُنَانىّ والشَّيْبانىّ : كان عيسى عليه السلام على طُورِ زيتًا فهبّت رِيحٌ، فهرْوَل عيسى، فرفعه الله عزّ وجلّ فى هَرْولته، وعليه مِدْرَعة من شَعْر . وقيل : معناه ورافعك بالدرجة فى الجنة ، ومقرّبك إلىّ بالإكرام .

وقوله : ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى مُخرِجُك من بينهم ومُنجيكَ منهم . وقوله : ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال قتادة والربيع والشَّعْبىّ ومقاتل والكلبىّ : هم أهل الإسلام الذين آتبعوا دينه وسُنّته من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما آتبعه من دعاه ربًّا . « فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا » ظاهرين قاهرين بالعزّ والمَنعة والدليل والحُجّة . وقال الضحاك وعلىّ ومحمد بن أَبَان : يعنى الحواريين فوق الذين كفروا . وقيل : هم الرُّوم . وقال آبن زيد : وجاعل النصارى فوق اليهود، فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود، واليهود مُستَذَلُّون مقهورون . قال : وعلى هذين القولين يكون معنى الآتباع : الآدّعاء والمحبة لا آتباع الدِّين والملّة . ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أى فى الآخرة . ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أى من الدِّين وأمر عيسى .

قوله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسَّبى والجزية والذلّة . ﴿والآخرة﴾ بالنار . ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ . قوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية ظاهرة المعنى . قوله : ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أى هذا الذى ذكرته لك ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «هو القرآن» . وقيل : هو اللّوحُ المحفوظ ، وهو مُعلّق بالعَرْش ، من دُرَّة بيضاء ، و « الحكيم » هو المحكَمَ من الباطل ؛ قاله مقاتل . وقال آبن إسحق : أى القاطعُ الفاصلُ ، الحقُّ الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما آختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبرا غيره . فقال : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أى قد جاءك الحقّ فلا تمترينّ فيه ، وإن قالوا خُلق عيسى من غير [ذَكَر](1) ، فقد خلقت آدم [من تُراب](2) بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذَكَر ؛ فكان لحمًا ودمًا وعظمًا وشعرًا وبشرًا ، كما كان عيسى ، فليس خلق عيسى من غير ذَكَر بأعجب من هذا .

ثم قال تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا ٤٥/١٦
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ قوله : « نَبْتَهِل » أى نتضرع فى الدعاء . وقيل : نخلص فى الدعاء . وقيل : نجتهد ونبالغ فنقول لعن الله الكاذب منّا ومنكم . قال آبن إسحق : ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ من أمره . ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أى إن أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أى الذين يعبدون غير الله تعالى ، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله .

(١) فى الأصول : « ذلك » وهو تحريف ، والتصويب من سيرة آبن هشام .
(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام .

ثم قال تعالى : ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فدعاهم إلى النَّصَف ، وقطع عنهم الحُجّة ، قال : فلما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من الله عزّ وجلّ عن عيسى ، والفَصْلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من مُلاعنتهم إن رَدُّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتَنا إليه ، فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقب ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ماترى؟ فقال : والله يا مَعْشَر النَّصارَى لقد عرفتم أنّ محمدًا لنبيٌّ مُرْسَلٌ ، لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم ما لَاعَنَ قومٌ نبيًّا قطّ فبقى كبيرُهم ، ولا نَبتَ صغيرُهم ، وأنه الاستئصال منكم إنْ فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دينكم ، والإقامةَ على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألّا نلاعنَك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ، ترضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رِضًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائتونى العَشِيّةَ أبعثْ معكم القويّ الأمين » فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحببتُ الإمارة قطّ حُبِّى إياها يومئذ رجاءَ أن أكون صاحبها ، فخرجتُ إلى الظُّهر مُهَجِّرا[1] ، فلما صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، سلّم ثم نظر عن يمينه ويساره ، فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عُبَيدة بن الجَرّاح فدعاه له ، وذلك قبل الهجرة .

(١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة ، وهى شدة الحر .

فقال : « آخرج فاقض بينهم بالحق فيما آختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة . هذا مارواه آبن هشام عن آبن إسحق .

وقال محمد بن سعد فى طبقاته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عَرَض عليهم المباهلة آنصرفوا عنه ، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم ، فقال: قد بَدَا لنا الا نُبَاهِلَك، فآحكم علينا بما أحببت نُعطِك ونصالحك . فصالحهم على ألفى حُلّة: ألف فى شهر رجب، وألف فى صفر، أو قيمة كل حُلّة من الأواق، وعلى عارية ثلاثين دِرْعًا، وثلاثين رُمْحًا وثلاثين بعيرًا، وثلاثين فرسًا: إن كان باليمن كَيْد (١). ولنَجْرانَ وحاشيتهم جوارُ الله وذمة محمد النبيّ رسول الله، على أنفسهم ومِلّتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبِيَعهم ، لايُغيَّر أُسْقُفٌ من سِقِّيفاه (٢) ، ولا راهب من رَهْبانيّته ، ولا واقفٌ من وَقْفانيّته (٣)، وفى بعض الروايات لايُغيَّر وافِهٌ (٤) من وَفْهِيّته ، ولا قسيس من قِسِّيسيَّته . والوَافِهُ : قَيِّم الكَنيسة .

قال: وأشهد على ذلك شهودا. منهم أبو سفيان بن حَرْب، والأَقْرَع بن حابس والمُغيرة بن شُعْبة، ورجعوا إلى بلادهم ، فلم يلبث السيّد والعاقب إلا يسيرًا حتى رَجَعا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأسلما وأنزلهما فى دار أبى أيوب الأنصارىّ ،

(١) كَيْد : حرب .

(٢) الأسقف : رئيس النصارى فى الدين . وسقيفاه : مصدر كالخليفى من الخلافة ؛ أى لا يمنع من تسقفه وما يعانيه من أمر دينه وتقدمته .

(٣) الواقف : خادم البيعة ؛ لأنه وقف على خدمتها . ووقفانيته : خدمته ، ويروى «وقيفاه» بالكسر والتشديد ؛ وهى مصدر كالخصيصى والخليفى .

(٤) ورواه آبن الأعرابى « واهف » وكأنه مقلوب .

وأقام أهلُ نَجران على ما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قَبَضه الله تعالى . ثم وُلّى أبو بكر فكتب بالوَصَاة بهم عند وفاته ، ثم أصابوا رِبًا فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم ، وكتب لهم :

«هذا ما كتب عمرُ أميرُ المؤمنين لنَجْرانَ . من سار منهم إنه آمِنٌ بأمان الله ، لايَضُرّهم أحدٌ من المسلمين ، وفاءً لهم بما كتب لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ـ أما بعد ـ فمن وَقعوا(١) به من أُمَراء الشام وأُمَراء العِراق فلْيُوسِعهم من جَرِيب(٢) الأرض ، ما اعْتَمَلُوا من ذلك فهو لهم صَدَقة ، وعُقْبة لهم بمكان أرضهم ، لاسبيل عليهم فيه لأحدٍ ولا مَغْرَم ـ أمّا بعد ـ فمن حضرهم من رجلٍ مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فإنهم أقوام لهم الذِّمّة . وجزيتهم عنهم متروكة أربعةً وعشرين شهرا بعد أن يَقْدموا ، ولا يُكلَّفوا إلا مِن ضَيْعَتِهم(٣) ، غير مظلومين ولا مَعْنُوف(٤) عليهم . ٤٦ - ١٦
شَهِد عثمانُ بن عفان ومُعَيْقِيب بن أبي فاطمة .

قال : فوَقَع ناسٌ منهم بالعِراق ، فنزلوا النَّجْرانيّة التي هي ناحية الكوفة .

وحيث ذكرنا وِفادات العرب ، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الجنّ في إسلامها ، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الجنّ أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم بسبب ذلك ، فإنا عند ذكرنا للبشّرات برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرنا من ذلك طَرَفا ، وأخّرنا بقيته لنذكره في هذا الفصل ، ونبهنا عليه هنالك .

---

(١) وقعوا : نزلوا . (٢) جريب : هو في الأصل الوادي ، ثم استعير للقطعة المتميزة من الأرض . ما اعتملوا : استعملوه في الزراعة . (٣) في طبقات ابن سعد : «من ضيعتهم التي اعتملوا» .
(٤) لامعنوف عليهم : أي لايشتد عليهم في المعاملة ، بل يعاملون باللين والرفق .

ذكر خبر إسلام الجنّ
ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(١) .

وكان من خبر الجنّ ما رُوى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سُوق عُكَاظ وقد حِيل بين الشياطين و بين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الشُّهُب ، فرجعت الشياطينُ ، فقالوا : مالكم؟ فقالوا : قد حِيل بيننا و بين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشُّهُب ، قالوا : ماحَالَ بينكم و بين خبر السماء إلّا ماقد حَدَث ، فاضربوا مَشارق الأرض ومَغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى قد حَدث ، فانطلقوا فضربوا مَشارقَ الأرض ومَغاربها ، ينظرون ماهذا الأمر الذى حَالَ بينهم و بين خبر السماء ، وانطلق الذين تَوجَّهوا إلى نحو تِهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة(٢) وهو عامد إلى سُوق عُكَاظ ، وهو يصلّى بأصحابه صلاة الفجر ، فلمّا سمِعوا القرآن تَسمَّعوا له(٣) فقالوا : هذا

---

(١) الآيات من ٢٩ — ٣٢ سورة الأحقاف .

(٢) نخلة : اسم موضع يعرف بنخلة اليمانية بواد يأخذ إلى قرن والطائف ، قال فى المصباح : «بها كان ليلة الجن ، وبها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف لما سار إلى الطائف ؛ بينها وبين مكة ليلة» .

(٣) تسمعوا له : تكلفوا سماعه .

الذى حالَ بينكم و بين خبر السماء . فهنالك رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾(١). وأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قولُ الجن ، رواه البخارىّ فى صحيحه عن موسى بن إسمعيل ، عن أبى عَـوَانة ، عن أبى بِشْر عن سعيد بن جُبَير ، عن ٱبن عباس .

وذهب محمد بن سعد إلى أن ٱستماع الجنّ كان بنخـلة ، عند عود رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطّائف ، لمـا توجّه يدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له ، وذلك قبل الهجرة .

وقال الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقىّ فى كتابه المترجَم « بدلائل النبوّة ، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة » بعد أن ساق حديث البخارىّ قال : وهذا الذى حكاه عبد الله بن عباس إنمـا هو فى أول ما سمعت الجنّ قراءة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعلمت بحاله ، وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ، ثم أتاه داعى الجنّ مرّةً أخرى ، فذهب معه ، وقرأ عليهم القرآن ، كما حكاه عبـد الله ابن مسعود .

وقد روى البَيْهَقىّ بسنده إلى عبـد الله بن مسعود خبر الجنّ فى القصّتَيْن : أمّا الأولى فإنه قال : هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نَخْلَة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا ـ قالوا صَهْ ـ وكانوا سـبعة ، أحدهم زَوْبعة ، فأنزل الله تعـالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ إلى قوله : ﴿أُولَٰئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . وعن ٱبن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم آذَنَته بالجنّ شجرةٌ ، رواه البخارىّ ومسلم فى الصحيحين .

(١) آية ١ ، ٢ سورة الجن .

وأما القصة الثانية، فرواها عن الشَّعْبيّ عن عَلْقَمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجنّ منكم أحدٌ؟ فقال: ما صحبه منّا أحدٌ، ولكنّا فقدناه ذاتَ ليلةٍ بمكةَ فقلنا: اُغْتِيلَ؟ اُسْتُطِيرَ؟ ما فُعِلَ؟ قال: فبِتْنَا بشَرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ، فلما كان في وَجْه الصُّبْح أو قال في السَّحَر، إذا نحن به يجيء من قبل حِرَاء، فقلنا: يارسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه، فقال: «إنه أتاني داعي الجنّ فأتيتُهم فقرأتُ عليهم» قال: فانطلق فأرانا آثارَهم، وآثارَ نيرانهم، قال: وقال الشَّعْبيّ فسألوه الزَّادَ، وقال ابن أبي زائدة: قال عامر سألوه لَيْلَتَئِذٍ الزَّادَ، وكانوا من جِنّ الجزيرة، فقال: «كلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسمُ الله عليه يقع في أيديكم أَوْفَرَ ما كان لحماً، وكلُّ بَعْرةٍ أو رَوْثةٍ عَلَفٌ لدوابّكم - قال - فلا تَسْتَنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجنّ» رواه مسلم في صحيحه. وكان فيما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم: «الرَّحْمَـٰنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ» السورة، ويدل على ذلك ما رواه محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «الرَّحْمَنُ» على الناس سكَتُوا فلم يقولوا شيئا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَلجِنّ كانوا أحسنَ جواباً منكم لمّا قرأتُ عليهم «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» قالوا لا ولا بشيء من آلاء ربِّنا نُكذِّب»[1]. ومن رواية أخرى عنه: «قالوا ولا بشيء من نِعَمِكَ ربّنا نكذّب فلكَ الحمد».

وعن أبي المُلَيْح الهُذَليّ أنه كتب إلى عُبَيدة بن عبد الله بن مسعود: أين قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنّ؟ فكتب إليه: إنه قرأ عليهم بشِعْب يقال له الحَجُون. وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنّ نفرًا

(١) الذي في نسخة لميق مخطوطة: «قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب».

من الجنّ خمسة عشر بنى إخوة وبنى عمٍّ يأتوننى الليلة فأقرأ عليهم القرآن » . وقيل: كانوا أكثر من هذا . وقد جاء عنه : أنه ذهب إلى موضعهم ، قال : فرأيتُ موضع مَبْرَكِ ستين بَعِيرًا . ولما رأى عبدُ الله بن مسعود رجالَ الزُّطّ(1) قال : ما رأيتُ شبههم إلا الجنّ ليلة الجنّ، وكانوا مُسْتَنْفِرين يتبع بعضُهم بعضًا .

ذكر إخبار الجنّ أصحابهم

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم و إسلامهم بسبب ذلك

روى أبو عبد الله محمد بن إسمعيل البخارى رحمه الله فى صحيحه ، بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ما سمعتُ عمرَ رضى الله عنه لِشىءٍ قطّ يقول ، إنى لأظنّه كذا إلا كان كما يَظنّ(2) ؛ بينا عمر جالس إذ مرّ رجل جميل، فقال : لقد أخطأ ظنى أو إنّ هذا على دينه فى الجاهلية(3)، ولقد كان كاهنَهم(4)؛ علىّ الرجلَ ، فدُعِى له ، فقال له عمر: لقد أخطأ ظنّى أو إنّك على دينك فى الجاهلية أو لقد كنتَ كاهنَهم ، فقال : ما رأيت كاليوم آستقبِل به رجلٌ مُسلِم . قال : فإنى أعْزِم(5) عليك إلا ما أخبرتَنى . قال : كنتُ كاهنَهم فى الجاهلية . قال : فما أعجبُ ما جاءتك به جِنّيّتُك ؟ قال : بينا أنا يوما فى سوق جاءتنى أعرِف فيها الفَزَع ، قالت :

---

(1) الزط : جنس من السودان والهنود .

(2) لأن عمر رضى الله عنه كان من المحدثين (بتشديد الدال المفتوحة) أى الملهمين بالصواب .

(3) قال البيهق : « يشبه أن يكون هو سواد بن قارب » .

(4) أى فى كونه فى الجاهلية بأن صار مسلما (القسطلانى) .

(5) أعزم عليك : ألزمك .

أَلَمْ تَرَ الجِنَّ وإبْلَاسَهَا * ويأسَها بَعْـدُ وإبْلَاسَها[1]
ولُحُـوقَها بالقِـلَاصِ وأحلَاسِها * ويأسَها بَعْـدُ مِنْ أنْسَاكِها[2]

قال عمر : صَدَق ، بينا أنا نائمٌ عنـد آلهتهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصَرخَ منه صارخٌ لم أسمع صارخًا قطُّ أشدَّ صوتًا منه يقول: يا جَلِيح[3]، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يَصِيح، يقول لا إله إلا اللهُ، فوثَب القومُ، قلتُ : لا أبرحُ حتى أعْلَمَ ما وراء هـذا ، ثم نادى : يا جَلِيح ، أمْرٌ نَجِيح ، رجل يَصِيح ، يقول لا إله إلا اللهُ ، فقلت لا أبرحُ حتى أعْلَمَ ما وراء هـذا ، ثم نادى : ياجَلِيح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ يَصِيح ، يقول لا إله إلا اللهُ . فقمتُ فما نَشِبْتُ أنْ قِيل هذا نبيّ .

قال البَيْهَقيّ : ظاهر هـذه الرواية يُوهِم أنّ عمر رضى الله عنـه بنفسه سمع الصّارِخ يَصرُخ من العِجْل الذى ذُبح، وكذلك هو صريح فى رواية ضعيفة عن عمر فى إسلامه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ، والله تعالى أعلم .

ذكر خبرِ سَـوَادِ بنِ قارِبٍ

روى البَيْهَقيّ رحمه الله تعـالى بسنده عن البَرَاء ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب الناس على منبر النبيّ صلى الله عليه وسلم، إذ قال : أيها الناس، أفيكم سَوَادُ بن قارِب ؟ قال : فلم يُجِبه أحدٌ تلك السَّنة، فلما كانت السَّنةَ المقبلة،

(١) إبلاسها : تحيرها ودهشها . (النهاية) .

(٢) القلاص (جمع قلوص) : الناقة الشابة . أحلاسها : أكسيتها . وأنساكها : متعبداتها . والبيتان وردا هكذا فى الأصول والدلائل ، وفى البخارى : ألم تر الجن وإبلاسها * ويأسها من بعد إنكاسها * ولحوقها بالقلاص وأحلاسها . وروى الشطر الأخير ليكون موزونا : (ورحلها العيس بأحلاسها) .

(٣) يا جليح : قال ابن الأثير : « جليح اسم رجل قد ناداه » . ويحتمل أن يكون معناه : المكافح والمكاشف بالعداوة . ونجيح : من النجاح ، وهو الظفر بالبغية . (القسطلانى) .

٤٨/١٦ قال : أيها الناس، أفيكم سَوَاد بن قارب ؟ قال فقلت : يا أمير المؤمنين، وما سَوَاد ابن قارب ؟ فقال : إنّ ســواد بن قارب كان بدء إســلامه شيئا عجيبا ! قال : فبينا نحن كذلك ، إذ طلع سَوَادُ بن قارب ، فقال له عمر : ياسَوادُ ، أخبرنى بَبْدءِ إسلامك كيف كان ؟ قال سَـوَاد : فإنّى كنتُ نازلا بالهِنْـد وكان لى رَئِىٌّ من الجنّ ، قال : فبينا أنا ذات ليلة نائم ، إذ جاءنى فى منامى ذلك ، قال : قم فافهم واعقل إن كنت تَعقِل ، قد بُعث رسول من لُؤَىّ بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلجِنّ وأَنجاسِهـا * وشَـدِّها العِيسَ بِأَحْلاسِها (١)
تَهْـوِى إلى مَكّةَ تَبْغِى الهُدَى * ما مُؤْمِنُوها مِثْلُ أَرْجاسِها
فانْهَضْ إلى الصَّفْوَةِ مِن هَاشِم * واسْمُ بعَيْنَيْـكَ إلى رَاسِها

ثم أنبهَنى وأفزعنى، وقال : ياسَواد بن قارب، إنّ الله عز وجل بعث نبيا فانهض إليه تَهتدِ وتَرْشُد، فلما كانَ فى الليلة الثانية أتانى فأنبهنى، ثم أنشا يقول كذلك :

عَجِبْتُ لِلجِنّ وتَطْلابِهـا * وشَـدِّها العِيسَ بِأَقْتابِهـا
تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغِى الهُـدَى * لَيْسَ قُـدَامَاها كَأَذْنابِهـا (٢)
فانْهَضْ إلى الصَّفْوَةِ مِنْ هاشم * واسْمُ بعَيْنَيْـكَ إلى نَابِهـا (٣)

---

(١) فى مختصر الدلائل :

عجبت للجن وتجساسها * وشـدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ماخير الجن كأنجاسها

(٢) فى مختصر الدلائل :

تهوى إلى مكة تبغى الهـدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم * ليس قـداماها كأذنابهـا

(٣) ناب القوم : سيدهم ورئيسهم ، ومنها يسمو : طلب العز والشرف .

فلما كان فى الليلة الثالثة أتانى فأنبهنى، ثم قال كذلك :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وتَخْبارِها * وشَدِّها العِيسَ بأكْوارِها
تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغِى الهُدَى * ليسَ ذَوُو الشَّرِّ كأخيارِها (١)
فانْهَضْ إلى الصَّفْوَةِ من هاشِمٍ * ما مُؤمِنُو الجِنِّ ككُفَّارِها

قال : فلما سمعته يكرر ليلةً بعد ليلةً وقع فى قلبى حُبُّ الإسلام من أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ، فانطلقتُ إلى رَحْلى فشددتُه على راحلتى ، فما حَلَلْتُ نِسْعةً (٢) ولا عَقَدتُ أخرى حتى أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعُرف الفَرَس (٣) ، فلما رآنى قال : « مرحبًا بك ياسَوَاد بن قارِب ، قد علمنا ماجاء بك » قال قلتُ : يارسول الله قد قلتُ شِعرًا فاسمعه منى ، قال سَوَاد فقلت :

أتانى رئِيِّى بعد لَيْلٍ وهَجْعَةٍ * ولم يَكُ فيما قد بَلَوْتُ بكاذِبِ (٤)
ثلاثَ ليالٍ قَولُه كلَّ ليلةٍ * أتاكَ نبىٌّ مِن لُؤَىِّ بنِ غالِبِ
فشَمَّرْتُ عن ساقِى الإزارَ ووَسَّطَتْ * بِىَ الذِّعْلِبُ الوَجناءُ عند السَّباسِبِ (٥)

---

(١) فى مختصر الدلائل :

تهوى إلى مكة تبغى الهدى * ماموٌمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

(٢) النسعة : سير مضفور ، يجعل زماما للبعير وغيره ، وتشدّ به الرحال أيضا ؛ والمراد أنى لم أضل شيئا حتى جئت النبىّ صلى الله عليه وسلم .

(٣) عرف الفرس : منبت الشعر من العنق .

(٤) الرئى بوزن كمىّ : التابع من الجن ؛ سمى بذلك لأنه يتراءى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئى قومه إذا كان صاحب رأيهم ، وقد تكسر راؤه لاتباعها مابعدها . والهجعة الطائفة من الليل . ورواية البيهقى والبخارى : ولم أك فيما قد بلوت .

(٥) شمر عن ساقه الإزار : كناية عن الجد . والذعلب الوجناء : الناقة السريعة الغليظة الصلبة . والسباسب (جمع سبسب) : الأرض القفر البعيدة والمفازة .

فأشهدُ أنّ الله لا شيءَ غيرُه * وأنك مأمونٌ على كلِّ غائبِ
وأنك أدنى المُرسَلين شفاعةً * إلى الله يا ابنَ الأكرمين الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيك يا خيرَ من مشى * وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذوائبِ (١)
فكُنْ لي شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ * سِواكَ بمُغْنٍ عن سَوادِ بنِ قاربِ (٢)

قال : فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بدَتْ نَواجِذُه (٣) . وقال لى : « أفلحتَ يا سواد » فقال عمر : هل يأتيك رَئِيُّك الآن ؟ فقال : مُنْذ قرأتُ القرآن لم يأتنى، ونِعْمَ العِوض كتابُ الله عزّ وجلّ من الجنّ .

قال البيهقى : ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن، الذى لم يذكر اسمه فى الحديث الصحيح، وهو الحديث الذى ذكرناه آنفا قبل خبر سَوَاد .

وقد روى أيضا عن سَوَاد بن قارِب، من رواية سعيد بن جُبَيْر بنحو هذا، إلا أنه قال : كان سَواد فى جبل من جبال الشَّراة (٤)، وقال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، وقد ظهر، فأخبرته الخبر، و بايعته .

قال البيهقى رحمه الله : وقوله أتيت مكة أقرب إلى الصّحة [مما رويناه فى الروايتين الأوليين (٥)] . والله تعالى أعلم .

---

(١) الذوائب، جمع ذؤابة، وهى الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة . يقول : مرنا بما يوحى إليك ولو كان فيه شيب شعرنا .

(٢) ويروى : بمغن فتيلا .

(٣) النواجذ، قال ثعلب : المراد الأنياب، وقيل : الأضراس كلها .

(٤) الشراة : جبل شامخ عن يسار عسفان، وبه سلسلة تذهب من ناحية الحجاز .

(٥) الزيادة من دلائل البيهقى .

ذكر خبر خُفَاف بن نَضْلَةَ الثَّقَفىّ

روَى أبو بكر البيهقىّ رحمه الله بسنده إلى ذابِل بن طُفَيْل بن عمرو الدَّوْسىّ ، ٤٩/١٦
أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قعد فى مسجده ذات يوم، فقدِم عليه خُفَافُ بن نَضْلَةَ ابن عمرو بن بَهْدَلَةَ الثَّقفىّ، فأنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

كَمْ قد تَحَطَّمَتِ القَلُوصُ بِىَ الدُّجَى ＊ فى مَهْمَــهٍ قَفْــرٍ مِن الفَلَوَاتِ (١)
فِــلٍّ مِن التَّوْرِيسِ ليس بِقاعِهِ ＊ نَبْتٌ مِن الإسْـناتِ والأَزَمَاتِ (٢)
إنّى أتانِى فى المنـامِ مُساعِدٌ ＊ من جِنِّ وَجْرَةَ كان لِى ومُوَاتِ (٣)
يَدْعُـو إليــكَ لياليـًا ولياليًـا ＊ ثُمَّ اَحْـزَأَلَّ وقال لَسْتُ بِآتِ (٤)
فرَكِبْتُ ناجِيَــةً أضَرَّ بِنَيِّهـا ＊ جَمْــرٌ تَخُبُّ به على الأَكَماتِ (٥)
حتّى وَرَدتُ إلى المدينةِ جاهِـدًا ＊ كَيْما أراكَ فتَفْــرِجَ الكُرُباتِ

قال : فاستحسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: « إنّ من البيانِ كالسِّحْر، وإنّ من الشِّعْر كالحِكَم » .

---

(١) تحطمت : حطمت الأرض بأخفافها . والقلوص : الناقة الفتية، الدجى : سواد الليل مع غيم، مهمه : مفازة بعيدة، الفلوات جمع فلاة : وهى الصحراء الواسعة، أو المفازة لا ماء فيها .

(٢) فل : خالية ، والتوريس : صبغ أصفر؛ يريد أن المهمه القفر خال من اللون الأصفر الذى يكون على وجه الأرض عند المحل ، لهـذا قال ليس بقاعه نبت لسببين المحل وأزماته . والأرض يكسو وجهها عند المحل لون اصفرار، فإذا زال بشدة المحل بدا قاع الأرض وهو وجهها كأنها غير منبتة .

(٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة موحش . وموات : موافق ومطاوع .

(٤) احزأل : ارتفع .

(٥) الناجيــة : الناقة السريعــة التى تنجو بصاحبها . بنيها : بلحمها وشحمها ، وفى الإصابة : « بعثها » أى بظهرها . وفى الدلائل : « بنيها » وهو تصحيف . الجمر : السير السريع . وفى الدلائل : جمز بالزاى : وهو ضرب من العدو . تخب : تسرع . الأكمات : التلال والروابى .

ومن ذلك ما روى عن علىّ بن حسين ، قال : أول خبر قدم المدينة ، أن آمرأة من أهل يَثْرِب تُدعَى فاطمة(١) ، كان لها تابع من الجنّ لجاءها يوما فوقع على جدارها ، فقالت : مالكَ لا تدخل ؟ فقال : إنه قد بعث نبىٌّ يحرِّم الزِّنَى . فحدثت بذلك المرأة عن تابعها من الجنّ ، وكان أول خبر يُحدَّث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن جابر قال : أول خبر قدم المدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن آمرأة من أهل المدينة كان لها تابع ، لجاء فى صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم ، فقالت له المرأة : آنزلْ تُخبرْكَ وتُخْبِرْنا ، قال : لا ، إنه بُعث بمكة نبىٌّ منَع منا القرار ، وحرّم علينا الزِّنى .

ومنه ما رُوِى عن محمد بن عمر بن واقد ، عن تَمِيم الدّارىّ أنه قال : سِرتُ إلى الشّام فأدركنى الليل ، فأتيتُ وادياً فقلت : أنا فى جِوارِ عظيمِ هذا الوادى الليلةَ ، فلما أخذتُ مَضْجَعى إذا قائلٌ لا أراه يقول : عُذْ بالله الأحد ، فإن الجنّ لا تُجير على الله أحدا ، وأنه قد بعث رسولُ الأمّيّين ، وصلّينا خلفَه بالحَجُون ، وأسلمنا وآتبعناه ، وآمنا به وصدّقناه ، فأَسْلِمْ تَسْلَم . قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دَيْر أيوب(٢) ، فسألت راهبه عما سمعتُ من الهاتف ، فقال : صَدَق . وكان ذلك سبب إسلام تميم .

ومنه ما روى عن أبى خُرَيْم فاتِك(٣) أنه قال : خرجتُ فى الجاهلية أطلب إبلا

---

(١) فى الدلائل «فطيمة» : بالتصغير .

(٢) دير أيوب : قرية بحوران من نواحى دمشق كان بها أيوب عليه السلام .

(٣) هو فاتك بن الأخرم الأسدى .

أضللتها ، فلما كنت بأَبْرَقِ العَزّاف[1] ، عقلتُ ناقتى وتوسّدتُ ذراعها ، وقلت : أعوذ بعظيم هذا المكان، فسمعت هاتفا يقول :

تعوّذَنْ باللهِ ذى الجَلَالِ * ووحّدِ اللهَ ولا تُبالى

* ما هَوْلُ الجِنِّ[2] مِنَ الأَهْوالِ *

قال فقلتُ : بيِّنْ لى يرحمكَ الله ، فقال :

هذا رسولُ الله ذُو الخيراتِ * يَدْعُو إلى الجنّةِ والنّجاةِ

* يأمُرُ بالصّومِ وبالصّلاةِ *

قال : فوقع فى قلبى الإسلام، فقلت : مَن أنت أيها الهاتف ؟ فقال : أنا مالك بن مالك ، إنْ أردتَ الإسلامَ فأنا أكفيك طلب ضالّتك حتى أردّها إلى أهلك ، قال : فركبتُ راحلتى وقصدتُ المدينة ، فقدمتها فى يوم جمعة ، فأتيتُ المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فأنختُ بباب المسجد قلتُ ألبثُ حتى يفرغ من خطبته ، وإذا أبو ذرٍّ قد خرج فقال لى : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى إليك وهو يقول لك: «مرحباً قد بلغنى إسلامك فادخل فصلِّ مع الناس» قال : فتطهرتُ ودخلت فصلّيتُ، ثم دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعنى وأخبرنى بالخبر قبل أن أذكره له ، وقال لى : « أمّا إبلُكَ فقد بلغتْ أهلَكَ ، وقد وَفَى لك صاحبك » فقلت : جزاه الله خيرا ورحمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمين » .

---

(١) أبرق العزاف كشداد : ماء لبنى أسد بن خزيمة سموه بذلك لأنهم يسمعون فيه عزيف الجن أى صوتهم ، وهو صوت يسمع بالمفاوز بالليل من الرياح .

(٢) فى أسد الغابة فى ترجمة مالك بن مالك الجنى : « ما هول ذى الجن من الأهوال .

ومنه ما روى عن مالك بن نُفَيع أنه قال : ندَّ بعيرٌ لى ، فركبتُ نجيبةً وطلبته ، حتى ظَفِرتُ به ، فأخذتُه وٱنكفأتُ راجعًا إلى أهلى ، فأسريتُ ليلةً حتى كدتُ أصبح ، فأنختُ النّجيبةَ والجملَ وعقلتُهما ، وٱضطجعتُ فى ذُرَى كَثِيب رملٍ ، فلما كحلنى الوَسَنُ سمعت هاتفا يقول : يا مالك ، يا مالك ، لو فحصتَ عن مَبْرَك العَوْد[1] البارك ، لسَرَّك ما هنالك ، قال : فثُرْتُ وأثرتُ البعيرَ عن مَبْرَكه ، وٱحتفرت[2] ، وإذا صنم بصورة ٱمرأة ، من صَفاةٍ صفراء كالوَرْس ، مجلوة كالمرآة ، فٱستخرجتها ومسحتها بثوبى ونصبتها ، فٱستوت قائمة ، فما تمالكتُ أن خررتُ ساجدا لها ، ثم قمتُ فنحرتُ البعيرَ لها ورششتها بدمه ، وسميتها غَلَاب ، ثم حملتها على النّجيبة وأتيتُ بها أهلى ، فحسدنى كثير من قومى عليها ، وسألونى نَصْبها لهم ليعبدوها معى ، فأبيتُ عليهم ، فانفردتُ بعبادتها ، وجعلتُ لها على نفسى كل يوم عَتِيرة[3] ، وكانت لى ثَلَّة من الضأن فأتيت على آخرها ، وأصبحت يوما وليس لى ما أعتره ، وكرهتُ الإخلاف بنَذْرى ، فأتيتها فشكوتُ إليها ذلك ، فإذا هاتف من جوفها يقول : يا مالِ يا مالِ[4] ، لا تأس على المال ، سِرْ إلى طَوِىّ[5] الأَرْقم ، فخذ الكلب الأَسْحَم ، الوالغ فى الدّم ، ثم صِدْ به نَعَم[6] . قال مالك : فخرجت من فورى إلى طَوِىّ الأَرْقم ، فإذا كلب أسحم هائل المنظر ، قد وثب على قَرْهَب — يعنى ثورا وحشيا — فصرعه وأنا أنظر إليه ، ثم بَقَر بطنه ، وجعل يَلَغ فى دمه ، قال : فتهيبته ، ثم أقدمتُ عليه وهو مقبل على عَقِيرته لم يلتفت إلىّ ، فشددت فى عنقه حبلا ، ثم جذبته فتبعنى ، فأتيت راحلتى فأثرتها ، وقُدْتها إلى

٥٠ / ١٦

(١) العود : الجمل الكبير المسن المدرب . (٢) ٱحتفر : أخرج التراب من الأرض .
(٣) العتيرة : ما يذبح للأصنام . والثلة : جماعة الغنم . (٤) يا مال : أى يا مالك ؛ فهو مرخم . (٥) الطوى : البئر ، والأرقم ، أحد الأراقم : وهى أحياء من العرب ، ولعل المراد ناحية بئر الأرقم ، والأسحم : الشديد السواد . (٦) سيأتى خبر نعامة ٱصطادها مالك بالكلب الأسحم .

القَرْهَبِ ، فانتحتها وجررته وحملتـه عليها ، ثم قُدْتُها قاصـدا إلى الحيّ ، والكلب يلوذ بي فعَنَّت لي ظبيةٌ ، فجعـل الكلب يَثب ويجـاذبني المَرَس[1] ، فتردّدت في إرساله ثم أرسـلته، فمرّ كالسهم حتى آختطفها ، فأتيتـه فجاذبته إياها فأرسلها في يدي، فآستفزني السّرور ، وأتيتُ أهلي فعتَرْت الظبية لغـلاب، ووزعت لحم القَرْهَبِ، وبِتُّ بخيرليلة، ثم باكرتُ به الصّيد، فلم يفته حمار، ولا ما طلبه ثور، ولا آعتصم منه وَعْل، ولا أعجزه ظبيٌ،فتضاعف سروري به ،و بالغت في إكرامه، وسميته سُحَاما، فلبث بذلك ما شاء الله، فإني لَذاتَ يوم أصيد به، فبَصُرت بنعامة على أُدْحيِّها[2]، وهي قريبة مني، فأرسلتـه عليها، فأجفلت أمامه، وآتّبعتها على فرس جواد، فلما كاد الكلب يثب عليها، آنقضّت عليه عُقَاب من الجوّ فكرراجعانحوي فصِحتُ به فما كَذَّب[3]،وأمسكت الفرس فجاء سُحَام حتى دخل بين قوائمها، ونزلت العُقَاب أمامي على صخرة، وقالت : سُحَام ، قال الكلب : لبّيْك، قالت : هلَكت الأصنام، وظهر الإسلام، فأسْلِم تَنجُ بسلام، و إلا فليست بدار مقام . ثم طارت العُقَاب، وتبصَّرتُ سُحَاما فلم أره ، وكان آخر عهدي به .

ومنه مما يشبِه هـذه القصة ما رُوي عن قَتادة عن عبد الله بن أبي ذُباب[4] عن أبيه ، أنه قال : كنت مُولَعا بالصيد ، وكان لنا صنم آسمـه فَرَّاض ، كنت كثيرا

(١) المرس : الحبل . وفي نسخة أ : « الرس » وهو تحريف .

(٢) الأدحيّ (بالضم والكسر) : الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرخ، فهي أُدحية أفعولة من الدحو وهو البسط .

(٣) فما كذب (بالتشـديد) : أي ما آنثني وما رجع، وفي الأصول: « فما كرب » بالراء وهو تصحيف . ويؤيد ما أثبتناه ما بهامش نسخة ج : « فما كرب : فما فرولا آنثني » .

(٤) أبو ذباب، يقال فيـه « ذباب » بدون كنية ، كما تقدم . (راجع ص ١٨ من هذا الجزء والإصابة في ذباب) .

ما أذبح له ، ولم أكن أتخذ جارحا للصيد إلّا رُمِي بآفة . فقلّما أُدْخِلُ الحيّ صيداً حيًّا، لأنى كنت لا أدركه إلا وقد أشفى على الهلاك، فلمّا طال بى ذلك أتيت فَرَاضا ، فعَتَرتُ له عَتِيرة ، ولطّختُه من دمها ، وقلت :

فَرَّاض أشكو نَكَدَ(١) الجوارِحِ * مِنْ طائرٍ ذى مِخلبٍ ونابِح
وأنتَ للأمرِ الشّديد الفادِحِ(٢) * فأفتح فقد أسهلت المفاتح

فأجابنى مُجيبٌ من الصّنم، فقال :

دُونَكَ كلباً جارحًا مباركًا(٣) * أعدَّ للوحش سلاحًا شابكًا
* يَفْرِ حُزُونَ الأرض والدَّكادِكَا(٤) *

قال : فانقلبت إلى خِبائى ، فوجدت به كلبا خِلاسِيّاً(٥) بهيما(٦) عظيما، أَهْرَتَ(٧) الشّدقين، شابِكَ الأنيابِ، شَثْنَ(٨) البراثنِ، أشعر مَهُول المنظر، فصفرت به فأتانى، فلاذ بى وبَصْبَصَ(٩)، فسميته حياضا(١٠)، فاتخذت له مَرْبِطا بإزاء فراشى وأكرمته، ثم خرجت به إلى الصيد ، فإذا هو أبصر بالصَّيْد منِّى ، وكان لا يثبت له شيء من الوحش، فقلتُ فيه :

حياضُ إنكَ مأمولٌ منافعُهُ * وقد جَعَلْتُكَ موقوفًا لِفَرَّاضِ

---

(١) النكد : الشؤم . (٢) الفادح : المثقل الصعب .
(٣) شابك : ناشب . (٤) يفرى : يشق . حزون الأرض : ما غلظ من الأرض وهو ضد السهولة . الدكادك جمع دكدك : وهو من الرمل ما تكبس بالأرض أو التبد بها .
(٥) الخلاسى : ما كانت أمه سوداء وأبوه أبيض أو العكس .
(٦) البهيم : الأسود . (٧) أهرت : واسع .
(٨) الشثن : الغليظ ، والبراثن للسبع كالأصابع للإنسان .
(٩) بصبص الكلب : حرك ذنبه طمعا أو خوفا .
(١٠) كذا في الأصول .

وكنت أُعْتَرِ لِفَرّاض من صيده، وأَقْرِى الضَّيْف، فلم أزل به من أوسع العرب رَحْلًا[١]، وأكثرها ضَيْفا، إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل بى ضيفٌ كان زار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع منـه القرآن، فحدّثنى عنه، ورأيت حياضا كأنه يُنْصِت لحديثه، ثم إنّى غدوت أقتنص بحياض، فجعل يجاذبنى ويأبى ٥١/١٦ أن يتبعنى فأجذبه وأمسحه، إلى أن عَنَّ لى تَوْلَب — يعنى جحشا من حمـير الوحش — قال : فأرسـلته عليه فقصـده، حتى إذا قلت قد أخذه حَادَ عنـه، فساءنى ذلك، ثم أرسلته على رَأْلٍ — يعنى فرخ نعامة — فصنع مثـل ذلك، ثم أرسلته على بقرة، ثم على خِشْف[٢]، كل ذلك لا يأتى بخير، فقلت :

ألا ما بحياضٍ يَحِيـدُ كأنمـا * رأى الصَّيدَ ممنوعًا بزُرْقِ اللَّهَاذِمِ[٣]

قال : فأجابنى هاتف لا أراه :

يَحِيـدُ لِأمرٍ لو بـدا لك عَيْنُه * لكنتَ صَفُوحًا عاذِلًا غـيرَ لائمِ

قال : فأخذت الكلب وانكفأت راجعا، فإذا شخص إنسانٍ عظيم الخلق، قد ركب حمارا وحشيا، فتربع على ظهره، وهو يساير شخصا مثله راكبا على قَرْهَب، وخلفهما عبـد أسود يقود كلبا عظيما بساجورٍ[٤]، فأشار أحد الراكبين إلى حيـاض وأنشـد :

وَيْلَكَ يا حيـاضُ لِمْ تَصِيـدُ * اَخنسْ وحِدْ عمّا حوته البِيدُ[٥]
اللهُ أعـلَى وله التوحيـدُ * وعبـدُه محمـدُ السَّـدِيدُ
سُحْقًا لِفَـرّاضٍ وما يَكِيـدُ * قد ظَلَّ لا يُبْـدِى ولا يُعِيدُ

---

(١) الرحل : مسكن الرجل وما يتبعه من الأثاث، وفى الأصول : «رجلا» بالجيم، وهو تصحيف .

(٢) الخشف (مثلث الخاء) : ولد الظبى أول ما يولد، أو أول مشيه .

(٣) اللهاذم (جمع لهذم) : القاطع من الأسنة . والزرق : صفة الأسنة للونها .

(٤) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . (٥) اخنس : تأخر، والبيد : الصحراء .

قال : فمُلِئت رُعْبًا ، وذلَّ(1) الكلبُ فما يرفع رأسا، وأتيت أهلي مغموما كاسف البال ، فبِتُّ أتململ على فراشي ، ثم خَفَتُّ من آخر الليل فإذا نَغْمة(2)، ففتحت عيني فرأيت الكلب الذى كان الأسود يقوده، وإذا حياض يقول له : أحسب صاحبي يقظان، قال : فتناومت، ثم قصدني فتأملني ورجع إليه، فقال : قد نام، فلا عين ولا سمع، قال : أرأيت العفريتين ؟ وسمعت ما قالا . قال حياض : نعم . قال : إنهما قد أسلما وآتيا محمدا، وقد سُلِّطا على شياطين الأوثان، فما يتركان لوثن شيطانا. وقد عذّباني عذابا شديدا، وأخذا عليّ موثقا ألّا أقرب وثنى ، وأنا خارج إلى جزائر الهند، فما رأيك لنفسك ؟ قال حياض : ما أمرنا إلا واحد. وذهبا، فقمت أنظر فلا عين ولا أثر، فلما أصبحت أخبرتُ قومي بما رأيتُ وسمعتُ . وقلت لهم: تخيروا من ينطلق معي إلى هذا النبي من حُلَمائكم وخُطبائكم ، فقالوا لي : أترغب عن دين آبائك ؟ فقلت لهم : إذا كرهتم شيئا كرهته، فما أنا إلا واحد منكم، ثم انسللت منهم فكسرت الصنم ، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجلست بإزاء منبره فعقّب خطبته بأن قال: « بإزاء منبري رجل من سعد العشيرة، قدم علينا راغبا في الإسلام، ولم يرني ولم أره إلا ساعتي هذه، ولم أكلمه ولم يكلمني قطّ ، وسيخبركم خبرا عجيبا» ونزل فصلّى ، ثم قال : « ادنُ يا أخا سعد العشيرة » فدنوت فقال : « أخبرنا عن حياض وفرّاض وما رأيت وسمعتَ» قال : فقمتُ على قدميّ وقصصتُ القِصّة، والمسلمون يسمعون، فسُرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ودعاني إلى الإسلام، وتلا عليّ القرآن فأسلمتُ . وقلتُ في ذلك :

تبعتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى * وخلّفتُ فرّاضًا بدار هوانِ
شددتُ عليه شدّةً فتركتُه * كأن لم يكن والدهرُ ذو حدثانِ

(1) ذل : خضع ، وفى الأصول « دل » بالدال المهملة . (2) النغمة : الكلام الخفى .

رأيتُ له كلبًا يقــومُ بأمرِهِ * فهــدّدَ بالتّنكيلِ والرّجَفانِ
ولمـا رأيتُ اللهَ أظهر دينَــهُ * أجبتُ رسـولَ الله حين دعاني
وأصبحتُ للإسلام ماعِشتُ ناصرًا * وألقيتُ فيــه كَلْكَلِي وجِرَاني
فمَنْ مُبلِـغٌ سعدَ العشِــيرةِ أنني * شَريْتُ الذي يَبقَى بمـا هو فاني

وقد تقدم فى خبر وفد سعد العشيرة ذكر هذه الأبيات ، وأنها لذُباب ، وأنه الذى كسر الصّنم ، إلا أنه لم يذكر البيت الذى فيه ذكر الكلب (١) ، والله تعالى أعلم .

ومنـه : ما رُوى أن ربيعة بن أبى بَراء ، قال أخبرنى خالى فقال : لمـا أظهر الله علينا رسوله صلى الله عليه وسلم بحُنَيْن آنشعبنا فى كل مَشْعَب ، لا يَلْوِى حَمِيم على حَمِيم ، فبينـا أنا فى بعض الشِّعاب ، رأيت ثعلبا قد تَحَوَّى (٢) عليه أَرْقَم ، والثعلب يعدو عَدْوا شديدا ، فانتحيت (٣) له بحجر فما أخطأه ، وآنتهيت إليه ، فإذا الثعلب قد سبقنى بنفسه — أى هلك قبل أن أصل إليه — و إذا الأرقم قد تَقطّع وهو يضطرب ، فقمت لأنظر إليـه ، فهتف هاتفٌ ما سمعت أفظع (٤) من صوته يقول : تَعْسًا لك ٥٢/١٦ و بؤسا ، فقـد قتلت رَئيسا ، وورثت بئيسا (٥) ، ثم قال : يا داثر يا داثر ، فأجابه مجيب من العدوة (٦) الأخرى بلَبَّيْكَ لَبَّيكَ ، فقــال : بادِر بادِر ، إلى بنى العُذَافِر ، وأخبرهم بما صنع الكافر ، فناديت : إنى لم أشعر ، وأنا عائذ بك فأجرنى . قال : كلّا ، والحرمِ الأمين ، لا أجير من قاتل المسلمين ، وعَبَدَ غيرَ ربِّ العالمين . قال : فنادت ، إنّى أُسْلِمِ ، فقال : إن أسلمت سقط عنك القصاص ، وأَلْبَثَكَ (٧) الخلاصُ ،

(١) راجع ص ١٨ من هذا الجزء .
(٢) تحوى : التف واستدار .
(٣) انتحيت له : عرضت له وقصدت .
(٤) فى الأصول : « أفضع » .
(٥) بئيسا : شجاعا .
(٦) العدوة (مثلثة العين) : شاطئ الوادى ، والمكان المرتفع .
(٧) ألبثك : أقامك .

و إلّا فلا مَناص . قال فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدا رسـول الله ، فقـال : نَجوتَ وهُدِيت ، لولا ذاك لرديت (١) ، فارجع من حيث جِيت . قال : فرجعت أقفو أدراجى (٢) ، فإذا هو يقول : آمتط السِّمع الأزَلّ (٣) ، يَعلُ بك التَّـلّ ، فهنـاك أبو عامر (٤) يتبع الفَـلّ (٥) . قال : فآلتفت فإذا بِمِـع كالأسد النَّهْد (٦) ، فركبته ومرّ يَنْسِل (٧) ، حتى آنتهى إلى تَلّ عظيم ، فتوقّل (٨) فيه إلى أن تَسنّمه ، فأشرفت منه على خيل المسلمين ، فنزلت عنه وصوّبت الحُدُور (٩) نحوهم ، فلما دنوت منهـم خرج إلىّ فارس ، كالفَالج (١٠) الهائج ، فقال : ألقِ سلاحك لا أُمَّ لك ، فألقيت سلاحى . فقال : ما أنت ؟ قلت : مُسلمٌ ، قال : فسلام عليك ورحمة الله ، قلت : وعليك السلام والرحمة والبركة ، مَن أبو عامر؟ قال : أنا هو ، قلت : الحمد لله ، قال : لا بأس عليك ، هؤلاء إخوانك المسلمون ، أَمَا رأيتك بأعلى التّل فارسًا فأين فرسُك ؟ قال : فقصصت عليه القصّه ، فأعجبه ما سمع منى : وسرتُ مع القوم أقفو بهم آثار هَوَازن حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه .

والأخبار فى مثل ذلك كثيرة ، وقد أتينا منها بما نكتفى به ، فنذكر خلاف ذلك من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رديت : أهلكت . (٢) أقفو : أتبع ، أدراجى : طرق .

(٣) السمع (بكسر السين) : سبع تلده الضبع وأبوه الذئب ، وهو أخبث السباع وأشدها . الأزل : الصغير العجز ، صفة لازمة له . (٤) أبو عامر صحابى يأتى ذكره .

(٥) الفل : المنهزمون . (٦) النهد : العظيم الخلق .

(٧) ينسل : من النسلان ، وهو سرعة المشى ، وفى الأصل للذئب .

(٨) توقل : تصعد فى الجبل ، وتسنمه : أرتق ذروته . (٩) الحدور : الأنحدار .

(١٠) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين .

ذكر رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إلى الملوك وغيرهم، وما كتب به إليهم، وما أجابوا به

كانت رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما أورده الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى رحمه الله، أحد عشر رجلا، وهم: عمرو بن أمية الضَّمْرى، ودِحية بن خليفة الكلبى، وعبد الله بن حُذافة السَّهْمى، وحاطب بن أبى بَلْتَعة اللخمى، وعمرو بن العاص، وسَليط بن عمرو العامرى، وشجاع بن وهب الأسدى، والمهاجر بن أبى أمية المخزومى، والعلاء بن الحضرمى، وأبو موسى الأشعرى، ومعاذ بن جبل. هؤلاء الذين أثبتهم.

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عُمَير الأزدى إلى ملك بُصْرى بكتاب، فلما نزل مُؤْتة[1] قتله شُرَحْبيل بن عمرو الغسَّانى، وبسبب قتله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيّة مُؤْتة على ما قدمنا ذكره.

ولعل الشيخ رحمه الله، إنما أثبت من الرسل من بلّغ الرسالة. وهذا لم يُمْهَل حتى يبلّغها، ولم يُقتَل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ غيرُه. وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غير هؤلاء، ممن نذكرهم إن شاء الله تعالى.

فكان أول ما بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرسلَ فى المحرم، سنة سبع من مُهاجَره؛ أرسل ستّةً من هؤلاء الرسل إلى ستة ملوك. وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحُدَيْبِية فى ذى الحجة سنة ست جهّز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كُتبا، فقيل له: يارسول الله، إن الملوك لا يقرءون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتما من

(١) مؤتة: موضع من أرض الشام بجبل البلقاء.

فضّة فَصُّه منه، نقشه ثلاثة أسطر : «محمد» سطر « رسول » سطر « الله » سطر. وختم به الكتب ، فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد وذلك فى المحرم سنة سبع ، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ حكاه محمد بن سعد فى طبقاته بسنده .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحق بن يَسَار : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب المصرىّ أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البُلْدان ، وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال : فبَعَثْتُ به إلى محمد بن شهاب الزُّهْرىّ ، فعرفه ، وفيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : « إن الله بعثنى رحمـةً وكافةً ، فأدُّوا عنّى يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم» قالوا : يارسول الله، وكيف كان آختلافهم؟ قال : « دعاهم لمثل مادعوتكم له ، فأمّا من قَرَّبَ به [1] فأَحبَّ وسَلَّمَ ، وأمّا من بعّد [2] ٥٣ / ١٦
به فكَرِه وأَبَى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم » .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدّثنى من أثق به عن أبى بكر الهُذَلىّ ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه . وساق نحو الحديث

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضَّمْرىّ إلى النَّجاشى ملك الحبشة وإسلامه

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ ، وكتب معه كتابين ، يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ، و يتلو عليه القرآن ، فأخذ النجاشىّ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ، ونزل عن سريره فجلس على الأرض ، ثم أسلم

(١) قرب به : بعثه مبعثا قريبا . (٢) بعد به : بعثه مبعثا بعيدا .

وشهد شهادة الحق، وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته، وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر بن أبى طالب لله رب العالمين . وكان جعفر ممن هاجر إلى الحبشة كما قدمنا ذكر ذلك . وفى الكتاب الثانى ، يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدى ، فتنصر هناك ومات، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من قبله من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة وأن يحملهم، ففعل، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة، وأصدقها أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم ، وحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية ، وجعل كتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُقّ من عاج، وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها .

ذكر إرسال دِحْية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وكتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هِرَقْل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى — أما بعد — فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِم تَسْلَم يُؤْتِك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم اليَرِيسيين (١)، و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

---

(١) [illegible] وفى رواية [illegible]

وبإسنادنا المتقدم، إلى أبى عبد الله محمد بن إسمعيل بن إبراهيم البخارىّ، قال: حدّثنا الحكم بن نافع أبو اليمَان، قال حدّثنا شعيب، عن الزهرىّ، قال أخبرنا عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره، أن أبا سفيان بن حرب أخبره، أنّ هِرَقْلَ أرسل إليه فى ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشام، فى المدّة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أبا سفيان وكفّارَ قريش، فأتوه وهم بإيليا، فدعاهم فى مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بتَرْجُمانه فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبىّ؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نَسبًا، فقال: أدنوه منى، وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لتَرْجُمانه: قل لهم إنى سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كَذَبَنى فكذّبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثُروا علىّ كذبا لكَذَبتُ عنه. ثم كان أوّل ما سألنى عنه أن قال: كيف نَسَبُه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نَسَبٍ، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قطّ قبلَه؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه مَنْ ملكٌ؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يَتّبِعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتدّ أحد منهم سَخْطةً لدينه بعد أن يدخلَ فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يَغْدِر؟ قلت: لا، ونحن منه فى مدّة لا ندرى ما هو فاعلٌ فيها، قال: ولم تمكنّى كلمة

(١) المدة: هى مدة صلح الحديبية على وضع الحرب عشر سنين.

(٢) «عنه» توافق رواية البخارى، وفى أ وهامش جـ: «عليه».

(٣) فى رواية: «من ملك» على أن «من» حرف جر و«ملك» بفتح الميم وكسر اللام. (القسطلانى). (٤) سخطة: كراهة. (٥) يغدر: ينقض العهد.

(٦) قال القسطلانى: «هى مدّة صلح الحديبية، أو غيبته وانقطاع أخباره عنا».

أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة(١)، قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحربُ بيننا و بينه سِجال(٢)، ينال منا وننال منه(٣)، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا مايقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصَّلاة ، والصِّدق ، والعفاف ، والصِّلة ، فقال لترجُمانه : قل له ٥٠ : ١٦
سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نَسب ، وكذلك الرسل تبعث في نَسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أنْ لا ، فقلتُ(٤) : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلتُ رجلٌ يأْتَسِي(٥) بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه مَنْ مَلَك ، فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه مَنْ مَلَكَ ، قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعْرِفُ أنه لم يكن ليَذَر الكذب على الناس ، ويكذب على الله . وسألتك أأشراف الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أنّ ضعفاءَهم اتّبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتمّ ، وسألتك أيَرْتَدّ أحد منهم سَخْطَة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أنْ لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بَشاشَتُه القلوب ، وسألتك هل يَغْدر ، فذكرت أنْ لا ، وكذلك الرسل لا تَغْدِر ، وسألتك بم يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصَّلاة والصِّدق والعَفاف ، فإن كان ما يقول حقًّا ، فسيَمْلك موضع قدميّ هاتين ، وقد

---

(١) يريد شيئاً أنتقصه به . (٢) سجال : نوب ؛ أي نوبة عليه ونوبة علينا .
(٣) يقصد المقاتلة التي كانت في غزوة بدر ، وأحد ، والخندق .
(٤) فقلت : أي في نفسي . (٥) يأتسي : يقتدي .

كنت أعلم أنه خارجٌ[(١)]، لم أكن أظنّ أنّه منكم ، فلو أنى أعلم أنّى أَخْلُص إليه لتجشّمت[(٢)] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه[(٣)] . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى بعث به دِحْيَة إلى عظيم بُصْرى ، فدفعه إلى هِرَقْل فقرأه. فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » وذكره كما تقدّم .

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصَّخَب . وارتفعت الأصوات ، وأُخرجنا ، فقلت لأصحابى حين أُخرجنا : لقد أَمِرَ أَمْرُ[(٤)] ابن أبى كَبْشَة[(٥)] ، إنه ليخافه ملك بنى الأصفر[(٦)]، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علىّ الإسلام .

قال : وكان ابنُ النّاطُور صاحبُ[(٧)] إيلياء وهِرَقْل أُسْقُفًا[(٨)] على نصارى الشام يحدّث أن هِرقل حين قدم إيلياء أصبح يوما خبيث النفس[(٩)] ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك ، فقال ابن الناطور . وكان هِرقل حَزّاءً[(١٠)] : ينظر فى النّجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنى رأيتُ الليلة حين نظرتُ فى النجوم مَلِك الختان قد ظهر . فمن يَخْتَتِن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يُهِمَّنّك شأنهم ،

(١) خارج : أى سيبعث فى هذا الزمان . (٢) تجشمت : تكلفت الوصول إليه .

(٣) المراد المبالغة فى الخدمة . (٤) أى من عظماء الروم .

(٥) أمر (بفتح الهمزة وكسر الميم) : عظم . أمر ابن أبى كبشة : يعنى شأن النبى صلى الله عليه وسلم . وأبو كبشة : كنية أبى النبى من الرضاع ، واسمه الحارث بن عبد العزى .

(٦) بنو الأصفر : الروم . (٧) صاحب : منصوب على الاختصاص ، ويجوز رفعه على الصفة . راجع القسطلانى جـ ١ ص ٨٠ . (٨) فى رواية البخارى : أُسْقِفَ ، بالبناء للمجهول .

(٩) خبيث النفس : رديئها ؛ لما حل به من الهم .

(١٠) حزاء : كاهنا ، أو أنه ينظر فى النجوم ؛ قال القسطلانى : « ينظر فى النجوم خبر ثان لكان إن قلنا إنه ينظر فى الأمرين ، أو هو تفسير لحزاء ؛ لأن الكهانة تؤخذ تارة من ألفاظ الشياطين وتارة من أحكام النجوم » .

وٱكتب إلى مَدائن مُلكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، إذ أُتى هِرقل برجل، أرسل به مَلك غَسّان، يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ٱستخبره هرقل قال : ٱذهبوا فانظروا أمختتنٌ هو أم لا، فنظروا إليه، فحدّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال : هم يختتنون، فقال هِرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هِرقل إلى صاحب له برُومِيَة (١) ، وكان نظيره فى العلم ، وسار هرَقْل إلى حِمْص (٢)، فلم يَرِمْ (٣) حِمْصَ حتى أتاه كتاب من صاحبه ، يوافق رأى هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه نَبِيٌّ، فأذن هرقل لعظماء الروم فى دَسْكَرة (٤) له بحِمْص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت، ثم ٱطَّلعَ فقال : يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرُّشد ؟ وأن يثبت مُلْكُكم فَتُبايعوا لهذا النبيّ، فحاصُوا حَيْصَةَ (٥) حُمُر الوَحْش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت ، فلما رأى هِرقل نَفْرَتَهم، وأَيِسَ من الإيمان، قال : رُدّوهم عليّ، وقال : إنى قلت مقالتى آنفًا أختبر بها شِدّتكم على دينكم فقد رأيت (٦) . فسجدوا له ورَضُوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هِرقل . رواه صالح بن كَيْسان و يونس ومَعْمَر عن الزُّهْرى .

وقد قدّمنا من خبر هِرقل فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق نبوءته عنده، فى فصل مَنْ بَشّر برسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقف عليه هناك.

---

(١) رومية : من المدائن بديار الفرس . (٢) حمص : إحدى مدن الشام المشهورة وهى بين دمشق وحلب . (٣) لم يرم : لم يبرح منها أو لم يصل إليها .

(٤) الدسكرة : القصر حوله البيوت . (٥) حاصوا : نفروا .

(٦) أى شدتكم، فحذف المفعول للعلم به .

ذكر إرسال عبد الله بن حُذَافَة السَّهْمِىّ إلى كِسْرَى مَلِك الفُــــرْس

بعثه رسول الله صلى الله عليــه وسلم إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معــه كتابا؛ قال عبد الله : فدفعت إليــه كتاب رسول الله صلى الله عليه وســلم ، فَقُرِئَ عليه ثم أخذه فمزّقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم مَزِّقْ مُلْكه» . وكتب كِسْرَى إلى بَاذَانَ عامِلِه على اليَمَن : أن ابعث من عندك رجلين جَلْدين إلى هــذا الرجل الذى بالحجاز، فليأتيا بخبره . فبعث بَاذَانُ قَهْرِمَانَه(١)، ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدما المدينــة، فدفعا كتاب باذان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام، وفَرائِصُهما تُرْعَد، وقال : «ارجعا عنى يومكما هذا حتى تأتيانى الغَدَ فأخبركما بمـا أريد» فجاءاه الغَدَ، فقال لهما : «أبلغا صاحبكما أن ربِّى قد قتل رَبَّه كِسْرَى فى هذه الليلة لسبع(٢) ساعات مَضَتْ منها ــ وهى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جُمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ــ وأن الله تعالى سلّط عليه ابنــه شِيرَوَيْه فقتله» فرجعا إلى بَاذَان بذلك ، فأسلم هو والأَبْنَاء(٣) الذين باليمن .

٥٥ ١٦

---

(١) قهرمانه : هو كالخازن والوكيل لمـا تحت يده، والقائم بأمور الرجل . فارسىّ معرب .

(٢) فى المواهب : «لتسع ساعات ...» .

(٣) الأبناء : هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن، لمـا جاء يستنجدهم على الحبشــة ، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا فى العرب؛ فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم .

ذكر إرسال حاطِب بن أبى بَلْتَعَةَ إلى المُقَوْقِس صاحب الإسْكَنْدَرِيّة عظِيم القِبط ، وآسمه جُرَيْج بن مِينَا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا فأتاه، وأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه، وقال خيرا، وجعل الكتاب فى حُقّ من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جاريته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد علمت أن نبيا قد بَقِىَ ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وقد أهديت لك كسوة و بغلة تركبها .

ولم يزد على هذا، ولم يُسلِم المُقَوْقِس ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هَدِيّته ، وأخذ الجاريتين ، وهما مارِية أمّ إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأختها شِيرِين، و بَغْلة بَيْضاء، لم يكن فى العرب يومئذ غيرها، وهى دُلْدُل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المقوقس : « ضَنّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه » [1] . قال حاطِب : كان المقوقس مُكْرِما لى فى الضِّيافة، وقِلّة اللُّبْث ببابه ، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام .

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خَصِيّاً آسمه مَأْبُور . وذكر ذلك فى ترجمة مَارِية، ويقال : هو آبن عمّ مارِية، والله أعلم .

وقد ذكرنا فى (الحُجّة البالِغَة، والأجْوِبَة الدّامِغَة) ما كان بينهما من المحاورات، وذلك فى الباب الرابع عشر، من القسم الخامس، من الفنّ الثانى، فى السِّفر الثامن من هذه النسخة .

---

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين أُخبره حاطب بقول المقوقس : « القبط لا تطاوعنى فى اتباعه، وأنا أضن بملكى أن أفارقه » . (المواهب ٣ : ٤١٩) .

ذكر إرسال شُجاع بن وَهْب الأَسَدِى (١) إلى الحارث بن أبى شِمْر

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شُجاع بن وَهْب الأسدى، إلى الحارث بن أبى شِمْر الغَسّانى، مَلك البَلْقاء من أرض الشام، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا ، قال شجاع : فأتيته وهو بغُوطَة دِمَشْق، وهو مشغول بتَهْيِئة الأَنْزال والأَلْطافِ (٢) لقَيْصَر ، وهو جاءٍ من حِمص إلى إيلِيَاء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إنى رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إليه، فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا . وجعل حاجبه — وكان رُومِيّا اسمه مُرِى (٣) — يسألنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنتَ أحدّثه عن صِفته ، وما يدعو إليه، فيرِقّ حتى يغلبه البُكاء، و يقول : إنى قرأت الإنجيل فأجد صِفَةَ هذا النبىّ بعينه ، فأنا أومِنُ به وأصدِّقه ، وأخاف من الحارث أن يقتلنى ، وكان يكرمنى ويحسن ضِيافتى . وخرج الحارث يوما لجلس، ووضع التّاج على رأسه ، فأذِنَ لى عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأه ثم رمى به ، وقال : من يَنْتَزِع منِّى مُلكى ؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئتُه، علىّ بالناس ! فلم يزل يَفرِضُ (٤) حتى قام ، وأمر بالخيول تُنْعَل، ثم قال : أخبِر صاحبك ما ترى . وكتب إلى قيْصَر يخبره خَبَرى وما عَزَم عليه، فكتب إليه قيصر : ألا تسير إليه، ٥٦/١٦ والْهَ عنه، ووافِنِى بإيلِيَاء . فلما جاءه جواب كتابه دعانى فقال لى : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت : غدًا، فأمر لى بمائة مثقال ذهب، ووصلنى مُرى،

---

(١) فى أسد الغابة : «ابن أبى وهب ويقال ابن وهب» .

(٢) الأنزال (جمع نزل) : مكان النزول، والألطاف : وسائل الراحة .

(٣) ضبطه فى الطبقات بضم الميم، وقال شارح المواهب : هو بكسر الميم مخففا .

(٤) يفرض : يقطع و يوجب للجند عطاءهم من المال و يأمرهم بالتأهب للحرب .

وأمر لى بنفقة وكُسْوَة، وقال : اقرأ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مِنِّى السلام . فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « بَادَ مُلْكه » وأقرأته من مُرى السلام ، وأخبرته بما قال، فقال صلى الله عليه وسلم : « صَدَق » ومات الحارث بن أبى شِمْر عام الفتح .

ذكر إرسال سَلِيط بن عمرو العامرىّ إلى هَوْذَة(١) بن علىّ الحَنَفى باليَمَامة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا، فقدم عليه فأنزله وحَبَاه، وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تَهاب مكانى، فاجعل لى بعض الأمر أتبعْك . وأجاز سَلِيطَ بن عمرو بجائزة وكساه أثوابا من نسج هَجَر ، فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره عنه بما قال، فقرأ كتابه وقال : « لو سألنى سَيَابَةً(٢) من الأرض ما فعلتُ ، بَادَ(٣) وبَادَ ما فى يديْه » فمات عام الفتح . فهؤلاء السِّتة الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة سبع(٤) .

وبعث صلى الله عليه وسلم العَلاء بن الحَضْرَمى إلى المُنْذِر بن سَاوَى العَبْدىّ مَلِك البَحْرَيْن .

---

(١) هوذة : بفتح وإعجام الدال هذا هو الصحيح ، وغلطوا من ضم وأهمل .

(٢) السيابة (بفتح السين وتخفيف الياء وتشدد) : أى قطعة . وفسره بعضهم بالبلح أو البسر، على تقدير مضاف أى قدر بلحة أو بسرة من الأرض؛ أو المراد نفس البلحة أو البسرة بتقدير ناشئة .

(٣) باد : هلك .

(٤) فى نسخ القديمة : « سنة ست أو سبع » .

قال محمد بن سعد : بعثه عند مُنصَرفه من الجِعْرانة (١) إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب إليه كتابا . فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وتصديقه ، و « أنى قرأت كتابك على أهل هَجَر، فمنهم من أَحَبَّ الإسلام، وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه، وبأرضى مَجُوسٌ ويَهُودٌ، فأحدث إلىّ فى ذلك أمْرَك » فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك مهما تُصْلِح فلن نَعْزِلَك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجِزية ، وبألا تُنْكح نساؤهم ولا تُؤكل ذبائحهم (٢) » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا هُريرة مع العَلاء بن الحَضْرَمى ، وأوصاه به خيرا ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء فرائض الإبل ، والبقر والغنم ، والثمار والأموال، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم .

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى مَلِكَىْ عُمَان .

قال محمد بن سعد : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة، سنة ثمان من مُهاجَره، إلى جَيْفَر وعَبْد ابنى الجُلُنْدى (٣)، وهما من الأَزْد ، والملك منهما جَيْفَر، يدعوهما إلى الإسلام ، وكتب معه إليهما كتابا ، قال عمرو : لما قدمتُ عُمَان عمدتُ إلى عبد ، وكان أحْلَمَ الرجلين وأسهلهما خُلُقا ، فقلت : إنى رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك ، فقال : أخى المقدّم علىّ بالسِّنّ والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك ، فمكثت أياما ببابه ، ثم دعانى فدخلت عليه

(١) الجعرانة : موضع قريب من مكة . وقد تكسر العين وتشدد الراء .

(٢) أى نساء المجوس وذبائحهم بخلاف اليهود ، قال ابن سعد : « وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام فإن أبوا أخذت منهم الجزية ، وبأن لا تنكح نساؤهم » . الحديث .

(٣) الجلندى ، بقصر فتضم لامه ، ويمد فتفتح ، كما فى القاموس .

فدفعت إليه الكتاب مختوما، ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أنى رأيت أخاه أرق منه، فقال: دعنى يومى هذا وارجع إلىّ غدا، فلما كان من الغد رجعت إليه، فقال: إنى فكرت فيما دعوتنى إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكتُ رجلا ما فى يدى، قلت: فإنى خارج غدا، فلما أيقن بمخرجى أصبح فأرسل إلىّ، فدخلت عليه فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، وخليا بينى و بين الصدقة، و بين الحكم فيما بينهم، وكانا لى عونا على من خالفنى، فأخذت الصدقة من أغنيائهم، ٥٧/١٦ فرددتها فى فقرائهم، ولم أزل مقيما بينهم حتى بلغنا وفاةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و بعث صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث الحميرى، وهو الحارث بن عبد كُلال ملك اليمن.

و بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعرى، ومعاذ بن جبل إلى اليمن. وكانا جميعا داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن، ملوكهم وعامتهم طوعا. هؤلاء الرسل الذين ذكرهم الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى فى مختصر السيرة.

وقد ذكر محمد بن سعد بن منيع فى طبقاته الكبرى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى الكُلاع بن ناكور بن حبيب ابن مالك بن حسان بن تُبَّع، و إلى ذى عمرو يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما وأسلمت ضريبة بنت أبرهة بن الصباح(١). وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع جرير إلى المدينة.

(١) ضريبة بنت أبرهة امرأة ذى الكلاع كما فى الطبقات.

ولم يذكر محمد بن سعد المُهَاجِر، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى اليمن مع معاذ بن جبل مالك بن مُرَارَة .

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى، فى كتابه المترجم بالاستيعاب ، فى ترجمة بن أبى أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الحارث كما قدمنا .

قال ابن سعد : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَبَلَة بن الأَيْهَم مَلك غَسّان يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى له هدية ، ولم يذكر اسم المرسل إليه ، ثم كان من أمر جَبَلة بن الأيهم، وخبر ارتداده مانذكره إن شاء الله تعالى، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقال محمد بن إسحق رحمه الله : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعمّاله على الصّدقات، إلى كل ما أَوْطَأَ(1) الإسلام من البلدان .

فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المُغيرة إلى صَنْعاء، فخرج عليه العَنْسى وهو بها . وبعث زياد بن لبيد، أخا بنى بَيَاضَة الأنصارى، إلى حَضْرَمَوْت وعلى صدقاتها . وبعث عدىّ بن حاتم على طيِّء وصدقاتها، وعلى بنى أسد . وبعث مالك بن نُوَيْرَة اليَرْبُوعى على صدقات بنى حَنْظَلَة ، وفرّق صدقات بنى سَعْد على رجلين منهم ؛ فبعث الزِّبْرقان بن بَدْر على ناحية منها، وقَيْس بن عاصم على ناحية .

قال : وكان قد بعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرَيْن ، وبعث علىّ بن أبى طالب إلى أهل نَجْران ليجمع صدقتهم، ويقدم عليه بجزيتهم .

هذا ماوقفنا عليه من أخبار رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر من أخباره صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك .

(1) فى الأصول : « من أوطاء الإسلام » والتصويب من ابن هشام .

ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهنّ : خديجة بنت خُوَيْلد ، وسَوْدَة بنت زَمْعَة ، وعائشة بنت أبى بكر الصِّدّيق ، وحَفْصة بنت عمر بن الخطاب ، وزَيْنَب بنت خُزَيمة بن الحارث ، وأمّ سَلَمة هِنْد بنت أبى أمية ، وزينب بنت جَحْش ، وجُوَيْرِيَة بنت الحارث ، ورَيْحانَة بنت زيد ، وأم حَبِيبَة رَمْلَة بنت أبى سُفْيان بن حَرْب ، وصَفِيّة بنت حُيَيّ ابن أَخْطَب ، ومَيْمُونَة بنت الحارث ؛ هؤلاء المدخول بهنّ ، وهنّ ثنتا عشرة آمرأة رضوان الله عليهنّ . وسنذكر إن شاء الله تعالى ، بعد أن نذكر أخبار هؤلاء ، مَن تزوّجهنّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخل بهنّ ، ومَن وهبت نفسها له ، ومَن خَيّرها فآختارت الدُّنيا ، ومَن فارقها صلى الله عليه وسلم ، ونذكر أخبارهنّ على حسب ٥٨/١٦
آتصالهنّ به صلى الله عليه وسلم .

فأوّل آمرأة تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خَدِيجة بنت خُوَيْلد

آبن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب القُرَشِية ، رضى الله عنها ، وكانت تدعى فى الجاهلية الطّاهِرة[1] ، وأُمّها فاطِمَة بنت زائِدَة بن الأَصَمّ ، وآسم الأَصَمّ جُنْدُب آبن هَرِم بن رَوَاحَة بن حُجْر بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ . وكانت خديجة عند أبى هالة بن زُرارَة بن نَبّاش بن عَدِيّ بن حبيب بن صُرَد بن سَلامة بن جَرْوة بن أُسَيِّد بن عَمْرو بن تَمِيم التَّمِيمى . قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر آبن عاصم النَّمَرى : هكذا نسبه الزُّبَيْر ، وأمّا الجُرْجانِيّ النّسّابة فقال : كانت خَدِيجة قبلُ عند أبى هالة هِنْد بن النّبّاش بن زُرارة بن وَقْدان بن حبيب بن سلامة بن عدى

(١) كانت توصف أو تنادى فى الجاهلية بالطاهرة ؛ لتركها ما كانت تفعله نساء الجاهلية . (المواهب) .

ابن جَرْوَة بن أُسَـيِّد بن عمرو بن تميم، فولدت له هِنْـدا، قال: ثم آتفقا فقالا: ثم خاف عليها بعد أبى هَالَةَ عُتَيِّقُ[1] بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، ثم خاف عيها بعد عُتَيق المخزومى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال قتادة : كانت خَديجة تحت عُتَيق بن عابد المخزومى، ثم خلف عليها بعده أبو هالة هِنْد بن زُرارة، قال أبو عمر : والأوّل أصحّ .

وقال أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف : إنها ولدت لعُتَيق جارية تدعى هِنْـدَ، ثم هلك عنها فخلف عليها أبو هالة فولدت له آبنا و بنتا . وقال آبن إسحق : ولدت هِنْدَ بن أبى هالة، وزَيْنَبَ بنت أبى هَالَةَ، وولدت لعُتَيق عبدَ الله وجارية، قال : ثم هلك فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قدّمنا ذكر زواجه صلى الله عليه وسلم بها، فلا حاجة إلى إعادته . وولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جميع أولاده، إلا إبراهيم . وقال أبو عمر : لا يختلفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج فى الجاهلية غير خَديجة[2]، ولا تزوج عليها أحدا من نسائه حتى ماتت، وهى أوّل من آمن بالله عزّ وجلّ، و برسوله صلى الله عليه وسلم على الإطلاق .

قال آبن إسحق رحمه الله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع من المشركين شيئا يكرهه، من ردٍّ عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بخديجة، تثبّته وتصدّقه وتخفّف عنه وتهوّن عليه ما يَلْقَى من قومه، وقد تقدّم من أخبارها فى آبتداء الوحى وآمتحانها الأمر[3]، وقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الذى يأتيه مَلَك،

---

(١) كذا فى الأصول وآبن إسحق، وفى الآستيعاب لآبن عبد البر «عائذ» .

(٢) مقام نبينا عليه الصلاة والسلام يقتضى أن نتأدب معه فنقول قبل النبوة أو قبل البعثة .

(٣) آمتحانها الأمر، أى أمر الوحى، وأن الذى يأتيه ملك لا شيطان . (راجع آبن هشام ١ : ١٥٤ طبع أوربا) .

وغير ذلك ماتقف عليه هناك، ممـا يستدل به على أنها رضى الله عنها أوّل من آمن بالله تعـالى و برسوله، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة، بفضـل خديجة رضى الله عنها ؛ فمن ذلك ماروِى عن ٱبن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سَيِّدة نساء أهل الجنة بعد مَرْيَم بنت عمران فاطِمة وخديجة وآسِيَة ٱمرأة فرعون» . وعن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها قالت : ماغِرْت على ٱمرأة ما غِرْت على خديجة، وما بِى أن أكون أدركتها، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، وأن كان ليَذْبَح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يُهديها لهنّ . وعنها رضى الله عنها قالت : كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم لا يَكاد يخرج من البيت حتى يذكر خَديجة فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوما من الأيام فأدركتنى الغَيْرة فقلت : هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها ؟ فغضب حتى ٱهتز مُقَدّم شَعْره من الغضب، ثم قال : «لا والله ما أبْدَلنى اللهُ خيرا منها، آمنتْ بى إذ كفر الناس، وصدّقتْنى إذ كذّبنى النـاس، وواستنى فى مالهـا إذ حَرَمَنى الناس، ورزقنى الله منها أولادا إذ حَرَمَنى أولاد النساء» قالت عائشة : فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيِّئة أبدا .

وقد قدّمنا من فضلها وما بَشَّرها به جبريل عليـه السلام، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما يستغنى عن إيراده فى هذا الموضع، وهو فى الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة .

ولـمـا ماتت خَديجة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها بأيام :

سَوْدَة بنت زَمْعة بن قَيْس

ٱبن عبد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَىّ ، ويقال فى حِسْل : حُسَيْل . وأمها الشَّمُوس بنت قَيْس بن زيد بن عمرو بن لَبِيد ٱبن خِداش بن عامر بن غَنْم بن عدِىّ بن النَّجّار ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، بعد موت خديجة ، وقبل العقد على عائشة على المشهور ، وكانت قبلُ ٥٩/١٦ عند ٱبن عمٍّ لها يقال له السَّكْران بن عمرو ، وهو أخو سُهَيْل بن عمرو ، من بنى عامر ٱبن لُؤَىّ . وأَسَنَّت سَوْدَة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهَمَّ بطلاقها ، فقالت له : لا تطلقنى وأنت فى حِلٍّ من شأنى ، فإنما أريد أن أُحْشَر فى أزواجك ، وإنى قد وَهَبْتُ يومى لعائشة ، وإنى ما أريد ما تريد النساء . فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يقسم لبقية أزواجه دونها ، ونَوْبتها لعائشة ، فكانت كذلك حتى تُوُفِّىَ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من تُوُفِّىَ عنهن من أزواجه .

قال أبو عمر : وفى سَوْدَة نزل قوله تعالى : « وإنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ »(١) . وقيل : نزلت فى عَمْرَة(٢) ، ويقال : خَوْلَة بنت محمد بن مَسْلَمَة(٣) ، وفى زوجها سَعْد بن الرَّبيع . ويقال فى غيرها . والله أعلم . وكانت وفاة سَوْدَة فى آخر زمان عمر بن الخطاب ، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سَوْدَة :

---

(١) آية ١٢٨ سورة النساء . (٢) هكذا فى نسخ الأصل ، وفى الإصابة أن الذى نزل فى عمرة بنت حزم قوله تعالى : « ويستفتونك فى النساء » الآية ، حتى قتل زوجها سعد بن الربيع بأحد فجاءت تطلب ميراث ٱبنتها منه رضى الله عنه . (٣) ليست بنت محمد بن مسلمة زوجة لسعد بن الربيع وإنما هى زوجة لرافع بن خديج كما فى لباب النقول للسيوطى وغيره ، قيل فيها نزلت الآية . وفى الأصول : خويلة بنت سلمة ، والتصحيح من تفسير القرطبى (جـ ٥ : ٤٠٣) وكذا أسباب النزول للواحدى ذكر أن ٱبنة محمد بن مسلمة نزلت فيها الآية .

عَائشة بنت أبى بَكْر الصِّدّيق رضى الله عنهما

وأمها أُمّ رُومَان ٱبنــة عامر بن عُوَيمر بن عبد شَمْس بن عَتّاب بن أُذَيْنَة بن سبيع بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كِنانة، تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فى شوّال سنة عشر من النبوّة، قبــل الهجرة بثلاث سنين، وهى بنت سِتّ أو سبع، وبنى بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهى ٱبنة تسع سنين، وتوفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى بنت ثمانى عشرة سنة، ولم يتزوج صلى الله عليه وســلم بِكْرًا غيرها، وكانت عائشة رضى الله عنها تذكر لجُبَيْر ٱبن مُطْعِم بن عَدِىّ وتُسَمَّى له(١)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرِى عائشة فى المنام فى سَرَقَة(٢) من حرير مُتَوَفَّى خَدِيجَة، فقال: «إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه» فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوّال وٱبْتَنَى بها فى شوّال، فكانت تحبّ أن تدخل النساء من أهلها وأحِبّتها فى شــوّال على أزواجهنّ، وتقول: هل كان فى نسائه عنده أحْظَى منِّى، وقد نكحنى وٱبتنى بى فى شوّال.

قال أبو عمر: فكان مكثُها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تِسع سنين، رُوِى عنها أنها قالت: تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سَــبْع سنين، وبَنَى بى وأنا بنت تِسع، وقُبِض عَنِّى وأنا بنت ثمانى عشرة.

قال أبو عمر: وٱستأذنتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الكُنْيَة فقال لها: «ٱكْتَنِى بٱبنك عبد الله بن الزبير» يعنى ٱبن أختها، وكان مَسْرُوق إذا حدّث عن عائشة يقول: حدّثتْنى الصّادقة ٱبنة الصِّدّيق، البريئة المبرّأة بكذا وكذا. ذكره الشّعْبى عن مسروق. وقال أبو الضُّحَا عن مسروق: رأيت مَشْيَخَة أصحاب محمد

(١) كان خطبها مطعم بن عدى لابنه جبير، فخطبها النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لم يسلم بالخطبة، أو كان قبل النهى. (المواهب ٣: ٢٧٤).   (٢) السرقة بفتحات: شقة الحرير.

صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبى رَبَاح : كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا فى العامة . وقال هشام ابن عُرْوَة عن أبيه[1] : ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بِطِبّ ولا بشعر من عائشة . وعن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن أبيه ، قال : ما رأيت أحدا أروَى لشعر من عُروة، فقيل له : ما أرواك يا أبا عبد الله ! قال : وما روايتى فى رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرا . قال الزهرى : لو جمع علم عائشة إلى جميع علم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل . وروى عن عمرو بن العاص قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أىّ الناس أحب إليك؟ قال : «عائشة»، قلت : فمن الرجال؟ قال : «أبوها» . ومن حديث أبى موسى الأشعرى ، وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام »[2] . ومن فضل عائشة أن الله عز وجل أنزل فى براءتها ما أنزل، وقد ذكرنا ذلك فى حديث الإفك ، فى حوادث سنة خمس من الهجرة ، وهو فى الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا، من هذه النسخة . ورُوِى عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال : من سَبّ أبا بكر جُلِد ، ومن سَبّ عائشة قُتِل ، فقيل له : لِمَ ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى يقول : « يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ ٦٠/١٦ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[3] فمن عاد لمثله فقد كفر . وعن القاضى أبى بكر بن الطيّب قال : إن الله تعالى إذا ذكر فى القرآن ما نسبه إليه المشركون سبّح نفسه لنفسه؛ كقوله :

(١) فى رواية الترمذى عن عروة : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ، ولا بفريضة ، ولا بحرام ، ولا بحلال ، ولا بفقه ، ولا بشعر ، ولا بطب ، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة » .

(٢) خرج هذا الحديث البخارى فى باب الثريد وغيره ، ورواه مسلم فى فضل عائشة .

(٣) آية ١٧ سورة النور .

« وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ »(١) فى آى كثير . وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال : « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ »(٢) سبح نفسه فى تنزيهها من السُّوء، كما سبح نفسه فى تنزيهه من السُّوء . وفضائلها رضى الله عنها كثيرة مشهورة .

وسنذكر إن شاء الله تعالى ، عند ذكرنا لوفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خصَّها به صلى الله عليه وسلم ، فى مرضه الذى مات فيه ، من تمريضه فى بيتها ، وأنه مات صلى الله عليه وسلم فى بيتها وفى نَوْبتها ، وبين سَحْرِها ونَحْرِها(٣) ، وآخر ما دخل فمَه رِيقُها ، وناهيك بها فضيلة وخُصُوصية . وكانت وفاة عائشة رضى الله عنها بالمدينة ، فى سنة سبع وخمسين ، وقيل : فى سنة ثمان وخمسين ، ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، وأمرت أن تُدْفن ليلا ، فدفنت بعد الوتْر بالبَقِيع ، وصلّى عليها أبو هريرة ، ونزل فى قبرها خمسة : عبد الله ، وعُرْوَة ابنا الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن محمد بن أبى بكر ، والله أعلم .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج عائشة :

حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها

وهى أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه ، وأمها زَيْنب بنت مَظْعُون بن حبيب ابن وَهْب بن حُذافَة بن جُمَح ، وكانت حَفْصَة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خُنَيْس بن حُذافة بن قَيْس بن عَدِىّ السَّهْمىّ ، وكان

(١) آية ٢٦ سورة الأنبياء . (٢) آية ١٦ سورة النور .

(٣) السحر : الرئة ، والنحر : أعلى الصدر ؛ أى مات صلى الله عليه وسلم وهو مستند فى صدرها وما يحاذى سحرها منه . وفيه غير ذلك .

بَدْرِيا، فلما مات عنها وتأيّمت، ذكرها عمر لأبى بكر وعَرَضها عليه، فلم يُرجِع إليه أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عَرَضها على عثمان حين ماتت رُقَيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم، فآنطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتزوّج حَفْصَة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة » ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فتزوجها، فلق أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال : لا تَجِد علىّ فى نفسك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشى سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لتزوجتها . وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثلاثين شهرا من مُهاجَره . قال أبو عمر : وطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تطليقة ثم آرتجعها ؛ وذلك أن جبْريل عليه السلام قال له : « راجِع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وأنها زوجتك فى الجنة » . وروى عن عقبة بن عامر قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر فحثى على رأسه التراب، وقال : ما يَعْبَأ الله بعمر وآبنته بعد هذا، فنزل جبريل من الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : « إنّ الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة لعمر » .

قال أبو عمر : وأَوْصَى عمر بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله آبن عمر بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدّقت بها [بمال] (١) وَقَفَتْه بالغابَة . وآختلف فى وفاتها، فقال الدُّولابىّ : عن أحمد بن محمد بن أيوب، توفيت

(١) الزيادة من أسد الغابة عن آبن عبد البر، والذى فى آبن عبد البر « وبمال ... » بزيادة الواو. والغابة : موضع قريب من المدينة من عواليها وبها أموال لأهلها .

فى سنة سبع وعشرين ، وقال أبو مَعْشَر : توفيت فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وقال غيره : توفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وصلى عليها مَرْوان بن الحَكَم ، وحمل سريرها ، وهو إذ ذاك أمير المدينة لمعاوية بن أبى سُفيان ، وهذا الذى أشار إليه الشيخ أبو محمد الدمياطى فى مختصر السيرة . قال : ثم تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج حفصة بنت عمر :

زينب بنت خُزيمَة بن الحارث

ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مَناف بن هِلال بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية ٦١/١٦
ابن بكر بن هَوازِن القَيْسيّة الهَوازِنيّة العامرية الهلالية، وكانت تدعى فى الجاهلية[(١)] أمّ المساكين ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطفيل بن الحارث ابن المطلب بن عبد مَناف فطلقها ، فخلف عليها أخوه عُبَيْدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرا من مُهاجَره . وقيل : كانت تحت عبد الله بن جَحْش فقتل عنها يوم أُحُد ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول اعتمد الشيخ أبو محمد ، قال : ومكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت فى آخر شهر ربيع الآخر، وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفنها بالبَقيع ، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها ، ولم يمت من أزواجه فى حياته غيرها ، وغير خديجة، قال : وفى رَيْحانة[(٢)] خلاف . وقال أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى النَّسّابة : كانت زَيْنَب بنت خُزَيْمة أخت مَيْمُونة لأمها، قال أبو عمر : ولم أر ذلك لغيره، والله أعلم .

ثم تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب بنت خُزَيْمَة :

(١) فى الجاهلية قيد تجنبه الزهرى فى رواية الطبرانى وابن إسحق ، وذكره ابن أبى خيثمة وقال : « أى وأولى فى الإسلام » .

(٢) ريحانة بنت شمعون إحدى زوجات النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وفى وفاتها خلاف . وسيأتى ذكرها .

أمّ سَلَمَة هِنْد بنت أبي أمية

حُذَيْفة المعروف بزاد الرّاكب بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظة ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ القرشية المخزومية . وكان أبوها أحد أجْواد قريش المشهورين بالكرم. وأمها عاتِكة بنت عامر بن رَبيعة بن مالك بن خُزَيْمة بن عَلْقَمة ابن فِرَاس . وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى سَلَمَة عبد الله بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، وهو آبن بَرّة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولدت له عمر وزينب، فكانا ربيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو عمر : وَلَدت له عمر وسلمة ودُرّة[(١)] وزينب . قال ، وكانت هى وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة ، ويقال أيضا : أمّ سَلَمة أول ظَعينة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل : بل لَيْلَى بنت أبى حَثْمَة زوج عامر بن ربيعة .

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ سلمة فى ليالٍ بقين من شوّال سنة أربع من مُهاجره ، وقال أبو عمر : تزوجها فى سنة آثنتين[(٢)] من الهجرة بعد وقعة بَدْر ، عقد عليها فى شَوّال، وآبْتَنى بها فى شوّال ، وقال لها : « إن شئت سبّعت عندك، وسبعت لنسائى ، وإن شئت ثَلّثت ودُرْت » فقالت : ثَلّث . قال آبن هشام : زوجه إياها آبنها سَلَمة بن أبى سَلَمَة، وأصْدَقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوُه لِيف وقدحا وصَحْفة ومِجَشّة[(٣)] . وقد آختلف فى وفاتها ؛ فقيل : توفيت فى سنة ستين من الهجرة، وقيل : فى شهر رمضان أو شوال سنة تسع وخمسين ،

---

(١) فى آبن هشام « رقية » مكان « درة » .

(٢) الجمهور على أن الزواج كان سنة أربع ؛ لأن أبا سلمة مات بعد غزوة أحد ، وكانت سنة ثلاث باتفاق .

(٣) المجشة : الرحى .

وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : توفيت فى سنة آثنتين وستين . قال أبو عمر : وصلى عليهـا أبو هريرة ، وقيل : سعيد بن زيد (١) بوصية منهـا ، ودخل قبرها عمر وسَلَمَة آبنا أبى سَلَمَة، وعبدالله بن عبدالله بن أبى أُمية ، وعبـد الله بن وهب بن ربيعة ، ودفنت بالبقيع رحمها الله ، وهى آخر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا ، وقيل : بل مَيْمُونَة آخرهن . والله أعلم .

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعدها :

زينب بِنت جَحْش بن رِئَاب

آبن يَعْمَر بن صَبْرَة بن مرة بن كَبِير — بالباء الموحّدة — آبن غَنْم بن دُودَان آبن أَسَد بن خُزَيْمَة .

وكان آسم زينب بَرَّة ، فسماها رسول الله صلى الله عليـه وسلم زينب ، وأمها أُمَيْمَة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عَمَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال ذى القعْدة سنة أربع على الصّحيح (٢) ، وهى يومئـذ بنت خمس وثلاثين سـنة ، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مَوْلَى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ثم فارقها ، فلما حَلَّت (٣) زوّجه الله إياها ، وهى التى قال الله تعالى فيها : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (٤) ولمـا تزوجها رسول الله صلى الله عليـه وسلم تكلم فى ذلك المنافقون ، وقالوا حرّم

---

(١) لا يصح القول بأن سعيد بن زيد صلى على أم المؤمنين أم سلمة لأنه مات سنة خمسين أو إحدى أو آثنتين ، بلاخلاف ، قال فى الإصابة : «و يمكن تأويله بأنها مرضت فأوصت بذلك ثم عوفيت فـات سعيد قبلها» . (٢) رجح بعضهم كما فى المواهب سنة خمس ، وفى الإصابة سنة ثلاث .

(٣) أى آنقضت عدتها لحلت للزواج . (٤) آية ٣٧ سورة الأحزاب .

محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ ﴾[2]، فدعى زيد يومئذ زيد بن حارثة ، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد . قالت عائشة رضى الله عنها : لم يكن أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم يُسَامِينِي[3] فى حسن المنزلة عنده غير زَيْنَب بنت جَحْش ، وكانت تفْخَر على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ تقول : إن آباءكنّ أنكحوكنّ وأن الله أنكحني إياه من فوق سبع سموات . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة : « اذكرها علىّ » قال زيد : فانطلقت فقلت لها : يا زينب ، أبشرى ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل يذكرك . فقالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أوَامِر[4] ربى ؛ فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذْن . وعن عبد الله بن شَدّاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « إن زينب بنت جَحْش أَوّاهة » فقال رجل : يارسول الله ، ما الأَوّاهُ؟ قال : «الخاشع المتضرع»، و﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾[5] . وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لنسائه : « أسرعكنّ لحاقًا بى أطولكنّ يدا »[6]، قالت : فكنّ يتطاولن أيهنّ أطول يدا ، قالت : فكانت أطولنا يدا زينب ، لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق . وعن عائشة رضى الله عنها أيضا ، قالت كانت زينب بنت جحش

٦٢ / ١٦

---

(١) آية ٤٠ سورة الأحزاب . (٢) آية ٥ سورة الأحزاب .

(٣) تضاهينى وتفاخرنى بجمالها ومكانتها عنده عليه السلام .

(٤) أؤامر : أستخير . (٥) آية ٧٥ سورة هود . (٦) طول اليد كناية عن الجود والكرم ؛ وكانت رضي الله عنها صناع اليد ؛ تدبغ وتخرز وتتصدق .

تساميني فى المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت آمرأة قطّ خيرا فى الدين من زينب ، وأتقى لله وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة . ومن رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت : ولم تكن آمرأة خيرا منها فى الدين ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد تبذّلا[١] فى نفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب إلى الله عزّ وجل . وكانت وفاة زينب بالمدينة فى سنة عشرين من الهجرة ، فى خلافة عمر ، وقيل : فى سنة إحدى وعشرين ، ودفنت بالبقيع رضى الله عنها .

ثم تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب :

جُوَيْرِيَة بنت الحارث

آبن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جُذَيْمَة ، وهو المُصْطَلِق بن سعد آبن كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَاء[٢] بن عامر ماء السّماء ، الأزدية الخزاعية المصطلقية . سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المُرَيْسِيع[٣] فوقعت جُوَيْرِيَة فى سهم ثابت بن قَيْس بن شَمّاس ، وكاتَبَها على تسع أواقٍ ، فأدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كتابتها وتزوّجها . وقيل : جاء أبوها فآفتداها ، ثم أنكحها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ست من الهجرة . وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لمّا قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المُصْطَلِق ، وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قيس بن شَمّاس — أو لآبن عم له —

---

(١) التبذل : ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة على جهة التواضع ، وفى ا « آبتذالا » .

(٢) مزيقيا : لقب عمرو بن عامر المذكور ، ملك من ملوك اليمن .

(٣) المريسيع (تصغير مرسوع) : ماء لبنى خزاعة من الأزد وهذه الغزوة هى المعروفة بغزوة بنى المصطلق .

فكاتبته على نفسها ، وكانت آمرأة حُلْوَةً مُلَاحَةً[١] لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ماهو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يارسول الله ، أنا جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبى ضِرَار سيّد قومه وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ، فوقعتُ فى السّهم لثابت بن قيس بن شمّاس — أو لآبن عمّ له — فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : «فهل لك فى خير من ذلك» ؟ قالت : وماهو يارسول الله ؟ قال : «أقضى عنك كتابتك وأتزوجك» ، قالت : نعم يارسول الله ، قال : « قد فعلت » ؛ قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بجويرية بنت الحارث فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المُصْطَلِق ، فما أعلم آمرأة كانت أعْظَمَ بَرَكَةً على قومها منها .

قال أبو عمر : وكانت جويرية قبلُ تحت مُسَافِع بن صَفْوَان المصطلقى ، قال : وكان آسمها بَرَّة ، فغيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم آسمها وسماها جُوَيْرِيَة ، وحفظت جويرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه ، وتوفيت بالمدينة فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مَرْوَان بن الحَكَم وهو والى المدينة وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت عشرين ٦٣/١٦
سنة . وقيل : توفيت فى سنة خمسين . والله أعلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جويرية :

---

(١) ملاحة : أى شديدة الملاحة ، وهو من أبنية المبالغة .

رَيْحَانَة بنت زيد بن عمرو بن خُنَافَة بن شَمْعُون

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَرى رحمه الله: هى رَيْحَانَة بنت شَمْعُون بن زيد بن خُنَافَة[1] من بنى قُرَيْظَة، وقيل من بنى النَّضير. قال: والأكثر من بنى قُرَيْظَة. قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف رحمه الله: وكانت متزوجة رجلا من بنى قريظة، يقال له الحَكَم، وكانت قد وقعت فى السبى يوم بنى قريظة، وذلك فى ليال من ذى القعدة سنة خمس من الهجرة، فكانت صَفِىّ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها، وأمهرها اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا، وأعرس بها فى المحرم سنة ستّ، فى بيت أم المنذر سلمى بنت قيس من بنى النجار، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيْرة شديدة، فطلقها تطليقة، فأكثرت البكاء فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت بعد رجعته من حَجّة الوَدَاع، فدفنها بالبقيع. وقيل: إنه لم يتزوجها وكان يطؤها بملك اليمين، وأنه خيَّرها بين العتق والتزويج، أو تكون فى ملكه، فقالت: أكون فى ملكك أخف علىّ وعليك، فكانت فى ملكه حتى توفّى عنها. قال: والأول أثبت.

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم:

أم حَبِيبة رَمْلَة بنت أبى سُفْيان

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَىّ القرشية الأموية، وأمها صَفِيَّة بنت أبى العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان، هاجرت أم حبيبة مع زوجها عُبيد الله[3] بن جَحْش إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانيسة، فولدت له د

(١) خنافة، بالخاء. أو قنافة بالقاف. (٢) الصفى: ما يختاره رسول الله من الغنيمة.

(٣) فى نسخ الأصل: «عبدالله»، والصحيح: عبيد الله، بالتصغير كما فى الإصابة وشرح المواهب؛ لأن أخاه عبد الله بن جحش استشهد بأحد رضى الله عنه.

حبيبة فكنيت بها ، وتنصّر عبيد الله زوجها ، وارتدّ عن الإسلام ، ومات على ذلك، وثبتت أمّ حبيبة على دين الإسلام، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أميـة الضّمرى إلى النجاشى ، كما قدّمنا ذكر ذلك فزوّجه إياها ، وكان الذى عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على الأصح ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار، وبعث بها مع شُرَحْبيل بن حسنة (١) وجهّزها إلى المدينة، وذلك فى سنة سبع من الهجرة، وهذا هو المعروف المشهور. وقيل : إن الذى زوّجها عثمان بن عفان، وأن العقد كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة . والأوّل أثبت .

وروى الزبير بن بكّار قال : حدّثنى محمـد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زُهَير ، عن إسمعيل بن عمرو أن أمّ حبيبـة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى جارية يقال لها أَبْرَهَة، كانت تقوم على ثيابه ودُهْنه، فاستأذنت علىّ فأذنت لها، فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب إلىّ أن أزوّجكه (٢) فقلت : بشّرك الله بخير ، وقالت : يقول لك الملك وكِّلى من يزوّجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكّلته، وأعطيت أبرهة سوارَىْ فضـة كانتا علىّ، وخواتم فضـة كانت فى أصابعى سُرورا بما بشّرتنى، فلما كان العشىّ أمر النجاشىّ جعفر بن أبى طالب ومن هنـاك من المسلمين يحضرون ، وخطب النجاشى فقال : الحمد لله الملك القدّوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبّار ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ، وأنه الذى بشّر به عيسى بن مريم — أمّا بعد — فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلىّ أن أزوجه أمّ حبيبة بنت

(١) حسنة : هى أمه التى ربته ، وأبوه عبد الله بن المطاع الكندى . (المواهب ٣ : ٢٨٩) .

(٢) فى شرح المواهب : «أن أزوّجك منه» .

أبى سفيان ، فأجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أصدقتها أربعمائة دينار . ثم سَكَب الدنانير بين يدى القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — أما بعد — فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوّجْتُه أمّ حَبِيبَة بنت أبى سفيان، فبارك الله لرسوله . ودفع النجاشى الدّنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها؛ ٦٤/١٦ ثم أرادوا أن يقوموا، فقال النجاشى : اجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم السلام إذا تزوّجوا أن يُؤكل طعامٌ على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا . وماتت أمّ حبيبة سنة أربع وأربعين[1] . وروى عن علىّ بن حسين قال : قدمت منزلى فى دار علىّ بن أبى طالب، فحفرنا فى ناحية منه فأخرجنا منه حجرا فإذا فيه مكتوب، هذا قبر رَمْلَة بنت صَخْر ، فأعدناه مكانه، حكاه أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة أم حبيبة[2] .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أم حبيبة :

صَفِيَّة بنت حُيَىّ بن أَخْطَب

ابن سَعْيَة بن ثَعْلَبَة بن عُبَيْد بن كَعْب بن الحارث بن أبى حَبِيب بن النَّضِير بن النّحّام بن نَحُوم[3]، من بنى إسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام .

كان أبوها سَيِّد بنى النَّضِير ، وأمّها بَرَّة[4] بنت سَمَوْءَل، أخت رِفاعَة[5] ، وكانت صَفِيّة عند سَلَام بن مِشْكَم القُرَظِىّ الشاعر ، ففارقها فخلف عليها كِنَانَة بن الربيع

(١) هذا ما جزم به ابن عبد البر وابن سعد ، ورجحه البلاذرى ؛ وقيل سنة اثنتين وأربعين . (راجع المواهب ٣ : ٢٩٢) . (٢) هو فى ترجمة « رملة » لا ترجمة أم حبيبة .

(٣) نحوم؛ فى أسد الغابة : « ناخوم ، قاله اليهود وهم أعلم بلسانهم » .

(٤) فى شرح المواهب : أمها ضرة بفتح الضاد المعجمة . على أن أسد الغابة موافق لما هنا .

(٥) رفاعة صحابى ، قال فى الإصابة : « له ذكر فى الصحيح من حديث عائشة ... » الخ .

ٱبن أبي الحُقَيق النَّضَرِيّ[1] الشاعر، فقتل يوم خَيْبر، ولم تلد لأحد منهما شيئا، فٱصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتَزَوَّجَها وجعل عِتْقَها صداقها، ولم تبلغ يومئذ سبع عشرة سنة .

وحكى محمد بن إسحق فى مَغازيه، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهق فى دلائل النبوة، فى غزاة خيبر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ٱفتتح القَمُوص: — حصن ٱبن أبي الحُقَيق — أتى بصَفيّة بنت حُيَيّ بن أخْطَب، و بأخرى معها، فمر بهما بِلال على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التى مع صفية صاحت وصَكّت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أغربوا[2] عنى هذه الشيطانة » وأمر بصفية فحِيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ٱصطفاها لنفسه، وكانت صفية قد رأت فى المنام، وهى عروس بكِنانة بن الربيع، أن قمرا وقع فى حجرها، فعرضت رؤياها[3] على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنكِ تَمَنَّين ملك الحجاز محمدا: فلطم وجهها لَطْمَة خَضَّر[4] عينها منها، فأُتِى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بها أثر منه، فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر .

وروى عن أنس بن مالك من رواية صُهَيْب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمع سَبْىَ خَيْبَر جاءه دِحْيَة فقال: أعطنى جارية من السَّبْى، قال: «ٱذهب فخذ جارية» فأخذ صَفيّة بنت حُيَىّ، فقيل: يا رسول الله، إنها سيّدة قريظة والنَّضير،

(١) هذه النسبة إلى النضير، حذفوا الياء وقلبوا كسر الضاد فتحا .

(٢) أغربوا : أبعدوا وفى نسخة : «أعزبوا»، والمعنى واحد .

(٣) فى أسد الغابة : «فذكرت ذلك لأبيها» .

(٤) كذا فى نسخ الأصل، والمعنى : ترك به أثرا أسود، والعرب تقول للأسود أخضر، وفى شرح المواهب : «لطمها على عينها فاخضرت» .

ما تصلح إلا لك، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: «خذ جارية من السَّبْي غيرها». وقال ٱبن شهاب: كانت ممـا أفاء الله عليه، حَجَبها وأولَمَ عليها بتَمْر وسَوِيق، وقسم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين، قال أبو عمـر: روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على صـفية وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك»؟ قالت: بلغني أن عائشة وحَفْصَة تنالان مني، وتقولان نحن خير من صـفية، نحن بنات عمّ رسول الله وأزواجه، قال: «ألا قلت لهنّ كيف تكنّ خيرا منّى وأبي هرون، وعمّي موسى، وزوجي محمد صلى الله عليه وسـلم». وكانت صـفية حليمة عاقلة فاضلة؛ روى أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنـه، فقالت: إن صفية تحب السَّبْت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر يسألها، فقالت: أما السَّبْت فإنى لم أُحِبَّه مُنْذ أبدلنى الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لى فيهم رحِما فأنا أصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ قالت: الشيطان، قالت: فٱذهبي فأنت حرة. وتُوُفِّيت صفية في شهر رمضان سنة خمسين، وقيل: سنة ٱثنتين وخمسـين. ودفنت بالبقيـع، وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعَرَض، وأوصت لٱبن أختها بثُلثها، وكان يهوديا.

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها:

مَيْمُونَة بنت الحارِث ٦٥/١٦

ابنُ حَزْن بن بُجَيْر بن هُزَم(١) بن رُوَيْبَة بن عبد الله بن هِلال بن عامِر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس عَيْلان بن مُضَر.

وأمها هِنْـد بنت عَوْف بن زُهَيْر بن الحارث بن حَمَاطَة بن حِمْيَر، وقيل: من كِنانة، وأن زهير بن الحارث بن كِنانة.

(١) هزم — في القاموس — كزفر، وكذلك في شرح المواهب وابن إسحق، وفي الأصول: «الهرم».

وأخوات مَيْمُونة لأبيها وأمها : أُمّ الفَضْل لُبابة الكُبْرى بنت الحارث، زوج العباس بن عبد المطلب . ولُبَابَة الصُّغرى زوج الوليد بن المغيرة ، أمّ خالد بن الوليد . وعَصْماءُ بنت الحارث، كانت تحت أُبَيّ بن خَلَف الجُمَحيّ . وعَزّة بنت الحارث ، كانت عند زياد بن عبد الله بن مالك الهلالى .

وأخواتها لأمها : أسْمَاء بنت عُمَيْس ، كانت تحت جعفر بن أبى طالب ، فولدت له عبد الله ، وعوْنا ومحمدا، ثم خَلَف عليها أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، فولدت له محمدا، ثم خلف عليها على بن أبى طالب، فولدت له يحيى، وقيل : إن أسْمَاء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب، فولدت له أمَة الله بنت حمزة، ثم خَلَف عليها بعده شدّاد بن أُسَامة بن الهَادِ اللّيْثيّ ،فولدت له عبد الله،وعبد الرحمن. وسَلامة بنت عُمَيْس أخت أسماء . وسَلْمَى بنت عُمَيْس كانت تحت عبد الله بن كعب بن مُنَبِّه الخَثْعمِى . وزَيْنب بنت خُزَيْمة أخت مَيْمُونة لأمّها .

قال أبو عمر بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما : كان اسم مَيْمُونة بَرّة، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة، وقال: لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمرا فى سنة سبع ، وهى عمرة القَضاء ، خطب جعفر بن أبى طالب عليه ميمونة بنت الحارث الهلاليّة، وكانت أختها لأمها أسماء بنت عُمَيس عند جعفر، وسَلْمَى بنت عُمَيس عند حمزة، وأم الفضل عند العباس ، فأجابت جعفر ابن أبى طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنكحها النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرِمٌ ، فلما رجع بَنَى بها بِسَرِف(١) حلالا، وكانت قبله عند أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن

(١) سرف ككتف : موضع قرب التنعيم من ضواحى مكة .

نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ، ويقال: بل كانت عند سَبْرَة بن أبي رُهْم. حكاه أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عَقيل: كانت ميمونة قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند حُوَيْطب بن عبد العُزّى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ففارقها، وخَلَف عليها أبو رُهْم أخو حُوَيْطب فتوفّى عنها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن شهاب: وهي التي وهَبَت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت ﴿ وآمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبيّ ﴾ (١) الآية، وقد قيل: إن الواهبة خَوْلَة وقيل: أم شريك. قال قتادة: وكانت ميمونة قبله عند فَرْوَة بن عبد العُزّى بن أسد بن غَنْم بن دُودَان، قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ، والصواب ما تقدم. والله أعلم. قال الشيخ أبو محمد الدمياطي: وماتت ميمونة بسَرِف في سنة إحدى وخمسين على الأصح، وقد بلغت ثمانين سنة.

فهؤلاء نساؤه المدخول بهنّ، ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع منهنّ، وهُنّ: عائشة بنت أبي بكر الصِّدّيق، وحَفْصَة بنت عُمَر، وسَوْدَة بنت زَمْعَة، وأم سَلَمَة بنت أبي أمية، وزَيْنَب بنت جَحْش، وجُوَيْرِيَة بنت الحارث وأم حَبِيبَة بنت أبي سُفْيان، وصَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب، ومَيْمُونَة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر من تزوجهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء

ولم يدخل بهنّ، ومن دخل بهنّ وطلّقهنّ، ومن وَهَبَتْ نفسها له صلى الله عليه وسلم:

فاطمة بنت الضَّحّاك

ابن سفيان بن عَوْف بن كَعْب بن أبي بكر، وهو عُبَيْد بن كِلاب بن رَبِيعة ابن عامر الكلابية.

---

(١) آية ٥٠ سورة الأحزاب.

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة، سنة ثمان من الهجرة مُنْصَرَفَه من الجِعْرَانَة ، فلما دنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عُذت بعظيم آلحق بأهلك »[(١)] فكانت إذا آستأذنت على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول : أنا الشّقيّة إنما خُدعتُ . ودَلِهَت[(٢)] وذهب عقلها، وماتت سنة ستين . وروى عن آبن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد وفاة آبنته زَيْنَب ، وخيّرها ٦٦/١٦
حين أنزلت آية التخيير[(٣)] فآختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد تَلْقُط[(٤)] البعر ، وتقول: أنا الشّقية آختَرْت الدنيا . قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا عندى غير صحيح ؛ لأن آبن شِهاب يروى عن أبى سَلَمَة وعُرْوة عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خَيّر أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله قالت وتتابع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ، قال قتادة وعكرمة : كان عنده حين خيّرهن تِسْعُ نِسوة وهنّ اللواتى تُوفّى عنهن، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : وقيل إنما طلقها لبياض[(٥)] كان بها . وقيل : إنما فارقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد . وقيل : إن الضحّاك عَرَض آبنته فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنها لم تُصدّع[(٦)] قَطُّ، فقال : « لا حاجة لى بها ». وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان فى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سَنَاءُ[(٧)] بنت سُفيان بن عوف بن كعب آبن أبى بكر بن كلاب . ومنهن :

(١) آلحق (بكسر الهمزة وفتح الحاء، وقيل بالعكس) : كناية عن الطلاق بالنية ، والمعنى طلقتك .
(٢) دله كفرح : ذهب فؤاده من هم أو عشق ؛ وقوله : « ذهب عقلها » تفسير « لدلهت » .
(٣) آية التخيير ٢٨ ، ٢٩ سورة الأحزاب . (٤) قال فى المواهب . « ولعل ذلك لتبيعه من ضيق عيشها » . (٥) فى رواية ، وضح ؛ والمراد البرص . (٦) تصدع : لم يصبها صداع وهو وجع الرأس ، وفى رواية المعارف لابن قتيبة : إنها لم تمرض قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لهذه عند الله من خير » . (٧) ذكر آبن سعد الاختلاف فى آسم الكلابية فى (ج ٨ : ١٠٠) .

عَمْرَةُ بنت يَزِيد بن الجَوْن الكلابية

وقيل : عَمْرَة بنت يزيد بن عُبَيْد بن رُوَاس بن كِلاب الكلابية، وهو أصحّ . وفى رواية قال أبو عمر : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغه أن بها بَرَصًا فطلقها، ولم يدخل بها . وقيل : إنها التى تعوذت منه حين أدخلت عليه . وقيل غيرها . ومنهن :

العَالِيَة بنت ظَبْيَان بن الجَوْن

ٱبن عَوْف بن كعب بن أبى بكر بن عُبَيْد بن كِلاب الكلابية . قال أبو عمر : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عنده ماشاء الله ثم طلقها، قال : وقلّ من ذكرها . هؤلاء اللاتى ذُكِرن من بنى كِلاب بن ربيعة بن عامر . قال أبو محمد : ومن الناس من جعل التى تزوجها من بنى عامر واحدة ، ٱختلف فى ٱسمها ، وأنه لم يتزوج من بنى عامر غيرها، قال : ومنهم من جعلهن جَمْعا، وذكر لكل واحدة منهن قِصّة ، وهؤلاء اللاتى ذكرناهن ، هن المشهورات من بنى عامر .

وممن ذُكِرن فى أزواجه صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت شُرَيح . ذكرها أبو عبيدة فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهن :

أَسْماء بنت النُّعمان بن أبى الجَوْن

ابن الأسود بن الحارث بن شَراحِيل بن الجَوْن بن آكل المُرَار الكِنْدى، تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع من الهجرة ، زوجه إياها أبوها حين قدم[1] ، على ٱثنتى عشرة أوقية ونَشّ ، وبعث معه أبا أُسَيد، فحملها من

(١) أى قدم على رسول الله مسلما كما فى ٱبن سعد .

نَجْـد حتى نزل بها فى أُطُم[1] بنى ساعدة ، فقالت عائشة : قد وضع يده فى الغرائب[2] يوشِك أن يصرفن وجهه عنا ، وكانت من أجمل النساء ، فقالت حفصة لعائشة ، أو عائشة لحفصة : آخضِبيها أنت وأنا أمشطها ، ففعلتا ، ثم قالت لها إحداهما : إنه يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول : أعوذ بالله منك ؛ فلما دخلت عليه وأغلق الباب ، وأرخى الســتر ، مدّ يده إليها ، فقالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد عُذتِ بِمَعاذ آلحق بأهلك » وأمر أبا أُسَـيد أن يردّها إلى أهلها ، وقال : «متِّعْها برازِقيتين» يعنى كِرْبَاسَيْن[3] ، فكانت تقول : آدعونى الشّقية ، و إنما خُدعت ، لـمـا رؤى من جمالها وهَيْئتها ، وذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسـلم مَنْ حمَلها على ما قالت ، فقال : « إنهنّ صواحِب يوسف وكيدهنّ عظيم » قال : فلما طلع بها أبو أُسَـيْد على أهلها تَصايحوا ، وقالوا : إنكِ لغير مباركة ، ما دَهاك ؟ فقالت : خُدِعت ، وقيل لى كَيْتَ وكَيْتَ ، فقالوا : لقد جعلتِنا فى العرب شُهْرَة ، فقالت : يا أبا أَسَـيد قد كان ما كان فـما الذى أصنع ؟ قال : أَقِيمى فى بيتـك وآحتجِبى إلا من ذى رحِم ، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك من أمهات المؤمنين ؛ فأقامت لا يطمع فيها طامع ، ولا تُرى إلا لذى مَحْرم ، حتى توفِّيت فى خِلافة عثمان بن عفّان عند أهلها بنَجْد .

وقال أبو عمر : أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّجها ، وآختلفوا فى قِصّة فِراقه لها ، فقال بعضهم : لـمـا دخلت عليه دعاها فقالت : تعالَ أنت ، وأبت أن تجىء ، هذا قول قتادة وأبى عبيدة . وزعم بعضهم أنها قالت : أعوذ بالله

٦٧ / ١٦

(١) الأطم : بناء مرتفع كالحصن . (٢) الغرائب (جمع غريبة) : وهى البعيدة عنهم ؛ قال فى الطبقات : «فلما جعل رسول الله يتزوج فى الغرائب قالت عائشة قد وضع يده فى الغرائب ... الخ» .

(٣) رازقيتين : الرازقية ثوب كتّان أبيض ، كرباسين : بيان للرازقيتين فارسى معرب . ومتعة المرأة ما وصلت به بعد الطلاق من ثياب أو مال أو طعام .

منـك، فقال : « لقد عُذتِ بمَعاذ، وقد أعاذكِ الله منّى » فطلقها، قال قتادة : وهذا باطل إنمـا قال هذا لامرأة جميلة تزوّجها من بنى سُلَيم . وقال أبو عُبَيدة : كِلتاهما عاذتا بالله عز وجل منه صلى الله عليه وسلم . والله تعـالى أعلم . وروى البخارىّ فى صحيحه حديث أبى أُسَيد السّاعِدىّ قال : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَيْمَـــةَ بنت شَرَاحيـــل

فلما دخلت عليه بسط يده إليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمر أبا أُسَـيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين، وفى لفظ آخر، قال أبو أُسَيد : أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَوْنية، فلما دخل عليها قال : «هبى لى نفسك» فقالت : وكيف تهب الملكة نفسها للسّوقة ؟ فأهوى بيده إليها ليسكّنها فقالت : أعوذ بالله منك، قال : « قد عُذتِ بمَعاذ » ثم خرج عليه السلام فقال : « يا أبا أُسَـيد آكسها رازِقيتين وألحقها بأهلها» . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : خَلَف عليها المُهاجِر بن أبى أميّة بن المُغيرَة ؛ فأراد عمر أن يعاقبهما ، فقالت : والله ماضُرِب علىّ الحجـاب ولا سميت بأمّ المؤمنين ، فكف عنهما ، وقيـل : تزوّجها عِكرِمة آبن أبى جهـل فى الرِّدة ، وقيـل : خَلَف عليها بعـد المُهاجر قَيْس بن مَكْشُوح المرادى ، وقال آبن أَبْزَى : الجَوْنيّة التى آستعاذت من رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تستعِذ منه آمرأة غيرها .

قال أبو عمر رحمه الله : الآختلاف فى الكِنْدية كبير جدا ، منهم من يقول : هى أسْماء بنت النّعمان، ومنهم من يقول : أُمَيْمة بنت النّعمان ، ومنهم من يقول : أُمَامة بنت النّعمان ، قال : وآختلافهـم فى سبب فراقها على ما رأيت ، والآضطراب فيهـا وفى صواحباتها اللواتى لم يجتمع عليهنّ من أزواجه صلى الله عليه وسلم عظيم . ومنهنّ :

قُتَيْلة بنت قَيْس

أخت الأشْعَث بن قَيْس بن مَعْدِيكَرِب بن معاوية الكِنْدية . رُوِى عن عبد الله ٱبن عباس رضى الله عنهما قال : لما ٱستعاذت أَسْماء بنت النعمان من النبي صلى الله عليه وسلم خرج والغضب يُعْرَف فى وجهه ، فقال له الأشعث بن قيس : لا يسؤك الله يارسول الله ، أَلَا أزوجك من ليس دونها فى الجمال والحسب؟ قال : «مَن» ؟ قال : أختى قُتَيْلَة ، قال : «قد تزوجتها» قال : فٱنصرف الأشْعَث إلى حَضْرَمَوْت ، ثم حملها حتى إذا فَصَل من اليَمَن ، بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّها إلى بلاده وٱرتدّ وٱرتدّت معه فيمن ٱرتد ؛ فلذلك تزوجت ؛ لفساد النكاح بالٱرتداد . قال الشيخ أبو محمد : وكان تزوجها قَيْس بن مَكْشُوح المُرادِىّ ، وقيل : تزوجها عِكرمة ٱبن أبى جهل ، فوَجَد أبو بكر من ذلك وَجْدا شديدا ، وقال : لقد هَمَمْت أن أحرق عليهما بيتهما . فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها والله ما هى من أزواجه ، ما خَيّرها ولا حَجبها ، ولقد بَرَّأَها الله منه بالٱرتداد الذى ٱرتدت مع قومها . وكان تزوجه إياها سنة عشر ، وقيل : قبل موته بشهرين ، وقيل : تزوّجها فى مرضه . وقال قائلون : إنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن تُخيّر ، فإن شاءت ضُرِب عليها الحِجَابُ وتحرم على المؤمنين ، وإن شاءت طلقها فلتنكح من شاءت ، فٱختارت النكاح ، فتزوجها عِكرمة بن أبى جهل . وكان عُرْوَة بن الزُّبَيْر ينكر ذلك ، ويقول : لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم قُتَيْلة بنت قَيْس ، ولا تزوج كِنْدية إلا أخت بنى الجَوْن ؛ مَلَكَها ، وأُتِى بها فلما نظر إليها طلّقها ، ولم يَبْنِ بها صلى الله عليه وسلم .

ومنهنّ :

عَمْرَة بنت معاوية الكِنْدية

٦٨/١٦ تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الشعبيّ : تزوّج آمرأة من كِندة، فجيء بها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . ذكر ذلك أبو الفرج بن الجَوْزِيّ فى التلقيح . ومنهن :

أَسْمَاءُ بنت الصَّلْت

وقيل : سَنَاءُ بنت الصَّلْتِ، قال أبو عمر : وهو الصواب، قال : وقال علىّ آبن عبد العزيز بن على بن الحسن الجرجانى النّسابة : هى وَسْنَاءُ بنت الصَّلْت آبن حبيب بن حارثة بن هِلال بن حَرام بن سِمَاك بن عَوْف بن آمرِئ القيس آبن بُهْثَة بن سُلَيْم السُّلَمِية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماتت قبل أن تصل إليه . وقال غيره : فلما بُشِّرت بذلك ضَحِكت ، وماتت من الفَرَح . وقال آبن إسحق : سَنَاءُ بنت أَسْماء بن الصَّلْت السُّلَمىّ، تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلقها . وقال أبو نصر آبن ماكولا : سَنَاء بنت أَسْماء ماتت قبل أن يدخل بها . وقيل : لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت أسماء : لو كان نبيا ما مات حبيبه ، فخلّى سبيلها . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى : جاء رجل من بنى سُلَيم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إن لى آبنة من جمالها وعقلها ما إنى لأحسد الناس عليها غيرك، فهَمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يتزوّجها، ثم قال : وأخرى يا رسول الله، لا والله ما أصابها عندى مَرضٌ قَطّ ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا فى آبنتك، تجيئنا تحمل خطاياها ! لا خير فى مال لا يُرزَأ(١) منه ، ولا جسم لا يُنال منه » . وقال أبو عمر آبن عبدالبر : وفى سبب فِراقها آختلاف، ولا يثبت فيها شيء من جهة الإسناد. ومنهنّ :

(١) يرزأ : ينقص منه بالمصيبة، وقوله : « جسم لا ينال منه » أى بالمرض .

مُلَيْكة بنت كَعْب الليثىّ

روى محمد بن عمر الواقدى ، عن أبى مَعْشر، قال : تزوّج النبىّ صلى الله عليه وسلم مُلَيْكة بنت كَعْب، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت : أما تستحيين أن تنكحى قاتل أبيك؟ فآستعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها، فجاء قومها إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله، إنها صغيرة ولا ولِىّ لها(١)، وأنها خُدِعت فآرتجعها، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنوه أن يزوّجوها قريبا لها من بنى عُذْرة، فأذن لهم فتزوّجها العُذْرىّ، وكان أبوها قُتل يوم فتح مكة، قتله خالدُ بن الوليد بالخَنْدَمَة(٢) . قال محمد بن عمر : مما يضعف هذا الحديث، ذكر عائشةَ أنها قالت : ألا تستحيين، وعائشة لم تكن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم عام الفتح، وعن عطاء بن يزيد الجُنْدُعى قال : تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُلَيْكة بنت كعب الليثى فى شهر رمضان، سنة ثمان، ودخل بها فماتت عنده، قال محمد بن عمر : وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون لم يتزوج كنانية قطّ ، وعن الزُّهرى مثل ذلك . ومنهنّ :

آبنة جُنْدب بن ضَمْرَة الجُنْدُعى

قال أبو محمد الدمياطى رحمه الله : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج آبنة جُنْدب بن ضَمْرة الجُنْدُعىّ، وأنكر ذلك الواقدى، وقال : لم يتزوج كنانية قط . ومنهنّ :

---

(١) فى الطبقات : لا رأى لها . (٢) الخندمة : جبل بمكة كانت به وقعة يوم فتح مكة ، وله يوم يعرف به ، هزم فيه خالد المشركين .

الغِفَـارِية

قال أبو محمد الدمياطى : قال بعضهم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم آمرأة من غفار، فأمرها فنزعت ثيابها، فرأى بها بياضا، فقال : «آلحقى بأهلك» و يقال : إنمـا رأى البياض بالكِلابية . ومنهن : ٦٩/١٦

خَوْلَة بنت الهُذَيْل بن هُبَيْرة

آبن قُبَيْصَة بن الحارث بن حَبيب بن حُرْفة بن ثَعْلَبَة بن بَكْر بن حَبيب بن عمرو آبن غَنْم بن ثَعْلبَة .

وأمها [خِرنِق][1] بنت خليفـة بن فَرْوَة بن فَضَـالة بن زيد بن آمرئ القيس الكلبيّ، أخت دِحْيَة بن خليفة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهلكت فى الطريق قبل وصولها إليه . حكاه أبو عمر بن عبد البر عن الجُرْجانىّ النسّابة . ومنهنّ :

شَرَاف[2] بنت خليفة بن فَرْوَة الكلبية، أخت دِحْيَة بن خليفة الكلبىّ

قال أبو محمد الدمياطى : قال آبن الكلبى حدثنـا الشَّرْقىّ[3] بن القَطَامِى قال : لمـا هلكت خَوْلَة بنت الهُـذَيْل، تزوج رسـولُ الله صلى الله عليه وسـلم شَرَاف بنت خليفة أخت دِحْيَـة، ثم لم يدخل بها . وقال أبو عمر بن عبد البر : فهلكت قبل دخوله بها . وروى عن عبد الرحمن بن سابِط ، قال : خطب رسول الله صلى

(١) الزيادة من المواهب (٣ : ٢١٢) .

(٢) فى شرح المواهب عن الاستيعاب : « شراف بفتح وتخفيف الراء وضم الفاء » وعن كتاب العيون بكسرها » . (٣) فى نسخ الأصل وطبقات آبن سعد : « الشرق بن القطامى » وفى شرح المواهب : « سرى — بالسين — آبن قطامى بفتح القاف والطاء وميم وتحتية خفيفة » .

الله عليه وسلم آمرأة من كلب ، فبعث عائشة تنظر إليها ، فذهبت ثم رجعت ، فقال لها : « ما رأيت » ؟ فقالت ما رأيت طائلا . فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيتِ خَالًا بخدّها آقشعرت كل شعرة منكِ » فقالت : يا رسول الله ، ما دونك سِرٌّ . ومنهنّ :

خَوْلَة بنت حَكِيم

آبن أُمَيَّة بن حارثة بن الأَوْقَص بن مُرَّة بن هِلال بن فالج بن ثَعْلَبَة بن ذَكْوان آبن آمرئ القيس بن سُلَيْم (١) . ويقال فيها : خُوَيْلَة بنت حكيم ، وأمها صَفِيَّة (٢) بنت العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَىّ . قال آبن الكلبيّ : كانت خولة بنت حكيم من اللائى وَهَبْن أنفسهنّ للنبيّ صلى الله عليه وسلم فأرجأها وكانت تخدم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند عثمان بن مَظْعُون فمات عنها . وعن عُرْوَة قال : خَوْلَة بنت حَكِيم ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عمر بن عبد البر : خولة تُكنى أمّ شريك ، وهى التى وهبت نفسها للنبيّ ، فى قول بعضهم ، وكانت آمرأة فاضلة صالحة ، روى عنها سعد بن أبى وقّاص ، وسعيد بن المسيّب ، وهى التى قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فتح الله عليك الطائف فأعطنى حُلِىّ بَادِيَة بنت غَيْلان ، أو حُلِىّ الفَارِعَة بنت عُقَيْل كما تقدّم . ومنهنّ :

لَيْلَى بنت الخَطِيم بن عَدِىّ

آبن عمرو بن سَوَاد بن ظَفَر بن الحارث بن الخَزْرَج بن عمرو ، وهو النَّبِيت بن مالك بن الأَوْس ، وهى أخت قيس بن الخطيم ، وآسم الخطيم ثابت ، وآسم ظَفَر كعب .

(١) فى أسد الغابة والإصابة : فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثه بن سليم .
(٢) فى طبقات آبن سعد : « ضعيفة » .

قال محمد بن سعد : عن عاصم بن عمر بن قتادة[1] قال : كانت ليلى بنت الخطيم وهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقبلها ، وكانت تركب بعولتها[2] ركوبا شديدا ، وكانت سيئة الخلق ، فقالت : لا والله ، لأجعلنّ محمدا لا يتزوّج فى هذا الحىّ من الأنصار ، والله لآتينّه ، ولأهبنّ نفسى له ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم مع رجل من أصحابه ؛ فما راعه إلا بها واضعة يديها عليه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » فقالت : أنا ليلى بنت سيّد قومها ، قد وهبت نفسى لك ، قال : « قد قبلتك ، ارجعى حتى يأتيك أمرى » فأتت قومها فقالوا : أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر ، وقد أحل الله لرسوله أن ينكح ما شاء ، فرجعت فقالت : إنّ الله أحل لك النّساء ، وأنا امرأة طويلة اللسان لا صبر لى على الضّرائر ، واستقالته فقال : « قد أقلتك » .

٧٠ / ١٦ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مولٍّ ظهره إلى الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » وكان كثيرا ما يقولها ، فقالت : أنا بنت مطعم الطّير ومبارى الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئتك لأعرض عليك نفسى ، تزوجنى ، قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بئس ما صنعت ، أنت امرأة غيرى ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم صاحب نساء ، تغارين عليه فيدعو الله عليك ، فاستقيليه نفسك ، فرجعت فقالت : يا رسول الله ، أقلنى ، قال : « قد أقلتك » قال : فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر ، فولدت له ، فبيناهى فى حائط من حيطان المدينة تغتسل ، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها ، وأدركت فماتت . ومنهنّ :

(١) كذا فى الأصل ، والسند فى ابن سعد : «أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى محمد بن صالح بن دينار ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال ... » .

(٢) تركب بعولتها : المراد أنها شديدة التسلط على أزواجها .

لَيْــلى بنت حَكِيم الأنصارية

الأَوْسِية، التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم، قال أبو عمر بن عبد البر: ذكرها أحمد بن صالح المصرى فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم؛ ولم يذكرها غيره (١) فيما علمت. والله تعالى أعلم. ومنهنّ:

أم شريك وآسمها غُزَيَّة

بنت دُودَان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رَوَاحة بن مُنْقِذ بن عُمَيْر بن مَعِيص آبن عامر بن لُؤَىّ. وقال أبو عمر: غُزَيْلَة (٢) الأنصارية من بنى النجّار.

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: آختلف فيها، فكان محمد بن عمر يقول: هى من بنى مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ، وكان غيره يقول: هى دَوْسِيّة من الأزد، وقيل: هى أنصارِية. وروى آبن سعد، عن محمد بن عمر، عن موسى بن محمد آبن إبراهيم التيمى، عن أبيه قال: كانت أم شريك آمرأة من بنى عامر بن لؤىّ، مَعِيصية وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، فلم تتزوّج حتى ماتت. وروى عن وَكِيع عن زَكريَّا عن عامر فى قوله عزّ وجل: «تُرْجِى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ (٣)»؛ قال: كل نساء وهبن أنفسهن للنبىّ صلى الله عليه وسلم، فدخل ببعضهنّ وأرجأ بعضا فلم ينكحن بعده، منهنّ: أمّ شريك. وعن الشَّعْبى قال: المرأة التى عَزَل (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ شريك الأنصارية. وعن على بن الحسين:

---

(١) تعقبه فى أسد الغابة فقال: «هى ليلى بنت الخطيم الأنصارية الأوسية التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم، ويشتبه الخطيم بالحكيم».

(٢) ورجحه أبو عمر وقال: «وهو الصواب إن شاء الله».

(٣) آية ٥١ سورة الأحزاب. (٤) عزل: فارق.

أن النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّج أمّ شريك الدّوسية، ومثله عن عِكرمة . وروى محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال : حدّثني الوليد بن مسلم، عن مُنير بن عبد الله الدّوْسيّ قال : أسلم زوج أمّ شريك — وهي غُزَيّة بنت جابر بن حَكيم الدّوْسية من الأَزْد — وهو أبو العَكَر[1]، فهاجر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة، ومع دَوْس حين هاجروا، قالت أمّ شريك : فجاءني أهل أبي العَكَر فقالوا : لعلكِ على دينه، قلت : إي والله، إني لعلى دينه، قالوا : لا جَرَم، والله لنعذبنك عذابا شديدا، فأرتحلوا بنا من دارنا، ونحن كنا بذي الخَلَصَة، فساروا يريدون منزلا، وحملوني على جمل ثَفَال[2]، شرّ رِكابهم وأغلظه، يطعموني[3] الخبز بالعسل، ولا يسقوني قطرة من ماء، حتى إذا انتصف النهار وسخنت الشمس، ونحن قائظون[4]، فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام، فقالوا لي في اليوم الثالث : آتركي ما أنت عليه، قالت : فما دَرَيْت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد، قالت : فوالله إني لعلى ذلك، وقد بلغني الجَهْد، إذ وجدت بَرْد دَلْو على صدري، فأخذته فشربت منه نَفَسا[5] واحدا، ثم آنتُزِع منّي، فذهبت أنظر فإذا هو معلّق بين السماء والأرض، فلم

---

(١) في الإصابة ما يدل على أن أبا العكر والد أم شريك، ثم قال : «ويمكن الجمع بأن تكون كنية والدها وزوجها آتفقتا»، وفي أسد الغابة : «أنه آبن أم شريك .

(٢) بحاشية نسخة جـ : «جمل ثفال بفتح الثاء المثلثة أي بطيء، وبكسر الثاء جلد يبسط تحت الرحى يسقط عليه الدقيق» .

(٣) في الفعل نونان، الأولى علامة الرفع، والثانية فاصلة بين الفعل والياء، وحذفت إحداهما تخفيفا . وقرئ بالحذف في : «أتحاجوني» و «تأمروني» .

(٤) قائظون : أي في وقت القيظ وهو شدّة الحر .

(٥) النفس بالتحريك : الجرعة .

أقدر عليه، ثم دُلِّىَ الثانية فشربت منه نَفَسا، ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دُلِّى الثالثة فشربت منه حتى رَوِيت، فأهرقت على رأسى ووجهى وثيابى، قالت: فخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟ قالت فقلت لهم: إنّ عدوّ الله غيرى، مَنْ خالف دِينَه، فأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقا رزقنيه الله، قالت: فانطلقوا سِراعا إلى قِربهم فوجدوها مُوكَأة لم تُحَلّ، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذى رزقك ما رزقك فى هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا، هو الذى شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا جميعا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفون فَضْلِى عليهم، وما صنع الله إلىّ، قال: وهى التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم، وكانت جَميلة وقد أسَنَّت، فقالت: إنى وهبت نفسى لك، وأتصدّق بها عليك، فقبلها النبىّ صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة: ما فى امرأةٍ حين تهب نفسها لرجل خيرٌ، قالت أمّ شريك: فأنا تلك؛ فسماها الله مؤمنة، فقال تعالى: «وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ»(١). فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إنّ الله ليسرع لك فى هَوَاكَ(٢) يا رسول الله. ومنهنّ:

الشَّنْبَاء

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خَلَف الدّمياطى رحمه الله، فى أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر لها ترجمة. فلنذكر من خطبهنّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) آية ٥٠ سورة الأحزاب. (٢) فى هواك: أى فى رضاك؛ قال القرطبى: «هذا قول أبرزه الدلال والغيرة وإلا فلا يجوز إضافة الهوى إليه صلى الله عليه وسلم».

ذكر من خَطَبَهُنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء ولم يَتَّفِق تَزْوِيجُهُنّ . منهنّ :

أمّ هانئ بنت أبى طالب

آبن عبد المطلب بن هاشم ، وآسمها فَاخِتَة ، وقال آبن الكلبى : آسمها هِنْد ، وهى أخت على بن أبى طالب ، وعَقِيل وجعفر وطالب ، شقيقتهم ، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى طالب آبنته أمّ هانئ فى الجاهلية ، وخطبها هُبيرة بن أبى وَهْب[1] بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فزوجها هُبَيرة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا عمّ ، زوّجتَ هُبيرة وتركتنى » ! فقال : يآبن أخى إنا قد صاهرنا إليهم ، والكريم يكافِئُ الكريم . ثم أسلمتْ ففرّق الإسلام بينها وبين هُبَيرة ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها فقالت : والله إن كنت لأحِبك فى الجاهلية ، فكيف فى الإسلام ، ولكنى آمرأة مُصْبِية وأكره أن يؤذوك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير نِساء رَكِبن المطايا نِساء قريش ، أحناه[2] على وَلَدٍ فى صِغره ، وأرْعاه على زوج فى ذات يده » . ومنهنّ :

ضُبَاعَة بِنت عامر بن قُرْط

آبن سَلَمة بن قُشَير بن كَعْب بن رَبِيعَة بن عامر بن صَعْصَعَة .

روى هشام بن محمد الكلبى ، عن أبيه عن أبى صالح عن آبن عباس قال : كانت ضُبَاعَة بنت عامر عند هَوْذَة بن على الحَنَفى ، فهلك عنها فورّثها مالا كثيرا ،

(١) فى أسد الغابة والإصابة : « هبيرة بن عمرو » .

(٢) أحناه : أشفقه . وأرعاه : أحفظه ، وذكر الضمير فى «أحناه» و «أرعاه» وكان القياس «أحناهن» و «أرعاهن» باعتبار اللفظ أو الجنس أو الشخص أو الإنسان . (القسطلانى ٨ : ١٧) .

فتزوجها عبد الله بن جُدْعان التَّيْمىّ، وكان لا يولد له فسألته الطلاق فطلقها، فتزوجها هِشام بن المغيرة فولدت له سَلَمة ، وكان من خِيار المسلمين ، فتوفى عنها هِشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئا كثيرا، وكانت تغطى جسدها بشعرها، فذُكِر جَمالُها عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخطبها إلى آبنها سَلَمَة بن هِشام آبن المغيرة، فقال : حتى أستأمِرها،وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنها قد كبِرت فأتاها آبنها فقالت : ما قلتَ له ؟ قال : قلت حتى أستأمِرها ، فقالت : وفى النبي صلى الله عليه وسلم يُستأمَر ! آرجع فزوِّجه ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه . ومنهنّ : ٧٢/١٦

صَفِيّة بنت بَشَامَة(١) بن نَضْلَة العَنبرىّ

قال أبو محمد : كان أصابها سَباءٌ، فخيّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: « إن شئتِ أنا ، وإن شئتِ زَوْجكِ » فقالت : بل زوجى، فأرسلها فلعَنَتْها بنو تميم . ومنهنّ :

جَمْرَة بنت الحارِث بن عَوْف المُزَنِىّ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبوها : إن بها سُوءًا ولم يكن بها، فرجع إليها أبوها وقد بَرِصَت، وهى أمّ شَبِيب بن البَرْصَاء الشاعر . ومنهنّ :

سَوْدَةُ القُرَشِيّة

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مُصْبِية فقالت : أكره أن تَضْغُو(٢) صِبْيَتِي عند رأسِك، فحمِدها ودعا لها، ذكرها والتى قبلها آبن الجَوْزىّ

(١) بفتح الموحدة وتخفيف الشين، وقيل : بشدها .

(٢) أى يصيحون و يبكون و يضجون .

فى التلقيح . وروى عن مجاهد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فرُدّ لم يعد، فخطب آمرأة، فقالت : حتى أستأمر أبى، فلقيت أباها فأذن لها، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له، فقال: « قد آلتحفنا لحافا غيرك » ولم يسم مجاهد آسم هذه المرأة .

وعُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَامَة بِنت عَمّه حَمْـزَة

آبن عبد المطلب، وقيل : آسمها عِمَارة، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : « تلك آبنة أخى من الرضاعة » . وعُرِضت عليه أم حبيبة أختها .

بجميع من ذكر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المدخول بهنّ، وغير المدخول بهنّ، ومن وهبت نفسها له، أو خطبها ولم يتفق تزويجها، أو عُرِضت عليه فأباها، نحوُ أربعين آمرأة على ما ذكرناه من الآختلاف، ومن أهل العلم من ينكر بعضهنّ، ويقول : إنما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة آمرأة، ست منهنّ قرشيات لا شك فيهنّ، وهنّ : خَدِيجة، وعائشة، وسَوْدَة، وأم سَلَمَة، وأم حَبِيبة، وحَفْصَة .

ومن العرب : زينب بنت جَحْش، ومَيْمُونة بنت الحارث، وجُوَيْرِية بنت الحارث، وأسْماء بنت النُّعْمان، وفاطمة بنت الضَّحاك، وزينب بنت خُزَيْمة .

ومن غيرهم: رَيْحَانَة بنت زيد من بنى النَّضِير، وصَفِيّة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب .

وعن محمد بن يحيى بن حِبّان قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة آمرأة، فسمى هؤلاء، وزاد مُلَيْكَة بنت كَعْب اللَّيْثية . وقال أبو عبيدة : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة آمرأة .

وقال محمد بن عمر الواقدى : المجمع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة آمرأة ، وهنّ اللائى سُمّين ، وفارق منهن الجَوْنيّة والكلابية ، ومات عنده خديجة ، وزينب بنت خُزَيمة ، ورَيْحانة بنت زيد ، وقُبِض عن تِسع ، وهنّ المذكورات اللاتى قدمنا ذكرهنّ .

وقال أبو سعيد فى شرف النبوّة : إن جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين آمرأة ، طَلّق منهنّ سِتّا ، ومات عنده خمسٌ ، وتُوفِّى عن عَشْر ؛ واحدة لم يدخل بها ، وكان صَداقه لِنسائه لكل واحدة خمسمائة دِرهم ، إلا صَفيّة فإنه جعل عِتْقها صَداقَها ، وأمّ حبيبة أصْدَقها عنه النجاشيّ .

٧٢/١٦

ذكر سَرارِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنّ :

مارِية بنت شَمْعون القِبْطية

وهى أم ولده إبراهيم ، وكانت من جَفْن[1] من كورة أَنْصِنَا من صعيد مصر ، أهداها له المُقَوْقِس جُرَيْج بن مِينَا ، ولما ولدتْ مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم آبنه إبراهيم قال : « أعتقها ولدها » . وتوفيت مارية فى المحرم سنة ست عشرة ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر ، ودُفِنت بالبقيع .

ورَيْحَانة بنت زَيْد النَّضْرية ، وقد تقدّم خبرها فى الزوجات . وقال أبو عبيدة : كان له أربع ، وهنّ مارِية وريحانة ، وأخرى جَميلة أصابها فى السَّبْي ، وجارِية وهبتها له زينب بنت جَحْش . وقال قَتادة : كان للنبي صلى الله عليه وسلم وَلِيدَتان مارِية وريحانة ، وبعضهم يقول : رُبَيْحة[2] القُرَظية .

(١) ذكر شارح المواهب أن آسمها « حفن » بفتح المهملة وسكون الفاء ، وكذا فى شرح القاموس ، والأصول بالجيم .

(٢) ربيحة بالتصغير ، وقيل : النضرية ، والذى فى الإصابة كما فى الأصول « ربيحة » بالباء الموحدة ولكن شارح المواهب رسمها بالياء التحتية المثناة .

ذكر أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كان أول من وُلِد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوّة القاسم وبه كان يكنى، ثم ولدت له زينب، ثم رُقَيّة، ثم فاطمة، ثم أمّ كُلْثُوم، ثم ولد له فى الإسلام (١) عبد الله فسمى الطّيّب والطّاهر، وأمهم كلهم خَدِيجَة رضى الله عنها. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله ماتا بمكة، فقال العاصى بن وائل السَّهْمِىّ: قد انقطع ولده فهو أبتر؛ فأنزل الله تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ (٢) هُوَ الْأَبْتَرُ» وقيل: الطّيّب والطّاهر اثنان سوى عبد الله. وقيل: كان له الطّاهر والمطهّر ولدا فى بطن. وقيل: كان له الطّيّب والمطَيَّب وُلِدا أيضا فى بطن. وقيل: إنهم كلهم ماتوا قبل النبوّة، وكان بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضع لهم. وأمّا البنات فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن وهاجرْن، وسنذكر إن شاء الله تعالى أخبارهنّ ومَن تزوجهنّ، وما ولدن على ما نقف عليه، وهؤلاء كلهم أولاد خديجة وُلِدوا بمكة، ثم ولدت له مارية القِبطية:

إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولِد فى ذى الحِجة، سنة ثمان من الهجرة؛ قال أبو عمر بن عبد البر: ذكر الزُّبير عن أشياخه، أن أمّ إبراهيم مارِية ولدته بالعالية، فى المال (٣) الذى يقال له اليوم (مَشْرُبَةُ (٤) إبراهيم) بالقُفّ (٥)، وكانت قابلتها (٦) سَلْمَى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) الأولى أن يقول بعد النبوة. (٢) شانئك: مبغضك، والعرب تسمى من مات له ولد ذكر أبتر، ومن ليس له ولد ذكر. وقيل السورة نزلت فى أبي جهل إذ قال حين مات إبراهيم عليه السلام: بتر محمد.

(٣) المراد به هنا الأعيان المملوكة بالعالية، والعالية على ثلاثة أميال من المدينة المنورة.

(٤) كذا فى كل نسخ الأصل. والصحيح (مشربة أم إبراهيم) كما فى المواهب وغيرها.

(٥) القف: واد بالمدينة — على ساكنها السلام — عليه مال لأهلها. (شرح القاموس).

(٦) القابلة. المولدة، وهى قابلة الحسن والحسين رضى الله عنهما.

آمرأة أبى رافـع ، فبَشَّر به أبو رافـع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فوهب له عبدا ، فلما كان يوم سابعه عقّ (١) عنه بكَبْش وحلق رأسه ؛ حلقه أبو هِنْد ، وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شـعره وَرِقا على المساكين ، وأخذوا شـعره فدفنوه فى الأرض . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وِلد لى الليـلةَ غلام فسميته بآسم أبى إبراهيم » هـذا يدل على أنه سَمّاه فى وقت وِلادته ، قال الزبير : ثم دفعه إلى أمّ سَيْف آمرأة قَيْنٍ (٢) بالمدينة ، يقال له : أبو سَيف ، قال الزبير : وتنافست الأنصار فيمن يُرضِـعه ، فجاءت أمّ بُرْدَة بنت المنذِر بن زيد الأنصارىّ ، زوجة البَرَاء بن أَوْس ، فكلمت رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى أن تُرضِـعه ، فكانت تُرضعه بلبن آبنها فى بنى مازِن بن النجار ، وترجع به إلى أُمِّه ، وأعطى رسـول الله صلى الله عليه وسلم أمّ بُرْدَة قِطعة من نَخْل ، فناقلت (٣) بها إلى مال عبد الله بن زَمْعَة . وتوفى إبراهيم فى شهر ربيع الأول سـنة عشر ، وقد بلغ سِـتة عشر شهرا ؛ مات فى بنى مازِنٍ عنـد ظِئْره (٤) أمّ بُرْدَة ، وهى خَـوْلَة بنت المنـذِر بن لَبِيـد ، وغَسَّلته ودُفِن بالبقِيع . وقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « لو عاش لوضعت (٥) الجـزية عن كل قِبطىّ » . وقال أيضا : « لو عاش إبراهيم ما رَقّ (٦) له خالٌ » . وفى حديث أنس بن مالك تصريح أن إبراهيم إنما مات عند ظئره أمّ سَيْف ؛ فإنه ٧٤/١٦ يقول : فآنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآنطلقت معه ، فصادفْنا أبا سَيْف ينفخ فى كِيرِه ، وقد آمتلأ البيت دُخَانا ، فأسرعتُ فى المشى بين يدى رسـول الله

(١) عق : ذبح عقيقة ، وهى الشاة التى تذبح يوم أسـبوع الولد ، وقال عليه الصلاة والسـلام : «قولوا نسيكة ولا تقولوا عقيقة» . (٢) القين : الحداد . (٣) فى الأصول من غير نقط ، وفى الاستيعاب « فناقلت » بالقاف كما أثبتناها . (٤) الظئر : المرضع .
(٥) وضع الجزية : أسقطها . (٦) رق : صار رقيقا .

صلى الله عليه وسلم ، حتى آنتهيت إلى أبي سَيْف فقلت : يا أبا سَيف ، أمسكْ ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصّبي فضمه إليه وقال ماشاء الله أن يقول ، قال : فلقد رأيته يَكيدُ(١) بنَفْسه ، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : « تدمع العين ويحزَن القلب ولا نقول إلا ما يُرضى الربّ ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وقال أبو عمر بن عبد البر : ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على آبنه إبراهيم من غير رفع صوت ، وقال : « تدمَع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يُرضى الربّ ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » . وعن عطاء، عن جابر قال : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأتى به النخل(٢)، فإذا آبنه إبراهيم فى حجر أُمّه وهو يَجُود بنَفْسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حِجْره ، ثم قال : « يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئا » ؛ ثم ذَرَفَتْ(٣) عيناه ، ثم قال : « يا إبراهيم لولا أنه أمرٌ حَقٌّ ووَعْد صِدْقٌ، وأن آخرنا سيلحق أوّلنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويحزَن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ » . قالوا : ووافق موت إبراهيم كُسُوف الشمس، فقال قوم : إن الشمس آنكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يَخْسِفان لموت أحد ولا لحياته ؛ فإذا رأيتم ذلك فآفزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . وقال صلى الله عليه وسلم حين تُوفِّى إبراهيم : « إن له مُرْضِعا فى الجنة تُتم رضاعه » . وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكَبّر أربعا ، قال آبن عبد البر : هذا قول جمهور العلماء،

(١) يكيد بنفسه : يجود بها؛ يريد النزع . (٢) النخل : موضع قريب من المدينة .

(٣) ذرفت العين : دمعت .

وهو الصحيح، قال : وقد قيل إن الفضل بن عباس غَسّل إبراهيم، ونزل فى قبره مع أُسَامَة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على شَفِير القبر ، قال الزبير : ورُشّ قبره ، وأُعلِم فيه بعلامة ، وهو أول قبر رُشّ عليه (١) .

فلنذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تزوجهنّ ، وما ولدن ووفاتهن ، وهنّ أربع :

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

هى أَسَنّ بناته رضى الله عنهنّ . قال أبوعمر بن عبد البر : وُلِدت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاثين من مولد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، حكاه عن محمد بن إسحق السّرّاج عن عبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمى، وتزوج زينب أبو العاص بن ربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، وهو ابن خالتها — أمه هالة بنت خُوَيْلد — قبل أن يُنَزَّل (٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفَرّق بينهما الإسلام .

وقد ذكرنا من خبر ابن العاص وأَسْره فى غزوة بَدْر وإطلاقه، وسقنا ذلك كله هناك ، وخبر إسلامه ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ زينب عليه بغير مهر جديد، ولا نكاح جديد . وقيل : بل بمهر جديد ونكاح جديد — والله تعالى أعلم — وولدت له عليّا مات صغيرا ، وأُمَامَة وهى التى حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ، وعاشت أُمَامَة حتى تزوجها على بن أبى طالب بعد موت فاطمة ، فكانت عنده حتى أُصِيب ، فخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب ، فتوفيت عنده ، وماتت زينب فى سنة ثمان من الهجرة .

---

(١) فى أسد الغابة : «ورش على قبره ماء، وعلم على قبره بعلامة ، وهو أول قبر رش عليه الماء» .

(٢) أى قبل أن ينزل القرآن على النبىّ — صلى الله عليه وسلم — بتحريم المسلمات على الكفار (آية ١٠ سورة الممتحنة) .

قال أبو عمر : وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عَمِد لها هَبّار بن الأَسْوَد ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا، فسقطت على صخرة فأَسْقَطَت وأَهْرَاقت الدماءَ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضى الله عنها .

٧٥/١٦ ورُقَيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر أبو العباس محمد بن إسحق السرّاج، قال سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول : ولدت رُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رقية عند عُتْبَة بن أبي لَهَب، وأختها أم كُلْثُوم عند عُتَيْبَة بن أبي لهب ؛ فلما أنزل الله تعالى : «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» ـ السورة ـ قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أُم جَمِيل بنت حَرْب بن أمية، حَمّالة الحطب : فارقا ابنَتَيْ محمد ، وقال أبو لهب : رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ، ففارقاهما ، فتزوج عثمان بن عَفّان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك ابنا فسماه عبد الله وبه كان يُكنى ، فبلغ الغلام ستّ سنين ، فنقر عينَــه دِيكٌ وتَوَرَّمَ وجهه فمرض ومات . وماتت رقية رضى الله عنها فى شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بَدْر، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالبشارة بوقعة بدر، وكانت قد أصابتها الحَصْبَة ، وتخلّف عثمان بن عَفّان رضى الله عنــه عن غزوة بَدْر بسبب مرضها ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر بن عبد البر : كانت فاطمة هى وأختها أم كُلثُوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآختلف فى الصُّغرى منهما. وقال آبن السَّراج : سمعت عبيد الله الهاشمى يقول : ولدت فاطمة رضى الله عنها فى سنة إحدى وأربعين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم، وزَوَّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وقعة أُحُد . وقيل : إنه تزوجها بعد أن آبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها، بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكانت سِنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف . قال أبو عمر : وآختلف فى مَهْرِه إياها ، فروى أنه مَهَرَها دِرْعه، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء، وقيل : تزوجها على أربعمائة وثمانين درهما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ثلثها فى الطِّيب ، قال : وزعم أصحابنا أن الدِّرْع قدَّمها علىٌّ من أجل الدخول ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بذلك، فولدت رضى الله عنها له حَسَنا وحُسَيْنا ومُحْسِنا فذهب مُحْسِن صغيرا . وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى علىّ رضى الله عنه قال : لما وُلِد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أرونى آبنى ماسميتموه» ؟ قلت : سميته حَرْبا، قال : « بل هو حسن » فلما وُلِد الحسين قال : « أرونى آبنى ما سميتموه » ؟ قلت : سميته حربا ، قال : «بل هو حُسَيْن» فلما وُلِد الثالث جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أرونى آبنى ما سميتموه » ؟ قلت سميته حربا ، قال : «بل مُحْسِن»، ثم قال : «إنى سميتهم بأسماء ولد هارون شَبَّر وشُبَيْر ومُشَبِّر»(١) . وولدت له رُقَيَّة وزينب

(١) قال فى القاموس وشرحه : «شبر كبقم ، وشبير كقمير مصغرا، وفى التكملة مثل أمير ، ومشبر كمحدث أبناء هرون عليه السلام» .

وأمّ كُلْثُوم، فهلكت رُقَيّة ، ولم تبلغ، وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فماتت عنده، وولدت له على بن عبد الله بن جعفر ، وتزوج أمّ كُلْثُوم عمر بن الخطاب فولدت له زيد بن عمر، ثم خلف عليها بعده عون بن جعفر فلم تلد له حتى مات ، وخلف عليها بعده محمد بن جعفر فولدت له حارثة ومات عنها. فخلف عليها عبد الله ٧٦ / ١٦ آبن جعفر فلم تلد له شيئا وماتت عنده ، وقيل : بل تُوفّى عنها ، وماتت فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، وقيل : بستة أشهر، وقيل : بثمانية .

وأمّ كُلْثُوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرنا الآختلاف فى أيهما أصغر سِنّا هى أو فاطمة، وكانت عند عُتَيْبة بن أبى لَهَب ، فلما قال له أبواه ولأخيه ما قالا طَلَّقا بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبنيا بهما ، وجاء عُتَيْبَة حين فارق أمّ كُلْثُوم إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : كفرت بدينك وفارقت آبنتك وسطا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا إنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبا من كلابه » وكان خارجا إلى الشام تاجرا مع نَفَر من قريش ، حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزّرْقاء ليلا ، فأَطَافَ(١) بهم الأسد تلك الليلة ، فجعل عُتَيْبَة يقول : يا ويل أُمِّه(٢) ، هو والله آكله بدعوة محمد، قاتلى(٣) آبن أبى كَبْشَة وهو بمكة وأنا بالشام . وقال أبو لهب : يامعشر قريش ، أعينونا هذه الليلة، فإنى أخاف دعوة محمد، فجمعوا أحمالهم وفرشوا لعُتَيْبَة فى أعلاها وناموا حَوْلَه ، فقيل : إن الأسد آنصرف عنهم حتى ناموا وعتيبة

(١) أطاف بهم : أحاط بهم ، وفى المصباح : أطاف بالشىء أحاط به .

(٢) الرواية المشهورة : « ياويل أمى ، آكلى ... » . وكذا فى شرح المواهب وغيره .

(٣) فى شرح المواهب : «أقاتلى» . بآستفهام .

فى وسطهم ، ثم أقبل يتخطاهم ويتشممهم حتى أخذ برأس عُتَيْبة فقدغه[1] . قال أبو عمر : ولما ماتت رقية تزوج عثمان بن عفان بأم كُلثوم فى شهر ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة ، وبنى عليها فى جمادى الآخرة من السنة ، وتوفيت أم كُلثوم رضى الله عنها فى السنة التاسعة من الهجرة ، ولم تلد لعثمان شيئا ، وكانت وفاتها فى شعبان ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان : «لو كانت عندنا ثالثة زوجناكها يا عثمان» وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فى حفرتها على بن أبى طالب ، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد . وقد رُوى أن أبا طلحة الأنصارى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل معهم فى قبرها فأذن له . وغسّلتها أسماء بنت عُمَيْس وصفيّة بنت عبد المطلب ، وهى التى شهدت أم عطيّة غُسْلها ، وحكت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك » الحديث[2] . قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبر أم كُلثوم .

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمومة أحد عشر ، أولاد عبد المطلب ابن هاشم ، وهم :

الحارث — وبه كان يُكنى ؛ لأنه أكبر ولده ، ومن ولد الحارث وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبى صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو سفيان بن الحارث ،

---

(١) قدغه : شدخه وكسره .

(٢) الحديث فى أسد الغابة فى ترجمة أم عطية : « اغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك إن رأيتن واغسلنها بماء وسدر واجعلن فى الآخرة كافورا أو شيئا من كافور فإذا فرغتن فآذننى » فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوه فقال : « أشعرنها إياه » والحقو : الإزار ، وقوله : « أشعرنها » أى اجعلنه شعارها الذى يلى جسدها ، تبركا بأثره الشريف .

أسلم عام الفتح كما ذكرنا فى غزوة الفتح وشهد حُنَيْنا ، ونَوْفَل بن الحارث هاجر وأسلم أيام الخَنْدَق ، وعبد شمس وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

وقُثَم بن عبد المطلب — وهو أخو الحارث لأبويه ، مات صغيرا .

الثالث — الزبير بن عبد المطلب ، وكان من أشراف قريش . وآبنه عبد الله آبن الزبير شهد حُنَيْنا وثبت يومئذ وآستُشهِد بأَجْنادِين[1] ، وضُبَاعة بنت الزبير ، لها صحبة ، وأمّ الحكم بنت الزبير ، روت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

الرابع حمزة بن عبد المطلب

كان يقال له : أسد الله وأسد رسوله ، ويكنى أبا عمارة وأبا يَعْلى[2] . وهو أخو رسول ٧٧/١٦
الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع[3] . وقد قدّمنا فى أنباء هذه السيرة خبر إسلامه ومقتله فى غزوة أُحُد . ولم يكن له إلا آبنةٌ واحدة . وقيل : آبنتان . وقد ذكرناهما فيمن عُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء فأباهنّ .

والخامس العبّاس بن عبد المُطَّلِب

كان يكنى أبا الفضل بآبنه الفضل بن العبّاس ، وكان العباس أسنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وقيل : بثلاث سنين ، وأمّه نَتْلَة ، ويقال : نُتَيْلَة بنة جَنَاب بن كُلَيْب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَاة بن عامر وهو

(١) أجنادين : موضع بنواحى فلسطين كانت به وقعة بين المسلمين والروم مشهورة ، وهى من الحروب الحاسمة كانت الغلبة فيها للسلمين .

(٢) فى أسد الغابة : « أبو يعلى وقيل أبو عمارة كنى بابنيه يعلى وعمارة » .

(٣) أرضعتهما ثويبة جارية أبى لهب ، وهى غير حليمة المشهورة التى أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم .

الضَّحْيَان بن سعد بن الخزرج بن تَيْم الله بن النَّمِر بن قاسِط . وهى أوّل عربيّة[1] كَسَت البيت الحرام الحريرَ والدِّيباج وأصناف الكُسْوَة . وذلك أن العباس ضَلّ وهو صَبِيٌّ ، فنذرتْ إن وَجدَتْه أن تكسو البيت الحرام، فوجدته ففعلت .

وقد تقدّم من خَبَر العباس فى غزوة بَدْر عند أسره ، وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى كنتُ مُسْلما ، وإن القوم استكرهونى على الخروج .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أسلم العباس قبل خَيْبَر وكان يكتم إسلامه . قال : ويقال إنه أسلم قبل بَدْر ، وكان يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخبار المشركين ، وكان يُحِبّ أن يَقْدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مُقامَك بمكة خيرٌ » فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : « من لقى منكم العباس فلا يقتله فإنه أُخرِج كرها » . وكان العباس أنْصَر الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبى طالب ، ووَلِى السِّقاية بعد أبى طالب وقام بها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْرِم العباس بعد إسلامه ويُعَظِّمه ويُجِلّه ، ويقول : « هذا عمى وصِنْو أبى » . وكان العباس جَوَادا مُطعِما، وَصُولا للرَّحِم ، ذا رَأْى حسن، ودَعْوة مَرْجُوّة .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه آستسقى بالعباس فى سنة سبع عشرة وذلك عام الرَّمَادة[2]، وكانت الأرض أجْدَبَت إجْدابا شديدا . فقال كَعْب لعمر : يا أمير المؤمنين ، إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا آستسقوا بعُصْبَة

(١) أول من كسا الكعبة الديباج تبع ملك حمير على المشهور ، وكأن المصنف أراد أول آمرأة عربية ، ونتلة كحمزة ونتيلة كجهينة بنون وتاء . والنتلة بيض النعام .

(٢) الرمادة : من أرمد القوم أمحلوا وأسنتوا حتى هلكت المواشى ، وقيل : سمى عام الرمادة لتتابع الجدب حتى صير الأرض والشجر مثل لون الرماد . وقيل : عام الرمادة سنة ثمانى عشرة واقتصر عليه العينى عن ابن سعد .

الأنبياء . فقال عمر رضى الله عنه : هذا عمّ النبي صلى الله عليه وسلم وصِنْوُ أبيه، وسيّد بنى هاشم . فمشى إليه عمر فشكا إليه ما فيه الناس . ثم قال : اللهم إنا قد توجّهنا إليك بعمّ نبينا وصِنْو أبيه، فآسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانِطين. ثم قال: يا أبا الفَضْل قم فآدْعُ . فقام العباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم إن عندك سحابا وعندك ماء، فآنْشر السحاب، ثم أنزل الماء منه علينا، فآشْدُد [به](1) الأصل، وأطِل به الفَرْع، اللهم إنك لم تنزل بَلاء إلا بذنب، ولم تكْشِفه إلا بتَوْبَة، وقد توَجّه القوم بى إليك فآسقنا الغَيْث، اللهم شفِّعنا فى أنفسنا وأهلينا، اللهم إنا شُفَعاء عمن لا ينْطق من بهائمنا وأنعامنا ، اللهم آسقنا سقيًا وَادِعا ، نافِعا طَبَقا سحًّا(2) عاما . اللهم لا نرجو إلا إيّاك، ولا ندعو غيرك، ولا نرْغَب إلا إليك . اللهم إليك نشكو جُوع كل جائع، وعُرْىَ كل عارٍ، وخوف كل خائف، وضَعْف كل ضعيف . فى دعاء كثير .

قال آبن عبد البر : وهذه الألفاظ كلها لم تجئ فى حديث واحد، ولكن جاءت فى أحاديث جمعتها وآختصرتها ولم أخالف شيئا منها ، وفى بعضها : فسقوا والحمد لله . وفى بعضها قال : فأرْخَتِ السماء عَزَالِيَها(3) فجاءت بأمثال الجبال ، حتى استوَت الجُفَرُ(4) بالآكَام، وأخْصَبَت الأرض، وعاش الناس . فقال عمر : هذا والله الوَسِيلَة إلى الله والمكان منه . وقال حَسّان بن ثابت فى ذلك :

---

(١) الزيادة من الاستيعاب .

(٢) طبقا : مالئا للأرض مغطيا لها . سحا : شديد الانصباب .

(٣) العزالى، جمع عزلاء وزان حمراء : فم المزادة الأسفل . وأرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادات . ويروى : « فأرخت السماء شآبيب مثل الجبال » .

(٤) الجفر (جمع جفرة) : وهى الحفرة الواسعة المستديرة .

سَأَل الإمامُ وقَدْ تَتَابع جَدْبُنا * فسقى الغَمامُ بغُـرّة العبّاسِ
عَمِّ النبي وصِنْو والده الذى * وَرِثَ النبيَّ بذاك دُون النّاسِ
أَحْيا الإلهُ به البلاد فأصْبحَت * مُخْضَرّةَ الأَجْنابِ بعد اليَاسِ

٧٨/١٦ وقال الفضل بن عباس بن عُتْبَة بن أبى لَهَب :

بعمّى سقى الله الحِجازَ وأهلَه * عَشِيّةَ يَسْتَسْقِى بشَيْبَتِه عُمَرْ
تَوَجّه بالعباس فى الجَدْب راغبا * فما كَرّ حتّى جاء بالدِّيمَة المَطَرْ

وتُوفى العباس — رضى الله عنه — بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رَجَب. وقيل: من شهر رَمَضان سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عُثْمان بن عَفّان وصلى عليه عثمان، ودفن بالبَقِيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وقيل : تسع وثمانين سنة . وقال خَلِيفَة بن خَيّاط : كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين، ودخل قبره ابنه عبد الله . وكان للعباس من الولد : الفَضْل وهو أكبر أولاده وبه كُنِيَ، وعبد الله، وعُبَيْد الله، وقُثَم . ولهم صحبةٌ . وعبد الرحمن ومَعْبَد وُلِدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهدا بإفْرِيقِيّة فى خلافة عُثْمان بن عَفّان ، وأم حبيب ؛ كلهم من أمّ الفَضْل لُبَابَة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية ، وهى أخت مَيْمُونَة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، يقال : إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة ، وكانت من المُنْجِبات، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالى :

ما وَلَدَتْ نَجِيبَة من فَحْلِ * بجَبَلٍ نَعْلَمُه وسَهْلِ
كَسِتّةٍ من بَطْن أمّ الفَضْلِ * أكْرِم بها من كَهْلَةٍ وكَهْلِ
عَمّ النبي المصطفى ذى الفَضْل * وخاتم الرُّسْل وخَيْر الرُّسْلِ

وكان له من غير أمّ الفضل أربعة ذكور، وهم : عَوْن[١]، والحارث أمّه من هذيل. وكَثِير وتَمّام أمهما أمّ وَلَد[٢]، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله و يقول :

تَمّوا بتَمّـام فصاروا عَشَرَهْ * يارَبِّ فاجْعَلْهُم كِرامًا بَرَرَهْ
* وآجعل لهم ذِكْرًا وأَنْمِ الثَّمَـرَهْ *

و يقال : ما رؤيت قبورٌ أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور بنى العباس، ولدتهم أمهم أمّ الفضل فى دار واحدة، آستشهد الفَضْل بأَجْنَادِين، ومات مَعْبَد وعبد الرحمن بإفريقية، وتوفى عبد الله بالطائف، وعبيد الله باليمن، وقُثَم بسَمَرْقَنْد وكَثِير بيَنْبُع. وتُوفّى العباس بعد أن كُفّ بصره . ولم يُسلم من أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حَمْزَة والعباس رضى الله عنهما .

والسادس من عمومته صلى الله عليه وسلم — أبو طالب وآسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم لأبويه . وعاتِكَةُ صاحبة الرُّؤْيَا فى شأن بَدْر، أمهم فاطمة بنت عَمْرو بن عائذ بن عِمْـران بن مَخْزُوم . وقد تقدّم من أخباره ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نستغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وكان له من الولد طالبٌ مات كافرا ، وعَقِيل وجَعْفَر وعلىّ وأمّ هانئ لهم صحبة ، وجُمَانَةُ . وحكى أبو عمر بن عبد البر : كان علىّ بن أبى طالب أصغر من أخيه جعفر بعشر سنين، وكان جعفر أصغر من عَقِيل بعشر سنين، وكان عَقِيل أصغر من طالب بعشر سنين .

والسابع من عمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم — أبو لهب .

(١) قال أبو عمر : «لم أقف على اسم أمه» .
(٢) قال فى أسد الغابة : « أمه أم ولد رومية » .

وٱسمه عبـد العزى كنّاه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن أولاده عُتْبَة، ومُعتّب ثبتا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنَيْن، وعُتَيْبَة قتـله الأسد بالزَّرْقاء كما تقدّم (١) .

الثامن — عبد الكعبة، وقيـل : هو المقوّم (٢)، ومنهم من جعـل المقوّم غير عبد الكعبة فجعل عمومته ٱثنى عشر .

والتاسع — حَجْل (٣) وٱسمه المُغيرَة .

والعاشر — ضِرَار وهو أخو العباس لأَبَوَيْه .

والحادى عشر — الغَيْدَاق (٤) سمى بذلك لأنه كان أكرم قريش، وأكثرهم إطعاما. ومنهم من جعل الغَيْداق حَجْلا وعدّهم عشرة . حكاه ٱبن عبد البر . وقد عدّ الزبير ابن بكّار أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر، وعدّ المقوّم غير عبد الكعبة، وجعله شقيق حمزة وحَجْل وصَفيّة . والله أعلم بالصواب

ذكر عمّات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان له من العمات صلى الله عليه وسلم ستٌّ : الأولى — صَفيّة بنت عبد المطلب، وأمها هَالَة بنت وُهَيْب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة، وهى شقيقة حمزة والمقَوّم وحَجْل، كانت صفية فى الجاهلية تحت الحـارث بن حَرْب بن أمية بن عبد شَمْس، ثم هلك عنها وتزوّجها العَوّام بن خُوَيْلد بن أسد فولدت له الزُّبَير والسّائب وعبد الكعبة . وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب سـنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون سنة . ودفنت بالبَقيع بفناء دار المغيرة بن شُعْبَة، ولها هجْرة .

(١) راجع ص ٢١٤ من هذا الجزء، والمواهب ٣ : ٢٣٧

(٢) فى السيرة الحلبية بفتح الواو وكسرها مشدّدة .

(٣) فى السيرة الحلبية : بتقديم الجيم على الحاء والجحل السقاء الضخم، وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على الجيم — وهو الثابت هنا — وهو فى الأصل القيد والخلخال .

(٤) وٱسمه مصعب وقيل نوفل .

وعاتِكَةُ بنت عبد المُطّلِب

اختلف فى إسلامها، وهى صاحبة الرُّؤيا[1]، وكانت عند أبى أمية بن المغيرة ابن عبد الله المخزومى، فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة[2]، وزُهَيرا، وقُرَيْبَةَ الكبرى.

وأَرْوَى بنت عبد المطلب

وقد اختلف أيضا فى إسلامها، وكانت عند عُمَير بن وَهْب بن عبد الدّار ابن قصىّ، فولدت له طُلَيْب بن عُمَيْر، وكان من المهاجرين الأوّلين، شهد بدرا وقتل بأجنادَين شهيدا.

وأُمَيْمَة بنت عبد المطلب

كانت عند جَحْش بن رِيَاب، ولدت له عبد الله بن جَحْش قتل بأُحد شهيدا، ٧٩/١٦
وأبا أحمد الأعمى الشاعر واسمه عبد[3]، وزينب زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم، وأمّ حبيبة[4] وحَمْنَة، كلهم له صحبة، وعُبَيْد الله بن جَحْش، أسلم ثم تنصّر ومات بالحبشة كافرا.

---

(١) وهى رؤياها فى وقعة بدر. قالت: رأيت فى المنام قبل قدوم خبر العير بثلاث ليال رجلا أقبل على بعير له فوقف بالأبطح ثم قال: انفروا يا آل غالب لمصارعكم فى ثلاث. ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل فأقبلت تهوى حتى لم يبق دار ولا بيت إلا دخل فيها بعضها. فصدّق الله رؤياها. راجع الإصابة وغيرها من كتب التراجم.

(٢) يراد عبد الله بالصحبة يشعر أن زهيرا ليس بصحابى، والذى فى شرح المواهب أنهما أسلما وصحبا. وفيه: وقريبة بفتح القاف — وقيل بالتصغير.

(٣) فى المواهب (٣ : ٢٤٦): «عبد بلا إضافة، وقيل عبد الله وهو وهم من السابقين».

(٤) أم حبيبة بهاء آخرها، ويروى أم حبيب بلا هاء.

وبَرّة بنت عبد المطلب

وكانت عنـد عبد الأَسَد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم ، فولدت له أبا سَلَمَة وآسمه عبد الله، وكان زوج أمّ سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأُمّ حَكِيم البَيْضاء بنت عبد المطلب

وكانت عند كُرَيْز بن رَبِيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له أَرْوَى بنت كُرَيْز، وهى أمّ عثمان بن عفان .

هؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم وعمّاته؛ أسلم منهم حمـزة والعباس وصـفية بلا آختلاف، وآختلف فى عاتِكة وأَرْوَى، و بقيتهم ماتوا على شركهم. قال أبو عمر آبن عبد البر : كان عبد الله أبو رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزُّبَير وعبـد الكعبة وأمّ حكيم وأُمَيْمة وأَرْوَى وعاتِكة ، أمهم كلهم فاطِمَة بنت عمـرو آبن عَائِذ بن عمران بن مخزوم ، وكان حمزة والمقوّم وحَجْل وصَفِية أمهم هَالَة بنت وُهَيب، وكان العباس وضِرَار وقُثَم أمهم نُتَيْلَة، وأمّ الحارث سَمْراء بنت جُنَيْدب آبن جُنْدُب بن حُرْثَان بن سُوَاءَة بن عامر بن صَعْصَعَة، وقيل : صفية بنت جُنْدب آبن حُجَير بن رِيَاب بن حبيب بن سُوَاءة، وأمّ أبى لهب لُبْنَى بنت هاجَر بن خُزَاعَة. والله تعالى أعلم .

فلنذكر خدمه صلى الله عليه وسلم :

ذكر خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأحـــرار وهم أحـــد عشـــر رجلا

أَنَس بن مالك بن النَّضْر

ابن ضَمْضَم بن زيد الأنصارى النجّارى، كان يكنى أبا حـمزة ، وأمّه أمّ سليم بنت مِلْحَان الأنصارية . خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آبن عشر سنين، عند مقدم رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى المدينة للهجرة ، وآختلف فى وقت

وفاته فقيل : مات فى سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة آثنتين وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين . قال خليفة آبن خياط : مات أنس وله مائة وثلاث سنين ، وقيل : كانت سنه إذ مات مائة وعشر سنين ، وقيل : غير ذلك . وأقل ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة ، حكى هـذه الأقوال أبو عمر بن عبد البر ؛ قال : و يقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، ويقال : إنه قدّم من صُلْبه وولد ولده نحوا من مائة قبل موته ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم دعا له فقال : « اللهم آرزقه مالا وولدا و بارك له » قال أنس : فإنى لمن أكثر الأنصـار مالا . ويقـال : إنه ولد لِأَنَس ثمـانون ولدا منهم ثمـانية وسبعون ذكرا وأنثيان .

وهِنْد وأسْماءُ آبنـا حارثة

آبن هند الأَسْلَمِيان ؛ شهدا بيعة الرضوان فى إخوة لهما ستة ، وهم : هِنْد وأَسْماء وخِرَاش وذُؤَيْب وفُضَالة وسَلَمَة ومالك وحُمْران ، ولم يشهدها أخوةٌ فى عددهم غيرهم ، ولَزِم منهم النبىّ صلى الله عليه وسلم هِنْـد وأسْماء ، وكانا من أهل الصُّفَّة ، ومات هِنْد بالمدينة فى خلافة معاوية ، وتوفى أَسْماء فى سنة ست وستين . بالبصرة وهو آبن ثمانين سنة .

ورَبِيعَة بن كَعْب الأَسْلَمى

وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يَعْمَر الأسلمىّ ابو فِرَاس ، وكان من أهل ٨٠/١٦
الصُّفَّة ، وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر والحضر ، وصحبه قديما ، ومات فى سنة ثلاث وستين بعد الحرّة .

وعبد الله بن مسعود

آبن غافِل بن حبيب بن شَمْخ بن فارِ[1] بن مخزوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث آبن تَمِيم الهُذَلىّ، وكنيته أبو عبد الرحمن، وهو حليف بنى زُهْرَة، وأمه: أم عَبْد بنت عبد وَدّ بن سَواء[2] بن قويم[3] بن صاهلة بن كاهل بن هُذَيل. أسلم عبد الله فى أوّل الإسلام، وكان سبب إسلامه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به وهو يرعى غنما لعُقْبة بن أبى مُعَيط، فأخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدَرّت عليه لبنا غزيرا فأسلم، ثم ضَمّه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وكان يلبسه نعلَيْه إذا قام، و إذا جلس جعلهما فى دُرَاعته[4] حتى يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يمشى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى، و يستره إذا آغتسل، و يوقظه إذا نام، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذْنُك علىّ أن يُرفَع الحجابُ وأن تسمع[5] سِوادِى[6] حتى أنهاك». وكان يعرف فى الصحابة بصاحب السِّوَاد والسِّواك، وهو أحد من شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ومات آبن مسعود بالمدينة فى سنة آثنتين وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان، وقيل: عَمَّار، وقيل: الزبير بن العوّام ودفنه بالبقيع ليلا بإيصائه إليه بذلك، ولم يعلم عثمان فعاتب الزبير، وكان يوم تُوفّى آبن بِضع وستين سنة.

---

(١) فى شرح المواهب: ابن شمخ بن فار، بفاء فألف فراء. وكذا فى الإصابة وأسد الغابة. وفى نسخة ج: ابن فارس.

(٢) فى الإصابة: سواءة. (٣) الاستيعاب: ابن قديم.

(٤) الدراعة: نوع من الثياب. (٥) فى النهاية: تستمع.

(٦) سوادى: سرارى؛ يقال: ساودت الرجل إذا ساررته.

وعُقْبَة بن عامر بن عَبْس

الجُهَنى من جُهَيْنَة بن زيد[(١)] بن سَوْد بن أَسْلَم بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة ، وكان يكنى أبا حَمّاد ، وقيل : أبا أسد[(٢)]، وقيل : أبا عمرو ، وقيل : أبا سُعاد ، وقيل : أبا الأسود ، وقيل : أبا عمّار، وأبا عامر . وكان عقبة بن عامر صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقودها به فى الأسفار . قال أبو عمر : سكن عقبة بن عامر مصر، وكان واليا عليها ، وآبتنى بها دارا ، وتوفّى فى آخر خلافة معاوية .

وبِلال بن رَبَاح المؤذِّن

مولى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما ، وكان يكنى أبا عبد الله ، ويقال : أبا عبد الكريم ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، وقيل : أبا عمرو ، وقد تقدّم خبره فى أوّل السيرة . وأمه حَمَامَة ، وكان خازنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخى بينه وبين عُبَيْدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان بلال رضى الله عنه صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان من مُوَلَّدِى السَّراة[(٣)] . مات بدِمَشْق سنة عشرين ، وهو آبن ثلاث وستين سنة ، ودفن بمقبرتها عند الباب الصغير ، وقيل : مات سنة إحدى وعشرين [وهو آبن سبعين سنة[(٤)]] .

وسَعْد مَوْلى أبى بكر الصدّيق

رضى الله عنهما ، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه الحسن البصرى ، ويعدّ فى أهل البصرة .

---

(١) فى التاج وغيره . « زيد بن ليث بن سود ... الخ » .

(٢) وفى أسد الغابة : وقيل : أبو لبيد ، وأبو عمر ، وأبو عبس ، وأبو أسيد ، وأبو أسد وغير ذلك .

(٣) السراة : موضع بين مكة واليمن كما سيأتى للمؤلف . وفى الأصول : « الشراة » بالمعجمة . وما أثبتناه عن أسد الغابة وغيره .

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ .

وذو مِخْمَر بن أخى النّجاشى

ويقال : ٱبن أخته، ويقال فيــه : ذو مِخْبَر، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ٱبن عبد البر : وقد عدّه بعضهم فى موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم، له أحاديث خرّجها أهل الشام وهو معدود فيهم .

وبُكَيْر بن شَــدّاخ اللّيْثى

وقيل فيــه : بَكْر، عدّه الشيخ أبو محمد الدمياطى فى خدم رسول الله صلى الله ١/٦
عليه وسلم[(١)] .

وأبو ذَرّ الغِفَــارِىّ

ويقال : أبو الذرّ، والأوّل أشهر . وٱختلف فى ٱسمه ٱختلافا كثيرا، فقيل : جُنْدُب بن جُنَادَة، وهو أصحّ ما قيل فيــه إن شاء الله . وذكر أبو عمر بن عبد البر الاختلاف فى ٱسمه، وترجم عليه بعد ذلك : جُنْدُب بن جُنادة[(٢)] بن سفيان بن عبيد ٱبن الواقِعَة بن حَرَام بن غِفَار بن مُلَيْــل بن ضَمْرة بن كِنَانة بن خُزَيْمــة بن مُدْرِكة ٱبن إِلْيَاس بن مُضَر بن نِزار الغِفارىّ، وأمّه رَمْلَة بنت الوَقيعَة، من بنى غِفار، تقدّم خبر إسلامه فى وفد غفار فى أوّل هــذا السِّفْر[(٣)]، وأقام أبو ذرّ عند قومه بعد إسلامه حتى مضت بَدْر وأُحُد والخَنْدَق، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ترجم له أسد الغابة، وذكر أنه من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يخدمه وهو غلام فلما ٱحتلم جاء إلى رسول الله فقال له : إنى كنت أدخل على أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال ؛ فقال له رسول الله : "اللهم صدّق قوله ولقّه الظفر"، وأورد قصة له فى عهد عمر بن الخطاب كانت من أعلام النبوّة، وبركة دعوته صلى الله عليه وسلم .

(٢) الذى فى الاستيعاب لابن عبد البر : «جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد» الخ .

(٣) راجع ص ٣ وما بعدها من هذا الجزء .

فصحبه إلى أن مات . وقد ذكرنا قصة أبى ذرّ فى غزوة تَبُوكَ ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رحم الله أبا ذرّ يمشى وحده و يموت وحده و يبعث وحده» وكان من خبره أنه خرج بعد وفاة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه إلى الشام ، فلم يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان ، فآستقدمه عثمان لشكوى معاوية ، وأسكنه الرَّبَذَة (١) ، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وكان قد أقبل من الكوفة فدعى إلى الصلاة عليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : أبو ذرّ ، فبكى طويلا وقال : أخى وخليلى عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طُوبَى له . وذلك فى سنة ست وثلاثين من الهجرة . روى عن أبى ذرّ جماعة من الصحابة ، وكان من أوْعِية العلم المُبرِّزين فى الزهد والورع والقول بالحق ؛ سئل علىّ رضى الله عنه عن أبى ذرّ فقال : ذاك رجل وَعَى علما عجِزَ عنه الناس ، ثم أوْكأ (٢) عليه ولم يخرج شيئا منه . وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أظَلَّت الخَضْرَاءُ (٣) ولا أقلّت الغَبْرَاءُ من ذِى لَهْجَة (٤) أصدقَ من أبى ذر » و«من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر (٥) إلى تواضع أبى ذرّ » . وفضائله كثيرة رضى الله عنه .

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى خدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسْلَع ابن شَرِيك » الأعوَجى التميمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب راحلته ، وأبو سَلام الهاشمى ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه .

---

(١) الربذة (بفتحات) : موضع قرب المدينة . (٢) أوكأ : شدّ عليه بوكاء وهو حبل يشدّ به فم القربة ، أراد لم ينشره بين الناس . (٣) الخضراء : السماء ، والغبراء : الأرض ، وأقلت : حملت . (٤) اللهجة : اللسان .

(٥) الرواية فى الجامع الصغير : " من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى فلينظر إلى أبى ذر " .

ذكر موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ[(١)] أبو محمد الدمياطي رحمه الله تعالى : ومواليه من الرجال أحد وثلاثون ، وهم :

زيد بن حارثة بن شَرَاحيل الكلبي — وكان لخديجة فاستوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأعتقه ، وقد تقدّمت أخباره ومقتله فى مُؤْتَة[(٢)] .

وأُسامة بن زيد بن حارثة — وأمه أمّ أَيْمَن، بَرَكة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات أسامة فى خلافة معاوية ، فى سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع ، وقيل : سنة أربع وخمسين ، وصححه أبو عمر . وكان عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سنة، وقيل : عشرين، وقيل : ثمانى عشرة، وسكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القُرى، ثم رجع إلى المدينة فمات بالجُرُف .

وثَوْبان بن بُجْدُد — وكنيته أبو عبد الله على الأصح، وهو من أهل السَّراة[(٣)]، والسراة موضع بين مكة واليمن ، وقيل : من حِمْير، وقيل : إنه من حَكَم بن سَعْد العَشيرة، أصابه سِباء فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولم يزل معه فى السفر والحضر إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الشام فنزل الرَّمْلة ، ثم انتقل إلى حِمْص فابتنى بها دارا : وتوفى بها سنة أربع وخمسين،

---

(١) فى ا « شيخنا » .

(٢) مؤتة ، بضم الميم وسكون الواو وبغير همز ، عند الأكثر ، وبالهمز عند بعضهم : موضع من عمل البلقاء بالشام ، وهى غزوة مشهورة ، ومن الوقائع الحاسمة .

(٣) فى الأصول : « الشراة » وتقدّم القول فيه .

وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدّى ما وَعَى . روى عنه جماعة من التابعين .

وأبو كَبْشَةَ سُلَيْم — شهد بدرا والمشاهد كلها ، قيل : هو من فارس ، وقيل : من مَوَلَّدى أرض دوس ، وقيل : من مولَّدى مكة ، آبتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه ، وتوفى فى سنة ثلاث عشرة ، فى اليوم الذى آستخلف فيه عمر بن الخطاب ، وقيل : توفى فى سنة ثلاث وعشرين ، فى اليوم الذى ولد فيه عُرْوَة بن الزبير . والله تعالى أعلم .

وأَنَسَة — ويكنى أبا مِسْرَح ، ويقال أبو مَسْرُوح — وكان من مولَّدى السَّرَاة — ٨٢/١٦ آشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه . ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا ، وقال آبن إسحق : كان يأْذَن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيما حكاه مصعب الزبيرى ، ومات فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

وشُقْرَان — وآسمه صالح ، وكان حبشيا ، قيل : ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه وأعتقه بعد بَدْر ، قيل : آشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه ، وقيل وهبه له فأعتقه وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته (١) .

ورَبَاحُ — وكان أسود نُوبِيًا آشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه ، قال أبو عمر : وربما أَذِن على النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ، إذا آنفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ عليه الإذْن .

ويَسَارُ — وكان نُوبِيًا أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته ، وهو الذى قتله العُرَنِيّون كما تقدّم .

---

(١) فى ا « بعد » .

وأبو رافع — وآسمه أَسْلَم ، وقيل ؛ إبراهيم ، وكان عبــدا للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليــه وسلم ، فلما أسلم العباس بَشّر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، فأعتقه و زوّجه سَلْمَى مولاته ، فولدت له عبيد الله ، وكان عبيد الله كاتبا لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه فى خلافته كلها ، قيل : وخازنا أيضا . ومات أبو رافع فى آخر خلافة عثمان بالمدينة ، وقيــل : فى خلافة علىّ ، قيــل : وكان أبو رافع قِبْطِيّا .

وأبو مُوَيْهِبَة — وكان من مُوَلَّدى مُزَيْنَة ، آشــتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه .

ورافع[1] — قال الشيخ أبو محمد عبــد المؤمن رحمه الله : كان مولًى لسعيد بن العاص ، فورثه ولده ، فأعتقه بعضهم وتمسّك بعضهم ، فجاء رســول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه فوهب له ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد حكى أبو عمر ذلك فى أحد القولين عن أبى رافع المقدّم ذكره . والله أعلم .

وفُضَالَة — وهــو مذكور فى موالى رســول الله صلى الله عليــه وسلم ؛ قال آبن عبد البر : لا أعرفه بغير ذلك ، قيل : إنه مات بالشام .

ومِدْعَم — أسْوَد ، وهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم رِفَاعَة بن زيد الجُذَامى ، وهو الذى قتل بوادى القُرى ، وقال فيــه رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « إن الشَّمْلَةَ التى غَلَّها[2] تُشْعَل عليه نارا » .

وكَرْكَرَة[3] — وكان على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان نُوبِيّا أهداه له هَوْذَة ابن على فأعتقه .

(١) كنيته أبو البهى ، فى أسد الغابة : فأتى النبى يستشفع به على الرجل فوهب الرجل نصيبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم . (٢) الغل : أخذ شىء من الغنيمة قبل القسمة ، وقد أخذ مدعم شملة من فىء المسلمين يوم خيبر قبل القسمة . (٣) ضبط فى الإصابة بفتح الكافين وكسرهما ، والنووى بكسر الثانية جزما .

وزيد — وهو جد بلال[1] بن يَسَار بن زيد .

وعُبَيد ، وطَهْمَان — موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلف فى طَهْمَان ، فقيل : طَهمان ، وقيـل : طَهْوَان ، وقيل : ذَكْوَان ، وأما عبيد فروى عنه سليمان التّيمى .

ومَابُور — أهداه إليه المُقَوْقِس ، وقيل : كان خصيّا .

ووَاقِد ، وأبو وَاقِد[2] ، وهشام ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن آمرأتى لا تمنع يد[3] لامِس ، قال : « طلقها » قال : إنها تعجبنى . قال : « فآستمتع بها » .

وأبو ضُمَيْرَة — قيل : آسمه سَـعْد الحِمْيَرى ، قال البخارى : وقيـل فى آسمه غير ذلك . وكان ممـا أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وهو جد حسـين آبن عبـد الله بن ضُمَيْرَة ، وقيل : وكان من العرب فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وكتب له كتابا يوصى به فهو بيـد ولده ، قال أبو عمر : وقـدم حسين آبن عبـد الله بن ضُمَيْرة على المهدى بكتاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم بالإيصاء بأبى ضُمَيْرة وولده ، فوضعه المهدى على عينَيْه ، ووصله بثلثمائة دينار .

وحُنَيْن — قال أبو عمر بن عبد البر : كان عبدا وخادما للنبى صلى الله عليه وسلم ، فوهبه لعمه العباس فأعتقه العباس قال : وقد قيل إنه مولى على بن أبى طالب ، وعدّه الشيخ أبو محمد فى موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فى نسخ الأصل : هلال ، والصواب ما أثبتناه ، من المواهب وغيره .

(٢) أسد الغابة آعتبرهما واحدا — وإن أفرد كلا منهما بترجمة — حيث أورد حديث « من أطاع الله ... » عن واقد كما أورده عن أبى واقد ، وعدهما فى شرح المواهب واحدا أيضا وقال : « واقد أو أبو واقد » .

(٣) قال آبن الأثير مادة (لمس) : « قيل معنى لا تردّ يد لامس أنها تعطى من ماله من يطلب منها ، وهذا أشبه ، قال أحمد : لم يكن ليأمره بإمساكها وهى تفجر » .

وأبو عَسِيب — وآسمه أَحْمَر .

وأبو عبيدة[(١)] سَفِينَة — فكان عبدا لأمّ سَلَمَة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقته، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّة حياته، فقال : لو لم تشترطى علىّ ذلك ما فارقته ، وكان آسمه رَبَاح ، وقيل : عُمَيْر، وقيل : رُومَان . وقيل : مِهْران . قال الواقدى : وقال أبو عمر : مِهْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير سَفِينَة .

سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَفِينَةَ بهذا الآسم ؛ لأنه كان معه فى سفر، فكان كل من أعيا ألقى عليه متاعه سيفا أو تُرسا ، فمرّ النبي صلى الله عليه وسلم به فقال : « أنت سفينة » وكان أسود من مُوَلَّدى الأَعْراب .

وأبو هِنْـد — وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه زوجوا ٨٣/١٦ أبا هند وتزوجوا إليه، قال أبو محمد: آبتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرفه من الحُدَيْبية وأعتقه .

وأَنْجَشَة — وكان حاديًا للجمال ، وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له « يا أَنْجَشَةُ[(٢)] رِفْقا بالقَوَارير» .

(١) فى أسد الغابة : أبو عبيد مولى رسول الله . هكذا بغير هاء ، وأورد رواية عنه من طريق شهر ابن حوشب . وفى أسد الغابة أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام غير أبى عبيدة، وذكر أن سفينة قال : ركبت سفينة فانكسرت فركبت لوحا منها فطرحنى إلى الساحل فلقينى أسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطأطأ رأسه ، فجعل يدفعنى بجنبه حتى أوقفنى على الطريق ، فلما أوقفنى على الطريق همهم فظننت أنه يودعنى .

(٢) أنجشة عبد أسود حسن الصوت بالحداء — وهو الغناء — فحدا بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فأعنقت الإبل وأسرعت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشة ... » الحديث ويروى « يا أنجشة رويدك ... » الحديث ، والقوارير جمع قارورة : إناء من زجاج شبه به النساء لأنه يسرع إليها الكسر .

وأُنَيْسَة — وكان حبشيا فصيحا شهد بدرا، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وأبو لُبَابَة — كان لبعض عمّات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، وهو معدود فى موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورويفع — سباه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هَوَازن فأعتقه .

وسَعْد — وهو الذى روى عنه أبو عثمان النهدى . ذكره أبو عمر بن عبد البر .

هؤلاء المشهورون من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله : وقد قيل إنهم أربعون ، وزاد يوسف بن الجوزى : أبا كِنْدير ، وسَلْمَان الفارسى ، وسالما ، وسابقا — ذكره أبو عمر — خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن رصولا (١) ، وعُبَيْد الله بن أَسْلَم ، ونُبَيْه : وقيل فيه : النَّبِيهُ ، وقيل النُّبَيْه ، بضم النون وفتحها ، ووَرْدَان .

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة أُخر ، منهم أبو الحَمْراء واسمه هلال بن الحارث ، ويقال : هلال بن ظَفَر ، وأفلح ، وذَكْوَان ، وفى اسمه خلاف ، وأبو عُبَيْد ، له رواية ، وأبو لَقِيط ، وأبو السَّمْح أَيَاد (٢) ، وقيل : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضُمَيْرة بن أبى ضُمَيْرة ، قال أبو عمر : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ضُمَيْرة وهى تبكى فقال : « ما يبكيك أجائعة أنت أم عارية » ؟ فقالت : يا رسول الله ، فرق بينى وبين ابنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرق بين والدة وولدها » ثم أرسل إلى الذى عنده ضُمَيْرة فابتاعه منه .

(١) كذا فى كلا الأصلين وفى الإصابة وأسد الغابة « زيد بن بولا » .

(٢) فى هامش الاستيعاب : « زياد » .

وكَيْسَان ، أو مِهْرَان ـ وآسمه هُرْمُز يكنى أبا كَيْسَان ، آختلف فيه على عطاء آبن السائب، فقيل : كيسان، وقيل : طَهْمَان، وقيل : ذَكْوَان، وأبو بَكْرَة نُفَيْع آبن مَسْرُوح ، وهو آبن سُمَيَّـة جارية الحارث بن كَلَدَة الثَّقَفى ، معـدود فى مَوَالى رسول الله صلى الله عليه وسـلم؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقه لمـا نزل إليـه من حِصْن الطّائف ، وأسلم فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبى الناس إلا أن يَنْسُبونى فأنا نُفَيْع بن مَسْرُوح، وكنّاه رسـول الله أبا بَكْرَة؛ لأنه تدلّى إليه من بَكْرَة من الحِصْن .

وأبو سَلْمَى ـ راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم،قيل : آسمه حارث، فهؤلاء عشرة أُخَر لتكلة خمسين . والله أعلم .

ومن النساء[1] : أمّ عياش[2]، وأُمَيْمَة[3]، وأمّ رافع سَلْمَى[4]، و بَركة أمّ أَيْمَن[5]، ومارِيَة[6]، و رَيْحانة[7]، ورُبَيْحة، ومَيْمُونة بنت [أبى] عَسيب[8]، وخضرة[9]، ورَضْوَى، وأمّ ضُمَيْرة[10]. وذكر أبو عمـر بن عبد البر أُمَيْمَة لهـا رواية ، ومَيْمُونة بنت أبى عَنْبَسة غير ميمـونة المذكورة آنفا، والله أعلم .

(١) قـوله : ومن النساء . معطوف على ترجمـة الباب حيث قال : ومواليه صلى الله عليـه وسلم من الرجال. (٢) أم عياش : قيل كانت أمة لرقية بنت رسول الله فى رواية . وقيل خادم رسول الله ومولاته . (٣) أميمة مولاة رسول الله ، كانت توضئ رسول الله . (٤) أم رافع : قابلة إبراهيم بن رسول الله وقابلة أبنى فاطمة الزهراء الحسن والحسين رضوان الله عليهم . وخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٥) و بركة أم أيمن : حاضنة رسول الله ومولاته وهى حبشية .

(٦) مارية القبطية : مولاة رسول الله وسريته أم إبراهيم عليه السلام بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٧) ريحانة : سرية رسول الله من بنى قريظة ، و يقال : ربيحة كما فى الصحابة فتكون نفس ريحانة .

(٨) فى أسد الغابة بنت أبى عسيب . وقيل بنت أبى عنبسة .

(٩) خضرة ، و رضوى : ذكرتا فى موالى رسول الله ، ولم يرو عنهما شىء .

(١٠) أم ضميرة : هى التى ورد بسببها حديث : « لا يفرق بين والدة وولدها » .

ذكر حُرّاس رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى غزواته، وهم ثمانية : سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام بالعريش، وذَكْوان بن عبد الله بن قَيْس، ومحمد بن مَسْلَمَة الأنصارى حرسه بأُحُد، والزُّبَير ابن العوّام حرسه يوم الخندق، وعبّاد بن بِشْر، وسَعْد بن أبى وقّاص، وأبو أيّوب الأنصارى حرسه بخيبر ليلة بَنَى بصفيّة، وبلال حرسه بوادى القُرَى . ولما أنزل الله تعالى : « يٰأيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ من رَبِّكَ وإنْ لم تَفْعَلْ فما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ »(١) ترك عند ذلك الحرس .

ذكر كُتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهم : أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب وعامر بن فُهَيْرة، وعبد الله بن الأرْقَم، وأُبَىّ بن كَعْب، وثابت بن قيس بن شَمّاس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحَنْظَلة بن الربيع الأسدى، وزيد بن ثابت، ومعاوية ابن أبى سُفيان، وشُرَحبيل بن حَسَنة، وكان معاوية وزيد يكتبان الوَحْى . قال الشيخ الإمام الفاضل محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فَرْح الأنصارى الخزرجى الأندلسى ثم القرطبى رحمه الله تعالى فى كتاب الأعلام له : والعَلاء بن الحَضْرمى، قال : وكان المداويم على الكتابة زيد ومعاوية، قال : ويقال إن معاوية لم يكتب له من الوحى شيئا، وإنما كان يكتب إلى الأطراف، وكتب له عبد الله بن سرح ثم ارتدّ، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه، وذكر القضاعى : وكان الزبير ابن العوّام وجَهْم بن سعد يكتبان أموال الصدقة، وكان حُذيفة بن اليمان يكتب خَرْص النخل، وكان المغيرة بن شعبة والحُصَيْن بن نُمَيْر يكتبان المداينات والمعاملات .

(١) آية ٦٧ سورة المائدة .

وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دِحْيَة : أن كتابه عليه السلام ينتهون إلى ستة وعشرين ، والله أعلم .

قال : وقد قدّمنا ذكر رسله صلى الله عليه وسلم .

ذكر رُفقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

النُّجَبَاء وهم اثنا عشر : أبو بكر ، وعمر ، وحمزة ، وعلىّ ، وجعفر ، وأبو ذرّ ، والمِقْداد ، وسَلْمان ، وحُذيفة ، وابن مسعود ، وعمّار بن ياسر ، وبِلال بن رَبَاح .

وكان على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مَسْلَمَة وعاصم بن أبى الأَفْلَح [1] والمِقْداد ، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا ، فلنأخذ الآن فى ذكر صفاته ٨٤/١٦ الذاتية والمعنوية وأحواله صلى الله عليه وسلم .

ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية

قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث علىّ بن أبى طالب وأنس ابن مالك وأبى هُرَيرة والبَرَاء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبى هَالة وأبى جُحَيْفَة وجابر بن سَمُرَة وأم مَعْبَد [2] وابن عباس ، ومُعَرِّض بن مُعَيْقيب وأبى الطُّفَيل ، والعدّاء بن خالد وخُرَيْم بن فاتِك وحَكيم بن حِزام ، وغيرهم رضوان الله عليهم : أنه كان صلى الله عليه وسلم رَبْعَة [3] من القوم : لا بَائِنٌ [4] من طُول ، ولا تَقْتَحِمه [5] عين من قِصر ،

(١) الذى فى أسد الغابة : عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح .

(٢) أم معبد : هى عاتكة بنت خالد الخزاعية .

(٣) ربعة بسكون الباء والفتح لغة : أى معتدل ، وقد فسر الربعة بما بعده .

(٤) البائن هنا : المفرط فى الطول . (٥) لا تقتحمه : لا تتجاوزه ازدراء له .

غُصن بين غُصنَين، بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مُشرب حُمْرة، وفى رواية أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق[1]، ولا بالآدم، له شعر رَجِل[2]، يبلغ شَحْمة أذنيه إذا طال، و إذا قصر إلى أنصافهما، لم يبلغ شَيْبُه فى رأسه ولحيته عشرين شعره، كأن عنقه جِيد دُمْيَة[3]، فى صَفاء الفِضّة، وظاهر الوَضَاءة[4] مُبْلَج[5] الوجه، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، حسن الخُلُق معتدله، لم تَعبه ثُجْلة[6] ولم تُزْر به صَعلة[7]، وَسيما[8] قَسيما، فى عينيه دَعَج[9]، وفى بياضهما عُروق رِقاق حُمْر، وفى أشفاره غَطَف[10]، وفى صوته صَهل[11]، وروى صَحَل، وفى عنقه سَطَع[12]، وفى لحيته كثاثة[13]، إذا صَمت فعليه الوَقار[14]، و إن تكلم سَما[15] وعلاه البَهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد،

(١) الأمهق: الكريه البياض كلون الجص.

(٢) رجل بكسر الجيم: بين شدة الجعودة، وشدة السبوطة.

(٣) الجيد: العنق، والدمية بضم الدال: الصورة المنحوتة من رخام أو عاج.

(٤) الوضاءة: الحسن.

(٥) المبلج: المشرق المضىء.

(٦) الثجلة: عظم البطن.

(٧) الصعلة: صغر الرأس، والدقة والنحول فى البدن أيضا.

(٨) الوسيم: الثابت الحسن. والقسيم: جميل الوجه كله، كأن كل موضع منه أخذ قسما من الجمال.

(٩) الدعج: شدة سواد العين فى شدة بياضها.

(١٠) الغطف: بفتحتين هو أن يطول شعر الأجفان ثم ينعطف، و يروى بالعين المهملة.

(١١) صهل: حدة وصلابة، والصحل: بحة فى الصوت وعدم حدته.

(١٢) السطع: طول العنق.

(١٣) الكثاثة: كثافة الشعر فى غير دقة ولا طول.

(١٤) الوقار: الحلم والرزانة.

(١٥) سما: ارتفع وعلا على جلسائه.

وأحلاه وأحسنه من قريب ، حُلو المَنْطق فَصْل[1] : لا نَزْر ولا هَذْر[2] كأنّ منطقه خَرَزات[3] نَظْم يَتَحَدّرْن ، واسِع الجَبِين[4] ، أَزَجّ الحواجب[5] في غير قَرَن ، بينهما عِرْق يُدِرّه الغضب ، أقنى العِرْنِين[6] ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أَشَمّ[7] ، سهل الخَدّين[8] ، ضليع الفم[9] ، أَشْنَب[10] ، مُفَلّج[11] الأسنان ، دقيق المَسْرُبَة[12] ، من لَبّته[13] إلى سُرّته شعر يجرى كالقَضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، أَشْعَر الذراعين والمنكبين ، بادِن متماسك[14] ، سَوَاء الصدر والبطن[15] ، سَبِيح الصدر[16] ، ضَخْم الكَرَادِيس[17] ، أَنْوَر المتَجَرَّد[18]

(١) فصل : بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ، والنزر : القليل ، أى ليس بقليل فيدل على عىّ .

(٢) الهذر : الهذيان ، أى ليس بالقليل الدال على العىّ ولا بالكثير الفاسد ، وفى هامش ج : لا نزر ولا هذر : أى ليس كلامه بقليل لا يفهم ، ولا بكثير يمل .

(٣) الخرزات جمع خرزة : الجوهر ، ونظمه : جعله فى سلك . يتحدرن : يتتابعن فى النزول .

(٤) الجبين : فوق الصدغ .

(٥) أزج الحواجب : الزجج تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد ، وقوله : «عرق يدره الغضب» أى يمتلىء دما إذا غضب كما يمتلىء الضرع لبنا إذا در . النهاية .

(٦) أقنى العرنين : القنى فى الأنف طوله ورقة أرنبته مع حدب فى وسطه ، والعرنين : الأنف .

(٧) أشم : الشمم ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا .

(٨) سهل الخدين : سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين .

(٩) ضليع الفم : أى عظيمه ، وقيل : واسعه ، والعرب تمدح بذلك وتذم بعكسه .

(١٠) أشنب : الشنب البياض والبريق والتحديد فى الأسنان .

(١١) مفلج ، وأفلج : والفلج بالتحريك فرجة بين الثنايا والرباعيات .

(١٢) المسربة : ما دق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف .

(١٣) اللبة : الهزمة التى فوق الصدر وتحت العنق .

(١٤) بادن متماسك : البادن الضخم ، والمتماسك الذى يمسك بعض أعضائه بعضا فهو معتدل الخلق .

(١٥) سواء الصدر والبطن : هما متساويان لا ينبو أحدهما عن الآخر .

(١٦) سبيح الصدر : عريضه . فى رواية الترمذى : عريض الصدر .

(١٧) الكراديس : رءوس العظام ، وقيل : ملتقى كل عظمين كالركبتين والمرفقين ، يعنى ضخم الأعضاء .

(١٨) المتجرد : ما كشف من جسده أى مشرق الجسد .

عريض الصدر ، طويل الزندين ، رَحْب الراحة ، شَثْن الكفّين والقدمين (١) ، سائل الأطراف ، سَبْط القَصَب (٢) ، خُمصان الأخمصين (٣) ؛ مَسيح القدمين ، يَنْبو عنهما الماء ، إذا زال زال قَلِعا (٤) ، وفى رواية : إذا مشى يَقْلَع — كناية عن قوة الخَطْو كالذى يمشى فى طين — ويخطو تكفّيا (٥) ويمشى هَوْنا ، ذَريع المِشْيَة (٦) ، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب (٧) ، وإذا التفت التفت جميعا ، بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زِرّ حَجَلة (٨) أو بيضة حمامة ، لونه كاون جسده عليه خِيلان (٩) ، كأن عرقه اللؤلؤ ، ولَرِيح عرقه أطيب من ريح المِسك الأذفر (١٠) ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم ، قال البَراء : ما رأيت من ذى لِمّة (١١) فى حُلّة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو هريرة : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ فى الجُدُر (١٢) ،

---

(١) شثن الكفين والقدمين : أى إنهما يميلان إلى الغلظ والقصر .

(٢) سبط القصب : القصب الساعدان والساقان ، أى ممتدان ليس فيهما نتوء ولا تعقد .

(٣) خمصان الأخمصين : أى مرتفع الأخمصين ، وهما أسفل القدمين أى إن ذلك الموضع منهما شديد التجافى عن الأرض .

(٤) إذا زال زال قلعا : أراد قوة مشيه ، كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا ، لا كمن يمشى اختيالا ويقارب خطاه ، فإن ذلك من مشى النساء .

(٥) تكفيا : تمايل إلى قدام ، ويروى بالهمز .

(٦) ذريع المشى : سريعه واسع الخطو . (٧) ينحط من صبب : من موضع منحدر .

(٨) زر حجلة : الزر أحد الأزرار التى تشد بها الكلل والستور على ما يكون فى حجلة العروس ، والحجلة : بيت كالقبة يستر بالكلل وتكون له أزرار . (٩) خيلان جمع خال : هو الشامة فى الجسد .

(١٠) الأذفر : طيب الريح .

(١١) ذى لمة : اللمة من شعر الرأس دون الجمة ، فإذا زادت فهى الجمة .

(١٢) الجدر جمع جدر ، وهو أصول الأسنان ، يتلألأ أصول أسنانه ، وفى المواهب : إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه .

وقال جابر بن سَمُرَة، وقد قال له رجل كأنّ وجهه صلى الله عليه وسلم مثلُ السيف، فقال: لا، بل مثلُ الشمس والقمر. وكان مستديرا، وكان عمر بن الخطاب ينشد قول زُهَير بن أبى سُلْمى فى هَرِم بن سِنان:

لو كنتَ مِن شىءٍ سِوَى بَشَرٍ * كنتَ المُضِىءَ لِلَيْلة البَدْرِ (١)

ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كذلك غيره. وفيه عليه السلام يقول عمه العباس (٢) رضى الله عنه وأرضاه:

وأَبيَض يُستَسْقى الغَمامُ بوَجْهِه * رَبِيعُ اليَتامَى عِصْمَةٌ لِلأَرامِل (٣)

تُطِيفُ به الهُلَّاكُ من آل هاشم * فهم عنده فى نِعْمَةٍ وفَضائل (٤) ٨٥/١٦

وميزانُ حقٍّ لا يَخِيسُ شَعيرةً * ووَزّانُ عَدْلٍ وزْنُه غيرُ عائل (٥)

---

(١) فى الديوان: كنتَ المنير، ويروى: كنت المنور ليلة.

(٢) فى نسخ الأصل: العباس، والصواب أن قائل القصيدة أبو طالب والقصيدة مشهورة به.

(٣) ربيع اليتامى؛ المشهور «ثمال اليتامى»: الملجأ والغياث، وقيل: هو المطعم فى الشدّة، والعصمة: المانع من الضياع والحاجة، والأرامل: المساكين من رجال ونساء. كذا فى النهاية.

(٤) تطيف به: تدور حوله. الهلاك جمع هالك، وهو الذى ينتاب الناس ابتغاء معروفهم.

(٥) هذا البيت ورد فى نسخ الأصل على هذا الترتيب وليس كذلك فى قصيدة أبى طالب، وإنما البيت كما فى ابن هشام وابن كثير هكذا:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

ويروى: لا يخس، من أخس أى لا ينقص، أما يخيس فن قولهم: خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده، وعائل: جائر.

ذكر صفة خاتم النبوّة

الذى كان بين كتفى النبي صلى الله عليه وسلم

رُوى عن جابر بن سَمُرَة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : ورأيت خاتمه عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يُشْبِهُ جِسمه ، وعن أبى رِمْثَة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا رِمْثة أَدْنُ منّى أمسحْ ظهرى » فدنوت منه (١) فمسحت ظهره، ثم وضعت أصابعى على الخاتم فغمزتها (٢)، فقيل له : وما الخاتم ؟ فقال : شعر مجتمع عند كتفيه . وعنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت فإذا خَلْف كتفيه مثل النُّفاخة (٣)، قلت : يارسول الله ، إنى أُداوِى فدَعْنى حتى أبُطَّها (٤) وأداويها، قال : «طبيبها الذى خلقها» . وعنه من طريق آخر قلت : يارسول الله إنى طبيب من أهل بيت أطبّاء، وكان أبى طبيبا فى الجاهلية، معروفا ذلك لنا فأْذَن لى فى التى بين كتفيك، فإن كانت سِلْعَة (٥) بطَطتُها فشفا الله نبيه؛ فقال : « لا طبيب لها إلا الله » وهى مثْل بيضة الحمامة .

ذكر صفة شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطوله

روى عن أبى إسحق قال : سمعت البَرَاء يصف شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان شعره إلى شحمة أذنيه . وعنه قال : سمعت البَرَاء يقول : ما رأيت أحدا من خلق الله أحسنَ فى حُلّة حَمْراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) « منه » ساقطة فى ج .

(٢) الغمز : العصر والكبس باليد . وفى كلا الأصلين « غمرتها » بالراء ولعله تصحيف .

(٣) النفاخة : هنة منتفخة تكون فى بطن السمكة .

(٤) البط : شق الدمل والخراج ونحوهما .

(٥) السلعة : غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت .

إن جُمّته لتضربُ قريبا من مَنْكِبيْه، وفى لفظ، من عاتِقيْه . وعن قَتادة قال : قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان شعرا رَجِلا ليس بالسَّبْط ولا بالجَعْد بين أُذُنَيْه وعاتقه . وعن أنس : كان لا يجاوز شعره أذنيه ، وعنه : كان إلى أنصاف أذنيـه . وعن على رضى الله عنه قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوَفْرَة (١) ودون الجُمّـة . وعن أمّ هانِئ قالت : رأيت فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَفَائر أربعا . وعنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم قدم مكة وله أربع غَدَائر . وعن جابر بن سَمُرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر اللحية (٢) . وعن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على قِصَاص (٣) شعره .

ذكر عدد شَيْب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه خَضَب

روى عن حُمَيْد الطويل قال : سُئِل أنس بن مالك هل خَضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ماشانه الله بالشَّيْب ، وما كان فيه من الشَّيْب مايُخْضَب، إنما كانت شَعَرات فى مقدّم لحيته، ولم يبلغ الشَّيْب الذى كان به عشرين شعرة . وفى رواية عن أنس أيضا : ماكان فى رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة . ٨٦/١٦
وعن جابر بن سَمُرة ، وقد سُئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال : كان إذا دَهَن رأسه لم يتبيّن ، وإذا لم يدهنه تبيّن . وعن محمد بن واسع؛ قيل :

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن، والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين .

(٢) هذه رواية مسلم عن جابر بن سمرة ، وفى الأصول : «كثير » يعنى الشعر واللحية» .

(٣) قصاص شعره : منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالمقص .

يارسول الله، لقد أسرع إليك الشَّيْب، فقال: «شيبتني ﴿الٓر. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾(١) وأخواتها». وعن أبي سَلَمَة، قيل: يارسول الله، نرى في رأسك شيبا، قال: «مالي لا أشيب وأنا أقرأ هُودًا و إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(٢)» وفي رواية «وما فُعل بالأمم قبلي». وعن ٱبن عباس رضي الله عنهما قال قال أبو بكر: أراك قد شبت يارسول الله، قال: «شيبتني هُودٌ والوَاقِعَة والمُرْسَلاتُ وعَمّ يَتَسَاءَلُونَ وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» ومن رواية «وأخواتها ٱقْتَرَبَت السَّاعَةُ، والمُرْسَلَاتُ وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» وفي رواية أخرى عن أنس قال قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: بأبي وأمي يارسول الله، وما أخواتها(٣)؟ قال: «الواقعةُ والقارعةُ وسأل سائلٌ و إذا الشَّمسُ كُوِّرتْ» هذا ما رأيناه مما ورد في شيبه وسببه.

وأما من قال إنه خضب صلى الله عليه وسلم

فقد روي عن عبد الله بن مَوْهَبَة(٤) قال: دخلنا على أم سَلَمة رضي الله عنها، فأخرجت إلينا صُرَّة فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا بالحِنّاء والكَتَم(٥). وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: رأيت شعرا من شعره — يعني النبي صلى الله عليه وسلم — فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقيل لي: أحْمَر من الطِّيب. وعن أبي جعفر قال: شَمَطَ(٦) عارضا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخضبه بحِنّاء وكَتَم،

(١) آية ١ سورة هود. (٢) آية ١ سورة التكوير.

(٣) كذا في نسخ الأصل، وكأنه سقط من هنا حديث «شيبتني هود وأخواتها» رواه الطبراني وابن مردويه وابن عساكر، فقال له أبو بكر: وما أخواتها. (٤) تعقبه في التهذيب بأن عبد الله ابن موهب لا يعرف في الرواية، والحديث عن عثمان ٱبنه مولى طلحة. (٥) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر يجعل فيه الزعفران. (٦) الشمط: الشيب.

وعن أبى رِمْثَة أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ذو وَفْرة وبها رَدْعٌ[1] من حِنّاء، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يُصَفِّر لحيته بالخَلوق[2]، ويحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصَفِّر، وعن عبد الرحمن الثُّمالى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغَيِّر لحيته بماء السِّدْر، ويأمر بتغيير الشَّعر مخالفة للأعاجم.

هذا ما أمكن إيراده من صفاته الذاتية، وسنذكر إن شاء الله بعد ذكر صفاته المعنوية، حديث هِنْد بن أبى هَالَة، لجمعه بين صفاته الذاتية والمعنوية.

ذكر صفات رسول الله المعنوية
صلى الله عليه وسلم

وما ورد فى أكله وشربه، ونومه وضحكه وعبادته ونكاحه، وخُلُقه وحلمه واحتماله، وعفوه وصبره على ما يكره، وجُوده وكرمه. وسخائه وسماحته، وشجاعته ونجدته، وحيائه وإغضائه، وحسن عشرته وأدبه، وبسط خُلُقه، وشفقته ورأفته ورحمته، ووفائه وحسن عهده، وصلته للرحم، وتواضعه وعدله وأمانته وعِفّته، وصدق لَهْجته، ووَقاره وصَمْته وتؤدته[3]، ومروءته، وحسن هَدْيه وزهده وخوفه ربه تعالى، وطاعته له وشدة عبادته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

---

(١) ردع: لطخ لم يعمه كله.

(٢) الخلوق: طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقد ورد تارة بإباحته، وأخرى بالنهى عنه، والنهى أكثر وأثبت؛ لأنه من طيب النساء، وهن أكثر استعمالا له. (النهاية لابن الأثير).

(٣) التؤدة: التأنى والتمهل والرزانة.

فأما ما ورد فى أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ من الأكل والشرب بالأقل، وآعتمد من ذلك على ما يُمْسك الرَّمَق ويَسُدّ الخَلّة، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، ولم تزل العرب والحكماء تمادح بقلّتهما وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النَّهَم والحِرْص والشَّرَه، وقلةَ ذلك دليل على القناعة وملك النفس وقَمْع ٨٧/١٦ الشهوة. وقد روينا بإسناد متصل عن المِقدام بن مَعْدِى كَرِب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما ملأ آبن آدم وِعاء شرا من بطنه بحسب آبن آدم أكلات يُقمْن صُلْبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسه». ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب. وقد روى عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضَفَف[1]؛ أى كثرة الأيدى. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط، وإنه كان فى أهله ولا يسألهم طعاما ولا يتشهاه، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قَبِل، وما سَقَوه شرب. قال أهل العلم: ولا يُعترض على هذا بحديث بَرِيرَة، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ألم أرَ البُرْمة فيها لحم»؟ إذ لعل سبب سؤاله ظنُّه آعتقادهم أنه لا يحل له، فأراد بيان سنته، إذ رآهم لم يقدِّموا إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون به عليه، فصدق عليهم ظنه، وبين لهم ماجهلوه من أمره، بقوله: «هو لها صدقة ولنا هدية». وكان جلوسه صلى الله عليه وسلم للأكل جلوس المُستَوفِز[2]، مُقْعِيا، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وفى حديث صحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فلا آكل متكئا» وليس معنى الآتّكاء

(١) أى تناولا مع الناس.

(٢) المستوفز: الذى قعد منتصبا غير مطمئن، مقعيا: أراد أنه كان يجلس على وركيه مستوفزا غير متمكن.

عند المحققين الميل على شق، وإنما الاتكاء هو التمكن للأكل، والتقعد في الجلوس له، كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته، والجالس على هذه الهيئة يستدعى الأكل ويستكثر منه، وكان صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع الطعام من بين يديه قال: «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين». وفى رواية يقول: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع[1] ولا مستغنى عنه ربنا». وكان لا يأكل على خوان[2]، ولا يمتنع من مباح، ولا يتأنق فى مأكل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرا أكله، أو خبزا أكله أو شواء أكله، وإن وجد لبنا اكتفى به، ولم يأكل خبزا مرققا[3]، وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال: «نعم الإدام الخل» وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى[4]. وكان يحب الدباء[5] ويأكله، ويعجبه الذراع من الشاة، وقال: «إن أطيب اللحم لحم الظهر» وقال: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر، وقال: «هذا أدم هذا» وأكل البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب قاعدا، وربما شرب قائما، ويتنفس ثلاثا وإذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه، وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا، وقال: «من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» وقال: «ليس شيء يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن».

(١) غير مودع: أى غير متروك الطاعة، وقيل: من الوداع. و«ربنا» بالنصب على النداء مع حذف الأداة، وفيه توجيهات أخرى (راجع المواهب ٤ : ٤٢١). (٢) الخوان للطعام كالمائدة له.

(٣) الخبز المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة. (٤) الحبارى: طائر يشبه الأوزة له غيرة فى لونه.

(٥) الدباء: قرع معروف كان صلى الله عليه وسلم يحب أكله، وقيل: هو القرع بأنواعه.

وأما نومه صلى الله عليه وسلم

فكان قليلا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال صلى الله عليه وسلم : «إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي» وكان نومه على جانبه الأيمن آستظهارا على قلة النوم لأن النوم على الجانب الأيسر أهنأ؛ لهدوّ القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة؛ لميلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعى ذلك الآستثقال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلق، فأسرع الإفاقة ولم يغمره الآستغراق. وكان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ثم يقوم من السَّحَر، ثم يوتر ثم يأتى فراشه، فإذا سمع الأذان وثب، وكان إذا نام نفخ، ولا يَغِطُّ غَطِيطا، وإذا رأى فى منامه ما يروعه قال : «هو الله لا شريك له» وإذا أخذ مضجعه وضع كفّه اليمنى تحت خدّه، وقال : «رَبِّ قِنِى عذابك يوم تبعث عبادَك» وكان يقول : «اللهم بآسمك أموت وأحيا» وإذا آستيقظ قال : «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النُّشور».

وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم ٨٨/١٦

فكان جُلّه التبسّم، وربما ضحك من شىء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة صلى الله عليه وسلم، وأما عبارته صلى الله عليه وسلم فكان أفصح الناس، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، يباريها فى منزع بلاغتها، وقد تقدم من كلامه فى كتبه إلى ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إلى إقامة دليل بعد أن أنزل القرآن بلغته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بيّن كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثا لتُعقَل عنه،

ويخزن لسانه لا يتكلم فى غير حاجة ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فَصْلٌ لا فُضول ولا تقصير ، وكان يتمثّل بشىء من الشّعر ويتمثل بقوله (١) :

* ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ *

وبغير ذلك ، صلى الله عليه وسلم .

وأما النكاح وما يتعلق به

فهو مما يكثر التمدح بكثرته وذلك ؛ لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتمادح به سيرة ماضية وسنة مأثورة ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . مشيرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : «تناكحوا (٢) فإنى مباهٍ بكم الأمم » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن أقدره الله تعالى على ذلك وحببه له ، فكان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه فى الساعة من الليل (٣) والنهار ، وهنّ إحدى عشرة (٤) ، رواه أنس ، قال : وكنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين ، خرّجه النّسائى . وعن طاوس : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا فى الجماع ، ومثله عن صفوان بن سُلَيْم . وقالت سلمى مولاته : طاف النبى صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع ، ويطهر من كل واحدة قبل أن آتى الأخرى . وقال : « هذا أطهر وأطيب » .

---

(١) البيت لطرفة من معلقته ، وأوله :

* ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا *

(٢) المشهور « تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم » ولا يعرف حديث بهذا اللفظ الوارد فى الأصول راجع المواهب ج ٥ ص ٧٧ .

(٣) فى شرح المواهب : فى الليلة الواحدة ثم فسرها بالساعة الواحدة ، ورواية أنس : فى الساعة الواحدة . المواهب ٥ ص ٧٣ .

(٤) إحدى عشرة : تسع زوجات ومارية وريحانة .

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم

فقد قال الله عز وجل فيه مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »(١) قالت عائشة رضى الله عنها : كان خُلُقُه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه، وقال صلى الله عليه وسلم : «بعثتُ لأُتَمِّم مكارمَ الأخلاق» قال على وأنس رضى الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس خُلُقا . وكان صلى الله عليه وسلم — فيما ذكره المحققون — مجبولا على ذلك فى أصل خِلقته وأول فِطْرته ، لم يحصل ذلك له باكتساب ولا رياضة ، إلا بجود إلهى وخصوصيّة ربانيّة ، ومن طالع سيرته مُنْذُ صِباه و إلى آخر عمره ، حقّق ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وأما حِلمه واحتماله وعفوه

مع القدرة، والصبر على ما يكره، فقد جعلوا بين هذه الألقاب فرْقا، فقالوا : الحِلْمُ حالة توْقير وثبات عند الأسباب المحرِّكات، والاحتمالُ حبسُ النفس عند الآلام والمؤذيات ، ومثله الصبر ، ومعانيها متقاربة ، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة ، وهذا كله مما أدّب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»(٢) رُوِى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له : حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال : « يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى مَن حرمك وتعفو عمن ظلمك» . وقال تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ

---

(١) آية ٤ سورة القلم .

مِن عَزْمِ الْأُمُورِ[1] » وقال : « فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ[2] » . وقد روى فى حلمه وٱحتماله وعفوه وصبره أحاديث كثيرة وقصص مشهورة ، قد تقدم منها فى أخباره، فى أثناء هذه السيرة جملة كافية، ونحن نشير الآن فى هذا الموضع إليها، وننبّه فى هذه الترجمة عليها ، منها قصة أُحُدٍ حين ناله من أذى كفار قريش ما ناله مما قدمنا ذكره، فشق ذلك على أصحابه، وقالوا: يا رسول الله، لو دعوت عليهم، فقال : « إنى لم أبعث لَعَّانا ولكنّى بعثتُ داعيًا ورحمةً اللهم آهْدِ قومى فإنهم لا يعلمون » روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه قال فى بعض كلامه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: «ربِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا[3]» ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وُطِئَ ظهرك وأُدمِى وجهك وكسرت رَباعيتك، فأبيتَ أن تقول إلا خيرا، فقلتَ: «اللهم آغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» . ومنها قصتا غَوْرَث[4] بن الحارث، ودُعْثُور بن الحارث حين أرادا أن يَفْتِكا به، وأظفره الله بهما، وأمكنه منهما فعفا عنهما ، كما تقدم ذكر ذلك فى غزوتى غَطَفَان وذات الرِّقاع ، ومنها عفوه عن الذين هبطوا عليه فى عُمْرة الحُدَيْبِية، وأرادوا قتله فأخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، ومنها صفحه عن قريش حين أمكنه الله منهم يوم الفتح ، وهم لا يشكون فى آستئصال شأفتهم و إبادة خضرائهم، لما تقدم من أذاهم له ، فمازاد على أن عفا وصفح، وقال: «ما تقولون إنى فاعل بكم» قالوا : خيرا، أخٌ كريمٌ وآبن أخ كريم، فقال : «أقول كما قال أخى

(١) آية ١٧ سورة لقمان . (٢) آية ٣٥ سورة الأحقاف .

(٣) آية ٢٦ سورة نوح . (٤) هو الذى سل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفتك به فرماه الله بزلخة بين كتفيه وندر سيفه ، والزلخة وجع فى الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته . ودعثور بن الحارث سيد غطفان معدود فى الصحابة وقصة إسلامه فى أسد الغابة ، وفيه الاختلاف فى نسبة هذه الحادثة إلى كل من دعثور وغورث .

يوسف «لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»(١) . ومما لم نذكره فيما أتينا عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ، ما ورد فى الحديث الصحيح من قول الرجل له : اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فلم يزده صلى الله عليه وسلم فى جوابه إلا أن بين له ما جهله ، ووعظ نفسه وذكَّرها بما قال له ، فقال : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خِبتُ وخسرتُ إن لم أعدل » ونهى من أراد قتله من أصحابه . ومنه ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْد غليظ الحاشية ، فجَبَذه أعرابىّ بردائه جَبْذة شديدة حتى أثَّرت حاشيةُ البُرْد فى صفحة عاتقه . ثم قال : يا محمد ، احمل لى على بعيرىَّ هذين من مال الله الذى عندك ، فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك ، فسكت النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : « المال مال الله وأنا عبده » ثم قال : « ويُقاد(٢) منك يا أعرابى ما فعلت بى » ؟ قال : لا ، قال « لم » ؟ قال : لأنك لا تكافئ بالسَّيئة السَّيئة ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيرٌ وعلى الآخر تمْر .

ومنه خبر زيد بن سَعْنة(٣) حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ، وكان من أحبار يهود ، فجاءه يتقاضاه دَيْناً عليه ، فجَبَذ ثوبه عن مَنْكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ، ثم قال : إنكم يا بنى عبد المطلب مُطُل(٤) فانتهره عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشدّد له فى القول ، والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسّم ، فقال رسول الله

(١) آية ٩٢ سورة يوسف . (٢) يقاد منك : يقتص منك .

(٣) سعنة : بالنون ويقال : سعية بالياء ، والنون أكثر ، كذا فى أسد الغابة .

(٤) مطل بضم الميم والطاء : جمع ماطل ، كذا فى شرح المواهب ، وهو خلاف القياس ؛ أى تسوفون بالوعد مرة بعد أخرى .

صلى الله عليه وسلم : « أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج ياعمر، تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى » ثم قال : « لقد بقى من أجله ثلاث » وأمر عمر يقضيه ماله و يزيده عشرين صاعا لما روّعه ، فكان سبب إسلامه ؛ وذلك أنه كان يقول : ما بقى من علامات النبوّة شىء إلا وقد عرفتها فى محمد إلا ٱثنتين ؟ لم أخبرهما ؛ يسبق حلمُه جهلَه[1]، ولا يزيده شدةُ الجهل إلا حلما ؛ فٱختبرته بهذا فوجدته كما وُصف . والحديث عن حلمه وصبره وعفوه كثير ؛ رُوى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْتصرا من مَظْلمة ظُلِمَها قَطُّ ما لم تكن حُرمةً من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما ضرب خادما ولا آمرأة . وجىء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك، ٩٠ / ١٦

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تُراعَ[2] لن تُراعَ ولو أردت ذلك لم تُسَلَّط علىّ » صلى الله عليه وسلم .

وأما جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته صلى الله عليه وسلم

ومعانيها متقاربة ، وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم : الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه — وسموه أيضا حُرِّيَة[3] — وهو ضد النَّذالة . والسَّماحة : التّجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس، وهو ضد الشَّكاسة . والسَّخاء : سهولة الإنفاق وتجنُّب ٱكتساب ما لا يُحْمَد، وهو الجُودُ، وهو ضد التَّقْتير؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأرفع، بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة، منها ما رويناه فى صحيح البخارىّ عن ٱبن المُنْكَدِر

(١) الجهل هنا المراد به الغضب . (٢) لن تراع : أى لافزع ولا خوف .

(٣) الحرية من معانيها : من لم تتملكه الصفات الذميمة ، من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية (مفردات الراغب ١١٠) وفى كلا الأصلين « جرية » بالجيم ولعلها محرفة عما أثبتناه .

قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول: ماسئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا .
وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم أَجْوَد الناس بالخير ، وأجْوَد ما كان فى شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل عليهما السلام أجْوَدَ بالخير من الرِّيح المُرْسَلة . وعن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه غَنَمًا بين جَبَلَيْن، فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإن محمدا يُعطِى عطاءَ من لا يخشى فاقة . وقد ذكرنا ما أعطاه صلى الله عليه وسلم من غنائم هَوازِن .
وأخباره صلى الله عليه وسلم فى ذلك كثيرة، وعطاياه فاشِيَة، لو آستقصيناها لطال بها التأليف، وكان لا يَبيت فى بَيْته دينارٌ ولا درهم . فإن فَضَل ولم يجد مَن يعطيه وبَغَتَه(١) الليلُ لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قُوت أهله عاما فقط، من أيسر ما يجد من التَّمر والشَّعير، و يضع سائرَ ذلك فى سبيل الله، ثم يُؤْثِر(٢) من قُوت أهله حتى يحتاج قبل آنقضاء العام؛ صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين .

وأما شجاعته ونَجْدته صلى الله عليه وسلم

فقد قالوا : الشَّجاعة فضيلة قوة الغضب ، وآنقيادها للعقل ، والنَّجْدة : ثِقَة النفس عند آسترسالها إلى الموت حيث يُحمَد فعلها دون خَوْف ؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يُجهَل ، قد شهد المواقف الصَّعْبة، وفَرّ الكُماة والأبطال عنه، وهو ثابت لا يَبْرح ، ومُقبِل لا يُدْبِر، وقد قدّمنا من أخباره وثباته وحملاته فى يومى أُحُد وحُنين ما تقف عليه هناك . وقد روينا بإسناد مُتَّصل عن البَراء ، وقد سأله رجل : أفررتم يوم حُنَيْن عن رسول الله

(١) بغته وبغاه (بالكسر والفتح) : هجم عليه من غير أن يشعر به .   (٢) يؤثر : يعطى .

صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَفِرَّ ، ثم قال : لقد رأيته على بَغلته البَيْضاء وأبو سُفْيَان آخذ بلِجَامها ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا النبيُّ لا كَذِب » وزاد غيره « أنا آبن عبد المطلب » قيل : فمارِىءَ يومئذ أحدٌ كان أشد منه . وقال غيره : نزل النبى صلى الله عليه وسلم عن بغلته .

وذكر مسلم عن العباس قال : فلما ٱلتقى المسلمون والكفار وَلّى المسلمون مُدْبِرين فطَفِق رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرْكُض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكُفُّها إرادَةَ ألاّ تُسرِع وأبو سُفْيَان آخذ بركابه ، ثم نادى بالمسلمين(١). الحديث . وقال آبن عمر : ما رأيت أشْجَع ولا أنْجَد ولا أجْوَد ولا أرْضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : إنا كنا إذا حَمِيَ البَأْس — و يروى آشتدّ البَأْسُ — وآحمرت الحَدَق ، آتّقَيْنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه ، ولقد رأيْتُنى يوم بَدْر ، ونحن نَلُوذُ بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أقْرَبُنا إلى العدوّ ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا . وقيل : كان الشجاع الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دَنَا العدوُّ لقربه منه .

وعن أنس قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس ؛ لقد فَزِع أهل المدينة ليلةً فآنطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا قد سبقهم إلى الصوت وآستبرأ(٢) الخبر ، على فرس لأبى طَلْحَة عُرْىٍ(٣) ، والسّيف فى عُنقه ، وهو يقول : « لن تُرَاعُوا(٤) » . وقال عِمْران ابن حُصَيْن : ما لَقِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كَتِيبَةً إلاّ كان أول من يضرب .

(١) المشهور : أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس : « ناديا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » يعنى شجرة الرضوان التى بايعوا تحتها ألا يفروا عنه . كما فى مسلم والبخارى . راجع غزوة حنين فى شرح المواهب ٣ : ١٤

(٢) استبراء الخبر : كشفه والوقوف على حقيقته ، وفى المواهب : استبرأ فعل ماض .

(٣) عرى : (بضم المهملة وسكون الراء) : ... ولا أداة .

(٤) لن تراعوا : أى ليس هناك شىء تخافونه .

وأما حياؤه و إغضاؤه صلى الله عليه وسلم

والحَيَاء : رِقَّة تَعْتَرِى وجه الإنسان عند فعل ما يُتَوَقَّع كراهتهُ أو ما يكون تركه خيرا من فعله . والإِغْضَاء : التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس حَيَاء ، وأكثرهم عن العَوْرات إغْضَاء ، وقد أخبر الله تعالى بحيائه فقال: «إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ»(1) وعن أبى سعيد الخُدْرِىّ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ حيَاء من العَذْرَاء فى خِدْرِها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم لا يُشَافِهُ أحدا بما يكره حياءً وكرم نفس . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بَلَغه عن أحدٍ ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول: «ما بالُ أقوام يصنعون — أو يقولون — كذا» ينهى عنه ولا يسمِّى فاعلَه . وروى أنس رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثَرُ صُفْرة ، فلم يقل له شيئا — وكان لا يُواجِه أحدا بما يكره — فلما خرج قال : « لو قلتم له يغسل هذا » ويروى « ينزعها » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد ، وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره ، صلى الله عليه وسلم .

وأما حُسن عِشْرَته وأدَبِه و بَسْط خُلُقِه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس عِشْرَة ، وأكثرهم أدبا ، وأبسطهم خُلُقا مع أصناف الخلق ، انتشرت بذلك الأخبار الصحيحة ، منها ما رويناه بسند متصل عن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة فى آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سَعْدٌ حمارا

(1) آية ٥٣ سورة الأحزاب .

ووطّأ عليه بقَطِيفَة، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال سعد : يا قيس، آصحب رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، قال قيس : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «آركب» فأبَيْتُ، فقال: «إما أن تَركب و إما أن تنصرف» فآنصرفت، وفى رواية أخرى: « آركب أمامى فصاحب الدابة أولى بمُقَدَّمها » . وكان صلى الله عليــه وسلم لا يدع أحدا يمشى معــه وهو راكب حتى يحمــله ، فإن أبى قال : « تقدَّمنى إلى المكان الذى تريد » وركب صلى الله عليه وسلم حمارا عُرْيًا إلى قُبَاء، وأبو هريرة معه، فقال : « يا أبا هريرة أحملك »؟ فقال : ماشئت يا رسول الله، فقــال : « آركب » وكان فى أبى هريرة ثِقَلٌ، فوثَب ليركب فلم يقدر، فآستمسك برســول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا، ثم ركب صلى الله عليــه وسلم فقال : « يا أبا هريرة أحملك » ؟ فقال : ما شئت يا رسول الله ، فقال : « آركب » فلم يقدر على ذلك ، فتعلق برســول الله صلى الله عليــه وسلم فوقعا جميعا ، ثم قال : «يا أبا هريرة أحملك» ؟ فقال : لا ، والذى بعثك بالحق لاصَرَعْتُكَ ثالثا . وكان لا يدع أحدا يمشى خلفه و يقول : « خلوا ظهرى للملائكة » . وكان رســول الله ٢/٦
صلى الله عليه وسلم يُؤَلِّف أصحابه ولا ينفِّرهم، و يُكرِم كَرِيم كلِّ قوم و يولِّيه عليهم، و يحَذِّر الناسَ ويحترس منهم ، من غير أن يَطوِى عن أحد منهم بِشْره ولا خُلُقَــه، يتفقّد أصحابه، و يعطى كلّ جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسُه أنّ أحدا أكرم عليه منــه، مَنْ جالسه أو قاربه لحاجة صابَره حتى يكون هو المنصرِف عنه، ومن سأله حاجة لم يَرُدّه إلا بها، أو بمَيْسُور من القول، قد وَســع الناسَ بَسْطُه وخُلُقُه فصار لهم أبًا وصاروا عنده فى الحق سواء، هكذا وصفه آبن أبى هَالَة، قال : وكان دائمَ البِشْر سَهْلَ الخُــلُق لَيِّن الجانب ، ليس بفظّ ولا غليظ ، ولا سَخّاب(١) ولا فَحّــاش ،

(١) سخاب : السخب والصخب الصياح، أى ليس بذى صياح ولا بذى فحش .

ولا عَيّاب ولا مَدّاح ، يتغافل عما لا يُشتهى ولا يُؤْنَس منه . وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ، ولو كانت كُراعا [(١)] ، ويُكافِئ عليها ، قال أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أُفٍّ قَطّ ، وما قال لشىء صنعتُه لِمَ صَنعتَه ، ولا لشىء تركتُه لِمَ تركتَه ، ومن رواية أخرى عنه قال : خدمته نحوا من عشر سنين فوالله ما صحبته فى سفر ولا حضر لأخدمه إلا وكانت خدمته لى أكثر من خدمتى له ، وما قال لى أُفٍّ قطّ ، ولا قال لشىء فعلتُه لِمَ فعلتَ كذا ، ولا لشىء لم أفعله ألَّا فعلتَ كذا ؟ . وكان صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل : يا رسول الله ، علىّ ذَبْحُها ، وقال آخر : علىّ سَلْخُها ، وقال آخر : علىّ طبخُها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعلىّ جَمْعُ الحطب » قالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : « علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه مميزا بين أصحابه » وقام بجمع الحَطَب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان أحد أحسنَ خُلُقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : « لبيك » وكان يُمازِح أصحابه ويُخالطُهم ويُحادثهم ويُداعِب صِبيانهم ويُجلسهم فى حِجْره ، ويجيب دعوة الحُرّ والعبد والأمة والمِسْكين ، ويَعُود المرضى فى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، قال أنس : ما التَقَم [(٢)] أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحّى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحّى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، ولم يُرَ مقدِّما ركبتيه بين يدى جليس له ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، لم يرَ قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يُضيّق بهما على

(١) كراع كغراب : مستدق الساق العارى من اللحم .

(٢) معنى التقم هنا : جعل فمه يحاذى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحد ، يكرم من يدخل عليـه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التى تحته ، ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى ، ويكنّى أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوّز فيقطعه بنهى أو قيام ، ويروى : بانتهاء أو قيـام ، ويروى : أنه كان لا يجلس إليـه أحد وهو يصلى إلا خفّف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد ، إلى صلاته ، وكان أكثر الناس تبسّما ، وأطيبهم نفسا ، ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب .

وأما شفقته ورأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق

فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف ؛ فقال تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »(١) وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »(٢) فكان من شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسّواك مع كل وضوء » وخبر صلاة الليل ، ونهيهم عن الوصال(٣) ، وكراهيته دخول الكعبة لئلا يعنت(٤) أمته ، ورغبته لربه أن يجعـل سبّه ولعنه لهم رحمـة ، وأنه كان يسمع بكاء الصّبى فيتجوز(٥) فى صلاته . ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال : « أيّمـا رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة(٦) وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة » . ومن ذلك أنه لمـا كذّبه قومه أتاه جبريل عليـه السلام فقال له :

(١) آية ١٢٨ سورة التوبة .

(٢) آية ١٠٧ سورة الأنبياء .

(٣) الوصال فى الصوم : ألا يفطر يومين أو أياما .

(٤) يعنت : يشـق عليهم ؛ أى بالازدحام . فى هامش جـ « فى نسخة يتعب أمته » .

(٥) يتجوز : يخفف ويقلل .

(٦) صلاة : دعاء .

إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك ، وقد أمر مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداه مَلَك الجبال وسلم عليه ، فقال : مرنى بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخْشَبَيْن(١) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا» . وروى ابن المنكدر : أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تُطيعك ، فقال : «أُؤَخِّر عن أمتى لعل الله أن يتوب عليهم» . ومن ذلك ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : «لا يُبلغنى أحدٌ منكم عن أحد من أصحابى شيئا ، فإنى أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سَليم الصَّدْر» . وقال ابن مسعود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَخَوّلنا(٢) بالموعظة مخافة السآمَة علينا ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ من ذلك الغاية التى لا يُدرك شأْوُها ، ولا يُبلَغ مَدَاها ، ولا يطمع طامع سواه بالاتّصاف بها ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة ، من ذلك ما رويناه بإسناد مُتّصل عن عبد الله بن أبى الحَمْسَاء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث ، فجئت فإذا هو فى مكانه ، فقال : «يافتى لقد شققت علىّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك» . وعن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أُتِى بهدية قال : «آذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحبّ خديجة» . وعن عائشة

(١) الأخشبان : جبلان مطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا ، من قولهم : فلان خائل مال ؛ وهو الذى يصلحه و يقوم عليه .

أمّ المؤمنين رضى الله عنها قالت : ما غِرتُ على آمرأة ماغِرتُ على خديجة ؛ لِمَا كنتُ أسمعه يذكرها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها (١) ، وآستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ، ودخلت عليه آمرأة فهشّ لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإنّ حُسْن العهد (٢) من الإيمان » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء غير أن لهم رَحِما سأبُلُّها بِبِلالها (٣) » . وعن أبى قتادة قال : وَفَد وَفْدٌ للنجاشى ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : « إنهم لأصحابنا مُكْرِمين وإنى أحبّ أن أكافئهم » . ولما جىء بالشّيْماء أخته من الرضاعة فى سبايا هَوَزان وتعرفت له ، بسط لها رِدَاءه ، وقال لها : « إن أحببت أقمت عندى مكرّمة مُحبّة أو مَتّعْتك ورجعت إلى قومك » فآختارت قومها فمتعها . وقال أبو الطُّفَيل : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غُلامٌ ، إذْ أقبلت آمرأةٌ حتى دَنَت منه ، فبسط لها رِدَاءَه فجلست عليه ، فقلت من هذه ؟ قالوا : أمه التى أرضعته . وعن عمرو (٤) بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرّضاعة ، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أمّه فوضع لها شِقّ ثوْبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يَدَيْه . وكان يبعث إلى ثُوَيبة مولاة أبى لهب مُرْضعته بصِلَة وكُسْوة ، فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل : لا أحد . وفى حديث خديجة رضى الله عنها

(١) خلائلها : صواحباتها . (٢) العهد : يريد الحفاظ ورعاية الحرمة .

(٣) (البلال) جمع بلل ، وقيل : كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره ؛ أى أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئا . (٤) كذا فى الأصول والمواهب ٤ : ٢٧٦ وقال شارحها : ... رواية عمر » . وهو فى التهذيب « عمر » أيضا .

٩٤ / ١٦ أنها قالت له صلى الله عليه وسلم فى ٱبتداء النبوة : أبشر فوالله لا يُخْزِيكَ الله أبدا[١] ، إنك لتصل الرَّحِم ، وتَحمِل الكَلَّ[٢] ، وتُكْسِبُ المَعْـدُومَ[٣] ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتُعِين على نوائب الحقِّ[٤] .

وأما تَوَاضعه صلى الله عليه وسلم مع علوِّ منصبه ورِفْعة مرتبته

فكان صلى الله عليه وسلم أشدَّ النـاس تواضعا ، وأقلهم كِبْرا ، وقد جاء أنه خُيِّر بين أن يكون نَبِيًّا مَلِكا، أو نَبِيًّا عبدا،فٱختار أن يكون نَبِيًّا عبدا ، فقال له إسْرَافيل عنـد ذلك : فإن الله قد أعطاك بمـا تواضعت له أنك سيِّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنْشَقّ الأرض عنه، وأول شافع . ومما رويناه بسند مُتَّصل عن أبى أُمَامة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكِّئًا على عَصًا، فقمنا له فقـال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعَظِّم بعضُها بعضًا » . وقال : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وكان يركب الحمار، ويُرْدِف خلفه ، ويعـود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبـد ، ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم، حيث ما ٱنتهى به المجلس جلس . وعن أنس : أن ٱمرأة كان فى عقلها شىءٌ جاءته فقالت : إن لى إليك حاجة، قال : « ٱجلسى يا أمَّ فلان فى أى طُرُق المدينة شئت أجلسْ إليك حتى أقضى حاجتك » قال : فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليهـا حتى فرغت من حاجتها . قال أنس : حَجّ رسول الله صلى الله عليه وسـلم على رَحْل رَثٍّ وعليه قَطِيفة ما تساوى أربعـة دراهم ، فقال :

(١) لا يخزيك : لا يذلك ولا يهينك .

(٢) الكل : الثقل من كل ما يتكلف ، والكل العيال .

(٣) تكسب : تعطى الناس الشىء المعدوم عندهم وتوصله إليهم .

(٤) النوائب : ما ينزل من الحوادث والمهمات .

« اللهم اجعله حَجًّا لا رِيَاء فيه ولا سُمْعة » . هذا وقد أهدى فى حجه ذلك مائة بَدَنة ، ولما فتحت عليه مكة دخلها وقد طَأْطَأَ رأسه على رَحْله حتى كاد يمس قادِمَتَه تواضعا لله تعالى .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه بأبيه ليُسْلِم فقال : « لِمَ عَنَّيْتَ الشيخَ (١) يا أبا بكر ألا تركته حتى أكون أنا آتيه فى منزله » وقد تقدم ذكر ذلك فى الفتح . وعن عائشة والحسن وأبى سعيد وغيرهم رضى الله عنهم ، فى صفته صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يزيد على بعض ، أنه كان صلى الله عليه وسلم فى بيته فى مِهْنَة (٢) أهله ، يَفْلِى (٣) ثوبَه ، ويحلب شاتَه ، ويرقّع ثوبه ، ويَخْصِف (٤) نعله ، ويخدم نفسه ، ويَقُمّ (٥) البيتَ ، ويَعْقِل البعير ، ويَعْلِف ناضِحه (٦) ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ويحمل بِضَاعَته من السُّوق . وعن أنس : أن كانت الأَمَة من إِمَاء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها . ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له : « هوّن عليك فإنى لست بمَلِك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القَدِيد (٧) » . وعن أبى هريرة قال : دخلت السُّوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سَرَاوِيل ، وقال للوزّان « زِنْ وأَرْجِحْ » وذكر القصّة ، قال : فوثب إلى يد النبى صلى الله عليه وسلم يقبّلها فجذب يده ، وقال : « هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بمَلِك إنما

---

(١) عنيه : كلفه ما يشق عليه . (٢) المهنة : الخدمة ، ومهنة أهله خدمتهم .

(٣) يفلى : يزيل ما التزق به من قمل غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم نور ، والقمل من الوسخ ، وهو نظيف طاهر . (المواهب ٤ : ٣١٧) . (٤) الخصف : ترقيع النعل .

(٥) يقم : يكنس . (٦) الناضح : الجمل ، أو الجمل الذى يحمل الماء من النهر أو بئر .

(٧) القديد : اللحم المجفف .

أنا رجل منكم » ثم أخذ السّراويل فذهبت لأحمله فقال : « صاحبُ الشيء أحق بشَيْئه أن يحمله » . وقد ذكر الأمين العاصميّ بعض ذلك فى قصيدة له فقال :

يا جاعلًا سنن النبي … شعاره ودِثاره (١)
مُتمسِّكا بحديثه … متتبِّعا أخبارَهُ
سُنَنَ الشّريعة خُذْ بها … متوسِّما (٢) آثارَهُ
وكذا الطريقة فاقتبِسْ … فى سُبْلها أنوارَهُ
قد كان يَقْرِى (٣) ضيفَه … كرمًا ويحفظ جارَهُ
ويجالس المسكين يؤ … ثِرُ قربَه وجوارَهُ ٩٥ / ١٦
الفقر كان رِداءه … والجوع كان شعارَهُ
يَلْقَى بغُرّة (٤) ضاحك … مستبشرًا زوّارَهُ
بَسَط الرِّداء كرامةً … لكريم قوم زارَهُ
ما كان مختالا ولا … مَرِحًا (٥) يَجُرّ إزارَهُ
قد كان يركب بالرَّديـ … ـف من الخضوع حمارَهُ
فى مَهْنة (٦) هو أو صلا … ةٍ ليلَه ونهارَهُ
فتراه يَحْلُب شاة منـ … ـزله ويوقد نارَهُ
مازال كَهْفَ مُهاجريـ … ـه ومُكرِمًا أنصارَهُ
بَرًّا بمُحسنهم مُقيـ … ـلًا لِلْمُسيء عِثارَهُ
يَهَبُ الذى تحوى يدا … هُ لطالبٍ إشارَهُ

---

(١) الدثار : الثوب فوق الشعار . (٢) متوسما : متحليا بآثاره . (٣) يقرى : يطعم .
(٤) الغرة : بياض الوجه . (٥) المرح : الأشر والبطر والتبختر والاختيال .
(٦) المهنة : الخدمة .

زَكَى عن الدنيا الدَّنِ ... يّة ربُّه مقــدارَهُ
جعــل الإله صــلاته ... أبدا عليـــه نُثَارَهُ(١)
فٱخْتَرْ من الأخلاق ما ... كان الرسـولُ ٱختارَهُ
لِتُعَــدَّ سُنِّيًّا وتُــو ... شِك أن تَبَوَّأ(٢) دارَهُ

وأما عدله وأمانته وعِفَّته وصِدق لَهْجَته صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، وآمن الناس، وأعَفّ الناس، وأصدق الناس لَهْجَة منذ كان، وكان يسمى قبل نبوّته الأمين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « والله إنى لأمينٌ فى السماء أمينٌ فى الأرض » وقد صدّقه عِداه فى مواطن كثيرة تقدّم ذكرها، وقد قدّمنا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل: « ويحك إن لم أعدل فمن يعدل خِبتُ وخَسِرتُ إن لم أعدل ». وقال ٱبن خالويه: جَزّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاره ثلاثة أجزاء: جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جَزّأ جُزْأَه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامّة، ويقول: « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لايستطيع أمّنه الله يوم الفَزَع الأكبر ». وعن الحسن قال: كان رســول الله صلى الله عليه وســلم « لا يأخذ أحدًا بقَرْف(٣) أحَد ولا يُصدِّق أحدًا على أحد » صلى الله عليه وسلم، ولم تمس يده ٱمرأة قَطّ لا يَمْلِك رِقَّها أو نكاحها أو تكون ذات محرم ».

---

(١) النثار: ما يلق متفرقا. شبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم باللؤلؤ المنثور.
(٢) تبوّأ: نزل وسكن.
(٣) بهامش جـ: « قرفت الرجل بسوء ظننته به أو رميته به، وقرفه بالأمر إذا أضافه إليه ».

وأما وَقَاره وصَمْته وتُؤَدَته ومُرُوءَته

وحسنُ هَدْيِهِ صلى الله عليه وسلم

فقد روينا بإسناد مُتَّصل عن خارجة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَوْقَر الناس فى مجلسه لا يكاد يُخرج شيئا من أَطْرَافه . وروى أبو سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فى المجلس آحتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه مُحتبِيا(١) . وعن جابر بن سَمُرَة : أنه تَرَبَّع، وربما جلس القُرْفُصَاء(٢) ، وكان كثير السُّكوت ، لا يتكلم فى غير حاجة ، يُعرِض عمن تكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسُّما وكلامه فَصْلًا(٣) لا فُضُول ولا تَقْصِير ، وكان ضحك ٩٦/١٦ أصحابه عنده التَّبَسُّم توقيرا له وآقتداء به ، مجلسه مجلس حِلْم وحَيَاء وخَيْر وأَمَانَة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤْبَنُ(٤) فيه الحُرَم ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير . وفى صفته : يخطُو تَكَفُّؤًا(٥) ويمشى هَوْنًا(٦) كأنما يَنْحطّ من صَبَب(٧) . وفى الحديث الآخر : «إذا مشى مشى مجتمعا ، يعرف فى مِشْيَته أنه غير غَرِض ولا وَكِل» ؛ أى غير ضَجِر ولا كسلان . وقال عبد الله بن مسعود : إنّ أحسن الهَدْىِ هَدْىُ محمد صلى الله عليه وسلم . وعن جابر بن عبد الله : كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْتِيل أو تَرْسِيل(٨) ، قال آبن أبى هَالَة : كان سكوته على أربع : على الحلم ،

(١) الاحتباء : أن يعتمد على ساقيه ويديه . (٢) بهامش جـ : «القرفصاء : جلسة المحتبى بيديه، يقال : قرفص إذا شد يديه تحت رجليه ، والحبو ضم الساق إلى البطن بثوب» .

(٣) فصلا : بينا ؛ ظاهرا يفصل بين الحق والباطل ، كقوله تعالى : «إنه لقول فصل وما هو بالهزل» .

(٤) تؤبن : أى يصان مجلسه عن رفث القول ولا تذكر فيه الحرم بقبيح .

(٥) تكفأ : تمايل إلى قدام ، ويروى غير مهموز «تكفى تكفيا» .

(٦) هونا : الهون الرفق واللين والتثبت . (٧) الصبب : الموضع المنحدر .

(٨) الترتيل : التأنى والتمهل ، و«أو» إشارة إلى أنه روى بكل منهما وروى بالواو فهو عطف تفسير .

والحَذَر، والتقدير، والتفكر . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عدّه العادُّ لأحصاه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطِّيب والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول : « حُبِّبَ إلىّ من دنياكم النِّساءُ، والطِّيب وجُعلت قُرَّة عيْنِى فى الصلاة » . ومن مُروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب، والأمر بالأكل مما يلى ، والأمر بالسِّواك، وإنقاء البَرَاجِم(١) والرَّواجب ، واستعمال خِصال الفِطرة(٢) . صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أبدا دائما إلى يوم الدين ، آمين .

وأما زُهْده فى الدنيا صلى الله عليه وسلم

فحسبك من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم تُوفِّى ودِرْعُه مرهونة عند يهودىّ فى نفقة عياله ، بعد أن فتح الله عليه من الفتوحات ما ذكرناه، وآتاه من الأخماس والصفايا(٣) ما قدمناه، فآثر بذلك كله(٤)، وكان يقول: « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا(٥) » وسنذكر إن شاء الله تعالى فى أحواله ماناله من شِدّة العَيْش والجوع ما تقف عليه هناك .

قالت عائشة رضى الله عنها : لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شىء يأكله ذو كَبِد إلا شَطْر شعير(٦) فى رَفّ لى، وقال لى : « إنِّى عُرِضَ علىّ أن تُجْعَل لى

---

(١) فى هامش ج : « البراجم رءوس السلاميات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه نشزت ، واحدتها برجمة ، والرواجب : بطون السلاميات ، واحدتها راجبة ، والسلاميات واحدتها سلامى ، وهى العظام التى بين كل مفصلين من مفاصل الأصابع ، ويقال لها الفصوص » .

(٢) الفطرة : الإسلام ، والفطرة هنا سنة الأنبياء عليهم السلام التى أمرنا بالتأسى .

(٣) الصفايا جمع صفية : ما يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة .

(٤) آثر بذلك : فضل وقدم ؛ أى أعطاه لغيره من فقراء المسلمين .

(٥) قوتا : قليلا يكفى لسد الرمق .

(٦) شطر شعير ؛ قيل : المراد به بعض شعير أو نصف منه . قاله فى شرح المواهب ، والرف (بالفتح والشد) : شبه الطاق فى الحائط . (الصحاح) .

بَطْحاء مكة ذهبًا ، فقلت لا يا ربّ أجوعُ يوما وأشبعُ يوما ، فأمّا اليوم الذى أجوع فيه فأتضرّع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذى أشبع فأحمدك وأثنى عليك» .

وفى حديث آخر : « إن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له : إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبًا، وتكون معك حيثما كنت؟» فأطرق ساعة ثم قال : « يا جبريل، إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له » فقال له جبريل : ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت . صلى الله عليه وسلم .

وأما خوفه رَبَّه ، وطاعتُه له ، وشدّة عبادته صلى الله عليه وسلم

فكان ذلك على قدر علمه بربه تبارك وتعالى ؛ ولذلك قال فيما رويناه بسند متصل عن سعيد بن المسيّب : إن أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » . ومن رواية عن أبى عيسى الترمذىّ عن أبى ذَرٍّ : « إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أَطّتِ السماء (١) وحُقّ لها أن تئطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها مَلَك ساجد لله واضع جبهته ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذّذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات (٢) تَجْأَرون إلى الله ، لوددت أنى شجرة تُعْضَد (٣) » . روى هذا الكلام : «وددت أنى شجرة تُعضَد» من قول أبى ذر

---

(١) أطت : الأطيط صوت الأقتاب ؛ أى إن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلها حتى أطت ، هذا مثل ، وليس هناك أطيط .

(٢) الصعدات جمع صعدة : وهى فناء باب الدار وممر الناس بين يديه ، وتجأرون : ترفعون أصواتكم .

(٣) تعضد : تقطع .

نفسه وهو أصح. وفى حديث آخر: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ٱنتفخت قـدماه . وفى رواية : كان يصلى حتى تَرِم قدماه ، فقيـل له أتَكلَّف هـذا وقد غُفِـر لك ما تقدّم من ذنبـك وما تأخّر ؟ ، قال: « أفلا أكون عبدا شكورا » . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم دِيمَةً(١)، وأيكم يُطيق ما كان يُطيق . وقالت : كان يصوم حتى نقول لا يُفْطِر ، ويُفْطِـر حتى نقول لا يصوم . وكان صلى الله عليه وسـلم يصوم الآثنين والخميس ، وثلاثة أيام مِنْ كل شهر ، ويومَ عاشـوراء ، وقلّ ما كان يُفْطِر يوم الجمعة ، وأكثر صـيامه فى شعبان . وقال عوف بن مالك : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليـلة فآستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه ، فبدأ فآستفتح البقرة ، فلا يمرّ بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوّذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول : «سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة» ثم سجد ، وقال مثل ذلك ، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك . وعن حُذيفة مثله ، وقال: سجد نحوا من قيامه ، وجلس بين السجدتين نحوا منه ، وقال : حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمـائدة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة . وعن عبد الله بن الشِّخِّير قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم ولجَوْفه أزِيزٌ كأزِيز(٢) المِرْجل . وقال ٱبن أبى هالة : كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة . وقال صلى الله عليه وسلم : إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة ، وروى سبعين مرة . وعن علىّ

(١) ديمـة ؛ فى النهاية : الديمـة المطر الدائم فى سكون ، شبهت عمله فى دوامه مع الاقتصـاد بديمـة المطر .

(٢) أزيز : صوت الغليان ، أى حنين من الخوف ، وقيل : هو أن يجيش جوفه و يغلى بالبكاء ، والمرجل : الإناء من نحاس يغلى فيه المـاء ، وقيل : الإناء الذى يغلى فيه المـاء مطلقا .

ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال : «المعرفةُ رأسُ مالى، والعقلُ أصل دينى، والحبُّ أساسى، والشوقُ مركبى، وذكرُ الله أنيسى ، والثقة كنزى، والحزْن رفيقى، والعلم سلاحى ، والصبر زادى ، والرضا غنيمتى، والعجزُ فخرى ، والزهدُ حرفتى ، واليقينُ قوتى، والصدق شفيعى، والطاعة حسبى(١)، والجهاد خُلُقى، وقُرَّة عينى فى الصلاة» . وفى حديث آخر : «وثمرة فؤادى فى ذكره ، وغمِّى لأجل أمتى ، وشوقى إلى ربى» . ولنصل هذه الفصول التى شرحناها فى صفاته المعنوية صلى الله عليه وسلم بما ورد من طيب ريحه ، وعَرَقه ، وما يجرى هذا المجرى .

ذكر نبذة مما ورد فى نظافة جسمه ، وطيب ريحه ، وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعَوْرات الجسد صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصّه الله عز وجل من ذلك بخصائص لم توجد فى غيره ، ومَنَحه مِنَحاً لم تكن فى سِوَاه ؛ من ذلك ما رويناه عن مسلم ابن الحجاج بإسناده ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما شَمَمْتُ عَنبرا قطّ ولا مِسْكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن جابر ابن سَمُرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده، قال: فوجدت لِيَده بَرْدا وريحا كأنما أخرجها من جُونَة(٢) عطّار . قال غيره : مسّها بطيب أو لم يمسّها ، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام فى دار أَنَس فعرق ، فجاءت أُمّ أنس بقارورة تجمع فيها عَرَقه ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك

(١) حسبى (بالفتح) : أى ما أفتخر به ، و(بالسكون) أى الطاعة تكفينى .
(٢) الجونة (بالضم) : التى يعد فيها الطيب ويحرز .

فقالت : نجعله فى طِيبنا وهو من أطْيَب الطِّيب . وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبىّ صلى الله عليه وسلم يمرّ فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه . وذكر إسحق بن راهَوَيْه : أن تلك كانت رائحته بلا طِيبٍ صلى الله عليه وسلم . وروى المُزَنِىّ(١) عن جابر قال : أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوّة بفَمِى وكان يَنمّ علىّ مِسْكا . ونقل القاضى عياض بن موسى قال : حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوّط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله ، وفاحت لذلك رائحة طيبة . وأسند محمد بن سعد فى هذا خبرا عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إنك تأتى الخَلَاء ولا يرى منك شىء من الأذى . فقال : « يا عائشة أو ما علمتِ أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شىء » قال القاضى عياض : وهذا الخبر إن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحَدَثين منه صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك حديث علىّ بن أبى طالب فى الوفاة وسنذكره إن شاء الله تعالى . وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت : ولدته نظيفا ما به قَذَر . صلى الله عليه وسلم . ولنختم هذه الفصول بحديث هند بن أبى هالة لجمعه بين صفاته صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية . والله أعلم .

ذكر حديث هند بن أبى هالة

وما تضمن من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية

حدّثنا الشيخان المحدِّثان شرف الدِّين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبىّ ، وزين الدين أبو محمد عبد الحقّ بن قينان بن عبد المجيد القرشىّ — رحمهما الله — قراءة عليهما وأنا أسمع فى شهر رجب عام ثمانية وسبعمائة ، قالا : حدّثنا الشيخ

(١) فى أ « المرى » .

أبو الحسن محمد بن أبى علىّ الحسين بن عتيق بن رشيق الرَّبعى المالكى سماعا فى شوّال سنة ثمان وستين وستمائة بمصر، وبقراءة الشيخ زَيْن الدين الثانى على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن بن الخليلى، وبإجازتهما من الحافظ أبى الحسين يحيى آبن على بن عبد الله القرشىّ، وتاج الدين على بن أحمد بن القسطلانىّ، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبى جعفر أحمد بن جبير الكنانى، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمىّ إجازة، قال أخبرنا القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحْصبىّ رحمه الله تعالى، قال آبن القسطلانىّ: وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مَضَاء إجازة، قال أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضى أبو الفضل حدّثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة، قال حدّثنا الإمام أبو القاسم عبد الله آبن طاهر التميمىّ، قال قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابورىّ، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدىّ، والقاضى أبو علىّ الحسن بن على بن جعفر الوَخْشِىّ[1]، قالوا: حدّثنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعىّ، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الحافظ، قال حدّثنا سفيان بن وَكِيع، قال حدّثنا جُمَيع بن عمر بن عبد الرحمن العجلىّ إملاء من كتابه، قال حدّثنى رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة أمّ المؤمنين رضى الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن آبن لأبى هالة عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال سألت خالى هند بن أبى هالة. قال القاضى أبو علىّ رحمه الله: وقرأت على الشيخ أبى طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرخى الباقلّانى، قال

(١) الوخشى نسبة إلى بلد بنواحى بلخ، والذى فى شرح القاموس: الحسن بن على بن محمد بن جعفر.

وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيْرون ، قالا أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مِهْران الفارسيّ ، قراءة عليه ، فأقرّ به ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب المعروف بابن أخى طاهر العلوى ، قال حدّثنا إسمعيل بن محمد ابن إسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، قال :
٩٩/١٦ حدّثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر ابن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن على ، عن على بن الحسين قال قال الحسن بن على — واللفظ لهذا السند — : سألت خالى هند بن أبى هالة عن حِلْية[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان وَصّافا ، وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئا أتعلق به ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْما[2] مُفَخّما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المَرْبوع ، وأقصر من المُشَذَّب[3] ، عظيم الهامة[4] ، رَجِل الشعر[5] ، إن انفرقت عقيقته[6] فَرَق ، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفّره ، أزهر اللون[7] ، واسع الجبين[8] ، أزجّ الحواجب[9] ، سوابغ[10] من غير قَرَن ، بينهما عِرْق

(١) الحلية : الزينة ، والصفة . (٢) فخم : عظيم ؛ أى عظيما معظما فى الصدور والعيون .

(٣) المشذب : الطويل البائن الطول مع نقص فى لحمه . (٤) الهامة : الرأس .

(٥) رجل الشعر : بين الجعودة والسبوطة . (٦) انفرقت عقيقته ، ويروى : عقيصته ، أى إن صار شعره فرقين بنفسه فى مفرقه تركه ، وإن لم ينفرق لم يفرقه .

(٧) أزهر اللون : أى نيره ، والأزهر الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان .

(٨) وهو ما فوق الصدغين وهما جبينان ، والمراد بسعتهما امتدادهما طولا وعرضا ، وذلك محمود ، وقد مضى : صلت الجبين : أى واضحه . (٩) أزج الحواجب : الزجج تقوس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد ، النهاية ، وفى القاموس : دقة الحاجبين فى طول .

(١٠) سوابغ : تامة طويلة .

يُدِرّه(١) الغضب ، أقنى العِرنين(٢) ، له نور يعلوه ، ويحسبه من لم يتأمله أشمّ(٣) ، كثّ(٤) اللحية ، أدْعَج(٥) ، سهل الخَدّين ، ضليع الفم(٦) ، أشْنَب(٧) مُفَلّج الأسْنان(٨) ، دقيق المسْرُبة(٩) ، كأنّ عنقه جِيدُ دُمْية(١٠) فى صفاء الفِضة ، معتدل الخلق ، بادِنا متماسكا ، سواء(١١) البطن والصّدر ، مُشيح الصّدر(١٢) ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكَراديس(١٣) ، أنور المتجرد(١٤) ، موصول ما بين اللّبّة والسُّرة بشعر يجرى كالخطّ ، عارِى الثديين(١٥) ، ما سوى ذلك ، أشعرُ الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين ، رَحْب الراحة ، شثْن(١٦) الكفّين والقدمين ، سائل الأطراف(١٧) ، أو قال سائن الأطراف ، سَبْط القَصَب(١٨) ،

---

(١) يدره : يملؤه دما كما يملئ الضرع لبنا إذادر .

(٢) أقنى العرنين : القنا فى الأنف رقة أرنبته مع حدب فى وسطه ، والعرنين الأنف .

(٣) أشم : الشمم ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها و إشراف الأرنبة قليلا .

(٤) كث اللحية : كثيفها فى غير دقة ولا طول .

(٥) أدعج : الشديد سواد العين مع شدة بياضها .

(٦) ضليع الفم : عظيمه ، وقيل : واسعه .

(٧) أشنب ؛ الشنب : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان .

(٨) مفلج ، ويروى : أفلج الأسنان : الفلج بالتحريك : فرجة مابين الثنايا والرباعيات .

(٩) المسربة بضم الراء وفتحها : مادق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف .

(١٠) الدمية : الصورة المصورة . (١١) سواء البطن والصدر : مستويهما .

(١٢) مشيح الصدر : عريضه ويروى : مسيح . (١٣) الكراديس : رءوس العظام .

(١٤) المتجرد : ما كان منكشفا من جسده ؛ أى مشرق الجسد .

(١٥) عارى الثديين ، ويروى : الثندوتين : أراد أنه لم يكن عليهما شعر ، و(ما سوى ذلك) قيد الثديين .

(١٦) شثن : أى يميلان إلى الغلظ والقصر . (١٧) سائل الأطراف : أى ممتدها .

(١٨) سبط القصب : سبط بسكون الباء وكسرها : الممتد الذى ليس فيه تعقد ولا نتوء ، والقصب يريد بها ساعديه وساقيه .

خُمصان الأخمصين (١)، مَسِيح القدمين (٢) ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تَقَلُّعًا (٣)، ويخطو تكفُّؤًا (٤)، ويمشى هونا (٥)، ذريع المِشْيَة (٦)، إذا مشى كأنما ينحطّ من صَبَب (٧)، وإذا التفت التفت جميعا، خافض الطَّرْف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة (٨)، يَسُوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام. قلت: صف لى منطقه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصلَ الأحزان، دائم الفكرة، وليست له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه (٩)، ويتكلم بجوامع الكلم، فَصْلا لا فُضُول فيه (١٠) ولا تقصير، دَمِثا (١١) ليس بالجافى ولا المُهين (١٢)، يعظّم النِّعمة وإن دَقّت، لا يَذُمّ شيئا لم يكن يَذُمّ ذَوَاقا ولا يمدحه، ولا يُقام لغضبه إذا تُعُرِّض للحق بشىء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلها، وإذا تعجب

---

(١) خمصان الأخمصين: الأخمص من القدم الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عند الوطء، والخمصان المبالغ منه، أى إن ذلك الموضع منه شديد التجافى عن الأرض.

(٢) مسيح القدمين: أى ملساوان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقوق.

(٣) إذا زال زال تقلعا: أراد قوة مشيه كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعا قويا لا كمن يمشى اختيالا ويقارب خطاه فإن ذلك من مشى النساء.

(٤) يخطو تكفؤا: أى تمايل إلى قدام. (٥) يمشى هونا: أى فى رفق غير مختال.

(٦) ذريع المشية: يريد أنه مع هذا الرفق سريع المشية.

(٧) ينحط من صبب: الصبب الانحدار. (٨) الملاحظة: النظر بشق العين الذى يلى الصدغ.

(٩) الأشداق: جوانب الفم وإنما يكون ذلك لرحب شدقيه، والعرب تمتدح ذلك.

(١٠) فصلا لا فضول فيه: أى بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل.

(١١) دمثا: يعنى سهلا لينا.

(١٢) ليس بالجافى ولا المهين: يريد أنه لا يجفو الناس ولا يهينهم، ويروى: المهين بالفتح: أى ليس بالفظ الغليظ الجافى، ولا الحقير الضعيف.

قلبها ، وإذا تحدّث آتصل[1] بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح[2] ، وإذا فرح غضّ طرفه ، جُلُّ ضحكه التبسم ، ويفترّ[3] عن مثل حبّ الغمام . قال الحسن : فكتمتها الحسين بن علي زمانا ، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه ، فسأل أباه عن مَدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَخرجه ومجلسه وشكله ، فلم يدع منه شيئا ، قال الحسين : سألت أبي ــ عليه السلام ــ عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك ، فكان إذا آوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزء لله تعالى ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه . ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس ، فيردّ ذلك على العامة بالخاصة ، ولا يدّخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه ، وقسْمته على قدر فضلهم في الدّين ، منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ، ويُشغلهم فيما أصلحهم والأمةَ من مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره .

قال في حديث سفيان بن وكيع : « يدخلون رُوّادا[4] ، ولا يتفرقون إلا عن ذَواق[5] ، ويخرجون أدلّة[6] » ، يعني فقهاء ، قلت : فأخبرني عن مَخرجه كيف كان يصنع فيه ، قال :

(١) آتصل : وصل إحدى يديه بالأخرى ، ويروى « فصل » أي فصل كلامه بإشارته .

(٢) أشاح : جد في الإعراض . وفي هامش جـ : « أي مال وآنقبض » .

(٣) يفتر : يبتسم ، حب الغمام : البرد ، شبه ثغره به .

(٤) روادا : أي محتاجين وطالبين لما عنده من النفع لدينهم ودنياهم .

(٥) ولا يتفرقون إلا عن ذواق : « قيل عن علم يتعلمونه » كذا في هامش جـ أي يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم .

(٦) أدلة : جمع دليل جعلهم أنفسهم أدلة مبالغة .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم، و يؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم و يوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وخلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويصوّبه ، ويقبّح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل ١٠٠/١٦
مخافة أن يغفلوا أو يملّوا، لكل حال عنده عتاد[1]، لا يقصّر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمّهم نصيحةً ، وأعظمهم عنده منزلةً أحسنهم مواساةً ومؤازرة .

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يوطّن الأماكن[2]، وينهى عن إيطانها،
وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك، ويعطى كل ١
جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسورٍ من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبًا، وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى . وفى الرواية الأخرى : صاروا عنده فى الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصواتُ ولا تؤبن فيه الحرم ، ولا تنثى[3] فلتاته — وهذه الكلمة من غير الروايتين — يتعاطفون،

---

(١) عتاد : أى ما يصلح لكل ما ينفع من الأمور .

(٢) لا يوطن : « أى لا يتخذ لمصلاه موطنا معلوما ، وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث » . كذا فى هامش جـ .

(٣) تنثى : تشاع وتذاع . ٢

بالتقوى متواضعين ، يُوقِّرون فيـه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون[(١)] ذا الحاجة ويرحمون الغريب .

فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم فى جلسائه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائمَ البِشر ، سَهْلَ الخلق ، ليّن الجانب ، ليس بفَظّ ولا غليظ ، ولا سخّاب[(٢)] ولا فحّـاش ، ولا عيّاب ، ولا مدّاح ، يتغافل عما لا يُشتهَى ولا يُؤيِس منه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك النـاس من ثلاث : كان لا يذمّ أحدا ولا يعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنـده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثُهم حديثُ أوّلهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجَفوة فى المنطق ، ويقول : « إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه » ولا يطلب الثناء[(٣)] إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثـه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام .
هنا انتهى حديث سُفيان بن وَكيع .

وزاد الآخر ، قلت : كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان سكوته على أربع : على الحلم والحـذَر والتقدير والتفكّر ، فأما تقـديره ففى تسوية النظـر والاستماع بين النـاس ، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم فى الصبر ، فكان لا يُغضبه شىء يَستفِزّه . وجمع له فى الحذر أربع : أخذه بالحَسَن ، ليُقتدَى به ، وتركه القبيح لِيُنتهَى عنه ، واجتهاد الرأى بما أصلح أمّته ، والقيام لهم بمـا جمع لهم أمر الدنيـا والآخرة . صلى الله عليـه وسلم . فهذه جملة كافية من أوصافه صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر أحواله .

---

(١) يرفدون : يعينون . (٢) تقدّم شرح هذه الكلمات . (٣) الثناء : فى هامش جـ : « قوله : ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ : قيل مقتصد فى بيانه ومدحه ، وقيل إلا من مسلم ، وقيل إلا من مكافئ على يد قد سبقت من النبىّ صلى الله عليه وسلم له » . وفى الأصول : النبأ ، وهو تصحيف .

ذكر أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دنياه، وما ناله من شدّة العيش فيها، وما رُوِى من أحواله فى تطيُّبه ولباسه وفراشه، ووسادته، وتختّمه وتنعُّله، وخُفِّه. وسواكه، ومُشطه، ومُكْحُلته ومرآته وقَدَحه، وما ورد فى حِجَامته، وما ملكه من السِّلاح والدّواب وغير ذلك. صلى الله عليه وسلم

أما ما ناله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش فى دنياه

فقد تقدّم من صفاته المعنوية زهده فى الدنيا وتقَلُّله منها، وأحلنا هناك على ما نورده فى هذا الموضع. وسنورد منه ما نقف عليه إن شاء الله.

فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتابعة طاويا، وأهله لا يجدون عشاء، وكان عامة ١٠١/١٦ خبزهم الشعير. وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذه الكسرة»؟ قالت: قُرْصٌ خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: «أمَاَ إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام». وعن أبى هريرة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَشُدّ صُلْبه بالحجر من الغَرَث(١)». وعن مسروق قال: بينا عائشة تحدّثنى ذات يوم إذ بكت؛ فقلت: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطنى من طعام فشئت أن أبكى إلا بكيت؛ أَذْكُرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وما كان فيه من الجَهْد. وعنه قال: دخلتُ على عائشة أمّ المؤمنين وهى تبكى، فقلت: يا أمّ المؤمنين ما يبكيك؟ قالت: ما أشبع فأشاء أن أبكى إلا بكيت؛

(١) الغرث: الجوع.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ . وعنها رضى الله عنها قالت : ما شَبِع آلُ محمد غَداءً وعَشاءً من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لِحَق بالله . ومن رواية عنها : ما رفع عن مائدته كِسْرة فضلًا حتى قُبِض . وعن أبى هريرة قال : كان يمرّ بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هِلالٌ، ثم هلال، ثم هلال ، لا يُوقَد فى شىء من بيوته نارٌ ، لا لخبز ولا لطبيخ، قالوا : بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : بالأسودَيْن التمر والماء . قال : وكان له جيران من الأنصار — جزاهم الله خيرا — لهم مَنائحُ (1) يرسلون إليه بشىء من لبن . وعن الحسن قال : خطبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسى فى آل محمد صاع من طعام وإنها لتسعة أبيات » والله ما قالها استقلالا لرزق الله ، ولكن أراد أن تَأَسَّى به أمته . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فَضْل طعام عن شبع حتى لحق بالله، إلا أن نرفعه لغائب . فقيل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت : الأسودان الماء والتمر . قالت : وكان لنا جيران من الأنصار لهم رَبَائبُ (2) يسقونا من لبنها، جزاهم الله خيرا . وعن ابن شهاب : أن أبا هريرة كان يمرّ بالمغيرة بن الأَخْنَس وهو يطعم الطعام ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قال : خبز النَّقِىّ (3) واللحم السَّمِين ، قال : وما النَّقِىّ ؟ قال : الدقيق . فتعجب أبو هريرة ثم قال : عجبا لك يا مُغيرةُ! رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه

(1) المنائح (جمع منيحة)، وهى المنحة : ناقة أو شاة ينتفع بلبنها زمانا ثم يردّها .

(2) الربائب (جمع ربية) بمعنى مربوبة : الغنم التى تكون فى البيت وليست بسائمة ؛ لأن صاحبها يربها فى البيت للبنها .

(3) النقى فسره بالدقيق، والمراد به لباب البر، بدلالة لفظ : النقى .

الله عز وجل، وما شبع من الخبز والزيت فى يوم مرتين، وأنت وأصحابك تهذرون[١] ها هنا الدنيا بينكم . وعن قتادة قال : كنا نأتى أنس بن مالك وخبّازه قائمٌ، فقال يوما : كلوا فما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مُرَقَّقا[٢] حتى لحق بربه، ولا شاة سَمِيطا[٣] قَطّ . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما آجتمع فى بطن النبىّ صلى الله عليه وسلم طعامان فى يوم قطّ ، إن أكل لحما لم يزد عليه ، وإن أكل تمرا لم يزد عليه ، وإن أكل خبزا لم يزد عليه . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل أبو بكر رضى الله عنه قائمة شاة ليلا فقَطَعْتُ ، وأمسك علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أو قطع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأمسكتُ عليه ، فقيل لها : على غير مصباح ؟ قالت عائشة : لو كان عندنا مِصْباح لَآتدمنا به ، كان يأتى على آل محمد شهر ما يختبزون خبزا ولا يطبخون قِدْرا . وعن عِمْران بن زيد المدينى قال : حدّثنى والدى ، قال : دخلنا على عائشة ، فقلنا : سلام عليك يا أُمّاه ، قالت : وعليك ، ثم بكت، فقلنا : مابكاؤكِ يا أُمّاه ؟ قالت : بلغنى أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء، فذكرتُ نبيكم صلى الله عليه وسلم، فذلك الذى أبكانى ، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه فى يوم من طعامين ، كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز، وإن شبع من الخبز لم يشبع من التمر، فذلك الذى أبكانى . وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تُوفّى يوم تُوفّى ، ودِرْعه مرهونة عند رجل من اليهود بوَسْق من شعير . وسُئل سهل بن سعد :

(١) تهذرون (بذال معجمة) : أى تتوسعون فيها ، قال الخطابى : «يريد تبذير المال وتفريقه فى كل وجه ، وروى : تهذون الدنيا وهو أشبه بالصواب ، يعنى تقتطعونها إلى أفواهكم ، وتجمعونها أو تسرعون إنفاقها» . (النهاية) .

(٢) مرققا : مليّنا محسنا ، أو موسعا . (٣) سميطا : مشوية .

أكانت المناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما رأيت مُنْخُلا ١٠٢/١٦ فى ذاك الزمان ، وما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعير منخولا حتى فارق الدنيا . فقيل له : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نَطْحَنها ثم نَنْفُخ قِشْرها ، فيطير ما طار ويستمسك ما آستمسك . وعن الأعرج ، عن أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يجوع ، قال قلت لأبى هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاما أبدا إلا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد ، فلما فتح الله تعالى خيبر آتّسع الناس بعض الآتساع ، وفى الأمر بعدُ ضيقٌ[1] ، والمعاش شديد فى بلاد ظَلَفٍ[2] ، لا زرع فيها ، إنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك أقاموا . قال مَخْرَمَة بن سليمان : وكانت جَفْنة سَعْد تدور على رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ يوم نزل المدينةَ فى الهجرة إلى يوم تُوفّى . وغير سعد بن عُبَادة من الأنصار يفعلون ذلك . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا يواسون ، ولكن الحقوق تكثر والعُدّام[3] يكثرون ، والبلاد ضيقة ليس فيها معاش ، إنما تخرج ثمرتهم من ماء ثَمَد[4] يحمله الرجال على أكتافهم ، أو على الإبل ، والإبل أقل ذلك ، وربما أصاب نخلهم القُشَام[5] فتذهب ثمرتهم تلك السنة ، والقُشَام : شيء يصيب البلح مثل الجدرى فينتثر ؛ فهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم فى عيشه فى غالب أوقاته ، وهى سنّة الأنبياء صلوات الله عليهم .

(١) فى نسخة أ : « بعض ضيق » .

(٢) الظلف : الغليظ الصلب من الأرض ، والمراد لا زرع فيها ، كما قال .

(٣) العدّام — كذا فى نسخ الأصل — جمع عادم كخادم وخدّام ، لأنه عديم فعيل بمعنى فاعل .

(٤) ثمد : الماء القليل الذى لا مادّة له ، أو ما يظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف .

(٥) القشام (بالضم) : أن ينتقض تمر النخل قبل أن يصير بلحا .

وأما تطيبه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ الطِّيب ، وكان يتطيب بالغَالِيَة[1] و بالمِسك ، حتى يُرَى وَبِيصُه[2] فى مَفَارقه ، و يتبخّر بالعُود و يَطْرح معه الكافُور ، وكان يعرف فى الليلة المظلمة بطِيبِ رِيحه صلى الله عليه وسلم .

وأما لباسه صلى الله عليه وسلم

وما روى من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه

فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتجمّل لأصحابه ، فضلا عن تجمّله لأهله ، و يقول : « إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم و يتجمّل » ولبس صلى الله عليه وسلم من الثياب البياضَ والحُمرة والصُّفرة والخُضْرة والسّواد .

أما البياض وما جاء فيه — فقد روى عن سَمُرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالبياض من الثياب فَلْيَلْبَسها أحياؤكم وكفّنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم » وفى رواية عنه « آلبسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفّنوا فيها موتاكم » . وعن أبى قِلَابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ من أحبّ ثيابكم إلى الله البياض ، فصلّوا فيها وكفّنوا فيها موتاكم » .

وأما الثياب الحمر — فروى عن البَرَاء قال : ما رأيت أحدا كان أحسنَ فى حُلّة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه : ما رأيت من ذى لِمّة[3] أحسنَ فى حُلّة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عَوْن بن أبى جُحَيْفَة عن أبيه

---

(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعود وعنبر ودهن . (كذا فى النهاية) .

(٢) الوبيص : البريق ، والمفارق جمع مفرق كمسجد : وهو من الرأس حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) اللمة : الشعر يلم بالمنكب .

قال : أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، وهو فى قُبّــة حمراء ، فخرج وعليه جُبّة له حمراء وحُلّة عليه حمراء . وعن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس بُرْده الاحمر (١) فى العيدين والجمعة . وعن أبى جعفر محمد بن علىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمــر، و يعتمّ (٢) يوم العيدين، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

١٠٣/١٦ وأما الثياب الصُّفْر — فقد رُوى عن قَيْس بن سعد بن عُبَادة قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعنا له غسلا فاغتسل، ثم أتيناه بمِلْحفة وَرْسِيّة (٣) فاشتمل بها، فكأنى أنظر إلى أثر الوَرْس على عُكَنِه (٤) . وعن بكر بن عبــد الله المزنى قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مِلْحَفة مُوَرَّسَــة ، فإذا دار على نسائه رشّها بالمــاء . وعن أمّ سلمة رضى الله عنها قالت : ربمــا صُبِــغ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميصُه ورداؤُه و إزارُه بزعفــران وورْس، ثم يخرج فيها . وعن عبــد الله بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران : قميصه ورداءه وعِمامته . وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليــه وسلم عليه رداءً وعمامةً مصبوغين بالعبير، (٥) والعبير عندهم الزّعفران . وعن زيد بن أسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة .

---

(١) البرد الأحمر : برد يمــانى مخطط بحمرة وسواد ، أما لبس الأحمر القانى كما يشعر ما هنا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم النهى عنه كما فى الصحيحين ، راجع شرح المواهب جـ ٥ ص ٢٧ .

(٢) يعتم : يلبس العمامة .

(٣) ورسية : الورس نبت أصفر يصبغ به ، والورسية المصبوغة به .

(٤) عكنه : جمع عكنة وهى الطى فى البطن من السمن .

(٥) فى نسخة أ : « عنبر » . والعنبر والعبير هو الزعفران ، أو العبير أخلاط من الطيب .

وأما الثياب الخُضر — فقد رُوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الثياب الخضر . وعن أبى رِمْثَة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدان أخضران . والله المنعم .

وأما السَّواد وما ورد فيه — فقد روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وعليه عمامة سَوْداء . وعن حُرَيْث عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس ، وعليه عمامة سوداء . هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه صلى الله عليه وسلم .

فأما أصناف لباسه صلى الله عليه وسلم وطولها وعرضها ، فإنه عليه الصلاة والسلام لبس الصوف والحِبَرة والقطن ، ولبس السُّنْدُس[1] والحرير ، ثم تركه ، وورد فى ذلك أخبار نذكر منها ما أمكن .

أما الصوف وما ورد فيه — فقد روى عن أبى بُرْدَة قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فأخرجت إلينا إزَارا غليظا مما يُصنَع باليمن ، وكِسَاء من هذه المُلَبَّدة ، فأقسمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِض فيهما . وعنها رضى الله عنها قالت : جعل للنبىّ صلى الله عليه وسلم بُرْدَة سَوْداء من صوف فلبسها . وعن سهل بن سعد : قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجة فيها حاشيتها ، قال سهل : وتدرون ما البردة ؟ قالوا : الشَّمْلَة ، قال : نعم ، هى الشملة ، فقالت : يارسول الله ، نسجتُ هذه البردة بيدى فجئت بها أكسوكها ، قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ، فخرج علينا وإنها لإزاره ، فحسّنها فلان رجل من القوم سماه — فقال : يارسول الله ، ما أحسنَ هذه البُرْدَة !

(١) السندس : ملوق من الديباج ورقع .

أكسنيها، فقال : «نعم» فجلس ماشاء الله فى المجلس ثم رجع، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم طواها ثم أرسل بها إليه ، فقال له القوم : ما أحسنت ، كُسِيَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سألته إياها ، وقد علمت أنه لا يرد سائلا ! فقال الرجل : والله ما سألته إياها لألبسها ، ولكن لتكون كَفَنى يوم أموت، قال سهل : فكانت كَفَنَه .

١٠٤/١٦ وأما الحِبَرَة وهى من بُرُود اليَمَن فيها حُمرة و بياض فكانت من أحبّ اللباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورُوِى عن قَتَادة قال قلت لأنس بن مالك : أىّ اللباس كان أحبّ وأعْجب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحِبَرَة . وعن محمد بن هلال قال : رأيت على هشام بن عبد الملك بُرْد النبي صلى الله عليه وسلم من حِبَرَة له حاشيتان .

وأما السُّنْدس والحرير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس ذلك ثم تركه . رُوِى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أهدى ملك الروم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتُقَة(١) من سُنْدُس فلبسها ، فكأنّى أنظر إلى يديها تَذَبْذَبَان(٢) من طولها . فجعل القوم يقولون : يا رسول الله، أنزلت عليك من السماء ؟ فقال : « وما تعجبون منها ، فوالذى نفسى بيده إن منديلا من مناديل سعد بن مُعَاذ فى الجنة خير منها » ثم بعث بها إلى جعفر بن أبى طالب فلبسها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنى لم أعطكها لتلبسها » قال : فما أصنع بها ؟ قال : « ابعث بها

(١) مستقة : « هى بفتح التاء وضمها : فرو طويل الكمين ، وهى تعريب مشته ، وقوله : من سندس يشبه أنها كانت مكففة بالسندس وهو الرفيع من الحرير والديباج لأن نفس الفرو لايكون سندسا ، وجمعها مساتق » (النهاية) .

(٢) فى النهاية : « كأنى أنظر إلى يديه تذبذبان ، أى تتحركان وتضطربان ، يريد كميه » .

إلى أخيك النجاشى » . وعن عقبة بن عامر قال : أُهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرُّوجٌ — يعنى قَبَاء حرير — فلبسه ، ثم صلى فيه ، ثم انصرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له ، ثم قال : « لاينبغى هذا للمتقين » .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى خَمِيصَة لها أَعْلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلّم قال : « اذهبوا بخَمِيصَتِى هذه إلى أبى جَهْم فإنها أَلْهَتْنِى آنفا عن صلاتى وأتونى بِأَنْبِجَانِيِّ(١) أبى جَهْم » .

وأما القطن وما ورد فى أطوال ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَرْضها فروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنت يوما أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْد بَحْرَانِيّ(٢) غليظ الحاشية . وعنه : كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قُطْنيا قصير الطول قصير الكُمّين . وعن بُدَيْل(٣) قال : كان كُمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرُّسْغ . وعن عُرْوة بن الزبير رضى الله عنهما : أن طول رداء النبى صلى الله عليه وسلم أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبْر .

---

(١) أنبجانى ، كذا فى الأصول ، والذى فى الصحيحين : « وأتونى بأنبجانية أبى جهم » قال : القسطلانى : نسبة إلى منبج بفتح الميم وكسر الموحدة موضع بالشام ، و يقال نسبة إلى موضع يقال له أنبجان » ثم قال عن ثعلب : « يقال كساء أنبجانى ، قال : وهذا هو الأقرب إلى الصواب فى لفظ الحديث » . وراجع جـ ١ ص ٥١٠ .

(٢) بحرانى نسبة إلى البحرين ، على لفظ المثنى ، قال فى المصباح : يجوز أن تجعل — النون محل الأعراب مع لزوم الياء مطلقا وهى لغة مشهورة ، لأنه صار علما مفرد الدلالة فأشبه المفردات والنسبة إليه بحرانى .

(٣) قال فى أسد الغابة : « غير منسوب انفرد ابن منـدة بإخراجه ، وقال : أخرج فى الصحابة وذكره أهل المعرفة فى التابعين و روى عنه : « كان كم رسول الله إلى الرسغين » .

وعنه : أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيــه إلى الوفد ــ ورداؤه حَضْرمىّ ــ طولُه أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشِبْر ، فهو عند الخلفـاء قد خَلَق، فطوَوْه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفِطر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصير اليدين والطول . وعن عبد الرحمن بن أبى لَيْلَى قال: كنت مع عمر، فى حديث رواه عنه قال فقال : رأيت أبا القاسم وعليه جُبّة شاميّة ضيقة الكُمّين .

ذكر صفة إزْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان يقوله إذا لبس ثوبا جديدا

روى عن يزيد بن أبى حبيب أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم كان يرخى الإزار من بين يديْه ، ويرفعه من ورائه . وعن عِكْرمة مولى ابن عبـاس، قال : رأيت ابن عباس إذا ٱئْتزر أرخى مقدّم إزاره، حتى تقع حاشيتاه على ظهر قدميه؛ ١٠٥/١٦
ويرفع الإزار ممـا وراءه ، فقلت له : لِمَ تأْتزِر هكذا ؟ قال : رأيت رسـول الله صلى الله عليــه وسلم يأْتزر هــذه الإزْرة . وعن أبى سـعيد الخدرىّ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ٱستجدّ ثوبا سمّاه بٱسمه؛ قميصًا أو إزارًا أو عِمامةً، ويقول : « اللهم لك الحمــد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صُنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له » . وعن عبــد الرحمن بن أبى ليلى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا لبس ثوبا ــ أو قال ــ إذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذى كسانى ما أُوَارى به عورتى ، وأتجمّل به فى حيـاتى » . وكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساءَ الصوف وحده فيصلى فيه، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه يصلى فيه . وكان يلبس القلَانِس

تحت العمائم ، ويلبسها دونها [ويلبس العمائم دونها](١) ويلبس القلانس ذات الآذان فى الحرب ، وربما نزع قَلَنْسُوَته ، وجعلها سترة بين يديه وصلىّ إليها ، وربما مشى بلا قَلَنْسوة ولا عمامة ولا رِداء ، راجلاً يعود المرضى كذلك فى أقصى المدينة . وكان يَعْتَمّ ويُسْدِل طَرَف عمامته بين كتفيه . وعن علىّ أنه قال : عَمَّمَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة ، وسدل طرفها على مَنْكِبى ، وقال : «إنّ العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين » .

ذكر فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ووِسادته

روى عن عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها ، قالت : دخلت امرأة من الأنصار علىّ فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبَاءَةً مَثْنِيَّة ، فانطلقت فبعثت إلىّ(٢) بفراش حَشْوه صوفٌ ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ فقال : « ما هذا » ؟ قلت : يا رسول الله ، فلانة الأنصارية ، دخلت علىّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا . فقال : «رُدِّيه» فلم أردّه ، وأعجبنى أن يكون فى بيتى ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فقال : «والله يا عائشة لو شئتُ لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة » . وعنها : أنها كانت تفرش لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَباءة باثنتين(٣) فجاء ليلة وقد رَبَّعتها فنام عليها ، فقال : « يا عائشة ما لفراشى الليلة ليس كما كان يكون » ؟ قالت قلت : يا رسول الله ، رَبّعتها ، قال : «فأعيديه كما كان» . وعنها قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وِسادةٌ من أَدَم محشوّة لِيفًا ، ودخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير

(١) ساقطة فى أ .

(٢) فى جـ « إليه » .

(٣) أى بثنيتين اثنتين ، كما فى رواية حفصة عند الترمذى .

مَرْمُول[١] بشَرِيط ، وتحت رأسه مِرْفَقة[٢] من أَدَم مَحْشُوّة بليف ، وقد أثّر الشّريط بجنبه ، فبكى عمر ، فقال : « ما يبكيك » ؟ قال : يارسول الله ، ذكرتُ كِسْرى وقَيْصر يجلسون على سُرُر الذّهب ويَلْبَسون السُّنْدُس والإسْتَبْرَق ، فقال : « أمَا تَرضَوْن أن تكون لكم الآخرة ولهم الدنيا » . وعن عبد الله بن مسعود قال : اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر الحصير بجلده ، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول : يا رسول الله ، ألَا آذَنْتَنا نَبْسُط لك على هذا الحصير شيئا يقيك منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالى وللدنيا ، وما أنا والدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ، وعن المغيرة ابن شعبة قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فَرْوَة ، وكان يستحب أن تكون له فَرْوة مدبوغة يصلى عليها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الحصير والخُمْرة[٣] ، كما روى فى الصحيحين .

ذكر ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخواتم ، ومن قال لم يَتَخَتَّم

قد قدّمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الخاتم فى سنة سبع من الهجرة عند ما بعث رُسُلَه إلى الملوك ، وختم به الكتب التى سيّرها إليهم ؛ فلنذكر هنا ١٠٦/١٦
ما لبسه من الخواتم . وقد روى أنه تختم بالذهب والفضة والحديد الملوىّ عليه الفضة ، على ما نذكر ذلك من أقوالهم .

---

(١) مرمول بشريط : أى منسوج بما ينسج به الحصير .

(٢) المرفقة : كالوسادة ، وفى رواية « نمرقة » .

(٣) الخمرة وزان غرفة : حصير صغير قدر ما يسجد عليه ، ولا تكون خمرة إلا فى هذا المقدار .

روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمـا من ذهب ، فكان يجعل فصّه فى بطن كفه إذا لبسـه فى يده اليمنى ؛ فصنع الناس خواتيم من ذهب ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزعه ، وقال : « إنى كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصّه من باطن كفى » فرمى به ، وقال : « والله لا ألبسه أبدا » ونبذ النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم ، فنبذ الناس خواتيمهم .

ثم اتخذ خاتمـا من فِضّة فَصُّه منه ، ونقش عليـه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر ، كان يختم به الكتب إلى الملوك . وقد رَوى أن خاتمه كان من حديد ، ملوىّ عليه فِضّة ، وقيل : إنه رآه فى يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال : « ما هذا الخاتم فى يدك يا عمرو » ؟ قال : هذه حلقة يا رسول الله ، قال : « فما نقشها » ؟ قال : محمد رسول الله ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فتختمه ، فكان فى يده حتى قُبِض ، ثم فى يد أبى بكر حتى قُبِض ، ثم فى يد عمـر حتى قُبِض ، ثم فى يد عثمان ستّ سنين ، وفى السابعة وقع فى بئر أَرِيس[1] . قال أنس ابن مالك : فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه . وروى عن ابن سِيرين : أن نقشه كان " بسم الله ، محمـد رسول الله " . وقد روى محمد بن سـعد فى طبقاته قال : أخبرنا أحمـد بن محمد بن الوليد الأزرقىّ ، قال حدّثنا عَطّاف بن خالد ، عن عبد الأعلى بن عبـد الله بن أبى فَرْوَة ، عن سـعيد بن المسيّب ، قال : ما تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى الله ، ولا أبو بكر حتى لقى الله ، ولا عمر حتى لقى الله ، ولا عثمان حتى لقى الله ، هكذا روى . والصحيح أنه تختّم صلى الله عليـه وسلم ، وتختموا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا .

(١) بئر أريس : بئر معروفة عند مسجد قباء تلقاءه فى المدينة المنورة .

ذكر نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخُفّيْه

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لنعله قِبالان[(١)] . وعن عبد الله بن الحارث قال : كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها زِمَامَان[(٢)] شِراكهما مَثْنِيّ فى العُقْدَة . وعن سَلَمَة عن هِشام بن عُرْوَة قال : رأيت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُخَصَّرة[(٣)] مُعَقَّبة مُلَسَّنة لها قِبالان . وعن عُبَيْد ابن جُرَيْج قال قلت لابن عمر : يا أبا عبدالرحمن ، أراك تستحب هذه النِّعال السِّبْتِيَّة[(٤)] ، قال : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسهما و يتوضأ فيهما . وعن عبد الله بن بُرَيْدَة عن أبيه : أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خُفَّيْن سَاذَجَيْن[(٥)] فمسح عليهما ، وفى رواية : أن النجاشى أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خفين أسودين ساذَجَيْن فلبسهما ومسح عليهما .

ذكر سِواك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشطه ، ومُكْحُلته ، ومِرْآته ، وقَدَحه ، وغير ذلك من أثاثه

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَرْقُد ليلا ولا نهارا فيستيقظ إلا تَسَوَّك قبل أن يتوضأ . وعن قَتَادة عن

(١) قبالان : القبال زمام النعل ، وهو السير الذى يكون بين الأصبعين .

(٢) زمامان تثنية زمام : وهو سير من الجلد كالقبال .

(٣) المخصرة : لها خصر رقيق ، أو التى قطع خصراها حتى صارا مستدقين . ومعقبة : لها عقب من سيور يضم به الرجل . والملسنة : ما فيها طول ولطافة على هيئة اللسان ، أو التى لها لسان ، وهو الهيئة المثبتة فى مقدمها . (٤) السبتية : المدبوغة بالقرظ ، لأن شعرها انسبت بالدباغ ، أو من السبت وهو القطع لأنه قطع عنها الشعر وحلق .

(٥) الساذج ؛ قال فى المواهب : غير منقوشين ، أو لا شعر عليهما ، أو على لون واحد لا يخالط سوادها لون آخر ، قال : الساذج معرب ساذه .

عكرمة قال : ٱستاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريد رطب وهو صائم ، فقيل لقتادة : إن أناسا يكرهونه، فقال : ٱستاك واللهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجريد رَطْب وهو صائم . وعن ٱبن جريج قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشط عاج(١) يمْتَشِط به . وعن ثور(٢) عن خالد بن مَعْدان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافر بالمشط والمِرْآة والدُّهْن والمِكْحل(٣) والسّواك . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه، ويسرّح لحيته بالماء . وعن ٱبن عباس رضى الله عنهما قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْحُلَة(٤) يكتحل بها عند النوم ثلاثا فى كل عين . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل فى عينه اليمنى ثلاث مرات، واليسرى مرتين . وعن أبى رافع قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمِد وهو صائم . ١٠٧/١٦ وعن عبدالله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالإثمِد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر، و إنه من خير أكحالكم » . وعن عبيد الله بن عبدالله بن عُتْبَة بن مسعود قال : أهدى المُقَوْقِس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قَدَح زُجاج ، كان يشرب فيه . وعن عطاء قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قَدَح زجاج ، فكان يشرب فيه . وعن حُمَيْد قال : رأيت قَدَح

---

(١) العاج : أنياب الفيل ، وعظم دابة بحرية يتخذ منه الأسورة والأمشاط .

(٢) فى الأصول : « ثور بن جابر بن معدان » وهو تصحيف (راجع طبقات ٱبن سعد ج ١ : ١٧٠) .

(٣) فى طبقات ٱبن سعد « الكحل » .

(٤) المكحلة بالضم على غير قياس ، فإذا أريد بها الآلة جاز الكسر .

النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس فيه فضّة، أو شُدَّ بفضّة . وقد جاء أنه صلى الله عليـه وسلم كان له رَبْعَة[١] فيها مرآة ومشط عاج ومُكْحُلة ومِقْرَاض[٢] وسِوَاك . وكان له قَدَح مُضَبَّب[٣] بثلاث ضَبَّات من فضّة — وقيل من حديد — وفيه حلقة يُعلَّق بها، وهو أكبر من نصف المُـدّ وأصغر من المدّ، وكان له قدح آخر يُدعَى الرَّيَّان، وتَوْر[٤] من حجارة يدعى الِمخْضَب . ومِخْضَب[٥] من شَبَه[٦] يكون فيه الحنّاء والكَتَم[٧] توضع عند رأسه إذا وجد فيه حرا، ومِغْسَل من صُفْر[٨]، وقَصْعَة، وصاع يخرج به فِطْرته، ومُدّ، وكان له سرير، وقَطِيفَة، وكان له كِساء أسود كساه فى حياته، وكان له ثوبان للجمعة، غير سائر ثيابه التى يلبسها فى سائر الأيام، وكان له مِنْـديل يمسح به وجهه من الوضوء، وربمـا مسح بطرف ردائه صلى الله عليه وسلم .

ذكر ماورد فى حجامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجّامه

روى عن أنس بن مالك قال : آحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحجمه أبو طَيْبـة، وأمر له بصاعين، وأمرهم أن يخفِّفوا عنـه من ضريبته . وآختلف فى آسم أبى طَيْبة، فقيل : دينار، وقيـل : نافع، وقيـل : مَيْسَرة، وهو مولى

(١) ربعة بفتح فسكون : إناء مربع كحوقة العطار : هى جلد يجعل فيه طيبه .

(٢) المقراض : الجلمان وهو المقص .

(٣) مضبب : مشعب، والإناء يصان إذا جعل له شعب من فضة أو حديد أو صفر .

(٤) التور : إناء من صفر أو حجارة .

(٥) مخضب : إناء يحضر فيه الخضاب وهو الحناء الذى يخضب بها صلى الله عليه وسلم .

(٦) الشبه : النحاس الشبيه بالذهب .

(٧) الكتم : نبت يخلط بالحناء يخضب به الشعر فيبقى لونه .

(٨) الصفر : النحاس .

بنى حارثة . وعن جابر بن عبد الله قال : أخرج (١) إلينا أبو طَيْبة الحاجم لثمان عشرة من شهر رمضان نهارا، فقلت : أين كنت ؟ قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحجمه . وعن أنس قال : آحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حجمه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار، فأعطاه صاعين من طعام، وكلّم أهله أن يخفّفوا عنه من ضريبته، وقال : « الحجامة من أفضل دوائكم » . وعن آبن عباس — رضى الله عنهما — قال : آحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صائم، فغشى عليه يومئذ، فلذلك : كرهت الحجامة للصائم . وعن سَمُرة بن جُنْدُب قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حجّامه فحجمه بمحاجم من قرون، وجعل يشرطه بطرف شفرة، فدخل أعرابىّ فرآه ولم يكن يدرى الحجامة، ففزع وقال : يارسول الله، علام تعطى هذا يقطع جلدك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا الحجم » قال : يارسول الله، وما الحجم؟ قال : « هو خير ما تداوى به الناس » . وعن عطاء وآبن عباس — رضى الله عنهم — قالا : آحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْرِم من وَجَع . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثا، على الأخدعين (٢) ثِنْتَيْن ، وعلى الكاهل واحدة . وعن سعد آبن أبى وقاص : أنه وضع يده على المكان الناتئ من الرأس فوق اليافوخ، فقال : هذا موضع مَحْجَم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يحتجم ، وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسميها المغيثة . وكان خالد بن الوليد يحتجم

(١) كذا فى الأصول والطبقات : أخرج، والذى فى أسد الغابة عن آبن عباس : « لقيت أبا طيبة لسبع عشرة من رمضان » الخ .

(٢) الأخدعان : عرقان فى جانبى العنق، والكاهل : مابين الكتفين .

على هامته وبين كتفيه ، فقيل له : ماهذه الحجامة ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجمها ، وقال : « من أهراق منه هذه الدماء فلا يضره ألّا يتداوى بشيء لشيء » . وروى : أن الأقرع بن حابس دخل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فى القَمَحْدُوَة : وهى آخر الرأس ، فقال : لِمَ احتجمت وسط رأسك ؟ قال : « يابن حابس إن فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والنعاس والمرض » وشك الراوى فى الجنون . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجامة فى الرأس هى المُغِيثة أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية » . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بى مامررت بملأ من الملائكة إلا قالوا يامحمد مُرْ أمتك بالحجامة » . وعن مَعْقِل بن يَسَار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة فى الشهر دواء لداء السَّنة » . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة و إحدى ١٠٨/١٦
وعشرين . وعن الأوزاعى ، عن هرون بن رِئاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم ، ثم قال لرجل : « ادفنه لا يبحث عنه كلب » .

ذكر ماملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف : ذو الفَقَار تَنفّله (١) يوم بدر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا فى غزوة أُحد ، وكان قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمُنَبّه بن الحجاج السَّهمى ، وثلاثة أسياف ، أصابها من سلاح بنى قَيْنُقاع ، سيف

(١) تنفله : من النفل وهو الغنيمة ، روى الحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنفل ذا الفقار يوم بدر . وسمى سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذا الفقار ؛ لأنه كانت فيه حفر صغار حسان .

قَلَعِىّ[1]، وسيف يُدْعَى البَتّار[2]، وسيف يُدْعَى الْحَتْف[3]،وسيفان أصابهما من الفُلْس[4]، سيف يُدعَى المِخْذَم[5]، وآخر يُدعَى الرَّسُوب[6] ، وسيف ورثه من أبيه[7]،وسيف يقال له العَضْب[8] ، أعطاه إياه سعد بن عُبَادة ، وآخر يُدعَى القَضِيب[9]، وهو أول سيف تَقَلّد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس : كان نَعْل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فِضّة، وقَبِيعَتُه[10] فضّة، وما بين ذلك حلَق الفضّة .

وكان له صلى الله عليه وسلم أربعة أرماح، ثلاثة أصابها من سلاح بنى قَيْنُقَاع، وواحد يقال له المُثْنِىّ . وكان له عَنَزَة : وهى حَرْبَة دون الرّمْح يمشى بها فى يده ، وتحمل بين يديه فى العيدين، حتى تُرْكَز أمامه فيتخذها سترة يصلى إليها . وكان له أربعة قِسِى[11] : قَوْس من شَوْحَط[12] تدعى الرَّوْحَاء ، وأخرى من شوحط تدعى البَيْضَاء ، وأخرى

---

(١) قلعى ؛ نسبت إلى قلع : قلعة بالبادية قريب من حلوان بطريق همذان .

(٢) البتار : القاطع .

(٣) الحتف : الموت .

(٤) الفلس : صنم لطيء .

(٥) المخذم : من الخذم وهو القطع .

(٦) الرسوب : من الرسب وهو الذهاب إلى أسفل لأن ضربته تغوص فى المضروب به .

(٧) يسمى مأثور .

(٨) العضب : أى القاطع .

(٩) القضيب : يراد به اللطيف من السيوف، ويراد به القاطع .

(١٠) قبيعته : هى التى تكون على رأس قائم السيف ، وقيل : هى ما تحت شاربى السيف .

(١١) الذى فى شرح المواهب : ستة، وزاد : الزوراء، والسداد .

(١٢) شوحط : شجر جبل تتخذ منه القسى .

من نَبع [1] تُدعى الصَّفراء ، وقوس تُدعى الكَتُوم [2] كُسِرت يوم بدر . وكان له جَعْبة [3] تدعى الكافور ، وكان له مِخصَرة [4] تسمى العُرجُون ، وكان له مِحجَن [5] قدر الذراع أو نحوه يتناول به الشيء ، وهو الذى آستلم به الرُّكن [6] فى حجة الوَداع ، وكان له دِرعَان أصابهما من سلاح بنى قَينُقاع : دِرع يقال لها السَّعْدية [7] ، وأخرى يقال لها فِضة .

وعن محمد بن مَسْلَمة قال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد دِرعين ، دِرعه ذات الفُضُول ، ودِرعه فِضّة ، ورأيت عليه يوم حُنَين دِرعين ، ذات الفُضُول والسَّعْدية ، ويقال : كانت عنده دِرع داود عليه السلام التى لبسها لما قتل جالُوتَ ، وكان له مِغْفَر يقال له السَّبُوغ [8] ، وكان له صلى الله عليه وسلم تُرس ؛ روى محمد بن سعد فى طبقاته قال : أخبرنا عَتّاب بن زياد ، قال حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال سمعت مَكحُولا يقول : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تُرس فيه تِمثال رأس كَبش ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، فأصبح وقد أذهبه الله تعالى.

وفى رواية أخرى : كان له صلى الله عليه وسلم تُرس عليه تِمثال عُقاب ، أُهدى له فوضع يده عليه فأذهبه الله ، وكان له مِنطَقة من أديم مَبشُور [9] فيها ثلاث حِلَق من

(١) نبع : شجر يتخذ منه الرماح والسهام .
(٢) الكتوم : سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .
(٣) جعبة : هى الكنانة يجمع فيها نبله .
(٤) مخصرة : ما يختصره بيده ، فيمسكه من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب ، قد يتوكأ عليه .
(٥) محجن : عصا معوجة .
(٦) الركن اليمانى من الكعبة .
(٧) السعدية : نسبة إلى جبال السعد ، ويروى بالغين المعجمة وضم السين : ناحية بسمرقند .
(٨) السبوغ (بالفتح والضم) : بمعنى السابغ وهو الطويل .
(٩) مبشور : مقشور ؛ وهذه الصفة لاتوجد فى شرح المواهب .

فِضة، والإِبْزِيم[1] من فِضّة ، والطَّرَف من فضة ، وكان له راية سوداءُ مُخْمَلَة، يقال لها العُقَاب، ولواء أبيض وربما جعل الألوية من خُمُر نسائه صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهن .

ذكر دوابّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الخيل والبغال والحمير

أما خيله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث من الفنّ الثالث من كتابنا هذا ، وهو فى السّفر التاسع من هذه النّسخة ، أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ملكها ، على ما ظهر من مجموع الروايات التى أوردناها هناك تسعة عشر فرسا : وهى السَّكْب[2] ، والمُرْتَجِز[3] ، والبَحر[4] ، وسَبْحة[5] ، وذو اللِّمَّة[6] ، وذو العُقال[7] ، والُّحَيْف[8] ، ويقال فيه : الخَيف بالخاء المعجمة ، وقيل: النَّحيف بالنون ، واللِّزاز[9] ، والظَّرِب[10] ، والوَرْد[11] ، والسَّجل[12] ، والشَّحا[13] ، والسِّرْحَان[14] ،

(١) الإبزيم بالكسر : الذى فى رأس المنطقة وما أشبهه ، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر .

(٢) السكب : الصب سمى بذلك لسرعته فى الجرى ، كأنما هو ينسكب كالماء .

(٣) المرتجز : سمى بذلك لحسن صهيله ، مأخوذ من الرجز الذى هو ضرب من الشعر .

(٤) البحر : سماه رسول الله بذلك حين جرى عليه فكان سريعا فقال له : « ما أنت إلا بحر » .

(٥) سبحة : من قولهم : فرس سابح إذا كان حسن مداليدين فى الجرى .

(٦) ذو اللمة : سمى بذلك لوفرة شعره حتى ألم بالمنكبين .

(٧) ذو العقال ، بشد العاف وتخفيفها : سمى بذلك لظلع فى قوائمه ، والظلع : العرج اليسير .

(٨) الحيف بالتصغير والتكبير : سمي بذلك لسمنه وكبره ، وقيل لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض أى يغطيها بذنبه لطوله .

(٩) اللزاز : المجتمع الخلق ، أو من لزبه التزق كأنه يلتزق بالمطلوب .

(١٠) الظرب : الجبيل سمى بذلك لقوته وصلابة حافره .

(١١) الورد : لون بين الكميت والأشقر، شبه بالورد المشموم .

(١٢) السجل : مأخوذ من سجلت الماء صببته . وقيل بكسر السين كما فى المواهب .

(١٣) الشحا : أي بعيد الخطوة . (١٤) السرحان : الذئب .

والمُرتَجِل[1] ، والأدهم[2] ، ومُلاوِح[3] ، والعَيسُوب[4] ، واليَعبُوب[5] ، والمِرْوَاح[6] ، وقد يكون الأدهم هو السَّكْب أو البَحْر ، فتكون ثمانية عشر فرسا .

وذكرنا هناك أخبار هـذه الخيل ومن ذكرها . وذهب بعضهم إلى أن خيله صلى الله عليه وسلم كانت عشرة أفراس : السَّكْب ، والمُرتَجِز ، ولِزَاز ، والَّلحِيف ، والظَّرِب ، والوَرْد ، والضَّرِس[7] ، ومُلاوِح ، وسَبْحَة ، والبَحْر ، ولم يذكر ما عداها ، والله عز وجل أعلم . ١٠٩/١٦

وأما بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحُمُره فقد ذكرنا أيضا فى الباب الثانى من القسم الثالث من الفن الثالث فى السفر التاسع من كتابنا هـذا ، أن بغلات رسول الله صلى الله عليـه وسلم اللاتى ملكهنّ كُنّ سبعا ، على ما ظهر من مجموع الروايات التى ذكرناها هناك ، وهنّ دُلْدُل التى أهـداها له المُقَوْقِس ، وفِضّة التى أهـداها له فَرْوَة بن عمرو ، وبغـلة أهداها له كِسْرَى ، وبغلته الأَيْلِيَّة التى أهداها له ابن العَلْماء[8] صاحب أَيْلَة ، وبغلة بعثها له صاحب دُومَة الجَنْدَل ،

---

(١) المرتجل : الذى يخلط بين تباعد خطاه وتوسع جريه ، وبين تقاربها وسرعته .

(٢) الأدهم : الأسود .

(٣) ملاوح : الضامر الذى لا يسمن ، والسريع العطش ، والعظيم الألواح .

(٤) العيسوب : قال الزرقانى على المواهب : « وزاد بعضهم العيسوب بتقـديم العين على اليـاء » وفيها أيضا : « اليعسوب » : غرة تستطيل فى وجه الفرس ، وأمير النحل .

(٥) اليعبوب : الفرس الجواد .

(٦) المرواح : من أبنية المبالغة ؛ مشتق من الريح لسرعته كالريح ، أو من الرواح ؛ لتوسعه فى الجرى ، أو من الراحة ؛ لأنه يستراح به .

(٧) فى الأصول : « الضرمز » ؛ وما أثبتناه عن الطبقات ، وقال فى النهاية : إنه صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا اسمه الضرس فغزا به يوم أحد وسماه السكب .

(٨) العلماء : تأنيث الأعلم ، مشقوق الشفة العليا .

وبَغْلَة أهداها له يُوحَنّا بن روزبة[(١)]، وبغلة أهداها له النجاشي صاحب الحبشة، وفى البَغْلة التى ذكر أن كِسْرى أهداها له صلى الله عليه وسلم نظر، لما قدمناه من أنه مَزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه. ومن أهل العلم من ذهب إلا أنهن كنّ ثلاثة: دُلْدُل التى أهداها له المقوقس، وفضة وهبها لأبى بكر الصديق رضى الله عنه، وبغلة أهداها له صاحب أَيْلَة. وكان له صلى الله عليه وسلم من الحُمُــر: يَعْفُور، وعُفَير، وقد ذكرناهما فى الباب المقدّم ذكره فى السِّفْر التاسع.

ذكر نَعَم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لِقْحة[(٢)] بالغابة، يراح له منها كل ليلة بقِرْبَتَين عظيمتين من اللّبن، وكانت له لقحة تُدعى بُرْدَة، أهداها له الضحاك ابن سفيان، كانت تَحْلُب كما تَحْلُب لقحتان غَزِيرتان، وكانت له مَهْرِيّة[(٣)] أرسلها إليه سعد بن عُبَادة من نَعَم بنى عُقَيل، وكانت له القَصْوَاء[(٤)]، وهى التى هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوَحْىُ غيرها، وهى العَضْبَاء[(٥)]، والجَدْعَاء[(٦)]، وقيل: العَضْبَاء غير القَصْوَاء، وقد ذكرنا فى الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث نَعَمه بأبسط من هذا.

---

(١) كذا فى نسخة جـ، وفى أ: «روزبة» هكذا، والذى فى شرح المواهب: «يحنة بن روبة» بضم التحتانية وفتح المهملة وتشديد النون، وروبة بضم الراء وسكون الواو بعدها موحدة، وقال: إنه صاحب أيلة». وعلى هذا تكون هذه البغلة هى الأيلية المتقدمة لا ريب.

(٢) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالنتاج.

(٣) المهرية: من كرائم الإبل تنسب إلى حى مهرة بن حيدان.

(٤) القصواء: من القصو وهو قطع طرف الأذن.

(٥) العضباء: هى المشقوقة الأذنين أو مقطوعتهما.

(٦) الجدعاء: المقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة.

وكان له صلى الله عليه وسلم مائة من الغَنَم وكانت له سبع مَنَائِح[(١)] : عَجْرة، وزَمْزَم، وسُقْيا، وبَرَكَة، وورِسْة[(٢)]، وأَطْلال . وأَطْرَاف، وكانت أُمّ أَيْمَن ترعاهنّ ، وكانت له شاة يَخْتَصّ بشرب لبنها ، تدعى غَيْثَة ، وكان له دِيكٌ أبيض ، هذا ما أمكن إيراده فى هذه الفصول ، وهو بحسب الاختصار .

وقد آن أن نأخذ فى ذكر مُعْجِزاته صلى الله عليه وسلم، وإنما أخّرنا ذكر المعجزات إلى هذه الغاية لأُمور: منها أنّ معجزاته صلى الله عليه وسلم كانت فى مدة حياته، تقع خلال غزواته، وغالب أوقاته ، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله صلى الله عليه وسلم، لكنّا قد قدّمنا منها شيئا قبل وقته الذى وقع فيه . ومنها أنّا لمّا ذكرنا صفاته صلى الله عليه وسلم فيما تقدّم، استلزم إيراد أحواله تِلْوَ صفاته ، وصار الكلام يتلو بعضه بعضا، ولو ذكرنا المعجزات فى خلال ذلك لانقطع الكلام وانْفَرَط النظام، وأهمّ الأسباب فى تأخير ذكر المعجزات إلى هذه الغاية، أنا أردنا أن تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم خاتمةً لهذه السِّيرة الشريفة، وتالية لهذه المناقب المُنِيفة[(٣)] لا يحصل بعدها من أخباره صلى الله عليه وسلم إلا أخبار وفاته عليه السلام .

ذكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم

١١٠ / ١٦ ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، ولا تكون معجزة إلا مع وُجُود التّحدى بالنبوّة، وأما مع عدم التحدى فهى كرامة ، كأحوال الأولياء .

والمعجزة على ضَرْبين : ضَرْبٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثله ، كالقرآن على رأى من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله ، ولكن الله تعالى

(١) المنائح : جمع منيحة ، وهى الشاة التى تعار لبنها ، ثم ترد إذا انقطع لبنها ، وفى شرح المواهب : كانت له سبع أعنز منائح ، الخ . (٢) فى الأصول والطبقات : «ورسة» وما أثبتناه عن المواهب، وجاء فى القاموس : «ورش ككتف النشيط الخفيف من الإبل وغيرها» . (٣) المنيفة : العالية المشرفة .

صَرَفهم عن ذلك، فعجزوا عنه، وكصرف يهود عن تمنّي الموت، ونحو ذلك. وضرب هو خارج عن قدرة البشر كإحياء الموتى، وتسبيح الحصى، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام، وحبس الشمس، وردّها بعد غروبها.

وها نحن نورد فى هذا الفصل من مشاهير معجزاته، وباهر آياته، ما تقف إن شاء الله تعالى عليه، وقد تقدم من معجزاته صلى الله عليه وسلم فى أثناء هذه السيرة ما تقدم، مما نُنَبّه عليه فى هذا الفصل، ونُحيل عليه فى مواضعه، ونشرح ونبين ما أدمجناه قبلُ إن شاء الله تعالى.

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة: منها القرآن العظيم، وهو أكبرها آيةً، وأعظمها دلالةً على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، ومنها انشقاق القَمَر، وحبس الشمس، وردّها، وتفجير الماء وانبعاثه ونَبْعه من بين أصابعه وتكثير الطعام، وكلام الشّجَر، وسَعْيُها إليه، وحَنين الجذع، وتسبيح الطعام والحصى، وكلام الجمادات، وشهادة الحيوانات له صلى الله عليه وسلم بالنبوة، وكلام الموتى، وإبراء المرضى، وإجابة الدعاء، وانقلاب الأعيان، وما أطلعه الله تعالى عليه من علم الغيوب، والإخبار بما كان ويكون، وما جمع له من المعارف والعلوم ومصالح الدنيا والدين، وسياسة العالم، والعِصْمة من الناس، وغير ذلك مما نشرحه ونبيّنه إن شاء الله تعالى.

فأما القرآن العظيم وما انْطَوى عليه من المعجزات، فمعجزاته كثيرة نحصرها فى عشرة أوْجُه:

الوجه الأول — حُسْن تأليفه والْتِئام كَلِمه وفصاحتُه، ووجوه إيجازه، و بلاغته الخارقة عادةَ العرب(١)، وذلك أنهم خُصّوا من البلاغة والحكم مالم يُخَصّ به غيرهم من الأمم، وحَسْبك أن القرآن أنزل بلغتهم، ومع ذلك فقد قَرَعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به، ووَبّخهم وسَفّه أحلامهم، وسبّ آلهتهم، وذمّ آباءهم، وشتت نظامهم، وفرّق جماعتهم، وأنزل الله تعالى فيهم ما أنزل من قوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا ٱلْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٤) وغير ذلك، فنَكَصُوا عن معارضته، وأحجموا عن مماثلته، ورَضُوا بقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ و ﴿فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾(٥). و﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٦). واعترف فصحاؤهم عند سماعه أنه ليس من كلام البشر؛ كالوليد بن المُغيرة وعُتْبة ابن رَبيعة، على ما قدّمنا ذكر ذلك.

الوجه الثاني من إعجازه — صورة نظمه العجيب، المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها، وسَجْعها و رَجَزها(٧) وهَزَجها(٨) وقَرِيضها(٩)، ومبسوطها(١٠)

(١) عادة بالنصب مفعول خارقة، بمعنى خارجة عن عادتهم (شرح الشفا للشهاب جـ ٢ : ٥١٠)

(٢) آية ٣٨ سورة يونس. (٣) آية ٢٢، ٢٣ سورة البقرة. (٤) آية ٨٨ سورة الإسراء.

(٥) آية ٥ سورة فصلت. (٦) آية ٢٦ سورة فصلت. (٧) الرجز: بحر من الشعر معروف، فهو كهيئة السجع إلا أنه فى وزن الشعر وتسمى قصيدته أرجوزة.

(٨) الهزج: الأغانى، وبحر من الشعر، وبه فسر هنا.

(٩) قريضها: هو بمعنى الشعر مطلقا. (١٠) مبسوطها: مطوّلات قصائدها.

ومقبوضها[(١)] ، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند آجتماعهم كما قدمناه ، ومن ذلك جمعه بين الدليل والمدلول، وذلك أنه آحتجّ بنظم القرآن ، وحسن وصفه وإيجازه و بلاغته ، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فالتّالى له يفهم موضع الحجّة والتّكليف معًا من كلام واحد .

١١١/١٦ الوجه الثالث من إعجازه — ماآنطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع فوُجد ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[(٢)] . وقوله فى الروم : ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[(٣)] . وقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[(٤)] . وقوله : ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ﴾[(٥)] الآية . وقوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾[(٦)] السورة ، فكان جميع ذلك : فتح الله مكّة ، وغلبت الروم فارس ، وأظهر الله رسوله ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وآستخلف الله المؤمنين فى الأرض ، ومكّن دينهم وملّكهم أقصى المشارق والمغارب ، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود ، وكشف أسرارهم ، وغير ذلك .

الوجه الرابع — ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة والشرائع الداثرة[(٧)] ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب ، وآطلع على الكتب المنزلة القديمة ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبر موسى ١
والخضر وذى القرنين ولقمان وآبنه وبدء الخلق ، وغير ذلك مما فى كتبهم القديمة مما آعترف بصحته العلماء من أحبار يهود ، فنهم من آمن به ، ومنهم من صدّ عنه مع عدم إنكارهم لصحته ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[(٨)] .

---

(١) مقبوضها : مختصر أوزانها . (٢) آية ٢٧ سورة الفتح . (٣) آية ٣ سورة الروم . ٢
(٤) آية ٣٣ سورة التوبة و ٢٨ سورة الفتح . (٥) آية ٥٥ سورة النور .
(٦) آية ١ سورة النصر . (٧) الداثرة : المندرسة القديمة . (٨) آية ١٥ سورة المائدة .

الوجه الخامس — الرَّوْعَةُ التى تلحق قلوب سامعيه، وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته، قال الله عز وجل: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٢) هذا فى حق المؤمنين به، وأما من كذّب به فكانوا يستثقلون سماعه، ويوَدّون انقطاعه؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القرآن صَعْب مُسْتَصعب على من كَرِهه، وهو الحَكَم» وقد تقدّم أن عُتبة بن رَبيعة لما سمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ قوله: ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٣) أمسك على فِى(٤) النبىّ صلى الله عليه وسلم وناشده الرحِم أن يكُفّ.

الوجه السادس — كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾(٦) وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز باق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا، وما بعده إن شاء الله إلى آخر الدهر، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة.

الوجه السابع — أن قارئه لا يَمَلّ قراءته، وسامعه لا تمُجّه مسامعه، بل الإكْبَاب على تلاوته وتَرْديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غَضًّا طريًا، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يُمَلّ مع الترديد، ويسأم إذا

(١) آية ٢٣ سورة الزمر. (٢) آية ٢١ سورة الحشر. (٣) آية ١٣ سورة فصلت.
(٤) فى: أى فم النبى صلى الله عليه وسلم. (٥) آية ٩ سورة الحجر.
(٦) آية ٤٢ سورة فصلت.

أعيد، وكذلك غيره من الكتب[1] لا يوجد فيها ما فيه من ذلك ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن « أنه لا يَخْلَق[2] على كثرة الرّدّ ولا تنقضى عِبَرُه ، ولا تَفْنى عجائبُه، هو الفَصْل ليس بالهَزْل » .

الوجه الثامن — أن الله تعالى يسّر حفظه لمتعلّميه، وقرّبه على متحفّظيه، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[3] فلذلك إن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحدُ منها، وإن لازم قراءتها، وداوم مُدارستها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم ، والقرآن قد يسّر الله تعالى حفظه على الغلمان فى المدّة القريبة والنّسوان، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه، وهذا من معجزاته .

الوجه التاسع — مشاكلة بعض أجزائه بعضا ، وحسن ائتلاف أنواعها ، والتئام أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره ١١٢/١٦ على آختلاف معانيه ، وآنقسام السورة الواحدة على أمر ونهى ، وخبر وآستخبار ووعد ووعيد، و إثبات نبوّة وتوحيد، وتقرير وترغيب وترهيب، إلى غير ذلك، دون خلل يتخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا آعتوره مثل هذا ضعفت قوّته ، ولانَتْ جَزَالته ، وقَلّ رَوْنقه، وتَقَلْقَلت ألفاظُه، وهذا من الأمور الظاهرة التى لا يحتاج عليها إقامةُ دليل، ولا تقرير حجة، ولا بسط مقال .

الوجه العاشر — بجمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب، ولا علماء أهل الكتاب، ولا آشتمل عليها كتاب من كتبهم، لجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرّدّ على فرق الأمم بالبراهين الواضحة ، والأدلة البينة السهلة الألفاظ ، الموجزة المقاصد ؛ لقوله تعالى : ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ

(١) أى الكتب المنزلة . (٢) يخلق : يبلى . (٣) آية ٣٢ سورة القمر .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾(١) وقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(٢) وقـوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَـةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾(٣) إلى غير ذلك مما آشتمل عليه من المواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب، وغير ذلك مما لا يحصيه واصفٌ، ولا يعده عادٌّ، قال الله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾(٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّ الله أنزل على القرآن آمرًا وزاجرًا، وسنةً خالية، ومثلا مضروبا ، فيـه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ ما بعـدكم، وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طُولُ الرّدّ، ولا تنقضى عجائبه، هو الحقّ ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فَلَجَ(٦) ومن قَسَم به أقسط ، ومن عمل به أُجر ، ومن تمسك به هُدِىَ إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضلّه الله ، ومن حكم بغيره قَصَمه الله، هو الذكر الحكيم ، والنّور المبين، والصراط المستقيم، وحَبْل الله المتين، والشّفاء النافع، عِصْمةٌ لمن تمسّك به، ونجاةٌ لمن آتبعه، لا يَعْوَج فيقوَّم، ولا يَزيغ فيُستعْتَبُ ، ولا تَنْقَضى عجائبُه ، ولا يَخلَق على كثرة الرّدّ » . وفى الحديث : « قال الله تعالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — إنى منزِّل عليك تَوْراةً حديثةً تفتح بها أعْيُنا عُمْيًا وآذانا صُمًّا ، وقلوبا غُلْفا ، وفيها ينابيع العلم، وفَهْم الحكمة ، ورَبيع القلوب» . وقد عدّوا فى إعجازه وجوها كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطوّل بسردها .

وأما آنشقاق القمر، وحبس الشمس ورجوعها — فكان ذلك من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ .

(١) آية ٨١ سورة يس .
(٢) آية ٧٩ سورة يس .
(٣) آية ٢٢ سورة الأنبياء .
(٤) آية ٣٨ سورة الأنعام .
(٥) آية ٢٧ سورة الزمر .
(٦) فلج : غلب وفاز بالنصر على من خاصمه . وأقسط : عدل .

وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾(١) . وقد رويت قصة آنشقاق القمر عن آبن مسعود، وأنس بن مالك، وآبن عباس، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله آبن عمر، وحُذَيْفة، وجُبَيْر بن مطعم رضى الله عنهم، قال آبن مسعود : آنشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آشهدوا » قال آبن مسعود : حتى رأيت الجبل بين فُرْجَتَي القمر، وفى بعض طرقه : ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة، وزاد : فقال كفّار قريش سَحَرَكم آبنُ أبى كَبْشَة، فقال رجل منهم : إن محمدا إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فآسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا ؟ فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك . وحكى السَّمَرْقَنْدى عن الضحاك نحوه . وقال : فقال أبو جهل هذا سِحْرٌ فآبعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأَوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا، فقالوا — يعنى الكفار — : هذا سحر مستمر . وقال على رضى الله عنه، من رواية أبى حُذَيفة الأرحبى : آنشق القمر، ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم . وعن أنس : سأل أهلُ مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم آنشقاق القمر مرتين، حتى رأوا حِراءَ بينهما، وفى رواية مَعْمَر، وغيره عن قَتادة عنه : أراهم القمر مرتين آنشقاقَه(٢)، فنزلت الآية ﴿ آقْتَرَبَتِ السَّاعةُ وآنْشَقَّ القَمَرُ ﴾ . وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحليمى(٣) الجرجانى

(١) آية ١ — ٢ سورة القمر . (٢) آنشقاقه بالنصب بدل آشتمال من القمر .

(٣) فى هامش جـ : « الحليمى هذا شافعى المذهب، مولده سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، ورحل إلى بخارى وكتب الحديث عن أبى سهل محمد بن أحمد بن يوسف وغيره، وتفقه على أبى بكر الأودى وأبى بكر القفال، ثم صار إماما معظما مرجوعا إليه بما وراء النهر وحدث بنيسابور، وروى عنه الحاكم وتوفى فى جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة، وقيل : فى ربيع الأول من السنة » .

فى منهاجه قال : رأيت بِبُخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقًا بنصفين ، عَرْض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ، وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا ، ١١٣/١٦
ثم لم يعودا كما كانا ، ولكنهما صارا فى شكل أُتْرُجَّة ، ولم أمل طرفى عنهما إلى أن غاب ، قال : وكان معى ليلتئذ جماعة كثيفة ، من بين شريف وفقيه وكاتب وغيرهم من طبقات الناس ، وكلٌّ رأى ما رأيت . قال : وأخبرنى من وَثِقت به ، وكان خبره عندى كعِيانى أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقًا بنصفين ، قال : وإذا كان هكذا ، ظهر أن قول الله عز وجل : ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ إنما هو على الانشقاق الذى هو من أشراط الساعة ، دون الانشقاق الذى جعله الله تعالى آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وحجة على أهل مكة . وبالله التوفيق .

وأما رجوع الشمس — فقد روى عن أسماء بنت عُمَيْس أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يُوحَى إليه ورأسه فى حِجْر علىٍّ ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصليت يا على » ؟ قال : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصَّهْباء فى خَيْبر . خرّجه الطحاوى فى مشكل الحديث عن أسماء من طريقين ، قال وكان أحمد بن صالح يقول : لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ، لأنه من علامات النبوّة .

وأما حبسها — فقد روى يونس بن بكير فى زيادة المغازى عن ابن إسحق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُسرِى به ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير ، قالوا : متى تجىء ؟ قال : « يوم الأربعاء » فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولّى النهار ولم يجئ ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس صلى الله عليه وسلم .

وأما نَبْعُ المـاء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم .

فقد روى عن أنس بن مالك ، وجابر ، وعبد الله بن مسعود ، قال أَنَسٌ من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوَضوء[١] فلم يجدوه ، فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوَضوء[٢] ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه ، قال : فرأيت المـاء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم . ورواه أيضا عن أنس قَتَادةُ ، وقال : بإناء فيه ماء ما يغمر أصابعه ، ولا يكاد يغمر[٣] ، قال : كم كنتم ؟ قال : زُهَاء ثلثمائة ، وفى رواية عنه : وهم بالزَّوراء عند السوق . وأما ابن مسعود ، ففى الصحيح عنه من رواية عَلْقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا مَن معه فضل ماء » فأُتى بإناء فصبه فى إناء ، ثم وضع كفّه فيه ، فجعل المـاء يَنْبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الصحيح عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال : « عطش الناس يوم الحُديبية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه رَكْوَةٌ[٤] فتوضأ منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماءٌ ، إلا ما فى رَكْوَتك ، فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الرّكوة ، فجعل المـاء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قالوا : لو كنّا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وفى صحيح مسلم

---

(١) الوضوء (بفتح الواو) : المـاء الذى يتوضأ به . (٢) بوضوء أى بإناء وضوء .

(٣) كذا فى الأصول ، والذى فى الشفا من رواية قتادة عن أنس : « بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمرها » وهى أوضح .

(٤) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه المـاء .

فى ذكر غَزْوة بُوَاط(١)، قال جابر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر ناد الوَضوء » وذكر الحديث بطوله : وأنه لم يجد إلا قطرة فى عَزْلاء(٢) شَجْبٍ، فأُتِى به النبي صلى الله عليه وسلم فغَمَزه(٣)، وتكلم بشيء لا أدرى ما هو، وقال : « نادِ بجَفْنة الرَّكْب(٤) » فأتيت بها فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجَفْنة، وفرق أصابعه، وصبّ جابر عليه، وقال : « بسم الله » قال : فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجَفْنة، وآستدارت حتى
١١٤/١٦ آمتلأت، وأمر الناس بالآستفاء فآستقوا حتى رَوُوا(٥)، فقلت : هل بقى أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى مَلأى. هذا مختصر ما رُوِىَ من تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.

وأما تفجيره وآنبعاثه وتكثيره ببركته ودعائه

صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله فى الموطأ، عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تَبوك، وأنهم وَرَدُوا العين(٦)، وهى تَبِضّ بشيء من ماء مثل الشِّرَاك(٧)، فغرفوا من العين بأيديهم حتى آجتمع فى شيء، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) بواط : جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة، هذه الغزوة اعترض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش. (٢) العزلاء : فم المزادة، والشجب : السقاء الذى قد أخلق وبلى وصار شنا. (٣) غمزه : عصره وحركه، أو وضع يده عليه وكبسه بها.

(٤) جفنة : كقصعة وزنا ومعنى وهو مجاز، أى الذى يطعمهم ويشبعهم، أو مجاز بالحذف، أى يا صاحب جفنة الركب، وفى النهاية : « ناد يا جفنة » الركب.

(٥) فقلت : أى قال جابر، وهل نافية أى ما بقى؛ لهذا قال : فرفع رسول الله يده. ويجوز أن تكون استفهامية. (٦) العين : عين بتبوك، وتبض : أى تقطر وتسيل.

(٧) الشراك بالكسر : سير النعل شبهه به لضعفه وقلة جريه.

فيه وجهه و يديه، وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستق الناس . وفى حديث ابن إسحق : فانخرق[1] من الماء ماله حسٌّ كحسّ الصواعق، ثم قال : «يوشك يا مُعاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد مُلِئَ جِنانا» . ومنه قصة الحُدَيْبِيَة[2]، وقد تقدّم ذكرها فى الغَزوات . ومن ذلك خبر صاحبة المَزادتَيْن ، وهو مما روى عن عمران بن حُصَيْن، قال: أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عَطَشٌ فى بعض أسفارهم ، فوجّه رجلين من أصحابه، وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا ، معها بعير عليه مَزَادَتان ، الحديث[3] . فوجداها وأتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل فى إناء من مزادتها ، وقال فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء فى المزادتين، ثم فُتِحت عَزَاليهما، وأمر الناس فملأوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملأوه، قال عِمْران : ويخيل لى أنهما لم تزدادا إلا امتلاء، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزْوَاد حتى ملأ ثَوْبها، وقال : «اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا» . وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رَديفه بِذِى المَجاز : عطشت وليس عندى ماء ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال : «اشرب» . وعن سَلَمة بن الأكوع ؛ قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «هل من وَضوء ؟» فجاء رجل بإداوة[4] فيها نُطْفَة[5]

(١) انخرق : انفجر .

(٢) وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نزل بأقصى الحديبية على ثمد بها قليل ماء يأخذه الناس قليلا قليلا فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فما زال يفور بالماء حتى صدروا عنه . وفى هذه القصة روايات مختلفة فلتراجع فى مظانها .

(٣) القصة بتمامها وما فيها من الاختلاف فى جـ ٥ ص ١٩٦ شرح المواهب . وفى صحيح البخارى فى علامات النبوة . (٤) إداوة (بكسر الهمزة) : إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالمزادة ونحوها .

(٥) نطفة : قليل من الماء .

فأفرغها فى قدح فتوضأنا كلنا، نُدَغفِقه دَغْفَقَةً أربع عشرةَ[(١)] مائة . وفى حديث غزوة تَبُوك، وما أصاب الناس من العَطَش، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أرسل سَحابة فأمطرت حتى ارْتَوَى النـاس ، وآحتملوا حاجتهم من المـاء، وقد تقدّم ذكره . ومن طريق آخر فى هـذه القصة عن عمر : وذكر ما أصابهم من العَطَش فى جيش العُسْرَة ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فَرْثَه فيشربه ، فرغب أبو بكر رضى الله عنه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الدّعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء[(٢)]، فانسكبت فملأوا مامعهم من آنية، ولم يجاوز العسكر. والحديث فى هذا الباب كثير .

وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم

فقد رَوَيْنا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متّصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصارا لاشتهارها وآنتشارها، منها مارويناه عن جابر رضى الله عنه: أن رجلا أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شَطْر وَسْق شعير، فما زال يأكل منـه وآمرأته وضيفه حتى كَالَه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسـلم فأخبره فقال : « لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم ». ومن ذلك حديث أبى طلحة المشهور، و إطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده — أى إبطه — فأمر بها فَفُتَّت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول . وحديث جابر — رضى الله عنه — فى إطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخَنْدَق ألف رجـل من صاع شعير، وعَنَاق[(٣)]، قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وآنحرفوا[(٤)]، و إن 115/16

(١) أو ونحن أربع عشرة مائة، والدغفقة : الصب الشديد، يقال : فلان فى نعيم دغفق أى واسع .

(٢) قالت السماء : غيمت وظهر فيها سحاب، من قولهم : قل كذا إذا تهيأ له وآستعد . (شرح الشفا ٣ : ٢٩). (٣) عناق : الأنثى من المعز لم يتم لها سنة . (٤) آنحرفوا : أى مالوا عن الطعام .

بُرْمَتنا لتَغِطّ[1] كما هي ، و إن عجيننا ليُخبَز، وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبُرمة و بارك. ومن ذلك حديث أبي أيوب الأنصارى: أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر رضى الله عنه من الطعام زُهاء[2] ما يكفيهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « آدع ثلاثين من أشراف الأنصار » فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ، ثم قال : « آدع ستين » فكان مثـل ذلك ، ثم قال : « آدع سبعين » فأكلوا حتى تركوا، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسْلَم وبايع ، قال أبو أيوب : فأكل من طعامى مائة وثمـانون رجلا . وعن سَمُرة بن جُنْدب قال : أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم و يقعد آخرون. ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما قال : كنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة ، وذكر في الحديث : عُجِن صاعٌ من طعام ، وصُنعت شاة فَشُوِى سَوادُ[3] بطنها، قال : وأيْمُ الله ما من الثلاثين والمـائة إلا وقد حُزّ له حَزّة من سواد بطنها، ثم جُعل منها قَصْعتان فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين فحملته على البعير . ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب ، وأبي هريرة وسَلَمة بن الأكوع رضى الله عنهم، فذكروا مَخْمَصة أصابت الناس مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، فدعا ببقية الأزواد، فجاء الرجل بالحَثْية من الطعام وفوق ذلك، وأعلاهم الذى أتى بالصّاع من التمر، فجمعه على نِطَع، قال سلمة : فحزرته كرُبْضة[4] البعير ، ثم دعا الناس بأوعيتهم، فما بقى في الجيش وعاءٌ إلا ملأوه و بقى منه. وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصُّفّة فتتبّعتهم حتى جمعتهم، فوُضعت بين أيدينا صَحْفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا، وهى مثلها

---

(١) تغط : تغلى . (٢) زهاء : مقدار . (٣) سواد بطنها : أى الكبد .

(٤) ربضة البعير ، الذى في النهاية : كربضة العنز : أى مقدار جثتها إذا بركت .

حين وُضعت ، إلا أن فيها أثرَ الأصابع . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ، منهم قوم يأكلون الجَذَعة ويشربون الفَرَق(١) فصنع لهم مُدّا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ، ثم دعا بعُسٍّ(٢) فشربوا حتى رَوُوا وبقى كأنه لم يشرب . وقال أنس ابن مالك : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم لما ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سمّاهم ، وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحُجْرة ، وقدّم إليهم تَوْرا(٣) فيه قدر مدّ من تمر جُعِل حَيْسا(٤) ، فوضعه قدّامه وغمس ثلاثَ أصابعه ، وجعل القوم يتغدّون ويخرجون ، وبقى التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين . وفى رواية أخرى فى هذه القصة أو مثلها : أن القوم كانوا زُهَاء ثلثمائة ، وأنهم أكلوا حتى شبعوا ، وقال لى : « ارفع » فلا أدرى حين وضعتُ كان أكثر أم حين رَفعتُ . وفى حديث جعفر بن محمد عن آله ، عن على رضى الله عنهم أن فاطمة رضى الله عنها طبخت قِدْرا لغَدائها ، ووجهت عليّا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليتغدّى معها ، فأمرها فغَرَفتْ منها لجميع نسائه صَحفةً صَحفةً ، ثم له عليه السلام ولعلىّ ، ثم لها ، ثم رفعت القدر ، وإنها لتفيض ، قالت : فأكلنا منها ما شاء الله . ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يزوِّد أربعمائة راكب من أَحْمَس ، فقال : يارسول الله ، ماهى إلا أصْوُع ، قال : « اذهب » فذهب فزوّدهم منه ، وكان قدر الفَصيل الرابض من التمر وبقى بحاله .

---

(١) الفرق بفتحتين : مكيال يسع ستة عشر رطلا على خلاف فيما يسع . (انظر النهاية) .

(٢) العس (بالضم) : القدح الكبير يروى الثلاثة والأربعة .

(٣) التور : إناء يشرب فيه من صفر أو حجارة وقد يتوضأ منه .

(٤) الحيس : خليط من تمر وسمن وأقط ، وهو فى شرح المواهب كذلك عن الصحيحين .

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى دَيْن أبيه ، وقد كان بَذَل لغُرَماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه، ولم يكن فى ثمرها سنين كَفَافُ دَيْنهم، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بجَذِّها وجعلها بَيَادِر(١) فى أصولها ، ثم جاءه فمشى فيها ودعا، فأوْفَى جابر غُرَماء أبيه من ذلك ، وفضل مثل ما كانوا يَجُذُّون كل سنة . وفى رواية : مثل ما أعطاهم . قال : وكان الغرماء يهودًا فعجبوا من ذلك . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أصاب الناس مَخْمَصة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «هل من شىء» ؟ قلت : نعم ، شىء من التمر فى المِزْوَد، قال : «فأتنى به» فأتيته به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ، ودعا بالبركة ، ثم قال : «آدع لى عشرة» فأكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك ، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا ، قال : «خذ ما جئت به وأدخل يدك وٱقبض منه ولا تكُبّه» فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأَطْعَمْتُ(٢) منه حياةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، إلى أن قتل ١١٦/١٦
عثمان فٱنْتُهِب منى فذهب. وفى رواية : فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله . وذُكِر مثل هذه الحكاية فى غزوة تَبُوكَ، وأن التمر كان بضع عشرة تمرة . ومنه أيضا حديث أبى هريرة رضى الله عنه حين أصابه الجوع ، فٱستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا فى قَدَح قد أهدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصُّفّة ، قال فقلت : ما هذا اللبن فيهم(٣) ! كنت أحقّ أن أصيب منه شَرْبة أتقوّى بها، فدعوتهم ، وذكر أمر النبى صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، قال : فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يَرْوَى، ثم يأخذ الآخر حتى رَوِى جميعُهم ، فأخذ النبى

(١) بيادر (جمع بيدر) : موضع تجفيف التمر والبر ونحوه ليخلص من تبنه . والمراد أنه كومه فى حديقة نخله . (٢) أطعمت منه : أى أهلى ومن أردت إطعامه .

(٣) تعجب منه لقلة اللبن ، وأنه لا يكفيهم .

صلى الله عليه وسلم القَدَح وقال : « بقيتُ أنا وأنت ٱقعد فٱشرب . » فشربت ثم قال : « ٱشرب » وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا والذى بعثك بالحقّ ما أجد له مَسْلَكا، فأخذ القَدَح فحمِد الله وسمّى وشرب الفَضْلة، صلى الله عليه وسلم.

وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
وٱنقيادها إليه وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه أعرابىّ، فقال: «يا أعرابى أين تريد» ؟ قال: إلى أهلى، قال: «هل لك إلى خير» ؟ قال : وما هو ؟ قال : «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله» قال: من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة السَّمُرة[(1)] » وهى بشاطئ الوادى، فأقبلت تَخُدّ[(2)] الأرض حتى قامت بين يديه ، فٱستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها . وعن بُرَيْدة قال : سأل أعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له : « قل لتلك الشجرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدعوك » قال : فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها و بين يديها وخلفها فتقطعت عروقُها ، ثم جاءت تَخُد الأرض، تجُر عروقها مُغْبِرة[(3)] حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يارسول الله، قال الأعرابى: مرها فلترجع إلى مَنْبتها فٱستوت، فقال الأعرابى : إيذن لى أسجدْ لك ، قال : « لو أمرتُ أحدا

---

(١) السمرة (بفتح السين وضم الميم) : شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح، وأشار إليها لقربها منه .

(٢) تخد الأرض : تشقها .

(٣) مغبرة : مسرعة فى مشيها من أغار، ويروى : مغبرة بياء مشددة مكسورة، اسم فاعل؛ يقال: غبر أثار الغبار .

أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها » قال : فأذنْ لى أقبّـلْ يديك ورجليك ، فأذن له .

ومن ذلك ما روى فى الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به ، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من غصانها فقال : «ٱنقادى علىّ بإذن الله» فٱنقادت معه كالبعير المَخْشُوش (١) الذى يصانع قائده . وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك ، حتى إذا كان بالمَنْصَف (٢) بينهما قال : «ٱلتئما علىّ بإذن الله » فالتأمتا . وفى رواية أخرى ، فقال : « يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الحق بصاحبتك حتى أجلس خلفكما » ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها ، فجلس خلفهما ، فخرجت أُحْضِر (٣) ، وجلست أُحدِّث نفسى ، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقْبِل (٤) والشجرتان قد ٱفترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال (٥) برأسه — هكذا — يمينا وشمالا .

وروى أسامة بن زيد نحوه ، قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه : «هل (٦)» ؟ يعنى مكانا لحاجة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلت :

---

(١) المخشوش : الذى وضع فى أنفه خشاش بكسر المعجمة عود لينقاد بسهولة .

(٢) المنصف : أى محل فى وسط المكان . (٣) أحضر : أسرع فى العدو .

(٤) مقبل خبر رسول وفى به « مقبلا » بالنصب على الحالية من مقدر ، أى جاء مقبلا ، والجملة خبر المبتدأ . (٥) قال هنا بمعنى أشار ، وأشار الراوى برأسه ، كما أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشجرتين يمينا وشمالا . (٦) هل : ٱستفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أو ٱستهجان ذكره . والمعنى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة (شرح الشفا للشهاب ٣ : ٥٢ طبع الآستانة) .

إن الوادى ما فيه موضع بالناس(١)، فقال : « هل ترى من نخل أو حجارة » ؟ قلت : أرى نخلات متقاربات، فقال : «انطلق وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك » فقلت ذلك لهنّ ، فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والحجارة يتعاقدن حتى صِرن رُكاما خلفهنّ، فلما قضى حاجته قال لى : « قل لهنّ يفترقن » فوالذى نفسى بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عُدْن إلى مواضعهنّ . وعن ابن مسعود مثله فى غَزاة حُنَيْن . وعن يَعْلَى بن مُرّة — وهو ابن سَيَّابة(٢) — وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٧/١٦ فذكر أن طَلْحَة — أو سَمُرَة — جاءت فأطافت به ، ثم رجعت إلى مَنْبِتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنها استأذنت أن تسلم علىّ» . وفى حديث ابن مسعود : آذنت(٣) النبىّ صلى الله عليه وسلم بالجنّ ليلة استمعوا له شجرةٌ . وذكر أبو بكر بن فُورَك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار فى غزوة الطّائف ليلا وهو وَسِنٌ(٤)، فاعترضته سِدْرَة فانفرجت له نصفين، حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهى هناك معروفة . وقد روى فى مثل ذلك أحاديث كثيرة .

ومن ذلك قِصّة حَنِين الجذع، والخبر بذلك مشهورٌ منتَشر خرّجه أهل الصحيح، ورواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال جابر بن عبد الله : كان المسجد مَسْقوفا على جُذُوع نخل، فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم على جِذْع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العِشَار(٥)، وفى رواية أنس :

(١) بالناس : أى بسبب الناس . (٢) سيابة أمه .

(٣) آذنت (بالمد) : بمعنى أعلمت ، وفاعله شجرة الآتى . (٤) الوسن : النعاس .

(٥) العشار، بكسر المهملة : النوق الحوامل التى بلغت عشرة أشهر لحملها ، جمع عشراء، بضم المهملة .

حتى ٱرْتَجّ المسجد بِخُوَاره(١) . وفى رواية سَهْل بن سَعْد : وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفى رواية المطلب بن أبى وَدَاعَة : حتى تَصَدّع وٱنشَقّ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت . وزاد غيره : فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم « إن هذا بكى لما فَقَد من الذِّكْر(٢) » . وزاد غيره : « والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه(٣) لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تَحزُّنا على رسول الله » صلى الله عليه وسلم، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر . وفى حديث أُبىّ بن كعب : فكان إذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى إليه ، فلما هُدِم المسجد أخذه أُبىّ فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رُفَاتا . وذكر الإسفراينىّ : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فٱلتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه . وفى حديث بُرَيْدة فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه ، تنبت لك عُروقُك، ويكتمل خَلْقُك ويُجَدّد لك خُوص وثَمرة، وإن شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك » ، ثم أصغى له النبى صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال : بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه . فسمعه من يليه(٤) ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « قد فعلت — ثم قال — ٱختار دار البقاء على دار الفناء » .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نطق الجمادات

كتسبيح الطعام فى جوفه، وتسبيح الحصى فى كفّه وكفّ من صبّه فى كفه من أصحابه، وسلام الجبال والأحجار والأشجار عليه ، وسجودها له ، وغير ذلك مما يلتحق به على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

(١) فى شرح المواهب : لجؤاره، وهو بمعنى الأول ؛ أى صياحه . (٢) هو أبو يعلى فى مسنده ، والذى فى شرح المواهب عنه : « والذى نفس محمد بيده » . (٣) ألتزمه : أعتنقه وأضمه . (٤) أى تسمع الجذع من يلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو القريب منه .

فمن ذلك ما رويناه بإسناد متصل عن البخاريّ بسنده، عن عَلْقمة [عن][1] عبد الله قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وفي غير هذه الرواية عن عبد الله ابن مسعود قال : كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ، ونحن نسمع تسبيحه . وقال أنس بن مالك : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفًّا من حصًى فسبَّحنَ في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ، ثم صبهنّ في يد أبي بكر فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن . وروى أبو ذَرٍّ مثله ، وذكر أنهنّ سبحن في كفّ عمر وعثمان . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما آستقبله شجر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وعن جابر بن سَمُرَة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليّ » قيل : إنه الحجر الأسود . وعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما آستقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله » . وعن جابر بن عبد الله قال : لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له . وفي حديث العباس بن عبد المطلب إذ آشتمل[2] عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بمُلاءته فأمَّنَتْ أُسْكُفَّة[3] الباب وحوائط البيت آمين آمين . وعن جعفر آبن محمد عن أبيه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رُمّان وعِنَب، فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبّح . وعن أنس رضي الله عنه قال : صعد ١١٨/١٦

(١) في الأصول « ابن » والتصويب من الشفاء، وعبد الله هو آبن مسعود .

(٢) آشتمل عليه : أي ضمه ، والضمير للعباس رضي الله تعالى عنه .

(٣) كذا في الأصول ، والحديث في الشفا : « وفي حديث العباس إذ آشتمل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وبنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت ... الخ » والأسكفة : عتبة الباب التي يوطأ عليها .

النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أُحُدًا فرَجَف بهم فقال: «اثبتْ أُحُدُ، فإنما عليك نَبِيٌّ وصِدِّيق وشهيدان»، ومثله عن أبى هريرة فى حِراء(١)، وزاد فيه: ومعه علىّ وطلحة والزُّبَيْر، وقال: «إنما عليك نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيد(٢)»، والخبر فى حِرَاء أيضا عن عثمان قال: ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد عبد الرحمن وسعدا، قال: ونسيت الاثنين. وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له ثَبِيرٌ(٣): اهبط يا رسول الله، فإنى أخاف أن يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله، فقال حراء: إلىّ يارسول الله. وقد تقدّم ذكر خبر الأصنام، وسقوطها عند ما أشار إليها بالقَضيب، حين فتح الله تعالى مكة عليه، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أبدا دائما.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم

كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رأته؛ كقصة الدّاجن(٤)، وكلام الضَّبّ والذِّئب، والطائر والظَّبية، وسجود الغنم والبعير، وخبر سَفِينَةَ مولاه مع الأَسَد، وخبر العنز، وغير ذلك مما نورده إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان عندنا داجِنٌ، فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه، فلم يجئ ولم يذهب، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب.

ومنه ما روى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى مَحْفِل من أصحابه إذ جاء أعرابى قد صاد ضَبّا فقال: من هذا؟ قالوا: نبىّ

(١) حراء: جبل بمكة كان يتحنث صلى الله عليه وسلم فى غار فيه.

(٢) أو هنا بمعنى الواو للتقسيم. (٣) ثبير: جبل على يمين الذاهب من منى إلى مكة.

(٤) الداجن: الحيوان الذى يألف البيوت، من دجن بمعنى أقام كالطير والشاء.

الله ، فقال : واللّات والعُزّى لا آمنت بك أو يؤمنَ[(١)] هـذا الضّبّ . وطرحه بين يدى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ضَبُّ » فأجابه بلسان مُبين يسمعه القوم جميعا : لَبّيك وسَعْدَيْك يا زَيْنَ من وَافَى القيامة، قال : «من تعبد»؟ قال : الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته، وفى النار عقابه، قال : « فمن أنا » ؟ قال : رسول رب العالمين، وخاتم النبيين ؛ وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك . فأسلم الأعرابيّ .

ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبى سعيد الخُدْرىّ قال : بينا راع يرعى غنما له ، عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعى منـه ، فأقعى الذئب وقال للراعى : ألا تتّـقِ الله ، حُلْتَ بينى و بين رزق ! قال الراعى : العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؛ رسول الله بين الحَرّتين يحـدّث الناس بأنباء ما قد سـبق[(٢)]، فأتى الراعى النبي صلى الله عليـه وسلم فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قم فحدِّثهم » ؛ ثم قال : « صَدَق » .
ورُوى حديث الذئب عن أبى هريرة . وفى بعض الطرق عنـه قال الذئب : أنت أعجب ! واقفا على غنمك، وتركت نبيا لم يبعث الله نبيًّا قَطُّ أعظم منه عنده قَدْرًا، قد فُتحت له أبوابُ الجنة ، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك و بينه إلا هذا الشِّعْب فتصير فى جنود الله، قال الراعى: من لى بغَنَمِى؟قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع ، فأسلم الرجل إليـه غنمه ومضى ، وذكر قصته و إسـلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « عد إلى غنمك تجدها بوفْرِها[(٣)] » فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها .

---

(١) بنصب يؤمن، أى إلا أن يؤمن. (٢) فى نسخة من الشفا للقاضى عياض : «من سبق».

(٣) وفرها : بتمامها وكمالها لم ينقص منها شىء؛ من قولهم : أرض وفرة لم يرع نباتها .

وروى أن أُهْبان بن أوْس هو صاحب القصة ومُكَلِّم الذئب . وروى أيضا أن صاحب القصة سَلَمَة بن عمرو بن الأَكْوَع ، وأنها سبب إسلامه . وحكى أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة رافع بن عُمَيْرة الطائى أنه كلمه الذئب ، وهو فى ضَأْنٍ له يرعاها ، فدعاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واللحاق به . قال : وزعموا أن رافع بن عميرة قال فى كلام الذئب إياه .

رَعَيْتُ الضَّأنَ أحْميها بكَلْبِي * من الضَّبع الخَفِيِّ وكل ذِيبِ (١)
فلمّا أنْ سمعتُ الذئب نادَى * يُبَشِّرنى بأحمدَ من قريبِ
سَعَيْتُ إليْهِ قد شَمَّرت ثَوْبِى * على السَّاقَيْنِ قاصدةَ الرَّكيبِ ١١٩ / ١٦
فَأَلْفَيْتُ النبيَّ يقول قَوْلًا * صَدُوقًا ليس بالقول الكَذُوبِ
يُبَشِّرُنى بدِين الحَقِّ حتى * تَبَيَّنَت الشريعةُ لِلْمُنِيبِ (٢)
وأبصرتُ الضِّياء يُضِيءُ حَوْلِى * أمَامِى إنْ سَعَيْتُ ومن جَنُوبِى

فى أبيات أُخَر .

وروى ابن وهب : أن مثل هذه القصة وقع لأبى سفيان بن حرب ، وصَفْوَان ابن أُمَيّة مع ذئب وجداه قد أخذ ظبيا ، فدخل الظّبى الحَرَم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجبُ من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار . فقال أبو سفيان : واللاّت والعزّى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنّها خُلُوفا (٣) . وقد روى أيضا مثل هذا الخبر ، وأنه جرى لأبى جهل وأصحابه .

---

(١) الخفىّ ، وفى نسخة أ : « الخفى » والحفى بالحاء المهملة : المبالغ فى الطلب .

(٢) المنيب : الراجع إلى الله .

(٣) الخلوف (بضم المعجمة واللام) : هو مصدر أو جمع خالف ؛ والمراد تركها خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ويرتحلوا إليه صلى الله عليه وسلم . (الشفا) . وعبارة الأصل : « لتتركنها » ، والضمير لمكة .

وعن عباس بن مِرْدَاس السُّلَمى أنه لمّا تعجّب من كلام صنمه ضِمَار، وإنشاده الشعر الذى ذكرناه، فإذا طائر سقط، فقال: يا عباس، أتعجب من كلام ضِمار، ولا تعجب من نفسك؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، وأنت جالس!

وعن أنس رضى الله عنه قال: دخل النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ورجلٌ من الأنصار حائطَ(١) أنصارىّ، وفى الحائط غنم، فسجدت له فقال أبو بكر: نحن أحقُّ بالسجود لك منها ... الحديث. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بَعيرٌ فسجد له، وذكر مثله. ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك، وجابر بن عبد الله، ويَعْلَى بن مُرّة، وعبد الله بن جعفر قال(٢): وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شَدّ عليه الجمل، فلما دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه، فوضع مِشْفَرَه فى الأرض وبرك بين يديه فخَطَمَه، وقال: «ما بين السماء والأرض شىء إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصىَ الجنِّ والإنس». وفى حديث آخر: أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه. وفى رواية: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم: «إنه اشتكى كثرة العمل وقلة العَلَف». وفى رواية: «إنه شكا إلىّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه فى شاقّ العمل من صغره» فقالوا: نعم. وقد روى فى قصة العَضْباء وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم، وتعريفها له بنفسها، ومبادرةِ العُشْب إليها فى الرّعى، وتجنّب الوحوش عنها، وندائهم لها أنكِ لمحمد، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت. ذكره الإسفرائنى. وروى ابن وهب: أن حَمام مكة أظلت

(١) حائط: المراد به هنا البستان.

(٢) قال: أى كل منهم، أو عبد الله بن جعفر.

النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها بالبركة . وقد ذكرنا قصة الغار وخبر الحمامتين والعنكبوت .

وعن عبد الله بن قُرْط قال : قُرِّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدَنات خمس أو ستّ أو سبع لينحرها يوم عيد، فأَزْدَلفْن(١) إليه بأيّتهن يبدأ . وعن أمّ سَلَمة قالت : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم فى صحراء فنادته ظَبية : يا رسول الله، قال: « ما حاجتك » ؟ قالت : صَادَنِي هـذا الأعرابيّ ولى خِشْفَان فى ذلك الجبل ، فاطلقنى حتى أذهبَ فأرضعَهما وأرجع ، قال : « وتفعلين » ؟ : قالت : نعم ، فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها ، فأنتبه الأعرابى . فقال : يا رسول الله، ألك حاجة؟ قال : « تُطلِق هذه الظَّبْية » فأطلقها، فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

ومنه ما روى من تسخير الأسَد لسَفِينَة

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ وجّهه إلى مُعاذ باليمن ، فلقى الأســدَ فعرّفه أنه مولى رســول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه ، فهَمْهَم وتنحّى عن الطريق، وذكر فى منصرفه مثل ذلك . وفى رواية أخرى عنه : أن سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد، قال فقلت : أنا مولى رســول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يَغْمِزُنى بمَنْكِبه حتى أقامنى على الطريق . وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بأذن شــاة لقوم من عبد القيس بين إِصْبَعَيه ثم خلّاها ، فصار لهـا مِيسَمًا ، وبقى ذلك الأثر فيها وفى نسلها . وقد روى عن إبراهيم بن حمّــاد بسنده كلام الحمــار الذى أصابه بخيبر، وقال له :

(١) أزدلفن : تقربن منه .

[ما ٱسمك قال](١) : ٱسمى يزيد بن شهاب ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يَعفُورًا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ، تَرَدَّى فى بئر جَزَعا وحُزْنا فمات . وخبر الناقة التى شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه . وخبر العنز التى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره، وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زُهَاء ثلثمائة ، فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجُنْد ، ثم قال لرافع : « املكها وما أراك(٢) » فربطها فوجدها قد ٱنطلقت . رواه ٱبن قانع وغيره ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذى جاء بها هو الذى ذهب بها » . وقال عليه السلام لفرسه ، وقد قام إلى الصلاة فى بعض أسفاره : « لا تَبرحْ بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا » وجعله قِبلته(٣) فما حرّك عُضْوا حتى فرغ من صلاته صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ماروى من كلام الأموات والأطفال وشهادتهم له بالنبوّة .

فمن ذلك ماروى عن فَهْد(٤) بن عطية : أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتِى بصبيّ قد شَبّ لم يتكلم قطّ ، فقال له : « من أنا » ؟ فقال : رسول الله . وعن مُعَرِّض بن مُعيقِيب قال : رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا، جيء

(١) الزيادة من الشفا للقاضى عياض .

(٢) املكها : أى ٱتخذها ملكا لك لأنها وجدت بأرض العدو ، ويحتمل أن يكون معناه : شدها وأوثقها من ملاك الأمر ، أو من ملك العجين ونحوه . وما أراك : أى لا أظنك تملكها أو تحفظها .

(٣) جعله قبلته : أى جعله فى جهة قبلته ، مانعا وساترا لمن يمر بين يديه صلى الله عليه وسلم .

(٤) فهد (بفاء وهاء ودال) : قال فى شرح المواهب : ليس فى الصحابة من يسمى بذلك . وفى البيهق : شمر بن عطية الأسدى من تابع التابعين .

بصَبيّ يوم وُلد ، فذكر مثله ، وهو حديث مُبَارك اليَمَامة ، ويعرف بحديث شاصُونه(١) آسم راويه ، وفيه ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « صدقت بارك الله فيك » ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شَبّ ، فكان يسمى مبارك اليمامة ، وكانت هذه القدمة بمكة في حجة الوداع .

وعن الحسن رضى الله عنه : أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طَرَح بُنَيّة له في وادى كذا ، فآنطلق معه إلى الوادى وناداها بآسمها « يافلانة آحيي بإذن الله » فخرجت وهي تقول : لَبّيكَ وسَعْديكَ ، فقال لها : « إن أبوَيْك قد أسلما فإن أحببتِ أن أردّك عليهما » قالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيرا لى منهما .

وعن أنس رضى الله عنه أن شابا من الأنصار تُوفّى وله أم عجوز عمياء قال : فسجّيناه وعزّيناها فقالت : مات آبنى ؟ قلنا : نَعَم ، قالت : اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعيننى على كل شدّة ، فلا تُحَمِّلْنَ(٢) علىّ هذه المصيبة ، قال : فما برحنا أن كَشَف الثوب عن وجهه فطَعِم وطَعِمنا .

وروى عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى قال : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس آبن شَمّاس — وكان قتل باليمامة — فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصدّيق ، عمر الشهيد ، وعثمان البرّ الرحيم(٣) ، فنظرنا فإذا هو ميّت(٤) . وذكر عن النعمان بن بشير : أن زيد بن خارجة خرّ ميتا في بعض أزقة

(١) فى الأصول « شاصوبه » والتصويب عن الشفا ٣ : ١٠٥

(٢) أى لا تكلفنى حملها ؛ كقوله تعالى : « لا تحملنا مالاطاقة لنا به » ؛ لأن التكليف كالحمل الثقيل .

(٣) أى ذو البر والإحسان .

(٤) الذى فى أسد الغابة : « أنه أغمى عليه قبل موته فظنوه ميتا فسجوا عليه ثوبه ، ثم راجعته نفسه بكلام حفظ عنه فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ثم مات » .

المدينة، فرفع وسُجِّى إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول : أنصتوا. أنصتوا، فَحُسِر عن وجهه، فقال : محمد رسول الله، النبيّ الأميّ، وخاتم النبيين، كان ذلك فى الكتاب الأوّل ، ثم قال : صدق صدق، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال : السلام عليك يارسول، الله ورحمة الله وبركاته ، ثم عاد ميتا . ومن ذلك قصة الذِّراع وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ٱرفعوا أيديكم فإنها أخبرتنى أنها مسمومة . وقد تقدّم خبر الذراع . والله مُنْجى المتقين ووليهم .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إبراء المرضى وذوى العاهات ، كردّ عيْن قَتَادة ، وكشف بصر الضرير ، وتَفْله صلى الله عليه وسلم علي جراحات فبرأت ، وغير ذلك مما نشرحه إن شاء الله تعالى .

أما عَيْن قَتادة بن النعمان فقد روينا بإسناد متّصل عن سعد بن أبى وَقّاص : أن قَتَادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينَيْه . وذكر الأصمعى عن أبى معشر 121/16 المدنى قال: أوفد أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، بديوان المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلا من ولد قتادة بن النعمان ، فلما قدم عليه قال له : ممن الرجل ؟ قال :

أنا ٱبن الذى سالَتْ على الخَدِّ عَيْنُه ❊ فرُدَّتْ بكفّ المصطفى أحسنَ الرد(١)
فعادتْ كما كانت لِأوّل أمْرِها ❊ فياحُسنَ ماعَيْن وياحسنَ ما رَدّ(٢)

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ ❊ شِيبَا بماءٍ فَعادَا بَعْدُ أبْوالا(٣)

---

(١) يروى أبونا الذى ... الخ . (٢) يروى : وياحسن ماخد ، ورواية الأصل هى رواية الأصمعى وليس فيها إيطاء وهو تكرار القافية ، لاختلافهما تعريفا وتنكيرا .

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت ، وتمثل به عمر بن عبد العزيز، وقعبان تثنية قعب : القدح الضخم، أو الصغير الذى يروى الرجل ، شيبا : خلطا .

حكاه ابن عبد البر. وروى النسائي عن عثمان بن حُنَيف أن أعمى قال: يا رسول الله، ادع الله أن يكشف لى عن بصرى. قال(١): «فانطلق فتوضأ ثم صلّ ركعتين، ثم قل اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيي(٢) محمد نبي الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه فيّ» قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره.

وروى أن ابن مُلَاعِب الأسنّة(٣) أصابه استسقاء فبعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيده حَثْوة من الأرض فتفَل عليها، ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجبا — يرى أنه قد هُزِئَ به — فأتاه بها وهو على شفا فشربها(٤) فشفاه الله. وذكر العُقَيْلِيّ عن حبيب بن فُدَيْك — ويقال فُوَيْك(٥) — أن أباه ابيضّت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئا، فنفَث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينَيْه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط فى الإبرة وهو ابن ثمانين.

وأتته امرأة من خَثْعَم معها صبيّ به بلاءٌ(٦) لا يتكلم، فأُتِى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقْيه ومسّه به، فبرأ الغلام، وعقَل عقلا يَفْضُل عقولَ الناس. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاءت امرأة بابن لها به جُنُونٌ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثَعّة(٧) فخرج

(١) أى قال النبي صلى الله عليه وسلم. (٢) ويروى: «بنبيك».

(٣) ابن ملاعب الأسنة، كذا فى الأصول والشفا؛ والذى فى الإصابة ابن أخ ملاعب الأسنة وأن الذى أرسله إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عكة عسل، وكان به وجع بطن، فسقاه فبرأ؛ وهذا هو المشهور فى القصة. وملاعب الأسنة هو أبو البراء عامر بن مالك الكلابى، والصحيح أنه لم يسلم.

(٤) قوله: «فشربها» يدل على أن المرسل إليه هو مشروب كما فى الإصابة وأسد الغابة.

(٥) ويقال: «فريك» بالراء.

(٦) البلاء: عدم القدرة على الكلام أو الذهول وعدم العقل للكلام.

(٧) ثع: قاء، والثعة المرة الواحدة، والجرو الكلب الصغير، وفى المصباح: والصغير من كل شيء.

من جوفه مثل الجِرْو الأسْوَد فَشُفِي . وكانت فى كَفّ شُرَحْبِيل الجُعْفى سِلْعَة، تمنعه القبض على السيف وعِنان الدابة ، فشكاها إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فما زال يَطْحَنها بكفِّه حتى رفعها ولم يبق لها أَثَرٌ . وسألته جاريةٌ طعاما وهو يأكل ، فناولها من بين يديه ، وكانت قليلة الحَيَاء ، فقالت : إنما أريد من الذى فى فِيكَ، فناولها ما فى فِيهِ،ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه، فلما آستقر فى جوفها ألْقِى عليها من الحياء ما لم تكن آمرأة بالمدينة أشدّ حياء منها .

وأما الجِراحات التى تَفَلَ عليها فبَرأت فكثير

منها أنه صلى الله عليه وسلم بَصَق على أثر سهم فى وَجْه أبى قتادة ، فى يوم ذى قَرَد(١) قال : فما ضرب علىَّ، ولا قاح(٢) . ومنها أن كُلْثوم بن الحُصَين رُمِى يوم أُحُد فى نحره،فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ ، وتَفَل على شَجّة عبد الله آبن أُنَيْس فلم تُمِدّ(٣) . وتَفَل فى رِجْل زيد بن مُعاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قَتَل آبن الأشْرَف فبرئت،وعلى ساق على بن الحَكَم يوم الخَنْدَق، إذ آنكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه . وقطع أبو جهل يد معوّذ بن عَفْراء(٤) فى يوم بدر، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت . رواه آبن وهب ، ومن روايته : أن خُبَيب(٥) بن يَسَاف أصِيب يوم بَدْر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مالَ شِقُّه ، فردّه رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ذو قرد : موضع قرب المدينة أغاروا فيه على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فغزاهم .

(٢) ما ضرب : أى ما آلمنى الجرح ، ولا قاح : أى ولا تقيح .

(٣) لم تمد : أى لم تصب بمدة وقيح .

(٤) عفراء : أمه ، وهو معوذ بن الحارث بن رفاعة .

(٥) خبيب : قال فى أسد الغابة ؛ إنما هو بالمعجمة وضمها ، ويروى : حبيب بن إساف .

وسلم، ونَفَث عليه حتى صح . ونَفَث على ضربة بساق سَلَمَة بن الأَكْوَع يوم خَيْبَر فبرئت . وتفَل فى عَينْى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يوم خَيْبَر وكان رَمِدا فأصبح بارئا . وآشتكى علىّ مرة فجعل يدعو ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « اللهم آشفه أو عافه(١) » ثم ضربه برجله فما آشتكى ذلك الوجع بعد ذلك .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إجابة دعائه

وهذا فصل متسع جدّا ، نذكر منه ما آشتهر وآنتشر ، وتواترت به الأخبار ١٢٢/١٦ وتداولته الرُّواة ، ونقله أصحاب السِّيَر ، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأمة فى إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ؛ وقد روى عن حُذَيفة أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده . روى عن أنس بن مالك قال : قالت أمى يارسول الله ، خادمُك أُنَيْس آدع الله له ؛ قال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته » قال أنس : فوالله إن مالى لكثير ، وإن ولدى وولد ولدى ليعادّون اليوم على نحو المائة ، وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى ، لا أقول سقطا ولا ولد ولد . ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، قال عبد الرحمن : فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا ، ولما مات حفر الذهب من تَرِكَته بالفُؤوس حتى مَجِلَت(٢) فيه الأيدى ، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا ، وكنّ أربعا ، وقيل : مائة ألف ، وقيل : بل صولحت إحداهن — لأنه طلقها فى مرضه — على نيف وثمانين ألفا ، وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية فى حياته . ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة . ولسعد بن أبى وقّاص أن

(١) أو عافه : شك من الراوى .

(٢) المجل : تغير يكون فى اليد من كثرة العمل .

يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحد إلا آستجيب له . ودعا أن يعزّ الله الإسلام بعمر أو بأبى جهل فاستجيب له فى عمر رضى الله عنه ؛ قال آبن مسعود : ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر . وقال لأبى قَتادة : « أفلح وجهُك ، اللهم بارك له فى شعره وبَشَره[(١)] » فمات وهو آبن سبعين سنة وكأنّه آبن خمس عشرة . وقال للنابغة : « لا يَفْضُضِ[(٢)] اللهُ فاك » قال : فما سقطت له سِنّ ، وكان ، أحسن الناس ثغرا[(٣)] ، إذا سقطت له سِنّ نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر . ودعا لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « اللهم فقّهه فى الدين وعلمه التأويل » فسمى بعدُ الحَبْرَ وتَرْجُمانَ[(٤)] القرآن . ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صَفْقَة[(٥)] يمينه ؛ فما آشترى شيئا إلا ربح فيه . ودعا للمِقْدَاد بالبركة ؛ فكان عنده غرائر من المال . ودعا كذلك لعُرْوة بن أبى الجَعْد ، قال : فلقد كنت أقوم بالكُنَاسَة[(٦)] فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا . ودعا لعلىّ أن يُكفَى الحرّ والقُرّ ، فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف ، وفى الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصيبه حَرٌّ ولا بَرْدٌ . ودعا على مُضَر فأُقحطوا حتى آستعطفته قريش فدعا لهم فسُقوا . وتقدم خبره فى دعائه فى الآستسقاء والآستصحاء[(٧)] . ودعا على كِسْرَى أن يُمَزَّق ملكُه فلم يبق له باقيةٌ ، ولم تَعُدْ لفارس مملكة . وقال لرجل رآه يأكل بشماله : « كُلْ بيمينك » قال : لا أستطيع ، فقال : « لا آستطعت[(٨)] » فلم يرفعها إلى فيه بعدُ . وقال فى عُتْبَة بن أبى لهب : « اللهم سلِّط

(١) البشر : ظاهر الجلد واليد ، والمراد الدعاء له بأن يبقى معمرا على أحسن تقويم ، كاملا جميع أعضائه . (٢) لا يفضض : لا يسقط الله أسنانك ، من فضه إذا كسره .

(٣) الثغر : الفم . (٤) الترجمان : الذى ينقل الكلام من لغة إلى لغة ، فتفسير ابن عباس لكلام الله نقل لمعانيه إلى فهوم الناس . (٥) أى فى بيعه وشرائه ، وخص اليمين لأن الأخذ والعطاء بها . (٦) الكناسة : سوق مشهورة بالكوفة . (٧) الآستصحاء : بروز الأرض للشمس ، وظهورها بعدم النبات فيها . (٨) إنما دعا صلى الله عليه وسلم عليه لأنه كان متعنتا إذ كان مستطيعا الأكل بيمينه ، ولم يرفعها لأنها شلت ، وهذا كذلك الذى خطب آبنته منه فقال له : إنها برصاء ولم يكن بها برص فلما ذهب إليها وجدها قد برصت .

عليه كلبا من كلابك » فأكله الأسد كما تقدم . ودعا على مُحَلِّم بن جَثَّامَة ، فمات لسبع فلفظته الأرض ثم وُورِى فلفظته ، فألقوه فى صُدَّين ورَضَموا عليه بالحجارة، والصُّدّ جانب الوادى . ودعواته صلى الله عليه وسلم كثيرة عليه أفضل الصلاة والسلام .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انقلاب الأعيان

فيما لمسه أو باشره، كسيف عُكاشة بن مِحْصن ، وعبد الله بن جَحْش، وغير ذلك . وكان من خبر عكاشة أن سيفه انكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جِذْل حَطب(٢) ، وقال : « اضرب به » فعاد فى يده سيفا صارما طويلا أبيض شديد المتن، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد فى قتال أهل الردّة ، وكان هذا السيف يسمى العَوْن . ودفع لعبد الله بن جحش — وقد ذهب سيفه يوم أُحُد — عسيب نخل(٣) فرجع فى يده سيفا . ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم مرّ على ماء(٤) فسأل عنه ، فقيل له اسمه بَيْسَان وماؤه ملح ، فقال : « بل هو نَعْمَان وماؤه طَيِّب » فكان كذلك . ومنه أنه صلى الله عليه ١٢٣/١٦
وسلم أعطى قتادة بن النعمان — وكان قد صلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة — عُرْجُونا ، وقال : « انطلق به فإنه سيضىء لك من بين يديك عشرا ، ومن خلفك عشرا(٥) ، فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضرب به حتى يخرج فإنه الشيطان »

(١) الرضم : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء .

(٢) الجذل : عود غليظ أو أصل من أصول الشجرة ، والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه عرجونا فعاد فى يده سيفا .

(٣) العسيب : جريدة النخل لاخوص عليها . وفى رواية : كان عرجون نخلة .

(٤) هو الذى مر به النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة ذى قرد .

(٥) أى مقدار عشر أذرع .

فانطلق فأضاء له العُرْجون ، ووجد السواد فضربه حتى خرج . ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم زوّد أصحابه سِقَاء من ماء بعد أن أَوْكَأَه ودعا فيه ، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا لحلوه فإذا به لبنٌ طيب وفى فمه زبدة . رواه حمّاد بن سَلَمَة .

ومما يلتحق بهذا الفصل

أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسا لأبى طلحة ، كان يقطف[(١)] أو به قطاف ، فلما رجع قال : وجدنا فرسك بَحْرا ، فكان بعد لا يجارى . ونخس[(٢)] جمل جابر بن عبد الله ، وكان قد أعْيَا فنَشِط حتى كان ما يملك زِمامه ، وقد تقدم خبره . وخَفَق فرس جُعَيل الأشجعى بمِخْفَقة[(٣)] معه وبَرَّك عليها فلم يملك رأسها نشاطا ، وباع من بطنها باثنى عشر ألفا . وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قَطُوفا لسعد بن عُبادة فرده هِمْلاجا[(٤)] لا يُسايَر. ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه كقصة سَلْمَان فى كتابته ، وما غرس له صلى الله عليه وسلم من الوَدِىّ[(٥)] فأطعمت كلها من عامها ، والذَّهَب الذى أعطاه ، وقد تقدم ذكر ذلك فى إسلام سَلْمَان . ومنه أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عُمَيْر بن سعد وبَرَّك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب . وكذلك السّائب ابن يزيد ، ومَدْلُوك[(٦)] ، وكان يوجد لعُتْبَة بن فَرْقَد طِيبٌ يغلب طيب نسائه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره . ومسح على

---

(١) يقطف : يبطئ فى السير .

(٢) النخس : الطعن فى جنبه أو نحوه بعود أو ما يشبهه .

(٣) الخفق : الضرب ؛ والمخفقة ، الدرة ، وقيل إنها عصا ، وبرّك عليه : دعا له بالبركة .

(٤) الهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة .

(٥) الودى : صغار النخل واحدتها ودية ، وأطعمت : أثمرت .

(٦) مدلوك : هو أبو سفيان الفزارى ، قال : قدمت على رسول الله مع موالى فمسح على رأسى ودعا لى بالبركة ، فكان موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود وسائر شعره أبيض . (أسد الغابة) .

رأس قيس بن زيد الجُذامىّ ، ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة ، ورأسه أبيض ، وموضعُ كَفِّ النبي صلى الله عليه وسلم وما مَرَّت يدُه عليه من شعره أسود ، فكان يُدعى الأغَرّ . وروى مثل ذلك لعمرو بن ثَعْلَبة الجُهَنِيّ . ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور . ومسح وجه قَتَادة بن مِلْحَان ، فكان لوجهه بريقٌ ، حتى كان ينظر فيه كما ينظر فى المرآة . ونضح فى وجه زينب بنت أمّ سلمة نَضْحة من ماء ، فما نعرف كان فى وجه امرأة من الجمال مابها . ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ، وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرءوا . وأتاه رجل به أُدْرَة(١) فأمره أن ينضَحها بماء من عَيْن مَجّ(٢) فيها ففعل فبرأ . وعن طاوس: لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مَسٌّ فصَكّ فى صدره إلا ذهب . والمس: الجنون . ومَجَّ فى دَلْو من بئر ثم صُبّ فيها ففاح منها ريح المسك . وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يبسط ثوبه ، وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيئا بعدُ . ومن ذلك دُرُور الشياه الحَوائل(٣) باللبن الكثير ؛ كقصة شاة أمّ مَعْبَد ، وأعْنُز معاوية بن ثور ، وشاة أَنَس ، وغَنَم حَليمة ، وشَارفها(٤) ، وشاة عبد الله بن مسعود ، وشاة المِقْداد ، والله أعلم .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما أخبر به من الغُيوب ، وما يكون قبل وقوعه ، فكان كما أخبر به صلى الله عليه وسلم ؛ روى عن حُذيفة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدّثه(٥) ، حَفِظه مَنْ حَفِظه ونَسِيَه من نَسِيَه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ،

(١) الأدرة : انتفاخ فى الخصيتين معروف .
(٢) مج فيها : تفل ريقه فيها .
(٣) الحوائل (جمع حائل) : وهى التى لم تحمل مطلقا .
(٤) شارفها : الشارف الناقة المسنة .
(٥) إلا حدثه : أى إلا حدثنا به ، وفى نسخة من الشفا : « إلا حدث به » .

وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، ثم قال حذيفة : ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا ، يبلُغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلا قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته . وقال أبو ذرّ : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علماً.[1] ١٢٤/١٦

ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون فكان، ما أخرجه أهل الصحيح والأئمة، مما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من الظُّهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ، وظهور الأمن حتى تَظْعن[2] المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله ، وأن المدينة ستُغزى[3]، وتُفتح خيبر على يدى علىّ فى غد يومه، وما يفتح الله على أمته من الدنيا، وما يؤتون من زَهْرتها[4]، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ، وما يحدث بينهم من الفُتون[5] والاختلاف والأهواء ، وسلوك سبيل مَن قَبْلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة ، وأنه ستكون لهم أنماط[6] ، ويغدو أحدهم فى حُلّة ويروح فى أخرى ، وتوضع بين يديه صَحفة[7] وترفع أخرى ، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة ، ثم قال آخر الحديث : « وأنتم اليوم خير منكم يومئذ » وأنهم إذا مشوا المُطَيْطاء[8]، وخدمتهم بنات

(١) أى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به ، فكيف بغيره مما يهمنا فى الأرض .

(٢) تظعن : تسافر . (٣) يشير إلى وقعة الحرة ، أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ .

(٤) زهرة الدنيا : حسنها وبهجتها وكثرة خيرها .

(٥) الفتون . الافتتان . وفى نسخة أ : « الفتن » .

(٦) أنماط جمع نمط : وهو ضرب من البسط له خمل رقيق .

(٧) الصحفة : القصعة ، أى تتعدد أصناف ما كلهم .

(٨) المطيطاء : مشية المتبختر ومد اليدين .

فارس والروم ، ردّ الله بأسهم بينهم ، وسلّط شرارهم على خيـارهم ، وما أخبر به صلى الله عليه وسلم من قتالهم التُّرْك والخَزَر والرُّوم ، وذهاب كِسْرى وفارس ، حتى لا كسرى ولا فارس بعـده ، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده ، وأن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر ، وأخبر بذهاب الأمثل فالأمثل من الناس ، وتَقَارُب الزمان ، وقَبْض العـلم ، وظهور الفِـتَن والهَرْج ، وقوله صـلى الله عليه وسـلم : «زُوِيت[1] لى الأرض فأُرِيتُ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى مازُوِى لى منها » فكان كذلك ؛ آمتدت فى المشارق والمغـارب ، ما بين أرض الهنـد أقصى المشرق إلى بحـر طَنْجة[2] حيث لا عمـارة وراءه ، ولم تمتـدّ فى الجنـوب والشمال مثل ذلك . وقوله صلى الله عليه وسـلم : « ويل للعرب من شرٍّ قد آقترب » . وقوله : « لا يزال أهـل الغَرْب ظاهرين على الحقّ حتى تقـوم الساعة » ذهب آبن المدينى إلى أنهم العرب ؛ لأنهم المختصّون بالسَّقى بالغَرْب وهو الدّلو، وقيل : بل هم أهل المغرب ، ومن رواية أبى أُمَامَة : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » قيـل : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : « ببيت المقدس » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بملك بنى أمية ، وولاية معاوية ، ووصاه ، وآتخاذ بنى أمية مال الله دُوَلًا[3] .

وأخبر بخروج ولد العبـاس بالرايات السود ، وملكهم أضـعاف ما ملكوا ، وأخبر بقتل علىّ رضى الله عنـه ، وأن أشقاها الذى يَخْضِب هـذه من هذه ؛ أى لحيته من رأسه . وقال : يُقْتل عثمان وهو يقرأ المصحف ، وأن الله عسى أن

(١) زويت : جمعت ؛ أى جمعت لى أطراف الأرض فأرانى الله مشارقها ومغاربها ، يروى : « فرأيت » . (٢) طنجة : الميناء المشهور بالمغرب على المحيط .

(٣) دولا (جمع دولة) : وهو ما يتداول من المـال ، فيكون لقوم دون قوم .

يلبسه قميصا ، وأنهم يريدون خلعه ، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ ﴾ [١] . وأن الفتن لا تظهر ماداِم عمر حيًّا ، وأخبر بمحاربة الزبير لعلىّ ، ونُبَاح كِلاب الحَوْأَب [٢] على بعض أزواجه ، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة ، وتنجو بعد ما كادت ، وأن عمّارا تقتله الفئة الباغيـة ، وقال لعبد الله بن الزبير : « ويل للناس منـك ، وويل لك من الناس » وقال فى قُزْمان [٣] وقـد أبلى بلاء حسنا مع المسلمين : « إنه من أهل النار » فقتل نفسه . وقال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى ثَقِيف كذّاب ومُبِير [٤] » فكان الكذاب المختار بن أبى عبيد ، والمبير الحجاج بن يوسف . وأخبر بالردّة ، وأن الخلافة بعده ثلاثون ، ثم مُلْكا ، وقال : « إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ، ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم يكون مُلكا عَضُوضا [٥] ، ثم يكون عُتُوًّا وجَبَرُوة وفسادا فى الأمة » فكان كل ذلك كما أخبر . وأخبر أن سيكون فى أمتـه ثلاثون كذّابا فيهم أربع نسوة ، وفى حديث آخر : « ثلاثون دجالا كذّابا آخرهم الدّجال الكذّاب كلهم يكذب على الله ورسوله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فَيْئَكم [٦] ، ويضربون رقابكم » فكان كذلك . وقال : « لا تقـوم الساعة حتى يسوق النـاس بعصاه رجل من قَحْطان [٧] » . وقال : « هلاك أمتى على يدى أُغَيْلِمة من قريش » قال أبو هريرة راوى الحديث : لو شئت سميتهم لكم ،

(١) آية ١٣٧ سورة البقرة . (٢) الحوأب : ماء فى طريق البصرة نبحت كلابها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين ذهبت إلى البصرة فى وقعة الجمل . (٣) قزمان : هو ابن الحارث العبسى المنافق . (٤) كان كذابا لأنه ادعى النبوة بالكوفة ، ومبير : مهلك يسرف فى القتل بغير حق .

(٥) عضوضا : أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا ، وفى رواية : « ثم يكون ملوك عضوض » : جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرس . (النهاية لابن الأثير) .

(٦) فى الشفا : « أفياءكم » بصيغة الجمع ، واحده فىء ، والفىء : الغنيمة .

(٧) أى من عرب اليمن ، وقحطان أبو اليمن .

بنو فلان و بنو فلان . وأخبر بظهور القَدَرِيّة والرافضة ، وسبِّ آخر هذه الأمة أولها . وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم ، والمُخْدَج[١] الذى فيهم ، وأن سِيمَاهم[٢] التَّحليق . وقال : « خيرُكم قَرْنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتى بعد ذلك قوم يَشهدون ولا يُستَشْهَدون ويخونون ولا يؤتمنون ويَنْذُرون ولا يَفُون » . وقال : « لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بالمُوتان[٣] الذى يكون بعد ١٢٥ / ١٦
فتح المقدس . وما وعد من سكنى البصرة ، وأن أمته يغزون فى البحر كالملوك على الأسِرّة ؛ فكان فى زمن يزيد بن معاوية . وقال : « إن الدِّين لو كان مَنُوطًا[٤] بالثريا لناله رجال من أبناء فارس » . وقال صلى الله عليه وسلم فى الحسن بن على رضى الله عنهما : « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين » . وأخبر بقتل الحسين بالطَّف[٥] ، وأخرج بيده تربة ، وقال : فيها مَضْجعه . وقال فى زيد بن صُوحان : يسبقه عُضو منه إلى الجنة ، فقُطعت يدُه فى الجهاد . وقال لسراقة : « كيف بك إذا لبست سِوارَى كِسْرى » فلما أُتى بهما لعمر ألبسهما إياه ، وقال : الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سُراقة . وقال : « تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيْل وقُطْرُبّل والصَّراة[٦] تجبى إليها خزائن الأرض يُخْسَف بها » . فبنيت بغداد . وقال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل طائفتان دعواهما واحدة » . وقال لعمر فى سُهَيل بن عمرو : « عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر » فقام بمكة مقام أبى بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خطبته ، وثبّت الناس

(١) المخدج : الناقص الخلق . (٢) سيماهم : علامتهم ، والتحليق قيل : حلق الرءوس ، وقيل غير ذلك . (٣) الموتان : الموت الكثير ، وكان ذلك فى خلافة عمر بقرية عمواس من قرى بيت المقدس ، نزل بها عسكره ، وهو أول طاعون وقع فى الإسلام سنة ١٦ هـ

(٤) منوطا : معلقا ، والحديث المشهور فى هذا « لو تعلق الدين بالثريا » ويروى « لو تعلق العلم » .

(٥) الطف : موضع قرب الكوفة . (٦) قطربل : قرية بالعراق . والصراة : نهر بالعراق أيضا .

وقوّى بصائرهم ، وقال لخالد حين وجهه إلى أُكَيْدِر : « إنك تجده يصيد البقر » فكان كذلك . وقد تقدّم خبره . وأخبر صلى الله عليه وسلم بوقائع نحن نترقب وقوعها ، كقوله : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القُسْطَنْطِينِيّة » . وأخبر بغير ذلك من الأمور التى وقعت فى حياته فى أماكن بعيدة ، وأخبر بها حال وقوعها كموت النجاشى ، وقتل أمراء مُؤْتة ، وغير ذلك صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس

وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم وآجتماعهم على أذاه

قال الله عز وجل : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[2] . وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[3] . وقال : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[5] . روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبّة ، فقال لهم : « يا أيها الناس آنصرفوا فقد عصمنى الله ربى عز وجل » . وقيل : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا ، فلما نزلت هذه الآية آستلقى ، ثم قال : « من شاء فليخذلنى » . وقد تقدم من عصمة الله له وكفايته قصتا دُعْثور وغُورَث ، وخبر

(١) آية ٦٧ سورة المائدة . (٢) آية ٤٨ سورة الطور .
(٣) آية ٣٦ سورة الزمر . (٤) آية ٩٥ — ٩٦ سورة الحجر .
(٥) آية ٣٠ سورة الأنفال .

حمّالة الحطب ، وأخذ الله تعالى على بصرها حين أرادته بالفِهر(١)، وخبر أبى جهل حين أراده بالحجر، وغير ذلك .

وها نحن نورد فى هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدّمناه ؛ فمن ذلك ما روى عن الحكم بن العاص أنه قال : تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقى بتهامة أحد ، فوقعنا مغشيا علينا ، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فخرجنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تواعدنا أنا وأبوجهم بن حُذيفة ليلةً قتْلَ(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئنا منزله فسمعنا له ، فافتتح وقال : ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ إلى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ(٣) ﴾ فضرب أبو جهم على عَضُد عمر وقال : النَّجُ، وفرّا هاربين ، فكانت من مقدّمات إسلام عمر . ومن ذلك خروجه صلى الله عليه وسلم على قريش حين اجتمعوا لقتاله ، فأخذ الله على أبصارهم حتى ذَرَا(٤) الترابَ على رءوسهم وخلص منهم . ١٢٦/١٦
وقصة الغار، وأَخْذُ الله على أبصارهم ، وخبر سُراقة بن مالك بن جُعْشُم ، وقد تقدّم ذكر ذلك . وفى خبر آخر أنّ راعيا عرف خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين هاجرا ، فخرج يَشْتَدّ(٥) ليعلم قريشا بشأنهما ، فلما دخل مكة ضُرب على قلبه فما يدرى ما يصنع، وأُنسِىَ ما خرج له حتى رجع إلى موضعه . وذكر السَّمَرْقَنْدِىّ : أن رجلا من بنى المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله ، فطمس الله بصره فلم

---

(١) الفهر : الحجر قدر ما يملأ الكف . (٢) فى شرح الشفا للشهاب : « ليلة منصوب على الظرفية منون ، وقتل منصوب على أنه مفعول له أو بنزع الخافض ؛ أى على قتله أو لقتله ، أو بمقدر أى وأضمرنا قتله » . (٣) آية ١ — ٨ سورة الحاقة . (٤) ذرا : نثر .
(٥) يشتد : يسرع فى مشيه .

ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه، وذكر أنّ فيه وفي أبي جهل نزلت: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(١).

وقد رُوي عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا: لئن رأى محمدا — صلى الله عليه وسلم — يُصلّي ليطأنّ رقبته، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل، فلما قرب منه ولّى هاربا ناكصا على عقبيه متّقيا بيديه، فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه، وأبصرت هَوْلًا عظيما، وخَفْقَ أجنحة قد ملأت الأرض. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عُضوا عُضوا». ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾(٢) إلى آخر السورة. وقد ذكرنا أيضا قصة شَيْبَة بن عثمان بن أبي طلحة في غزوة حُنَين. ومن فُضَالة بن عمرو قال: أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: «أفضالة»؟ قلت: نعم، قال: «ما كنت تُحدّث به نفسك»؟ قلت: لا شيء، فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحبّ إليّ منه. ومنه خبر عامر بن الطُّفَيل، وأرْبَد بن قيس، وقد تقدم ذكر قصتهما(٣).

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور الشرائع وغير ذلك، كاطلاعه صلى الله عليه وسلم على أخبار من سلف من الأمم، وقصص الأنبياء والرسل، وأخبار الجبابرة والقرون

(١) آية ٨، ٩ سورة يس. (٢) آية ٦ سورة العلق.

(٣) راجع ص ١٠٥ من هذا الجزء.

الماضية ، وحفظ شرائعهم ، وسرد أنبائهم ، وأيام الله فيهم ، ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب بما فى كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها ، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيّروه ، واحتوائه صلى الله عليه وسلم على لغات العرب وغريب ألفاظها ، والحفظ لأيامها وأمثالها وحِكَمها ، ومعانى أشعارها ، وما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم ، وما علمه من ضروب العلوم وفنون المعارف ، كالطبّ والعبارة (١) والفرائض والحساب والأنساب وغير ذلك ، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وحجة وأصولا يرجعون إليها فى علومهم ، كقوله عليه السلام : « الرؤيا لأول عابر وهى على رِجل طائر » وقوله : « الرؤيا ثلاث ، رؤيا حق ، ورؤيا يحدّث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تحزين من الشيطان » . وقوله : « إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب » . وقوله : « أصل كل داء البَرَدَة (٢) » وقوله : « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة » وقوله : « خير ما تداويتم به السَّعوط (٣) ، واللَّدود (٤) ، والحجامة ، والمَشِىّ (٥) ، وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ، وفى العود المندى (٦) سبعة أشفية » وقوله : « ما ملأ ابن آدم وِعاء شرا من بطنه » . وقوله لكاتبه : « ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للملى » . وقد وردت آثار بمعرفته حروف

---

(١) العبارة : تعبير الرؤيا . (٢) البردة : التخمة وثقل الطعام على المعدة ، سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام . (٣) السعوط بالفتح : ما يجعل من الدواء فى الأنف .

(٤) اللدود بالفتح : ما يسقاه المريض فى أحد شق الفم ، ولديدا الفم جانباه .

(٥) المشى : الدواء المسهل سمى بذلك لأنه يحمل شاربه على المشى والتردد إلى الخلاء .

(٦) العود المندى : قيل هو القسط البحرى ، وقيل هو العود الذى يتبخر به ، قال فى النهاية : القسط عقار (بالهند) : معروف فى الأدوية طيب الريح ، والحديث يروى : « عليكم بهذا العود الهندى فإنه فيه سبعة أشفية » الحديث .

الخطّ، وحسن تصويرها؛ كقوله : «لا تمدّوا بسم الله الرحمن الرحيم» رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس، وقوله فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه — صلى الله عليه وسلم — فقال له : «ألِقِ الدّواة(١)، وحرِّف القلم، وأقم الباء، وفرِّق السين، ولا تُعوِّر(٢) الميمَ، وحَسِّن الله، ومُدّ الرحمن، وجَوِّد الرحيم» وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب، فلا يبعد أن يكون قد رُزِق علم الخطّ، ومُنع الكتابة والقراءة . وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم لكثير من لغات الأمم؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : «سَنَهْ سَنَهْ(٣)» وهى حسنة بالحبشية، وقوله : و «يكثر الهَرْج» وهو القتل بها، وقوله فى حديث أبى هريرة : «اشكَنْب(٤) دَرْدَمْ» أى وجع البطن بالفارسية، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم، ومارس الكتب، وداوم المطالعة، وعكف على الاشتغال . وكان صلى الله عليه ١٢٧/١٦
وسلم بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل : «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ(٥)» وفى هذا أكبر آية، وأعظم دلالة، وأبين حجة، وأبهر معجزة له صلى الله عليه وسلم .

وقد رأينا ان نختم هذه الفصول بذكر

القصيدة التى ابتسمت ثُغُورها بوصف معجزاته، وتحلّت نُحورُها بجواهر صفاته، ورَفَلت فى حُلَل الفخار من باهر آياته، وسحبت ذُيُول الافتخار بإشارات إلى غزواته، وفاح أَرَجُها فأخجل المِسْكَ الدّارِىّ(٦)، وأشرقت أنوارها على النيرين

(١) ألق الدواة : اجعل لها ليقة وهى صوفة تجعل فى الدواة لتزق بالمداد .

(٢) لا تعور الميم : لا تطمسها . (٣) الرواية كما فى النهاية : ألبس أم خالد الخميصة، فجعل يقول : «يا أم خالد سنا سنا»، ثم قال : وتخفف نونها وتشدد .

(٤) اشكنب : يزاد فيها هاء فيقال : اشكنبه . (٥) آية ٤٨ سورة العنكبوت .

(٦) الدارى : نسبة إلى دارين، فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك .

فما ظنك بالدرارىّ، وهى قصيدة الشيخ الإمام العلامة أبى محمد عبد الله بن زكريا الشّقراطِيسىّ[١] رحمه الله تعالى ، و إنما اقتصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لاشتمالها على جمل من أخباره السنية ، ونكت من آثاره التى هى بكل خير مَلية ، وهى :

الحمد لله مِنّا باعثِ الرسلِ * هَدَى بأحمدَ مِنّا أحمدَ السُّبُلِ[٢]
خيرِ البرية من بَدْوٍ ومن حَضَرٍ * وأكرمِ الخلق من حافٍ ومنتعلِ[٣]
توراة موسى أتت عنه فصدّقها * إنجيلُ عيسى بحق غيرِ مُفْتَعَلِ[٤]
أخبارُ أحبارِ أهل الكتب قد وردت * عما رأوا وروَوْا فى الأعصرِ الأُوَلِ
ضاءت لمولده الآفاق واتصلت * بشرى الهواتفِ فى الإشراقِ والطَّفَلِ[٥]
وصرحُ كسرى تداعى من قواعده * وانقاضَ منكسرَ الأرجاء ذا مَيَلِ[٦]
ونارُ فارسَ لم تُوقَد وما خَمِدت * مُذْ ألفِ عامٍ ونهرُ القوم لم يَسِلِ
خرّت لمبعثِه الأوثان وانبعثت * ثواقبُ الشهبِ ترمى الجنَّ بالشُّعَلِ
ومنطقُ الذئبِ بالتصديق معجزةٌ * مع الذراع ونطق العَيْرِ والجملِ[٧]
وفى دعائك بالأشجار حين أتت * تسعى بأمرك فى أغصانها الذُّلُلِ
وقلتَ عودى فعادت فى منابتها * تلك العروقُ بإذن الله لم تَمِلِ

---

(١) الشقراطيسى : نسبة إلى شقراطيسة من بلاد الجريد بتونس . (شرح القصيدة لأبى شامة) .

(٢) منا بكسر الميم : جار ومجرور متعلق بباعث ، ومنا : تفضلا و إحسانا ، أحمد السبل : الإسلام .

(٣) يريد بالحافى والمنتعل جميع الخلق .

(٤) فى نسخة (ا) « بقول غير منتحل » .

(٥) الطفل : العشى .

(٦) انقاض : انهار ، ويروى : « انقاص » بالصاد المهملة . الأرجاء : النواحى ، ميل بفتح الياء : ما كان فى أصل الخلقة كميل العنق ، و بالسكون : ما كان فى الحادث .

(٧) العير : الحمار .

والسَّرح بالشام لمـا جئتها سجدت * شُمّ الذوائِبِ فى أغصانها الخضَلُ (١)
والجِـذع حَنّ لِأن فارقته أسفًا * حنين ثَكْلَى شجتها لَوْعَـة الثُّكْلِ (٢)
ما صبرُ مَن صار من عَيْنٍ على أثرٍ * وحالُ مَن حالَ مِن حالٍ إلى عَطَلِ (٣)
حَيِي فمـات سُكونا ثم مات لَدُنْ * حَيِي حَنينا فأضحى غاية المَثَـــلِ
والشاقلُ امسحتَ الكفَّ منك على * جَهْدِ الهُزَالِ بأوصالٍ لهـا قُحُـلِ (٤)
سحّت ودرَّت بِشَكْر الضرع حافلةً * فرَوَّتِ الركب بعـد النَّهْل بالعلَلِ (٥)
وآيةُ الغـارِ إذ وُقِّيتَ فى حُجُبٍ * عن كل رِجْسٍ لرِجس الكفرِ مُنْتَحِلِ (٦)
وقال صاحبك الصِّدِّيقُ كيف بنا * ونحن منهم بمَرْأى الناظرِ العَجِلِ
فقلتَ لا تحــزن إن الله ثالثنـا * وكنتَ فى حُجُبٍ سِتر منه مُنْسَدِلِ
حمّت لَدَيْكَ حَمامُ الوحشِ جاثمةً * كَيْدا لكل غَـوِىِّ القلبِ مُخْتَبِلِ (٧)
والعنكبوتُ أجادَتْ حَوْكَ حُلّتِها * فـا يُخال خلال النَّسْج من خَلَلِ
قالوا: وجاءت إليه سَرْحةٌ سترتْ * وجهَ النبيّ بأغصان لهـا هُـدُلِ (٨)

---

(١) السرح : الشجر العظيم ، شم الذوائب : مرتفعات الأغصان التى فى أطرافها ، الخضل بالضاد المعجمة : الناعمة ، ويروى بالصاد : أى تحصل الثمر فى التفافها واسترسالها .

(٢) الثكلى : التى فقدت ولدها ، شجتها : أحزنتها ، لوعة : حرقة ، الثكل : الحزن .

(٣) معنى هــذا البيت : كيف يصبر الجذع بعد أن انتقل من مشاهدة رسول الله إلى عدمها فصار بالحنين فى حال موته ، بعد أن كان موته بالسكون فى حال حياته وهذا عجيب .   (٤) قحل : يابسة .

(٥) سحت : صبت صبا متتابعا ، ودرت ، هكذا فى الأصول ، والذى فى الشرح لأبى شامة : سحت بدرة شكرى الضرع ، وقال : المعنى ؛ بدرة شاة شكرى الضرع أى ممتلئة الضرع . حافلة : ترك حلبها حتى امتلأ الضرع ، النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى .

(٦) منتحل : معتقد ، أى معتقد لرجس الكفر .

(٧) حمت : قدرت وأحضرت . وجاثمة : ملازمة المكان لازقة به بجثوم الطير كبروك الإبل ، والكيد : الخداع ، ومختبل : مختل العقل .   (٨) هدل : متدلية .

وفى سُراقة آيات مُبيِّنة * إذ ساختِ الجُرْف وَحْل بلا وَحِلِ (١)
عرجتَ تخترق السبع الطِّباق إلى * مَقامِ زُلْفى كريم قمتَ فيه عَلِ (٢)
عن قابِ قَوْسَيْنِ أو أدنى هبطتَ ولم * تَسْتَكْمِل الليلَ بين المَرِّ والقَفَلِ (٣)
دعوتَ للخلق عام المَحْل مبتهلا * أفديك بالخلق مِن داعٍ ومُبْتَهِلِ (٤)
صَعَّدت كفَّيك إذ كَفَّ الغَمامُ فما * صَوَّبْتَ إلا بصَوْبِ الواكِفِ الهَطِلِ (٥) ١٢٨/١٦
أراق بالأرض ثَجًّا صَوْبُ رَيِّقه * فحَلَّ بالأرض نَسْجا رائقَ الحُلَلِ (٦)
زُهْرٌ من النَّور حلَّت رَوْضَ أرضهم * زَهْرًا من النَّوْر ضافِي النبتِ مُكْتَهِلِ (٧)
مِن كل غُصْنٍ نَضيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ * وكل نَوْرٍ نَضيدٍ مُونِقٍ خَضِلِ (٨)
تحية أحْيَتِ الأحياءَ من مُضَرٍ * بعد المضرة تَرْوِى السُّبْلَ بالسَّبِلِ (٩)
دامت على الأرض سبعًا غيرَ مُقْلِعةٍ * لولا دعاؤك بالإقلاع لم تَزُلِ

---

(١) سراقة : هو ابن مالك كان دليل المشركين فى اقتصاص أثر رسول الله حين هاجر، ثم أسلم بعد حنين، ساخت : دخلت وغابت قوائمها ، الجرف: أنق الخيل ، جرد من التاء لأنه من الأوصاف الخاصة ، الوحل : الطين الرقيق . (٢) الطباق : السموات ، لأنها متطابقة ، أو بعضها فوق بعض ، زلفى كقربى وزنا ومعنى، وعل : من العلو نعت ثان لمقام . (٣) قاب : قدر ، أو أدنى : أقرب ، المر : الذهاب، القفل : الرجوع . (٤) المحل : القحط ، المبتهل : المتضرع .

(٥) صعدت بالتشديد : رفعت ، كف : امتنع ، أو بضم الكاف : منع ، والصوب : النازل ، الواكف : القاطر ، والهطل : المنسكب . (٦) الثج : الاندفاق ، الريق من كل شىء أفضله ، حل : نزل ، وفى الأصول : حل بالأرض ولعله بالروض كما يستفاد من شرح أبى شامة ، نسجا : ناسجا ، رائق : معجب ، الحلل جمع حلة : يريد النبات المختلف الألوان .

(٧) زهر : بيض مضيئة جمع أزهر ، من النور : أى الضوء ، والزهر الثانى : زهر النبات ، وحلت : من التحلية . (٨) نضير : ناعم حسن ، والنضيد : المتراكب ، المونق : المعجب ، خضل : الندى المبتل ، أو المخضل : الناعم . (٩) السبل الأولى : الطرق ، والسبل الثانية : المطر .

وَيَوْمُ زَوْرِكَ بالزَّوراءِ إذ صَدَرُوا * مِن يُمْنِ كفِّكَ عن أُعْجُوبةٍ مَثَلِ (١)
والماءُ ينبعُ جَوْدًا من أناملِها * وسطَ الإناءِ بلا نَهْرٍ ولا وَشَلِ (٢)
حتى توضأ منه القومُ وٱغترفوا * وهم ثلاثُ مِئِينَ جَمْعُ مُحتفِلِ
أشبعتَ بالصاعِ ألفًا مُرْمِلِين كما * رَوَّيْتَ ألفًا ونصفَ الألفِ من سَمَلِ (٣)
وعاد ما شَبِعَ الألفُ الجياعُ به * كما بَدَوْا فيه لم ينقص ولم يَحُلِ
أعجزتَ بالوَحْيِ أصحابَ البلاغةِ في * عصرِ البيانِ فضلَّتْ أوجُهُ الحِيَلِ
سألتَهم سُورةً في مِثلِ حِكْمته * فتَلَّهم عنه حَيْنُ العجزِ حين تَلِي (٤)
ورام رِجْسٌ كَذُوبٌ أن يعارضه * بِعِيٍّ غَيٍّ فلم يُحسِنْ ولم يُطِلِ (٥)
مُشَبَّجٌ بِرَكِيكِ الإفكِ مُلتبِسٌ * مُلَجْلَجٌ بِزَرِيِّ الزُّورِ والخَطَلِ (٦)
يَمُجُّ أوَّلَ حرفٍ منه سامعُه * ويعتريه كَلالُ العجزِ والملَلِ (٧)
كأنه منطِقُ الوَرْهاءِ شَذَّبَه * لَبْسٌ من الخَبْلِ أو مَسٌّ من الخَبَلِ (٨)
أَمَرَّتِ البئرُ وٱغوَرَّتْ لِمَجَّتِه * فيها وأعمى بَصِيرَ العَيْنِ بالتَّفَلِ (٩)

---

(١) الزور : الزائر؛ ويستعمل هذا اللفظ فى الواحد وغيره بلفظ واحد، أى يوم جاءك الزائرون بالزوراء : موضع بالمدينة ؛ وهو المكان الذى نبع فيه الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فتوضأ جميع أصحابه ، وصدروا بعد الورود ، واليمن : البركة . (٢) الضمير فى أناملها لليد الشريفة ، والوشل : القليل من الماء . (٣) السمل : القليل من الماء يبقى فى أسفل الإناء .

(٤) تلهم : صرعهم، والحين بالفتح : الهلاك . (٥) الرجس : القذر، وهو مسيلمة الكذاب ، العى : العجز والانقطاع عند الكلام ، وضد الفصاحة ، والغى : الضلال ، ويطل : من طال امتد ، أو استظهر على القرآن ، أو : يطل من أطال أتى بطائل . (٦) مشبج : مضطرب فاسد ، ملجلج : متردد فى الكلام غير مفصح ، الزرى : الحقير ، والزور : الكذب ، والخطل : المنطق الفاحش المضطرب . (٧) يمج : يطرحه ويلقيه . (٨) الورهاء : المرأة الحمقاء تتكلم بما لا يفهم ، شذبه : فرقه وقطعه ، الخبل بسكون الباء : الفساد ، والخبل بفتح الباء : الجنون .

(٩) أمرت : صارت ذات مرارة بعد العذوبة ، وغار ماؤها بمجته .

وأيبس الضَّرعَ منه شُؤْمُ راحتِه * من بعد إرساله بالرِّسْل مُنْهمِلِ (١)
برئتَ من دينِ قومٍ لا قِوامَ لهم * عقولُهم من وَثاقِ الغَيِّ فى غُلَلِ (٢)
يستخبِرون خفِيَّ الغيبِ من حَجَرٍ * صَلْدٍ ويرجون غَوْثَ النصرِ من هُبَلِ (٣)
نالوا أذًى منك ـ لولا حِلْمُ خالقِهم * وحجّةُ الله بالإنذارِ لم تُنَلِ (٤)
واستضعفوا أهلَ دينِ الله فاصطبروا * لكلِّ مُعضِلِ خَطْبٍ فادِحٍ جَلَلِ (٥)
لاقى بلالٌ بلاءً من أُميّةَ قد * أحلَّه الصبرُ فيه أكرمَ النُّزُلِ
إذ أجهدوه بضَنْكِ الضَّنْكِ وهو على * شدائدِ الأَزْلِ ثَبْتُ الأَزْرِ لم يَزِلِ (٦)
ألقَوْهُ بَطْحًا برمضاءِ البِطاحِ وقد * عالوا عليه صُخُورًا جَمّةَ الثِّقَلِ (٧)
فوحَّدَ اللهَ إخلاصًا وقد ظهرت * بظهرِه كنُدوبِ الطَّلِّ فى الطَّلَلِ (٨)
إنْ قُدَّ ظَهْرُ وَلِيِّ الله من دُبُرٍ * قد قُدَّ قلبُ عدوّ الله من قُبُلِ (٩)
نَفَرْتَ فى نَفَرٍ لم تَرْضَ أنفسُهم * إذ نافروا الرِّجسَ إلا القُدْسَ من نَفَلِ (١٠)

---

(١) الشؤم : نقيض اليمن ، والراحة : الكف . الرسل بالكسر : اللبن ، المنهمل : الفائض .

(٢) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه ، والغلل جمع غلة : خرقة يشد بها فم الإبريق ، وفى شرح أبى شامة : فى عقل جمع عقال : وهو الحبل الذى يعقل به البعير .

(٣) هبل : أعظم أصنام قريش فى الكعبة .

(٤) فى شرح أبى شامة : « وحجة الله بالإعذار » .

(٥) معضل : شديد ، فادح : يقال أمر فادح إذا أثقله وبهظه وعجزعنه . الجلل : العظيم .

(٦) أجهدوه : حملوه فوق طاقته من العذاب ، والضنك : الضيق ، وفى الشروح : بضنك الأمر وهو الصواب ، والأزل : الحبس والتضييق ، والأزر : القوة ، والثبت : ثابت القلب . وفى الأصول « شدائد الأزر بيت الأزل » وهو خطأ ، والتصويب من شرح أبى شامة .

(٧) بطحا : مبطوحا ، الرمضاء : الأرض الشديدة الحرارة بالشمس ، والبطاح : الأودية ، عالوا : أعلوا ، جمة : كثيرة .

(٨) الندوب : الآثار، الطل : المطر الخفيف ، والطلل : ما شخص من آثار الديار على وجه الأرض .

(٩) قد : قطع بالتعذيب .

(١٠) نافروا الرجس : جانبوا الأوثان والشرك ، القدس : الجنة ، النفل : الغنيمة .

بأنفسٍ بُدِّلَتْ فى الخُلد إذ بَدَلَت * عن صِدقِ بَذْلٍ ببدرٍ أكرمَ البَدَلِ
قالوا : محمد قد حَثَّتْ كتائبُه * كالأُسْدِ تَزْأَرُ فى أنيابها العُصُلِ (١)
فويلَ مكّةَ من آثارِ وَطْأَتِه * وويلَ أمِّ قُرَيْشٍ من جوى الهَبَلِ (٢)
فجُدْتَ عفوا بِفضلِ العفوِ منك ولم * تُلْمِمْ ولا بِأَليمِ اللَّوْمِ والعَذَلِ
أضربتَ بالصَّفحِ صفحا عن طَوائلِهم * طَوْلا أطال مَقِيلَ النَّوْمِ فى المُقَلِ (٣)
رحمتَ واشِجَ أرحامٍ أُتِيح لها * تحتَ الوَشيجِ نَشيجُ الرَّوعِ والوَجَلِ (٤)
عاذوا بِظلِّ كريمِ العَفوِ ذى لَطَفٍ * مُبارَكِ الوجهِ بالتوفيقِ مُشْتَمِلِ (٥) ١٢ - ١٦
أحْبِبْ بخَيلٍ من التَّكوينِ قد جُنِبَتْ * لجانبٍ عن جَنابِ الحقِّ مُعْتَزِلِ (٦)
أَعْمَيْتَ جَيْشا بِكَفٍّ من حَصًى جَثَوا * وعُطِّلوا عن حَرَاكِ النَّقْلِ بالنَّقَلِ (٧)
ودعوةٍ بفِناءِ البَيْتِ صادقةٍ * غدا أُمَيَّةُ منها شَرَّ مُنْخَزِلِ (٨)

---

(١) الكتائب جمع كتيبة : طائفة من الجند ، تزأر : تصيح فى غضب ، العصل : الشديدة .

(٢) الجوى : الحزن . الهبل : الثكل . (٣) الصفح : الإعراض ، صفحا : جانبا ، طوائلهم جمع طائلة : العداوة ، طولا : منا وتفضلا ، المقيل : النوم فى القائلة ، وهى وقت الهاجرة ، المقل جمع مقلة : الحدقة ، والمراد العين ، أى صفحك منحهم راحة النوم .

(٤) واشج أرحام : الرحم المشتبكة ، أتيح : تهيأ ، الوشيج : اشتباك القرابة ، النشيج : الغصة بالبكاء فى الحلق من غير انتحاب ، الروع : الفزع ، الوجل : الخوف . (٥) عاذوا : التجئوا واعتصموا ، لطف : رفق ، مبارك الوجه : أى ثبت فيه الخير الإلهى ، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام .

(٦) هكذا ترتيب الأبيات فى الأصول ، وهذا البيت بعد قوله : بيض من العون ... فى ترتيب أبى شامة يلى قوله : من كل مهتصر ... وترتيب أبى شامة هو المناسب . من التكوين : تكوين الله لها ، جنبت : قيدت ، الجناب : الفناء ، المعنى : قيدت هذه الخيل لناحية أهل الكفر المعتزلين عن الحق .

(٧) جثا : قعد على ركبتيه ، والنقل بالتحريك : الحجارة ، أى رماهم عليه السلام بحصى فنزل عليهم حجارة عطلت حركتهم . (٨) فناء البيت : السعة التى أمامه ، والمراد البيت الحرام ، انخزل : انقطع ، أمية : هو أمية ابن خلف الجمحى .

غادرتَ جهلَ أبي جهلٍ بمَجْهَلَةٍ * وشابَ شَيْبَةُ قبلَ الموتِ من وَجَلِ (١)
وعُتْبَـــةُ الشرِّ لم يُعْتِبْ فتعطِفَـــه * منك العواطفُ قبلَ الفَوْتِ في مَهَلِ (٢)
وعُقْبَةُ الغُمْرُ عقباه لِشِـــقْوَتِه * قد ظَلَّ مِن غَمَراتِ الغَيِّ في ظُلَلِ (٣)
وكلُّ أشْوَسَ عاتِي القلبِ مُنْقَلِبٍ * جعلته بقَلِيبِ البِئْرِ كالجُعَـــلِ (٤)
وجاثمٍ بمُثـارِ النَّقْـعِ مُشْـــتَغِلٍ * بجاحِمٍ من أُوَارِ النـارِ مُشتعِلِ (٥)
عقدتَ بالخِزْيِ في عِطْفَيْ مُقَلَّدِهم * طَوْقَ الحَـمامةِ باقٍ غيرَ منتقِـلِ (٦)
أمسى خليـلَ صَغارٍ بعـد نَخْوَتِه * بالأمسِ في خُيَلاءِ الخَيْلِ والخَوَلِ (٧)
دامٍ يُدِيمُ زَفِـيرًا في جوانحِـــه * جُنْحٌ من الشكِّ لم يَجْنَحْ ولم يَمِلِ (٨)
يُقادُ في القِدِّ خَنْقًا مُشْرَبًا حَنَقًـا * يمشي به الذُّعْرُ مشيَ الشاربِ الثَّمِلِ (٩)

---

(١) غادرت : تركت ، مجهلة : أمر حمله على الجهل .

(٢) في الشرح « قبل الحين » : وهو الهلاك ، ومهل : رفق .

(٣) الغمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور ، غمرات : شدائد ، الغي : الضلال ، ظلل : جمع ظلة .

(٤) الشوس : النظر بمؤخر العين في تكبر وغيظ وحقد ، أو رفع الرأس تكبرا ، العاتي : الذي بلغ الغاية في القسوة ، المنقلب : المنصرف ، أي عن الحق ، القليب : البئر ، والإضافة للبيان ، الجعل كصرد : دويبة سوداء تكون في المواضع الندية . (٥) جاثم : جالس على ركبتيه ، النقع : الغبار ، الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال ، الأوار : اللهب ، وفي الشرح : « أوار الثكل » .

(٦) الخزي : الذل والفضيحة ، عطفا الإنسان : جانباه من لدن رأســه إلى وركه . ومقلدهم : الذي يقتدون به ، طوق الحمامة : ما استدار بعنقها ، أي طوقا كطوق الحمامة .

(٧) الخليل : الصـديق ، الصغار : الذل والهوان ، النخوة : العظمة والتكبر ، الخيلاء : الكبر والإعجاب ، الخول : الخدم والحشم . (٨) دام : داميا أي جريح يسيل دمه ، يديم : من الدوام ، والزفير : تنفس الصعداء ، والجوانح : الأضلاع ، والجنح : الظلمة ، لم يجنح : لم يمل .

(٩) القد : السير ، خنقا : مخنوقا ، مشربا : أدخل فيه حتى خالطه ، الحنق : الغيظ ، الذعر : الفزع ، الثمل : السكران ، أي يتمايل في مشيه خوفا .

أَوْصالُه من صَلِيلِ الغُلِّ فى عِلَلٍ * وقلبه من غَلِيلِ الغِلِّ فى غَلَلِ (١)
يَظَلّ يَحْجِلُ ساجِى الطَّرْفِ خافِضَه * بِمَسْكَةِ الحِجْلِ لا من مَسْكَةِ الحَجَلِ (٢)
أَزَحْتَ بالسيفِ ظهرَ الأرضِ من نَفَرٍ * أَزَحْتَ بالصدقِ منهم كاذبَ العِلَلِ (٣)
تَرَكْتَ بالكفرِ صَدْعًا غيرَ مُلْتَئِمٍ * وآبَ منكَ بقَرْحٍ غيرِ مُنْدَمِلِ (٤)
وأَفْلَتَ السيفُ منهم كلَّ ذى أَسَفٍ * على الحِمامِ حَماه آجِلُ الأَجَلِ (٥)
قد أعتقته عِتاقُ الخيل وهو يرى * به إلى رِقِّ موتٍ رِقَّةَ الغَزَلِ (٦)
فكم بمكّةَ من باكٍ وباكيةٍ * بفَيْضِ سَجْلٍ من الآماقِ مُنْسَجِلِ (٧)
وكاسفِ البالِ بالِى الصبرِ جُدْتَ له * بِوابِلٍ من وَبالِ الخِزْىِ مُتَّصِلِ (٨)
فؤاده من سَعِيرِ الغَيْظِ فى غُلَلٍ * وعينه من غَزِيرِ الدمعِ فى غَلَلِ (٩)

---

(١) أوصاله : أعضاؤه ومفاصله ، الغل : القيد ، العلل جمع علة : المرض ، والغل بالكسر : الحقد ، وغليله حرارته والتهابه . الغلل : جمع غلة وهى مثل الغليل .

(٢) يحجل : يقفز فى الحجل وهو القيد ، ساجى : ساكن ، الطرف : العين ، المسكة : الإمساك . الحجل : الحجال ، وهى قباب العروس تزين بالستور الواحد حجلة ؛ يقول : إنما سجا طرفه من ذلة الأسر ، لا كما تسجو ألحاظ النساء من لزوم الحجاب ، وإمساكهن فى الحجال .

(٣) أزحت : أزلت وأذهبت ، العلل : الأعذار . (٤) بالكفر : فى الكفر أو فى أهله ، صدعا : شقا ، ملتئم : مجتمع ، آب : رجع ، والقرح : الجرح ، والاندمال : البرء .

(٥) أفلت السيف حماهم السيف على الهرب ، الأسف : الحزن ، الحمام : الموت ، حماه : منعه ، الآجل : المتأخر ، الأجل : أمد العمر . (٦) أعتقته : أنجته ، عتاق الخيل : جيادها ، الرق : العبودية ، والرقة : اللطافة ، والغزل : مداعبة النساء وممازحتهن .

(٧) السجل : الدلو العظيمة المملوءة ماء ، الآماق : أطراف الأعين التى يخرج منها الدمع ، منسجل : منصب . (٨) كاسف البال : متغير الحال سيئها ، بلى الصبر : فنى ، الوابل : الشديد الانصباب ، وبال الخزى : مضرته وأذاه وثقله ، والخزى : الهلاك . وفى الجود تهكم ؛ كقوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » . (٩) الفؤاد : القلب ، السعير : الاشتعال ، الغيظ : الغضب ، الغلل بالضم جمع غلة : الحرارة فى الصدر من الحزن أو العطش ، والغلل بالفتح : الماء بين الشجر ، والماء الذى ليس له جرى .

قد أسعرت منه صدرا غير مُصْطبِرٍ * وحَمَّلتْ منـــه قلبا غـير مُحتمل (١)
ويومَ مكةَ إذ أشْرَفْتَ فى أُمَمٍ * يضيق عنها فِجَاجُ الوَعْرِ والسَّهَلِ (٢)
خَوافِق ضاق ذَرْعُ الخافِقَيْن بها * فى قاتم من عَجاجِ الخيـل والإبل (٣)
وجَحْفَل قَذَفُ الأرجاءِ ذى لَجَبٍ * عَرَمْرَم كزُهاءِ الليـــلِ مُنْسَدِلِ (٤)
وأنت ـ صلى عليك الله ـ تَقْدُمُهم * فى بَهْوِ إشراقِ نورٍ منـك مُكْتَمِلِ (٥)
يُنـير فوقَ أغرِّ الوجهِ مُنْتَجَب * متوج بعــزيز النصر مُقْتَبِـــل (٦)
تسمُو أمامَ جنــودِ الله مُرْتَدِيا * ثوبَ الوَقَارِ لأمر الله ممتثـــل
خشعتَ تحت لِواءِ العزِّ حين سمتْ * بك المهابةُ فِعلَ الخاضِع الوَجِل (٧)
وقـد تَبـاشر أملاكُ السماء بما * مُلِّكتَ إذ نلتَ منـه غاية الأمل
والأرضُ تَرْجُف من زَهْوٍ ومن فَرَقٍ * والجوُّ يَزْهَر إشراقا من الجَــذَلِ (٨)
والخيل تختال مَيْـــلا فى أعِنَّتِهـا * والعِيسُ تَنْتال رَهْوا من ثُنَى الجُدُلِ (٩)

---

(١) فى رواية : أشعرت بالمعجمة. (٢) فى الشرح : أشرفت، وفى الأصول : أشرقت، الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال ، وفى الشرح الوعث ، وهـو المكان اللين تغوص فيه الأقدام ، والسهل بفتح الهاء للضرورة . (٣) خوافق : أى ألوية وبنـود ، بالكسر بدل من الأمم فى البيت السابق، أو بالضم، وفى الأصـول : حوافر ، قال الشارح : تصحيف لأنه أراد المجانسة ، والخافقان : أفقا المشرق والمغرب : أى ضاق وسعهما بها، القاتم : المغبر الأسود .

(٤) الجحفل : الجيش العظيم ، قذف : متباعد، الأرجاء : النواحى، اللجب : اشتباك الأصوات، عرمرم : كثير، زهاء : قـدر ، فى الشرح : « السـيل منسجل » . (٥) البهـو : البناء المقدم أمام البيوت . (٦) الأغر : الأبيض المنير ، المنتجب : المتخير .

(٧) فى الشرح : «بهاء العز» : وهو حسنه وجماله ، سمت : علت . فى نسخة : «الخائف الوجل» .

(٨) ترجف : تضطرب ، الزهو : خفة الطرب، والفرق : الفزع ، والجذل : الفرح والسرور .

(٩) تختال : تتبختر، العيس : الإبل، تنتال : تنصب من كل جهة، الرهو : ضرب من السير ، الجدل جمع جديل : الزمام، فى شرح أبى شامة : « زهوا » بدل « ميلا » .

لولا الذى خَطَّتِ الأقلام من قَدَرٍ * وسابِقٍ من قَضاءٍ غيرِ ذى حوَلِ
أهَـلَّ ثَهلانُ بالتهليلِ من طَرَبٍ * وذابَ يَذْبلُ تكبيرا من الذُّبلِ (١)
١٣٠/١٦ الملك لله هـذا عِزٌّ من عَقَـدت * له النبوّة فوق العـرشِ فى الأَزَلِ
شَعَبْتَ صَدْعَ قريشٍ بعدما قَذَفتْ * بهم شُعُوبُ شِعابَ السَّهْلِ والقُلَلِ (٢)
مِن كل مُهْتَصِرٍ لله منتصِرٍ * بالسيف مُخْتَصِرٍ بالرُّمْحِ معتَقِـلِ (٣)
يمشى إلى الموت عالِى الكعبِ معتقِلا * أظْمَى الكُعُوب كمشى الكاعبِ الفُضُلِ (٤)
قد قاتلوا دونك الأقيالَ عن جَلَدٍ * وجالَدوا بجِـلاءِ البِيضِ والجَدَلِ (٥)
وصلتهم وقطعتَ الأقربِين معًـا * فى الله لولاه لم تَقْطَع ولم تَصِـلِ
وجاء جِبريل فى جُنـدٍ لهم عُدَد * لم يبتـذِلها أكُفّ الخلقِ بالعملِ
بِيضٌ من العَوْنِ لم تُسْتَلّ من غُمُدٍ * خيلٌ من الكَوْنِ لم تُسْتَن فى طِيَلِ (٦)

(١) ثهلان و يذبل جبلان ، والذبل : الرماح الذوابل ، فى الشرح : * وذاب يذبل تهليلا ... * فالتهليل أوّلا : لا إله إلا الله ، وثانيا : الجبن والفـزع . (٢) شعبت : جمعت ، وهو من الأضداد ، الصدع : الشق ، شعوب : من أسماء الموت ، القلل : أعالى الجبال .

(٣) هذا البيت والخمسة الأبيات التى بعده المناسب كما فى شرح أبى شامة أن تكون قبل قوله :

بأنفس بذلت فى الخـلد إذ بذلت * من صـدق بذل بيدر أكرم البدل

ومهتصر : أى كاسر الأقران ، فى شرح أبى شامة : « بالبيض مختصر بالسمر معتقل » اختصر الشىء : مسكه بيده كأنما يمس خصره ، والسمر : الرماح ، المعتقل : الذى جعل رمحه بين ساقه وركابه .

(٤) عالى الكعب : وصف بالشرف والظفر ، أظمى الكعوب : أسمر الرماح ، أو الكعوب الظمأى والكاعب : الجارية الناهد ، الفضـل : المتفضلة فى ثوب واحد من غير قناع ، والوجه أن الفضـل هنا وصف لمشى الكاعب لا لها . (٥) الأقيال : الملوك ، وفى رواية «الأقتال» : الأعداء ، وطيها الشرح ، الجلد : الصبر ، الجلاد : المضاربة ، وفى الشرح « جادلوا » خاصموا ، بجلاء البيض : كذا فى الأصول ، وفى الشرح بجلاد البيض : أى جمعوا بين حجة اللسان ، والمضاربة بالسيوف .

(٦) بيض : سيوف ، من العون : من عون الله ، الكون : قوله سبحانه : كن فكانت ، لم تستن : لم تمرح ، فى طيل : فى حبل ، سمى بذلك لأن الدابة تطول فيه وتمتد فى المرعى .

أزكى البريةِ أخلاقا وأطهـرها * وأكثر الناس صفحا عن ذوِى الزَّلَلِ
زان الخشـوعَ وقارٌ منه فى خَفَرٍ * أرَقَّ من خَفَرِ العـذراءِ فى الكِلَلِ (١)
وطُفتَ فى البيت محبُورا وطاف به * من كان عنه قُبَيْلَ الفتحِ فى شُغُلِ
والكفرُ فى ظلماتِ الرِّجسِ مُرْتكِس * ثاوٍ بمنزلةِ البَهْموتِ من زُحَلِ (٢)
حجزتَ بالأمنِ أقطار الحجاز معًا * وملتَ بالخوفِ عن خَيْفٍ وعن مَلَلِ (٣)
وحَلّ أمْنٌ ويُمْنٌ منك فى يَمَنٍ * لما أجابت إلى الإيمان فى عَجَلِ
وأصبح الدينُ قد حُفّتْ جوانبه * بِعِـزةِ النصرِ واستعلى على المِلَلِ (٤)
قد طاع مُنْحَرِفٌ منهـم لِمعترِفٍ * وانقاد منعـدِلٌ منهـم لِمعتـدِلِ
أخْبِبْ بِخُلّةِ أهلِ الحقّ فى الخُلَلِ * وعِزّ دولتِـه الغـرّاء فى الدوَلِ
أمّ اليمامَةَ يومٌ منـه مُصْطَلِمٌ * وحَلّ بالشامِ شُـؤْمٌ غير مرتحِلِ (٥)
تَعرّقتْ منه أعراقَ العِـراقِ ولم * يترك من التُّركِ عَظْما غير مُنْتَثِلِ (٦)

---

(١) خفر : حياء ، الكلل جمع كلّة : السّتر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض .

(٢) الرجس : القذر ، وفى نسخة الشرح : «الخزى» ، ارتكس : قلب الشيء على رأسه ورد أوّله على آخره ، ثاو : مقيم ، البهموت : الحوت الذى يزعمون أنه يحمـل الثور الحامل للأرض ، وزحل : أعلى النجوم السيارة ، يريد أن الكفر فى غاية السفل .

(٣) حجزت : منعت ، وملت : نحيت وأذهبت ، والخيف : منى ، وخيف بنى كنانة الذى نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عام حجه ، وفى نسخة به « حيف » بدل « خوف » والحيف الجور والظلم ، والخوف أحسن ، وملل : موضع بين مكة والمدينة ، وتنكير الخيف مع علميته للضرورة .

(٤) فى الشرح : « واستولى على الملل » .

(٥) أم : قصد ، مصطلم : مستأصل بالهلاك ، يشـير إلى القضاء على مسيلمة الكذاب وقومه . والشؤم : نقيض اليمن ، أى لازمها الشؤم حتى قضى على ممالكها ، وعمها الإسلام .

(٦) تعرقت : أخذ ما عليها من اللحم ، الأعراق جمع عرق بالفتح : العظم ، وهذا مثل ، إشارة إلى استباحة الإسلام لكنوزها وممالكها ، منتثل : مستخرج ، من انتثلت البئر إذا استخرجت ترابها .

لم يبق للفرس ليث غير مفترس * ولا من الحُبْش جيش غير مُنْجفل (١)
ولا من الصِّين صَوْنٌ غير مبتذَل * ولا من الروم مرمى غير منتضَل (٢)
ولا من النُّوب جِذْم غير منْجَذِمٍ * ولا من الزِّنج جِذْل غـير منْجذَل (٣)
ونيل بالسَّيف سِيف النِّيلِ واتصلت * دعوى الجنود فكلٌّ بالجلادِ صلى (٤)
وسُلّ بالغَربِ غَرْبُ السيف إذ شَرِقتْ * بالشرقِ قبلُ صدورُ البِيضِ والأَسَلِ (٥)
وعاد كل عـدوّ عَزّ جانبـه * قد عاذ منـك ببذلٍ منـه مُبتذَل (٦)
بذمّةِ الله والإيمـانِ مُتَّصِـلٌ * أو من شَبَا النَّصْلِ بالأموالِ مُتصِل (٧)
يا صفوة الله قد صافيتُ فيك صَفَا * صَفْوِ الوِدادِ بلا شَوْبٍ ولا دَخَلِ (٨)
ألستَ أكرمَ من يمشى على قدمٍ * من البريةِ فوق السهلِ والجبـلِ
وأزْلَف الخلقِ عنـد الله منزلةً * إذ قِيل فى مشهدِ الأشهادِ والرسلِ
قم يا محمد فاشـفع فى العِباد وقُـلْ * تُسمَعْ وسَلْ تُعْطَ واْشفع عائدا وسَلِ
والكوثر الحوض يَروِى الناسَ من ظمأ * بَرْحٍ ويُنْقَـع منـه لاعِجُ الغُلَلِ (٩)

(١) انجفل: انهزم. (٢) مبتذل: ممتهن، ومنتضل: مرتمى، يقال: تناضلوا تراموا بالنبال.

(٣) الجذم: الأصل، منجذم: منقطع، والجذل بمعجمة: الأصل أيضا، منجذل: منقطع.

(٤) سيف: شاطئ. النيـل: نهر مصر، والجلاد: المضاربة، وأشار إلى أن الأقطار التى ذكرها فتحت بالسيف وعمها الإسلام. (٥) الغـرب: المغرب، غرب السيف: حده، شرقت: غصت، البيض: السيوف، الأسـل: الرماح؛ يريد أن المسلمين لما فرغوا من فتح بلاد الشرق ورويت منها سيوفهم ورماحهم حتى شرقت بدماء أهل الشرك قصدوا نحو المغرب ففتحوا بلاده.

(٦) عاد: صار، وعاذ: تعوذ واستجار. (٧) الذمة: الأمان، أى ما بذله لنجاته من القتل إما إيمان بالله وإما جزية، وشبا النصل: حده وطرفه، والنصل: السيف.

(٨) صافيت فيك: فى زائدة، أى صافيتك، صفاء بالمد؛ قصره للضرورة، والشوب: الخلط والدخل: الدغل والفساد. (٩) برح: شديد، ينقع: يسكن، لاعج: شديد الحرارة، الغلل جمع غلة: شدة العطش.

أصفى من الثلج إشراقا مذاقتُــه * أحلى من اللبن المضروب بالعسل
نَحَلْتُــك الوُدَّ منّى إذ نحلتــكه * أُحْبَى بفضلك منه أفضلَ النحلِ[١]
فما لجلدى بِنَضْجِ النـار من جَلَدٍ * ولا لقلبى بهَوْلِ الحشرِ من قِبَـلِ
يا خالق الخلقِ لاتُخْلِق بما آجترمت[٢] * يداى وجهى مِن حُوبٍ ومن زَلَلِ
وآصحبْ وصَلِّ وواصِلْ كلَّ صالحةٍ * على صَفِيِّك فى الإصباح والأُصُلِ

١٣١/١٦ صلى الله عليه وسلم

وقــد آن أن نأخذ فى ذكر أخبار وفاة رسول الله صلى الله عليــه وسلم، ونبدأ من ذلك بمـا أنزل عليه عند آقتراب أجله، ثم نذكر آبتداء وجعه والحوادث التى آتفقت فى أثناء مرضه إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم.

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند آقتراب أجله، وما كان يقوله ممـا آستُدل به على آقترابه

كان ممـا آستدِل به على آقتراب أجل رسـول الله صلى الله عليه وسلم، نزول سورة الفتح، وتتابع الوحى، وتكرار عرض القرآن على جبريل، وآستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع والشهداء. روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عن قول الله عز وجل: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْــحُ . ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا[٣] ﴾ فقـال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا. وقال بعضهم: فتح المدائن والقصور. وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، قال عمر: كذاك تقول يا آبن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو

---

(١) نحل: أعطى، والنحلة العطية، حباه: أعطاه، فى الشرح: «أحبى بحبك».
(٢) خلق: بَلِى، الحوب: الذنب. (٣) آية ١، ٢ سورة النصر.

أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(١) فقال عمر رضى الله عنه : ما أعلم منها إلا ما تقول . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما صلّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلا يقول فيها : « سبحانك ربّنا وبحمدك اللهم اغفر لى » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ داعٍ من الله ووداعٌ من الدنيا . وعنه رضى الله عنه قال : لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال : « إنه نُعيت إلىّ نفسى » قالت : فبكيتُ ، فقال : « لا تبكى فإنك أوّل أهلى بى لحوقا » فضحكتُ . وروى محمد بن سعد بسنده إلى أنس بن مالك : أن الله تبارك وتعالى تابع الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفّى ، وأكثر ما كان الوحى فى يوم توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى ابن سعد أيضا بسنده إلى عِكرمة قال قال العباس : لأعلمنّ بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، فقال له : يا رسول الله ، لو اتخذت عرشا فإن الناس قد آذوك ، قال : « والله لا أزال بين ظهرانيهم ينازعونى ردائى ويصيبنى غُبارهم حتى يكون الله يريحنى منهم » قال العباس : فعرفنا أن بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا قليل . وعن واثلة بن الأسقع قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أتزعمون أنى من آخركم وفاة ، ألا وإنى من أوّلكم وفاة ، وتتبعونى أفنادا(٢) يُهلك بعضُكم بعضا » . وعن أبى صالح قال : كان جبريل يعرض القرآن كل سنة مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان العام الذى

(١) آية ٣ سورة النصر .

(٢) أفنادا : أى جماعات متفرقين قوما بعد قوم ، واحدهم فند . (النهاية) .

قُبِض فيه بمرضه عليه مرتين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى شهر رمضان العشر الأواخر ، فلما كانت السنة التى قبض فيها ٱعتكف عشرين يوما . وعن عائشة وٱبن عباس رضى الله عنهم نحوه .

ذكر استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بَقِيع الغَرْقَد[1] والشُّهداء، وما روى من تخييره بين البقاء ولقاء الله تعالى ، وٱختياره لقاء ربه عز وجل

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلبس ثيابه ثم خرج ، فأمرت جاريتى بَرِيرَة تتبعته، حتى إذا جاء البقيعَ وقف فى أدناه ما شاء الله أن يقف، ثم ٱنصرف فسبقته بَرِيرَة فأخبرتنى فلم أذكر له شيئا حتى أصبح، ثم ذكرت ذلك له فقال : « إنى بُعثت لأهل البقيع لأصلى عليهم » . وعنها رضى الله عنها قالت : ٱفتقدت النبىَّ صلى الله عليه وسلم من الليل فتبعته فإذا هو بالبقيع فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فَرَطٌ[2]، و إنا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تَفْتِنَّا بعدهم » قالت : ثم التفت إلىَّ فقال : ١٣٢/١٦
« وَيْحها لو تستطيع ما فَعلتْ » . وعنها رضى الله عنها قالت : وَثَب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضجعه من جوف الليل ، فقلت : إلى أين بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : « أمرت أن أستغفر لأهل البقيع » قالت : فخرج وخرج معه مولاه أبو رافع ، وكان أبو رافع يحدّث قال : ٱستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم طويلا ثم انصرف، وجعل يقول : « يا أبا رافع إنى خُيِّرت بين خزائن

(١) البقيع فى الأصل : المكان المتسع الذى فيه شجر، والغرقد : شجر عظيم كان ينبت فى المكان الذى فى المدينة المنورة فزال فسمى به .

(٢) الفرط فى الأصل : مقدّم القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم وسائله .

الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء ربي والجنة فآخترت لقاء ربي» . وعن أبي مُوَيْهِبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل : «يا أبا مُوَيْهِبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فآنطلقْ معي» فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع فآستغفر لأهله طويلا، ثم قال: «ليهنِئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفِتن كقِطع الليل المظلم يَتْبع بعضها بعضا، يَتْبع آخرها أوّلها، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا مُوَيْهِبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» فقلت : بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فقال : «لا والله يا أبا مُوَيْهِبة لقد آخترت لقاء ربي والجنة» ثم آستغفر لأهل البقيع وآنصرف . والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير مناف؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما آستغفر لأهل البقيع ليالي، ويؤيد هذا ويَعْضُده ما رواه عطاء بن يَسار عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أتانا وإياكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم آغفر لأهل بَقِيع الغَرْقَد» . وعن عطاء بن يَسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِي فقيل له : آذهب فصَلِّ على أهل البقيع، ففعل ذلك ثم رجع فرقَد، فقيل له آذهب فصلِّ على الشهداء، فذهب إلى أُحُد فصلى على قتلى أُحُد، فرجع معصوب الرأس، فكان بُدُوّ الوجع الذى مات فيه صلى الله عليه وسلم .

وعن عُقبة بن عامر الجُهَنيّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أُحُد بعد ثمان سنين كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال : «إني بين أيديكم فَرَط وأنا عليكم شهيد، وإنّ موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تَنافسوها» .

ذكر ٱبتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وٱستئذانه نساءه أن يمرض فى بيت عائشة رضى الله عنها

كان ٱبتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم الأربعاء، قيل : لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة . وقيل : لليلة بقيت من صفر.

روى عن ٱبن شهاب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود — دخل حديث أحدهما فى حديث الآخر — عن عائشة رضى الله عنها قالت : بدا برسول الله صلى الله عليه وسلم شَكْوُه الذى تُوفِّى فيه وهو فى بيت ميمونة، فخرج فى يومه ذلك حتى دخل علىّ، قال ٱبن مسعود عنها : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجِد صُداعا فى رأسى، وأنا أقول : وارأساه، فقال : «بل أنا يا عائشة وارأساه» قالت ثم قال : «وما ضَرّكِ لو متّ قبلى فقمتُ عليك وكفّنتكِ وصليتُ عليكِ ودفنتكِ» قالت قلت : والله لكأنى بك لو قد فعلتَ ذلك لرجعتَ إلى بيتى فأعرستَ فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتامّ (١) به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى ٱستُعِزَّ (٢) بِهِ وهو فى بيت ميمونة، فدعا نساءه فٱستأذنهن أن يُمَرَّض فى بيتى فأذِنّ له، قالت : فخرج يمشى بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر، عاصبٌ رأسه تَخُطّ قدماه حتى دخل بيتى، قال عبيد الله : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال : هل تدرى مَن الرجل الآخر؟ قال قلت : لا، قال : على بن أبى طالب قالت عائشة : ثم غُمِر (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم، وٱشتدّ به وجعه، فقال :

(١) تتام به : تتابع .
(٢) استعز به : اشتد به المرض، وأشرف على الموت .
(٣) غمر : أغمى عليه .

« هَرِيقوا علىّ من سبع قِرَب من آبارٍ شَتّى » وفى رواية : «لم تُحْلَل أَوكِيتُهنّ[(١)] لعلى أعهـد إلى الناس » قالت : فأجلسناه فى مِخْضَب[(٢)] لحفصة بنت عمـر ، ثم طَفِقْنا نصبّ عليـه من تلك القِرَب حتى جعل يشير إلينا بيـده أن قد فعلتنّ ، ثم خرج ١٣٣/١٦ إلى الناس وصلى بهم وخطبهم صلى الله عليه وسلم .

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما أمر به من سدّ الأبواب التى تشرع إلى مسجده إلا باب أبى بكر الصديق ووصيته بالأنصار

روى عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنـه ، قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «إن الله خَيَّر عبدا بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عنـد الله » فبكى أبو بكر فقلت فى نفسى : ما يُبْكِى هـذا الشيخ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا عن عبدٍ خُيِّر فاختار ؟ قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمنا به ، قال فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لا تبك ، أيها الناس، إنّ أَمَنَّ الناسِ علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا من الناس خليـلا كان أبو بكر ، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر» . وعن قُتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ؛ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أعظم الناس علىّ منًّا فى صحبته وذات يده أبو بكر، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها فى المسجد إلا باب أبى بكر » قال قُتيبة : قال الليث بن سعد ، قال معاوية ابن صالح ، فقال ناس : أَغْلَقَ أبوابَنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله صلى الله

(١) وأوكيتها جمع وكاء : رباط فم القربة .   (٢) المخضب : إناء تغسل فيه الثياب .

عليه وسلم : « قـد بلغنى الذى قلتم فى باب أبى بكر ، وإنى أرى على باب أبى بكر نورا ، وأرى على أبوابكم ظلمة » رواه محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى . وروى بسنده إلى عِكرمة عن آبن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه فى خرقة ، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إنه ليس أحد أَمَنَّ علىّ فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قُحَافة ، ولـو كنتُ مُتَّخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خُلَّة الإسلام أفضل ، سُدّوا عنى كلّ خَوْخَة فى هـذا المسجد غير خَوْخة أبى بكر » وعن أبى الحويرث قال : لمـا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواب تُسدّ إلا باب أبى بكر ، قال عمر: يا رسول الله ، دعنى أفتح كُوّة أنظر إليك حين تخرج إلى الصـلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « لا » . وعن أبى البَـدَّاح بن عاصم بن عدىّ ، قال قال العباس بن عبد المطلب : يا رسـول الله ، ما بالك فتحت أبواب رجال إلى المسجد ، ومالك سددت أبواب رجال؟ فقال : «يا عباس ، ما فتحتُ عن أمرى ولا سددتُ عن أمرى » قالت عائشة رضى الله عنها فى حديثها : وأوصى رسول الله صلى الله عليـه وسلم بالأنصار ، فقـال : « يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار لا تزيد على هيئتها [التى هى عليها] (١) اليوم ، هم عَيْبَتى (٢) التى أويت إليها ، أكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » . ومن رواية : « آحفظونى فيهم ؛ آقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم » .

---

(١) الزيادة من آبن سعد جـ ٢ ق ٢ : ٤ وفى ا « هيئتهم » .

(٢) عيبتى : أى خاصتى وأهل سرى ؛ أراد أنهم بطانته وموضع أمانته والذين يعتمد عليهم فى أموره .

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفيه

رُوى عن أبى أُمامة ، عن كعب بن مالك قال : إن أحدث عهدى بنبيّكم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ، فسمعته [يقول][1] ويُحرِّك كفّه « إنه لم يكن نبىّ قبلى إلا وقد كان له من أمته خليل ، ألا وإنّ خليلى أبو بكر ، إنّ الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا » . وعن أبى مُلَيْكة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه : « ادعوا إلىّ أبا بكر » فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء ، ولكن إن شئت دعونا لك ابن الخطاب ، قال : « ادعوا إلىّ أبا بكر » قالت : إن أبا بكر يَرِقّ ، ولكن إن شئت دعونا لك ابن الخطاب . فقال : « إنكنّ صواحب يوسف ، ادعوا إلىّ أبا بكر وابنه[2] ، فليكتب أن يطمع[3] فى أمر أبى بكر طامع أو يتمنّى متمنٍّ[4] » ثم قال : « يأبى الله ذلك والمؤمنون ، يأبى الله ذلك والمؤمنون » قالت عائشة : فأبى الله ذلك والمؤمنون ، فأبى الله ذلك والمؤمنون . وروى محمد بن سعد بسنده إلى عُروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، والقاسم بن محمد ، كلهم يحدّث عن عائشة رضى الله عنها — دخل حديث بعضهم فى حديث بعض — قالت : بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت مَيْمُونة[5] فدخل علىّ وأنا أقول : وارأساه ، ١٣٤
فقال : « لو كان ذلك وأنا حىّ فأستغفر لكِ وأدعو لكِ وأكفّنكِ وأدفنكِ » فقلت : ١٦
واثكلاه ، فوالله إنك لتحبّ موتى ، ولو كان ذلك لظللت يومك مُعَرِّسا ببعض

(١) الزيادة من ابن سعد جـ ٢ ق ٢ : ٢٤
(٢) فى شرح المواهب : هو عبد الرحمن .
(٣) فى شرح المواهب : « ما عهد أن يقول القائلون » .
(٤) أى أن تكون الخلافة لفلان أو لقوم غير أبى بكر .
(٥) عبارة الطبقات : « بدئ برسول الله فى وجعه فى بيت ميمونة .... الخ » .

أزواجك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أنا وارأساه لقد هممت — أو أردت — أن أرسل إلى أبيك و إلى أخيك فأقضى أمرى، وأعهد عهدى، فلا يطمع فى الأمر، طامع ولا يقول القائلون : أو يتمنى المتمنون » . وقال بعضهم فى حديثه : « ويأبى الله إلا أبا بكر » . وعن محمد بن جُبَير قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يذاكره فى الشيء، فقال : إن جئتُ فلم أجدك ؟ قال : « فأت أبا بكر » . وعن عاصم بن عمرو بن قَتادة ، قال : آبتاع النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا من رجل إلى أجل فقال : يا رسول الله ، إن جئت فلم أجدك ؟ يعنى بعد الموت ، قال : « فأت أبا بكر » ، قال : فإن جئت فلم أجد أبا بكر، بعد الموت؟ قال : « فأت عمر » ، قال : فإن جئت فلم أجد عمر ؟ قال : « إن آستطعت أن تموت إذا مات عمر فمت » .

ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس فى مرضه ، وخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كلّم به الناس ، وكم صلى أبو بكر بالناس صلاة ، وما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آئتم بأبى بكر رضى الله عنه

عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يُؤذِنه بالصلاة فقال : « مُرُوا أبا بكر يصلّى بالناس » فقلت : يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أَسِيف ، وأنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرتَ عمر، فقال : « مُرُوا أبا بكر يصلى بالناس » فقلت لحفصة : قولى له إن أبا بكر رجل أَسِيف، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرت عمر، فقال : « إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر يصلى بالناس » فلما دخل أبو بكر

فى الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه خِفة فقام يهادى[1] بين رجلين ، ورِجلاه تَخُطّان فى الأرض حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حِسّه ذهب أبو بكر يتأخر ، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبى بكر ، فكان أبو بكر يصلى قائما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قاعدا ، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناس يقتدون بصلاة أبى بكر . رواه البخارى فى صحيحه . وروى محمد ابن سعد بسنده عن عُبَيْد بن عُمَيْر الليثى نحوه . وقال : فلما فرغا من الصلاة قال أبو بكر : أى رسول الله ، أراك أصبحت بحمد الله صالحا ، وهذا يوم ابنة خارجة — امرأة لأبى بكر من الأنصار — فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مُصلّاه أو إلى جنب المنبر ، فحذّر الناس الفِتَن ، ثم نادى بأعلى صوته ، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد ، فقال : « إنى والله لا يُمسك الناسُ علىّ بشىء ؛ لا أُحِلّ إلا ما أحلّ الله فى كتابه ، ولا أُحرّم إلا ما حرّم الله فى كتابه » ثم قال : « يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئا » ثم قام من مجلسه ذلك ، فما انتصف النهار حتى قبضه الله تعالى . وعن سعيد بن المسيّب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد مَناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ، سَلُونى ما شئتم » . وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود قال : دخلت على عائشة فقلت لها حدّثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أصلَّى الناسُ » ؟ فقلت :

(١) يهادى بين رجلين : أى يمشى بينهما معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله .

لا ، هم ينتظرونك يا رسـول الله، قال : « ضعوا لى ماء فى المِخْضَب » قالت : فقعلنا فآغتسل ثم ذهب لينُوءَ(١) فأغمى عليه ثم أفاق، فقال : «أَصَلَّى الناسُ»؟ فقلت: لا ، هم ينتظرونك ، فقال : « ضعوا لى ماء فى المخضب » قالت : فعلنا فذهب فآغتسل فقال : « أَصَلَّى الناسُ » ؟ قلت : لا ، هم ينتظرونك، والناس عُكُوف فى المسجد ينتظرون رسـول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة، قالت : فأرسل رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس ، فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله صلى الله عليـه وسلم يأمرك أن تصلّى بالناس ، فقال أبو بكر ١٣٥/١٦
— وكان رجلا رقيقا — : يا عمر، صلِّ بالناس، فقال له عمر : أنت أحقّ بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام . ثم إن النبىّ صلى الله عليه وسلم وجد فى نفسه خِفّة فخرج بين رجلين أحدهما العباس، فصلى الظهر وأبو بكر يصلّى بالناس، قالت : فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبىّ صلى الله عليه وسـلم ألّا يتأخر ، وقال لهما : « أجلسانى إلى جنبه » فأجلساه إلى جنب أبى بكر فجعل أبو بكر يصلى، وهو قائم بصلاة النبىّ صلى الله عليـه وسلم، والناس يصلون بصلاة أبى بكر، والنبىّ صلى الله عليه وسـلم قاعد ، قال عُبيد الله : فدخلت على عبـد الله بن عبـاس فقلت له : ألا أعرض عليك ما حدّثتنى به عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هات، فعرضتُ [حديثها(٢)] عليه فما أنكر منه شيئا غير أنه قال : سَمّت لك الرجل الذى كان مع العباس؟ قلت : لا، قال : هو علىّ بن أبى طالب .

وروى محمد بن سـعد ، عن محمد بن عمر، عن عبـد الرحمن بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غَزِيّة عن محمد بن إبراهيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض لأبى بكر : « صلِّ بالناس » فوجد رسولُ الله صلى الله

(١) ينوء : ينهض . (٢) الزيادة من صحيح مسلم .

عليه وسلم خِفّة فخرج وأبو بكر يصلّى بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبىّ صلى الله عليه وسلم عن يمينه، فصلّى أبو بكر وصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، فلما آنصرف قال: «لم يُقْبَض نبىّ قطّ حتى يَؤُمّه رجل من أمته». وروى نحوه عن أبى معشر، عن محمد ابن قيس. وعن أمّ سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى وجعه إذا خف عنه ما يجد خرج فصلّى بالناس، وإذا وجد ثقله قال: «مُرُوا النّاسَ فليصلّوا» فصلّى بهم آبن أبى قحافة يومًا الصبح فصلّى ركعة، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاس إلى جنبه فأتمّ بأبى بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فاته. وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مرضه بصلاة أبى بكر ركعة من الصبح ثم قضى الركعة الباقية. قال الواقدى: ورأيت هذا التّثبتَ عند أصحابنا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى خَلْف أبى بكر. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود قال: عُدْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى تُوفّى فيه، فجاءه بلال يُؤْذِنُه بالصلاة، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرِ النّاسَ فليصلوا» قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناسا لا أكلمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبغ مَنْ وَرَاءه، وكان أبو بكر غائبا فقلت له: صلّ بالناس يا عمر، فقام عمر فى المقام وكان عمر رجلا مُجهِرا، فلما كبّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته، فقال: «لا، لا، لا، ليصل بهم آبن أبى قحافة» قال: يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مُغْضَبا، قال: فآنصرف عمر فقال لعبد الله بن زَمْعَة: يآبن أخى أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تأمرنى؟ قال فقلت: لا، ولكنى لما رأيتك لم أبغ مَنْ وَرَاءَك، فقال عمر: ما كنت أظنّ حين أمرتنى

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيتُ بالناس. فقال عبد الله : لمّا لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة . وعن عبد الله ابن عباس قال : حضرت الصلاةُ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « مُرُوا أبا بكر يصلّ بالناس » فلما قام أبو بكر مقام النبيّ صلى الله عليه وسلم اشتدّ بكاؤه وافتتن، واشتدّ بكاء من خَلْفه، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلما حَضرت الصلاةُ جاء المؤذّن إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : قولوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم يأمر رجلا يصلّي بالناس، فإن أبا بكر قد افتتن من البكاء والناس خلفه ، فقالت حفصة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم : مروا عمر يصلي بالناس حتى يرفع الله رسوله ، قال : فذهب إلى عمر فصلّى بالناس ، فلما سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم تكبيره قال : « من هذا الذى أسمع تكبيره » ؟ فقال له أزواجه : عمر بن الخطاب ، وذكروا له ما قاله المؤذّن، وما قالت حفصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكنّ لصواحبُ يوسف، قولوا لأبى بكر فليصلّ بالناس » قال : فلولم يستخلفه ما أطاع له الناس . وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه قال : لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه إذا وجد خِفّة خرج، و إذا ثقل وجاءه المؤذّن قال : ١٣٦/١٦ « مروا أبا بكر يصلى بالناس » فخرج من عنده يوما الآمر يأمر الناس يصلون وابن أبى قحافة غائب ، فصلى عمر بن الخطاب بالناس فلما كبّر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، لا ، أين ابن أبى قحافة » ؟ قال : فانتقضت الصفوفُ وانصرف عمر ، قال : فما برحنا حتى طلع ابن أبى قُحافة وكان بالسُّنْح(١) فتقدّم فصلّى بالناس . وعن أنس بن مالك : أن أبا بكر — رضى الله عنهما — كان يصلى بهم فى وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تُوفِّى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين

(١) السنح : موضع قرب المدينة .

وهم صفوف فى الصلاة، كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأنّ وجهه ورقة مصحف، ثم تبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ونحن فى الصلاة من الفرح . قال : ونكّص أبو بكر على عقبيه ، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن أتموا صلاتكم » قال : ثم دخل وأرخى الستر، فتوفّى من يومه صلى الله عليه وسلم . وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر، قال سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة : كم صلّى أبو بكر بالناس ؟ قال : صلى بهم سبع عشرة صلاة، قلت : من حدّثك ذلك؟ قال قال: حدّثنى أيوب بن عبد الرحمن ابن صَعْصَعة، عن عبّاد بن تميم ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : صلى بهم أبو بكر ذلك .

ذكر ما اتفق فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

خلاف ما ذكرناه ، من اللَّدُود الذى لُدّ به ، والكتاب الذى أراد أن يكتبه ، والوصية التى أمر بها ، والدنانير التى قسمها ، والسواك الذى استنّ به صلى الله عليه وسلم .

فأمّا اللَّدُود[1] الذى لُدّ به صلى الله عليه وسلم وما قال فيه — رُوى عن أمّ سلمة رضى الله عنها قالت : تخوفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الجَنْب[2] وثَقُل فلَدَدْناه، فوجد خشونة اللّدّ فأفاق، فقال : « ما صنعتم بى » ؟ قالوا : لَدَدْناك ، قال : « بماذا» ؟ قلنا : بالعُود الهِنْدى، وشىء من وَرْس وقَطَرات زيت، فقال : « من أمركم بهذا »؟ قالوا : أسماء بنت عُمَيس ، قال : « هذا طِبٌّ أصابته بأرض الحبشة ، لا يبق أحد فى البيت إلا الْتُدّ إلا ما كان من عمّ رسول الله

(١) اللدود : ما يسقاه المريض فى أحد شقى الفم .

(٢) ذات الجنب : علة صعبة ، وهى ورم حار يعرض للحجاب المستبطن للأضلاع .

صلى الله عليه وسلم » يعنى العباس، ثم قال : « ما الذى كنتم تخافون علىّ »؟ قالوا : ذات الجَنْب، قال : « ما كان الله ليسلطها علىّ » . وفى رواية عن أمّ بِشْر بن البَرَاء، قال : « ما كان الله ليسلطها على رسوله، إنها همزة من الشيطان ، ولكنها من الأكلة التى أكلتُها أنا وابنك ، هذا أوانُ قطعتْ أبهَرِى (١) » . ومن حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فجعل بعضهم يَلُدّ (٢) بعضا . وعن هشام قال : كانت أمّ سلمة وأسْمَاء بنت عُمَيْس هما لدّتاه ، قال : فالْتَدّت يومئذ ميمونة وهى صائمة ؛ لِقَسَم النبى صلى الله عليه وسلم، قال : وكان منه عقوبة لهم .

وأما الكتاب الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع

فقد اختلفت الروايات فى هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره ، فمن ١
رواية سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضى الله عنهم أنه قال : اشتكى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخميس فجعل — يعنى ابن عباس — يبكى ويقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ، اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : « ايتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تَضِلّوا (٣) بعده أبدا » قال فقال بعض من كان عنده :
إنّ نبىّ الله لَيَهْجُر (٤)، قال فقيل له : ألا نأتيك بما طلبت ؟ قال : « أو بعد ماذا » ؟ ١
فلم يَدْع به . ومن طريق آخر عن سليمان (٥) بن أبى مسلم عن سعيد بن جُبير قال : فتنازعوا ولا ينبغى عند نبىّ تنازع . فقالوا : ما شأنه أهَجَر ؟ استفهموه، فذهبوا

(١) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . (٢) كذا فى الأصل ، وسند الحديث فى ابن سعد : « عن الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام » .

(٣) لا تضلوا : هو نفى وجزم بحذف النون لأنه بدل من جواب الأمر . ويروى : « لا تضلون » ٢
و « لن تضلوا » . (٤) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض .

(٥) فى الأصول : « سلمان » والتصويب من الطبقات ، وتهذيب التهذيب .

يعيدون عليه . فقال : « دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه » . قال : وأوصى بثلاث، قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة، فلا أدرى قالها[1] فنسيتها، أو سكت عنها ١٣٧/١٦
عمدا؟ . ومن رواية طلحة بن مُصَرِّف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آيتونى بالكتف والدَّواة أكتب لكم كتابا لا تَضِلّوا بعده أبدا » . قال فقالوا : إنما يَهْجُر رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن آبن عباس رضى الله عنهما . وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود عن آبن عباس قال : لما حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الوفاةُ، وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هَلُمَّ أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده» فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت وآختصموا، فمنهم من يقول : قَرِّبوا يكتُبْ لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول ماقال عمر، فلما كثر اللَّغط والآختلاف وغُمِر[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قوموا عنى » . قال عبيد الله : فكان آبن عباس يقول : إن الرَّزِيّة كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من آختلافهم ولغطهم . وعن عِكرمة عن آبن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه : « آيتونى بدواة وصحيفة أكتبْ لكم كتابا لن تَضِلُّوا بعده أبدا » . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لفلانة وفلانة — من مدائن الروم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يموت حتى يفتتحها ، ولو مات لآنتظرناه كما آنتظرت بنو إسرائيل موسى ؛

(١) ا : « أقالها » . (٢) غمر : أغمى عليه .

فقالت زينب زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم : ألا سمعون للنبىّ صلى الله عليه وسلم يعهد إليكم ؟ فلَغطوا فقال : « قوموا » فلما قاموا قبض النبىّ صلى الله عليه وسلم مكانه . وعن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : لما كان فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفّى فيه ، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابا لا يَضلون ولا يُضلّون، فكان فى البيت لَغط وكلام، وتكلم عمر بن الخطاب، قال : فرفضه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وعن محمد بن عمر الواقدىّ عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغسلونى بسبع قِرب وأتونى بصحيفة ودواة أكتبْ لكم كتابا لن تَضلّوا بعده أبدا» فقال النسوة : ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته . قال عمر فقلت : اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عَصَرْتُنّ أعينكنّ، وإذا صح أخذتن بعنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُنّ خير منكم » .

هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة فى هذا الحديث، وقد تذرّعت به طائفة من الروافض، وتكلموا فيه وطعنوا على من لغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى امتنع من الكتابة .

وقد تكلم القاضى أبو الفضل عِياض بن موسى بن عِياض رحمه الله على هذا الحديث ، وذكر أقوال العلماء وما أبدَوه من الاعتذار عن عمر رضى الله عنه فيما قال، فقال رحمه الله تعالى، قال أئمتنا فى هذا الحديث : النبىّ صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض، وما يكون من عوارضها من شدّة وجع وغَشْى ونحوه ، مما يطرأ على جسمه ، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك

مايطعن فى معجزته ، و يؤدّى إلى فساد فى شريعته ، من هذيان أو ٱختلال فى كلام ، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى فى الحديث «هَجَر» إذ معناه هذى يقال : هَجَر هُجْرا إذا أفحش ، وأهجر تعدية هجر ، و إنما الأصح والأولى « أَهَجَر » ؟ على طريق الإنكار على من قال لا نكتب ، قال : وهكذا روايتنا فيه فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة فى حديث الزهرى ومحمد بن سلّام عن ٱبن عُيَيْنة ، قال : وكذا ضبطه الأصيلى بخطه فى كتابه وغيره من هذه الطرق ، وكذا رويناه عن مسلم فى حديث سفيان وعن غيره ، قال : وقد تُحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف ١٣٨/١٦ الآستفهام ، والتقدير : أهجر ؟ أو أن يُحملَ قول القائل : «هَجَر» أو أهَجَر دهشةً من قائل ذلك وحيرةً ؛ لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدّةِ وجعه ، وهول المقام الذى ٱختلف فيه عليه ، والأمر الذى همّ بالكتاب فيه ، حتى لم يضْبِط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدّة الوجع ؛ لأنه ٱعتقد أنه يجوز عليه الهجر ، كما حملهم الإشفاق على حراسته ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ونحو هذا . وأما على رواية : «أَهُجْرًا» ، وهى رواية أبى إسحاق المستملِى فى الصحيح ، فى حديث ٱبن جُبير ، عن ابن عباس من رواية قُتَيْبة ، فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ، ومخاطبةً لهم من بعضهم ، أى جئتم بٱختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين يديه هُجْرا ومنكرًا من القول ! والهُجْر بضم الهاء الفحش فى المنطق .

وقد ٱختلف العلماء فى معنى هذا الحديث ، وكيف ٱختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم : أوامر النبىّ صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن ، فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عَزْمَة ، بل أمرٌ ردّه إلى ٱختيارهم ، و بعضهم

لم يَفهم ذلك ، فقال : آستفهِموه ، فلما آختلفوا كَفّ عنه إذ لم تكن عَزْمة ، ولِما رأوه من صواب رأى عمر رضى الله عنه . ثم هؤلاء قالوا : ويكون آمتناع عمر إمّا إشفاقا على النبىّ صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال، وإما إملاء الكتاب، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال : إنّ النبىّ آشتدّ به الوجع . وقيل : خشى عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون[1] فى الحَـرَج بالمخالفة ، ورأى أن الأرفق بالأمة فى تلك الأمور سعة الآجتهاد، وحكم النّظر، وطلب الصواب ، فيكون المصيبُ والمخطئ مأجورا ، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملّة، وأن الله تعالى قال : ﴿ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ[2] ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بكتاب الله وعِتْرتى » . وقول عمر: حَسْبنا كتاب الله، ردٌّ على من نازعه، لا على أمر النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن عمر خشى تَطرّق المنافقين ، ومن فى قلبه مرض لِما كتب فى ذلك الكتاب فى الخلوة ، وأن يتقوّلوا فى ذلك الأقاويل كآدّعاء الرافضة الوصية وغيرذلك . وقيل : إنه كان من النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والآختبار، هل يتفقون على ذلك أم يختلفون، فلما آختلفوا تركه . وقالت طائفة أخرى : إن معنى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه آبتداء بالأمر به، بل آقتضاه منه بعض أصحابه ، فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها ، وآستدل فى مثل هذه القضية بقول العباس لعلىّ : انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا كان الأمر فينا علمناه، وكراهة علىّ هذا وقوله : « والله لا أفعل » الحديث . وآستدل بقوله : « دعونى فإن الذى أنا فيه[3] خير » أى الذى أنا فيه خير من إرسال

(١) يحصلون : يقعون . (٢) آية ٣ سورة المائدة .

(٣) زيادة لفظ « خير » فى الحديث من كتاب الشفا وليست بالأصول .

الأمر وتركَكم، وكتابَ الله[١] . وأن تدَعونى ممـا طلبتم . وذُكر أن الذى طُلب كتابه[٢] فى أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك . هـذا ما أورده فى معنى هـذا الحديث . والله تعالى أعلم .

وأمّا ما وصّى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيـــه

فقد رُوى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة، وما ملكت أيمانكم »، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغرغر بها فى صدره، وما يكاد يفيض بهـا لسانه . وعن أمّ سـلمة نحوه . وعن كعب بن مالك قال : أغمى على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم أفاق، فقال : « اللهَ اللهَ فيما ملكت أيمانكم ، ألبسوا ظهورهم، وأشـبعوا بطونهم، وألينوا لهم القول » . وعن الزهرىّ عن عبيد الله بن عبـد الله آبن عُتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده أوصى ألا يُترَك بأرض العرب دينان . وعن مالك بن أنس عن إسمعيل بن أبى حكيم ، عن عمـر بن عبد العزيز قال : آخر ما تكلم به رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يَبقينّ دِينان بأرض العرب » . وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة أنه كان آخر ما عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالرّهاويين الذين هم من أهل الرّهاء، قال: وأعطاهم من خَيبر وجعل يقول : ١٣٩/١٦
« لئن بقيتُ لا أدع بجـزيرة العرب دِينين » . وعن علىّ بن عبد الله بن عبـاس رضى الله عنهم أنه قال : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالداريّين و بالرّهاويين

(١) كتاب الله : بالنصب مفعول معه ؛ أى مصاحبين بكتاب الله والتمسك به ، فإنه حسبكم .
(٢) فى الشفا : « كتابته أمر الخلافة ... الخ » .

وبالدَّوْسيين خيرا . وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث وهو يقول : « ألَا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظنّ » . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نَعَى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبى هو وأمّى ونفسى له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت أمّنا عائشة وتَشَدد لنا فقال : « مرحبا بكم، حيّاكم(١) الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جَبَرَكم الله، رزقكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، آداكم(٢) الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأحذركم الله إنى لكم منه نذير مبين ألّا تعلوا على الله فى عباده وبلاده فإنه قال لى ولكم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٣) . وقال : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(٤) قلنا : يا رسول الله متى أجلك؟ قال : « دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، وإلى جنة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المُهَنّى » قلنا : يا رسول الله من يغسلك ؟ قال : « رجال من أهلى الأدنى فالأدنى(٥) » قلنا : يارسول الله ففيم نكفنك ؟ قال : « فى ثيابى هذه إن شئتم أو فى ثياب مصر أو فى حُلّة يمانية » قال قلنا : يا رسول الله ، من يصلّى عليك ؟ وبكينا وبكى، فقال : « مهلا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا، إذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شَفَة قبرى فى بيتى هذا، ثم آخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلى علىّ حبيبى وخليلى جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم ، ثم آدخلوا علىّ فَوْجًا فَوْجًا ، فصلوا

(١) فى ابن سعد : « حياكم » .
(٢) آداكم الله : قواكم وأعانكم على عدوكم .
(٣) آية ٨٣ سورة القصص .
(٤) آية ٦٠ سورة الزمر .
(٥) الأدنى : الأقرب .

علىّ وسلموا تسليما، ولا تؤذونى بتزكية ولا برنّة، وليبدأ بالصلاة علىّ رجال من(١) أهلى ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، وأقرئوا السلام على من غاب من أصحابى، وأقرئوا السلام على من يتبعنى على دينى من قومى إلى يوم القيامة» . قلنا : يارسول الله، فمن يدخلك قبرك ؟ قال : «أهلى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم» .

وأما الدّنانير التى قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه

فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فقسمها إلا ستة، فدفع الستة إلى بعض نسائه، فلم يأخذه النوم حتى قال : «ما فعلت الستة» ؟ قالوا : دفعتها إلى فلانة، قال : «آيتونى بها» فقسم منها خمسة فى خمسة أبيات من الأنصار، ثم قال : «آستنفقوا هذا الباقى» وقال : «الآن آسترحت» فرقد . وعن المطلب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة، وهى مُسْنِدتُه إلى صدرها : «يا عائشة ما فعلت تلك الذهب(٢)» ؟ قالت : هى عندى، قال : «فأنفقيها» ثم غشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها، فلما أفاق قال : «هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة» ؟ قالت : لا والله يا رسول الله، قالت : فدعا بها فوضعها فى كفّه، فعدّها فإذا هى ستة دنانير، فقال : «ما ظنّ محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده» ! فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم .

---

(١) فى الطبقات والمواهب : «رجال أهلى» .

(٢) المشار إليه مقدر؛ أى تلك الدنانير الذهب .

وأما السِّواك الذى آستَنَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته

فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : دخل عبد الرحمن بن أبى بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فى شكواه ، وأنا مسندته إلى صدرى ، وفى يد عبد الرحمن سِواك فأمرها أن تقضمه ، فقضمته ثم أعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن حديث آخر عنها قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ١٤٠/١٦ وهو فى يده نظرًا عرفت أنه يريده ، فقلت : يا رسول الله ، تريد أنْ أعطيك هذا السِّواك ؟ فقال : « نعم » فأخذته فمضغته حتى لَيَّنته ثم أعطيته إياه ، فآستَنّ به كأشدِّ ما رأيته آستنّ بسواك قبله ثم وضعه ، فكانت عائشة تقول : كان من نعمة الله علىّ وحسن بلائه عندى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى بيتى ، وفى يومى وبين سَحْرِى ونَحْرِى[1] ، وجمع بين ريقى وريقه عند الموت . فقال لها القاسم بن محمد : قد عرفنا كل الذى تقولين ، فكيف جمع بين ريقِك وريقه ؟ قالت : دخل عبد الرحمن بن أمّ رُومان أخى على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، وفى يده سِواك رطب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولعا بالسِّواك ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشخص ببصره إليه ، فقلت : يا عبد الرحمن ، آقضم السواك فناولنيه ، فمضغته ثم أدخلته فى فِى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسوّك به ، فجمع بين ريقى وريقه .

---

(١) السحر الرئة ؛ أى إنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذى سحرها منه ، وقيل : السحر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن ، وحكى القتبي عن بعضهم أنه بالشين المعجمة والجيم ، وأنه سئل عن ذلك فشبك بين أصابعه وقدمها عن صدره كأنه يضم شيئا إليه ، أى إنه مات وقد ضمته بيديها إلى نحرها وصدرها ، والشجر التشبيك وهو الذقن أيضا ، والمحفوظ الاول . « النهاية » .

ذكر تخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة عند الموت

رُوى عن عُروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت سمعت أنه لا يموت نبيّ حتى يُخيَّر بين الدنيا والآخرة ، فأصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم بُحّة شديدة فى مرضه ، فسمعته يقول : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾(١) فظننت أنه خُيِّر . وعن المطلب بن عبد الله ، قال قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من نبيّ إلا تُقبض نفسه ثم تُرَدّ إليه فيخيّر بين أن تُرَدّ إليه إلى أن يلحق » قالت : فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإنى لَمُسْنِدَتُه إلى صدرى فنظرت إليه حتى مالت عنقه ، فقلت قد قضى وعرفت الذى قال ، فنظرت إليه حتى ٱرتفع ونظر ، قالت : قلت إذًا والله لا تختارنا ، فقال : « مع الرفيق الأعلى فى الجنة » ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ . وعن سعيد بن المسيِّب وغيره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يُقبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر » قالت عائشة : فلما نزل برسول الله(٢) صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذى غُشِى عليه ساعة ، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السَّقف سَقف البيت ، ثم قال : « اللهم الرفيق الأعلى » قالت : فقلت الآن لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدّثنا وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن أبى بُرْدة بن أبى موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسندته عائشة إلى صدرها فأفاق ، وهى تدعو له بالشفاء فقال: « لا ، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل و إسرافيل » .

(١) آية ٦٩ سورة النساء . (٢) نزل برسول الله : أى الموت .

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الموت به

رُوى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما نزل بالنبيّ صلى الله عليه وسلم الموتُ دعا بقدح من ماءٍ فجعل يمسح به وجهه ، ويقول : « اللهم أعنّى على سَكَرات الموت » وجعل يقول : « آدْنُ منّى يا جبريل ، آدنُ منّى يا جبريل ، آدْنُ منّى يا جبريل » . وعن عبدالله بن عباس وعائشة رضى الله عنهم قالا : لما نزل بالنبيّ صلى الله عليه وسلم طَفِق يلقى خَمِيصَته(١) على وجهه ، فإذا آغتمّ بها ألقاها عن وجهه ويقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى آتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

رُوى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال : لما بقى من أَجَل رسول الله صلى الله ١٤١/١٦
عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أحمد، إن الله أرسلنى إليك إكراما لك، وتفضيلا لك، وخاصّة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك : كيف تجدك؟ قال : « أجدنى يا جبريل مغموما، وأجدنى يا جبريل مكروبا » فلما كان فى اليوم الثانى هبط إليه جبريل فقال له مثل ذلك، وأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أجابه به بالأمس، فلما كان اليوم الثالث نزل إليه جبريل، وهبط معه مَلَك الموت، ونزل معه ملك يقال له إسمعيل، يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قطّ ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف مَلَك، ليس منهم مَلَك إلا على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبريل، فقال : يا أحمد، إن الله أرسلنى إليك إكراما لك، وتفضيلا لك، وخاصّة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك : كيف

---

(١) الخميصة : ثوب خز أو صوف معلم .

تجدك؟ قال : « أجدنى يا جبريل مغموما، وأجدنى يا جبريل مكروبا » ثم آستأذن مَلَك الموت فقال جبريل : يا أحمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمىّ كان قبلك ، ولا يستأذن على آدمىّ بعدك، قال : « آئذن له » فدخل ملك الموت فوقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله، يا أحمد، إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى به، إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتنى أن أتركها تركتها، قال : « وتفعل يا ملك الموت » ؟ قال : بذلك أُمرت أن أطيعك فى كل ما أمرتنى ، فقال جبريل : يا أحمد، إن الله قد آشتاق إليك، قال : « فآمض يا ملك الموت لما أُمرتَ به » قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر موطِئى الأرضَ إنما كنتَ حاجتى من الدنيا ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحسّ ، ولا يرون الشخص : السلام عليكم يأهل البيت ورحمة الله وبركاته « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » إن فى الله عَزاءً من كل مصيبة ، وخَلَفا من كل هالك ، ودَرَكا من كل ما فات ، فبالله فثِقوا ، وإياه فآرجوا ، إنما المُصاب من حُرِم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكانت وفاة رسول الله صلى الله عليه سلم كما جاء فى الأحاديث الصحيحة فى حِجر عائشة وبين سَحْرها ونَحْرها . وقد قيل : إنه توفّى فى حِجر علىّ، والصحيح الأوّل . وذلك فى يوم الآثنين حين آشتدّ الضُّحَى(١)، لآثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل، وقيل : لليلتين خلتا منه . ولما مات صلى الله عليه وسلم سُجِّى بثوب حِبَرة، كما روى عن عائشة وأبى هريرة رضى الله عنهما، ودخل أبو بكر رضى الله عنه على

(١) فى جـ « استد » وهما بمعنى تقوّى ، والمراد : آرتفع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بأبى وأمى ما أطيب مَحْياك ومَماتَك . وفى لفظ : طبت حيا وميتا . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لمـا توفّى رسول الله صلى الله عليـه وسلم جاء أبو بكر فدخل عليه فرفعت الحجاب ، فكشف الثوب عن وجهه ، فآسترجع فقال : مات والله رسـول الله ، ثم تحوّل من قبل رأسه فقال : وانبياه ، ثم حَدَر فمه فقبّـل وجهه ثم رفع رأسه ، فقال : واخليلاه ، ثم حَدَر فمه فقبّل جبْهته ثم رفع رأسه ، فقال : واصَفِيّاه ، ثم حدر فمه فقبّل جبهته ، ثم سجّاه بالثوب ثم خرج . وعن عبد الرحمن بن عوف : أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح[1] حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمّم[2] رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم وهو مُسَجًّى بِبُرْد حِبَرَة فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليـه يقبّله وبكى ، ثم قال : بأبى أنت ، والله لا يجمع الله عليك مَوْتَتَيْن أبدا ، أما الموتة التى كُتبت عليك فقد مِتَّها .

ذكر ما تكلم به الناس حين شكّوا فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة أبى بكر رضى الله عنه ١٤٢/١٦

رُوى عن أنس بن مالك رضى الله عنـه قال : لمـا تُوفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد خطيبا فقال : لا أسمعَنّ أحدا يقول إن محمدا قد مات ، ولكنه أرسـل إليه كما أرسل إلى موسى آبن عِمران . فلبث عن قومه أربعين ليلة ، وإنى والله لأرجو أن تُقطع أيدى رجالٍ وأرجلهم يزعمون أنه مات . وعن عِكْرِمة قال : لمـا تُوفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنما عُرِج بروحه كما عرج بروح موسى ، قال : وقام عمر خطيبا فوعد

(١) السنح بضم السين والنون ، وقيل : بسكون النون : موضع بعوالى المدينة فيه منازل بنى الحارث ابن الخزرج . (٢) تيمم : قصد .

المنافقين ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ، ولكن إنما عُرِج بروحه كما عُرِج بروح موسى ، لا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى أقوام وألسنتهم ، قال : فما زال عمر يتكلم حتى أزبد شِدْقاه ، فقال العباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأسَن كما يأسَن البشر (١) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فادفنوا صاحبكم ، أيُميت أحدَكم إماتة ويُميته إماتتين ؟ هو أكرم على الله من ذلك ، فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله ، ما مات حتى ترك السبيلَ نَهْجا واضحا ، أحلّ الحلال ، وحرّم الحرامَ ، ونكح وطلّق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غنم يتبع بها صاحبها رءوس الجبال ، يخبط عليها العِضاة (٢) بِمَخْبَطه ويَمدُرُ حوضها بيده ، بأنصَب ولا أدْأَب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيكم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر : أغَشْيًا ؟ ما أشدَّ غشيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ثم قاما فلما انتهيا إلى الباب ، قال المغيرة : يا عمر ، مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنك رجل تَحُوسُك (٣) فتنةٌ ، ولن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يُفنى المنافقين ، ثم جاء أبو بكر وعمر يخطب الناس فقال له أبو بكر : اسكت ؛ فسكت ، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٤) ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

(١) يأسن : يتغير . (٢) فى الطبقات : « النضاة » .

(٣) « تحوسك » بالسين المهملة رواية ابن الأثير لقول عمر بمعنى تخالطك وتحثك على ركوبها . وفى الأصول والطبقات « تحوشك » بالشين المعجمة . (٤) آية ٣٠ سورة الزمر .

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١) ثم قال : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت . فقال عمر : هذا فى كتاب الله؟ قال : نعم، قال : أيها الناس، هذا أبو بكر وذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعه الناس . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل أبو بكر المسجد وعمر بن الخطاب يكلّم الناس ، فمضى حتى دخل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم الذى توفّى فيه، وهو بيت عائشة، وكشف عن وجه النبيّ صلى الله عليه وسلم بُرْد حِبَرَة، كان مسجًّى به فنظر إلى وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله ، فقال : بأبى أنت؛ والله لا يجمع الله عليك موتتين، لقد متّ الموتة التى لا تموت بعدها، ثم خرج أبو بكر إلى الناس ، وعمر يكلمهم فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فكلمه أبو بكر مرتين أو ثلاثا، فلما أبى عمر أن يجلس قام أبو بكر فتشهد، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فلما قضى أبو بكر تشهده قال : أما بعد؛ فمن كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، قال الله تبارك وتعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » . قال : فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وتلقاها الناس من أبى بكر حين تلاها أو كثير منهم ، حتى قال قائل من الناس : والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر . فزعم سعيد ابن المسيّب أن عمر بن الخطاب قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعَقِرت (٢) وأنا قائم حتى خررت إلى الأرض، وأيقنت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد

---

(١) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

(٢) العقر (بفتحتين) : أن تسلم الرجل قوائمه إلى الخوف ، فلا يقدر أن يمشى من الفرق والدهش .

مات . وعن الحسن قال : لمـا قُبض رسـول الله صلى الله عليه وسلم آئتمر أصحابه فقالوا : تربصوا بنبيكم صلى الله عليه وسـلم لعله عُرِج به ، قال : فتربصوا به حتى رَبَا بطنه ، فقال أبو بكر : من كان يعبـد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت . وعن القاسم بن محمد بن أبى بكر رضى الله عنه أنه لمـا شـك فى موت النبى صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : قد مات ، وقال بعضهم : لم يمت ، وضعت أسماء بنت عُمَيْس يدها بين كتفيه ، وقالت : قد توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد رُفِـع الخاتم من بين كتفيه . وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُخرس عن الكلام لِمـا رَاعَه من موت رسول الله صلى الله عليه ١٤٣ / ١٦ وسلم ، فما تكلم إلا بعد الغـد ، وأُقعد آخرون ، منهم على بن أبى طالب ، ولم يكن فيهم أثبت من أبى بكر والعباس رضى الله عنهما ، قالوا : وعَزَّى النـاس بعضهم بعضا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر ذلك للناس قبل موته ، كما روى عن سهل بن سعد ؛ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيعزِّى الناس بعضهم بعضا من بعدى التَّعْزِيَةَ بى » فكان الناس يقولون ما هـذا ؟ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقِىَ الناس بعضهم بعضا يعزِّى بعضهم بعضا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر غُسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن غَسّله ، وتكْفِينه وحُنوطه

رُوى أن أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم لمـا ذكروا غسله سمعوا من باب الحجرة : لا تغسلوه فإنه طاهر مطهَّر ، ثم سمعوا صـوتا بعده : آغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر ، وعزّاهم فقال : إن فى الله عَزاءً من كل مصيبة ، وخَلَفا من كل هالك ، ودرَكًا من كل فائت ، فبالله فثِقُوا وإياه فآرجوا ، فإن المُصاب من

حُرِم الثواب . وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لمـا توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم آختلف الذين يغسلونه ، فسمعوا قائلا لا يدرون من هو ، يقول : آغسلوا نبيكم وعليه قميصه ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه . وعن عَبّاد بن عبد الله عن عائشة قالت : لو آستقبلت من أمرى ما آستدبرت ، ما غَسَل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا قُبض آختلف أصحابه فى غسـله ، فقال بعضهم : آغسلوه وعليـه ثيابه ، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نَعْسةٌ ، فوقع لِحْيُ كل إنسان منهم على صدره ، فقال قائل منهم لا يُدْرَى من هو : آغسلوه وعليه ثيابه ، قالوا : وكان الذى تولى غسل رسـول الله صلى الله عليه وسلم علىٌّ بن أبى طالب ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وكان علىٌّ يغسله و يقول : بأبى أنت وأمى ، طِبْت مَيتا وحيا . وقيل : كان علىّ يغسل النبى صلى الله عليه وسلم والفضل وأسامة يحجبانه ، وقيل : غسل والعباس قاعد والفضل مُحْتَضِنُه ، وعلىّ يغسله ، وأسامة يختلف ، وقيل : ولِىَ غسله العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنـه ، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسـلم . وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يغسله أحد غيرى ، فإنه (١) « لا يرى أحد عورتى إلا طُمست عيناه » . قال علىّ : فكان الفضل وأسامة يناولانى المـاء من وراء الستر ، وهما معصوبا العين . قال علىّ : فمـا تناولت عضوا إلا كأنما يقلبه معى ثلاثون رجلا حتى فرغت من غسله . وقيل : كان معهم شُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن سعيد بن المسيّب قال : غسلَ النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، وكفّنه أربعةٌ علىٌّ والعباسُ والفضلُ وشُقْران ، وقيل : لم يحضره العبـاس ، بل كان بالباب ،

(١) لعله سقط هنا لفظ قال .

وقال : لم يمنعنى أن أحضر غسله إلا أنى كنت أراه يستحى أن أراه حاسرا . وقيل : حضره عَقِيل بن أبى طالب ، وأوس بن خَوَلِىّ ، وذلك أن أوس بن خَوَلِىّ قال : يا علىّ ، أَنْشُدُكَ الله فى حظِّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له علىّ : آدخل ، فدخل بخاس ، وقيل : إنما دخل لأن الأنصار قالت : نناشدكم الله فى نصيبنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخلوا رجلا منهم يقال له أوس بن خَوَلِىّ يحمل جرّةً بإحدى يديه . والذى أثبته الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى رحمه الله فى مختصر السيرة قال : تولى غسله علىٌّ والعبّاسُ والفضلُ وقُثَمُ آبنا العباس وأسامة بن زيد وشُقْران موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وحضره أوس ابن خَوَلِىّ الأنصارىّ . وعن علىّ رضى الله عنه قال : لما أخذنا فى جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلقنا الباب دون الناس جميعا ، فنادت الأنصار نحن أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، ونادت قريش نحن عصبته ، فصاح أبو بكر : يا معشر المسلمين ، كل قوم أحقّ بجنازتهم من غيرهم ، فنَشدتكم الله فإنكم ١٤٤ / ١٦ إن دخلتم أخرتموهم عنه ، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دُعى . وعن أبى جعفر محمد بن على قال : غسل النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسِدْر ، وغسل فى قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغَرْس لسعد بن خَيْثَمَة بقُباء ، وكان يشرب منها وولى [غسل] (١) سَفِلَتَه علىّ ، والعباس يصبّ الماء ، والفضل مُحتَضِنه يقول : أَرِحْنى أَرِحْنى ، قطعتَ وَتينى ! إنى أجد شيئا يتنزل علىّ مرتين . وعن عبد الله ابن الحارث : أن عليا غسله ، يدخل يده تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب عليه ؛ والأنصارى ينقل الماء وعلى يد علىٍّ خرقةٌ تدخل يدُه وعليه القميص . وعن عبد الله بن جعفر الزهرى عن عبد الواحد بن أبى عون ، قال قال رسول الله صلى

(١) الزيادة من الطبقات .

الله عليه وسلم لعليّ فى مرضه الذى توفى فيه : « ٱغسلنى يا علىّ إذا متّ » فقال : يارسول الله، ماغسلت ميتا قط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنك ستُهيّأ، أو تُيَسّر» قال على : فغسلته فما آخذ عضوا إلا تبعنى، والفضل أخذ بحُضْنه يقول: أعجل يا علىّ ٱنقطع ظهرى . وعن سعيد بن المسيّب قال: التمس علىّ من النبى صلى الله عليــه وسلم عند غسله ما يُلتَمس من الميت فلم يجد شـيئا ، فقال : بأبى أنت وأمى؛ طِبْت حيا وميتا . هذا ما لخصناه فى غسله صلى الله عليه وسلم ممـا أورده محمد بن سعد فى طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد . والله أعلم .

وأما تكفينه صلى الله عليه وسلم

فقد ٱختلف فيه ؛ فقيل : كُفّن فى ثلاثة أثواب بيض كُرْسُف(١) ، وقيـل : فى ثلاثة أثواب أحدها حِبَرة ، وقيل : فى رَيْطَتَين(٢) وبُرْد نجرانىّ(٣) . وقيل : فى ثلاثة أثواب بُرُود يمانيــة غِلاظٌ إزارٌ ورِداءٌ ولِفَافَة . وقيـل : فى حُلّة حمراء وقِبْطية(٤) . وقيل : فى حُلّة يمانية وقميص . وقيل : فى حُلّة حِبَرة وقميص . وقيل : فى سبعة أثواب . والذى ورد فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كُفّن فى ثلاثة أثواب بيض سَحُوليّة من ثياب سَحُـول — بلدة باليمن — ليس فيها قميص ولا عمـامة ، بل لفائف من غير خياطة . وحُنِّط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فى حَنُوطه المِسْك، وأبقى منه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه شيئا ٱدّخره لحنوطه إذا مات .

---

(١) الكرسف : القطن .

(٢) الريطة : كل ملاءة ليست بلفقتين ، وقيل : كل ثوب رقيق لين .

(٣) نجران : موضع معروف بين الحجاز واليمن .

(٤) قبطية : ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض . وفى الطبقات : «وقطيفة» .

ذكر الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

رُوى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: أول من صلّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ، و بنو هاشم ، ثم خرجوا ، ثم دخل المهاجرون والأنصار ، ثم الناس رِفَقًا رِفَقًا(١) ، فلما ٱنقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفا ، ثم النساء ، وقيل : النساء والصبيان . وذكر البيهقىّ عن الواقدىّ عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال: وجدت هذا فى صحيفة بخط أبى ، فيها : لما كُفّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووُضع على سريره ، دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته ، ومعهما نَفَرٌ من المهاجرين والأنصار قَدْر ما يسع البيت ، فسلّموا كما سلم أبو بكر [وعمر](٢) وصَفُّوا صُفُوفا لا يؤمّهم عليه أحد ، فقال أبو بكر وعمر وهما فى الصفّ الأول حِيَال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنا نشهد أن قد بَلّغ ما أنزل إليه ، ونصح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حتى أعزّ الله به دينه ، وتمّت كَلِماته ، فأُومِن به وحدَه لا شريك له ، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتّبع القول الذى أنزل معه ، وٱجمع بيننا و بينه حتى يعرفنا ونعرّفه(٣) بنا فإنه كان بالمؤمنين رءوفًا رَحيما ، لا نبتغى بالإيمان بدَلًا ، ولا نشترى به ثمنا أبدا . فيقول الناس آمين آمين ، ثم يخرجون و يدخل آخرون حتى صَلّوا عليه : الرجال والنساء ثم الصبيان . وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده عن علىّ رضى الله عنهم قال : لما وُضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السرير قال علىٌّ : لا يؤمّ أحدٌ ، هو إمامكم حيًا وميتا ، فكان يدخل الناس رَسَلًا

---

(١) رفقا : جماعات .

(٢) الزيادة من الطبقات .

(٣) فى جـ « تعرفه بنا » وفى الطبقات « حتى يعرفنا ونعرفه » .

رَسَلًا[1] ، فيصلّون عليه صَفًّا صفًّا ، ليس لهم إمام ويُكَبِّرون ، وعليّ قائم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم إنا نشهد أنه قد بَلَّغ ما أنزل إليه ونصح لأمته ، وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله ١٤٥/١٦ دينه وتَمَّت كلمته ، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل إليه ، وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه . فيقول الناس : آمين ، آمين . وقد قيل فى سبب صلاة الناس عليه أفْذَاذًا : إنما فعلوا ذلك ليكون كل منهم فى الصلاة أصلًا لا تابعا لأحد . وقيل : ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتى من حول المدينة .

ذكر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَحْده

وما فُرِش تحته ومَنْ فَرشه ، ومَن دخل قبره ، ووقت دفنه ، ومدّة حياته صلى الله عليه وسلم

رُوِى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته اختلفوا فى مكان دفنه ؛ فقال بعضهم : ندفنه فى مُصلّاه . وقال بعضهم : عند المنبر . وقال بعضهم : ادفنوه مع أصحابه بالبقيع . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما دُفن نبىٌّ قط إلّا فى المكان الذى توفّى فيه » . وقيل : قال « ما مات نبىٌّ إلا دفن حيث يُقبَض » فرفع فراش النبىّ صلى الله عليه وسلم الذى توفّى عليه وحفر له تحته ، وذلك فى بيت عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها . ثم اختلفوا أيلحد له أم لا ؟ وكان فى المدينة حَفّاران أحدهما يُلحد وهو أبو طلحة ، والآخر لا يلحد وهو أبو عبيدة . فاتفقوا على أن من جاء منهما أوّلا عَمِل عَمَلَه[2] ، فجاء الذى يلحد فلحد لرسول الله صلى الله

(١) رسلا رسلا : أى فرقا ، ويروى : أرسالا : أى أفواجا .

(٢) فى أ : « عمل عليه » .

عليه وسـلم . و روى عكرمة عن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال : لمـا أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسـلم، كان بالمدينة رجلان : أبو عبيدة ابن الجراح يَضْرَح حُفَرَ أهـل مكة، وأبو طلحة الأنصارى هو الذى يحفر لأهل المدينة، وكان يُلْحد . فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : آذهب إلى أبى عبيدة، وقال للآخر : آذهب إلى أبى طلحة، وقال : اللهم خِرْلرسولك ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة فجاء به فلَحَد له . وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللّحد لنا والشّقّ لغيرنا » . وقيل قال : « والشّقّ لأهل الكتاب » . قيل : وكان صلى الله عليه وسلم يرى اللحد فيعجبه فالحد له ، وأطبق له تسع لَبِنَات وفُرِش تحته فى قبره قَطِيفَة حمراء كان يُغطّى بها صلى الله عليه وسلم نزل بها شُقْران .

وأما من نزل قبره صلى الله عليه وسلم فالعباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، والفضل وقُثَم آبنـا العباس ، وشُقْران مولاه ، وقيـل : أدخلوا معهم عبد الرحمن آبن عوف، قيل : وعَقِيل وأسامة بن زيد، وصالح(١) ، وأوْس بن خَوَلِىّ . والذى صححه الشيخ أبو محمـد عبد المؤمن بن خلف رحمـه الله : العباس وعلىٌّ والفضل وقُثَم وشُقْران . وزعم المغيرة بن شعبة أنه نزل قبر النبى صلى الله عليه وسلم، وأنه آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره . روى عن الشعبى قال : كان المغيرة يحدّثنا ها هنا، يعنى [بالكوفة] قال : [أنا](٢) آخر الناس عهدا بالنبى صلى الله عليه وسلم لمـا دُفن وخرج علىٌّ من القبر ألقيت خاتَمى فقلت : يا أبا الحسـن خاتَمى ، قال : آنزل فخذ خاتمك ، فنزلت فأخذت خاتَمى، ووضعت يدى على اللّبِن ثم خرجت .

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : لمـا وُضع رسـول الله صلى الله عليه

---

(١) صالح : هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يعرف بشقران .

(٢) الزيادة من الطبقات جـ ٢ ق ٢ : ٧٧ .

وسلم فى لحده، ألق المغيرة بن شعبة خاتَمه فى القبر، ثم قال: خاتمى، خاتَمى! فقالوا: أدخل فخذه، فدخل ثم قال: أهيلوا علىّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه فخرج، فلما سُوِّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أخرجوا عنى[(١)] حتى أغلق الباب، فإنّى أحدَثكُم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لعمْرى لئن كنتَ أردتَها لقد أصبتَها. وأنكر على بن عبد الله بن عباس هذا، وقال: كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن العباس، كان أصغر من كان فى القبر، وكان آخر من صعِد. والله أعلم.

وأما وقت دفنه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه

فقيل: دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس. والله أعلم. وسُنِّم[(٢)] قبره ورُش عليه الماء. وكانت مدّة مرضه آثنى عشر يوما. وقيل: أربعة عشر يوما. وكان مرضه بالصّداع صلى الله عليه وسلم.

وأما سِنّه صلى الله عليه وسلم

١٤٦/١٦ ومدّة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى، وقد بلغ من السِّن ثلاثا وستين سنة، وقيل: خمسا وستين، وقيل: ستين. وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن القاسم، قال حدّثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة فى السنة التى قُبض فيها: «إن جبريل كان يَعْرِض علىّ

(١) لفظ «عنى» ليس فى جـ ولا الطبقات.

(٢) سنم: جعل له سنام أى رفع عن الأرض.

القرآن فى كل سنة مرة ، فقد عَرَض علىّ العامَ مرتين، وأنه لم يكن نبيٌّ إلا عاش نصف عمر أخيه الذى كان قبله ، عاش عيسى بن مريم مائة وخمسا وعشرين سنة، وهذه آثنتان وستون سنة » ومات فى نصف السنة . والذى نقلناه أوّلاً هو الذى صححه العلماء . والله أعلم .

وكان مقامه بالمدينة من لدن الهجرة إلى أن توفّى صلى الله عليه وسلم عشر سنين .

ذكر ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روى فيه

رُوى عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنا لا نُورَث، ما تركناه صَدَقة » . وروى محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد، قال حدّثنا مَعْمَر ومالك وأُسامة بن زيد عن الزهرىّ عن عروة عن عائشة؛ قال محمد بن عمر : وحدّثنى مَعْمَر وأُسامة بن زيد وعبد الرحمن آبن عبد العزيز عن الزهرى عن مالك بن أوْس بن الحَدَثان عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقّاص وعباس بن عبد المطلب قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نفْسَه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقْتَسِم[(١)] ورثتى دينارا ولا درهما، ما تركتُ بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فإنه صدقة » . وعن عائشة : إن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهما أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله ، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم التى بالمدينة وفَدَك ، وما بقى من خُمس خيبر؛ فقال أبو بكر

(١) فى الطبقات : « يقتسم » .

رضى الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقةٌ » إنما يأكل آلُ محمد فى هذا المـال ، وإنى والله لا أغيِّر شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملنّ فيها بمـا عمل فيها رســول الله صلى الله عليه وسلم . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شـيئا ، فوَجَدتْ فاطمــة على أبى بكر ، فهجرته ولم تكلمــه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر . وعن أبى جعفر (١) قال : جاءت فاطمــة إلى أبى بكر تطلب ميراثها ، وجاء العباس بن عبـد المطلب يطلب ميراثه ، وجاء معهما علىّ بن أبى طالب ، فقــال أبو بكر : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ، ما تركنا صدقةٌ » وما كان النبى يَعُول فعلىّ ، فقال علىٌّ : « وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ (٢) » وقال زكريا : « يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٣) » قال أبو بكر : هو هذا ، واللهِ تعلم مثل ما أعلم . فقال علىّ : هذا كتاب الله ينطق ، فسكتوا وآنصرفوا . وعن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال سمعت عمـر بن الخطاب يقول : لمـا كان اليوم الذى توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع لأبى بكر فى ذلك اليوم ، فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبى بكر — رضى الله عنهما — ١٤٧ / ١٦ معها علىّ رضى الله عنه فقالت : ميراثى من رســول الله أبى ، صلى الله عليــه وســلم ، فقــال أبو بكر : أمن الرِّثَّة (٤) أو من العُقَد (٥) ؟ قالت : فَدَك وخَيْبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما ترثك بناتك إذا متّ ، فقال أبو بكر : أبوك واللهِ خير منى ، وأنت واللهِ خير من بناتى ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ، ما تركنا

(١) كذا فى الأصول ؛ وفى الطبقات « جعفر » . (٢) آية ١٦ سورة النمل .
(٣) آية ٥ سورة مريم . (٤) الرثة : الردىء من متاع البيت .
(٥) العقد (جمع عقدة) : الأرض الكثيرة النخل .

صدقةٌ » يعنى هـذه الأموال القائمة ، فتعلمين أن أباك أعطاكها ؟ فوالله لئن قلتِ نعم لأقبلنّ قولك ولأصدقنك . قالت : جاءتنى أم أيمن فأخبرتنى أنه أعطانى فَدَك . قال : فسمعتِه يقـول هى لكِ ؟ فإذا قلتِ قد سمعتـه فهى لك ، فأنا أصـدّقك وأقبلُ قولكِ . قالت : قد أخبرتكَ ما عندى . وعن عمرو بن الحارث خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى ميمونة قال : والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ، ولا عبدا ولا أمة ، ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه ، وأرضًا تركها صدقة . وعن زِرّ بن حُبَيْش : أن إنسانا سأل عائشة رضى الله عنها عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : عن ميراث رسـول الله صلى الله عليه وسلم تسألنى ؟ لا أبالك ! توفّى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ولم يدع دينارا ولا درهما ، ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا . وعن آبن عباس نحوه ، قال : وترك دِرعه رَهْنًا عند يهودىّ بثلاثين صاعا من شعير . وقد رُوى أنه صلى الله عليه وسلم ترك يوم مات ثوبى حِبَرة وإزارا عُمَانيا(١) ، وثوبين صُحَاريين ، وقميصا صُحاريا ، وجُبّـة يمنية ، وخَميصة وكساء أبيض ، وقَلَانس صـغارا لَاطِئة(٢) ثلاثا أو أربعا ، وإزارا طوله خمسـة أشبار ، وملحفة مُوَرّسة . صلى الله عليـه وسلم . هذا الذى أورده الشيخ محب الدين الطبرىّ فى مختصر السيرة .

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وآله من الحزن على فقده ، ونبذة مما رثوه به صلى الله عليه وسلم

رُوى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لمـا ثقل النبى صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكَرْبَ أبتاه ، فقال لها صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى نسخة ا : عثاينا وهو تصحيف .

(٢) اللاطئة : اللاصقة ؛ أى ملتزقة بالرأس .

« ليس على أبيك كرب بعد اليوم » . فلما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة : يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه ، يا أبتاه جنة الفِرْدوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ينعاه ، يا أبتاه من ربه ما أدناه ! قال : فلما دفن قالت فاطمة : يا أَنَسُ أطابت أنفسكم أن تَحْثُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ . وعن عِكرمة قال : لما توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت أمّ أيمن ، فقيل لها أتبكين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : أما والله ما أبكى عليه ألّا أكون أعلم أنه ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا ، ولكن أبكى على خبر السماء آنقطع . وعن عبد الرحمن آبن سعد بن يربوع قال : جاء علىّ بن أبى طالب يوما متقنعا متحازنا ، فقال أبو بكر: أراك متحازنا ، فقال علىّ : إنه عَنانى ما لم يَعْنِك ، قال يقول أبو بكر : آسمعوا ما يقول ! أَنْشُدكم اللهَ أترون أحدا كان أحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم منّى ؟ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : توفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم يُوَسْوِس . وعن القاسم بن محمد : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه ، فقال : إنما كنت أريدهما لأنظر بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمّا إذ قبض الله نبيّه فما يَسرُّنى(١) أن ما بهما بظبى من ظِباء تَبَالة(٢) . وأمّا عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها فإنها لازمت قبره صلى الله عليه وسلم .

ورَثَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جماعةٌ من أصحابه وعمّاته رضى الله عنهم فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه :

---

(١) فى الأصول : « ما يسوءنى » وما أثبتناه عن الطبقات .

(٢) تبالة : موضع باليمن خصب .

يا عينُ فآبكى ولا تَسأَمِى * وحُقّ البُكاءُ على السَّيِّدِ
على خَيْرِ خِنْدِفَ(١) عند البَلا * ءِ أَمْسَى يُغَيَّب فى المُلْحَدِ
فصلّى المليكُ ولىُّ العبادِ * وربُّ البِلادِ على أَحْمَدِ ١٤٨/١٦
فكيف الحَيَاةُ لِفَقْدِ الحبيب * وزَيْنِ المَعَاشِر فى المَشْهَدِ
فَلَيْتَ المَمَاتَ لنا كلِّنا * وكُنَّا جميعًا مع المُهْتَدِى

وقال أيضا رضوان الله عليه :

لمّا رأيتُ نَبِيّنا مُتَجَدِّلًا * ضاقت علىَّ بعرضِهِنّ الدُّورُ
وآرْتَعْتُ رَوْعَةَ مُسْتَهامٍ وَالِهٍ(٢) * والعَظْمُ مِنّى واهِنٌ مكسورُ
أَعَتِيقُ وَيْحَكَ إنّ حِبّكَ قد ثَوَى(٣) * وبقيتَ منفردا وأنتَ حَسِيرُ
ياليتنى من قبلِ مَهْلَكِ صاحبى * غُيِّبْتُ فى جَدَثٍ(٤) علىّ صُخُورُ
فَلَتَحْدُثَنّ بدائعٌ من بعدِهِ * تَعْيَا بهنّ جوانحٌ وصُدورُ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

ارِقْتُ فباتَ لَيْلِى لا يَزُولُ * ولَيْلُ أخى المصيبة(٥) فيه طُولُ
وأَسْعَدَنِى البكاءُ وذاك فيما * أُصِيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عَظُمت مصيبتنا وجَلّت * عَشِيّةَ قيلَ قد قُبِضَ الرسولُ
وأضحَتْ أرضُنا مما عَرَاها * تكادُ بنا جوانبُها تَمِيلُ
فقدنا الوَحىَ والتنزيل فينا * يَرُوح به ويغدُو جِبْرَئِيلُ

(١) خندف : ولد إلياس بن مضر ، أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) الروعة : الفزعة ، المستهام : الذى أسقمه الهم ، الواله : الذاهب عقله حزنا ، والوهن : الضعف .
(٣) الحب بالكسر : المحبوب ، والحسير : المتلهف .
(٤) الجدث : القبر .
(٥) فى نسخة ا الصبابة .

وذلك أحقّ ما سالَتْ عليه * نفوسُ الناس أو كَرَبت تَسِيلُ
نبيٌّ كان يجلو الشكَّ عنها[1] * بما يُوحَى إليه وما يقولُ
ويَهدِينا فلا نَخشَى ضلالا * علينا والرسولُ لنا دليلُ
أفاطِمُ إن جَزِعْتِ فذاكَ عُذْرٌ * وإن لم تَجزَعِي ذاك السَّبيلُ
فقَبْرُ أبيكِ سيّدُ كلِّ قبرٍ * وفيه سيّدُ النّاس الرسولُ

وقال عبد الله بن أُنَيس :

تَطاولَ ليلِي واعترتني القوارعُ * وخَطْبٌ جليلٌ للبليّة جامعُ
غداةَ نَعَى النّاعي إلينا محمّدًا * وتلك التي تَستَكّ منها المَسامعُ
فلو رَدّ مَيْتًا قتلُ نفسي قتلتُها * ولكنّه لا يدفَعُ الموتَ دافعُ
فآليتُ لا آسَى على هُلْك هالكٍ * من الناس ما أَوْفَى ثَبِيرٌ وفارعُ
ولكنّني باكٍ عليه ومُتْبِعٌ * مُصيبتَه إنّي إلى الله راجعُ
وقد قَبَضَ اللهُ النبيّين قبلَه * وعادٌ أُصيبت بالرُّزَى والتبابِعُ[2]
فياليتَ شِعْرى من يقوم بأمرنا * وهل في قريشٍ من إمامٍ يُنازِعُ
ثلاثةُ رهطٍ من قريشٍ هُمُ هُمُ * أزِمّةُ هذا الأمرِ واللهُ صانِعُ[3]
عليٌّ أو الصِّدِّيقُ أو عُمَرٌ لها * وليس لها بعد الثلاثة رابعُ
فإن قال منّا قائلٌ غيرَ هذه * أَبَيْنا وقلنا اللهُ راءٍ وسامعُ
فيالَقُرَيشٍ قلّدوا الأمرَ بعضَهم * فإنّ صحيحَ القول للناس نافعُ
ولا تُبْطِئوا عنها فُواقًا فإنّها * إذا قُطِعت لم تُمْنَ فيها المطامعُ[4]

١٤٩ / ١٦

(١) الضمير يعود على النفوس ؛ وفي المواهب « عنا » .

(٢) التبابع : ملوك اليمن جمع تبع . (٣) أزمة : جمع زمام .

(٤) فواق : من الزمن مقدار ما بين الحلبتين .

وقال حسان بن ثابت الأنصارىّ :

آليتُ حلفةً برٍّ غير ذى دَخَل (١) * منّى ألِيّةَ حقٍّ غير إفنادِ

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت * مثلَ النبيّ نبيِّ الرحمة الهادى

ولا مشَى فوقَ ظهر الأرض من أحد * أوفى بذمّة جارٍ أو بميعاد

مِن الذى كان نورًا يُستضاء به * مباركَ الأمر ذا حزم وإرشاد

مصدِّقا للنبيين الأُلَى سلفوا * وأبذلَ الناس للمعروف للجادِى (٢)

خيرَ البريّة إنّى كنتُ فى نهَرٍ * جارٍ فأصبحتُ مثل المُفرد الصّادى (٣)

أمسى نساؤك عطّلن البيوتَ فما * يضربن خلفَ قفا ستر بأوتاد

مثلَ الرّواهب يلبسن المُسوحَ وقد * أيقنَّ بالبؤس بعد النعمة البادى (٤)

وقال أيضا :

ما بالُ عينِك لا تنام كأنّما * كُحلتْ مآقيها بكُحل الأرمد

جزعا على المهدىّ أصبح ثاويا * يا خيرَ مَن وطئ الحصى لا تبعُد

يا ويحَ أنصار النبىّ ورهطه * بعد المغيَّب فى سَواء المُلحَد

جنبى يقيك التُّربَ لهفى ليتنى (٥) * غُيِّبتُ قبلك فى بقيع الغرقد

يا بِكرَ آمنةَ المباركَ ذِكرُه (٦) * ولدته محصنةٌ بسعد الأسعد

نورًا أضاء على البريّة كلِّها * من يُهدَ للنور المبارك يهتدى

---

(١) دخل : خديعة ومكر . إفناد : كذب .

(٢) الجادى : طالب الجدوى وهى العطية .

(٣) الصادى : من الصدى وهو العطش الشديد .

(٤) البادى : أى الظاهر ، نعت للبؤس .

(٥) فى ديوان حسان : وجهى يقيك ، وبقيع الغرقد : مقبرة المدينة .

(٦) محصنة : عفيفة ، وسعد السعود : منزلة من منازل القمر ، والمراد اليمن والبركة .

أُقيمُ بعــدَك بالمدينة بيْنَهــم * ياَلهْفَ نفسى لَيْتَنــِى لم أُولَدِ
بأبِى وأمّى من شَهِــدتُ وَفَاتَه * فى يوم الاثنــين النبىِّ المهتَـدِى
وَظَلِلتُ بعــد وَفاته مُتبَــلِّدًا (١) * ياليْتَنِى صُبِّحتُ سُمَّ الأسْــوَدِ (٢)
أو حَــلَّ أمرُ الله فينـا عاجلا * فى رَوْحة من يومنـا أو فى غَد
فتقــوم سَـاعتُنا فنَلْقَى سَــيِّدا * مَحْضًـا (٣) مضارِبُه كريمَ المحتِـدِ
يا ربِّ فاجمعنـا معًـا ونبيَّنـا * فى جنــة تَفْقِى (٤) عيونَ الحُسَّـدِ
فى جَنَّــة الفِرْدَوْسِ فاكْتُبْها لنـا * ياذَا الجَلالِ وذَا العُـلا والسُّؤْدَدِ
والله أَسْمَــعُ (٥) ما حَيِيتُ بهـالكٍ * إلَّا بَكَـيْتُ على النــبىّ محمّدِ
ضاقت بالانصار البلادُ فأصبحوا * سُــودًا وجُوهُهم كلَوْن الإثْمِـد
ولقــد ولَدْناه وفينـا قــبْرُه * وفُضُـولُ نعمتِه بنـا لم يُجحَدِ (٦)
والله أهــداهُ لنـا وهَدَى به * أنصـارَه فى كلِّ سـاعَةِ مَشْهَدِ
صَلّى الإلهُ ومَنْ يَحُفُّ بعرشِــهِ * والطيِّبــون على المبـارَك أحْمَـدِ

ووقفت فاطمة الزَّهْراء رضى الله عنها على قبره صلى الله عليه وسلم فقالت : ١٥٠/١٦

ما ضَرَّ مَن قَــدْ شَمّ تُرْبَةَ أحْمَــد * ألا يَشَمّ مَدَى الزّمانِ غَوالِيَــا (٧)
صُبَّتْ علىّ مَصَــائبٌ لَوْ أنّهـا * صُبَّت على الأيّام صِرْنَ لياليَــا

وقالت رضى الله عنها :

اغْــبَرّ آفاقُ السّماءِ وكُــوِّرَتْ * شَمْسُ النّهـارِ وأظْلَمَ العَصْرَانِ

(١) متبلدا : متحيرا متلهفا ، وضد التجلد . (٢) الأسود : الحية العظيمة .

(٣) المحض : الخالص ، ومضاربه : أصله وقومه وأبوه وشرفه ، وفى ديوانه : ضرائبه وهى السجايا ، والمحتد : الأصل . (٤) تفقى : تقلع ، وفى الديوان : تثنى : أى تصرف .

(٥) يريد لا أسمع . (٦) «لا تجحد» فى الأصول ، وفى الديوان : لم يجحد .

(٧) الغواليا جمع غالية : وهى أخلاط من الطيب .

والأرضُ مِنْ بعْدِ النبيِّ كئيبةٌ * أسفًا عليه كثيرةُ الرَّجفانِ
فلتبكِهِ شرقُ البلادِ وغربُها * ولتبكِهِ مضرٌ وكلُّ يمانِي
وليبكِهِ الطَّودُ المعظَّم جوُّه * والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ (١)
يا خاتمَ الرُّسلِ المباركَ صِنوُه (٢) * صلَّى عليكَ منزِّلُ الفرقانِ
نفسي فداؤكَ ما لرأسِكَ مائلًا * ما وسَّدوكَ وِسادةَ الوَسنانِ

وقالت صفية بنت عبد المطلب :

أفاطمُ بكِّي ولا تسأمِي * بصُبحِكِ (٣) ما طلعَ الكوكبُ
هو المرءُ يُبكَى وحقُّ البكا * على الماجِدِ السيِّدُ الطيِّبُ (٤)
فأوحشتِ الأرضُ مِن فقدِه * وأيُّ البريَّةِ لا يُنكَبُ
فمالِيَ بعدكَ حتى المما * تِ إلَّا الجوَى الداخلُ المُنصِبُ (٥)
فبكِّي الرسولَ وحقَّتْ له * شهودُ المدينةِ والغُيَّبُ
لتبكيكَ شمطاءُ مضرورةٌ * إذا حُجِبَ الناسُ لا تُحجَبُ (٦)
ليبكيكَ شيخٌ أبو وِلْدَةٍ * يطوفُ بعقوتِه أشهبُ (٧)
ويبكيكَ ركبٌ إذا أرملوا * فلم يُلفَ ما طلبَ الطُّلَّبُ (٨)
وتبكي الأباطحُ مِن فقدِه * وتبكيه مكَّةُ والأخشَبُ (٩)
فعينيَّ مالكِ لا تدمعينَ * وحُقَّ لدمعِكِ يُستَسكَبُ

(١) الطود : الجبل ، والجو هنا : الأودية . (٢) الصنو : المثل .
(٣) فى جـ « فصبحك ... » . (٤) كذا فى الأصول وفى الطبقات : « هو الماجد ... » .
(٥) الجوى : الحزن ، المنصب : المتعب . (٦) الشمطاء : العجوز المبيضة الشعر ، المضرورة التى أصيبت بالضرر . (٧) الولدة بكسر الواو : الأولاد ، والعقوة : الساحة ، والأشهب : الجدب والفقر . (٨) أرملوا : نفد زادهم . (٩) الأخشب : جبل مشرف على مكة ، وهما أخشبان : أبو قبيس والأحمر مطيفان بمكة .

وقالت صفية أيضا :

عَيْنِ جودِى بدَمعة تَسْكاب * للنبىّ المطهّــر الأَوّابِ
عين من تَنْدُبِين بعــد نَبِىٍّ * خَصّه الله ربُّنا بالكِتابِ
فاتحٌ خاتمٌ رءوفٌ رحيمٌ * صادِقُ الْقِيلِ طيِّبُ الأثوابِ
مُشْفِقٌ ناصِحٌ شفيق علينا * رحمة من إلهِنا الوَهّابِ
رحمةُ الله والسّــلامُ عليه * وجزاه المليكُ حسنَ الثّوابِ

وقالت أَرْوَى بنت عبد المطلب :

ألَا يا عينِ ويحكِ أسعِدِينى * بدَمْعك ما بقيتِ وطاوِعِينى
ألا يا عينِ وَيحكِ وَاستَهِلّى * على نُور البلادِ وأسْعِدِينى
فإن عَذَلَتْكِ عاذلةٌ[1] فقُولى * عَلامَ وفِيمَ ويْحكِ تعذِلِينى
على نُورِ البــلاد معًا جميعًا * رسولِ الله أحمد فاتْرُكِينى
فإلّا تُقْصِرى بالعَــذْل عنّى * فلُومِى مَا بَدَالَكِ أو دَعِينى
لأَمْرٍ هَدّنِى وأَذَلّ رُكْنى * وشيّب بعد جِدّتها قُرُونى

١٥١
١٦

وقالت عاتِكةُ بنت عبد المطلب :

يا عينِ جُودِى ما بقِيت بعَبْرة * سَحًّا على خيرِ البريّة أحمد
ياعيْن فاحتفِلى وسُحّى واسمحى[2] * فابْكى على نور البلادِ محمّد
أنّى لكِ الوَيلاتُ مثــلُ محمّدٍ * فى كلّ نائِبَــة تَنُوبُ ومَشْهَدِ
فابْكى المبارَكَ والموفَّقَ ذَا التُّقَى * حامِىَ الحقيقةِ ذا الرّشاد المُرْشِدِ
من ذَا يَفُــكّ عن المُغَلّل غُلّهُ * بعدَ المُغيَّب فى الضَريح المُلْحَدِ

(١) العاذلة : اللائمة .

(٢) أسمحى : جودى . فى الطبقات : وأسجمى : من سجم الدمع إذا سال .

أمْ مَنْ لكلِّ مُدَفَّعٍ ذِى حاجة * ومُسلسَلٍ يشكو الحديد مُقَيَّدِ (١)
أمْ مَنْ لِوَحى الله يَنْزِلُ بيننا * فى كلِّ مُمْسَى لَيْلةٍ أو فى غَدِ
فعليك رحْمةُ رَبِّنا وسلامُه * ياذاالفَوَاضِل والنَّدَى والسُّؤدَدِ

وقالت هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطّلب بن عبد مَنَاف أخت مِسْطَح :
أَشَابَ ذَوَائبى وأذَابَ رُكْنِى * بُكاؤكِ فاطِمُ المَيْتَ الفقيدَا (٢)
فأعطيْتَ العَطاء فلم تُكَدِّرْ * وأخدمتَ الوَلائدَ والعَبِيدَا (٣)
وكُنتَ ملاذَنا فى كلِّ لِزْبٍ * إذا هبَّتْ شآميةٌ بَرُودَا (٤)
وإنّك خيرُ من رَكِبَ المَطايَا * وأكْرَمُهم إذا نُسِبُوا جُدُودَا
رسولُ الله فارَقَنا وكُنّا * نُرَجِّى أنْ يكون لنا خُلُودَا
أفاطِمُ فاصْبِرى فلقد أصَابَتْ * رزيّتُك التّهَائمَ والنُّجُودَا (٥)
وأهلَ البرِّ والأبْحارِ طُرًّا * فلم تُخْطِئْ مصيبتُه وَحِيدَا
وكان الخيرُ يُصْبِح فى ذُرَاهُ (٦) * سَعِيدَ الجَدِّ قد وَلَدَ السُّعُودَا

ورثاه صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء ممّا لو ٱستَقْصَيْنا ذلك لطال، وٱتّسع فيه المجال، ومَراثيه صلى الله عليه وسلم ومدائحه كثيرةٌ تزداد فى كل عصر، وتتَضاعف فى كلِّ دهر، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا .

---

(١) المدفع : الفقير الذليل .
(٢) الذوائب (جمع ذؤابة) : شعر الناصية ، والركن : الجانب الأقوى
(٣) الولائد : الجوارى .
(٤) اللزب : الطريق الضيق، والمراد الشدة . وفى أ : « كرب » .
(٥) التهائم : المنخفضات من الأرض ، والنجود : المرتفعات ، أى جميع البلاد .
(٦) ذراه : أعلاه ، والجد : الحظ .

[صورة ما هو مكتوب بآخر هذا الجزء بنسخة ا]

كمل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب، للنويرى رحمه الله تعالى .

وكان الفراغ منه فى يوم الاثنين المبارك تاسع جمادى الأولى سنة سبع وستين وتسعمائة، على يد كاتبه أفقر الخلق إلى رحمة ربه نور الدين بن شرف الدين العاملى، غفر الله له ولوالديه، ولمن يقرأ له ولهم الفاتحة آمين .

[صورة ما هو مكتوب فى آخر هذا الجزء أيضا بنسخة ج]

كمل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التيمى القرشى المعروف بالنويرى عفا الله عنهم .

ووافق الفراغ من كتابته فى يوم السبت المبارك لأربع بقين من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمائة ؛ أحسن الله تقضيها، بالقاهرة المعزية عمرها الله تعالى .

يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء السابع عشر الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الخامس فى أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

***

أتممنا بعون الله تعالى تحقيق الجزء الثامن عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » من تجزئة طبعة الدار ، في يوم السبت ١٤ من ربيع الثاني سنة ١٣٧٤ هـ (١١ من ديسمبر سنة ١٩٥٤ م) .

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع عشر، وأوله : «الباب الثاني من القسم الخامس في أخبار الخلفاء الراشدين » .

محمد محمد حسنين
المصحح بالقسم الأدبي

إبراهيم إطفيش
المصحح بالقسم الأدبي

فهرس المراجع

أسباب النزول للواحدى ، هندية ١٣١٥

الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر ، حيدر آباد ١٣١٨

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ، الوهبية سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لابن دريد ، جوتنجن ١٨٥٤ م .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، السعادة والشرفية سنة ١٣٢٣

الأصنام لابن الكلبي دار الكتب ١٣٤٣

البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة ١٣٤٨

تاريخ الطبرى ، ليدن ١٨٨٩ م .

تفسير الثعلبي مخطوط ، رقم ١٢٤٦ تفسير .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، حيدر آباد ١٣٢٧

الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية .

الجامع الصغير للسيوطي ، بولاق سنة ١٢٨٦

دلائل النبوة للبيهقي مخطوط ، رقم ٢١٢ حديث .

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ، حيدر آباد ١٣٢٠

ديوان الأعشى ، فيينا ١٩٢٧ م .

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، الرحمانية ١٣٤٧

ديوان لبيد بن ربيعة ، ليدن ١٨٩١ م ، ومخطوط دار الكتب ٥٤٧ أدب .

الروض الأنف لأبي القاسم السهيلي ، الجمالية ١٣٣٢

سنن النسائي ، الميمنية ١٣١٢

السيرة الحلبية ، بولاق ١٢٩٢

شرح أبي شامة على القصيدة الشقراطيسية مخطوط رقم ٢٤٧ أدب بدار الكتب . ورقم ١٦١١٦ ز .

سيرة ابن هشام ، جوتنجن ١٨٥٨ م . والحلبي بمصر ١٣٥٥

شرح بانت سعاد لابن هشام ، بولاق سنة ١٢٩٠

شرح البخارى للقسطلاني ، بولاق ١٢٩٣

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب ١٣٦٣

شرح ديوان كعب ، دار الكتب ١٣٦٩ .

شرح ديوان لبيد برواية الطوسى ، فينا ١٨٨٠ م .

شرح السيرة النبوية لأبي ذر الخشني ، مطبعة هندية ١٣٢٩

شرح الشفا للشهاب الخفاجى ، الآستانة ١٢٦٧

شرح قصيدة الأعشى الدالية مخطوط رقم ١٧٣٦ أدب بدار الكتب .

شرح المواهب للزرقاني ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٧٨

الشفا للقاضي عياض ، الآستانة ١٢٩٠

صحيح البخارى ، المطبعة الأميرية ١٢٩٦

صحيح الترمذى ، بولاق ١٢٩٢

صحيح ابن ماجه ، مصر ١٣١٣

صحيح مسلم : بولاق ١٢٩٠ والآستانة ١٣٣١

الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ، ليدن ١٣٢٢

عقد الجمان ، في تاريخ أهل الزمان نسخة مصورة بدار الكتب رقم ٧١ م .

الكتاب لسيبويه ، بولاق ١٣١٦
لباب النقول ، فى أسباب النزول للسيوطى ، الحلبى ١٣٠٢
مجمع الأمثال للميدانى ، بولاق ١٢٨٤
المعارف لابن قتيبة ، جوتنجن ١٨٥٠ م .
معجم البلدان لياقوت الحموى ، ليبزج ١٨٦٨ م .
مغنى اللبيب لابن هشام ، الحلبى سنة ١٣٠٢
المفردات فى غريب القــرآن للراغب الأصــفهانى ، الم
مصر ١٣٢٤ .
المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموى ــ مخطو
بدار الكتب رقم ٢٧٨٥ تاريخ .
الموطأ فى الحديث للإمام مالك بن أنس ، السعادة ١٣٢١
النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ، مصر ١٣١١

الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٣	١١	وأنا	وإنّا
٣٧	١٢	ولم نسرها	ولم نثرها
٤٤	٢، ٣	وأنه	وإنه
٤٦	٣	لقيت الله أو لقيتُ	لقيتَ الله أو لقيتَ
٤٩	١٣	الأحزم	الأحرم
٦٧	١٠	النّبيّ	النّبي
٦٨	١٣	ابن عتابة	ابن عكابة
٧٤	٤	أَرْعَدَتَ	أُرْعِدت
٧٧	٢	فَرْده	قَرَدة
٩٠	٢١	وأخو بَلِيّ بن عمرو	أخو بليّ بن عمرو
١٠١	٢٠	مقوصا	معقوصا
١٠٣	٩	أشهد	آشهد
١١٠	١٤	الفجّ	الفجّ
١١٣	١٢	التتابعة	التبابعة
١٢١	١٦	أبو حارثه ابن علقمة	أبو حارثة بن علقمة
١٢٢	٥	أبو حارثة ابن علقمة	أبو حارثة بن علقمة

ص	س	الخطـــأ	الصـــواب
١٢٤	٦	أنه ابن الله	إنه ابن الله
١٣٨	١٥	بنحلة	بنخلة
١٤٢	١	الجنّ	الجنّ
١٤٤	١٣	مختصر الدلائل	دلائل النبوة لأبى نعيم
١٥١	٣	فَراضا	فَرْاضا
١٥٢	٩	بحياض	لحياض
١٥٤	٦	البيت	البيت
١٥٧	٣	القوم الذى	القوم الذين
١٦١	٣	دحيةُ	دحيةَ
١٧١	١٨	الإستيعان	الاستيعاب
١٧٣	١٨	حتى قتل	حين قتل
١٨٢	٥	تقترب	تتقوب
١٨٢	١٠	حُذيمة	جَذيمَة
١٩٨	٦	حُرَقَة	حُرَقة
٢٣٨	٥	الخُلق	الخَلْق
٢٤٢	٩	طيبها	طَيِّبَها
٢٥٨	١	ولا يؤنس	ولا يُؤَنِّسِ
٢٥٨	٧	ألَا	ألّا
٢٥٩	٩	رءوف	رَءُوفٌ
٣٢٠	١٥	الجدع	الجذع

ص	س	الخطـــأ	الصـــواب
٣٣٥	١٢	على ماءِ	على ماءٍ
٣٤١	١٤	قَطرُبٌّ	قُطْرَبٌ
٣٤٨	٩	لا تحزن إن	لا تحزنِ ان
٣٥٨	٣	منجذم	منْجذمِ
٣٥٨	٣	جِذْل	جِذْل

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر ت ج م
تليفون ٩٠٠١١٨ ص . ت ٦٣٤١١


Bibliotheca Alexandrina
03382566